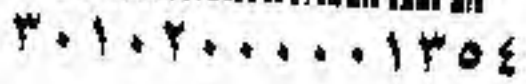


الحسين

محكمة المكارمة

كلية الدعوة وأصول الدين - احياء الفروع الدينية - د. محمود حمدي

د. احمد الوائلي
١٧١٤



الأسس العنصرية لظاهرة

الغيب

وَمَوْقِفُ الْإِسْلَامِ مِنْهَا

2. 4877

رسالة مفقودة في اللغة العربية
الكتاب الثاني في اللغة العربية
قسم « العقيدة »



اعداد الطالب
عمرو فنيق الداعوق

استرلوف

مجلد اول

الأستاذ الدكتور:

۱۴۰۸ هـ - ۱۹۸۸ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا

وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
خير نبي اصطفاه ولهداية العالمين أرسله ، فجاء بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا . فكان بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا
إلى الله بآذنه وسراجا منيرا ، فهدى بنوره خلقا كثيرا . وفتح بدعوته أعينا عينا
وآذانا صما وقلوبا غلفا .

أما بعد ، فقد خلق الله عباده كلهم حنفاً منيبين لقبول هدايته ، فذعنهم
لأمره وإرشاده ، وذلك حينما أخذ عليهم العهد في عالم الذر (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ
مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلَى
شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (١)
إلا أن الشياطين اجتالتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما أحل الله لهم وأمرتهم
أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطانا . (٢)

ولهذا كانت بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام إيقاظاً لأصل الفطرة وإزالة
ما طغى بها من غشاوة ، وإرشاداً للخلق إلى الخالق .

وجاءت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات للعودة بالناس
إلى الإيمان الصحيح ونهذ الشرك والالحاد بعد تمكن الجاهلية من عقول البشرية
واستفحال أمرها ، وهكذا تكون رسالة السلم خبطة بهذا التكليف الرباني يحلها
بأمانة وإخلاص نقية جليلة ليلا كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

والناظر في أهم الأسباب الموجبة لانصراف الناس عن أصل الفطرة السليمة
يجد في قمتها فئة غير قليلة من شياطين الإنس قد استمرأت جريمة الاجتيال وابتدعت
حرفة الضلال والاضلال ، فعطت جاهدة عبر تاريخها على الوقوف في وجه الحق
وعدم وصوله إلى الناس بشتى الوسائل ، حفاظاً على مصالحها ومناصبها وابقاءً على
امتيازاتها ومكاسبها .

١ - الاعراف : ١٧٢

٢ - أصل الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١٩٧ ط ١٣٤٩ هـ

ومن يرد حصر هذه الفئة وقفا على أهدافها وأعمالها وعقائدها . يجد طائفة متسترة بالدين . إما لنيل عرض دنيوي أو للحصول على منصب ديني يمكنها من بسط نفوذها وجبروتها على الناس . وأكل أموالهم بالباطل وابتزازهم بالاثم والعدوان .

لقد عرف التاريخ السحق فثة من الكهنة والاحبار والرهبان و قد سجل عليهم فضائح مهلكة وجرائم مخزبة .

ويأتي القرآن الكريم ليلفت الانظار الى ظاهرة هذا الابتزاز الأثم . فيقول الحق جل شأنه . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَهُمْ لَا يَسِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (١)

وارتكاب هذه الجريمة الشنيعة تابع بلا شك من الاثام العقديّة المنحرفة التي سوفت لهم التعدي على حرمان الله ، وأتاححت لهم الفرصة لنيل ما ربههم وتحقيق مقاصد أهدافهم . وفي غياب الوازع الديني والأخلاقي يصبح تنفيذ الجرائم أمرا مائضا وعلا شائعا . ومع الايام تصبح هذه الظاهرة المخزية جزءا من مظاهر المجتمع بل سمة أساسية له وقانونا يتوارثه الخلف عن السلف .

والاشارة القرآنية الصادقة راها الناس سابقا . ورونها اليوم حقيقة ملحة امام العيون . وتتأكد هذه الحقيقة من خلال تجارب كثير من طوائف أهل الكتاب ورجالاتهم . كالراهب النصراني " أنسلمو ترييدا " (٨٣٢ هـ) الذي أسلمهم وهاجر من اسبانيا الى تونس وعرف فيط بعد باسم عبد الله الترجمان (٢) وقد فضح القسوس والرهبان بكتاب النفيس " تحفة الارب في الرد على أهل الصليب " وبين عقائدهم وأساليبهم مع الناس . وكذلك العالم النصراني الذي أسلم " نصرين يحيى المتطبيب السهتي (٣) إضافة الى العديد من أشرقت لهم شمس الهداية قديما وحديثا فعرفوا الحق واتبعوه ونبتوا بالباطل واجتنبوه .

هذه الاعتبارات وغيرها دفعتني الى ضرورة البحث في أصل وأصول الرهبنة للوقوف على الآثار العقديّة السلبية التي خلفتها . وط نجم عنها من مطالب خاصة وان الله تبارك وتعالى قد كشف هذه الحقيقة حينما أشار بانها طريقة مبتدعة . يقول الحق تبارك وتعالى (... وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) (٤) بل ان تلميذ هو " لا " على الناس جعلهم يتخذون :

١ - التوبة : ٣٤

٢ - انظر ترجمته ص ٣١٧ من هذا البحث .

٣ - له كتاب اسمه " النصيحة الابطانية في فضيحة الطبة النصرانية " بين فيه عور ما يؤمن به النصارى . وقد اهتدى الى الاسلام بحمد الله تعالى . وحقق كتابه مؤخرافسي الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٤ - الحديد : ٢٧

(أَحِبَّارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ . . .) (١)

ولا جدال أن هذه الظاهرة قد لعبت دورا خطيرا في حياة الناس
وما لا شك فيه كذلك أن كثيرا من الأُحبار والرهبان قد أساءوا استغلال الانسان
في ماله وعقيدته ، كما أن الكثير منهم لم يستطع الوفاء ببط التزم به ، كما أخبرنا
الله تعالى في كتابه العزيز .

ولكن العجيب الغريب حقا أن نجد في هذا العصر - عصر العلم والحضارة -
من يدعو اليها نظرا لان العلم قد غيب آمال الانسان وأضحى مهددا لوجوده .
ومن هنا رأيت الفرصة مواتية . لا يرازدور الرهينة عبر التاريخ وتجليته
موقف الاسلام منها ومن صورها المختلفة . آمل أن يكون في هذا تبصرة
لهؤلاء وأولئك بالتمييز والنفع الاسلامي الذي يمكنهم من الانتفاع بالاتباع .

ان دراسة موضوع الرهينة عبر التاريخ وموقف الاسلام منها يكشف
صفحة وضاعة من صفحات الاسلام ، وما أكثرها . وذلك ليقصر الجهد
ففي هذا العصر بالحقيقة الكبرى القاضية بأنه لا نجاة ولا راحة ولا سعادة الا
باتباع الاسلام . الذي يهدي الناس الى العقيدة الصحيحة (٢)
(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (٣)

لقد جاء هذا الدين لا يقاط البشرية من وهدة الغفلة واخراج الناس
من الظلمات الى النور . فأطاط اللثام عن تقليد الآباء والاجداد ، ودعا
الى نيل عبادة العباد ، والتمسك بعبادة رب العباد .

فأضاعت شمس درب السالكين ، ومحا ضوء ليل البائسين واهتدت بهديه
خلائق كثيرة ، وتعلقت بأهدائه أم عديدة . ولهذا لم يعد مجال لانكار هذه
الحقيقة ، وما على المعاندين سوى التسليم بها ، فالله تعالى يقول (وَمَنْ يَبْتَغِ
غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٣)

١ - التوبة : ٣١

٢ - ال عمران : ١٩

٣ - ال عمران : ٨٥

إن هذه الدراسة ستكشف أبعاد ظاهرة خطيرة تهدد تكيان الأمم القديمة لما أحدثته من بدع عقدية وأنظمة سلوكية لا تمت إلى الدين الحق بصلة ، وكانت من أهم أسباب زوال الحضارات القديمة ، كما تهدد الأمم الغربية التي عاشت في العصور الوسطى وقادت بها إلى الحروب والدمار خاصة ما حصل في أوروبا أثناء حكم البابوية .

كما أنها تهدد شعوب الهند سابقا وأبقتها إلى اليوم رازحة تحت شدة الفقر والدعة نتيجة للسلبية الغالبة على المجتمع والطبقية المهيمنة على الناس . وتهدد الرهينة في العصر الحديث أما كثيرة ، فمنظمتها ليست ثوباً جديداً وأخذت تنتشر في العالم الغربي نتيجة الخواء الروحي الذي يعاني منه الغرب بصورة خاصة ، فالرهينة البوذية والهندوسية واتباع كرشنا وغيرهم تأخذ قسطاً وافراً من اهتمام الضائعين في لجج الحياة المادية . كما تهدد الرهبانية العالم الإسلامي عبر وسائلها الحديثة المتمثلة بالتبشير

الذي يتحرك ضمن خطط موضوعة لأهداف مرسومة من قبل سلطة الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وغيرها .

وتتجلى الصورة الخطيرة في استغلال المؤسسات التبشيرية لحالات الفقر والجوع في العالم الثالث خاصة الهند والباكستان والبنغال والقحط الذي أصاب إفريقيا تنفيذاً لخطط التنصير .

كذلك يأخذ التغلغل النصراني دوره في دول الخليج العربي ومصر وسائر الشام وغيرها من أقطار العالم الإسلامي .

ولا يخفى على أحد أن الإستعمار الغربي بات يستغل هذه المؤسسات في تنفيذ خططه الرامية إلى إخضاع الدول لسيطرته الاقتصادية والعسكرية والثقافية . وحيث إن الرهينة هي العمود الفقري لحملات التبشير والمنفذ الحقيقي لهذه الخطط لذا يجب القاء الضوء عليها وكشف مبادئها وأرائها .

ولما كانت الرهينة تسئل في رأى البعض سلكاً أخلاقياً ، لذا فقد أردت بيان قصر هذا الفهم ، وإثبات أن هذا السلك وإن نم عن مبدأ أخلاقي في الظاهر إلا أنه يحل في طياته كثيراً من العقائد ذات الصلة المباشرة بالحياة التي يعيشها الرهبان وإن كثيراً من العقائد المغالية كالحلول والاتحاد ووحدة الوجود قد تحولت إلى أسس عقدية للديانات المختلفة سواء الوضعية منها أو تلك التي ينتحلها أهل الكتاب .

وسوف تتضح هذه الحقائق من خلال استعراض أبواب وفصول البحث
ان شاء الله تعالى ، كما تتجلى أيضا أضرار الابتداع في الدين ومدى الأثر
العلمي الذي أحدثته هؤلاء المبتدعون .

وللوقوف على أسباب وجود هذه الظاهرة الخطيرة في الشرائع السابقة
للاسلام ، كان لا بد من دراسة العوامل الموضوعية الموجبة لظهور طبقات رجال
الدين ، كالكهنة وغيرهم عبر العصور المختلفة ، وكيفية تكوين هذه الفئة ومدى
ما أحدثت تطورها من مفاهيم وأراء ، . وهذا يقود بدوره الى دراسة المجتمعات
الاولى التي ظهرت فيها نواة الرهبنة ، كالديانة المصرية القديمة ، وديانة
الدرافيديين سكان الهند الاصليين ، ومن ثم تتبع هذه الفئة عبر
التاريخ ، وكيفية انتقالها الى الامم الاخرى .

ووفق ذلك كان من المحتتم دراسة العوامل الذاتية المؤدية الى معرفة
النتائج الفكرية والعقدية لدى تلك الفئات وطتمخض عنها من مبادئ دينية
اتخذت فيما بعد أصولا وأساسا لتلك المجتمعات .

كما ان دراسة الاثار السلوكية الناجمة عن العقائد السائدة ضرورة لاستكمال
جوانب البحث ، وهي تأخذ حيزا كبيرا من نشاط الرهبان ، وتنعكس بالتأليسي
أثر العقيدة في هذا الجانب .

ودراسة هذه الظاهرة وفق الكيفية التي توخيت نهجها في هذا الموضوع
ستتيح الفرصة للوقوف على النتائج التي تمكن البحث من بلوغ هدفه .

وعلى العموم فان هذا البحث يعتبر من الوجهة العلمية ، قديم قدم الحضارات
البدائية الاولى ، حديث حداثة الادييرة والكنائس التي لاتزال تشاهد الى يومنا. والرهبان
الذين لا يزالون يمارسون حياتهم وفق منهجهم الذي وضعوه بأيديهم .

فهو والحالة هذه جد يسر بان يلقي عناية ودراسة مستفيضة لتعلقه بأخطار
ظاهرة عقدية وسلوكية وجدت في التاريخ ولا تزال الى يومنا هذا تنخر في جسم البشرية
وتفت من عضد الشعوب وتأسسكمها .

ولقد واجهتني مصاب وشاكل جمة في اصداء الرسالة .

. وقد تمثلت برحلتين هامتين .

الأولى : وهي ضرورة القيام برحلة ميدانية للوقوف على المعارف والمعالم المتعلقة بالرهينة .

اما الثانية فقد تمثلت بتدرة المراجع والمصادر المختصة بهذا الشأن .

ومن اجل الفرض الاول فقد قمت برحلة علمية الى ربوع الهند مهد الرهينة في الديانات الوضعية ، حيث استطعت الحصول على بعض المصادر الضرورية بمساعدة الأخوة القائمين على الدعوة الاسلامية هناك كمركز الجماعة الاسلامية في دلهي والجامعة السلفية في بنارس . وقد لقيت فيهما كل ترحيب ومساعدة فاقت تصوري . ومن خلال تلك الرحلة استطعت الوقوف على كثير من المعلومات الخاصة بالديانات الثلاث : الهندوسية والجينية والبوذية . و حاورت عددا من اساتذة الجامعة الهندوسية في بنارس ووضحت لهم عور العقائد والعبادات التي يعكفون عليها . كما أقيمت محاضرة في نفس الجامعة أبرزت فيها فضل الاسلام على بقية الأديان واثره فيها وقد حضرها عدد من أساتذة الجامعتين السلفية والهندوسية وبعض من الرهبان البوذيين .

ومن خلال الجولات الميدانية العديدة لاحظت مدى انطباق الحياة الدينية على ما جاء في مؤلفات الباحثين في مجال مقارنة الأديان . وأشد ما يدهش المرء هناك بقاء العبادات القذرة كما هي لا تغيير فيها ولا تبدل فتايل (اللينغا) التي تعبر عن عبادة الاعضاء التناسلية لكلا الجنسين لا زالت الى اليوم تعرض في الاسواق بصورة علنية دون خجل أو حياء . كما أن عطية إحراق الموتى على ضفاف نهر الغانج والقاء البقايا فيه صورة من تلك الصور التي رأيتها هناك . وأن ممارسة اليوغا على تلك الضفاف لا تزال الى اليوم يمارسها الرهبان الهندوس . كما أن الطقوس والشعائر التي يقوم بها الرهبان البوذيون لا زالت الى يومنا تقام وقد رأيت جانبا منها في "سارنات" إحدى ضواحي بنارس وخروج بعض الرهبان عرايا دون لباس يوارى السوء مظهر من المظاهر الموجودة لدى الرهبان الجينيين الآخذين في الزوال . بسبب شدة الممارسات التعبدية .

أما الثانية : فان المراجع والمصادر المختصة كما اسلفت قليلة ونادرة فالحديث عن الرهينة في العالم متناثر ومجتزأ بين طيات بعض الكتب . إلا أنه يندر وجود مؤلفات عربية مستقلة تتحدث عنها كظاهرة دينية لها عقائدها ومبادئها وأهدافها . اللهم الا بعض المؤلفات التي تحدثت عن الرهبانية المسيحية كحالة منفردة عن البقية . ويرزاد الأمر صعوبة بوجود بعض المخطوطات العربية . التي تتحدث عن الرهبان منها ما يرجع الى كتب تعود الى التراث الاسلامي^(١) وهي قليلة ولا يعسر مكان وجودها ومنها ما يرجع

(١) - من هذه المؤلفات:

- كتاب الرهبان - لابراهيم بن عبد الله بن الجنيد الخثلي (٢٦٠ هـ - ٨٧٤ م) محدث حافظ زاهد ، بغدادى سكن سر من رأى وحديث بها . من تصانيفه : الزهد : السحبة الخوف والروع ، الرهبان . . . ترجمته في : سير اعلام النبلاء ٢٩١/٨ مخطوط و : الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢٠/٦ (معجم المؤلفين ٥١/١ - ٥٢ - عمرضا كحالة

الى بعض الرهبان المسيحيين (١).

ولهذا فقد عقدت العزم على التضي والسعي قدماً من أجل الحصول على قدر كاف من المصادر التي تمكنني من اتمام البحث على الوجه اللائق . ونتيجة التقصي تكنت بفضل الله تعالى وكرمه من العثور على بعض المصادر الهامة والضرورية في هذا الشأن .

- = ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن الحسين البرجلاني (٢٣٨ هـ - ٨٥٢ م) كان متصوفاً ومحدثاً سمع منه ابراهيم بن عبد الله ابن الجنيد وابن ابي الدنيا وتوفي سنة ٢٣٨ له كتاب الكرم والجود وسخا النفوس . ترجم له : ابن النديم في الفهرست / ١٨٥ وتاريخ بغداد ٢٢٣-٢٢٢ / ٢ . وميزان الاعتدال ٤٦ / ٣) تاريخ التراث العربي مجلد ١ - الجزء ٤ - فؤاد سزكين ت : د . محمود فهمي حجازي ص ١١١ - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ . جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض وانظر كذلك كتاب : الحافظ الخطيب البغدادي واثره في علوم الحديث د . محمود الطحان ص ٢٨٢ تحت كشف باسما الكتب التي ورد بها الخطيب البغدادي دمشق من روايته واسما بعض مصنفيه . دار القرآن الكريم بيروت ط ١ - ١٤٠١ هـ . ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن زيد الاسلمي : يرويه عن ابي القاسم الذكواني عن ابي محمد بن عثمان عن ابي علي السشعمراني عنه (التحبير في المعجم الكبير للامام سعد بن الكريم بن محمد السمعاني التميمي . ت : خير ناجي سالم ٨٢ / ٢ مطبعة الارشاد ببغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥)
- = ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن زيد أورد ابن حجر في : المعجم المفهرس (مخطوط) ص ٦٨ نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية . ميكروفيلم موجود في مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى تحت رقم ٧٥٤ .
- = ومنها : كتاب أخبار الرهبان ومواظهم لأبي القاسم تمام بن محمد الرازي (٣٣٠ - ٤١٤ هـ - ٩٤١ - ١٠٢٣ م) وهو من محدثي دمشق ومن آثاره : فوايد في الحديث وأخبار الرهبان ترجمته في : هدية العارفين للبغدادى ٢٤٥ / ٥ ط ١٩٥١ ، ومعجم المؤلفين ٩٣ / ٣ . ولد ذكر ابن حجر هذا الكتاب في : المعجم المفهرس (مخطوط) ص ٦٨ . وانظر كذلك : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ص ١٠٨ . مطبعة الترقى دمشق - ١٣٤٩ هـ . عني بنشره القدسي . . كما ذكره كوركيس عواد في مقدمته لكتاب الديارات للشابوشتي ص ٤٦ . منشورات مكتبة المثنى ومطبعة المعارف ببغداد ١٣٨٦ هـ . كما ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٧١ ط مكتبة الكليات الازهرية . القاهرة .
- ١ - من هذه الكتب : كتاب الامراض العارضة للرهبان لابي الحسن المختار بن الحسن ابن عبدون (ت ١٠٦٣ م) ذكره لويس شيخو في المخطوطات العربية لكتبة النصرانية المنشورة في مجلة المشرق ٦٢ / ٢٠ تصدر في لبنان . أعيد نشرها في ألمانيا ١٩٨٠ كما أورد كوركيس عواد تحت اسم كناش الاديرة والرهبان (مقدمة كتاب الديارات ص ٤٦ - ٤٧ . كما ذكره عبد السلام هارون في : نوادر المخطوطات . المجموعة الرابعة ص ٣٤٥ - ٣٤٦ ط ١٩٧٣ م
- = ومنها - بستان الرهبان لصفرنيوس بطريرك اورشليم المكنى بفم المسيح (ت : ٦٣٨ م) وصحح لويس شيخو اسم الكتاب باسم بستان الرهبان أو فردوس الرهبان . وقال : ان هذا الكتاب ليوحنا موسخوس (المشرق ٣٧٢ / ٢١ . كما ذكره عواد في مقدمة الديارات ص ٤٨) وقد وجدت نسخة مطبوعة تحت اسم بستان الرهبان لاباء الكنيسة القبطية طبع بمصر ط ٢ بني سويف البهنسا
- = ومنها - كتاب السيرة الرهبانية للخورى بطرس ايكونوس التلولوى (ت ١٧٤ م) (المشرق ٤٨ / ٢٠) ومقدمة الديارات ص ٤٨
- = ومنها - تعليم الرهبان لمؤلف مجهول توجد منه نسخة في خزانة الاب بولس سباط (مقدمة الديارات ص ٤٧
- = ومنها الرهبان ودياراتهم لمؤلف مجهول (مقدمة الديارات ص ٤٧ . ومنها كذلك رسالة في ترتيب الرهبان ليوحنا السراهب المتسك الروماني ت (٤٣٣ م) (المشرق ٧٥٢ / ٢١

اضافة الى ذلك هناك كتب مطبوعة بالعربية ، اذكر هنا أهم ما اعتدت عليه
منها خلال هذا البحث وهي :

كتاب " نسكيات " لاسحق السرياني وهو قد يسم طبع حديثاً في لبنان
وكذلك كتاب بستان الرهبان لاباء الكنيسة القبطية طبع في مصر .

اما الكتب الحديثة فهي كثيرة وقد اعتدت على بعضها . منها :

- كتاب المعيشة البهنية في الحياة النسكية ، للاب افرايم الديراي احد مدبري

الرهبانية الحلبية الطرونية اللبنانية . سنة ١٨٩٩ م

- والحياة الرهبانية ، لرهينة مار جاورجيوس دير الحرف ، طبع في لبنان ١٩٨٤

- وخلاصة التصوف المسيحي . لادولف تانكره طبع في لبنان ١٩٥٧ م .

- و التنظيم الرهباني في الكنيسة الطرونية ، للاب يوسف محفوظ طبع في لبنان
عام ١٩٧٠ م .

- والعبادة المسيحية ، للارشمندريت الياس ، طبع في لبنان سنة ١٩٨١ م

ومجموعها يتحدث عن القوانين الدهرية وطرق العبادة وفلسفتها والطقوس والشعائر
وغرها .

اما بقية الكتب التي تتحدث عن الاديان الوضعية وعقائدها فليست هناك

مؤلفات مستفيضة في هذا الشأن لذا فقد اعتدت على الكتب التي تتحدث عن

العقائد والديانات خاصة ما يتعلق بالهندية والبوذية والجيانية ككتاب " شيرى ايشو

بانيشاد . أس. بكطي فيدانتا . مطبوع سنة ١٩٧٤ وكتاب موسموتي كتاب الهندوس

القدس طبع في بيروت . ولا يغفوتني في هذه العجالة ذكر كتاب العالم والمؤرخ

المسلم أبي الريحان البيروني " تحقيق ما للهند " فقد كان فريدا في بابيه وقد اعتدت

عليه في الجوانب المتعلقة بالعقائد الهندية وطقوسها . الخ .

واني اعترف ان هذا الموضوع المتشعب لا يمكن أن يوفى حقه بمؤلف واحد

لكثرة أبحاثه ومباحثه المتنوعة ولتعلقه بالعقائد والطقوس والشعائر والقوانين الدهرية

والعادات والتقاليد والاخلاق والمعاملات وما الى ذلك وهذا ما يترتب عليه دراسة

جميع الكتب التي تتناول هذه المواضيع لدى جميع النحل التي تعتنق أصول

الرهينة في العالم ما يصعب والحالة هذه حصره في كتاب واحد .

لهذا فقد اخترت الجانب العقدي من هذا الموضوع لالتماقه بالنسبة الشخصي

الذي توخيته وقد حاولت قدر استطاع تلخيص الجوانب المتعلقة به ودراسة آثاره وربطها

بالقوانين السرمية . وذلك بعد استعراض عوامل النشأة معتمدا على المنهج الموضوعي

التحليلي النقدي والتاريخي . . . وقد قسمت الموضوع الى : مقدمة ، وتمهيد وسبعة

ابواب :

١٤ المقدمة : فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، وهدفه ، وأسباب اختيارى له .

وقد اشتمل التمهيد على : تحليل للرهينة لغة واصطلاحاً ، وأهمية الجانب العقدي في التعريف الاصطلاحي ، وتطرقنا الى عوامل الخوف والرهبة في الحياة البشرية طرّاً بأهم النظريات الباعثة في نشأة الدين وأثره . وبينت رأى الاسلام في هذه القضية .

كما اشتمل الباب الاول على : الرهينة المصرية القديمة وقد قسمته الى ثلاثة فصول : تحدثت في الفصل الاول : عن العقائد المصرية البدائية وتطورها وكيف انتقلت من عبادة الظواهر الطبيعية الى عبادة الحيسوانات وصولاً الى تأليه البشر ، والأسباب الكامنة وراء ذلك . وتطرقنا الى عقيدتي اليوم الاخر وتناسخ الارواح عندهم .

١٥ الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن بوارى نشأة الكهان والرهبان وبينت أهمية الكهنة في ذلك المجتمع وبواعث نشأتهم والصور الاولى للتمثل وديانات الرهينة والظواهر التعبدية فيها .

١٦ الفصل الثالث : فقد تحدثت فيه عن مبادئ الرهبان وطوبىهم وطبقاتهم وتطرقنا الى اوصافهم كما اوردها بعض العلماء وتحدثت كذلك عن حصر العلوم وفنون المعرفة بهذه الفئة واستغلالها في تنفيذ الطارب .

وانتقلت للسرد عن طبقات الكهنة ومهامهم والامتيازات والمخصصات التابعة لهم وقارنت بين الاهداف والنتائج الناجمة عن اعمال الرهبان ، وبينت ان هذه الرهينة كانت مقدمة لمن جاء بعدها .

١٧ الباب الثاني : فقد تحدثت فيه عن الرهينة الهندوسية وقسمته الى تمهيد وخمسة فصول .

١٨ الفصل الاول فقد تحدثت فيه عن العقائد الهندوسية المتصلة بالرهينة فتكلمت عن تعدد الالهة والتثليث والكابا وتناسخ الارواح والاتحاد والحلول ووحدة الوجود وقيمت بتقديدها وتقنيدها حججها .

١٩ الفصل الثاني : فتحدثت فيه عن الفرق الدينية والهادر الهندوسية فتعرضت للفرق التي نشأت والكتب التي يقدسونها وقوانين مانو ذات الاهمية في هذا الشأن .

٢٠ الفصل الثالث : فقد تحدثت فيه عن نظام الطبقات الذي لا يزال قائماً الى يومنا هذا وكيفية نشأته وتقسيماته والفوارق الطباقية فيه وقيمت بتقنيده وبيان مثالبه وآثاره السيئة وبينت كذلك أثار استغلال الهندوس له في تبرير وجودهم وهيمنة البراهمة كطبقة طاقية على بقية الطبقات الاخرى .

١٤ الفصل الرابع : فقد تحدث فيه عن نظام الرهبنة الهندوسي وما يتخلله من مبادئ وصور وتطورت الى المراحل التي يمر فيها الفرد اثنا حياته وكيفية تنقله من مبتدئ الى رب أسره ثم الى متدرج في الرهبنة وكيف يصل بعدها الى ساكن الغابة وهي أعلى مرتبة من سابقتها .

ثم بينت في الفصل الخامس : النتائج التي آلت اليها الرهبنة الهندوسية .

١٥ الباب الثالث : فقد تحدث فيه عن الرهبنة الجينية ، وقد مهدت له بذكر اسباب النشأة ومؤسسات الحركة الذي استطاع ان يشق الطريق ضد الهندوسية ويثمرها عليها وهو مؤسسة جديدة .

١٦ الفصل الاول : فقد تكلمت فيه عن أهم العقائد الجينية وما يتصل منها بالرهبنة فتحدثت عن انكارها فيرا للالوهية وان حركته كانت ردة فعل تجاه الهندوسية الطاغية كما تحدثت عن مبدأ الكارما وتناسخ الارواح والفرق بينها وبين الهندوسية في هذا الشأن والنظرية النسبية وفرضية المادة الذرية ومبدأ الخلاص وقت بتفنيها تلك العقائد وبينت مورها .

١٧ الفصل الثاني : فتعرضت فيه للعبادات الموصلة للخلاص وبينت فيه أهمية اليوغا في الرهبنة وقانون "أهسا" والبعد عن النساء وتطور وتبدل الأنظمة في الرهبنة .

١٨ الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن الفرق الجينية وتطورات الرهبنة والانقسام الحاصل من جراء الهجرة التي طرأت على هذه النحلة .

١٩ الفصل الرابع : ففيه الحديث عن النتيجة التي آلت اليها الرهبنة الجينية وما وصلت اليه من حالة أدت الى تخلي الجينيين عن مبادئهم والتزام مبادئ قائمة على ابتزاز الناس وأكل أموالهم بالباطل .

٢٠ الباب الرابع : فقد تحدث فيه عن الرهبنة البوذية وقسمته الى تمهيد وثلاثة فصول : ١٥ التمهيد فقد تحدث فيه عن المصادر البوذية التي تحدثت عن حياة بوذا وتناولت مبادئه والآراء المختلفة التي دارت حول شخصيته .

٢١ الفصل الاول : فقد تحدث فيه عن العقائد البوذية وبينت الاسباب الكامنة وراء انكار الالوهية كما تناولت موضوع الكارما وتناسخ الارواح والنيرفانا ومبدأ التفهيم الدائم وصلته بالفكر اليوناني القديم وكذلك تحدثت عن اليوغا وأهميتها عند هم وقت بتفنيدهم ونقد تلك العقائد .

٢٢ الفصل الثاني : فتحدثت فيه عن التطور في البوذية ونشأة الفرق ، والجانب العملي والفكري وترتيب رجال الكهنوت وكيفية دخول النساء في السلك الرهباني والمجامع البوذية .

الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن النتائج ونقد أسس الرهبنة اليهودية وبينت
الساوئ التي تنطوي عليها .

الباب الخامس : فيه الحديث عن الرهبنة اليونانية السقديّة وقسمته الى
تمهيد وأربعة فصول .

الفصل الاول : تناولت الديانة والعقائد ودور الكهان ودايات الزهد والرهبنة
وبينت مدى انتشارها ،

الفصل الثاني : فيه الحديث عن العبادات وصورها ومدارس الزهد فيها
والمدارس التعبدية والطقوس والشعائر واثار الرهبنة في المدارس الزهدية والفلسفية
وفي الفصل الثالث : تحدثت عن أهم المدارس الزهدية كنحلة ارفيوس وفيثاغورس
وايزيس وشراس وبينت صلة الرهبنة بها .

الفصل الرابع : بينت فيه اثر الرهبنة في الفلسفة اليونانية ، وكيفية انتقال
الفلسفة الى المسيحيين واعجابهم بها واعتاد هم عليها .

اما الباب السادس : فالحديث فيه عن الرهبنة اليهودية
وقسمته الى تمهيد وتسعة فصول :

تحدثت في التمهيد عن بدايات الكشف عن فرقة القمرانين أو " الاسينيين " ،
وتعرضت للخلاف حول تسميتهم وكذلك الاماكن والاثار والمخطوطات المكتشفة الخاصة
بهم ، والمحاولات التي قامت للتعرف على تاريخهم وهويتهم .

اما الفصل الاول : ففيه الحديث عن الحالتين السياسية والدينية في عهد
اليونان والرومان . واثرها على وضع اليهود .

الفصل الثاني : فيه الحديث عن العقائد اليهودية ونقدها وتعرضت فيه
لموقف اليهود من الالهية والانبياء والرسل وعقيدة اليوم الاخر .

الفصل الثالث : فيه الحديث عن اسفار اليهود المقدسة عندهم ونقد هـا
وتعرضت لتقسيم التوراة وتاريخ التأليف والتدوين واللغة .

الفصل الرابع : تكلمت عن رجال الدين اليهود من كهنة وكتبة وبينت دورهم
في المجتمع اليهودي وأثره

اما الفصل الخامس : ففيه الحديث عن الفرق اليهودية وقد احصيت فيه خمس
فرق قديمة كانت موجودة اثنا نشأة القمرانين .

الفصل السادس : تناولت فيه عقائد القمرانين واختلاف العلماء حول هـذا
الموضوع وبينت فيه ان هذا الموضوع لا يزال يكره يحتاج الى مزيد من الوقت للوقوف عليه
واعطاء الحكم النهائي فيه .

اما الفصل السابع : فتناولت فيه عباداتهم وبعض طقوسهم -

الفصل الثامن : ففيه الحديث عن الانظمة والعبادات والعبادى .

الفصل التاسع : نقدت فيه العبادى والانظمة وبينت القرباط بين رهبنة

القمرانين والجماعات اليونانية وانها تعتبر صلة وصل
بين الاديان الوضعية واهل الكتاب .

الم الباب السابع : ففيه الحديث عن الرهبانية المسيحية خاتمة السلسلة .
وفيه تمهيد وتسعة فصول .

الفصل الاول : فيه الحديث عن العقائد المسيحية ونقد ها وتحدثت عن أسس
هذه العقائد ومدلولات التظلمات عند النصارى وملابسات حول الابوة والبنوة كما بينت
خطأ هذه المفاهيم .

الفصل الثاني : فيه الحديث عن العوامل المؤثرة في انحراف العقائد النصرانية
فمنها العوامل السدائية التي ادت الى اختلاف النصارى حول المسيح عليه
السلام ورسالته وكذلك العوامل الخارجية واثار الفلسفات والاديان الوضعية فسي
النصرانية كما تحدثت عن الجهة المستفيدة من هذا الانحراف وبينت دور الرهبان
في ذلك .

الفصل الثالث : فيه الحديث عن الاسس العقدية المتصلة بالرهبانية كالصلب
والفداء والحلول والاتحاد ، وكيف اتخذت هذه العقائد كستند لتبرير حياتهم
وقوانينهم الخاصة . ونقدت هذه الاسس .

الفصل الرابع : فيه أثر الانحراف العقدي على نظرة الرهبانية الى النفس
البشرية ، وموقفها من الزواج والمرأة واثربولس في هذا الشأن . وقامت
بنسقد هذه النظرة وبينت موقف الاسلام من هذه القضايا .

الفصل الخامس : فيه أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية وبيان كيفية
النشأة الاولى ومفهوم اتباع المسيح الاول للشهادة . وكيفية الانحراف عن هذا المفهوم
فيما بعد .

الفصل السادس : فيه الحديث عن بعض الانظمة والقوانين الديرية وامثلة
سها ، وتعرضت للتنظيمات الاولى واسباب سرعة انتشار الرهبنة وازدياد عدد
الرهبان ، وبينت اثر القوانين الديرية في الصور المغالية للرهبانية وكذلك الحديث
عن الاثار السيئة المترتبة على الغلو في الرهبانية كما ناقشت مبدأ النذور الثلاثة
وهي القاسم المشترك بين انظمة الرهبنة في العالم وقمت بنقدها وبينت الاثار السيئة
المترتبة عليها .

الم الفصل السابع : ففيه الحديث عن أثر استغلال الكنيسة للرهبانية ، وكيف
نشأت فكرة الكنيسة وتطورها واداء الكنيسة بالسرهبان واهمية الاسقف عندهم وكيف
تطور مفهومه الى مسمى البابا وبينت كذلك اهم الشخصيات البابوية التي اعطيت
هذا الكرسي وبينت الطغيان الروحي والديني والطاوى والاجتماعي واثار الصراع
بين العقل والرهبانية ومدى الطغيان السياسي والاثر الاقتصادي المترتبة عليه .

الفصل الثامن : فيه الحديث عن موقف الكنيسة المعادى للاسلام وبينت
اثره السيئة ، فتحدثت عن الحروب الصليبية وكونها دعوة محمومة من قبل اكابر الرهبان
وكذلك السعت الى التبشير كأكبر اداة للنيل من عقائد المسلمين وما يترتب عليه من
آثار .

الباب الثامن : تحدث فيه عن اثر الرهينة في البدع الضالة والفرق المغالطة
المنتسبة للاسلام ، وبينت فيه خطورة هذا التأثير والمشاكل الناجمة عنه .

الباب التاسع : تحدث فيه عن موقف الاسلام من الرهينة
وقد قسمته الى فصلين :

الفصل الاول : تحدث فيه عن موقف الاسلام من الرهينة في الاديان الوضعية . وأظهرت
فيه المساواة الحاصلة من جراء انتشار هذه الظاهرة في المجتمع الغربي حديثا . وواجب
الدعوى والمطلب المسلمين تجاه هذه القضية .

الفصل الثاني : بينت فيه موقف الاسلام من الرهبانية النصرانية وحكمه عليها ، وتعرضت
للآيات الواردة في هذا الشأن والا حاديت النبوة الدالة على معارضة الاسلام لها .
وكذلك اراء العلماء في هذا الشأن . كما بينت معنى البدعة . . . وان الرهبانية
بدعة حقيقية في الدين لم تكن موجودة أصلا في شريعة عيسى عليه السلام .

كما ألمعت الى أهمية مفهوم الاسلام للحياة والمجتمع . وأوضحت المعنى الكبير
الذي يحمله الجهاد الاسلامي وهو البديل عن المفهوم السلمي الذي تحمله الرهبانية
وأوردت الاحاديث الشريفة الدالة على ذلك .

اما الخاتمة : فقد تعرضت فيها لأهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا
الموضوع .

والله أسأل ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم . نذا عن دينه ووفاء
بحقه . وأن ينفع به ويسدد على طريق الحق خطانا ، والله مولانا نعم المولى ونعم
النصير .

هذا ولا يفوتني ان أذكر بالشكر والعرفان تلك الجهود الحثيثة التي بذلها
فضيلة الدكتور محمود أحمد خفاجي تجاه هذا البحث . فقد جاءت تلك اللبسات العلمية
واللغات البهامة نتيجة اشرافه وتوجيهه الدؤوب . كما لم يهمل على بالعلم والوقفت
وقد أفدت من ذلك كثيرا . وهذا الموضوع على النحو الذي توخيت .

فجزاه الله تعالى عني وعن طلبه العلم خير الجزاء . ونفع به الامة وأجزل له المثوبة
والمعطاء في الدنيا والاخرة ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

كما أقدم شكري وتقديري للقائمين على جامعة ام القرى والى كل من اسهم
في مساعدتي لانجاز هذا البحث .

وبعد . . فانني أتيسر من حولي وقوتي الى حول الله تعالى وقوته . فمننا
أصبت فيه فمن الله تعالى وتوفيقه . وما أخطأت فيه فمني ومن الشيطان . وهذا
البحث جهد بشري فمن وجد فيه خلا فليصلحه وله مني جزل الشكر .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، والله ولي التوفيق .

التمهيد : —————

أ - الرهينة : لغة ، واصطلاحاً

ب - عوامل الخوف والرهبة

في حياة البشر

أ - الرهينة في اللغة :

ترتبط الرهينة لغة بالمعاني التالية :
الخوف ، الاضطراب ، الانقطاع ، التبتل ، والزهد .
واصل الطادة ، الرائ ، والهاء والباء ، فيقال : (رهب) بكسر الهاء
من باب علم^(١) ، وهو ما فعل لازم فيأتي المضارع منه (يرهب) رهبة ورهباً . قال الله
تعالى : (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ)^(٢) .

ويأتي متعدياً : (استرهبه) أي أخافه وأرهبه قال تعالى :
(وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاوُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)^(٣) . واسم الفاعل من رهب : (الراهب)
أي الخائف ، كما يطلق على المترهب في الأماكن الخاصة ، المتخذ طريقة
الرهبان ، وعند النصارى من تبتل لله واعتزل الناس إلى بعض الأديرة طلباً
للعباداة والموت منه (راهبة)^(٤) .
ويجمع راهب على رهبان . قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا
مِنَ الْأَخْيَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ)^(٥) .
وقال امرؤ القيس :
أنت حجج بعدى طيها فاصبحت كخط زبور في محاف رهبان^(٦)

-
- ١ - تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، ١ / ٢٨٠ - ٢٨١
دار مكتبة الحياة - بيروت ، ط ١٣٠٦ هـ
 - ٢ - سورة الحشر : ١٣
 - ٣ - سورة الاعراف : ١١٦
 - ٤ - محيط المحيط - بطرس البستاني ص ٣٥٤ ، مكتبة لبنان بيروت ط ١٩٧٧
 - ٥ - سورة التوبة : ٣٤
 - ٦ - ديوان امرؤ القيس - محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٨٩ ، دار المعارف
بمصر ط ٣ القاهرة ١٩٦٩ .

وتجمع راهبة على راهبات . ويجوز ان يطلق الرهبان على الفرد ايضا قال الشاعر:

لو كلمت رهبان دير في القلقل لانحد ر الرهبان يسمي فنزل (١)

وتأتي الصفة المشبهة منه على وزن فعْلان (٢) : رهبان ، بفتح الراء ، اى :
المبالغ في الخوف (٣) ، كعطشان والمؤنث منه رهبانة ، وجمعها : راهبات .
ويجمع رهبان على رهابين ورهابة (٤)

والفرق بين الراهب والرهبان كالفرق بين اسم الغافل والصفة المشبهة .

والرهبنسة : اسم من معنى الراهب : اى اتخاذ طريقة الرهبان (٥)
وهي من (فعلنة ، أو فعللة) على تقدير أصالة النون وزيادتها (٦) ، وقد تطلق
على الرهبان انفسهم مجازا ، (٧)

والرهينة عامة تشمل الاديان الوضعية (من هندوسية وبوذية وغيرها)
وكذلك اهل الكتاب من ترهبوا يندرجون تحت هذا الباب .

والرهبانىة : (٨) هي طريقة الرهبان من المسيحيين ، وهي منسوبة
الى الرهينة بزيادة الالف ، وأصلها من الرهبة ثم صارت اسما لما فضل عن المقدار
واقطع فيه . (٩)

قال الله تعالى : (ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا
مَا كَتَبْنَا هَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (١٠)

- ١ - لسان العرب ، جمال الدين محمد بن منظور ١/٤٣٦-٤٣٨ ، دار
صادر ، بيروت ١٣٨٨ هـ .
- ٢ - شرح الكافية الشافية : محمد بن عبد الله بن مالك الطائفي ٤/٢٢٢٦
ت : د . عبد المنعم هويدى ، دار الطامون للتراث .
- ٣ - محيط المحيط : بطرس البستاني ص ٣٥٤ ، وانظر : نقمة الصديان فيما
جاء على السفعلان لابي الفضل العاظمي ص ٢٢ .
- ٤ - المفردات في غريب القرآن : ابو القاسم " الراغب الاصفهاني " ص ٢٠٤
- ٥ - دائرة معارف البستاني - بطرس البستاني ٨/٦٨٢
- ٦ - لسان العرب ١/٤٣٦-٤٣٨
- ٧ - محيط المحيط ص ٣٥٤
- ٨ - النهاية في غريب الحديث والاثراين الاشير الجزري ٢/٢٨٠-٢٨١
- ٩ - لسان العرب : ١/٤٣٦-٤٣٨ وانظر : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام
د . جواد علي دار العلم للملايين ٦/٦٤٣ ط ٢ ، ١٩٨٠ .
- ١٠ - الحديد : ٢٧

وفي سند الامام أحمد بروايته عن عروة (يا عثمان ان الرهبانية لم تكتسب

طينا) (١)

وملاحظ ان النسخ القرآني يذم اولئك الذين ألزموا انفسهم بما لا تقوى
على الوفاء به ، فوقعوا فعلا في هذا المحذور وهو عدم رعاية ما التزموا به حقوق
الرعاية فكانهم كالمستهزئين ، .

وما ان زيادة الجنى تدل على زيادة المعنى فقد جاء اللفظ القرآني
بكلمة (رهبانية) ليدل على التكلف والتعنت والشاق في العبادة التي سار
عليها الرهبان المسيحيون .

وطيه تكون الرهينة عامة والرهبانية خاصة .

فكل رهبانية رهينة وليس كل رهينة رهبانية فبينهما عموم وخصوص مطلق
ان تجتمع الرهينة في رهينة الاديان الوضعية ورهينة اهل الكتاب وتنفرد الرهبانية
باهل الكتاب فقط ، والله تعالى اعلم .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان بعض العلماء يستعمل كلا اللفظين
بمعنى واحد ، وذلك للتداخل الحاصل بين الرهينة في الاديان الوضعية
وبين الرهبانية عند النصارى ، وهذا من باب التجوز .

وفي منهج هذا البحث فخلت اطلاق الرهينة على ما يختص منها بالاديان
الوضعية وقصرت لفظ الرهبانية على ما اختلفت به النصوص رانية ، وهو اللفظ
الوارد في القرآن الكريم . كما اخترت لفظ (الرهينة) في العنوان ليشمل
كل من الستم بهذا المسلك .

١ - سند الامام احمد باب النكاح ٢٢٦/٦ ، الكتب الاسلامي .

وقد تعقب الهيثمي اسانيد الامام احمد في قصة عثمان بن مظعون رضي الله
عنه فقال : (واسانيد احمد رجالها ثقات الا ان طريق ان اخشاكم) اسندها احمد
ووصلها البزار رجال ثقات (انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ ابي بكر
الهيثمي بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ٣٠١/٤ ، دار الكتاب العربي
بيروت لبنان ط ٣ ، ١٤٠٤-١٩٨٢)

لا يوجد تعريف اصطلاحي واحد لكلا اللفظين بشكل عام ، بل هناك تعريفات عدة تتنوع حسب المصادر المختلفة التي تناولت هذه الظاهرة بالبحث والدراسة .

وغالب هذه التعريفات مأخوذة عن المعنى اللغوي ، يضاف اليه بعض القيود المستنبطة من المعنى العملي للفظ .

فالرهبة عند المسيحيين كما استعملها وشرحها بطرس البستاني . هي:
الاعتزال عن الدنيا وأمورها العادية لاشغال النفس بالعبادة وبالأشياء الدينية^(١).
وهي في عرف علماء الغرب يجب ان تقتصر على (الذين قطعوا انفسهم
عن العالم كلية من أجل نعت ديني من الحياة ، من عزلة أو معتزل خاص بذلك)^(٢).

وهي في عرف بعض العلماء : حياة جماعية أساسها النذور الثلاثة :
نذر الطاعة لرئيس الدير ، ونذر الفقر ، ونذر البتولة ، . ولا تقتصر على الرجال
بل تشمل النساء أيضا ، عرفت في البوذية واللامائية قبل المسيحية وكان الرومان
يرغمون العذارى على عدم الزواج لكي يكرسن حياتهن لخدمة النار المقدسة (٣) .
وهناك تعريفات أخرى ، إلا أن التعريف الأخير هو أقرب التعريفات التي
الواقع ، لأنه حدد السائل المشتركة بين الرهبنة والرهبانة ، وهي النذور الثلاثة
في حين قصرت التعريفات السابقة عن وضع هذا الحد .

ومع ذلك فان هذا التعريف قد أغفل ذكر الأمم التي عرفت الرهبنة قبل
البوذية ، وهي : الفراعنة في مصر ، والد رافيديين سكان الهند الاصيلين والهند
كانت مسرحا للرهبنة الهندوسية .

كما ان هذا التعريف ينقصه حد آخر يفرضه . واقع هذه الظاهرة وهو الجانب العقدي لهذه البدعة ، وهو الاساس الذى بنيت هذا البحث عليه ، وسوف أوضح أهمية هذا الجانب قبل استخلاص التعريف المناسب .

١ - دائرة معارف البستاني ٦٨٨/٨

٢ - دائرة معارف الدين والأخلاق : مادة موناستيريزم

ENCYCLOPEDIA OF RELIGION AND ETHICS. Edit. BY JAMES HASTINGS. P. 781
V. 8, 1974, NEW YORK, (MONASTICISM).

٣ - الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٨٢ ، محمد شفيق غريال ط ١٩٦٥

وانظر في هذا المعنى ايضا دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى
مادة (الرهبانية) .

أهمية الجانب العقدي في التعريف الاصطلاحي :

لعل ما يلفت النظر في حياة الراهب ، ذلك الجو القاتم الذي يلف كيان السالك في هذا الطريق ، وذلك نتيجة لما تضفيه عقيدته عليه ، تلك العقيدة التي أوحى بها صناع الكهانة والرهينة عبر التاريخ ، فالعقيدة هي الأساس الذي يبنى الراهب عليه تحركه وسلوكه ، ولولا هذا الجانب بالذات لما وجدت صور الغلو التي مارسها الرهبان في ظل حياتهم الخاصة .

وقد شهدت العصور الأولى جاهلية بشرية ، أفضت إلى إهتار الظواهر والقوى الطبيعية التي بشها الله تبارك وتعالى في الكون هي المتصرفة في شؤونه وتدبير أمره ، ولهذا فقد تقدم الانسان نحو هذه القوى بالقرايين والأضاحي والنذور تقرباً اليها وحذراً من بأسها وخطرها عليه . (١)

ولهذا كانت رسالة الرسل عليهم السلام رسالة تبشير وإنذار ، قال تعالى :
(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِ اللَّهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) . (٢)

فكان الانذار لتصحيح ذلك الانحراف الذي هدد جميع الأمم السالفة والسابقة للإسلام ، (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (٣) والانحراف ناجم عن ذلك الاختلاف بسبب الحسد والحرص على الدنيا والذي أفضى إلى البغي والعدوان . وعقب كل رسالة كان هذا الانحراف ظاهرة بارزة فسي تلك الشعوب وكان من وراء ذلك طامع مهم في تفسير هذه الدفة فقد ظهرت طبقات رجال الدين المتمثلة أولاً بالكهنة ، والمنتبهة أخيراً بالسرهبان وما سسى بالاكليروس فيلما بعد ، وكانت هذه الفئات تضع ما شاءت من عقائد شركية وتشريعات وضعية تمخض عنها مبادئ وأنظمة مغلفة بشعائر وشعارات وطقوس ، منها ما اختلف بالأديان الوضعية ، كالفرعونية والهندوسية والبوذية وغيرها ، ومنها من اختلف بأهل الكتاب كاليهودية والمسيحية ، اللتين حرفتا عن أصلهما الصحيح .

ومن خلال تلك التعاليم بدأت الصور البدائية للترهب تظهر على بعض الافراد المتعدين هرباً من هذه الحياة حذراً من الوقوع في المكروه أو من ارتكاب محظور ، وقد أحوالت حياة الكآبة هذه نفسية هؤلاء إلى كابوس مرعب وتركبتهم في حيرة واضطراب ، وهكذا اصطنع الانسان لنفسه شعباً مخيفاً أشاع في نفسه يقسطة وحذراً من أي تصرف شين لا يليق بحق معبوده ، أيّاً كان ذلك المعبود .

١ - راجع " تاريخ الأديان وفلسفتها " طه الهاشمي ص ١٠-١٢ ، ط ١٩٦٣ ،

٢ - البقرة : ٢١٣

٣ - فاطر : ٢٤

٤ - راجع : فتح القدير للشوكاني ١ / ٢١٢ ، ط ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م مصر

وقد الفرد منهم ينظر الى المحسوسات نظرة ازدراء واحتقار ، فأصبح يفسر من أدنى شيء* يمت الى هذه الحياة بصلة .

وعليه فإن هذا الموقف المصطنع والموظ في السلبية أدى بدوره الى انعكاس خطير في السلوك العام نتيجة الضغوط المستمرة من قبل القائمين على هذه الطقوس .
ما استمتع التقل من أعما* الحياة عن طريق الامتناع عن المتع يشقى أنواعها .

فالتعام والشراب والمذات - في عرف الراهب - تثقل الجسم وتدعوه الى الركود والكسل ، وتغريه بالانغماس في الشهوات^(١) . ما يستتبع تقوية الغريزة الجنسية والتعلق بالنساء* كما يفضي الى السعي وراء* المادة واكتناز الاموال والتنافس في الحياة ، وهو ما يؤدي الى فساد البشرية ، وهلاكها . ولدرء هذه المخاطر ، لابد من الابتعاد عن جميع هذه المظاهر ، والانعزال في أماكن نائية بعيدا عن صخب الحياة وضجيجها والاكتفاء بالنذر القليل من الطأكل والمشرب^(٢) . مع التحرر من ثقل الثياب وشيئها الى خفيفها وبسيطها والاصرار على الرثاء لظهارة التقشف والانكسار أمام المعبود^(٣) والانعطاع اليه وترك الدنيا ومن عليها .

ومن خلال هذا كله يلاحظ . سريان الطابع الديني بكل مظاهره العقائدية والفكرية ، ولولم تكن كذلك ما ترتب على الجانب السلوكي أي مظهر من مظاهر الغلو والانحراف .

وما لاشك فيه أن صرامة المنهج العقدي الذي يغلف الرهبنة له من القوة ما يحيل السلوك الى التطرف والغلو .

فمن استقراء أنماط وصورة الرهبنة المختلفة يتاح لنا التعرف على هذه الحقيقة وقد لا يبدو غريبا حرمان النفس من بعض المتع ، والتقلل منها ولكن الغرابة تكمن في الغلو الذي يمارسه الرهبان لاداء* طقوسهم ، وقد تصل درجة الغلو الى الحد الذي يخرج عن المألوف ، فالنوم في المستنقعات لتعذيب النفس وقهر الجسد ، والتعبس على رجل واحدة وحمل قنطار من الحديد وأكل العشب والكلاء* وعدم غسل الرجلين طيلة العمر وربط الجسد بسلسلة في غار كل ذلك من شأنه إعطاء صورة واقعية للحياة الصارمة التي يعيشها الرهبان في ظل مذاهبهم وعقائدهم المختلفة .

ومن ذلك يمكن الخروج بالتعريف الاصطلاحي للرهبنة :

فهي نزعة عقائدية ودينية تحدد فكر وسلوك الراهب ، وتفرض عليه الاشتغال بخدمة معبوده وتنهى على النذور الثلاثة : الفقر ، البتوة ، وطاعة رئيس الدير ، تشمل الرجال والنساء* وقد عرفت مسند القدم في مصر الفرعونية ، والهند عند الهندوس والبوذيين وانتقلت الى اليهودية والمسيحية عبر اليونانية وقد رفضها الاسلام .

١ - راجع : بستان الرهبان لآباء* الكنيسة ص ١٩١ ، ط ٢

٢ - راجع كتاب : " نسكيات " لاسحاق السرياني ص ٣٣ و ٤١ ط ١٩٨٣ لبنان

٣ - المرجع السابق ص ١٢٠

ب - عوامل الخوف والرغبة في الحياة البشرية :

مهما يكن من أمر فإن صعوبة البحث في تحديد العصور الأولى لنشأة الرهينة تجعل الباحث مرفطاً على التطرق لموضوع الدين وأثره في حياة البشر . لأن عامل الخوف نابع إما من الاخافة الناجمة عن أثر الدين في النفس البشرية ، أو الاخافة الناجمة عن القوى الطبيعية في الكون .

ومما لا شك فيه أن هناك فرقاً شاسعاً بين الاخافتين (. . .) فالاخافة الناجمة من القوى الطبيعية تصدر دون تمييز ودون سابق انذار ، وهي بذاتها مجلبة للرعب الغشوم ، أما الاخافة المعبر عنها في الاديان السماوية ، فهي بمثابة تحذير وتنبية من أجل المصلحة الغائية للإنسان .

وبالاضافة الى ذلك فإن الاخافة الصادرة من الاديان السماوية هادفة تبتغي تصحيح السلوك أو تجنب الوقوع في الاخطاء وليست كذلك الاخافة الصادرة من القوى الطبيعية (١) .

وقد غابت هذه الحقيقة عن كثير من الباحثين خاصة الغربيين الذين تخطبوا في تفسير نشأة الخوف والرغبة في نفوس البشر . في حين أن الاسلام قد اعطى الانسان الاجابة الحقيقية عن كثير من التساؤلات التي طرحها البشر في هذا الصدد .

وفي مجال علم مقارنة الاديان ظهرت كثير من الابحاث المستفيضة لاجل بعض الجوانب الغامضة التي اكتتفت الحياة التعبدية البدائية لدى البشر . الا ان بعضها قد انحرف عن المسار الصحيح لعدم قياسها على الاسس العلمية الدقيقة ، وذلك نتيجة لسلاهداف السبقة التي توختها هذه الدراسات والمفضية الى التشكيك بالدين الصحيح ، وضرب مفهوم اللوهمية في تفكير الناس ، واثبات الجاوى* الاحادية .

وباستقراء النظريات التي تسوّل اليها الباحثون في مضار نشأة الدين وأثره في حياة البشر ، نجد أنها تنقسم الى قسمين :

١ - الاسلام بين الاديان ، د . محمد كمال جعفر ، ص ٣١-٣٢ ، مكتبة دار العلوم مصر . وكذلك راجع له : الانسان بين الاديان ، ص ٦٨-٦٩

اولا : النظريات الموثقة (١) ثانيا : النظريات التطورية (٢)

وقد قام النزاع بين أصحاب النظريتين ، وقد م كل منهما دعواه مؤيدة بالبراهين والحجج التي يملكها .

وليس من مهام البحث هنا الخوض في أدلة الفرقاء المتنازعين ، الا ان الواجب في هذا التمهيد ايجاز الفكرة الاسلامية حول هذه القضية ، لانها تشكل مفتاح الحل لكل المشاكل التي اعترضت وتعترض تفسير " نشأة الدين " واثره في الحياة .
كما أن في تسليط الضوء على هذا الجانب ، سبيلا للتولوج الى لب الموضوع والدخول اليه .

١ - النظريات الموثقة :

وهي تذهب الى (أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر ، . . . وأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم في القديم والحديث ، فتكون الوثنيات ان هسي الا اعراض طارئة أو امراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة .

وهذه نظرية " فطرية التوحيد وأصالته " التي انتصر لها جمهور من طوائف الاجناس ، وطوائف الانسان ، وطوائف النفس ، ومن أشهر مشاهيرهم " لانسيج " . الذي أثبت وجود عقيدة " الاله الاطى " عند القبائل الهمجية في أستراليا ، وأفريقيا وأمريكا . ومنهم " شريدر " . الذي أثبتها عند الاجناس الآرية ، وروكلمان الذي وجدها عند الساميين قبل الاسلام ، ولبرواه . . وكاترفاج . . عند اقزام أواسط افريقيا الشرقية . وشهدت عند الاقزام . وعند سكان أستراليا الجنوبية الشرقية . وقد انتهى بحث شهودت الى أن فكرة " الاله الاعظم " توجد عند جميع الشعوب الذين

يعدون من أقدم الاجناس الانسانية (. . : " الدين " د . محمد عبد الله دراز ص ١١٢-١١٣ ، طبعة السعادة ، مصر ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م . وكذلك " تاريخ الاديان وفلسفتها " . طه الهاشمي ، ص ٣٩ ، وطبعها ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣ م . وكذلك " نشأة الدين ، للنشار ص ٣١-٣٢ ط ١٣٦٨-١٩٤٩ م و : الاسلام بين الاديان د . محمد كمال جعفر ص ٤١-٥٨ وله ايضا الانسان بين الاديان ص ٧٩ ، ط ١ ، قطر

٢ - النظريات التطورية : (وهي تذهب الى ان الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وأن الانسان اخذ يترقى في دينه على مدى الاجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته حتى زعم بعضهم ان عقيدة " الاله الاحد " عقيدة جد حديثة وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي .

وهذه النظرية نادى بها أنصار ذهب " التطور التقدمي أو التصاعدي " الذي ساد أوروبا في القرن التاسع عشر في أكثر من فرع من فروع العلوم وحاول تطبيقه على تاريخ الاديان عدد من العلماء منهم : سبنسر . . وتيلور . . وفريزر . . ودوركايم . . وغيرهم) : " الدين " ص ١١٢ وكذلك : تاريخ الاديان وفلسفتها ص ٥٦ وطبعها - نشأة الدين ص ٣١-٣٢ وكذلك : علم الاجتاع الديني . د . زيدان عبد الباقي ص ١٤٧ وطبعها ، مكتبة غريب ، القاهرة . وكذلك : الانسان بين الاديان ص ٨٦

فوجهة النظر الاسلامية تؤكد على ان الدين الحق المنزل من عند الله هو
المصدر الاول لخوف ورهبة البشر ، بل وسعادتهم وخلصهم في الدارين .

ذلك لان الله تبارك وتعالى قد خلق الخلق جميعا - وهو اظم باحوالهم -
لغاية عظمى ، ورسالة مطفى ، وانه جعل للانسان السمع والبصر والغوايا ، واستخلفه
في الارض ليكون مسوؤلا امامه يوم القيامة عن كل ما قد متيداه .
(يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمْتَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) (١)

وعلى خلاف المذاهب والاراء الفكرية الداعية الى التشكك والالحاد فان
النصوص القرآنية تدل على جملة حقائق منها :

اولا : ان الله تبارك وتعالى قد علم الانسان ولم يتركه جاهلا :
(الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (٢)
فالبيان هو مفتاح العلم ، لانه يعنى اللغة بالفاظها ومعانيها .
ثانيا : ان الناس جميعا - منذ خلقهم الله وهم في عالم الذر - مفسطورون
على التسليم بربوبيته سبحانه :

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِّنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
أَنفُسِهِمُ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (٣)

ثالثا : ان لدى الانسان الاول من الهادى الضرورية للعلم والمعرفة
ما يمكنه من السير في هذه الحياة وفق تقدير الله تبارك وتعالى :
(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ
هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ
بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ غِيبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . .) (٤)

رابعا : ان قدرا كبيرا من المعرفة والتمييز بين الخير والشر قد اكتشف
تلك الحياة الاولى بما يستتبع معه عناصر الخوف والرهبة :
(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِن
أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ
لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) .

١ - النبأ : ٤٠ ٢ - الرحمن : ١-٤ ٣ - الاعراف : ١٧٢

٤ - البقرة : ٣١-٣٢ ٥ - الطائفة : ٢٧-٢٨

هذه الحقائق القرآنية الناصعة توضح لنا خصائص النشأة البشرية الاولى ،
وان الالهام والوحي هما من عند الله تعالى ، وان العلم والمعرفة كانتا منذ البداية
مواكبتين لتلك الحياة التي عاشها الانسان على وجه البسيطة .
كما توضح هذه الحقائق ايضا ان الفطرة الاولى التي فطر الله الناس عليها
انما هي فطرة الايمان به والخوف منه والتسليم له .
هذا التسليم المقرون بالاعتراف الذي أقره الانسان وهو في عالم السذ ر
يبقى مع الانسان الى آخر حياته مهما كان اعتقاده ومهما اختلقت شأبه ، حتى
اولئك الذين التزموا مبدأ الالحاد تراهم في ساعات المحنة والشدة مضطرين الى
اللجوء لما جحدوا به من قبل مستغنيين ومستجدين به ، وهذه طبيعة البشر .
يقول الحق تعالى (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا
كُشِفْنَا عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَلِكُ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(١)
وقال تعالى (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمُ الْبَحْرَ
الْبَرَّ اعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا)^(٢) وهذا دليل على عجز الانسان وقدره الخالق تعالى .
فـالخوف اذاً يولد مع البشر ، وليس على وجه الارض كائن بشري لا يخاف
وليس عليها من ينكر ذلك . وتلك مشيئة الله في الخلق .
وقد رأينا ان الرسل الكرام جاؤا بدين الله مبشرين ومنذرين كي لا يكون
للناس على الله حجة يوم القيامة مع ما يحل هذا الانذار من تخويف مصحوب بالتهديد
والوعيد .
وهكذا نرى ايضا ان الهدف من ارسال الرسل تجديد الايمان كلما فترت
همة الناس واعتزلتهم أمواج الجهل وتغشت فيهم روح الوثنية والالحاد .
وفي هذه الفترات المظلمة من التاريخ البشري ، البعيدة عن منهج الله
تبارك وتعالى ينبغي أن نقف قليلا علنا نجد ضالتنا المتسلسلة بسير غور بعض العقائد
المنحرفة والبادي* الخالية عن الجادة ، لنرى الاسس العقدية لظاهرة الرهينة .
وفي ظل الجاهلية الاولى شهد العالم نشوء الاساطير والخرافات ، وقامت
فئة من البشر لتقيم حاجزا في وجه الايمان ، وادعت أنها هي الواسطة بين الخلق
والخالق ، فعنها نشأت الانحرافات العقدية ، وتكونت في ظلها ما يسمى بالكهانة
والرهينة وما دعي باسم رجال الدين أو الكهنة . وحيكت حولهم هالات براقية
طمسوا لحقيقتهم الخادعة . . ومن أجل ذلك كان لابد من كشف هذه الاقنعة
راجين المولى عز وجل التوفيق .

٢ - الاسراء : ٦٧

١ - يونس : ١٢

٣ - انظر : " وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه " ، د . محمد الزحيلي ص ٣٨-٣٩
دار القلم ، ط ١ - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م . حول عجز الانسان والفرقة الدينية فيه



الباب الاول :

● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

الرهنينة المصرية القديمة

الفصل الاول :

"العقائد وتطورها"

لا بد قبل الخوض في السار الذي خطته الرهينة المصرية القديمة من الاقرار بأن الرهينة عموماً قد مرت باطوار متعددة وصلت بعدها الى المفهوم والمصطلح المتعارف عليه حالياً ، ولم تأخذ يادى* الا مرشكلاً معقداً كالذى نراه اليوم ، بل مرت بـ ^(١)مرحلة الكهانة وضروب التنجيم والسحر والشعوذة والعرافة وذلك في كثير من الامم الاولى التي انعرفت مبادئها العقائدية عن الحق .

وقد اخذت الكهانة حيزاً كبيراً من التاريخ البشرى القديم للمهـام التي كانت مناطة بالكاهن . ونستطيع القول : ان الكهانة كانت بداية طبيعية للرهبنة البدائية . ذلك لان المعارف والعلوم بشتى انواعها كانت تنسب الى الكهنة سدنة المعابد والقائمين على الشؤون الدينية في الامم التي ارتضت لنفسها انتحال العبادات الوثنية . وقد وجد من بين هؤلاء الكهنة من ينعزل وينفرد بعيداً عن الاجواء الدينية ويترهب ، وعليه فان الصلة كانت متداخلة بين الكهانة والرهبنة .

ونظراً لهذا الترابط فانه يحسن التعرف على الكهانة المصرية من خلال

الوقوف على معتقداتها الفكرية التي نسجت في العقول قروناً من الزمن .
اولاً : عبادة الظواهر الطبيعية :

فقد إتجه المصريون القدماء الى تقديس وعبادة جميع الظواهر الطبيعية (٢) الطبيعية وتلجوا في هذه العبادات ابتداءً من عبادة الجراد مروراً بعبادة النبات والحيوانات وصولاً الى عبادة وتأليه البشر ،

- فعبادة الجرادات شطت : الكواكب والنجوم والاجرام السماوية كالشمس

وكان يطلق عليها هذه الاسماء منها : رع ، وآمون ، وآتون ، وغيرها على انها

إله أو رمز له تعبد وتقدم اليها القرابين والنذور .

وكانت نظرتهم الى الشمس نظرة تقدير على اعتبار انها المصدر الرئيسي

١ - الكهانة : بالفتح وتكهن تكهناً : قضى له بالغيب فهو كاهن . ج : كهنة

وكهان ، وحرفته الكهانة بالكسر (القاموس المحيط ٢٦٦/٤) .

والكاهن هو الذى يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة

الاسرار (لسان العرب لابن منظور ٣٦٢/١٣ - مادة كهن .

ولم تخل امة من الامم في القديم من الكهان . . . وقد ابطل الاسلام هذه البدع

وانكرها وحاربها ، (الموسوعة العربية الميسرة ١٤٩١/٢) .

٢ - راجع ديانة قدماء المصريين ، استيندرف ، ت : سليم حسن ص ٢٩

٣ - راجع : الانسان في ظل الاديان ، د . عطارة نجيب ص ١٤١ مكتبة المعارف الرياض . ١٤٠

للحياة والنماء ، إضافة الى قيامها بوظائف اخرى كطرد العواصف وابعاد السيول
والامطار وتحطيم السحب التي تلحق الضرر بهم (١)

- وفي تطور آخر نجد أن قصص الخلق قد استلهمت من النيل (أوزيريس)
وأن هذه القصص كانت تشير دائما الى أصل العقيدة عندهم .

لقد كان النيل يمثل في نظرهم الإله الذي يهب الخصب والنماء ويعلل على
إزدهار الأرض الزراعية فيزيد في محاصيلها وغلالاتها وقد قيل لأوزيريس :

" أنت النيل ، الإله والبشريحيون من جريانك " (٢)

ومن هنا يتضح (أن الشمس والنيل كانا ظاهرتين أثرتا اعق تأثير في سكان
وادي النيل وأن الإلهين اللذين يمكن تنيهما في هاتين الظاهرتين سيطرا على
التطور الديني والعقلي منذ أقدم العصور) (٣)

ثانيا : " عبادة الحيوانات "

اما عبادة الحيوانات : (فقد قدس المصريون آنذاك الحيوانات المختلفة
واقاموا لها تماثيل واتخذوا منها الرايات والشعارات وادخلوا تماثيلها في معابدهم
فالمجل آبيس ، والبقرة حتحور ، هما من أقدم المعبودات لديهم . كما
أن هناك حيوانات اخرى كثيرة عبدت الى جانبهما .

وقد تركوا بعض هذه الدواب تجوس خلال الهياكل ولها من الحرية ما
للبقرة المقدسة في الهند حتى هذه الايام) (٤)

لقد كانت تمثل هذه الحيوانات بالنسبة لهم رمزا للقدره الجنسية الخالقة
ولم يكن المجل آبيس رمزا لأوزير بل كان تجسيدا للإله . وكثيرا ما كان أوزير
يرسم وأعضاؤه التناسلية كبيرة بارزة دلالة على قوته العظمى . (٥)

ويشير البعض الى انهم كانوا يعبدون هذه الحيوانات لانها ترمز الى القوة
التي هيأت لهم النصر على الاعداء فقد كانوا يرفعون الرايات وفي أعلاها تماثيل صغيرة
ترمز الى القوى والبطش . (٦)

- ١- انظر : تطور الفكر والدين في مصر القديمة . جيس هنري برستيد ص ٤٠
- ٢- تاريخ الحضارات العام ، : اندريه ايطار - جانين اوبوايه ٩٢/١ ط ١ ، ١٩٦٤
- ٣- تطور الفكر والدين ، هنري برستيد ص ٤١-٥١
- ٤- قصة الحضارة ، ويل ديورانت ١/٢ : ١٥٢-١٥٩ ، ت : محمد بدران ط ٣ ، ١٩٦١
- وقد طرأ برستيد هذا الرأي وأن هذه الدواب ليست من عبادتهم الاصلية .
- راجع : انتشار الحضارة ص ٩٢-٩٣
- ٥- قصة الحضارة ١/٢ : ٥٥-١٥٦
- ٦- الديانات القديمة لابي زهرة ص ١٤ ، دار الفكر العربي .

أما عبادة النباتات ، فقد اتخذ المصريون أنواعا كثيرة منها وكانوا يظنون ان كل ما كان متجها نحو الشمس "أمون" فهو مقدس ويستمد قدسيته من المعبود الأعلى نفسه ، الى جانب ما كانوا يرون في النبات من اثار تتمثل في الابقاء على الحياة وسببا في غذا البشر ونموهم . ومن ثم تطور هذا المفهوم ليشمل عبادة النباتات ذات الاشكال الهندسية والالوان الزاهية النضرة ، كزهرة " اللوتس " . ولقد نبع هذا التفكير نتيجة اشتغال المصريين بالهندسة المعمارية .

ثالثا : - تأليه البشر :

ومن ضمن هذه التطورات كانت هناك مرحلة تأليه البشر ، واتخاذهم اربابا من دون الله تعالى ، وهذه الفترة هي اكثر اهمية واطولها عبر تلك العصور . وقد حارب بعض العلماء في الاسباب الدافعة الى تأليه المصريين للبشر . (١) الا ان البعض ارجع فكره التأليه الى النتائج التي آلت اليها عملية تنظيم الري والاشراف على توزيع المياه للزراعة بعد ازدياد عدد سكان وادي النيل والتي قام بها بعض المشرفين والمهندسين .

وقد اكتسب هؤلاء اهمية خاصة نظرا للدور الذي قاموا به ومع مرور الزمن وجد المصريون ان السيطرة على المياه اصبحت تحت ايدى هؤلاء المشرفين ، ومع ازدياد امتيازاتهم واهميتهم بالنسبة للزراعة فقد نظر اليهم نظرة محترمة مالبثت ان تحولت الى نوع من التقديس المصحوب بآيات الشكر والتبجيل ، ليتحول فيما بعد الى اطلاق صفات الالهية عليهم . (٢)

ويمكن اضافة امر آخر الى هذا كله ، : فالحروب التي خاضتها الاسر الفرعونية الاولى والانتصارات التي حققتها القت بظلالها على الناس وجعلت من هؤلاء الحكام ابطالا في نظر هذا الشعب الذي خلع عليهم من الالقاب والاسماء ما يفيد التأليه .

فقد كانت القوة والبطش رمزين لهؤلاء الفراعنة ، كما كان الطغيان سيطرا على عقولهم . قال تعالى مخاطبا موسى عليه السلام :

(اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ، فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَزْكَىٰ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أُدْبِرَ يَسْعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ

أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى (١).

وتجدد الإشارة هنا الى ان المصريين القدماء قد مرت بهم عقيدة التوحيد الخالص ردحا من الزمن وان كانت عقيدة تعدد الالهة هي التي استمرت ولمحقت .
وقد ذكر القرآن الكريم ما يفيد ذلك وقد مرت الآية السابقة لتدل على هذا الامر . كما ان يوسف عليه السلام قد تولى مهام خزانة الدولة في مصر وكان اميناً عليها . (٢) كما ان موسى عليه السلام تربى في مصر وخاض صراعا عنيفا مع فرعون .

وهناك نصوص تثبت تحكم تأليه الغرائفة في نفوس المصريين من ذلك ما ورد في احدى النصوص الاثرية :

(لقد تمدح رجال البلاط ومجلس الثلاثين معا بطيبة جلالتهم ، وسجدوا مرات عدة امام هذا الاله الطيب مهلين له . . . ومتعبدين امام وجهه ، وقد مجدوا ارواحه حتى عنان السماء) (٤).

وقد راجت عدة اساطير حول تأليه الغرائفة كاسطورة الطفل حوروس بن اوزيريس والذي مثل بالجعران ، واسطورة تقول ان عند حدوث الكسوف . . . تظهر الهالة الشمسية (و) يكون لها شبه قوى بجناحي الجعل (الجعران) المنتشرين . وكان حوروس " شمس الصلاح والبر وفي جناحيه البر " واخيرا " صعد الى السرب واصبح والاب واحدا " (٥) وهو ما يذكرنا الى حد كبير باساطير النصراني حول عيسى عليه السلام . هذا الى جانب العديد من الاساطير الاخرى التي حيكت حول الالهة الثلاثة ايزيس ، واوزيريس ، وحوروس (٦) وهناك تثليث آخر مؤلف من : توت ، ايزيس ، واوزيريس (٧).

١ - النازعات : ١٦ - ٢٥

٢ - راجع قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف . من الآية ٤٤ وما بعدها .

٣ - هناك العديد من السور القرآنية التي تحدثت عن موسى عليه السلام وما دار مع فرعون راجع : طه والشعراء : ٥٣ والنمل : ١٢ والقصص وغيرها .

٤ - راجع : مصر القديمة ، سليم حسن ص ٦ / ٤٧٩

٥ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٦٩

٦ - راجع بتوسع حول هذه الاساطير في : تاريخ البشرية ، ارنولد توينبي ، ت :

د . نقولا زيادة ، ٨٠ / ١ - ٨١ ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨١

٧ - راجع : آلهة في الاسواق ، د . رؤف شلبي ص ٢٥٨ دار القلم ط ٢ ١٤٠٣

١٩٨٣ الكويت .

رابعاً :

- عقيدة اليوم الآخر :

حظيت هذه العقيدة باهتمام قدماء المصريين ، فقد كانت من أهم عقائدهم ، وقد شغلت بدورها أيضاً علماء الفلسفة والتاريخ ومقارنة الأديان في العصر الحديث ، وذلك لما أولاها المصريون من اهتمام بالحياة بعد الموت .

لقد إعتنى المصريون بدفن موتاهم لاعتقادهم أن الروح سوف تعود للجسم فيما بعد وتقدم للحاسبة فوضعوا للموتى تماثيل تصور شخصياتهم وأقاموا لها أماكن لوضع الطعام والشراب . وقد أرجع بعض العلماء هذه العقيدة إلى أسباب منها ما اشتهر عن تربة مصر ومناخها وهي : (أنها تحفظ الجسم الانساني بعد الموت من البلى إلى درجة لا تتوفر في أي بقعة أخرى من بقاع العالم) (١)

ألا ان هذا الرأي لا يمكن التسليم به ، ذلك لان عقيدة اليوم الآخر لا يمكن لها ان تقوم في أية امة من الامم ما لم تأت عن طريق اصل صحيح مستند إلى وحي من رب العالمين ولا بد ان هذا الاصل قد حرف فيما بعد على يد كهنة الفراعنة ليصبح على النمط الذي اعتقده المصريون . وعليه فهي بقية من دعوة الانبياء الذين شرفوا مصر في فترات تاريخها الطويل . (٢)

والقرآن الكريم يوضح لنا في سورة غافر ما جاء على لسان مؤمن آل فرعون

ما يفيد ذلك :

(وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَإِنْ يَسْكُ كَانِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ . . .)

إلى قوله تعالى (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ نَادِيبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَابُؤِ يَوْمَ تُلْقُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُغْلَبِ اللَّهُ فَلَا لَهُ مِنْ هَائِرٍ) (٢)

١ - فجر الضمير . جيمس هنرى برستيد . ت : سليم حسن ص ٦٣

٢ - راجع : الهبة في الاسواق ، د . روف شلبي ص ٢٧٧ ،
٣ - غافر : ٢٧ و ٣٠-٣٣

خامساً :

- تناسخ الارواح :

يحاول بعض العلماء اثبات ايمان المصريين القدماء بعقيدة تناسخ الارواح ، مستندين الى نص يرجع الى عام ٣٠٠٠ ق م . والذي يقول " قبل الولادة هذا الطفل وليس الموت نهايته ، الحياة تجيب " وتروح كالشمس عندما يبدأ نهارها من جديد . (١)

ويستند نفس المصدر الى ورقة بردى تدعى " انانا " (ANANA) والتي ترجع الى عام ١٣٢٠ ق م والتي تقول:

(الانسان يعود ثانية الى الحياة عدة مرات ، لكنه لا يذكر حيواته السابقة ولا يمكنه ان يحدد زمان هذه الحادثة او مكانها لكنه يعلم فحسب انها حادثة مألوفة عنده ، وفي النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة) (٢)

وليس من المستبعد ان تكون الام التي دانت بهذه العقيدة قد اخذتها عن هذا الاصل الفرعوني ، كما يذهب البعض الى احتمال انتقال هذه العقيدة الى اليونان . (٣)

- بوادر نشأة الكهانة وصورها البدائية :

ان تطور الفكر الديني المصري وما رافقه من ممارسات وطقوس تعبدية لم يكن ليرى النور او ينمول ولم تسكن وراءه قوة تحركه وتفغذي مبادئه وتقوى اسسه .

وقد لعبت طبقة الكهنة هذا الدور بكل اتقان واستطاعت هذه القوى ان تسيطر سيطرة تامة على جل الحياة الدينية ، ولم يكتف الكهنة بهذا الدور بل تعدى نشاطهم الى الحياة الدنيوية ، حتى غدا المصريون يعتقدون ان كلا الناحيتين (هما نتيجة وحي مقدس وتوحيان لخدمة الالهة فهما في الواقع متمتان - احدهما الاخرى) (٤)

١ - العودة للتجسد . د . روف عبيد ص ١ دار الفكر العربي القاهرة

٢ - المصدر السابق

٣ - راجع بتوسع ديانة قدماء المصريين . استيفدوف الالطاني . ت . سليم حسن

٤ - طيبة في عهد امحوتب الثالث ، الميزابيث رايفشتال ص ٢٤٢ / ٢٤٣ ت : ابراهيم

رزق ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٦٧ .

وفي رأى بعض العلماء* فان النظرة التحريمية الى بعض الموجودات سواء كانت جامدة او حية اسهمت في تكوين الكهانة والسحر كذلك ،
(ان كان الناس) ينشئون تقاليد مشتركة من المحظورات تشمل الاشياء*
المحرمة والاشياء* النجسة وتظهر الى جانب فكرة النجاسة فكرة التطهر وازالة اللعنات وتتم عملية التطهر با رشاد الحكماء* من السنين او المعجائز المعنكات وفي مثل هذا التطهر تكونت بدور الكهانة والسحر في أقدم عهودها . . . ولازالة الشرور وتثبيت الانسان وتنظيم شأنه كان لا بد له من أن يفعل أشياء ذات قوة وبأس ، وهل فسي الوجود شيء* أقوى من القتل ومن اراقة الدماء ؟ من هنا جاء الارتباط الوثيق بين نظام الكهانة وتقديم الضحايا والقرايين (١) .

وهذه العقيدة لعبت دورا هاما في الديانة المصرية سواء بتقديم شئ* ذي قيمة أو بتقديم النفس البشرية ذاتها ، فالقوى الطبيعية التي كانت تهيئ الرعب والهلع في نفوس المصريين جعلتهم يلتصقون استطالتها بالتضرع اليها وتقديم القرايين لها اتقا* لشرها (٢) ثم ما لبث هذا الامر ان تحول الى الزام للنفس بالعكوف على هذا المعبود واعتزال الناس للقيام بالفرائض التي املاها المتعبد على نفسه .

-
- ١ - معالم تاريخ الانسانية . ولز . ١ / ١١٦-١١٩
 - ٢ - كما اشرنا في السابق ، فان الفترة السالفة مثلت مرحلة من مراحل انحراف العقيدة وميلها عن جادة الحق .
- فبعد ان كانت القرايين تقدم لله تعالى علامة على الشكر والعرفان لما انعم البارى على الانسان وتفضل به عليه ، اتخذت هذه الشعيرة مسارا آخر على يد الكهنة للتجارة والكسب الحرام ، فاتجه تقديم القرايين الى القوى الطبيعية والبشرية ، وهكذا يسم القوم أبصارهم نحو السيب وصرفوا أبصارهم عن السبب وقد اخبرنا الحق تبارك وتعالى عن القرايين التي تقدم عنوانا على الشكر والانعام في قصة ابني آدم عليه السلام وذلك في سورة الطائفة : ٢٧-٢٨ .

ولعل من الاسباب المباشرة لتقديم النفس البشرية قربانا للالهة
هو مبالغة البسطاء في العبادة والتبذل .
كما لا يجوز اغفال الخوف على المصالح الخاصة والعامة التي كانت السيول
تهددها ، اما بايقاف الحياة الزراعية ، أو تبديد المحاصيل ، نتيجة لفيضان النيل .
فكانت القرابين البشرية تلقى في هذا النهر اتقا وخوفا منه (١)

- الفصل الثاني : بواذر نشأة الكهان والرهبسان

اولا : بواعث النشأة :

== :: :: :: :: ==

ان هذه الاحداث وما رافقها من حماس ديني لدى البعض أدى الى اعتبار
فداء النفس وتقديمها قربانا للاله هو افضل طريقة لارضا المعبود ، ولهذا تتم
تدريب النفس على الطاعة وتكريسها للعبادة عن طريق المواصلة والاقطاع والتبذل .
ومن البواعث الاخرى التي أوحى الى هؤلاء اتخاذ جانب العزلة والتعبد
هو الشعور بوجوب التعويض عن الاحساس بالذنب او الهروب من المسؤولية او نتيجة
السامة الناجمة عن رتابة الحياة نفسها .

١ - يذهب أ . هامرتن الى منحى آخر في تفسير نشأة التضحية البشرية قديما ، إذ يرى
ان السبب يعود إلى إعتقاد الناس بأن الملك نفسه يعد واهب (الحياة ، ولما
رضي الناس ان يؤمنوا بأن رعاياهم موقوف على سلطان الملك وقوته اضحى مركز الحاكم
ما يحرك في النفوس عوامل الحسد والبغضا ، وذلك انه حينما تبدو على صحته
أو قوته علامات الضعف والوهن يصبح وجوده خطرا على الدولة ، فلا بد إذن من
قتله ليجلس مكانه شخص أصغر منه سنا وأكثر فتوة ، واقد ر على بعث الحياة في الناس
ولعل هذا هو السبب الذي دعا الناس الى ابتكار التضحية البشرية ، ولما أصبح
للملك من القوة ما يمكنه من ان ينجى نفسه من القتل جاء كهنته بضحية بدلا عنه
واختلقوا لذلك عذرا هو أن (الأم الكبرى) قد وضعت الدم الإلهي ليكون اكسير
الحياة الذي يجدد شباب الملك الهرم ومعنى هذا ان دستور الدولة الاولى
ومنشأ التضحية البشرية والحرب البدائية ... كان الباعث طيلة تقييد الناس
للتضحية بهم (. تاريخ العالم ، السيرجون ، أ . هامرتن ١ : ٣٦٩

تقوم في المعبد وهي متوجهة بوصفها طمكة السموات وهي تحمل طفلها حورس بين ذراعيها والشموع تخفق وتذب أمامها، وتماثيل أجزاء الجسم الشمعية تتدلى حول المقصورة وكان على الكاهن المستجد تنعيم مرحلة اعداد وتلمذة طويلة ذات تفاصيل محكمة ويقسم الايمان على العزوبة ، وعند ها يلقي مبادئ الاسرار ويشيخه
وكسنت تحلق رأسه ويلبس ثوبا من الكتان (١)

- ولا نستطيع هنا القول بان درجة شيوع الرهينة كانت شاملة لكل قطاعات الكهنة ، إذ أن ديورانت يورد ما يفيد بأن (منصب الكاهن كان ينتقل في الواقع - ان لم يكن بحكم القانون - من الاب الى الابن) (٢)

، وهذا ما يؤكد وجود طبقات عدة بين الكهنة تتنوع وظائفها بحسب ميولها ، واتجاهاتها .

رابعاً : المظاهر التعبدية للرهبنة المصرية :

ان الترهيب الفردي الذي مارسه اوائل الكهنة ارتدى طابعا جديا باديء الامر ، فجميع العبادات والممارسات النسكية اقيمت على مبادئ مستوحاة من النظام الديني الوثني الذي عرف آنذاك .

وقد شهد هذا التعبد صورا من ألوان التقشف والتبذل للمعبودات المقامة والموضوعة رسميا وتبعاً لكل إقليم . ومع تطور هذا النظام وتكوين طبقات الكهنة أصبحت الممارسات التعبدية تقام جماعيا وقد تستمر طيلة ساعات اليوم (٣) . ومما لبثت أن تحولت الى طقوس تقام لنيل اغراض بعيدة عن روح العبادة المتعارف عليها سابقا ، فمنها ما هو لكسب مادي أو حبا في المناصب أو السلطة أو الشهرة .

وظلت هذه الطبقة تمارس ألوانا من التلاعب إلا أنها تسكت بالطقوس الدينية أحقابا كثيرة حفاظا على الكاسب التي جمعتها والامتيازات التي حصلت عليها .

وتجدر الإشارة الى أن الجو الفكري الهادي أسهم في اشاعة الحماس الديني لدى الكهنة باديء الامر، فقد ساعد هم على اداء الممارسات التعبدية الخاصة .

١ - معالم تاريخ الانسانية . ولز . ١ : ٤٦٤-٤٦٩

٢ - قصة الحضارة ، ١/٢ : ١٦١ وانظر طيبة في عهد امحوتب ص ٢٤٧

٣ - طيبة في عهد امحوتب ص ٢٤١

كما أسهم في تفرغهم للتأليف والكتابة المصبوغة بالتراتيل والانشاءات الدينية . وأضاف هذا الجونو ط من الورع عند بعض الكهنة المتبطلين حتى قيل فيهم (كان البعض منهم يمارس الإتحاد الروحي مع الاله عند ما يسمح لهم " بشاهدة الاله في السحراب " . (١)

لقد مكن هذا الجو كذلك من بزوغ كثير من العقائد المتعلقة بالآلهة ، ومكن الكهنة بالتالي من إضفاء هالة كبيرة من القداسة عليهم ، نظرا للغموض الذي أشاعوه بين الناس وإيهام الشعب بوجود الأسرار المتعلقة بالالهة .

فمن الممارسات التعبدية التي أُحييت بالأسرار ما كان مختصا بعبادة الآلهة تلك المراسم التي كان يقوم بها أحد كبار الكهنة المعين رسميا من قبل الفرعون شخصيا لشقة هذا الأخير به (٢) (ودلت هذه العبادة على الاعتقاد الثابت بان الاله يشعر بما يشعر به اى انسان) (٣) فالمعبد هو مسكنه الذي تدخل اليه الحياة والحركة ولا يحتاج إلا لرفعهم مقام ولوج الحجرة الخاصة حيث يقيم الاله تحت اعراض تمثاله وهو كالانسان بحاجة الى الكثير من العناية والملاطفة والترفيه والبذخ والمأكول والمشرب والراحة والنوم واللهو والأعياد ايضا . وكل هذا كان مضمونا باسم الطك الذي يجزل الهبات السخية والذي يتولى الخدمة الكهنوتية بنفسه اذا سمحت له ظروفه بذلك بحكم كونه قانسونا الكاهن الكاهن . وكانت تقام كل صباح وفي كل المعابد مراسم متماثلة : حركات طقسية وسجديات وصلوات وأناشيد واحراق بخور . كان الكاهن يفتح الحجرة الالهية " ويوقظ " الاله ويقدم له قبل أى شىء " آخر " عين حورس التي فقد ها في صراعه ضد شيت ثم عثر عليها وقد مها لابييه أوزيريس . ويقدم له بعد ذلك تمثالا صغيرا " لحاهات " ابنة " رع " ثم يغسله ويلبسه ثيابه ويزينه ويمسحه بالطيب ويخضبه ويقدم له اخيرا ما لذ وطاب من انواع الطعام والشراب على سطا او حصير امام التمثال وفي ساعات معينة من النهار تفتح الحجرة مجددا لكي تقدم له وجبة اخرى وعند حلول المساء يرتدى ثياب الراحة ويستسلم للنوم بعد ان يقفل المكان المقدس (٤) .

١ - طيبة في عهد امحتوب ٢٤٢

٢ - المرجع السابق .

٣ - تاريخ العالم لها مرن ٣٦٩/١ حول نشأة هذه الفكرة .

٤ - تاريخ الحضارات العام ١٠٦/١

والكبت الذي أنكه قوى الرهبان ما لبث أن حول الهنود الى فوضى
والرزانة الى تهوور . (فقد كان في الهيكل . . بالكرك طائفة كهيرة من النساء
يتخذن سراى لآمون في الظاهر وليستمتع بهن الكهنة في الحقيقة .) (١)

هذه الحركة الخفية التي مارسها الكهان سرا عن أعين الناس كانت مظهرا
للعهر والخنا فيما بينهم . وما لبث هذا الانحدار أن تحول الى ظاهرة عفنة
أسهمت الى حد كبير في فساد المجتمع وانهيائه .
اذ سرطان ما تفشت بقية الامراض الخلقية الأخرى بين افراد هذه الطبقة
وأصبح جمع الثروات واكتناز الأموال هو الشغل الشاغل للكهنة .
والنتيجة الحتمية التي آلت اليها هذه الظاهرة هي (نسيان) الناس على
مر الزمن ما بين الدين والاخلاق من صلات ، فلم تكن الحياة الصالحة هي السبيل
الى السعادة الأبدية بل كانت السبيل اليها هي السحر والطقوس واكرام الكهنة (٢)

١ - قصة الحفارة ١/٢ : ١٦٨

٢ - المرجع السابق ١/٢ : ١٦٤

ثانياً :

- المعارف والعلوم :

لم تكن الحياة الدينية التي مارسها الكهان والرهبان لتصرفهم عن الاهتمامات الأخرى المتعلقة بالمجتمع المصري . وكما اشرنا من قبل فان طبقة الكهان كانت مسيطرة على (١) زمام الحياة الدينية والدنيوية والسبب الرئيس في ذلك يرجع الى كونهم هم الطبقة المثقفة بين عامة الشعب وقد اُمدوا بمختلف العلوم والفنون المشهورة آنذاك . (٢)

لقد اُختص الكهنة بتدريس أبناء الأسر الغنية فضلاً عن الأسر المالكة ، كما قاموا بتخريج كتبة الدولة ، إلا أن هذا النشاط الثقافي لم يكن خالياً من الأساطير (٣) والخرافات الكثيرة التي ملأت أدمغة القوم .

لقد اعتقدوا أن (العلوم قد اخترعها - من ١٨٠٠٠ سنة - قبل الميلاد " تحوت " إله الحكمة المصري في خلال حكمه على الأرض والبالغ ثلاثة آلاف من الأعوام وأن أقدم الكتب في كل علم من العلوم كانت بين العشرين ألف مجلد (هي) التي وضعها هذا الإله العالِم) (٤)

وقد أطلق على المكان المخصص للتعليم " بيت الحياة " يتلقى فيه مختلف العلوم الدينية والدنيوية كالتاريخ والطب والرياضيات وكما فعل الرهبان الذين عاشوا في أديرة العصور الوسطى كذلك كانوا أحياناً يكتبون الحكايات والأغاني الفغرافية تنويعاً وتلويناً لحياتهم اليومية الرتيبة (٥) ومن أشهر العلوم التي اشتهرت عندهم :

- علم الفلك - علم الطب ٣ - السحر والتنجيم - الرياضيات - الهندسة . وغيرها من العلوم الأخرى وقد توسع العلم في ذكـر تفاصيل هذه العلوم وكيفية التوصل اليها (٦)

-
- ١ - راجع في هذا الصدد : ديانة قدماء المصريين ص ٢٨
 - ٢ - معالم تاريخ الانسانية ١ / ٢٠٨-٢٠٩
 - ٣ - ديانة قدماء المصريين ص ٣٦ - ٣٧
 - ٤ - قصة الحضارة ١ / ٢ : ١١٨-١١٩
 - ٥ - طبية في عهد امنحوتب ص ٢٤٨-٢٤٩
 - ٦ - راجع في هذا الصدد : قصة الحضارة ١ / ٢ : ١١٨ و تاريخ الحفارات العام ١٣٠ / ١ ، وطبية في عهد امنحوتب ٢٥٢ / ٢ ومصر القديمة ٤٥٧ / ٦

ثالثا :

طبقات الكهنة ومهنتهم :

نظرا للمعارف والعلوم التي أَلَمَّ بها الكهنة ، فقد أتاح لهم هذه الخبرات تكوين سلطة واسعة من النفوذ والسيطرة . وقد استعملوا وسائل أخرى لتثبيت قواهم ، وغالبا ما كانت هذه الوسائل تنم عن خبث ودهاء ، مستغلين في ذلك سذاجة الشعب وساطته (ولقد إستمر موقف عامة الناس الذين يفلحون الأرض ويرعون الانعام حيال المعبد موقف السذج الذين يسارعون الى تصديق كل ما يقال لهم عنه ، فهناك يعيش الاله الذي لا يراه الناس الا نادرا والذي يرفعه خيالهم الى أعلى عييين والذي كان رضاه باعث النجاح ، وغضبه أصل الشقاء وكان من الميسور إسترضاءه بالهدايا الصغار والاستعانة بخدمه في مختلف الافراض وهو باعث العجب والدهشة وله من عظم السلطان والمعرفة ما لا يصح معه للانسان أن يقلل من إحترامه له ولو في د خيلة نفسه) (١)

طما بأن رئيس الكهنة هو الذي يتولى عرش الطك (٢)

إن هذه القوى إستطاعت القيام بدورها خلال معظم الإسر الفرعونية التي قاربت الثلاثين . . وقد لاحظنا أهمية الكهنة بالنسبة للعرش الفرعوني ، وحتى بالنسبة للمجتمع المصري ، الذي لم يستطع ان يؤدى شعائره بدون كهنة . ولذلك كان لابد من التعرف على طبقات الكهنة المؤثرة ، ومدى نفوذها . ويمكن حصرها بالاتي :

اولا : طبقة كبار الكهنة :

وكانت تختار من قبل الطك شخصا ، ولا بد لها من الحصول على ثقتا التامة كما أطلق إسم الانبياء على كبار كهان هذه الطبقة ، وكانت تتألف من أربعة يرؤسها أكبرهم وقد نيظت به المهام التالية :

- ١ - المحافظة على النظام الديني وأمور العبادة ٢ - تدبير الشؤون الادارية للمعبد
- ٣ - مسؤولية أملاك المعبد ٤ - الإشراف على المعابد وكهنتها .

أما الثلاثة الباقون فإنهم معنيون بمساعد الرئيس في المهام الروحية ، والإدارية يعاونهم عدد كبير من الدنيين الذين عملوا كمراقبين . . . (٣)

١ - معالم تاريخ الانسانية ١ / ٢٠٢ - ٢٠٦

٢ - ديانة قدماء المصريين ٨٢

٣ - طبية في عهد امنحوتب ص ٢٤٩ - ٢٥٠

- مقارنة بين الاهداف والنتائج الناجمة عن اعمال الرهبان :

لطبقة الكهان والرهبان في مصر اهداف ، ككل فكر يرمي السبب تحقيق النتائج التي يصبو اليها .

فالخطة التي رسمها اوائل الكهنة لم تكن على درجة من التعقيد ، كما ظهرت فيما بعد ، بل غلب عليها نوع من البساطة والسذاجة . فقد انحصرت اهداف الكهنة في بدايتها في ارتقاء شر من يضر بحياتهم حسب ظنهم ، وذلك عن طريق تقديم القرابين لسه واستمالته بالتضرع والخشوع . كما تبع ذلك ظهور الرهبنة والتبتل ولأن منهج الكهانة العقدي منهج ارضي وضعي في الدرجة الاولى ، فقد تطور ليصبح في النهاية عدة اهداف بعيدة كل البعد عما كان في السابق . فقد اصبح الكاهن مع مرور الوقت يهدف من حياته النسكية وطقوسه المخترة الى الامور التالية :

- ١ - حب الشهرة ، والتفاخر بالالقاب المحيية بالتبجيل مثل لقب : الكاهن الاكبر للالهة ، والكاهن الاول ، واعظم الرائيين (١) ، والنبي الاول (٢) .
- ٢ - الارتقاء في المناصب الكبيرة في الدولة ، كالوزارة ، وغيرها . (٣)
- ٣ - اكتناز الاموال ، وتخزينها ، والوصول اليها باى طريق .
- ٤ - الاستمتاع بالشهوات ، وارتكاب المحرمات ، وممارسة الزنا في الهياكل والمعابد .

و هكذا نرى ان ظاهرة الرهبنة بدأت باداء الحرام والترفع عن الشهوات وانتهت بالانغماس في حمايتها .

وبما ان النتائج تميل تبعاً للاهداف الموضوعة ، فان اعتقاد الكهنة في منهج حياتهم الفكرية والدينية على أسس عقديية واهية مستندة الى اساطير وبدع وخرافات من شأنه ان يجرحهم الى ما زق لا حصر لها ، وقد رأينا مدى الطفغيان الذى مارسه الكهنة والرهبان في حق الناس ، ومدى التسلط الذى تبثوه خدمة لاغراضهم الدنيئة . وهكذا كل منهج ارضي لا يستند الى رسالة سطوية منزلة من عند الله تبارك وتعالى ، مع ان رسل الله عز وجل قد جاءت الى هؤلاء ، ولكن الطفغيان أعمى قلوبهم وابصارهم فضلوا واضلوا .

١ - هناك العديد من الالقاب الاخرى راجع بتوسع : مصر القديمة ٦ / ٤٧٢

٢ - طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٤٩

٣ - مصر القديمة ٦ / ٤٥٨

وتبعاً لسنن الله تبارك وتعالى في الخلق والكون . فان سنة الله الجارية
قد سرت في هذه الامة فأحالت نهارها ليلاً ، وقلبت موازينها ، وحطمت طغيانها .
فالشورة التي قامت ضد الكهان والرهبان في عهد إخناتون اعتبرت من قبيل الإصلاح
الديني^(١) ، لان هذا الاخير قضى على طغيان هذه الطبقة ومزقها شر مزق .

وسوف نرى صوراً مشابهة لمثل هذه النتائج وذلك في الابواب
القادمة باذن الله تعالى .

١- مصر القديمة : ٤٧٥/٦ ^{انظر}

الباب الثاني :

الاسس العقديّة
للرهبنّة الهندوسية
والرد عليها

التمهيد : —————

أ - سكان الهند الاصليون :

يجمع العلماء والمؤرخون على وجود قبائل قديمة عاشت واستوطنت الأقاليم الهندية ، وقد أطلق على هؤلاء اسم " الدرافيديين " ^(١) وتؤكد المصادر التاريخية أن هذه الشعوب كانت لها مدنية عرفت بالمدنية السندية ولها من الآثار ما يرجع الى ١٥٠٠ ق.م ^(٢) بل يذهب بعض العلماء الى (ان المدنية الهندية القديمة تقع ما بين الالف الرابعة والالف الثالثة ق.م وتغرق ما كان سائدا في العصر نفسه في بابل و ^(٣) مصر . وأن أبرز آثارها لغة البراهموي ^(٤) وكثير من الآثار العينية الأخرى التي زالت الى يومنا هذا .

وقد أتيح لتلك المدنية أن تكون محطة هامة لجميع الشعوب التي غزت الهند أو التي هاجرت من أقاليم وقارات مختلفة كما أن ديانتها شكلت نواة للديانة التي استقرت عليها الهند فيما بعد .

ومن خلال الآثار الباقية لهذه المدنية استطاع العلماء اكتشاف البذور الأولى

١ - تاريخ الحضارات العام ١ : ٥٥٧ ، راجع : قصة الحضارة ٢ / ١ : ١٩ - ميسيف .
إحسان حقي الى ذلك قوله (غير أن الاكتشافات الأثرية التي ظهرت في وادي السند في مطلع هذا القرن أثبتت بأن الدراويديين لم يكونوا أهل الهند الاصليين بل كانوا قبل الأريين دخلوا على البلاد اقتحموها من شطليها واستولوا عليها ففر أهل البلاد أمامهم الى الجنوب . . . وتدل التحقيقات العلمية بأن أهل الهند الأصليين يرجعون في أصلهم الى أصول سكان سومطرة وأستراليا وسيلان) : مأساة كشير السلطنة . د. إحسان حقي ص ٢١ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .

٢ - تاريخ البشرية ، أرنولد توينبي ١ : ١٤٥ ت : د . نقولا زيادة ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨١

٣ - قصة الحضارة ٣ / ١ : ١٦
وأهم المدن التي أسفرت عليها الحفر والتنقيب عن اكتشافها هي : " موهنجودارو " و " شانهدارو " . راجع الهند ، حضاراتها ودياناتها ، للندوي ص ٢ .
وراجع كذلك : العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ،
محمد يوسف النجرامي ص ١٥ ، دار الفكر بيروت ط ١ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٤ - راجع : تاريخ الحضارات العام ١ : ٥٥١

لهذه الديانة والتي تنوعت تنوعاً كبيراً وكان لها الفضل الأكبر في إيجاد العقائد الهندية الوثنية .

معالم الديانة الهندية القديمة :

لقد دلت الآثار على (وجود عبادات وطقوس دينية تمثلت بعبادة القوى والظواهر الطبيعية ، كما وجدت معبودات عدة في كل قبيلة كان بعضها تماثلاً مع بعض هذه الظواهر ، بينما كان بعضها الآخر على ما يظهر هم بعض الأجداد الموهبين أو بعض الأبطال الوطنيين . (١)

وقد كانت النار من ضمن المعبودات التي قدمت إليها القرابين " من خبز وأعشاب وخمر" (٢) وأقيمت لها الاحتفالات ، كما عبدت الشمس ، كذلك عبدت بقية الكواكب . ، وإضافة إلى ذلك تماثيل نسائية غير متقنة وهي طرية تماماً لا تلبس إلا بعض أدوات الزينة ، وهي على الأرجح تماثيل للآلهة الأم التي كانت مرتبطة بعقائد الإخصاب . (٣)

وهذه العبادة كانت (تعنى عناية كبرى بعبادة عضو التناسل وعلى طقوس من أنواع مختلفة من أجل الإخصاب) . (٤)

كما عبدت (حيوانات مخيفة كتنين مفع أو وحش هائل وكانوا يعتقدون أن هناك عالماً آخر وهو عالم الأموات ، وأن الأختيار إذا ماتوا وقد رضيت عنهم آلهتهم تمنح أرواحهم معرفة الغيب وقدرة على التأثير في الكون والمشاركة في تصرفه وتدبيره بمجرد مغادرتهم الأجسام وقد استمرت تلك الديانة هي السائدة في الهند حتى جاءت ديانة الفاتحين) . (٥)

-
- ١ - شجرة الحضارة : رالف لنتون ١٨٣ / ٣ . ت : د . أحمد فخري مطبعة مصر ١٩٦١
 - ٢ - الديانات القديمة ، أبو زهرة ، ٢٢ - ٢٣ دار الفكر العربي .
 - ٣ - شجرة الحضارة ١٤٥ / ٣ - ١٤٧
 - ٤ - المصدر السابق . وانظر : "ماذا حدث في التاريخ" ، جوردن شايلد . ت . جورج جواد ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بمصر ، ١٩٤٢ م
 - وقد تلقى الآريون هذه الديانة عن الدرافيديين وكان يرمز بفرج الذكر والاشتى لانهما علامة الحياة والخصوبة وفق عقيدتهم وطقاء الناس بالرضا . . . ولا تزال هذه السعقيدة قائمة حتى الآن (: الهند حضاراتها ودياناتها ، محمد اسماعيل الندوى ص ٤
 - ٥ - الديانات القديمة ، أبو زهرة ص ٢٢ - ٢٣

كما كان الشعبان من ضمن تلك المعبودات التي حظيت باهتمامهم. وكذلك كل الحيوانات المؤنثة، كما تغشت فيهم عبادة جنس الهواة (١)

لقد خفيت هذه المعبودات على كثير من علماء العصر الحديث، إذ وجدوا في بداية الأمر صعوبة في التوصل إلى إكتشافها وحل رموزها وسبر غورها، ويعترف البعض منهم بأن المعلومات الدينية كانت محدودة جداً (٢)

وعلى الرغم من الاكتشافات الاثرية التي عثر عليها العلماء والتي استطاعت اجلاء بعض الفموض الذي اكتنف هذه الديانة، إلا أنه من المتعذر الكشف عن كيفية إقامة الطقوس التعبدية والنسكية التي مارسها الافراد بشكل خاص وبالنسبة فإنه من الصعب التوصل إلى معرفة ما إذا كانت الرهينة شائعة إبان تلك العصور وعلى النحو الذي ظهر فيما بعد .

(٣)
إلا أن بعض العلماء رغم ذلك يشير إلى وجود نوع من حالات الترهيب والتنسك وقد تتطلب من الفرد في ذلك الوقت (القيام بأعمال قاسية شديدة، يحمل في ثناياها التحدي ضد القوى التي فوق الطبيعة، وكان الناس يصوم في الواقع تحدياً للمعبودات لأن ذلك يزيد من قواه الروحانية، وفي أسطورة من أقدم الأساطير نقرأ عن ناسك استطاع أن يقوم بالكثير من كفارات التوبة حتى أصبح له من القوة ما جعله يجبر المعبودات على طاعته وعند ما تقدمت الآراء الخاصة بوحدة الوجود أي وحدة الله في الكائنات تضاعفت هذه الفكرة (٤) .

١ - راجع : حضارات المسند ، غوستاف لوبون ، ص ٦١٥

٢ - راجع : تاريخ الحضارات العام : ٥٥٧/١ ، وتجدر الإشارة إلى أن (تاريخ الهند قبل عام ١٨٠٠ ق م) كان مجهولاً تماماً حتى أوائل القرن العشرين الميلادي ثم بدأت الحفريات في السند على شواطئ نهر الهند في عام ١٩٢٢ م :-
الهند، حضاراتها، ود يانتها، ص ٢١

٣ - من الآثار المكتشفة في المدن الثلاث ما يتعلق بالرهينة الهندية القديمة وهو وجود تمثال لاله الهنود الدرافيديين " سيفا " الذي عبد من قبل الأريين أيضاً وله ثلاثة وجوه ويوصف بأنه إله وحوش الغابات وأمير النساك والرهيبان (: الهند حضاراتها ود يانتها، ص ٤٥

٤ - شجرة الحضارة ٢/٧٥ - ١٧٦

وطيه فانه لم يكن امام العلماء* المزيد من المعلومات للكشف عن نوعية الرهبنة القديمة ، ولهذا نرى أن التوسع في هذا الشأن لا فائدة منه .

وهكذا تكمن الصعوبة في التعرف على خفايا الديانة الدرافيدية التي اعتنقها السكان الأصليون قبيل الغزو الآري^(١) للهند ، إلا أن البحث معني بهذا الغزو وما رافقه من تطور في الديانة الهندية التي تبناها هؤلاء* وأضافوا اليها معارفهم وطوبىهم الدينية ، وسوف نرى كذلك كيف تطورت الرهبنة على أيديهم .

ب - الغزاة الآريون ، وآثارهم في الهند :

يختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً حول هوية الآريين فمنهم من نسبهم إلى بلاد التركستان ، والبعض ذكر أنهم هبطوا الهند من السهوب الآوراسية^(٢) ، والآخر ذكر أنهم جاؤوا من روسيا^(٣) .

ويؤكد البعض أن هؤلاء* القوم هم أبنا* عم الآوريين* وقد أسهب المؤرخون في وصف هؤلاء* الغزاة ، فتعرضوا لأحوالهم وأسمائهم ولغاتهم وعقائد هم ومعبوداتهم ووصفوا المعاناة الكثيرة والآلام التي تعرض لها السكان الأصليون (أي الدرافيديين) على أيدي هؤلاء* الغزاة ، ومدى التثكيل الذي لحق بهم .

١ - معنى الآري : سميت الأمة الهندية الآوربية بعد نزوحها إلى الهند بالأمة الآرية ، فكلمة آري : (ARYAN) تطلق على الشرقا* . . . وهذا يدل على أنهم اعتبروا أنفسهم منذ قدومهم إلى هذه المناطق الآسيوية بالشرقا* والسكان الأصليين فيها بالآراندل وعلى هذا الأصل اشتق اسم إيران . . . وهذا يكون الآريون قد اعتبروا أنفسهم سادة البلاد والآخرين خدما وعبيداً) . : الهند ، حضاراتها وديانتها ص ٦٣

٢ - أديان الهندى الكبرى ، د . أحمد شلبي ص ٢٢-٢٣ ، مكتبة النهضة المصرية ط ٤ ، ١٩٧٦ ، وانظر: الديانات القديمة ، لابي زهرة ص ٢١-٢٢

٣ - تاريخ البشرية ، أرنولد توينبي ١٤٧/١

٤ - تاريخ الحضارات العام : ٥٥٠/١

٥ - قصة الحضارة : ١/٣ : ١٥

والذى يعنى البحث من هذا كله هو أن الشعوب الهندية القديمة قد (اند مجت
في الشعوب الغازية الجديدة ، والتي لم تكن تعرف من المدنية شيئا بل كانت قبائل
بربرية . (١)

المعبودات الارية

لقد حل الآريون معهم بعض المعبودات وطقوس العبادات الخاصة بهم
والتي مارسوها قبل غزوهم للهند إلا أن الأمر الذى يبعث على التعجب هو إنحسار تلك
العبادات بعد مدة من الغزولتبرز من جديد عبادات الدرافيد بين المغلوبين على أمرهم ،
وسرعان ما تشكلت من كلتا الديانتين ديانة جديدة منبعثة من أصول العقائد الارية
ومن التعاليم الدرافيدية .

وعلى الرغم من هذا الاندماج العقدي بين الفئتين إلا أن الأمر اختلف
اختلافاً كبيراً على الصعيد الإجتماعي ، إذ ما لبث أن تحول الغزاة الآريون إلى وحوش
كاسرة في وجه السكان الأصليين وعلوا على إبادتهم ونكلاوآبهم ، تما كما فعل الغرب
الاوروبي بالهنود الحمر في أمريكا إبان العصر الحديث .

وحيث إن أعداد السكان الأصليين كانت تفوق أعداد الغزاة فقد كان من الصعب
إستئصال تلك الشعوب من جذورها . (٢) ولكي يحافظ الآريون على جذورهم وجنسهم
من الاختلاط بغيرهم فقد فرضوا نظاماً قاسياً تمثل بمجتمع الطبقات الذى - بفضل -
استمرت سيطرة الآريين على مقدرات البلاد واخضاع العباد لاقسى انواع القهر والظلم
والاستبداد . (٤)

١ - تاريخ البشرية : ١٤٦/١

٢ - راجع : الديانات القديمة لابي زهرة ص ٢٢-٢٣ ، والهند ، حضاراتها ودياناتها
ص ٦٥

٣ - لم يكن الآريون الوحيدون الذين قدموا إلى الهند فقد دخلها من الشرق شعوب
صفراء سموها بالتورانيين الذين دخلوا أفواجا ، منذ آلاف السنين " وبالتقاء الآريين
والتورانيين (أو : التورانيين) مع السكان الأصليين بدأت الطبقات في الهند تصبح ذات
أهمية كبرى في تاريخ هذه البلاد فمن الآريين كانت طبقة رجال الدين البراهمة
(BRAHMAN) وطبقة المحاربين (كشتاريا KASTARIA) ومن التورانيين تكونت طبقة
التجار والصناع (و VAISUYA) أما الهنود الذين اتصلوا بالتورانيين فلم يدخلوا
التقسيم في أول الأمر ولكن الحضارة الارية امتدت إلى بعضهم بسرور الزمن فأوجد
الآريون منهم الطبقة الرابعة وجعلوها طبقة الخدم والعبيد (شودرا Sudra)
أما السكان الأصليون لأنهم انعزلوا عن الغاتحين فقد بقوا بعيدين عن التقسيم وظلوا
طريدي المجتمع أو منبوذين (outcastes) : اديان الهند الكبرى ص ٢٥

٤ - راجع : شجرة الحضارة ٣ : ١٥٢/

وعلى الرغم من هذا كله ، فقد تسك الشعب بمعتقداته واستطاع ان ينفذ بها الى عقول مفتصبيه وغزاته رغم العنت الذى لاقاه على ايديهم .

وقد عرفت اللغة السنسكريتية بانها لغة الغزاة والتي تألفت منها كتب الفيدا فيما بعد^(٢) . وليس هناك تحديد دقيق لتاريخ قدوم الاربيين لغزو الهند انما هناك مؤشرات تدل على انهم دخلوا مقاطعاتها الشمالية الغربية بين عامي ١٦٠٠ و ٨٠٠ ق م^(٣) . بينما يرى البعض^(٤) انه تم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

وقد استطاع الاربيون توحيد قبا ملهم في منطقة البنجاب وكونوا احزابا ثم اتحدوا واسسوا ممالك^(٥) لهم .

واضاف الاربيون الى عقائدهم المكتسبة من غيرهم كثيرا من الجادى* الدينية وسها (تحولوا من الحرب الى التصوف الديني ، وأحدثوا تلك المجموعات من الالهة وتلك النظريات التي قامت عليها جميع نظم الفلسفة الهندية التي ظهرت فيما بعد كما تطور مفهوم الرهينة لديهم تطورا كبيرا . ، ومن مجموع نظمهم أصبحوا اسلافا لاظم المجموعات الثلاث (اى الطبقات الاولى) التي تحتل ارفع مكانة في هذا التقسيم الطبقي كما انتشرت لغتهم في معظم انحاء الهند)^(٦) .

١ - " اللغة السنسكريتية هي اللغة الاصلية للاربيين والتي تكلموا بها قبل غزوهم للهند وبعد هو هي من اللغات الاوروبية التي سميت بمجموعة " سنتوم (Centum) التي تنسب اليها اللاتينية الاغريقية والكيلتية (CECElee) والتوتونية (teutonia) والالمانية والسلافونية (Slavemim) انظر الهند حضاراتها ودياناتها ص ٦٣ اما غوستاف لوبون فانه يذهب الى ان ذلك كان فيما مضى اما الان فان السنسكريتية واللغات الاخرى هي اخوات اشتقت من لغة مشتركة ضائعة في الوقت الحاضر . حضارات الهند ص ٤٧٨ .

٢ - تاريخ البشرية : ١٤٧/١

٣ - تاريخ الحضارات العام : ٥٥٢/١

٤ - الاسفار المقدسة قبل الاسلام . على عبد الواحد وافي ص ١٥١ ط ١٩٧١

٥ - تاريخ الحضارات العام : ٥٥٣/١ ٦ - شجرة الحضارة ١٥٢/٣

و يرى الشهرستاني ان بعض علوم الهند الدينية مشتقة من تعاليم الفلاسفة اليونان وكان لفيثاغورس أثر في هذه العلوم (الطل والنحل للشهرستاني ١٩٩/٥ - ٢٠٠)

لقد ساعد التراث الهندي العلماء في الكشف عن خفايا العقائد الهندية ،
الا ان المعضلة التي كانت تقف عقبة كاداً في طريقهم هي تحديد زمن كتابة هذا
التراث فضلاً عن موثوقية الكتب الدينية التي اعتبروها مقدسة .

وتجدر الإشارة إلى أن كتب الآريين التي جاؤوا بها إلى الهند أضيف
إليها كثير من العقائد الدرافيدية القديمة .

وبالانتقال إلى مضمون هذه العقائد نرى كثيراً من أوجه الشبه بين معتقدات
الطرفين ، فهناك عبادة الظواهر الطبيعية ، والافلاك ، والنجوم^(١) كما قدست أنواع كثيرة
من الحيوانات كالبقرة التي لا زالت تعبد إلى اليوم .

(كما كانت هناك عبادات طوطمية وهي عبادة روحانية لا رواح كثيرة تسكن
الصخور ، والحيوان ، والأشجار ، ومجاري الماء ، والجبال ، والنجوم ، وكانت الشعابيين
والافاعي مقدسات إذ كانت الهة تعبد ومثلاً طياً تتشد في قواها الجنسية العارسة^(٢) .
وقد تعددت الهة الآريين تعدداً يفوق كل وصف فكل ما هو قريب من
الإنسان ، وكل ما يخشى منه أو يحب إليه يصبح آلهة بحضي الزمن حتى أن عدد هذه
الالهة وصل إلى ثلاثين مليوناً^(٣) .

١ - راجع في هذا الصدد : موسوعة التاريخ الاسلامي ، د . عبد الله بشر الطرازي
٣١٨-٣١٩ و ١٦٠-١٦٣ / ٣ ، عالم المعرفة ، جدة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م
وتاريخ الاسلام في الهند ، عبد المنعم النمر ، ص ٢٦-٢٧ ، دار العهد الجديد للطباعة
مصر ، ط ١ ، ١٣٧٨-١٩٥٩ م .

٢ - قصة الحضارة : ١ / ٣ : ٣٠ .

٣ - المصدر السابق ١ / ٣ : ٢٠٧ وهذا ما جعل غوستاف لوبون يقول (... وعلى
الباحث ألا يجهد نفسه في البحث عن هندوسى يفترض أنهم استطاعوا ممارسة دين
بلا آلهة . فكيف تجد هندوسياً لا يعبد آلهة والعالم عنده زأخر بها ، فالهندوسى يصلى للنمر
الذى يفترس العامة وجسر الخط الحديدى الذى يصنعه الاوروبى ، والاوروبى نفسه عند
الاقتضاء) حضارات الهند ص ٣٦٨

(١)
وقد أطلق على الديانة الآرية فيما بعد اسم " البرهمية " ثم أطلق عليها اسم
" الهندوسية " . (٢)

- ١ - نسبة الى " البرهمن " و " البراهما " ولهما مدلولات خاصة في اللغة الآرية الأولى . إن أطلقت كلمة " برهمن " على العبادة والصلاة في البداية ، ثم على كهنوت معين ، وأخيرا على سيد الالهة ، والمطلق (واسمه البراهمانان) على كتب الفيدا الأربعة ، وأخيرا على الطائفة المفضلة لدى الهندوس) . : الهند القديمة ، حضاراتها ودياناتها ص ٨٩ .
- ويرى البعض أن : (هذا الاسم أطلق ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة الى براهما (*BRAHMA*) وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة ، حسب اعتقادهم ، والتي تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وانشاد الاناشيد وتقديس القرابين ، ومن براهما اشتقت الكلمة " البراهمة " لتكون طما على رجال الديسن الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الالهي . وهم لهذا كانوا كهنة الأمة لا تجوز الذبائح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم) راجع : أديان الهند الكبرى ص ٣٩ ، ويرى الشهرستاني أن " البراهمة " انتسبوا الى رجل منهم يقال له " برهسام " قد مهد لهم نفي النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك في العقول (راجع : الطل والنحل ١٢٥/٥ . وقد استدر ك الدكتور وافي على الشهرستاني ذلك وقال : وهي منسوبة للاله " براهما " (*BRAHMA*) وهو عند معتقي هذه الديانة اسم للاله الخالق ولاصحة لما ذكره الشهرستاني في الطل والنحل من انها تنسب الى رجل عظيم منهم يقال له برهام . .) الاسفار المقدسة قبل الاسلام ، ص ١٥١
- وفي رأيي أنه لا تعارض بين الشهرستاني والدكتور وافي لان الديانات الوضعية وضها الهندوسية قد اتخذت الهتها وأصنامها ومعبوداتها اتباعا لتقليد الآباء والأجداد الذين وجدوا في مصالحهم وزعماهم ومرشديهم قدوة ومثالا يحتذى ومع تطاول العهود عليهم اتخذوا لهؤلاء أصناما تعبد من دون الله ، وطيه فان ما ذهب اليه الشهرستاني صحيح من وجه فالبيروني حينما تحدث عن عبادة الاصنام وكيفية اتخاذ المنصوبات قال : فمن وقتئذ تعمل الاصنام بعضها ذوات اربع ايد كما وصفنا وبعضها ذوات يدين بحسب القصة والصفة وبحسب صاحب الصورة وأخبروا أيضا بأن لبراهم ابن يسمى " ناز " لم تكن له همة غير رؤية الرب وكان من رسمه في ترده اسماك عظامه) تحقيق ط للهند ص ٨٨ طما بانه قد بدأ حديثه عن كيفية اتخاذ عبادة الاصنام عبر المعصور عند الامم السالفة كالروم واليهود والنصارى وما كان يعتقد في الهندوس في هذا الصدد انظر ص ٨٤) من المرجع السابق .
- ٢ - أطلقت هذه الكلمة على الديانة " البرهمية " الجديدة . وأول ما ظهرت هذه التسمية في القرون الأولى بعد المسيح . : حضارات الهند ص ٦٠٠

الفصل الأول

المعتقد الهندوسية ذات الصلة بالرهينة ونقدها :

بالرجوع الى عقائد الديانة الهندوسية ، نجد انها تتسم بالأبهام وشدة الغموض^(١) ، كما يرى الباحث فيها عجا من كثرة التعدد كما أسلفنا سابقا. وقد ظل بعض العلماء هذه الظاهرة بان لدى الهندي اعتقاداً بان الحواس البشرية لا ترى من الحوادث التي تدركها سوى ظواهرها ، ويعتقد أن وراء هذه الظواهر كائنات روحية لا حصر لعدد ها ، يمكن ادراكها بالعقل لا بالحواس ولقد ادعى تسامح البراهمة والمسيحية الفلسفية الى الزيادة من ذخيرة آلهتهم حتى ازدادت كثرة على كثرة ، ذلك أن الآلهة المحليين والهة القبائل المختلفة قد صادفت عند الهندي سهلاً ومرحباً فتقبلها وفسرها بأنها جميعاً تصور جوانب من الالهة الاصلية^(٢) .

اولاً : تعدد الالهة - والتثليث :

أن تعدد الآلهة الهائل ، أربك البراهمة وأوقعهم في حيرة وذلك نتيجة التخييل في معرفة الحقيقة والتوجه نحوها . ولهذا نرى بضحي الأزمنة أن العقل الهندي بدأ يشعر بالطل من هذه الكثرة ، وقد أخذ تدريجياً يتحول عنها ويحصرها في ثلاثة :

(١) :- براهما -

وقد اعتبر "الاله الخالق ، مانح الحياة ، والقوى ، الذي صدرت عنه جميع الاشياء" ، والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الاحياء ، وينسبون اليه الشمس التي بها يكون الدف ، وانتعاش الاجسام وتجري الحياة في الحيوان والنبات ، ومن الأساطير التي حيكت حوله (أن براهما كان قبل الوجود في فضاء لا نهاية له ، فرغب أن يكون كثيراً ، فخلق العالم بقوة إرادته وبفيض من ذاته (نظرية وحدة الوجود) وسمى نفسه الخالق ، ثم انبثق منه الاله المدمر ، وهو الاله سيف الموكل بالخراب والفناء ، فلا يسذر من شيء أتى عليه الا جعله كالريم ، ولو ترك هذا الاله وشأنه لفنيت السموات والارض ومن فيهن . ولهذا انبثق من براهما الاله ثالث حافظ مجدد وهو الاله فيشنو^(٣) (Vichnou)

١ - راجع حضارات الهند ، ص ٢٨٠

٢ - قصة الحضارة : ١/٣ : ٢٠٩

٣ - الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للإسلام ١٨٥-١٨٦

وللمزيد يراجع : مجلة ثقافة الهند المجلد الرابع مارس سنة ١٩٥٣ العدد الاول

٢ : سيفا

وهو عند هم الإله المخرب المني الذي تصفر به الاوراق الخضراء، ويأتي بالهرم بعد الشباب . . . وينسبون إليه النار لأنها عنصر مدمر مخرب إن تأجج لا يبقى ولا يذر .

ولسيفاً هذا عبادات خاصة به ان يقوم الشيوافيون (نسبة اليه) باقذر عبادة عرفها البشر ، (فقد اخترع بيسوا لهوا* في القرن الثاني عشر هذه العبادة وفادها أن هو* لا زينوا معابد هم بتماثيل أعضاء التناسل للذكر والانثى حتى أنهم حطوا صوراً من ذهب وفضة تمثلهما فيقبلونهما بين حين وحين مهلين لهما ، وقد سميت هذه العبادة باسم زوجة سيفا وهي "كالي" ، ولا تجد عبادة أدت إلى مناظر مخالفة للذوق والأدب كعبادة كالي الهائلة . . . وفي سبيل تمجيد هذه الالهة امتزجت الدعارة بالقسوة فأريقن على مذابح معابد هادما* الضحايا البشرية . . .

وقد ابطلت هذه الضحايا في الزمن الأخير إلى الأبد لدى الأهالي البراهمة ولا يزال يرى في معابد هادما من الفحشاء والمنكر من الدعارة ما يستحيل وصفه . . . (١) .

كما تسمى هذه العبادة باسم " اللنجا " يقول غاندي عنها (جاءنا اضيافنا الغربيون اخر الامر يفتحون اعيننا لجوانب الفحش التي في طقوسنا بعد ان كننا نارسها حتى عهدهم ممارسة بريئة ، لقد عرفت لأول مرة أن "سيفا لجام " (نسبة إلى سيفا) ترمز إلى الفاحشة من كتاب لبشر سيهي (٢) . . .

وتباع إلى الآن تماثيل صغيرة ترمز إلى عضى التناسل عند الرجل والمرأة ، في الاسواق الهندية ، دون أى وازع من أدب أو أخلاق .

٣ : فيشنو

يعتقد الهندوس ان هذا الأخير (حل في المخلوقات ليقى العالم من الفناء التام) (٣)

ويرى البعض ان فيشنو هو الهه الدرافيديين الذين استطاعوا ادخاله ضمن المعبودات الآرية وان نظرية التجسد في هذا الهه ترجع اليهم وعن طريقهم دخلت هذه العقيدة . . . وانتقلت فيما بعد إلى اليونان عبر التقاء الحضارتين في عهد الاسكندر ومنهم إلى الرومان ومن ثم إلى المسيحيين (٤) .

- ١ - حضارات الهند ، ص ٦٠٣-٦٠٥ وقارن مع قصة الحضارة ١/٣ : ٢٢٢
- ٢ - المصدر السابق ١/٣ : ٢٢٤ وقارن مع المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٨
- ٣ - الديانات القديمة : ٢٧ - ٢٨
- ٤ - الهند ، حضاراتها ودياناتها ص ٩٣

والى جانب هذه الالهة هناك الهة صغرى ، وقد اختلفت عن بعضها وتعددت (١) ، وتكونت منها درجات .

ووسط هذا التعدد هناك ازمة مرت على الهند شهدت خلالها ميلالى التوحيد (٢) ، الا ان هذا التوحيد مشوب بالتثليث ، فقد زعم البراهمة ان الالهة الثلاثة براهيم وسيفا وفيشنو هي اقانيم ثلاثة لاله واحد ، والاله للواحد هو الروح الاعظم واسمه بلغتهم (آتما) (٣) .

ولا بد من القول : ان هذه المقولة قد فتحت بابا امام المسيحيين ، فيما يسمى بـ " تثليث في وحدة ووحدة في تثليث " (٤) .

وهنا ينبغي التنويه بأن مبدأ التوحيد الهندوسي مخالف تماما لمقيدة التوحيد الاسلامية ، لان التوحيد الكامل هو التوحيد (في العبادة والخلق والاعتقاد . وهو ما يعبر عنه بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الاسماء والصفات ، وتوحيد الالهية . فتوحيد الربوبية : هو الاقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه ، وانه المحيى المميت النافع الضار المتفرد باجابة الدعاء عند الاضطرار

- اما توحيد الاسماء والصفات ، فهو الاقرار بان الله بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وانه الحي القيوم الذى لا تاخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة . . .

- اما توحيد الالهية : فهو مبني على إخلاص التأله لله تعالى ، من المحبة والخوف والرجاء والتوكل ، والرغبة والرغبة ، والدعاء لله وحده ومبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له . (٥)

١ - تاريخ الحضارات العام : ٥٧٠ / ١ والديانات القديمة : ٢٨

٢ - اديان الهند الكبرى : ٤٧

٣ - الديانات القديمة : ٢٨

٤ - اديان الهند الكبرى : ٤٨

٥ - تيسيسر العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن

محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الرابعة ١٤٠٠ ، المكتب الاسلامي

بيروت .

فالتوحيد الاسلامي بعيد كل البعد عما يدعيه البراهمة وذلك لان الديانة الهندوسية متقلبة ومتطورة في عقائدها فمن هذا التطوران هذه الديانة رغم احتوائها على مبدأ التثليث فقد اكتشف العلماء وجود عقيدة الحلول والصلب والغدا ، فقد ادعوا ان احدى الهتهم قد حلت في رجل يدعى كرشنا ، والعجيب ان اساطير كرشنا التي تتحدث عن ولادته العجيبة وسيرة حياته وقدراته الهائلة مماثلة تماما لما تدعيه المسيحية في المسيح (عليه السلام) ويرى بعض العلماء تطابقا يكاد يكون تاما بين ما جاءت به الكتب الهندوسية عن كرشنا وما قد تنسبه المسيحية من كتب عن المسيح (١) .

والأمر المتعلق بموضوع الرهينة ينحصر باله الخراب والد ما عند هم اي " سيفا " والذي وصف بانه أمير النساك والرهبان ، ما يعطي انطباعا اكيدا بان الرهبان والنساك هم الذين اخترعوا هذه العقائد ، واحاطوها بالاساطير والخرافات التي ظلت الى يومنا هذا .

١ - راجع : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ص ٣٦ وما

بعدها ١٨ / ربيع الثاني / ١٣٣٠ هـ بيروت .

وقارن مع : الديانات القديمة ص ٢٨ - ٢٩

ثانيا : الكارما

من ضمن العقائد المتصلة بالرهينة الهندوسية ما يسمى بـ (قانون الجزاء) ويطلق عليه اسم (الكارما) وهو يندرج تحت سلسلة الآراء المعقدة التي تكتنف الديانة الهندوسية .

وهذا القانون ينادي بأن (الانسان يحصد ما يبذر) فللفرد - حسب اعتقادهم - (في تاريخه الروحي حرمة الداخلية الكاملة) (٣) . فما (يعطيه الانسان الآن يجلب ما سيعطيه في المستقبل) وما سيعطيه في ذلك المستقبل سيخلق المستقبل الذي يليه وهكذا باستمرار (٤) . وعلى ذلك فقد نص الهندوس على أن هذا الجزاء يكون في الدنيا (٥) .

(فالحياة لا يمكن فهمها الا على افتراض ان كل مرحلة من مراحل وجود النفس تعاني العذاب او تتمتع بالشواب جزاء وفقا لما وقع من النفس في حياة ماضية - من رذيلة أو فضيلة ان يستحيل على فعل صغير أو كبير خيرا (كان) أو شرا أن يمضي بغير أثر ، إن كل شيء لا بد له من أثر يظهر ذات يوم) (٦) .

إلا أن الهندوس لم وقعوا في حيرة من أمرهم نتيجة تبنيهم لهذه الفكرة التي لم توجد لهم حلا لبعض الاسئلة التي اعترضتهم ومنها ما لاحظوه (من واقع الحياة) (حيث) إن الجزاء قد لا يقع ، فالظالم قد ينتهي دون ان يقتص منه والمحسن قد ينتهي دون أن يحسن اليه ، ولذلك لجأوا الى القول بتناسخ الارواح (٧) .

وعليه فان الكارما (ترتبط ارتباطا مباشرا بالتناسخ الذي لا يمكن فهمه دونها) (٨) .

ولهذا القانون شق آخر . . (فالروح) بعد (موت جسد ها يجوز أن ترسل الى الجنة لتتعمم بجزاء سريع عبر فضيلة بذاتها ، لكن يستحيل على روح أن تقيم في الجحيم ، وقليل من الارواح هي التي يسمح لها بالاقامة في الجنة الى الابد ذلك لأن الروح لا بد لها بعد فترة تقضيها في الجنة أو الجحيم أن تعود الى الأرض من جديد تنفذ بحياة جديدة - ما يقضي به عليها - كارما) (٩) .

-
- ١ - انظر حول هذا التعقيد : تاريخ الحضارات العام ٥٦٨/١ ، الفكر الفلسفي الهندي ، د . سرفبالي رادا كرشنا ص ١٢ - ت : ندرة اليازجي ، دار البقطة العربية .
 - ٢ - : أدريان العالم : حبيب سعيد ص ٧٩ ، دار التأليف والنشر : القاهرة
 - ٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٣ .
 - ٤ - الفلسفات الهندية . د . علي زيعور ص ١٣٢ دار الاندلس ، ط ١ : ١٩٨٠
 - ٥ - أدريان الهند الكبرى ص ٦٢ ٦ - قصة الحضارة ١/٣ : ٢١٥-٢١٦
 - ٧ - أدريان الهند الكبرى ص ٦٢ ٨ - الفلسفات الهندية ص ١٣٢
 - ٩ - قصة الحضارة ١/٣ : ٢١٥-٢١٦

نقد قانون " الكارما " :

ان هذا القانون فضلا عن كونه من صنع الكهنة والرهبان الهنـدوس . لا يستند الى أي نص شرعي موثـق برسالة من عند الله ، بل وضع تكريسا لنظام الطبقات وقسـد أريد من ورائه (تقييد الكائن الحي بعظه) (١) فعلى كل فرد من الطبقات الدنيا البقاء ضمن دائرته التي وضعت له والا عوقب .

وهذا القانون مفروض على كل انسان يدين بالبرهمية . وله آثار خطيرة ، ولم يلجأ الهندوس اليه الا بعد شعورهم بحرج الاسئلة الموجهة اليهم ، وعليه فان هذا المبدأ كان مشوشا في عقول أصحابه ، لذا فقد التمسوا الحلول من عقائد أخرى . وفكرة الجزاء والعقاب ضرورية للانسان . ولكن لا على النحو الذي ذهبت اليه الهندوسية ، التي قصرت على الحياة الدنيا ، ورقعته بفكرة التناسخ خروجا من التورط . وفي المقابل فان أسس تفسير واقعي وعطي لقانون الجزاء والعقاب نجده في مبادئ

الاسلام الحنيف الذي كفل للبشرية اقامة نظام متكامل قائم على الحق والعدل ، لا يضيع فيه جزاء فرد ، ولا تهدر فيه كرامة مجتمع . فمن الركائز الأساسية لهذا المبدأ ما جاء في قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الزلزلة : ٧-٨ وقوله تعالى (من على صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ريك بظلام للعبيد) فصلت : ٦٤ وقوله (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيفة فلا يجزى الذين عطا السيئات الا ما كانوا يعطون) القصص : ٨٤ ، وهذه هي القاعدة التي تحكم قانون الجزاء والعقاب في الشريعة الاسلامية ، وعليه فان الجزاء فضلا عن كونه أمرا واقعا في الآخرة فهو في الدنيا أيضا حياة طيبة جزاء من الله تعالى للعبد الصالح لقا تقواه وخشيته من ربه فمن ذلك : التوسعة عليه في الرزق ، واصلاح الذرية ، وإطالة العمر ، والحفظ من الاخطار . أما أثره في المجتمع : فيكون بالنصر على العدو وتارة ، أو التقدم والترقي في نظم الحضارة ، وذلك وفق سنن الله تعالى في الخلق والكون .

أما الجزاء الآخروي : ففيه النعيم المقيم . حيث : (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (٣) وفي ذلك يقول تعالى (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السما والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) الحديد : ٢١ أما العقوبة فهي منصوص عليها في كتب الفقه الاسلامي تحت باب الحدود ، وفق ما قرره الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، . هذا في الدنيا . أما في الآخرة فان الله تعالى يحاسب الناس جزاء ما اقترفته أيديهم (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) الشعراء : ٨٨ ، فالكافرون لهم عذاب شديد يوم القيامة (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافريا ليتني كنت ترابا) النبأ : ٤٠ - (وأما من أوتى كتابه وراظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا) الانشاق : ١٠-١٢ . وهكذا يعيش الانسان في الاسلام واقعا متمسكا بعيدا عن جنوح الخيال ، واختراع الوسائل للسيطرة على بني البشر .

١ - راجع : شري ايشوبانيشاد ص ٢٠ ٢ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٣
٣ - صحيح البخاري ٨٦/٤ ط ، استانبول ٤ - للمزيد يراجع : بحث " نظرية العقوبة في الاسلام " لابي زهرة ، كتاب المؤتمر الرابع " بحوث في الفقه والمجتمع " ص ١٣٦ ، القاهرة ١٣٨٨ هـ - وكذلك دستور الاخلاق في القرآن . د . محمد عبد الله راز ص ٢٤٣ وما بعدها ط ١ - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ت : د . عبد الصبور شاهين . مؤسسة الرسالة ، دارالبحوث العلمية .

ثالثا : تناسخ الارواح

- التناسخ هو عبارة عن (تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من جسمه من غير تدخل زمان بين المتعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد) (١)
وهذا الجسد متصل اتصالا مباشرا بما قبله ، وقد اعتبره بعض العلماء هو والكارما سواء (٢)
فالكارما هو جزاء النفس على ما قدمت عبر الولادات المتكررة وهي التي تتحكم بصير الانسان ، كما اسلفنا .

اما التناسخ فانه تكرر الولادات وتعاقبها وانتقال النفس من جسم الى اخر " سواء كان من الانسان ام من الحيوان " .
(" سبب التناسخ او تكرر المولد هو :

اولا : ان الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها اهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد .

ثانيا : انها خرجت من الجسم وطبها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لا يسد من ادائها فلا مناص اذا من أن تستوفي شهواتها في حيوانات أخرى وأن تتذوق الروح طراعتها التي قامت بها في حياتها السابقة (٣)

إن الأصل الذي بنيت عليه عقيدة تناسخ الأرواح يستند الى كتب الهندوس المقدسة والتي يرجعها الفلاسفة الهنود (الى عصر الملاحم وقد اشتقت هذه الفكرة من القصصتين الحساسيتين " رامينا ، وسهابهارتا " .

وقد تضمنت هذه الأخيرة طحمة (بهاجفاد جيتا) التي اعتبرت مؤلفا دينيا أكثر ما هي مقالة فلسفية ، ولم يكتبها نفر أو مدرسة مفكرين كمنهج فلسفي بسل كاستورة تنبعث من حياة الانسان الدينية (٤)

ويذهب بعض العلماء الى أبعد من ذلك موضحا ان هذا الجسد كان (ثمرة لجهود البراهمة حتى لا يخسروا معركة النفوس والسلطة ازايا العامة . . . فقالوا : ان النجاة لا تكون بالاضاحي وحدها ولا بالرياضات وحدها بل باندماج الروح الاصغر بروح المخلوقات " بالروح الاعظم " وهذا الاندماج لا يتم الا بالتناسخ (٥)

١ - التعريفات لابي الحسن علي بن محمد الجرجاني ، مادة التناسخ ، دار التونسية للنشر .

٢ - انظر الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للإسلام ص ١٥٨

٣ - اديان الهند الكبرى ص ٦٣ . وراجع مجلة ثقافة الهند العدد ٢ ، ١٩٥٠ ص ٤٢

٤ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٥١

٥ - أساسا كشعر المسلمة ص ٣٠-٣١

ولهذا فان البراهمة ارادوا وضع صيغ وطقوس بل واساطير من اجل ترسيخ هذه الافكار في عقول الناس عن طريق القصص الخرافية .

وقد اورد الشهرستاني اسطورة يستند اليها البراهمة في هذا الصدد فسمي ذلك قوله (اما تناسخية الهند فأشدد اعتقادا في ذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع على شجرة وهو أبداً كذلك فيبيض ويفرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخالبه فتبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويميل منه دهن فيجتمع في أصل الشجرة في مفارة ثم اذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق (اي خلق) من هذا الدهن طير فيطير ويقع على الشجرة وهو أبداً كذلك ، قالوا : فما مثل الدنيا وأهلها في الادوار والاكوار الا كذلك) (١)

ويوضح ابو الريحان البيروني أهمية هذه العقيدة لديهم فيقول (كما ان الشهادة بكلمة الاخلاص شعار ايمان المسلمين والتثليث علامة النصرانية والاسباب علامة اليهودية كذلك التناسخ علم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يكن منها ولم يعد من جطتها) (٢) .

ويربط الرهبان الهندوس هذه العقيدة بعباد الاخلاص ، الذي ليس مفهوم خطير لديهم ، وقد يؤدى الى الموت بعد تعذيب مريع للجسد ، فالانسان عند هم يجب ان (يكتل روحيا واخلاقيا قبل ان يحقق الخلاص) (وكما ان) العبد الهى قانون الحياة الاخلاقية تماما كما ان العلة والمعلول هما قانون العالم الطبيعي وما يزرعه الانسان اياه يحصد . وبما ان العبد الهى والكمال الاخلاقي والروحي لا تتحقق في حياة واحدة لذلك تؤمن هذه العقائد بالولادة الثانية حتى تعطى فرصة للانسان لكي يتقدم اخلاقيا ولكي ينال الكمال . . .) (٣)

ومن النصوص التي يستند اليها الهندوس في هذا الشأن ما يلي :

- (وما ان الروح تمر في هذا الجسد في الطفولة والشباب والشيخوخة هكذا تأخذ جسداً آخر ، ولا يضطرب الحكيم لهذا . . .

- (اطم ان كل ما يعلم في الاشياء لا يفنى ولا يدرك

- (من يعتقد ان هذا يذبح ومن يعتقد ان ذاك مذبح ، كلاهما يفشلان فسي ادراك الحقيقة ، هذا لا يذبح وذلك لا يذبح .

- (لا يولد أبداً ولا يموت أبداً ، وعند ما يوجد لا يتوقف عن الوجود انه غير مولود ابدى ، وازلى ، لا يذبح عند ما يذبح الجسد .

- (كما يلقي الانسان بشيابه الممزقة بعيدا ويلبس ثيابا جديدة ، هكذا تلقى الروح المتسجدة الاجساد وتلبس اجسادا جديدة) (٤)

١ - الطل والنحل ١٨١/٥ - ١٨٢ - ٢ - تحقيق ما للهند من مقولة في العقل

مقبولة او مردولة لابي الريحان البيروني ص ٣٨ دائرة المعارف العشمانية حيدرآباد الدكن ، الهند ١٣٧٢ - ١٩٥٨ م

٣ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٩ - ٢٠ ٤ - المصدر السابق ص ١٦٤

(١) وقد انتقلت هذه العقائد الى بعض من انتسبوا الى الاسلام ، وقد ظهر ذلك في فرق غلاة الشيعة (٢) ، وقد رد الامام ابن حزم على تلك الدعاوى ، وفند مزاعمهم ، وهي في معظمها لا تخرج عن الاراء الهندوسية .

وهو ابن الجوزي عن ابن نظيف (ان شيخ الامامية يعرف بابي بكر ابن الفلاس فحدثنا انه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بهذا هيب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور اسود وهو يمسحها ويحك بين هنيها ورأيتها وهيها تد مع كما جرت عادة السنانير بذلك وهو يبكي بكاء شديدا فقلت له لم تبكي فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها ، هذه أمي لا شك ، وإنما تبكي من رؤيتها إلي حيرة . قال : واخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلا قليلا فقلت له : فهي تفهم منك ما تخاطبها به فقال : نعم . . فقلت : أتفهم أنت صاحبها قال : لا . قلت : فأنت المنسوخ وهي الانسان (٤)

١ - لاحظ انتقال هذه العقيدة بين الامم في : دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية ، د . عرفان عبد الحميد هاشمى ٨١ مؤسسة الرسالة ١٤٠٤ ط١ وانظر كذلك كتاب : الاسلام ، سعيد حوى ١٢٧/٤ ، مؤسسة الرسالة بيروت ط١ ١٣٩٠ - ١٩٧٠

٢ - راجع في هذا الصدد : الطل والنحل ، للشهرستاني ١١٧/٢ وما بعدها مطبعة ومكتبة محمد طي صبيح ، القاهرة وكذلك : الفرق بين الفرق ، عبد القاهر البغدادي ص ٢٥٣ وما بعدها ، دار الافاق الجديدة بيروت ط٤ ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ م
٣ - راجع ردود الامام ابن حزم في : الفصل ١ / ٧١ وما بعدها .
٤ - هذه الرواية أسندها ابن الجوزي الى ابي الحسن طي بن نظيف المتكلم برواية عن محمد بن ابي طاهر البزار عن علي بن المحسن عن ابيه . .
وقد حكى ابن الجوزي ، مقالة الفراعنة عن التناسخ ، ثم تعرض لشرح مقولسة الهنود عنها . راجع : طبس ابليس ص ٨٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

- نقد عقيدة التناسخ :

وجسه الدكتور محمد ضياء الرحمن الاعظمي نقدا علميا الى هذه العقيدة باعتباره متخصصا ، في هذا المجال ، وذلك عندما ناقش الادلة العقلية التي اقامها العلماء الهنود للدلالة على صحة ما يعتقدون ، فاجاب على اربعة ادلة وناقشها ورد شبهها ، وسنورد دليلين كمثال على ذلك .

(الدليل الاول : ان طبيعة الكون تثبت نظرية التناسخ ، فالشمس والقمر والكواكب كل منها تطلع وتغرب ، تظهر وتختفي ، تكون الكواكب مرة في هذا البسرج ومرة في ذلك ، فكذلك الارواح المتحركة .

الجواب : لم تكن الشمس يوط من الايام قمرا ولا القمر شمسا ولا الكواكب بحرا ، بل كل في فلك يسبحون بأمر الخالق ، بخلاف ارواحكم ايها الهنود وس ، فهي مرة تكون في جسم الانسان ، ومرة في جسم الكلب ، ومرة في جسم الخنزير ، وهكذا ، فقارنوا بين طبيعة الكون وطبيعة الارواح

ومن جملة الادلة ايضا

الدليل الثالث : يقولون ان القول بعدم التناسخ يؤول الى تعطيل الارواح مع أنها أزلية .

الجواب : هذا الدليل مبني على اعتقادهم الفاسد وهو أزلية الروح والمادة لأنه يؤول الى احتياج الخالق الى الروح والمادة عند الخلق ، وهو غني عن كل شئ وقادر مطلق حتى في اعتقاد الهنود وس "سروشكتي مان" اي القادر المطلق (١) .

وما يمكن توجيهه من نقد لهذه العقيدة ايضا :

- ان هذه العقيدة تجعل الانسان يدور في حلقة مفرغة لا يعرف مبدؤها من منتهاها ، وهو ما يؤول الى الضياع .

- ان استمرار ادوار التناسخ والتقمص يؤول الى القول بازلية الآجال والنفوس ، وهو ما ينافي الشرع والعقل .

- ان في هذه العقيدة اقلالا من فرص التوبة امام المسيئين للرجوع عن اخطائهم ، لانها تنادي بحتمية الارتهاان للنتائج ، فهي عطية جبرية تلعب على الانسان حريته واراادته .

- انها دعوة لتشبيط الهمم وامانة روح التقدم . (٢)

ولهذا كله نرى التأخر في الهند يطفئ على مقومات الحياة .

المجلة الجامعة السلفية ، مقال بعنوان ، عقيدة

التناسخ او جولان الروح ، المجلد الرابع عشر العدد الاول ، يناير ١٩٨٢ ، ربيع الاول ١٤٠٢ ص ٦ وما بعدها . الهند ، بنارس

الناظر :- الاسلام ، سعيد حوى ١٢٨/٤ - ١٣١

رابعاً : الاتحاد - أو " الانطلاق "

يرتبط هذا السبداً ايضاً بما قبله ، فالكارما وتناسخ الارواح عقيدتان لازمتان للوصول الى الاتحاد . فالمرتقي في العبادة المتكشف عن الطغذات الحسية يعطي لنفسه في هذه الحالة مجالا للاتحاد والامتزاج ببراهما كما يدعون .

وذلك لان معنى (اكتطال السيول والشهوات هو توقفها ، وتغلب الانسان على نفسه بحيث لا يبقى له شهوات ولا ميلا . بل يقنع بما حصل عليه ولا يتطلب مزيداً . فاذا تم ذلك مع انقطاع عن الاعمال وعن علائق الدنيا وما فيها من ملان وعصيان تلك الشهوات التي تستلزم تكرار المولد . اذا تم ذلك . نجا من تكرار المولد وامتزج ببراهما (١) .

ومن النصوص التي يستند اليها الرهبان الهندوس للدلالة على هذه العقيدة ما يلي :

- (من يعرف المغزى الحقيقي للفيهدا ، مهما كان نوع نظامه . يصبح ملائماً لان يتحد مع براهما . ولو كان في هذا العالم .

- من يعرف الروح من خلال الروح في كل الكائنات المخلوقة يصبح بمسقلية واحدة نحوها كلها ويدخل الحالة العليا (براهمان) .

- الانسان المولود ثانية من يتلو الكتب المقدسة التي ألهمها " مانو " يكون فاضلاً ويصل الى الحالة التي يريدها (٢) .

وفي المرحلة الرابعة من المراحل التي يقسمها الهندوس لحياة الناس وهي مرحلة الشيخوخة ، تصبح غاية الانسان الوحيدة هي الحصول (على ذلك القدر من الحكمة ومن الروحانية ، الذي يمكنه في نهاية الامر من الاتحاد بالربوبية العليا) (٣) .

الا ان هناك نوعاً من انواع الممارسة التعبدية التي تعتبر بلا شك اشد حالات

التطرف النسكي في حياة الرهبنة الهندوسية .

(٤)

اذ ان اليوغا تمثل قمة النشاط الديني الهندي من حيث الاتحاد ببراهما - عندهم ولا مجال لشرح الاعمال الطقسية المتنوعة التي يمارسها اليوغي لهذا الاتحاد الا ان الطابع العام لهذه الطقوس يتسم بالمغالاة التي تصل الى حد تعذيب الجسد والنفس تعذيباً شديداً تكون نتيجته الحتمية في النهاية لفظ الروح دون تردد .

ولم يقتصر التطرف على الناحية العظمية في ممارسة اليوغا بل تعدى الى القول بسانه ليس من مهمة الروح المعذبة على يد ممارس اليوغا ان (تتحد مع براهما وكفى بل تصبح (هي) نفسه . اذ ان براهما ليس الا ذلك الاساس الروحي الخبيء * . ذلك الروح اللامادي الذي لا ينفرد بنفس والذي يبقى بعد ان تطرد بالرياضة كل علائق الحواس (٥) .

١ - اديان الهند الكبرى ص ٦١ وكذلك راجع ثقافة الهند العدد الثاني ص ٤٦ سنة ١٩٥٠ وكتاب محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة . د . د . محمد جلال شرف . مكتبة كريدية اخوان ص ٣٥ واديان العالم . حبيب سعيد ص ٨١

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٧٣ ٣ - قصة الحضارة ١/٣ : ٢٢٩

٤ - يرجع ظهور اليوغا الى عام ٨٠٠ ق م (الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٠

٥ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٦٥

ومن نصوصهم الدالة على اليوغا

(قال الرب المبارك : (من يعرف مجدى وقد رتبى هذه يتحد في باليوجا التي لا تخطئ ولا شك في هذا) ٢٠ (الذين يعبدونني ويتحدون في باستمرار أضعهم قدرة الفهم التي يأتون بها إلي) (١)

ابطال مقولة الاتحاد :

لقد أعطى الهندوس ذريعة كبرى لمن جاء بعدهم في توسيع مفهوم الاتحاد ، وكان أبرز من تسك بهذه المقولة وعلى بها هم النصارى الذين اختلفت اقوالهم فيها اختلافا كبيرا . وقد تولى العلماء المسلمون الرد على مقولة الاتحاد وابطالها بطرق عديدة ومتنوعة فمن ذلك ما أورده الامام ابن تيمية بقوله :

(. . الخالق والمخلوق اذا اتحدا فان كانا بعد الاتحاد اثنين - كما كانا قبل الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد . وان كانا استحالا لشيء ثالث كمسما يتحد الماء واللبن والنار والحديد لزمن من ذلك ان يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره ، فانه لا بد ان يستحيل وهذا ممتنع على الله تعالى ينزه عنه . لان الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجودا . والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع عدم على شيء من ذلك ، ولان صفات الرب اللازمة له صفات كمال ، فعدم شيء منها نقص يتعالى الله عنه . ولان اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي ان العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب ، وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق فان العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل والرب تعالى يلزمه القدم والغنى والعزة وهو سبحانه - قديم غنى عزيز يستحيل عليه نقيض ذلك ، فاتحاد احدهما بالآخر : يقتضي ان يكون الرب متصفا بنقيض صفاته : من الحدوث والفقر والذل ، والعبد متصفا بنقيض صفاته من القدم والغنى الذاتي والعز الذاتي وكل ذلك ممتنع) (٢)

ويرد الامام الغزالي على دعوى الاتحاد بادلة عديدة منها :

(. . . ان الاله اذا كان خالقا للناسوت ثم ظهر فيه متحدا به ، فقد حدث له صفة بعد خلقه وهو اتحاد به ، وظهوره فيه * فنقول : اذا هذه الصفة ان كانت واجبة الوجود استحال اتصافها بالحدوث وان كانت ممكنة الوجود استحال اتصاف البسارى بها لان صفات البارى كلها واجبة الوجود لان كل ما يلزم من عدم وجوده محال فهو واجب الوجود ، وصفات الاله يلزم من عدم وجودها محال هيىن) (٣)

كما انبرى حديثا بعض العلماء للرب على هذه المقولة ومن بين تلك الردود

ما يلي :

١ - الفكر الفلسفى الهندى ص ٢٠٠ - ٢٠١

٢ - فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢ / ٣٣٩ وكذلك يراجع الجواب الصحيح ٢ / ١٦١

٣ - الرد الجليل للامام الغزالي ص ٢٧٠ ، ت عبد العزيز عبد الحق حلمسي

الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤

(. . من طرق البرهنة على فساد الاعتقاد بالاتحاد ، ايراد هذه الاحتمالات :

- ١ - اما ان تظل كل ذات من الذاتين موجودة .
- ٢ - واما ان تغنى احدهما وتبقى الاخرى .
- ٣ - واما ان تغنيا معا .

وفي الحالة الاولى لا يكون هناك اتحاد ،

وفي الثانية :

كيف يمكن الزعم بان هناك اتحادا بين موجود ومعدوم؟

وفي الثالثة :

لا يكون هناك محل للحديث عن الاتحاد ، بل الاولى ان نتكلم

عن الانعدام . والمتناقض واضح في جميع هذه الاحتمالات . ()

١ - المواقف على الاسلام ، انور الجندي ص ٦١ - دار الاعتصام

وكذلك عقيدة الدروز ص ٢٠٣

خامسا : الحل "أوالتجسد"

هذه العقيدة انتقلت الى الهندوس هيرال راورد بين ، الذين استطاعوا ادخال عقائدهم في ديانة الفزاة ، وهم يقصدون من هذا القول : بان الذات العليا السامية قد حلت في الانسان .

(وكان ابرز هذه الالهة تتمثل بفشنو الذي يرتافيه الدراويون انه يحل في الابطال الاسطوريين القدامى) (١)

لقد استطاعت هذه العقيدة ان تشق طريقها الى الهندوسية كرد فعل للتسلط البرهمي الارى ، وقد اصبح فشنو فيما بعد منافسا قويا لبرهما وكرشنا ومع مرور الزمن حل فشنو وسكن في كرشنا (٢)

ومن شروح الهندوس لهذه العقيدة قولهم (تعتبر الجيتا (كتاب مقدس عند هم) ان كرشنا هو تجسد (افارتارانا) او حلول المقدس في الشكل الانساني واذا بدا الله اللانهائي في الوجود النهائي خلال الازمان فان بيانه يكون في لحظة معينة ويتخذ طبيعة انسانية واحدة بواسطة الشخص المقدس وحرر ذاته المركبة التي بها يحقق الكمال المقدس فاته كما يحل الى ان يكون متاهيا . ان نظرية افارتا هي تعبير عن قانون العالم الروحي واذا نظر الى الله انه مخلص الانسان فانه يلزم ان يثبت نفسه ويبينها عند ما تهدد قوى الشر وتعطل على تهديم القيم الانسانية . عالم الجيتا هو مشهد لصراع نشيط بين الخير والشر يهتم به الله كثيرا ويقدم كل محبته لكي يساعد الانسان ليقاوم كل ما يسبب له الخوف او الشر او البشاعة) (٣)

فكرشنا على هذا الراى يكون قد حل في الانسان ليخلصه ، فهو بمثابة اله شخصي يهتم بالعالم وقد هبط الى الارض لهذا الغرض

ومن الصفات التي يضيفونها اليه (انه محبة ، وسب ذلك تجسده . ان الكائن الاطى متسامح ، يتقبل جميع انواع الايمان والاعتقادات لا يتعصب لشكل واحد ومعين من التعبد ، او لبلوغ الاشراق يكفي الاخلاص وحرارة الايمان : ليس هو لها غيورا ولا فضوليا ولا محتكرا انه يتقبل كل ميل تقى مهما كانت طبيعته ، وذاك الكائن الاطى موجود في كل شئ (٤) وله عند هم اوصاف كثيرة اقتبس منها النصارى ما اطلقوه على عيسى عليه السلام (٥)

١ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٠-١١٢

٢ - المرجع السابق

٣ - الفكر الفلسفي الهندي . د . راد اكرشنا ص ١٥٦

٤ - الفلسفات الهندية . د . طي زيعور ص ١٦٨

٥ - راجع في هذا ما صدر " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " للتنير ص ١٣٠ - ط ١٣٣٠ هـ .

وقد نالت هذه العقيدة شهرة كبيرة في الهند بسبب ترويج الرهبان لها . . . وفيه د . النوى
ان هذه العقيدة قد انتقلت الى اليونان بعد غزو الاسكندر للهند وقد تمثلت بالاله هليود وروس
وجوبيتر كما انتقلت الى الرومان ومن ثم الى ايران بعد زرادشت ثم انتقلت الى المسيحية التي
نادت بحلول الاله بالمسيح كما انتقلت الى القرامطة والاسماعيلية والبابية والبهائية فيما بعد .
— ابطال عقيدة الحلول : —

هناك العديد من الانتقادات الموجهة الى هذه العقيدة فمن ذلك ما اشار اليه الفخر الرازي
حيث يقول (ان المعقول من حلول الشيء في غيره كون هذا الحال تبعاً لذلك المحل
في أمر من الأمور وواجب الوجود لذاته يستنع أن يكون تبعاً لغيره ، فوجب أن يستنع عليه الحل^(٢)
ومن ذلك ايضا (انه تعالى لا يجوز ان يحل في غيره) وذلك لان الحل هو الحصول
على سبيل التبعية وانه ينفي الوجوب الذاتي (وايضا لو استغنى عن المحل لذاته لم يحل فيه)
ان لا يحد في الحل من حاجة ويستحيل ان يعرض للنفى بالذات ما يحوجه الى المحل لان
ما بالذات لا يزول بالغير (والا احتاج اليه) : اي الى المحل (لذاته) فان الاستغناء
عدم الاحتياج ولا واسطة بينهما (ولزم) حينئذ مع حاجة الواجب (قدم المحل) ، فيلزم
محالات معاً (وايضا) اذا حل في شيء (فان السحل : : ان قبل الانقسام لزم انقسامه
وتركيبه واحتياجه الى أجزائه) وهو باطل (والا) اي وان لم يقبل الانقسام : كالجوهر الفردي
(كان الواجب احقر الاشياء) لحلوله فيه .

وايضا فلسو حل في جسم فذاته قابلة للحلول في الجسم والاجسام متساوية في القبول
لتركيبها من الجواهر الافراد المتماثلة (وانما التخصيص) ببعض الاجسام دون بعض (للفاصل
المختار : فلا يمكن الجزم بعدم حلوله في البقعة والنواة وانه ضروري البطلان والخضم معترف به)^(٣)
ومن المعلوم ان الله تعالى يجب في حقه جميع صفات الكمال كما يجب تنزيهه عن صفات
النقص ومشابهة الحوادث (فتجسيد الله مستحيل لمشايبته للحوادث ، لان الجسم لا ينفك
عن الحركة والسكون وهما معدتان ، وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث ولان كل جسم متناه
في المقدار ، وكل ما كان متناهيا في المقدار فهو محدث . ولان كل جسم ألف من أجزاء وكل
ما كان كذلك افتقر الى من يركبه ويؤلفه وكل ما كان كذلك فهو محدث)^(٤)

والحلول (محال لا يمكن تصويره بين عهدين فكيف يمكن تصويره بين العبد وربه)^(٥)
والحلول محال لاسباب كثيرة (ذلك لان القديم يختلف عن الحادث لا اختلاف الطاهية في كل
منهما وهذا الاختلاف يوجب استحالة حلول القديم في الحادث .

كما ان الله واجب الوجود وهذا الوصف ينفي الحل لانه في حالة حدوثة يصبح الحال
تابعا لما حل فيه كما يصبح معلولا لهذا المحل ومتاثرا به بل انه ليصبح في غير الامكان تصور
الحال الا بتصور المحل ، ان ينفي الحل في هذه المرة كما استحال في الاولى)^(٦)

- ١ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١-١١٣
- ٢ - اصول الدين : فخر الدين الرازي ت : طه عبد الرؤوف سعد ص ٤٨-٤٩ دار الكتاب
العربي بيروت ١٤٠٤ - ١٩٨٤ وقد رد الرازي ايضا على هذه العقيدة في : التفسير الكبير
٢١٠/٢١ وما بعدها دار الكتب العلمية ط ٢ طهران .
- ٣ - شرح المواقف للجرجاني ت : د . احمد المهدي ص ٤٨-٤٩ مكتبة الزهر ،
- ٤ - رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم . د . محمد جمعة عبد الله ص ٨٧ ط ١
- ٥ - الموافقة على الاسلام انور الجندی ص ٦١ ٦ - عقيدة الدروز ص ٢٠٣

- أساسا : وحدة الوجود

قبل الحديث عن هذه العقيدة ، تجدر الإشارة الى ان هذه الفكرة لم تكن لترى النور بين الهند وسلولاً قيام فريق كبير من الرهبان بأول ثورة على الاساليب والطقوس البرهمية ، رافضين مبدأ سيطرة طبقة البراهمة التي اثقلت كاهل الناس ، وقد اراد هؤلاء الرهبان ازالة الفوارق الطبقيّة من بينهم ، وتمثل رفضهم في الانعزال في الكهوف واتخاذ الجبال والغابات اماكن لتأملاتهم الفكرية واستغراقهم للوصول الى المعرفة الحقيقية لهذا الوجود وصلته بالخالق وقد قادهم هذا التفكير الى مبدأ وحدة الوجود ، وتعتبر " الايمانيشن (١) " خير معبر عن آرائهم وفلسفتهم (٢) .

اما عن هذه العقيدة ، فلها اتصال بالهادي السابقة ، فالفكر الهندي حاول ربط عناصر الكون بالآلهة التي عبدها كما حاول تفسير جميع ما يتعلق بها وربطها باحواله النفسية والذاتية . وبمبدأ فكرة وحدة الوجود لسم تستقر في عقول الرهبان الا بعد عدة مراحل :

(في المرحلة الاولى : آمن الهندوسي بوجود تقديم القرابين والعبادات للآلهة ، وفي المرحلة الثانية لم تعد القرابين المادية ضرورة ، بل حل محلها مراقبات طقس ظواهر كونية تخيلها الناس ضحايا ، وذلك كالشمس والنار والهوا . .

وفي الثالثة : راقب الانسان نفسه وتصورها قربانا يصل الى براهما ، وفي الرابعة تجردت المراقبات عن تصور القرابين وصار الناس يراقبون انفسهم على انهم القوة الكامنة العالمية الموثرة ثم وصلوا من التمثل الى العينية واذعنوا ان النفس الشخصية هي عين القوة الحيوية العالمية او البراهما فصار المفتكر والموضوع الخارجي شيئاً واحداً (٣) .

وبذهب بعض العلماء الى ان فكرة وحدة الوجود الهندية قد اعتمدت على اساسين : ١ - الوجود ٢ - العدم

ويفسر الهندوس الوجود بانه الكامل وحاده والخير وحاده والدائم وحاده ، والقدريم الأزلي ، وعبروا عنه ببراهما ، وفي مقابله العدم وهو الناقص كل نقص والشر كل الشر وعبروا عنه بالعالم بما فيه من كائنات حية وغيرها (٤)

١ - احد كتب الرهبان الهندوس المقدسة ، ومعناه : الجلوس في صحبة الاساتذة

راجع : الهند حضاراتها ودياناتها للندوي ص ١٠٦ - ١٠٨

٢ - المرجع السابق

٣ - اديان الهند الكبرى ص ٦٦ - ٦٧

٤ - راجع : الجانب الالهي من التفكير الاسلامي . د. محمد البهي ص ٣٢١ - ٣٢٢

دار الكتاب العربي القاهرة ، ١٩٦٧

وترى البرهمية أيضا (ان الوجود الكامل حل في العدم الناقص او بمعنى آخر الوجود حال في العدم والكمال حال في النقص والدائم حال في اللادائم ، فالبراهما مركب من شيئين متقابلين تمام المقابلة والانسان كجزء من هذا العالم مركب من خير وشر وكمال ونقص ودوام ولا دوام فمهمة البرهمي تنحصر في امرين : التقرب من براهما والابتعاد عن مطالب الجسم وهي الشهوات وذلك بالمبالغة في الزهد ، وكلمة بالغة في الزهد كان وفيما لمهمة ، ان في هذه المبالغة يتوقف خلاصه كما يتوقف عليها الى حد كبير اتحاد براهما ، فرأى البرهمية في الوجود يوصل الى الوحدة فيه ثم يجعل هذا الوجود الواحد حالا في مقابله وهو العدم او هذا العالم (١).

ومن هذه المقولة ما جاء في "أوانيشاد برهاداراتياكا" في فصل "استمرار وصف برهمن بأنه صدر العالم ، ما يلي :

- جارجيا قال : (اى يقول جيارجيا وهو صاحب رؤى)

(الشخص الذى يوجد هناك بعيداً في الشمس ... في القمر ... في البرق ... يوجد هنا في الفراغ في الريح ... في النار ... وفي الماء ... في المرأة الصوت هنا هو الذى يستمر بعد أن يذهب الواحد ... فالشخص الذى هو في كل انحاء الارض ... الذى يشمل الظل ... الذى يوجد في الجسد ... هو من ابد ... هو براهمن .

- ان لبراهمن شكلان : له شكل ولا شكل له . الغاني والخالد ،

(٢)

الثابت والمتحرك ، القريب والبعيد) .

كما ان ملحمة "بهاجفاد جيتا" تذكر في الفصل الحادى عشر كيفية

تجلي الاله لارجونا فتقول في الفقرة ١٣

(هناك شاهد ارجونا الوجود بكامله باجزائه العديدة المتجمعة في واحد

في جسد اله الالهة) (٣).

وفي فصل خلق العالم المتنوع من الروح الواحدة تذكر الاوانيشاد برهادار

(٤)

انيكا قصصا خرافية واساطير عن هذا الموضوع .

١ - الجانب الالهي من التفكير الاسلامي ص ٣١٥-٣٢٠

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص : ١٢٩

٣ - المصدر السابق ص ٢٠٥

٤ - المصدر السابق ص ١٢٧ ، وقد طق ديورانت في قصة الحضارة على هذه

الخرافات انظر ١/٣ : ٣٤

وقد قارن البيروني بين ما ذهب اليه الفكر اليوناني القديم وبين عقيدة الرهبان الهنود في هذه العقيدة : (١)

- ابطال عقيدة وحدة الوجود :

هناك العديد من الردود على هذه المقولة. أوجز هنا بعضها. فمن ذلك :
ان من سخف العقول المنادية بهذه العقيدة جعل الخالق تبارك وتعالى والمخلوق سواً وهو محال ، لانه تعالى لا يشابهه شيء * (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (٢) . (وهو قائم بنفسه ومعناه : انه بوجوده مستغن عن خالق يخلقه وعن محل يحله ، وعن مكان يقفه قال تعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (٣) مبالغة عن القيام والثبات على الاطلاق من غير حاجة الى صانع يصنعه أو موجد يوجده أو مكان يحله) (٤) .

وفي معرض رده على القائلين بان : الوجود واحد بمعنى ان الموجودات اشتركت في سمي الموجود يقول الامام ابن تيمية (. . . فهذا صحيح لكن الموجودات المشتركة في سمي الواحد لا يكون وجود هذا عين وجود هذا ، بل الاشتراك في الاسم العام الكلي . فالاشتراك في الأسماء التي يسميها النحاة اسم الجنس ويقسمها المنطقيون الى جنس ونوع وفصل وخاصة وعرض عام . فالاشتراك في هذه الأسماء : هو مستلزم لتباين الاعيان وكون احد المشتركين ليس هو الآخر ، وهذا ما يعلم به أن وجود الحق ما بين لوجود المخلوقات فانه أعظم من ماينة هذا الموجود لهذا الوجود . فاذا كان وجود الفلك ماينا مخالفا لوجود الذرة والبعضة فوجود الحق تعالى اعظم ماينة لوجود كل مخلوق ، فإن الوحدة المعينية الشخصية تنع في الشيئين المتعديين ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن اسم الموجود اسم عام يتناول كل واحد كما أن اسم الجسم والإنسان ونحوهما يتناول كل جسم وكل انسان . وهذا الجسم ليس هو ذاك وهذا الانسان ليس هو ذاك وكذلك هذا الوجود ليس هو ذاك .) (٥)

ويقول (ولهذا اتفق ائمة المسلمين على ان الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من . مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعددهم عدداً و كلهم آتية يوم القيامة) (٦) فرداً) (٧) .

- ١ - انظر : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٠ . يعتبر د . الندي ان هذه الآراء تعتبر تحولا كبيرا نتيجة لما أحدثه الرهبان الهنود ضد البراهمة ان (شكلوا نقمة تجاه هذه الطبقة وبالتالي لاقت رواجاً بين الناس الا ان البراهمة استطاعوا عن طريق المواربة والخداع امتصاص الثورة والقضاء عليها عبر استمالة الرهبان) الهند حضاراتها ودياناتها ص ١٠٦-١٠٨
- ٢ - الشورى / ١١ ٣ - آل عمران / ٢ ٤ - التيسير في الدين ، لابي المظفر الاسفراييني ص ١٥٦ عالم الكتب ط ١ ١٤٠٣ هـ
- ٥ - فتاوى شيخ الاسلام ٢ / ٣٥٠-٣٥١ ٦ - مريم / ٩٥
- ٧ - فتاوى شيخ الاسلام ٢ / ٣٤٠

وطيبه فان الله تبارك وتعالى منزه عن مشابهة الخلق لقوله تعالى :
(ليس كمثله شيء * وهو السميع البصير)

و (لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان مثالا لها ، ولو كان مثالا لها
لكان حادثا ، كيف وقد ثبت قدمه (.) ^(١) فالله سبحانه وتعالى هو الحقيقة
الوحيدة وراء هذا العالم حقيقة لا نهائية سرمدية (فهو) لا يندمج في العالم ، ولا
يندمج العالم فيه ولا يندمج في المادة .

ولذلك فان قول اصحاب مذهب وحدة الوجود بان الله والمادة
وحدة لا تتجزأ ^(٢) (مخالف للاسلام الحنيف) . . . الذي يدعو الى ان جميع
هذه الكائنات لا بد لها من خالق . والخالق هو الله تبارك وتعالى .

١ - شرح جوهرة التوحيد ص ٥٧

٢ - الموازنة على الاسلام ص ٥٩

الفصل الثاني

الفرق الدينية في الهندوسية ومصادرها :

اولا : الفرق الدينية

تعددت فرق الهندوس الدينية تعددا كبيرا ، وقد غلب عليها طابع الفلسفة ومنها ما هو متأثر بالسحر ، كما أن للتقشف والرهينة نصيبا من هذه الفسوق وقد أحصى الشهرستاني - رحمه الله - سبعة عشر فرقة من فرقهم ، وقد أكلتها السبعون من مصادرها أخرى ، كما لخصت أراء كل فرقة بقدر الاستطاعة فجاءت على النحو التالي :

- ١ - أصحاب البدنة : من أهم مبادئهم ، عبادة البدن ، ومعناه : عندهم شخص في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت . وقد اختلفوا في وصفه اختلافا كبيرا ، وقالت كل طائفة منهم برأى يخالف الآخر ، ومن آرائهم المحافظة على عشر خصال : (١) من بينها الامتناع والتخلي عن الدنيا والاعراض عن شهواتها
- ٢ - أصحاب الفكرة : من مبادئهم : تمجيد الفكر والعقل وهم يقومون بأنواع كثيرة من الرياضات المجاهدة للوصول الى التجلي : ويسمون أيضا البكرنتينية ، وهم يصفون أجسادهم من أواسطهم الى صدورهم لثلاث تنشق بطونهم من كثرة العلم وعطية الفكر . (٢)
- ٣ - أصحاب التناسخ : وهم أصحاب أسطورة الطير ، وقد مر ذكرها أثناء الحديث عن التناسخ . (٣)
- ٤ - أصحاب الروحانيات : ومن مبادئهم ، الايمان بمتوسطات روحانية تأتيتهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب .
- ٥ - الباسنوية : كأصحاب الروحانيات بالنسبة للرسول ومن مبادئهم تعظيم النار والنهي عن القتل والذبح ، وباحة الزنا واتخاذ الأصنام ، لعبادة متوسطات روحانية .
- ٦ - الباهودية : ومن مبادئهم عبادة الأصنام وجعل عظام الناس قلائد وأكبالا يسل ورفض الدنيا ، ولا معاش لهم فيها الا من الصدقة .
- ٧ - الكابلية : أتباع ملك روحاني يقال له شب .
- ٨ - البهادونية : وهم أتباع بهادون وهم أصحاب خرافات كثيرة .
- ٩ - عبدة الكواكب : يسير هو لا على مذهب الصابئة .
- ١٠ - عبدة الشمس : يعبدون الشمس ويسمون أيضا الدينكية ، ومن سنتهم اتخاذ صنم لهم بصورة الشمس ويستقربون اليه بالقرايين (٤) .

١ - راجع الطل والنحل للشهرستاني ١٢٨/٥

٢ - : الفهرست لابن النديم ص ٤٨٧ ط : دار المعرفة

٣ - راجع ص (٤٨) من هذا البحث .

٤ - راجع الطل والنحل ١٢٨/٥

١١ - (عبدة القمر : زعموا ان القمر ملك من الملائكة ، يستحق التعظيم والعبادة وهم يصومون من كل شهر النصف ، ولا يفطروا حتى يطلع القمر ، ويحتفلون في تلك الليلة ويطلق عليهم ايضا " الجندريهكنية " (١)

١٢ - عبدة الاصنام : جعلوا لمعبوداتهم اصناما لتقربهم الى الله زلفى ، وقد تأثر بهم اصحاب الروحانيات والكواكب .

١٣ - المهاكالية : هم اتباع صنم يدعى مهاكال ، ويؤمنون انه غفريت من الشياطين يستحق العبادة ، وانهم يتقربون اليه ثلاث مرات كل يوم ويسجدون له ويطوفون بسـه ويسألونه حاجاتهم .

١٤ - البركسهيكية : هم من عبدة الاصنام ، وطريقة عبادتهم هي : وضع الصنم المعبود في شجرة باسقة ويطوفون حوله ويسجدون له .

١٥ - الدههكنية : يتخذون صنما على شكل امرأة ويتقربون اليه بضرب اعناق الغنم ولهم طريقة سيئة جدا في احتفالاتهم الدينية حيث يهجمون على الناس وهم يركبـون الفيلة فيقتلون كل من كان أمامهم .

١٦ - الجلهكية : هو "لا" يعبدون الماء وتتم عبادتهم بالتجرد من الثياب وستـر العورة ثم بالدخول في الماء حتى يصل الى الحلق . ويقيمون على هذه الحال ساعة او ساعتين مع التسبيح والقراءة . فاذا اراد احد هم الانصراف حرك الماء بيده ثم اخذ منه شيئا ، فيقطر به راسه وساقر جسده خارجا ثم سجد وانصرف .

١٧ - الاكنواطرية : هم من عبدة النار ، ويؤمنون ان النار اعظم العناصر ، وتقوم عبادتهم على القا " القرايين النفيسة في اخدود مشتعل بالنار ، ويجلسون حولها صائمين يسدون انفاسهم حتى لا يصل اليها من أنفاسهم نفس صدر عن صدر مجرم .

١٨ - الكناكباترة : من سنتهم ان الانسان اذا انبذ نيا ان يشخص من بعد اقرب حتى يغتسل في نهر الكيف فيظهر بذلك .

١٩ - الراحمرنية : وهم شيعة الطوك ومن سنتهم في دينهم معونة الطوك ، قالوا : الله الخالق تبارك وتعالى ملكهم ، وان قتلنا في طاعتهم مضينا الى الجنة .

٢٠ - ومن هو "لا" فرقة تدعو الى تطويل الشعر وعدم شرب الخمر ، والحج الى جبل يقال له حورغن ، يحجون اليه ، فاذا انصرفوا من حجهم لم يدخلوا العمران فـي طريقهم اذا انصرفوا وان رأوا امرأة هربوا منها ولهم في الجبل بيت عظيم فيه صورة (٢) .

١ - الفهرست ص ٤٨٨ ، وما فصله الشهرستاني عن هذه الفرق ١٧٨/٥ وما بعدها وما اوضحه الدكتور سليمان دنيا في تحقيق لكتاب " التفرقة بين الاسلام والزندقة " للفرزالي ، ص ١٣٤ - ١٥٨ ط ١ ، ١٣٨١-١٩٦١ م . دار احيا " الكتب العربية عيسى البابي الحلبي . وما نقله د . محمد جلال شرف في محاضرات لفلسفة القديمة " عن

هذا الموضوع ص ٤٤ - ٤٧

٢ - راجع الفهرست ص ٤٨٩ - ٤٩٠

ثانيا :
 " الكتب المقدسة عند الهندوس "

ظلت الكتب الهندوسية المقدسة "مجهولة لدى العلماء الغربيين قرونا طويلة في حين ان العلماء المسلمين لم تغيب عنهم هذه المعرفة ، وذلك لاتصالهم بالهند وفتحهم لها .

وأشهر هؤلاء العلماء هو أبو الريحان البيروني (٣٦٢-٤٤٠) (١) . الذي نزل الهند واضطلع على عاداتها وتقاليدها ودرس عقائدها ونحلها وخرج الى العالم بمؤلفه النفيس " تحقيق ما للهند من مقولة في العقل مقبولة او مردولة " الذي يعتبر (٢) اول مرجع تاريخي اسلامي عن الهند .

كما أن هناك العديد من العلماء المسلمين الذين أسهموا بالدراسات والابحاث عن الهند واحوالها ، ونخص من بينهم القاضي ابا القسم صاعد بن أحمد الاندلسي (٤٦٢ هـ) كذلك قام الرحالة محمد بن ابراهيم اللواتي الشهير بابن بطوطة (٧٠٤-٧٧٩ هـ) (١٣٠٣-١٣٧٧ م) برحلات كثيرة الى بلدان عديدة ومنها الهند التي التقى فيها بكثير من نساكها ورهبانها وسحرتها وتكلم عنهم (٤) ويختلف العلماء والمؤرخون حول تاريخ تدوين كتب الهندوس ، وخاصة كتسابهم المشهور باسم " القيدا " الذي يعتبر بالنسبة للهندوس السجل الديني (٥) (٦)

١ - قال عنه العلامة الانجليزى " سخاوى " : (إنه أعظم عقلية عرفها التاريخ) ، ،
 والغربيون مدينون له بمعلوماتهم عن الهند وآثرهم في العلوم وقد صاغ نظرية دوران الارض حول محورها وحول الشمس (انظر بتوسع : من منابع الفكر الاسلامي ، أنور السجندى ، ص ١٠٨ ، دار التحرير للطبع ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م) .

٢ - ألفه حوالي سنة ٣٩٠-٣٩١ هـ ، راجع : الاسفار المقدسة ص ١٥٤

٣ - انظر كتاب طبقات الامم له ، ص ١٧-١٨ ، مطبعة السعادة بصر .

٤ - راجع كتاب : رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٤٣ ، دار صادر بيروت ١٣٧٩-١٩٦٠ م

٥ - يذهب . الندوى الى ان القيدا تعتبر تاريخ الفكر الآرى منذ عام ١٨٠٠ ق م . ولكن هذا الكتاب لم يدون إلا منذ سنة ١٠٠٠ ق م . (ويعتقد الباحثون ان التدوين الغني لهذا الكتاب قد تم خلال سنة ٦٠٠ ق م) . : الهند حضاراتها

ودياناتها ص ٩٨ ، وللمزيد يراجع ايضا : الفلسفات الهندية ص ١٤٧

٦ - يطلق البيروني لفظ " بيد " على " القيدا " وربما تكون هذه التسمية متداولة في عصره أو أن الفاء في قيدا تنطق باء بالفارسية . ومعنى القيدا كما أورده البيروني : العلم بما ليس بمعلوم . وقد شرح - رحمه الله - أسما كتب القيدا ومحتوياتها

وألحق ما دار حولها من خرافات واساطير . انظر : تحقيق ما للهند ص ٩٦ وما بعدها .

والتاريخي والاجتماعي ، وهو كتاب كبير يحتوى على عدة أقسام ، دونت فيه جميع الآراء العقدية والأناشيد المختلفة في مدح آلهتهم المتعددة ، كما دونت العادات والتقاليد الاجتماعية والسياسية وأحوالهم المعيشية وكل ما يمت إلى الآريين بصلة .

(١)
ولا يعرف على وجه التحقيق أسما واضعي هذا الكتاب ، ولكن من الثابت انه نتاج تعاون مجموعة من كهنة ورهبان وطما^١ البراهمة .

ويعتبر الهندوسان هذه الكتب المقدسة عند هم يوحى بها من آلهتهم ويرجع تقدسهم للقيسدا إلى الاتجاه الروحاني لدى الفكر الهندي والموافق على تأليه أو تقديس أي كتاب دون الحاجة إلى إهدا^٢ الأسباب .

١ - ينذهب . وافى إلى ان واضع القيدا هو : قيدافياسا ، أي جامع القيدا .
انظر ، الاسفار المقدسة ص ١٥٢ .

وربما يكون هذا أول هندي كتب كتابا دينيا هندوسيا ثم توالى بعد ذلك كتابة القيدا ، لانه من غير المعقول كتابة مؤلفات ضخمة من قبل مؤلف واحد ، وعبر قرون متعددة ، وقد أشار غوستاف لوبون إلى أن " القيدا " كتب من قبل عدد من اللاهوتيين وأن إهدادها كان في عدد من القرون (حضارات الهند ص ٢٥٨ .

٢ - اديان الهند الكبرى ص ٧٦

أ - أقسام " الفيدا "

لاتصال هذا الموضوع بالرهينة ، من حيث كونه نتاج الفكر الديني عندهم ، لابد من إعطاء تلخيص بسيط لأقسام الفيدا وما يحتويه كل قسم . وتتوزع كتب الفيدا على أربعة أقسام (١) .

أولاً : رجا فيدا (٢)

أي معرفة ترانيم الشنا ، وهي مجموعة أناشيد وصلوات ، تتلى في العبادة وعند تقديم الأضاحي (٣) ، وخلال القيام بالواجبات والطقوس الدينية . (٤) وفيه صور واضحة للالهة القديمة التي جلبها الأريسون من موطنهم الأصلي . وهي تحتوي على ١١٠٧ أنشودة وتنقسم إلى عشرة كتب تمثل الحقبـة الأولى لتطور الإدراك الديني (٥) .

ثانياً : ياجور فيدا :

معناها الفيدا الهوائية ، أي المنسوبة للهواء (٦) . وتشتمل على العبادات النثرية التي ينطوها الرهبان عند تقديم القرابين (٧) .

ثالثاً : ساما فيدا

أي الفيدا المنسوبة للشمس (٨) ، وتشمل الأغاني التي ينشد ها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية (٩) وفيها بعض التعليقات الفلسفية والتأملات (١٠) .

١ - هذا التقسيم قام به " فياسا ضيفا " . . . ثم أوكل أمرها إلى تلاميذه المختلفين انظر : " شري ايشوانيشان " . أ. س. بكطي فيداناسوامي برايهواض ، الا شاريما المؤسس للمجتمع العالمي لوعي كريشنا (ص ٨ دار كتب بهكطي فيدانانتا ، لسوس انجلوس ، لندن ، هومباي ١٩٧٤ .

٢ - كلمة رجا : تطلق على الأشعار ، والفيدا : على المعرفة ويقصد بكلمتا الكلمتين أناشيد المعارف الروحية () : الهند حضاراتها ودياناتها للندوى ص ٩٩ وراجع في هذا الصدد الاسفار المقدسة ص ١٥٢

٣ - راجع : الفلسفات الهندية ص ١٤٧ .

٤ - راجع الهند وحضاراتها ص ٩٩ ٥ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦

٦ - راجع الاسفار المقدسة ص ١٥٢ ٧ - اديان الهند الكبرى ص ٤٢

٨ - الاسفار المقدسة ص ١٥٢ واديان الهند ص ٤٢

٩ - اديان الهند الكبرى ص ٤٢ ١٠ - الفلسفات الهندية ص ١٤٧

رابعاً : آثاراً قيّداً

تشمل مقالات في السحر والرقى والتوهّمات الخرافية والسحرية^(١)
وتبلغ حوالي ١٨٠٠ انشودة فيها حكم وقصص شعبية ووسائل لحماية
النفوس من الشياطين والاعداء^(٢) والنفوس الخبيثة ، كما يعتقدون .

هذه الكتب الاربعة تنقسم بدورها الى اربعة فروع وهي :^(٣)

١ - سامهيتا :

وهي مجموعة من الأناشيد ، والصلوات ، وقواعد الاضاحي ، وأناشيد
جماعية ، كان آخرها في بداية الفلسفة الهندية ، وتطورت فيها
العبادة ، من التعدد الى التوحيد .

٢ - البراهماناس :

هي كتابات نثرية تبحث في مغزى الشعائر والطقوس والاحتفالات التي
لها علاقة بالاضاحي والذبائح وهي من عمل الكهنة وفيها توجيهات
لكبار السن (الذين في سن الشيخوخة) .

٣ - الاريناكس :

نصوص دينية لساكنتي الغابة من المتعبدين ، وهي مخطوطات تبحث
في المسائل الفلسفية وتشجع على التأمل ، وغالباً ما تكون لمن بلغوا
آخر درجة في السلم الديني ، وهي حالة الترهّب .

٤ - الاوانيشاد :^(٤)

وهي مخطوطات دينية عبارة عن خلاصة للبراهماناس وفيها احتجاج فلسفي
ضد ديانة البراهماناس وفيها ميول نحو توحيد عبادة الاشخاص .
وهذه كما قلنا في السابق من وضع الرهبان الهنود وسالذين وقفوا
ضد سيطرة البراهمة .

١ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ٤٣

٢ - راجع الفلسفات الهندية ص ١٤٧ وكذلك : الفلسفة في الشرق ، بول ماسون
اورسيل . ت : محمد يوسف موسى ص ١٠٩ ، دار المعارف بصر .

٣ - عدت الى تلخيص هذه الفروع الاربعة من : الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦
واديان الهند الكبرى ص ٤٣ ، وراجع في هذا الصدد : موسوعة التاريخ الاسلامي
د . عبد الله بشر الطرازي ٣١٩/١

٤ - تطلق على (المذهب الغامض الطغز الذي كان يسره المعلم الى خيرة تلاميذه
واحبيهم اليه ، وهذه الاسفار مليئة بالسخافات والمتناقضات) قصة الحضارة
١/٣ : ٤٣-٤٤ ، وراجع ما جاء عنها في : حكمة الاديان الحية ، جوزف كاير ص ١١٢

كما ان هناك مجموعات اخرى من الكتب المقدسة لدى الهندوس والتي يرجع تاريخ تأليفها الى القرن السادس والسابع ق.م. واهمها :^(١)

١ - رامايانا : وهي تتحدث عن الافكار السياسية والدستورية للحياة الهندية ، وطرق اختيار الطوك وولاية العهد ، ومغامرات الاله فشنو ، وتبلغ ٢٤ الف مقطوعة .^(٢)^(٣)

٢ - مهابهاراتا : وتعتبر طحمة الهند الكبرى وتشبه الاليانده والاوديسة عند اليونان .^(٤)

وهي عبارة عن كتب اهتمت بالقصائد الفلسفية في ادب غير منظم ، وتشمل ٢٠٥٠٠ بيتا من الشعر ، وتقصى هذه الطحمة وقائع تجسد اخر لاله فشنو الذي جاء هذه المرة بصفة " كرشنا " الذي نشأ راعيا للبقر ، واسهم في عدد من الوقائع والمآثر قبل ان يقتل خطأ من قبل هيداد ، ويهوى الى بحر اللبن مشوا السماوى . وقد اخذت ثلاثة نصوص فلسفية من المهابهاراتا سميت " البهاغاد غيتا " وكلاهما محشوب بالاساطير .^(٥)^(٦)^(٧)

٣ - داراماستراس^(٨)

وهي مقالات في الاخلاق والفلسفة الاجتماعية ومقالات تتحدث عن سلوك الاربين في حياتهم وتصف تنظيمهم الاجتماعى واعمالهم ... الخ .

١ - راجع الفكر الفلسفى الهند ص ٩

٢ - اديان الهند الكبرى ص ٩٣

٣ - حكمة الاديان الحية ، جوزيف كايرت : حسين الكيلاني ص ١١٥

٤ - اديان الهند الكبرى ص ٧٧

٥ - انظر حضارات الهند ص ٤٥٣

٦ - حكمة الاديان الحية ص ١١٥

٧ - الفكر الفلسفى الهندى ص ٩

٨ - حضارات الهند ص ٢٩٣

٩ - الفكر الفلسفى الهندى ص ٩

(١)
٤ - وهناك ايضا مجموعة كتسابات وأبحاث مختلفة سميت " بالسوترا " أو " شتر " ويعود تاريخها الى القرن الاول الميلادى وقد جمعت جميع الطوائف الهندية فيها معلوماتها الفلسفية . وقد اخذت طابع المناهج ووصفت عقائد كل منهج على صورة اقوال منظمة يعترضها الغموض بعض الاحيان (٢)

٥ - ثم جاءت فترة كتبت فيها التعليقات على السوترا من اجل توضيحها كما كتبت تعليقات حول هذه التعليقات (٣) واهم هذه التعليقات : تعليق شنكاريا وتعليق رامونا جاشاريا وتعليق فاشيناشاريا (٤)

٦ - يوجا واسيستها :

منظوم يحتوى على اربعة وستين الفا من الابيات وموضوعها يختص بالفلسفة واللاهوت . (٥)

وفي هذه المجالة جدير بان نشير الى ما اورده البيروني من كتب الهندوس التي عالجت مواضيع الفقه والزهد وطلب الخلاص من الدنيا ولم يذكرها غيره من المؤلفين وذلك في كتابه تحقيق ما للهند ، والذي قال فيه عن هذا الموضوع :
(ولهم كتب في فقه ملتهم وفي الكلام وفي الزهد والتأله وطلب الخلاص من الدنيا مثل كتاب عله " كسور " الزاهد وعرف باسمه ومثل " سانكك " عله " كهل " فسي الامور الالهية ومثل " ياتنجل " في طلب الخلاص واتحاد النفس بمعقلها ومثل " تاييهاسي " لكهل في " بيد " وتفسيره . وانه مخلوق وتميز الفرائض فيسه من السنن ومثل " ممانس " عله جيمس في هذا المعنى ومثل لوكايت عله المشترى في الاخذ بالحسن وحده في المباحث ومثل " اكست ميت " عله سهيل في العمل بالحسن والخير معا) الى غير ذلك من الكتب الاخرى . (٦)

-
- ١ - انظر كتاب " منوسمрти " كتاب الهندوس المقدس . ترجمة : احسان حقى ص (ه) ، دار اليقظة العربية .
 - ٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٠
 - ٣ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٠
 - ٤ - راجع : شري ايوانشار ص ٩
 - ٥ - اديان الهند الكبرى ص ٨٩-٩٠
 - ٦ - راجع بتوسع : تحقيق ما للهند ص ١٠٢

يتضح من خلال استعراض أهم الكتب الهندوسية ، ان هذه الكثرة تدل دلالة واضحة على كثرة الكهنة والفلاسفة والرهبان الذين وضعوا هذه المؤلفات ودونها على مدى قرون بعسيدة .

وقد اوردت بعض الابحاث الحديثة اسما * عدد من فلاسفة وكهنة الهندوس والذين يرجح ان يكونوا من بين كتبة هذه الاسفار ، والتي يرجع تاريخها من القرن الاول الميلادي الى القرن السابع عشر منه .
ومن بين هؤلاء (١)

- سامكارا	- كرماريللا	- شريدهارا
- رامانوجا	- فاكساتي	- اوبانا
- ياسكارا	- جاينانتا	فيجنيا نيبكو (٢)
- راجوناثا	- ياجانا فالكيا	- جارجي (وهي امرأة)

وعلى الرغم من كثرة الكتب الهندوسية الدينية وتعدد ها واختلاف نصوصها وتعارضها مع بعضها البعض الا ان نظرة الهندوس الى هذه الكتب هي نظرة احترام وتقدير وهذا المفهوم مأخوذ من مبدأ تقديس تراث الالباء والاجداد او ما يسمى بالمحافظة على النزعة والتراث القومي ، وهذا يدل دلالة واضحة على تفشي عادة التقليد الاعى ، وان كان هذا التقليد لا يستند الى اصول وجذور صحيحة ، وقد لسنا بعضا مما تحويه هذه الكتب من خرافات ، واساطير .

١ - راجع عن هذه الاسماء في : الفكر الفلسفي الهندي ص ١١ وكذلك ص ٢٢ فيها المزيد من مؤلفي الكتب الهندوسية .

٢ - راجع قصة الحضارة ١/٣ : ٤٤

ب - قوانين مانو

نفرد الحديث في هذه الزاوية عن هذا الكتاب لانه يعتبر من أهم الكتب الهندوسية ، انه تلخيص وتعميد للاحكام والقوانين والتشريعات التي احتوتها الفيدا^(١) . وكان الهدف من وراء هذه القوانين ، ضبط السلوك في المجتمع الهندي مع تحديد الطقوس والعبادات وتفصيل الواجبات والفروض وتوضيح السبادي^(٢) الاخلاقية والاجتماعية التي يقوم عليها الفكر الهندوسي^(٣) .

وليس هناك تاريخ قطعي لتحديد زمن كتابة هذه القوانين ، ولكن العلماء رجحوا بانه كتب في نحو المائتين السابعة قبل الميلاد ، وان كاتبه أو واضعه هو الاله براهما وانه علمه الاله (مانو) وهذا بدوره علمه الى بهرگو . هذا ما يزعمه الهندوس في وضع الكتاب .

وتحتوي هذه القوانين اثنتي عشر بابا تضم ٢٦٨٥ بيتا او فقرة تنص على التشريعات الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها .

وقد اهتم العلماء الغربيون بهذا الكتاب واقاموا حوله دراسات موسعة لاستخلاص المعارف والنتائج منه ، واستطاعوا بهذا العمل اعطاء صورة واضحة عن تكوين المجتمع الهندي الا ترى القديم من حيث الديانة والمجتمع والفرد والحكم .

والسر الكامن وراء اهتمام الهندوس بهذا السفر بالذات وتعلق البراهمة به على وجه الخصوص يتضح من خلال نتائج تعاليمه وتوصياته التي استطاعت ان تعيد لخدمة الهندوس الى ما كانت عليه وان تقف بوجه المد البوذي والجيني ربحا من الزمن والذي كان يهدد الكيان الكهنوتي للبراهمة . فجاء الكتاب د رعا واقيا لسلطتهم وتسلطهم وتكريسا لامتيازاتهم على سائر الطبقات الاخرى .

ومن الملاحظ في هذا السفر هو اشتغاله على قوانين وانظمة لم تكن موجودة في الكتب السابقة التي اهتمت كثيرا بشؤون الالهة وصفاتها ومدحها الخ . . . فجاءت هذه القوانين وعالجت ما يهم الشعب من شعائر وطقوس لتقديم القرابين وبمعنى اخر اهتمت هذه القوانين بالدين الشعبي اكثر من اهتمامها بالالهة فقط . وهذه العطية استطاعت طبقة البراهمة الهندوس تضيق الخناق على البوذية والجينية والحد من نشاطهما^(٤) .

- ١ - الاسفار المقدسة ص ١٥٥
- ٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٤٩
- ٣ - انظر مقدمة كتاب " منو سمرتي " ، كتاب الهندوس المقدس ، ت : احسان حقي ص (هـ)
- ٤ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٦٣ ، ، وانظر ١/٣ : ١٦٤ حول التطور التشريعي لهذا السفر
- ٥ - راجع ما قام به غوستاف لوبون من دراسات حول هذا الموضوع في " حضارات الهند " ص ٢٩٣
- ٦ - هناك ايضا كتب اخرى كان لها اثر كبير في هذا المجال ويطلق عليها سوتراس ومعناها الخيوط انظر ، الهند حضاراتها ودياناتها ص ١٨٦
- ٧ - راجع في هذا الصدد : حضارات الهند ، ص ٣٣١-٣٣٩ ، واديان الهند الكبرى ص ٩٨

الفصل الثالث :

- نظام الطبقات الهندوسي ونقده -

من الغريب ان يتجرأ الناس لا اختيار فئة تقوم بسن تشريعات وقوانين مختلفة ، لكن الأغرب ان تبقى هذه الفئة مستمرة في طغيانها ، تسن التشريعات الدينية والنظم الاجتماعية ، وتقسم من خلالها الناس الى طبقات متفاوتة في الرتبة متباعدة في الامتياز مختلفة في الحقوق والواجبات ، وان تحد لكل طبقة قوانينها الخاصة بها ، لا يمكن ان تتعدى لغيرها .

لقد استطاع كهنة البراهمة ورهبانهم المحافظة على نفوذهم ومكاسبهم طيلة قرون عديدة يرجعها البعض الى ٢٥٠٠ عام^(١) ، وقد مارسوا خلالها حكماً طاغياً ، وعلى نطاق واسع . فاذلوا الناس واستعبدوهم وحرموهم من ممارسة حقوقهم تحت ستار القداسة والانتما^{*} للعنصر الالهي ، ورغم التطور الذي شهدته الهند في العصر الحديث الا ان نظام الطبقات لا يزال معمولاً به حتى يومنا هذا رغم المحاولات الكثيرة لتغييره . (٢)

وصحيح ان دور الكهنة بدأ يتقلص الى حد ما نتيجة الانفتاح الذي شهدته الهند في هذا العصر الا ان نظام الطبقات لا يزال يعيش في مخيلة الهندوس ، وحياتهم الاجتماعية ، وقد قابلت اثنا^{*} زيارتي للهند احد الطلبة الذين يدرسون في الجامعة السلفية في بنارس وقد اسلم وترك الهند وسية طمناً بانه كان من طبقة المنبوذين .

اولا : كيف نشأ نظام الطبقات :

لقد أتى على أم كثيرة حين من الدهر مارست فيه أنظمة عرقية معتدة على نظام الطبقات فكانت فئة من الناس تتغلب على أخرى وتمارس ضد ها التمييز العنصري . الا أن كثيراً من هذه الأم استطاعت تغيير أساليب وقواعد انظمتها الاجتماعية الكثيرة تبعاً للتطور العام الذي يرافق الحياة البشرية ونظراً للمفاهيم الاجتماعية الكثيرة والفلسفات التي تتوصل اليها الأم اما عن طريق تفكيرها الذاتي أو عن طريق الاكتساب من الأم الاخرى عبر الالتقاء الحضاري بين الشعوب ، وقد يأتي التفسير نتيجة رسالة سماوية منزلة من عند الله تبارك وتعالى على رسول أو تصحيح انحراف هرنبي من انبياء^{*} الله صلوات الله عليهم .

١ - انظر في هذا الصدد : قصة الحضارة ١/٣ : ١٦٩

٢ - انظر : اديان الهند الكبرى ص ٦٠

٣ - انظر : الهند حضاراتها ، ودياناتها ص ١٨٧

اما بالنسبة للهند فان هذا التغيير لم يوجه النور الا في العصور الاسلاميه الزاهرة التي استطاعت كسر قاعدة احتكار الهندوس ، والقضاء على طغيان البراهمة والتقدم بالهند خطوات واسعة نحو الحضارة والازدهار^(١).

لقد كان المجتمع الارى في الهند كما أسلفنا - بربرى الطباع ، وثني الديانة همجي النشأة ، وكانت مفاهيمه الدينية بسيطة وساذجة الا أن التقاء الاربيين بالدرافيديين وغيرهم ، مكنهم من تطوير حياتهم الدينية والاجتماعية رغم الهجمات الوحشية التي تميز بها الفتح الارى للهند^(٢) ، وخلال هذه الفترات المبكرة كان المجتمع الارى يتطلب افرادا يقومون برعاية الطقوس وتقديم القرابين والاضاحي وانشاد الترانيم لالهتهم الخاصة ، وهوؤلاء هم الذين أطلق عليهم اسم الكهنة ، . لقد كانت الطقوس تستلزم أربعة من الكهنة ومن بينهم (البراهما) ذلك الذي ارتفع شأنه فيما بعد^(٣) ولم يكن هؤلاء الكهنة (حتى ذلك الوقت قد أصبحوا طبقة تختلف عن الطبقات الاخرى اختلافا واضحا ، كان رئيس كل عائلة يقوم بدور الكاهن عند تقديم القرابين التي كانوا يكثرون في تقديمها طبقا لما تطلبه الديانة الفيدية)^(٤).

١ - لم تستطع أي قوة أن تخضع الهند تحت سيطرتها مدة طويلة ، إلا أن هذه القاعدة لم تنطبق على قوة الفتح الاسلامي ، الذي أزال كل العقبات من طريقه ومحا الفروق الطبقيّة والعرقية وأعاد العباد الى عبادة رب العباد ، وبنى حضارة عريقة شامخة ، لازالت معالمها الى الآن تشهد على التقدم . ولولا التدخل الاجنبي وخاصة الانكليزي بالتعاون مع الهندوس الوثنيين ، دسا ، وخداعا ، لما قامت لهؤلاء قائمة .

٢ - يوضح تونبي أن بداية تطور المجتمع الارى كان إثر المحاولة التي قام بها الاربيون للمحافظة على عرقهم والتي قامت على أساس اللون في البداية وكان هذا الاجراء ضد السكان الاصليين ، وما لبث الاربيون أن انقسموا (كما حدث لشعوب أخرى في أماكن مختلفة متعددة في أجزاء العالم الى ثلاث طبقات هي : المحاربون ، والكهنة والعامّة ، وقد كانت هذه الطبقات وراثية عند الاربيين كما أصبح الانقسام الطبقي الداخلي عندهم لا يقل صرامة عن الفصل بين الاربيين وأهل البلاد ، وقد انتزع البراهمة مع الوقت من المحاربين (الكشاتريين) ما كانوا يتمتعون به من كونهم أرفع الطبقات) راجع : تاريخ البشرية ١٤٦/١-١٤٧ وكذلك : يراجع في هذا الصدد : معالم تاريخ الانسانية ٢٣٤/١

٣ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ٩٥

٤ - شجرة الحضارة ١٥٧/٣

وبعد عطية الغزو الأري جاءت عطية الاستقرار والتوسع في القرى والمدن وهي الفرصة التي أتاحت للأريين الوقوف على كثير من المعارف الدرافيدية والتسي أهلتهم لمزيد من التقدم العمراني والتجاري والصناعي وحتى الديني الذي رافقه أنواع كثيرة من التسلط والشموذة من قبل الكهنة ، أضف الى ذلك المعارف المستقاة من أم أخرى .

ومع هذا التوسع والانفتاح الجديد اقتضى الأمر وجود عدد كبير من الكهنة الذين ازدادوا مع مرور الزمن وأصبحت لهم بعد ذلك قواعد واعتيازات كثيرة تطورت ونمت وقد توج هذا النمو بتسليمهم الأمر بعد أن تمكنوا من إدارة البلاد حسب أهوائهم ، تطاما كما فعلت الكهانة المصرية القديمة من قبل .

وكان لتأليف الكتب الدينية الهندوسية أكبر الأثر في تدعيم سلطة الكهنوت البرهمي والذي لاقى مع الزمن رواجا بين الناس بسبب استغلالهم لبساطة الشعب ، بادخال القرابين والانظمة والعقائد التي يريدونها .

كان لهذه العوامل الفضل الأكبر في نشوء طبقة البراهمة الذين اكتسبوا مع الزمن في نظر الهندوس صفة التقديس والفلو حتى اعتبروا عنصرا فريدا مميزا عن بقية افراد الشعب مع الايحاء بوجود عرق إلهي فيهم بل وادعاء الألوهية ايضا (٢) .

١ - في هذه الفترات (كان البراهمة يعلنون في كبرياء ان الكاهن يستطيع ببراعته ادارة الحفلة الدينية أو اقامة شعائرها أن يحصل على البركات التي يصبو اليها وليه ، أو أن يسوق اليه الهلاك المحقق لو شاء ، ولم يكن القران في نظر الكاهن مجرد محاولة لاسترعاء انتباه الاله الذي قد يكون مشغولا في مكان آخر أو السذى يكون قد تزلف اليه عابد آخر منافس بل أصبح هذا القران أداة نفسية من أدوات السحر تقيد الآلهة وتضمن الحصول على الهفية أو على الأقل تضمن الحصول عليها إذا لم تتدخل موثرات معادية ونفس هذه المؤثرات يمكن التغلب عليها إذا (تمودنا) السخاء مع الكهنة فهم كما يزعمون في كبرياء الآلهة على الارض) .

: تاريخ العالم ٢ / ٥٢٧

٢ - المصدر السابق .

وضمانا لهذه السلطة ، واحتفاظا بهذا النفوذ ، سن البراهمة لانفسهم قوانين تحمي هذه المكتسبات ، وتمنع غيرهم من الاشتراك فيها ، أو الاقتراب منها ولم يكتفوا بذلك بل قننوا أنظمة عنصرية وعرقية لغيرهم وقسموا المجتمع الى طبقات وفئات متفاوتة من حيث الرتبة والمنزلة ، وعلى أساس هرمي ، موزعة أعمالها ونشاطاتها الدينية بحسب ما تختص به كل فئة ، على أن يكون الولا^١ والانقياد للطبقة الأولى أى طبقة البراهمة ، وما عداها محكوم عليه بخد متها والقيام بواجبات السمع والطاعة لها .

وقد حاك البراهمة مهررات لتقسم هذه الطبقات وصاغوها بنصوص عقديّة وقوانين دينية لاضفاء صفة الشرعية وطرح لباس القداسة عليها ، وهي في حقيقة أمرها أباطيل مستندة الى اساطير وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان ، ومع هذا كله فان في المجتمع الهندي الى الان من يتقبل هذا بسرور .

ثانيا :

تقسيم الطبقات

تستند قوانين مانو الى اسطورة خرافية لتقسيم الطبقات في الهند فمن ذلك ما جاء في باب خلق العالم مادة ٣١ منها ، ما يلي :

(ولسعادة العالم ، خلق برهما البراهمة من وجهه ، والكشتريين من ذراعيه ، واليهش من فخذيته ، والشودر من قدميه)^(١) .

وعلى اساس هذا القانون جرى توزيع مهام الطبقات كالآتي :

الطبقة الاولى : البراهمة

وترمز الى طبقة الازكيا^(٢) من الرجال الذين يعون براهمن اي الروح الكليّة

المجردة ، وهو^(٣) لا هم الطبقة المميزة التي لا تخضع لغيرها من الطبقات ، ولها من الصفات ما يجعلها محترمة بل ومقدسة في نظر الطبقات السفلى .

ومن وظائف هذه الطبقة : اقامة الشعائر وتقديم القرابين والذبائح ، وترتيل الأناشيد . وتجدر الإشارة الى أن هو^(٤) البراهمة استطاعوا تدعيم هذه الطبقة

باستغلال نفوذهم لدى الناس على اعتبار أنهم الأكثر ثقافة بين الشعب وهم معلموه وكهنته الذين لا تقام العبادات الا بواسطتهم " وهم وحدهم الذين لهم الحق في الاعطاء والمنع والقبول والرفض " (٤) .

١ - : منوسمري ص ١٩ ، وقد شرح البيروني هذا التقسيم وقارنه بنظام الطبقات الفارسي : راجع : تحقيق ما للمهند ص ٢٥-٢٦ ٢ - انظر : شري ايشوانيشاد ص ١
٣ - راجع : معالم تاريخ الانسانية ١ : ٢٣٤ ٤ - راجع الاسفار المقدسة ص ١٦٧

- واليك بعض النماذج من القوانين المتعلقة بافراد هذه الطبقة والتي يلاحظ من خلالها مدى الطغيان والتحكم والتسلط الذي يمارسه البراهمة
- جاء في قوانين مانو من الباب التاسع فصل منزلة البرهمني ما يلي :
- ٣١٤ - على الطك ألا يغضب البرهمن حتى ولا في أوقات الحائض لأنه إن فعل ذلك فإنه يببده مع جيشه ومراكبه .
- ١٨ ٣١٨ - إن البرهمن خليف بكل إحترام سواء أكان عالما أم جاهلا شأنه شأن النار سواء أكانت أم لم تكن .
- ٣٢٠ - يجب تعظيم البرهمن على كل حال ، ولو مارس كل الاعمال لان كل واحد من البراهمة إله .
- ٣٢١ - على البراهمة ان يوقفوا الكشترين عند حد هم اذا ارادوا ان يعملوا عليهم لان الكشترين خلقوا من البراهمة (١) .

الطبقة الثانية : الكشاترييا (الجنود)

- هي طبقة تلي البراهمة في الذكاء (٢) وتتكون من الاشراف المماريين (يتعاطون الادارة والسياسة ويسهمون في الممارك ويكونون عادة طبقة الملاكين العقاريين في البلاد ، وينتمي الطك الى هذه الفئة ومنها ينتخب نسبة لحقوقه الاربية والعائلية . . . وتنحصر مهمة الطك الاولى في الدفاع عن افراد الامة ، والقيام بأود طغمة من رجال الكهنوت (٣) .
- وهناك بعض النصوص التي تتعلق بهذه الطائفة منها :
- ٢ - كستاريا : الذي تقبل السر المقدس المنصوص عنه في الفيدا حسب القانون عليه ان يحي هذا العالم كله .
- ٣٥ - خلق الطك ليحي الطبقات والانظمة ، كل واحدة حسب رتبته ، والتي تقوم بواجباتها المختلفة (٤) .
- (ولا يجوز للاكشترى ان يشغل بغير الجندية . والاكشترى يعيش جنديا حتى في وقت السلم) (٥) .

-
- ١ - : منوسمрти ص ٥٧٣-٥٧٤
 - ٢ - انظر : شري ايشوانيشاد ص ١
 - ٣ - : تاريخ الحضارات العام ١/٦١١ وقارن مع فلسفات الهند ص ١٥٠
 - ٤ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦٦ - ٢٦٧
 - ٥ - : أديان الهند الكبرى ص ٥٩

الطبقة الثالثة : الفيشيا

أي التجار ، وأصحاب الأموال والمرابين ^(١) ، ومهنتهم القيام بأعمال التجارة والصناعة والزراعة وجميع أعمال السبيوع والمعقود ^(٢) وأتسها ن جميع أنواع الحرف وان توصل بعض منهم الى جمع ثروة طائلة فانهم يبقون مع هذا عرضة للضرائب والتسخير . ^(٣)

وقد حددت مهام هذه الطبقة في كتاب مانوسموتي ، نختصر منها بعض هذه الفقرات :

جاء في فصل واجبات الهميش . . . (الفيشيا)

(٣٢٨) - لان إله المخلوقات ، كما عهد بالمخلوقات حين خلقها الى البرهممن والكشتري ، فكذلك عهد بالماشية وتربيتها الى الهميش .

٣٣٠ - على الهميش أن يكون عالما بقيمة الجواهر واللؤلؤ والمرجان والمعادن والشباب والعطور والبهارات .

٣٣١ - كما يجب عليه أن يكون عالما بكيفية بذور البذر ومصلاح الأرض وفسادها والمقاييس والمكاييل .

٣٣٣ - وعليه أن يكون عالما جد العلم بواجبات العمال والخدم كما يجب عليه أن يكون عالما بهض لغات وطرق التجارة وأساليبها وأصول البيع والشراء ^(٤) .

الطبقة الرابعة الشودرا (أو المنبوذين)

يختلف العلماء حول هذه الطبقة ، فمنهم من إعتبر الشودرا طبقة منفصلة عن المنبوذين وعليه فإن الشودرا هي الطبقة الرابعة في تقسيم المجتمع الهندوسي . أما المنبوذون فإنهم لم يدرجوا في هذا التقسيم واعتبروا فئة بعيدة كل البعد عن الطبقات الأخرى ، وقد وصفوا بأحط الصفات الذمومة والقبیحة وأعطوا المهن المستقرة . وهناك من اعتبر الشودرا والمنبوذين طبقة واحدة ، وان صفة المنبوذين تطلق على الشودرا أنفسهم وبذلك يكون التقسيم الى أربع طبقات فقط ^(٥) . وهذا الرأي هو أقرب الى الصواب .

١ - انظر : حضارات الهند ، ٢٩٥

٢ - الفلسفات الهندية ص ١٥٠

٣ - تاريخ الحضارات العام ١ : ٢٦١

٤ - منوسموتي ص ٥٧٧

٥ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ٥٦

٦ - انظر : منوسموتي ص ٥٨٣ والاسفار المقدسة ص ١٦٦ / ١٦٧ وحضارات الهند ٢٩٥

ومما جاء في بعض قوانين مانو عن هذه الطبقة وذلك في فصل واجبات
الهنود والشودرا ما يلي :

(٣٣٥ - ان اعظم عمل يقود الشودرا الى الخير والفلاح هو أن يخدم البراهمة
الصلحاء طاعة الاله (الفيدا) الذين هم في الدور الثاني من الحياة .
٣٣٦ - ان الشودرا الطاهر الذي يقوم بخدمة بكل امانة واخلاص ويتحلى
بعزيمة البيان ويتبعد عن الغرور ويلتجئ باستمرار الى البرهمن ينال في العالم
الثاني فرقة ارفع من فرقته) (١)

ومن هذه النصوص نعلم مدى استئثار البراهمة في المناصب وحرمان
الطبقات الاخرى منها ، كما يتضح معاناة المنبوذين من هذا التسلط .

وجدير هنا ان نشير الى الصراع الدائم الذي ظل دائرا بين
الهندوس والمنبوذين ، كان نتيجة للتعسف الذي لاقاه هؤلاء من الطفلة
وفي بحث قيم قام به العزيز الشعالبي بشرح قضية المنبوذين (٢)
في الهند ، وآثارها السيئة ، والجهود التي قامت من أجل ضم هؤلاء الى
الاسلام والعمل على ترك الديانة الهندوسية ، وهو يشير الى اللجنة التي
ألغت لبحث قضايا المنبوذين في الأزهر في مصر ، وذلك بعد ان لغت جريدة
البلاغ المصرية انظار المسلمين عام ١٩٣٦ الى هذه المسألة (٣)

وقد أشار الشيخ عبد المنعم النمر الى هذه اللجنة وما قامت به
من جهود في هذا السبيل ، الا ان هذا السعي لم يسفر عن نتيجة ايجابية
وكان العائق الاكبر امام البعثة هو وجود هوة سحيقة بين المسلمين والمنبوذين
مما اسهم في بعد هؤلاء عن الاسلام مع انه كان بالامكان استغلال الحالة المتدهورة
بين المنبوذين والهندوس لاقامة جسر بين المسلمين والمنبوذين (٤)

الا ان العامل الاكبر في فشل محاولات المسلمين في هذا السبيل
تلك المواقف التي يحكيها الهندوس كلما لاحت في الافق فرصة للتقارب بين
المسلمين والمنبوذين وقد كان غاندي الزعيم الهندي الراحل وراء اغلب هذه
المواقف (٥)

١ - منو سمرتني ص ٥٧٧-٥٧٨ ٢ - راجع هذا البحث القيم في كتاب
مسألة المنبوذين في الهند ، عبد العزيز الشعالبي ، دار الغرب الاسلامي
بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ٣٠ - راجع المصدر السابق ص ٥
٤ - راجع تاريخ الاسلام في الهند ، عبد المنعم النمر ص ٣٣ ، ط ١ ، ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م
٥ - راجع مسألة المنبوذين في الهند ص ٦٥ وما بعدها .

ثالثا :

الفوارق الطبقة بين الهندوس

من خلال استعراض نظام الطبقات رأينا التباين الكبير الذي يباعد بين أفراد المجتمع الهندوسي، واستكمالا لهذا الموضوع تجدر الإشارة إلى أن هذه الفوارق الطبقة قد شلت جميع مرافق الحياة في المجتمع ولم تنحصر في أمر واحد . ومن خلال النصوص التي اخترتها نرى هذا التباين الذي يدل دلالة واضحة على الظلم والقهر والتعنت في معاملة الناس كما يدل كذلك على انتفاء مبدأ الاخلاق الهندى يتغنى به الهندوس ويهدر بالتالي أسس الحكمة المزعومة ، فكيف تجتمع العبادة والحكم الرفيعة والاخلاق العالية مع قوانين مجحفة تهضم حقوق البشر وتذلهم .
واليك بعضا من هذه النصوص :

بالنسبة للعبادات :

(- أما كشر فانه يقرأ " بيد " (القيذا) ويتعلمه ولا يعلمه .

- وكل عمل يخص البرهمن من التسابيح وقراءة بيذ وقرابين النار فهو محظور عليه (اى على شودر) حتى انه (هو) ويش (اى الفيشيا) ان صح طيهما انهما قرأ بيذ رفعتهما البراهمة الى الوالى فقطع لسانهما (١)
- على الطك : بعد أن يستيقظ مبكرا ، ان يعبد بكل أدب البرهمن العالم بالوحد الثلاثة حق العلم وأن يتبع نصائحه .

- وعليه أن يعبد يوميا : برهمنيا سنا ، طالما بالوحد طاهرا لان من يعبد الرجل المسن يكون معظما وموقرا (٠٠٠) (٢)

- وعليه ان يقوم بالعبادات الكمالية وان يعطي البراهمة كل ما يحتاجون اليه من أسباب المسرات ومن الأموال ليضاعف بذلك حسناته (٣) .
- ان جزاء التقدمة التى تقدم الى غير البرهمن يكون بسيطا وجزاء التقدمة التى تقدم الى رجل يقول عن نفسه انه برهمن عالم بالوحد (والانك)
فجزاؤه غير محدود (٤) .

وفي مجال التشريع الحقوقي والجزائي :

- لا حرج على الطك ان يستعين على قضا حوائجه ببرهمن ولو كان برهمنيا اسما او ببرهمن مشتبه في حسيبه ونسبه ولكنه يدعى انه برهمن وليتجنب استخدام الشودر البتة (٥)

١ - انظر : تحقيق ما للهند ص ٤٥٧

٢ - منوسميتي ص ٣٥٣-٣٥٤ ٣ - المصدر السابق ص ٣٦٢

٤ - المصدر السابق ص ٣٦٤ ٥ - المصدر السابق ص ٤٠٢

(١) - ان المصلحة التي يكون فيها ميزان الاحكام بيد الشور والملك ينظر عن كسب فان ملكته تنقرض وتتلاشى كما تغور البقرة في الوحل (١)

(٢) - ان المصلحة التي يكثر فيها الشور والطمع ون تهلك سريعاً بقحط أو واه (٢)

وفي فصل الشهادة

- على القاضي ان يجعل البرهمن يقسم بصدقه والكشترى بمركبته او بدايته او سلاحه والوئش ببقرته او بحبوه او بذهبه والشور باخذ آثام كل الذنوب (٣)

وفي فصل عقاب الشهادة الكاذبة :

- على الملك العادل : ان يعاقب الكشترى والوئش والشور وينفيهم من الارض ان شهدوا كاذبين واما البراهمن فيعاقبه بالنفي فقط .

- لقد صرح (منوجي) "اي مانو" برهماجي : بجواز معاقبة الفرق الثلاث : الكشترى والوئش والشور بانزال العقاب عليهم في عشر اشياء من عضو ومتاع وأما البراهمة فينفون في الارض فقط من غير أن يؤذوا .

- وهذه العشرة هي : عضو التناسل ، البطن ، اللسان ، اليدان ، القدمان العينان ، الأنف ، الأذنان ، كل الجسم ، المال والعقار . (٤)

وجاء في الاحكام العامة :

- ان الشور لا يتحرر ولا يعفى من الخدمة ولو حرره مولاة واعفاه لانه لا يستطيع احد تحريره الا الذي قيده (٥) .

- ان استنكاف الوئش والشور عن القيام باعمالهم يجعل هذا العالم كله بارتباك واضطراب ولذلك يجب على الملك ان يجبرهما قهراً على القيام باعمالهما الخاصة بهما . (٦)

اما بالنسبة للغوارق في تقسيم الارث :

- يقسم الارث بين الاولاد ان كانوا من اربع نساء من الفرق الاربع حسب

البيان التالي :

١ - : منوسمري ص ٤٠٢

٢ - المرجع السابق ٤٠٣

٣ - // ٤٢٥

٤ - // ٤٢٨-٤٢٩

٥ - // ٤٩٩

٦ - // ٥٠٠

(- ياخذ ابن البرهمنية الارقا* العارفين بالحرث والزرع ، كما يأخذ الثور

اللقاح والمركبة والحطية وياخذ الدار حصه استثنائية وياخذ حصه حسنة غير ذلك

من الارث .

- وياخذ فوق ذلك ثلاثة أسهم ما تبقى وياخذ ابن الكشترية سهمين

وابن الهيشية سهم ونصف السهم وابن الشودرية سهم واحد . (١)

- ليس للشودران يتزوج من فرقة غير فرقته ، فكل اولاده يقتسمون الارث فيما

بينهم بالتساوي ولو كانوا مئة ولد (٢)

اما في احكام الميراث :

- على الطك ان يعاقب الحقام والمراهن والشودر الذي يستشبه بالمولود بين

ثانية بعقاب يدني (٣)

- وفي القصاص والرشوة

- اذا تعذر على الكشترى والهيش والشودر اداء ما يحكم عليهم به من

غرامة مالية فللطك ان يستوفي المبلغ باستخدامهم لديه ويستوفي الغرامة في مثل

هذه الحالة من البراهمن تقسيطا (٤)

هذه بعض الامثلة والنماذج من النصوص الهندوسية التي فرقّت

بين الناس واقامت حاجزا بين وصولهم الى الحق والعدل . (٥) .

ولا مجال هنا لمقارنة هذه القوانين المجحفة بالاحكام والتشريعات

الاسلامية التي ساوت بين الناس في الحقوق والواجبات فأعطت كل ذي حق حقه

واجرت العدل والانصاف في كل القضايا التي تهم البشر ، وعطت على ازالة

الفوارق الطبقيّة بين الناس ، ومحت قوانين الرق ، وافسحت للناس العيش بسلام .

١ - : موسمري ص ٥٣٨

٢ - المرجع السابق ٥٣٩

٣ - // ٥٥٤

٤ - // ٥٥٦

٥ - ولمن اراد معرفة المزيد عن هذا الاجفاف نحيل القارى* على : موسوعة التاريخ

الاسلامي والحضارة الاسلامية لبلاد الهند والبنجاب ص ٣٢١ / ١ وكذلك كتاب :

تاريخ الاسلام في الهند ص ٢٨-٢٩

ويحسن بنا استعراض بعض الآيات القرآنية الدالة على المساواة

ومحو الفوارق بين الناس .

يقول الله تبارك وتعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١) .
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢)

هذه الدعوة العامة شاملة لجميع الخلق ، وهي توجيه للناس كافة

لا لفئة دون أخرى . ولا شعب دون آخر أو قبيلة دون أخرى . وهذه ميزة الاسلام التي وحدت الناس لعبادة رب الناس . واخراجهم من عبادة بعضهم بعضا واتخاذهم اربابا من دون الله .

ويقول الحق تبارك وتعالى (مَنْ عَلَى صَالِحٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣)
ويقول جل ذكره (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ) (٤)

ويقول الهادي البشير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

(لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لَأَبْيَضٍ عَلَى أَسْوَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى) (٥)

ويقول ايضا (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) (٦)

١ - الحجرات : ١٣

٢ - البقرة : ٢١

٣ - النحل : ٩٧

٤ - النحل : ٩٠

٥ - مسند الامام أحمد بن حنبل ، ٤١١/٥ ، المكتبة الاسلامي ، بيروت

٦ - صحيح الامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢١٩٨-٢١٩٩

دار احياء التراث العربي ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٢م

الفصل الرابع :

نظام الرهينة الهندوسي ،

المبادئ ، والصور والمراحل .

اولا : المبادئ

بعد الاطلاع على أهم العقائد الهندوسية ، والتعرف على مبادئها التي صاغها الرهبان والكهنة واستعراض فرقهم وكتبهم التي قدسوها ، وطبقاتهم التي اخترعوها .

يأتي الجانب المعلي في الفكر الهندوسي الذي يعتبر خلاصة ونتيجة لما قرره هذه العقائد الوثنية .

وهذا الجانب يعتبر أخطر موضوع في هذا البحث لما ينطوي عليه من أهمية بالغة ، حيث تتمثل فيه الصور التعبدية التي يمارسها الهندوس على أيدي رهبانهم والتي هي نتاج أفكارهم ومبادئهم التي صاغوها ، ووضعوا أسسها واخترعوا اسماءها وسمياتها .

كما تتضح أهمية هذا البحث من خلال تسأثيره الكبير في الأمم التي اتخذت لنفسها سلك الرهينة والتزمت به .

وتاريخ (الرهننة الهندوسي يبدأ من أواخر العهد الفيدى حيث كان النساك يتواجدون على شكل افراد (يتجنبون الاتصال بالمجتمع العادى ، ولا يزاوون أى نشاط ، ووجدوا لهم مكانا يحقق لهم وحدتهم في الغابة وهناك كانوا يعطون الارشادات لأولئك الذين كانوا ينشدون الوصول الى معرفة طبيعة الكون وطبيعة الانسان وكان القرويون المحليون يعولون النساك عن طيب خاطر إذ كان يسعد أولئك القرويين ان يجدوا النساك بالطعام والشيء القليل الذى يساهم يحتاجون اليه من مستلزمات الراحة في مناخ كمناخ الهند وذلك مقابل الفوائد السحرية التي تحل على تلك الجماعة بسبب وجود ذلك الناسك على مقربة منهم ، بل لقد وصل بهم الأمر الى الاعتقاد بأن مجرد لمس يده عندما يدها لاخذ هدية منهم كان يغدق جزأ من قوته الروحية على مقدم الهدية) (١)

ولم تتضح معالم الممارسات التعبدية الهندية ولم تقعد أسسها ومبادئها الا عبر فترات طويلة من الزمن ونتيجة جهود كبيرة من جانب الرهبان الهندوس

الذين تهيأت لهم الظروف المناسبة لسن هذه القوانين ونشرها بين اتباعهم واتخاذها كعادى* ثابتة لا محيد عنها لكل من التزم بهذا المسلك وعلى به .

ولا حظ المتتبع لهذه القوانين مدى صرامتها وتطرفها . . . ولا غرابة في ذلك لاننا رأينا اثنا* الحديث عن المعتقدات الهندوسية خطورة الاتجاه الفكرى للرهينة الهندوسية والذي تسخض عنه القول بالاتحاد ببرهما . وكذلك القول بوحدة الوجود ، وغيرها من العقائد ذات الصلة الوثيقة بهاتين العقيدتين . فالقول بالاتحاد يبرز الصلة بين القوانين النظرية والممارسات التعبدية ، للرهينة . .

لقد كان الاتجاه فى هذه العقائد يمثل قمة التفكير الفلسفى والرهبانى للهندوس ، فالتبتل والانقطاع وحرمان النفس وقهر الجسد وتعذيبه حتى الموت من أجل الاتصال والاتحاد ببرهما هو الهدف الاسمى والغاية المنشودة للراهب الهندوسى . (١)

وقد مر أن ممارسات اليوغا تمثل رأس هذا التطرف والغلو ، وقبل الخوض فى الحديث عن الصور التعبدية المغالية يجد ربنا الوقوف عند أهم القواعد والاسس التى بنى عليها الرهبان هذه الممارسات .

وكما مر معنا فى السابق فقد قسم الهندوس الناس الى طبقات وهى فئات تتحدد بالوظيفة . وهى الكاهن المعلم (براهمن) . الطك او القائد السياسى الحربى (كشتاريا) . التاجر (قايسيا) والعامل (سودرا) ويطلق على الثلاث المولودين مرتين ، دون طبقة الشودرا . فسنرى فيما بعد : كيف تشمل حياة المولودين مرتين المراحل الاربعة التالية والخاصة بالرهينة :

- ١ - مرحلة الطالب (براهما سارين)
- ٢ - مرحلة رب البيت (غراستا)
- ٣ - مرحلة ساكن الغابة (نانابراشا)
- ٤ - مرحلة الراهب المتجول (سانياسين) (٢)

١ - والخطورة الناجمة عن ذلك تتمثل بمحاولة الراهب التحرر من قيود الحياة وسجنها للاتحاد ببرهما عبر ممارسة شاقة مومدية فى النهاية الى ازهاق الجسد .

٢ - راجع هذه المراتب الاربع فى : الفكر الفلسفى الهندى ص ٢٠

ثانيا : المراحل الاربعة

١-: مرحلة الطالب

يكون المبتدئ* في هذه المرحلة شابا وظيفه ان يتبع التعليمات التي يصدرها الرهبان وكبار الكهنة والتي من شأنها أن تدربه على أمور الطاعة وكيفية العزلة والبعد عما يثير الشهوة ودراسة الكتب المقدسة وتقديم القرابين للنسكار وكيفية الاستحمام واحترام الهتهم . الخ .

(١)

وسوف نلاحظ مدى صرامة هذه القوانين وشدتها بالنسبة للطالب المبتدئ* . فقد وضعت قواعد تحظر عليه الامتناع عن أكل اللحم وعدم لبس الاحذية ، وأمره بالنوم لوحده دائما والتسول والالتزام بقواعد النذر (٢) التي تفرض عليه . إضافة الى دراسة القيد لمدة ستة وثلاثين سنة . كما ان هذه القواعد السلوكية للطالب المبتدئ* من شأنها تدريبه لتقبل المراحل الثلاث الاخرى وان طول هذه المدة كفيف بتحقيق اهداف الرهينة الهندوسي (٣)

١ - يراجع في هذا الصدد : بالفلسفات الهندية ص ١١٤

وكذلك : تحقيق ما للهند ، للببروني ص ٤٥٧-٤٥٨

وكذلك : قصة الحضارة ١/٣ : ٢٢٨-٢٢٩ والذاهب الكبرى في التاريخ ص ٤٥

٢ - تلتزم نظم الرهينة على اختلاف انواعها وهذا هبها ببدأ النذر المتضمن لمعنس القسم والحلف والزام النفس بالقسم عليه . ويشمل النذر عند هذه الذاهب : الطاعات ، والعبادات مثل نذر العفة ، ونذر الطاعة ، والتبطل والانقطاع .

ومر بنا اثنا* الحديث عن الرهينة المصرية شمس من هذه النذور ، وللمزيد يراجع : معالم تاريخ الانسانية ١ : ٤٦٤ - ٤٦٩ ، كما سنلاحظ وجود شمس من هذا القبيل عند اليونان ، وستهتم الرهبانية المسيحية بهذا المبدأ وستطبقه على اوسع نطاق ، وسيمر معنا هذا الموضوع اثنا* الحديث عن النذور الرهبانية عند المسيحية .

٣ - لقد حفل الباب الثاني من كتاب منوسمرتي بجميع احكام المراحل الاربعة راجع ص ٤٧ - ١١٧ منه .

من القوانين الواردة في شأن هذه المرحلة ما يلي :

- يجب على الأري أن يدرس الفيدا بكاملها مع الأوانيشاد وأن يقوم بأعمال الزهد ، وأن يقدم نذورا مختلفة تنص عليها قواعد الفيدا . (١)
- يجب على من يريد أن يصبح براهمن أن يشرع في السنة الثانية بعد الحبل (يعني بها الولادة) وعلى من يريد أن يصبح كستاريا أن يشرع في السنة الحادية عشرة بعد الحبل وفي السنة الثانية عشرة لمن يريد أن يصبح فايسيا .
- وعند ما يتم (طقس) الشروع ، يجب أن يرشد المعلم التلميذ إلى قواعد تنقية الشخصية ، وقواعد السلوك وتقديم التضحية بالنار وعادات الصباح والمساء .
- على الأري الذي يشرع (يكرس) أن يقدم المحروقات إلى النار القدسية ويعمل ما هو صالح لمعلمه . . .
- يجب أن يرشد الطالب الذي كرس إلى اتمام النذور وأعمال النظام وأن يتعلم الفيدا تدريجيا وأن يطبق القواعد المنصوصة .
- يستحم كل يوم ليظهر جسده ويقدم تقدمات المساء إلى الإلهة وإلى الحكما والكهنة ويعبد الإلهة .
- ليمتنع عن اللحم والعطور والقلائد ليتجنب النساء وايدا المخلوقات .
- ليمتنع عن دهن جسده وتكحيل صونه وعن لبس الأحذية وعن الرغبة الحسية والغضب والعلاقة الجنسية والرقص والغنا .
- ليتسول يوميا لكي يحصل على طعامه
- على من يحقق نذر (التلذذة) أن يعيش دوما على الاستعطاء كما يجب أن لا يستعطي من بيت واحد على الدوام . أن استعطاء الطالب لطعامه يعسا دل الصوم في القيمة .
- إذا طعن بمعلمه أو وبخه فانه سيصبح حطارا في الولادة الثانية وإذا شهر به يصبح كلبا ، من يحسد معلمه يصبح حشرة .
- أن نذر دراسة الفيدا الثلاثة تحت إرشاد معلم يجب أن يتم لمدة ستة وثلاثين سنة ، أول نصف هذا الزمان أول ربهه أو حتى يتم التلميز تعلمها على كمالها .

١ - راجع هذه القواعد في : الفكر الفلسفي الهندي ، ص ٢٥٥-٢٥٨

المرحلة الثانية : مرحلة رب الاسرة

هذه المرحلة تعتبر فرصة للفرد كي يزاوّل نشاطه العادي كأي فرد من أفراد المجتمع ، فيحق له ان يترك العزلة ، وتبدأ هذه المرحلة من الربع الثاني من حياته فيعمل ويكسب ويتزوج وينجب . ورغم هذا التوسع الذي تفرضه هذه المرحلة الا ان على الفرد متابعة بدأه في الفترة السابقة من قراءة تعاليم الغيدا .

ومن القواعد التي تفرض عليه ، ما يلي :

(- التلميذ الذي درس الغيدا الثلاثة في نظام صحيح ، دون ان يكسر قواعد

الطبعة يدخل طبقة رب البيت .

- ان يتم طقوس عودته الى المنزل هذا الذي ولد مرتين يتزوج امرأة من طبقة

موهوبة بعلامات حسن الطابع .

- ليقم كل انسان في الطبقة الثانية بتلاوة الغيدا يوميا وتقديم الاضاحي الى

الالهة لان المتابعة على تقديم الاضاحي يسند الخليقة المتحركة الساكنة .

- ولكي يكسب القوت الضروري لمعيشته عليه أن يجمع الثروة باتباع الوظائف

اللائقة المنصوص عليها لطبقته دون ان ينهك جسده .

الى غير ذلك من القواعد الاخرى (٢)

المرحلة الثالثة : مرحلة ساكن الغابة

وتأتي هذه المرحلة في حياة الهندوسي اشد من المراحل السالفة من حيث ممارسة الشعائر والعبادات .

يكون الفرد في هذه المرحلة قد تجاوز سن الاربعين فعليه حينئذ

ان يسهر ما اعتاد عليه في المرحلة السابقة فيترك زوجته وأولاده متجها الى الغابة

فيطلق عليه اسم " ساكن الغابة " وفيها يزاوّل التعبدات وينقطع عن العالم فيصبح

ناسكا زاهدا . اما القواعد التي يجب عليه الالتزام بها فهي كالتالي :

١ - الطالب الذي ولد مرتين ، الذي عاش حسب القانون في نظام ارباب البيوت

يمكنه ان يتخذ قرارا ثابتا ، ويخضع اعضاءه ، وبخاصة في الغابة ، ويطبق القواعد

المعطاة .

١ - يختلف نظام الرهبنة الهندوسي عن النظام الرهبني للكنيسة المسيحية في هذه الناحية ، وان كانا يتفقان في بعض الجوانب الاخرى على اساس واحدة نابعة من مفاهيم مشتركة ، وسنرى عند الحديث عن الرهبانية المسيحية تلك القواسم .

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٥٨-٢٦٠ ، وراجع

في هذا الصدد : الفلسفات الهندية ص ١١٤ ، وقارن مع تحقيق ما للهند ص ٤٥٧

٢ - عندما يرى رب البيت ان جلده قد تجعد وشعره قد ابيض ويرى اولاد اولاده عندئذ يمكنه ان يلتجئ الى الغابة .

٣ - ان يهجر طعامه الذي يحصل عليه بالزراعة ، وكل ممتلكاته ، يمكنه ان يرحل الى الغابة ، كما يمكنه ان يترك زوجته لاولاده أو أن يأخذها معه .

٤ - وان يأخذ معه النار المقدسة والادوات اللازمة للتضحية يمكنه ان ينطلق الى الغابة وان يسكن هناك ، يضبط حواسه تماما .

٥ - عليه ان يقدم التضحيات وان يعيش على انواع الطعام المهيأة للزاهد كالاعشاب والجذور والثمار .

٢٦ - (عليه) ان يجتهد لكي يحصل على الاشياء التي تسبب الغبطة ، وان يكون نقيا ، وعليه ان ينام على الارض العارية . وان لا يهتم بطباً وان يقاتل من جذور الاشجار وثمارها .

٢٧ - ليتقبل العطايا من البراهمانيين الذين يعيشون كزهاد وليأخذ ما يمكنه ان يقيم حياته وليتقبل العطايا من ارباب البيوت المولودين ثانية والذين يعيشون في الغابة .

٢٨ - على الناسك الذي يعيش في الغابة ان يحضر الطعام من القرية ، ويمكنه ان يتناول ثلثي لقمات .

٢٩ - هذه الملاحظات وغيرها ، يجب ان يمارسها البراهمين الذي يعيش في الغابة ولكي يحقق وحدة تامة مع الذات السامية ، عليه ان يدرس النصوص المقدسة المختلفة المتضمنة في الاوانيشاد (١)

ومعروف ان الاوانيشاد هي خلاصة التجارب للرهبان الهندوس .

المرحلة الرابعة : مرحلة الزاهد المتجول

هذه المرحلة تعتبر اشد المراحل عنفا وقسوة من سابقتها ، ان المبالغة في مجاهدة النفس والجسد سمة خاصة بهذه المرحلة . ، والى جانب اعتمادها على الناحية العقلية ، هناك الاعتماد كذلك على الناحية الفكرية ، ان يلتزم افراد هذه المرحلة بالتأمل والتفكير واخضاع الحواس وقهر الجسد والنفس وجعلهم اكثر طواعية للعقل وذلك من اجل الغاية المنشودة عندهم وهي الاتحاد ببرهما .

ان هذه المرحلة تعتبر في عرف الرهبان مرحلة تحرر من قيود الحياة وسجنها ان ان النفس بحسب اعتقادهم تنطلق بعد القضاء على الشهوات نحو هدفها الحرسوم وهو الاتحاد بالمعبود .

١ - راجع هذه القواعد في : الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦٠-٢٦٢

وكما سبق القول فان ممارسة اليوغا امر مطلوب هنا ، وعند ما يرد هذا الاسم فالمعنى الوحيد الذى يجب ان يتبادر الى الازهان هو الموت .
ومن قواعد هذه المرحلة الامور التالية :

- ٣٣ - بعد ان ينتهي الانسان من القسم الثالث من حياته في الغاية يمكنه ان يحيا كزاهد خلال القسم الرابع من وجوده ، وبعد ان يكون قد هجر كل قلق بالمواضيع الدنيوية .
- ٣٤ - ومن ينتقل من نظام الى نظام ، وبعد ان يخضع حواسه يكسب الفبطة بعد الموت .
- ٤١ - عليه ان يتجول صامتا ، وهو مسلح بواسطة الطهارة ولا يهتم بالمتع التي يمكن ان تقدم له .
- ٤٢ - عليه ان يتجول لوحده وبدون رفيق حتى يحقق التحرر النهائي ، وعند ما يفهم ان المنعزل لا يخذل ولا يخذل ، يريح هدفه .
- ٤٩ - يبتهج بكل ما يدل على الروح ، ويجلس جلسة اليوجي ، ويستغني عن كل مؤنة خارجية ويمتنع عن المتع الحسية ويحيا في هذا العالم ، ولكنه يتوق الى الفبطة والتحرر النهائي .
- ٨١ - من يهمل كل تعلقاته تدريجيا ويتحرر من الثنائية (التناقض) يرتاح في برهمن وحده .
- الى جانب قواعد اخرى تختص بهذه المرحلة (١)

هذه المراحل الاربعة هي الحياة التي يحياها الهندوس ، وهي كما رأينا مدعاة ، لكل تأخر ، وترك لكل تقدم ممكن ان يسهم الانسان فيه ، للممارة الارض ، وافادة البشرية من وجوده في مجتمعه ، والغمول الذى رافق الحياة الهندية لم يكن سوى نتيجة حتمية لتلك الحياة التي نادى بها الرهبان الهندوس وعطوا كل ما في وسعهم لانجاحها .

ثالثا :

العبادات في الرهينة الهندوسية وبعض صورها

هناك العديد من العبادات في الديانة الهندوسية التي شرعها الهندوس وهي في مجملها تنقسم بالقسوة والعنف وجميعها قائم على أساطير وخرافات ، يتخللها حركات وانفعالات لا حكمة من ورائها ولا يفهم مقصودها ، وتتراوح هذه العبادات بين الصلاة ، والصوم ، وزيارة الأماكن المقدسة ، وتقديم القرابين والاضاحي ، إلى غير ذلك مما افاد العلماء الذين عنيوا بتتبع هذه العبادات وأفرادوا لها إحصاءا مطولا وفصلوا أعمالها ومناسك كل شعيرة منها^(١) . وهي في مجملها تخص عامسة الهندوس .

أما ما يهم البحث منها خاصة بالنسبة لموضوع الرهينة ، فينحصر في ممارسة اليوغا ، والحج ، والصوم ، وسأذكر بعضا من صور هذه الممارسات للدلالة على مدى القسوة والعنف في عبادات الرهيان .

صور من عبادة اليوغا

تعتبر اليوغا من أشد صور الممارسات التعبدية عنفا وقسوة ، لارتباطها بعقيدتي وحدة الوجود والاتحاد ، وكما رأينا في السابق أهمية هذه العقائد بالنسبة للرهبان ، فسوف أستعرض الصور المختطفة لهذه الشعيرة عندهم والتي فيها — من المبالغات — يخرج عن الحد المألوف ، وقد وصف لنا ديورانت ببراعة ما يقوم به هؤلاء من أعمال فكانت على النحو التالي :

(على سلم المستحمين ، نرى القديسين جالسين هنا وهناك ، يحيط بهم هنود ينظرون اليهم نظرة الاجلال ، وسلمون ينظرون في عدم اكتراث وسائحون يحدقون فيهم بالابصار ويسمى هؤلاء القديسون " باليوجيين " وهم بمثابة المعبر عن الديانة والفلسفة الهندية تعبيرا ليس بعد وضوح وغرابته وضوح او غرابه ، ثم نراهم كذلك في عدد اقل ، في الغابات وعلى جنبات الطرق لا يتحركون ، ويستغرقون في تفكيرهم فمنهم الكهول ومنهم الشباب ، منهم من يلبس خرقة بالية على كتفيه ومنهم من يضع قمشا على ردفه ومنهم من لا يستره الا تراب الرماد ينشره على جسده وخلال شمعته المزركش تراهم جالسين القرفصاء وقد لفوا ساقا على ساق ويركزون ابصارهم في

١ - راجع تلك العبادات في : تحقيق ما للهند ص ٤٥٥ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣

واديان الهند الكبرى ص ٥١ وحضارات الهند ص ٦٢٩

في انوفهم او سررهم . بعضهم يحدق في الشمس ساعات متواليات ، بل اياما متعاقبة فيفقد ولا يبصارهم شيئا فشيئا ، وبعضهم يحيطون انفسهم بالسنة حامية من اللهب في قيظ النهار ، وبعضهم يشنون حفاة على جمرات النار او يصبون الجمرات على رؤوسهم ، وبعضهم يرقدون عرايا الاجساد مدى خمسة وثلاثين عاما على اسرة من حراب الحديد ، وبعضهم يدحرجون اجسامهم على الارض الاف الاميال حتى يصلوا مكانا يحجون اليه ، وبعضهم يصفدون انفسهم بالاغلال في جذوع الشجر ، أو يزجون بانفسهم في اقفاص مغلقة حتى ياتيهم الموت . وبعضهم يدفنون انفسهم في الارض حتى الاغناق ويظلون على هذا النحو أعواما طويلا أو طول الحياة . وبعضهم ينفذون سلكا خلال الاصداء حتى يمر من الصدغين فيستحيل عليهم فتح الفكين ، وهذا يحكمون على انفسهم بالعيش على السوائل وحدها . وبعضهم يحتفظون بايديهم مقبوضة حتى تنفذ اظافرهم من ظهور اكفهم وبعضهم يرفعون ذراعا او ساقا حتى تذبل وتموت وكثير منهم يجلسون صامتين في وضع واحد وربط ظلوا في وضعهم اعواما يأكلون اوراق الشجر وانواع البندق التي ياتيهم بها الناس وهم في ذلك كله يتعمدون قتل احساسهم ويركزون كل تفكيرهم بصفية ان يزدادوا طما واغلبهم يجتنبون هذه الطرائق التي تستوقف الانظار ويبحثون عن الحقيقة في ديارهم (١)

وقد وصف ابو الفرج ابن الجوزي احوالا متعددة من صور ازهاق الروح عند الهندوس ، وهي تتراوح بين ازهاقها بالنار او بالماء ، او بالجوع (٢) الخ

الصوم

أما الصوم المفروض على الرهبان فله شروط منها :
(يحرم عليهم الانتفاع بشي من الاطعمة التي تكون بمنالهم وقت الكسوف وجب عليهم التصديق بها على غير افراد طبقتهم بعد تحطيم الانية التي كانت بها وتوجب قوانين مانو على طبقة السيناتا (SINATA) وهم كبار رجال الدين ممن البرهمنين ان يكفوا عن الاكل والشرب والنوم والسفر من غروب الشمس الى غروب الشفق الاحمر كل يوم (٣) . وقد ذكر البيروني الايام التي يعين فيها الصيام ومواقيتها وذلك استنادا الى مطالع القمر اضافة الى اعتمادهم على حساب الابراج الفلكية ، كما ذكر كذلك بعض الاساطير والخرافات التي يتسكك الهندوسي بها لاثبات هـذـه

١ - قصة الحضارة ١/٣ : ٢٦٠-٢٦١

٢ - راجع تپیس ابلیس لابی الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص ٧٠ دار الكتب العلمية عن طبعة ادارة الطباعة المنيرية ١٣٦٨ هـ

ومراجع كذلك ما ذكره ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب

الاسفار ١٦٦/٢ - ١٦٧ - ١٧٦ .

هذه العبادات (١)

زيارة الأماكن المقدسة

يقوم الهنـدوس بالحج الى هذه اماكن يعتبرونها مقدسة ، وهي اما

لزيارة شجر ، اوصنم ، اونهر ، كنهر الفانج مثلا .

ففي هذا النهر (تدوى اصوات المستحمين حوله رافعين اذرعهم

الى السماء ويصيحون في نفمة الصابرين (أوم ، أوم ، أوم) (٢) وهذه الكلمة

(غالبا ما ترد على السنة اليوغين وتطلق عند ساعة الموت وهي الشكل الموجز للتسرد

الصوتي التجاوزي اذا استطاع اليوغي ترداد هذا الصور بنفس الوقت يذكر كرشنا

اوفيشنو فانه يحرز اسمى هدف) (٣) .

وتجدر الاشارة الى ان هذا النهر اصبح يشكل خطورة على البيئة

في الهند ، وذلك نتيجة استحطام الاف الهنـدوس في هذه النهر على مدار السنة ، اضافة

الى صيب مجارى المياه غير المعالجة التي تضخ يوميا وكذلك نتيجة القاء بعض الهنـدوس

بانفسهم في النهر لاعتقادهم بان ارواحهم تتحرر اذا ماتوا فيه وكذلك القاء اجساد

الموتى المحترقة في هذا النهر ومن لم يستطع احراق جسد الميت من الفقراء فانه

يربط جثة الميت بحبل معلق بحجر ويرس في النهر وهذه العلية تتكرر باستمرار .

كل ذلك ادى الى تغير كبير في مكونات هذا النهر ، وبعث على انتشار الاوبئة

والامراض . (٤) .

١ - راجع : تحقيق ط للهند ص ٤٨٣-٤٨٤

٢ - حضارات الهند : ص ٦٢٠-٦٢١

٣ - شري ايشوانيشاد ص ٦٤

كما ذكر البيروني الأماكن الكثيرة التي يحج اليها الهنـدوس راجع : تحقيق

ط للهند ص ٤٦١

- راجع التقرير الذي نشرته جريد الرياض في عدد ١١/٣/١٤٠٥

الموافق ٣/ ديسمبر ١٩٨٣ م عدد ٦٠٠٧ ص ٧ السنة ٢١ حول تلوث نهر الفانج .

وقد اخبرني احد الزملاء وهو من مسلمي الهند بان الحكومة الهندية قد اوقفت

عليات القاء الجثث في هذا النهر مؤخرا . نتيجة لهذا التلوث .

وقد عاينت بعضا من هذه المشاهد اثناء رحلتي الى الهند .

من خلال استعراض صور العبادات الخاصة بالرهبان يستطيع
الباحث استنتاج النقاط التالية :

اولا : صرامة التعاليم الدينية وقسوتها ، اضافة الى التعقيدات الكثيرة
التي لا يمكن تحطها من قبل الناس العاديين ، مما يشكل عبئا يضاف الى الابعاء
الناجمة عن النواحي العقدية والفكرية .

ثانيا : ارتباط هذه العبادات بالخرافات والاساطير والسحر والشعوذة
وهذا بدوره يودي الى خداع الناس والتدجيل عليهم باسم الدين .

ثالثا : ارتباطها بمصالح شخصية راجعة اساسا الى طبقة رجال الكهنوت
البراهمنة ، وكبار الرهبان الواقفين على التشريع وسن القوانين .

رابعا : صعوبة تطبيق جل هذه التعاليم مما يسسوء الى نفور
الناس واحجامهم عن مثل هذه الممارسات ، الا ان الجهل المطبق الذي يعيش
في ظله الهندوس يبقى هذه العبادات فوق رؤسهم كالسيف المسلط .

الفصل الخامس :

النتائج التي آلت اليها الرهينة الهندوسية

وقفت في الباب الاول على النتائج التي وصلت اليها الرهينة المصرية وتبين . الفشل الذي منيت به ، و ان سنة الله تبارك وتعالى قد مضت في هذه الامة نتيجة التسلط والبعد عن منهج الله سبحانه وتعالى . ولهذا اصبحت اثرا بعد عين . فالبعد عن هذا المنهج والانحراف عن الصراط المستقيم هما الركنان الاساسيان في اضمحلال اى امة من الامم مهما علت ، ومهما تغطرت.

والرهينة الهندوسية لها من النتائج الخطيرة ما يصب في هذا الباب فسمات التأخر والتقهقر في الهند بادية على مجمل الحياة التي يعيشها الهندوس في هذا العصر ، رغم التفوق العسكرى ، على جيرانها ، ورغم التسابق في السدان النووى مع الآخرين ، فان الروح الدينية تشد الناس الى الدعة والكسل ، وما نراه اليوم من مهانع ، ومعامل ، وانتاج ، ماهو الا ثمرة من ثمرات الحضارة الاسلامية التي تعلمها الهندوس على ايدى المسلمين ، فلما عرفوا قيمتها ، اخذوا في تقليد المسلمين في جميع الهادين ، فضلا عن احتكاك العالم الغربي بهم ونقل بعض التقدم العلمى و التقنى الى الهندوس مما اتاح لهم الفرصة لتسلم زمام الأمر ونزعه من ايدى المسلمين .

فلا فضل للرهينة الهندوسية في ذلك بل هي بعيدة كل البعد عن الحضارة والتقدم ، الا ان الجوانب المهمة في هذه الموضوع تنحصر في تقييم الاسس العقدية للرهينة الهندوسية وما آلت اليه من نتائج .

فمن النتائج الحتمية التي وصلت اليها الرهينة هي اختلاط مفاهيمها بمفاهيم الكهانة وهذا بدوره اعطى الكهنة امتيازات كثيرة ، ولا يختلف الباحثون في ان الرهينة هي بنت الكهانة وربيتها ، ففي احضانها وكنفسها عاشت ونشأت وما العقائد والاراء والاثار الشفوية والمكتوبة او المدونة الا ثمرة من ثمارها ، وقد استطاعت الكهانة استغلال الرهينة كستار لاعمالها الدنيئة ، فاستطلت الرهبان لتمرير مشاريعها واستشار طغيانها ، ولم يحرك الرهبان ساكنا الا حينما اشتد الطغيان على رقابهم وذلك عبر نظام الطبقات الهندوسى الذى فرضه البراهمة على الناس ، لهذا جاء كتاب الاوانيشاد كرد فعل على هذا التسلط ، الا ان ردها الكهنة منع من اخفال جهودهم في ابقاء سيطرتهم على الناس وذلك عبر تبيينهم لسببى وعقائد الرهبان .

فحينما نتحدث عن السلبيات في هذه الاسس ، فمعنى ذلك اننا
نشل بذلك اعمال الكهان والرهبان على السواء لانها من نتائج افكارهما ، ولكونهما
يتبنيان مبادئ بعضها البعض .
ففي ظل الهيمنة الكهنوتية ارتقت هذه الطغمة سلم الاستبداد
وحولت حياة الناس الى جحيم لا يطاق ، بفضل انظمتها وقوانينها ، اضاف الى ذلك
ما شاع فيهم من انحلال خلقي وصل الى قمة التدهور (١)

١ - وصف ديورانت الاوضاع التي كانت سائدة في معابد الكهنة البراهمة وما كان يدور
فيها من مجون وارتكاب للفحشاء دون خجل او وجل ، وفي ذلك يقول :
(وفي كل معبد (تامل) مجموعة من النساء المقدسات اللاتي يستخدمن
المعبد اول الامر في الرقص والغناء امام الاوثان ثم من الجائز ان يستخدمن
بعد ذلك في امتاع الكهنة البراهمة وبعض هؤلاء النسوة - فيما يظهر - قد قصرن
حياتهن على عزلة المعابد وكهانها ، وبعضهن الاخر قد وسعن نطاق خدماتهن
بحيث يشمل كل من يدفع اجرا لمتعته على شريطة ان يدفعن لرجال الدين جزءا من
كسبهن عن هذا الطريق وكان كثير من زانيات المعابد او فتيات الرقص يقمن
بالرقص والغناء في الحفلات العامة والاجتماعات الخاصة .

ويحدثنا نص مقدس انه في سنة ١٠٠٤ ميلادية كان في معبد الطوك الكولبي
(راجا واجا) في تانجور ارمطاة امرأة من خادمات الله ، واكسب الزمان هذه
العادة صيغة الجلال فلم يرفيها احد ما يتنافى مع الاخلاق حتى ان السيدات
المحترمات كن آنا بعد آن يهيئن ابنة الى مهنة العهر في المعابد بنفس السروح
التي يهيئ بها الابن الى الكهنوت .

ويصف (دييوا) في أول القرن التاسع عشر معابد الجنوب بانها في بعض
الحالات كانت تتحول الى بيوت للدعارة ولا شي غير هذا . وكانت عامة الناس تطلق
على خادمات الله بغض النظر عن مهنتهن في بداية الامر - الزانيات -

(وكانت) واجباتهن الرسعية تتألف من الرقص والغناء داخل المعابد مرتين كل
يوم . . . (وكان) الرقص يثير الشهوة وليس في اشاراتهن شي من الوقار وما غناؤهن
فيكاد كله يتألف من أشعار فاحشة تصف ما مر في تاريخ الهتهم من حوادث الاباحية
الجنسية (قصة الحضارة : ١ / ٣ : ١٧٤-١٧٥)

ولا يفوتنا ان نتعرض للأسباب الكامنة وراء هذا الانحدار لنظام
الرهينة ، والكهنة بشكل عام .

فالى جانب انغماسهم في الرذائل والتسلط والقهر، تظهر انـسـواع
كثيرة من الطفيان ، ومن امثلة ذلك :
- الابتزاز الطلي -

وقد اشتهر الكهنة به ، وذلك لقا* اعطال الشعوزة وضروب الاحتيال
وممارسة فنون السحر والدجل . ولم يكن ليستم هذا الابتزاز لولا تغشي الجهل بين
العامة ، واستغلال الجهل من قبل الكهنة باعتبر جريمة اجتماعية واخلاقية .
- التعصب العنصري:

ان احتقار البراهمة للناس وانزالهم منزلة العبيد كان له اكثر الاثر في
تعميق الشقة بين الناس ، كما أسهم في ايجاد المناخ المناسب لبقاء* التمييز
العنصرى متغشياً عبر نظام الطبقات .

- ادعا* البراهمة للالوهية
ان هذا الادعا* يظهر التلاعب الذى يمارسه البراهمة في عقول
الناس ، كما يتضح لنا مدى سخافة العقول التي تتقبل هذه العقائد أو تنتسب
اليها ، و تجدر الاشارة الى ان هذه الدعوى لم تنطل على بعض العقول ،
التي نادت بالغاء* مثل هذه العقيدة ونبذها ، مما حدا بالبراهمة الى رمي
الداعين الى التحرر بالكفر والالحاد (١) . وصحيح انهم دعوا الى الالحاد

١- يصف ديورانت الموجة التي اعترضت على ادعا* البراهمة بالانتساب الى العنصر
الالهى ، وقد اطلق على هذه الطائفة " المشككون " ، فقد نادت هذه الطائفة
منذ (٦٠٠ ق م) بمبادئ* لمناهضة طفيان الكهنة ومن بينها :
١ - انه ليس هناك عودة للروح الى تجسد جديد ولا اله ولا جنة ولا نار
ولا عالم .

٢ - ان كل الكتب الدينية التقليدية من تأليف جماعة من الحقى والمفرورين .
٣ - وان ما يحكم الاشياء كلها هو (الطبيعة) التي تبدع والزمان الذى يهدم
وهما لا يأبهان بفضيلة او برذيلة (بل يقسمان) بين الناس انصبتهم
من السعادة والشقاء .

٤ - وان الناس تخذعهم خلاوة الكلام فيعتنقون الاعتقاد في الالهة والمعابد
والكهنة مع انه في الواقع لا فرق بين فشنسو وكلب) . انظر قصة الحضارة
١/٣ : ٢٢٩-٢٣٠ وهكذا نرى ان من نتائج الكهانة والرهينة تحول الناس نحو
الالحاد والشك في الدين ، تماماً كما هو الحال الذى آلت اليه اوربا في عهد
الكنيسة المسيحية خلال العصور الوسطى والذى أدى فيما بعد الى بروز الشيوعية .
وسيتعرض البحث لهذه النقطة اثنا* الحديث عن الطفيان الكنسي والبابوى .

الا ان ذلك كان نتيجة حتمية للطغيان الديني والسياسي والاجتماعي الذي مارسه البراهمة .

- ان السقيود التي يفرضها الرهبان على أنفسهم ، وطقوس العبادات التي يشرعونها للناس ، هي من باب التكليف بما لا يطاق ، مما ينتج عنه اضرار للارواح ، وضياع للاوقات ، وافقار للناس .

- ان دعوى التمسك بالاخلاق الفاضلة ونذر العفة والطهر ، وازهدار التبتل والابتعاد عن الدنيا وما فيها ، لا تثبت امام المناظرة ، لقيامها على اساس عقدي مستند الى خرافات واساطير . فضلا عن كونها تعطيل للفتنة البشرية ، ومنع وظائف الجسد من اتمام مهامها على الوجه المطلوب ، فالدعوة الى نيل الحياة كنية وطرح الطبييات جانبها والعمل على نشر الاستعطاء ، كل ذلك يودي الى خلل في بنية المجتمع الفكرية والاقتصادية ، والعلمية ، ولهذا فان الهند تعتبر من أكثر البلدان فقرا في العالم ، وهذا راجع الى تعطيل دور العمل في الحياة والركون الى العمارسات التعبدية التي لا طائل تحتها والتي تنهك الجسد اكثر مما تحميه ، كما ان الالتجاء الى التفكير في اوهام غير مجدية ، لا نفع فيه بل هو توقيف لحركة العقل وربطه باحزمة من الخيال والضياح .

لكل ذلك نرى ان فقدان المصدر التشريعي الصحيح ، المعتمد على اصل سماوي منزل وموحى به من الخالق تبارك وتعالى من غير تحريف ولا تبديل هو شرط اساسي من شروط الدين الحق ، لان الخالق اعلم بما يصلح شؤون الناس ، وما يناسبهم في عصرهم وعصرهم .

اما الاعتماد على تشريع وضعي من صنع البشر ، فهو بمثابة وضع الامر في غير نصابه ، بل تعد على حقوق الله تبارك وتعالى اذ له اخص خصائص الالهوية وهي الحاكمية التي تعبد الناس بها وانزل تشريعه ليرجعوا اليها في جميع امورهم . اما التشريعات الوضعية فانها غير مؤهلة لتصريف شؤون العباد وتقنينها ،

فالضجج الرباني هو الكفيل بتحقيق ذلك ، لانه دين الله المتكامل القيم الذي لا زيف فيه ولا نقصان ، صالح للفرد والمجتمع ، في كل زمان ومكان .

وط دامت امة متمسكة بهذا المنهج ، تحترم قداسته ، وتلتزم بمبادئه واهدافه ومثله ، وتتأفح عنه ، فهي بخير ، ولا يضرها من خالفها .

وان تخلت عنه ونبذته وراظهرها فان الفساد حال بها لا محالة ، والويل واقع بها لا غرابة . وما عليها الا انتظار العذاب من الله تبارك وتعالى ، فهو يمهمل ولا يهمل .

وبناءً على هذه القاعدة فان اى مجتمع يرضى لنفسه الحكم بانظمة وضعية أو قوانين بشرية لا بد له من ان يتخبط قبل ان يندثر وينهار ، وذلك من سنن الله تبارك وتعالى ولان المذاهب والقوانين البشرية تعترضها امور عدة من بينها :

١ - الاهواء الشخصية والمصالح الفردية الانانية ، فيوجود هذه الامراض فان المصالح العامة تتعرض للتعطيل ، وبالتالي تقل استفادة المجتمع من هذه القوانين فضلا عن الصدام الحتمي بين فئات الناس الذى ينشأ نتيجة استئثار البعض بهذه المصالح ، وتفضيل الانانية على المصالح العامة .

٢ - قصور هذه القوانين وعدم ملائمتها لمختلف الازمنة والامكنة ، وهذا راجع الى ضيق افق العقل البشرى تجاه القضايا الانسانية الكبرى ومشاكلها العالمية التي لا سبيل الى حلها عن طريق حلول بشرية قاصرة ، بل لا بد من تدخل العناية الالهية لتسهيل وتيسير سبلها .

٣ - اعتماد هذه القوانين على عناصر القومية والعرقية الضيقة دون مراعاة مبدأ أصل النشأة البشرية وجعلها كاساس للتعارف بين بنى البشر .

٤ - اعتمادها على التمييز العنصرى وتغليب فئة على أخرى حسب اللون والجنس والشكل .

لهذا كله ولا موار أخرى غيرها نستطيع ان نقول : ان قوانين الرهينة من هذا الضطور وعقائدها لا يمكن للعقول النيرة القبول بها مطلقا ، ورفضها هو السبيل الوحيد للنجاة من العذاب والهلاك .

والنتيجة التي آلت اليها الرهينة الهندوسية ، هي فشلها في تحقيق الامن والامان للناس مما نشأ عنه بروز الرهينة الجينية ، والبوذية كرد فعل لهذه الظاهرة والتي سوف نعالجها ان شاء الله في السطور القادمة .

الباب الثالث

الاسس العقديّة

" للرهينة الجنيّة "

والرد عليها

(١)
الرهينة الجينية : نشأتها وتطورها

التمهيد

أ - اسباب النشأة :

لعمل من أبرز النتائج التي تمخضت عنها الرهينة الهندوسية مرور

سيرتها الطويلة هو نشوء عدد من الفرق الهندوسية التي انفصلت عن الهندوسية
تماماً ووقفت في وجه التعاليم البرهمية ، وأنكرت جملة من عقائدها الهامة ، واقتبست
منها البعض الآخر ، كما تميزت عنها بوضوح معالم الرهينة فيها .

وللحديث عن اسباب نشأة الرهينة الجينية ارتباط وثيق بالحالتين الاجتماعيتين
والدينية في الهند التي شهدت على مدى قرون طويلة حالات من القهر والتسلط
البرهمني ، و التي أشاعت في الأجواء نوعاً من القلق الدائم والخوف المستحكم في نفوس
الطبقات الدنيا التي رزحت تحت نير التعاليم الدينية ردحا من الزمن .

وقد سبق الكلام عن هذا الموضوع في الفصول السابقة ، إلا أن ما يعني
البحث هنا ، هو : كيفية تقبل النفوس لعقائد جديدة بعيدة عن نطاق التعاليم
الموروثة .

فقد شهد القرن السادس ق . م حركات عديدة بهدف التخلص من هيمنة
البراهمة^(٢) ، وكان الجو حينئذ يعج بالاراء والعقائد المختلفة ، وكانت النفوس
مهينة ومستعدة لقبول أي فكرة معارضة لمبادئ الطبقة الأولى مهما كان لونها .
وحرى أن تأتي هذه المعارضة من قبل تلك الفئات المحرومة والمضطهدة برحى الطفيا
البرهمني ، وقد رأت هذه الفئات في الدعوات التي قامت بسلكها جيادا لعبور النفق
الظلم الذي أحال حياتها الى كابوس مرعب .

(٣)

لقد جاءت حركة التغيير من قبل طبقة الكشترية وهي الفئة التي أسندت اليها
مقاليد الحكم ، وهي أشبه بالمنصب الفخري ، وذلك لضمان سكوتها ، ولأن القرارات
لا تصدر إلا من البراهمة وأن التنفيذ كان لزاماً على طبقة الكشترية .

١ - هذا الاسم نسبة الى كلمة " جينا " ، ومعناه : " القاهر " راجع : قصة

الحضارة ١/٣ : ٥٨

٢ - راجع : الموسوعة البريطانية : ٨/١٠ مادة " الجينية " .
- ENCYCLOPEDIA BRITANICA . V:10 . P.8 - 1974
) موسوعة تاريخ العالم ، وليم لانجر ، ٩٧/١

٣ - راجع اديان الهند الكبرى ص ١٠٢ ، ويذهب بول ماسون الى ان الجينية

قد تأسست تحت تأثير الاصلاح الايراني الذي وضعه زرادشت) : الفلسفة

في الشرق " بول ماسون اوريسيل " ت : محمد يوسف موسى ص ١١٢ ، دار المعارف ،

ب - مؤسس الحركة :

برز مهافيرا ، أو " مهافيرا " من هذه الطبقة ، كأحد أبناء الامراء في بلدة (وسلا) من منطقة بيهار (٣) . وذلك في القرن السادس (٤) ٥٩٩ م. وهي الفترة نفسها التي ظهر فيها بوذا . وتجمع المصادر على انه كان بإمكانه تصد ر أمور الحكم كإبيه أو أخيه (٦) ، إلا أن سيبا رئيسا حال دون ذلك الأمر . فالصدمة الأليمة التي أحلت به إثر موت والديه معا جوعا عقب صوم طويل ، وقهر للنفس اتباعا لقواعد دينية صارمة ومتطرفة ، ولعلهما كانا ممن يمارسون عبادة اليوغا -

هذه الصدمة قلبت حياة مهافيرا العادية ، وجعلت نفسه وعقله تائثرين حائرين ، وكانت نقطة تحول في مسار حياته ، فقد هانت عليه الدنيا ، ورغصت النفس ، فهام على وجهه تائها هاربا من مجتمعه منزلا بنفسه أقسى أنواع الزهد والتشف (٩) .

١ - معنى هذا الاسم : " البطل العظيم " . وقد يطلق عليه أيضا إسم " فاراد مانا " راجع : حكمة الاديان الحية ص ١٤١ .

٢ - راجع : الهند حضاراتها ودياناتها ، ص ١٤٢ وكذلك راجع : *MAN'S RELIGIONS* , John. B. NOSS. P. 95. Macmillan Publishing co. inc. NEW-YORK. ١٩٨٥

٣ - راجع موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ٢٢٤/١
٤ - يختلف العلماء حول تعيين سنة ميلاده ووفاته ، فإضافة لما ذكر ، هناك من يذهب الى انه ولد سنة ٥٤٠ ق.م . انظر : الهند حضاراتها ودياناتها ، ص ١٤٢ وهناك اقوال اخرى حول هذا التاريخ ، الا انه لا يوجد تاريخ متفق عليه بهمن العلماء .

٥ - راجع : مجلة ثقافة الهند : عدد ٣ ، مجلد ٢ ، ص ٣ ، سنة ١٩٥١
ويعتبر غوستاف لوبون ان الجينية والبوذية هما شيى واحد لتشابه النشأة ، والسيرة والاراء . والحقيقة انهط مختلفتان في كثيرة من النواحي ، وليس صحيحا ما ذكره لوبون ، بدليل انه تعرض لذكر معابد الجينية ووصف الجينوات ، وهذا غير موجود عند البوذية لعدم ايمانهم بهذا المبدأ . راجع مقالته في : حضارات الهند ص ٦٢١-٦٢٣ . كما ان العديد من العلماء لم يذهبوا الى ما ذهب اليه لوبون .

٦ - راجع : اديان الهند الكبرى ، ١١١ . ٧ - الديانات والعقائد في مختلف العصور : أحمد عبد الغفور عطار : ١٠٧/١ مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠١ ، ١٩٨١

٨ - ثقافة الهند ، عدد ٣ ، مجلد ٢ ، ص ٣ ، سنة ١٩٥١ .

٩ - طم بان مهافيرا قد عاصر عددا كبيرا من الرهبان الذين أشرفوا على كثير من الاديرة التي اتبعت نظام بارسفاناثا في تعاليمها وهذا النظام كان من مهامه تخريج الرهبان ومن بين هذه الاديرة مدرسة ديوبالاسا ، التي لم ترق له فهجها ، انظر :

— *EARLY INDIAN RELIGIONS*. P. 147. Reprinted 1975
P. BANERJEE , New Delhi. INDIA

وربما اراد ان يضع حدا لحياته باتباعه لهذه الطريقة تماما كما حصل لوالديه
الا ان الامور لم تجر كما يشاء ، (ثم ما لبث ان انضم لجماعة الشكانيين ، ونذر الايتكم
اثنتي عشر عاما) (١)

والامر المفاجئ حقا ، هو انقلاب هذا الزهد الى نوع جديد من الرفض للعقائد
والمبادئ البرهمنية (٢) . ان كان في البداية مارسا لتلك الرياضات الروحية
على الطريقة التي رسمها الرهبان البرهميون .

وهنا يبرز سؤال عن سبب تغير الوجهة التي كان عليها ، وتحول هذه الوجهة
الى دين جديد (٣) .

وما لا شك فيه ان مهافيرا استطاع خلال رياضته القاسية التعرف على دقائق
وتفاصيل الممارسات التعبدية السائدة ايامه ، ومن ثم بانته له عن كتب الاساليب
الطوية التي يتبعها الرهبان والكهنة الهنود في تمرير عقائدهم وشرائعهم ، وشها
بين الناس بطرق غير اخلاقية ولا تليق بالزاهدين . كما بيان له زيفها وخداعها .
كما استطاع تبين الاسباب الرئيسية لسريان القهر والتسلط الممارس من قبل
البراهمة على غيرهم من الطبقات الاخرى .

ولهذا كله فقد أبى عقله تقبل مثل هذه الترهات سيما وانه وصل الى مرتبة
عالية تسمى (المرشد : تيرثانكارا Tirthankar) (٤) .

لقد وازن مهافيرا بمنهج العقل الصافي امور العقائد الهندوسية
واصطدم بالواقع العملي الممارس ، فوجد هوة سحيقة بين ما تدعيه البرهمنية الهندوسية
من زهد وتقشف وبين ما تمارسه من قهر وتسلط . وخرج بنتيجة مؤداها الشك والاحاد
بكبرى العقائد الهندوسية الا وهي عقيدة تعدد الالهة .

وهي ردة فعل طبيعية معاكسة للتطرف المغالي للفكر الديني الوثني . وقد
اعتبرت هذه النزعة بمثابة حركة اصلاحية ضد الديانة التقليدية ، كما اعتبر مؤسس
الجينية مصلحا في العصر الذي نشأ فيه ، والذي نادى اضافة الى نبذ الالهة :
بازالة نظام الطبقات ، وعدم الاعتراف بالكتب المقدسة (الفيدا) (٥)
(٦)

١ - حكمة الاديان الحية ، ص ١٤٢ ٢ - راجع الموسوعة البريطانية ٨/١٠

وانظر كذلك : موسوعة تاريخ العالم ٩٧/١

٣ - الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٤ - تفيد بعض المصادر ان الجينيين يعتبرون مهافيرا احد كبار المصلحين الذين تعاقبوا
واحدا تلو الآخر والبالغ عددهم ٢٤ جينا وهي تعني " المصلح " انظر : EARLY INDIAN
RELIGIONS. P. Bamer Jee P. 147 - Reprinted 1975 NEW Delhi.

٥ - قصة الحضارة : ١/٣ : ٥٩ ، ومجلة ثقافة الهند ، عدد ٣ ، ص ١ ، مجلد ٢ ، سنة ١٩٥١
وكذلك الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٦ - الفلسفات الهندية ص ٣١٧ ، وانظر كذلك : حضارات الهند ص ٦٢٢-٦٢٣

٧ - انظر : الفكر الفلسفي الهند ص ٣٢٥ و موسوعة تاريخ العالم ٩٧/١-٩٨

وهناك حافز آخر شجع مهافيرا على الاستمرار في دعوته وهو مناصرة امــــرا
المقاطعات والاسر الحاكمة من الكشتاريين لدعوته وتأبيد هم له . ومن اهم هذه الاسر:
" فيديها " و " مفاداثا " و " وانغا " . . . وكانت مقاطعة بيهار وما جاورها
من المدن والقرى والبلدان محور نشاطه . . . كما ان بعض رجال الدين والرهبان
قد انضم الى هذه الدعوة . (١)

الفصل الاول :

اهم العقائد الجينية ونقدها

اولا : اهم العقائد

انكر مهافيرا جطة من العقائد الهندوسية كما أسلفنا وفي طبيعتها تعدد الالهة .

فلم يعترف بضرورة وجود اله لهذا الكون مبرا ذلك بأنه في حال اتخاذ الالهة فان ذلك من شأنه العودة الى نظام الطبقات وهو الامر الذي يرفضه وينكره (١) .
لقد ربط مهافيرا بين هاتين المسألتين لكون البراهمة مسؤولين عن ايجاد هذا الحشد الهائل من الالهة المزعومة ، والتي أثقلت العقل الهندي بالاراء المتناقضة وكبلت الحياة الدينية وعقدتها فضلا عن الحيرة والاضطراب اللذين لازما الناس ازمة طويلة .

ومن هنا برز السبب الرئيسي الذي حدا بمهافيرا لانكار الالهية ، ولكي يصرّف أنظار أتباعه عن هذه القضايا دها الى الاتجاه نحو الاعتناء بالنفس عن طريق تهذيبها وازالة ما يعلق بها من أدران حتى تصل الى مرحلة النجاة ، حيث الخلاود التام .

وقد فلسف الجينيون هذه العقيدة بقولهم :

(" انه ليس من الضروري أن نفرض وجود خالق أو سبب أول ، فكل طفل يستطيع أن يفقد مثل هذا الغرض بقوله : إن الخالق الذي لم يخلق أو السبب الذي لم يسبقه سبب ، لا يقل صعوبة على الفهم عن افتراض عالم لم يسبقه أسباب ، ولم يخلقه خالق ، وانه لا قرب الى المنطق السليم أن تعتقد أن الكون كان موجودا منذ الأزل ، وأن تغيراته واطواره التي لانهاية لها ترجع الى قوى كامنة في الطبيعة ، من أن تعزو هذا كله الى (٣) اله

١ - وان كان هذا المبدأ قد خرق فيما بعد على يد اتباعه الذين جعلوا من مهافيرا الها يضاف الى سلسلة الهة الهندوس . وهنا نجد له عدة اسما منها " الوقور

(ARhat) والصلح او الفاتح (JINA) راجع في هذا المصدر

مجلة ثقافة الهند مجلد ٢ عدد ٣ ص ١٩٥١

٢ - قصة الحضارة ١/٣ ٥٩ .

وخير معبر عن هذه العقيدة هو كتاب (الستوراكريتانكا) الذي اوضح هذه العقيدة المستندة الى مقولة الطبيعيين بقوله (العالم أبدى ، لا حد له وهو كائن ليخلد ولن يفنى) : حكمة الاديان الحية ص ١٤٦ وراجع كذلك حضارات الهند

Man's Religions P. 99

ص ٦٢٢ وكذلك)

ويستتبع هذا الاتحاد نبذ فكرة الروح الكلية المسيطرة (أتمان *Atman*) التي تقول بأن
أرواح البشر وأرواح الالهة متحدة بهذه الروح الكلية .
الا أن مهاويرا لم يستطع انكار الروح في الانسان فأقر أن لكل فرد روحه الخاصة
التي ينفرد بها عن بقية الأرواح .

وطى هذا الأساس فقد اهتم مهاويرا بهذه الروح ودعا اتباعه لتنقيتها . كما
رفض مبدأ البراهمة القائل (باتصال الروح بالجسد على الدوام ودوران انتقالها وفق مفروضات
قرروها لصالحهم وتحقيق مآربهم . وقد حاول ابطال مزاعم الكهنة قائلًا :
(ان الروح لم دامت محبوسة وقيدة باغلال الجسد وسلاسله لن تصبح في فسحة
ولن تتحرر لتنتقل الى آفاق غير محدودة ولن يتسع سلطانها ، ولن تظهر حقيرتها ولن
يتحقق نبوغها) (٣)

وبدلاً عن ذلك فقد نادى بأن الطريق (لخلاص الجسد كامن في قهر
النفس وانكار الذات وهذا ما عرفه في وصاياها الخمس التي أهمها وأولها هي (ال) (أهتسا)
(*Ahimsa*) أو عدم الايذاء لكل ذي حياة ولأن لكل حي روحاً (٤) وصحيح أن
الدعوة الى قهر الجسد وتعذيب النفس ليست جديدة على الفكر الهندي . . . الا أن الأمر
الجديد هو الدعوة الى عدم ازهاق أي كائن ذي روح (٥)

وبالنتيجة فإن هذا الاتحاد قد بني على أساس من سوء فهم لسألة الالهة
بالله تعالى . ان أن هذه الفكرة كانت مشوشة في أذهان الجينيين وهذا يعود الى ريبط
التقديس بالالوهية التي يدعيها البراهمة وأن الالهة عند هم لها من الصفات ما يجعلها
تتشرك مع الصفات البشرية بأمر كثيرة فهي تأكل وتشرب وتجوع وتعطش وتتناسل . . . وهذا ما
عكس فكر الجينيين مما استدعى انكارهم لوجود الالهة .

وطيه فقد قاست الجينية مبدأ الالوهية عند الهندوس وقارنته من وجهة نظر بشرية
محضة دون الرجوع الى مقومات النظرية الفكرية المجردة عن كل هوى أو ردة فعل لأي مشكلة
عقدية من هذا النوع . فاثبات الالوهية لا يتم عن طريق قياس الغائب على الشاهد بل باتباع
الأصول العلمية والأسس المنهجية ، ودراية البراهمين القاطعة الدالة على وجود الخالق
عز وجل وما أكثرها ، فمنها ما هو فطري مستودع في النفس البشرية ، ومنها ما هو نظري
ثم ما كان عقلياً أو فكرياً .

والاسلام حينما يعالج هذه القضايا فإنه لا يعالجها وفق الخيال والأوهام بل
نراه يدعو العقل البشري للتدبر والتفكير في هذا الكون الفسيح وما فيه من خلوقات والتبصر في
النفس البشرية وما انطوت عليه من خفايا وأسرار معجزة لا يمكن التوصل الى سير غورها عن
طريق المعرفة البشرية القاصرة وكذلك بقية المخلوقات الأخرى . فإذا ما تجرد العقل عن الهوى
والزيف والتخمين . وربط الأمور وفق ما يقتضيه المنطق السليم ، وأرجع الأسباب الى سببها
ومنسقاها وخالقها وبارئها فلا بد والحالة هذه من أن يقر بوجود الله تبارك وتعالى .
(قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُخْفِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) (٥)
(وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (٦)
(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَى إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٧) . . . وفي أنفسكم أفلا تبصرون . . . (٨)

وهكذا فإن العقل إذا ما سار وفق هذا النهج فسيصل الى الحقيقة اليقينية الكبرى
التي لا ينكرها إلا هالك .

١ - راجع : مجلة ثقافة الهند ص ٢ عدد ٣ مجلد ٢ سنة ١٩٥١

٢ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١٤٢

٣ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٣ ٤ - ط بان الجيني يسمح لنفسه بازهاق روحه
حتى شاء عبر ممارسته للرياضة الروحية (اليوغا) .

٥ - يونس : ١٠١ ٦ - النمل : ٩٣ ٧ - العنكبوت : ٢٠

٨ - الذاريات : ٢١

ثانيا : الكارما وتناسخ الارواح :

يجمع العديد من العلماء على ان اصحاب الديانة الجينية يؤمنون
بمبدأ الكارما وتناسخ الارواح ، وليس صحيحا ما ذكره صاحب كتاب " الفلسفات الهندية
من ان " مؤسس الجينية لم يقل بعقيدة التناسخ (١) .

وقد سبق لنا التعرف على هاتين العقيدتين من خلال دراستنا للفكر الديني
الهندي وسي ، وبان لنا أهميتهما في تلك الديانة .

والفكر الجيني يوافق هاتين العقولتين مع اختلاف طفيف لا يؤدى الى كبير
فرق ، وهو يدور حول محور الكارما من حيث كونها " مادية " أم " اعتبارية " .

فقد آمن الجينيون بمبدأ الكارما على اساس انها قانون الجزاء وانها تتحكم
في كل حياة فيكافأ الانسان او يجازى على كل ما يأتي به او يجترحه من صالح او طالح
في الحياة التالية (٣) . وان النفس تتقمص جسدها الجديد اذا ما نالت من
الجزاء حقها الموفور (٤) .

والفرق بين النظرة الجينية والهندوسية الى الكارما يتعلق بجوهرها .
ففي حين يرى الهندوس انها اعتبارية . يذهب الجينيون الى ان الكارما هي كائن
مادى (يخالط الروح كانه يسك بتلابيبها ، او يحيط بها كما تحيط الشرنقة
بالفراشة) (٥) .

وعلى هذا الأساس فقد قسم الجينيون الأرواح الى أربعة أقسام وذلك حسب
التالي :

١ - الأرواح ذات الحواس الخمس : مثل الآلهة ، الإنسان ، الحيوانات ،
والكائنات النارية .

٢ - الأرواح ذات الحواس الأربعة :

مثل : الحشرات الكبيرة ، النمل ، النحل ، الذباب ، والفرشات .

١ - راجع : الفلسفات الهندية : د . علي زيعور ، ص ٣١٢

٢ - راجع الموسوعة البريطانية ٨/١٠

وكذلك : *Mam's Religions* . P. 98

٣ - حكمسة الاديان الحية ص ١٤٢ ، والفكر الفلسفي الهندي .

٤ - انظر قصة الحضارة ٦٠ : ١/٣

٥ - : اديان الهند الكبرى : ص ١١٦

٦ - كما سبق القول فإن أتباع مهافيرا حوروا مذهبه من الإلحاد إلى الاعتقاد بوجود
آلهة ، فقد اثبتت الحفريات في مقاطعة كالينغا وجود تماثيل للمصلحين الجسينيين
وكان ذلك في حدود القرن الرابع ق . م (وغالبا ما كانت هذه التماثيل تعبد بعد
مهافيرا) انظر بتوسع)

- *EARLY INDIAN Religions* . P. 177

٣ - الارواح ذات الحاستين : وهي التي تتمتع باللمس والذوق فقط كالديدان ، والحيوانات الصغيرة ذات الاصداف .

٤ - ذات الحاسة الواحدة :

مثل النباتات ، الاشجار ، الجذور ، والاجسام النباتية المائية . . . الخ . (١)

ثالثا : النظرية النسبية

المعرفة في نظر الجينييين نسبية (والحقيقة (عندهم) معالم عديدة لا واحدة ، ، وهي تختلف مع النظرة الهندوسية ، فهي تقول ان النظر الى ماهية الحقيقة شيء نسبي تختلف باختلاف الناظر وهي مهمة كانت تعبر عن ذاتها باشكال عديدة مع العلم اننا لا نصل الى إثبات المطلق (٢) . وهذه النظرية تلحظ مثلا : (أن هذا الشيء قد يكون حاراً بالنسبة الى شخص ما ، وبارداً بالنسبة الى شخص آخر . حاراً بالنسبة الى الشخص المعين ، وبارداً فيما بعد بالنسبة اليه ايضا ، وذلك بنوع من التقريب أو أن شخصا بالذات هو ابن وأب وعم . . . الخ بالنسبة الى أقاربه الآخرين (٣) .

وقد نفى البعض أن يكون هذا الامر شك تلزم الجينية به ، موضحا أنه قد (ظن بعض المؤلفين المحدثين أن في هذا المبدأ فلسفة شكية بينما هو في الحقيقة مبدأ نسبي ، وقد استخلص منه العديد من التطبيقات المعطية والاخلاقية بشكل خاص وطمح هذا فط هو أطمحنا في العالم الحسي ليس حقيقة ثابتة بل هو تداعل علاقات مرتبط بوضعنا وأحوالنا أمام تلك الحقيقة ، فالعالم الحسي لا يستحق منا المبالاة والاهتمام فبما العكس ينبغي علينا نفيه والانعكاف على بناء داخلنا ، وقطع كل ميل نحو الواقع ، من هنا تنبع عقيدة اللاعنفا (أهسا) والسلوك المتشظف والتألمي . (٤)

ومهما كان الدفاع عن هذه العقيدة فان السلبية هي الطابع المميز فيها . والدفاع الذي تقدم آنفا لا يثبت عند البرهان ، فهذه العقيدة بحق تعتبر هروبا من الواقع وعدم الاحساس بالمسؤولية الطقاة على عاتق الانسان والتي تتعلق بأمر رسالته كبشر مكلف باداء الامانة ، وعطارة الارض . وهذا الهروب يعتبر مرضا نفسيا ناجما عن النظرة التعيسة للحياة فبدلا من ايجاد الحلول لمعضلات البشر ومشاكله

١ - راجع : *Man's Religions* p. 99 والفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٢
٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٤١ ٣ - فلسفات الهند ، جان فليوزات . ت : طي
مقلد ص ٣٢ - ٣٣ ، المنشورات العربية ، جونية لبنان ، وكذلك راجع موسوعة الدين
والاخلاق ٤٦٨/٧ ٤ - الفلسفات الهندية ص ٣١٨

تفضل الجينية الانعتاق من هذه السوسولية والركون الى التأمل العقلي الذي لا يتعلق
الا بالذات والنفس واهجاد الوسائل لتعذيبها وشقاها .

فأي فكر ثاقب ياترى سينتج عن نفس كئيبة حزينة ؟ أليس سوى مهادى*مهسضة
وأهداف حقيرة لا تسمن ولا تغني من جوع ؟ .

وتجدد الإشارة الى أن هذه النظرية كانت بداية لنظرية أكبر ، ونعني بها ما
طوره الفلاسفة اليونان على يد " هيراقليطس " (٥٤٠-٤٧٥) ق م . الذي وجد فسي
هذه النظرية بابا لغرضيته القائلة بأن (الأشياء* في تغير متصل) وقوله (أنت لا تنزل
النهر الواحد مرتين . فان ماها جديدة تجري من حولك اهدا) (١) .

فالتغيير عند ، هو (قانون الوجود وأن الاستقرار موت وعدم ، فاذا كان كل
وجود يتغير باستمرار امتنع وصفه بخصائص ثابتة وامتنع العلم أيضا لأنه يتألف من قضايا
ضرورية والواقع أن هيراقليطس كان لا يقصد الى هذه النتيجة لكن جماعة من السوفسطائيين
هم الذين استخرجوها من نظريته هذه غير ملتفتين الى أن الوجود قد يتغير بالعرض
ويبقى هو ، هو من حيث الجوهر والماهية ولما كان هيراقليطس لم يفتن الى هذه التفرقة
فقد اعتبر الجد الأعلى للشك في الفلسفة اليونانية) (٢) .

كما أن هذه النظرية قد تطورت في العصر الحديث على أيدي دعاة الوجودية
وعلى رأسهم اليهودي جان بول سارتر الذي طورها ليصل بها الى الكفر والاحاد
واستتبع ذلك نظريات اباحية. من ذلك قوله : (انك تستطيع أن تفعل ما تريد وليس ثمة
من له الحق في توجيه النصح إليك وليس في نظرك شر وخير الا اذا خلقتك) (٣) .

رابعاً : فرضية المادة الذرية

تؤمن الجينية بأن المادة ذرية في تركيبها وأنها لا تغنى وأن الزمن
لا يغنى ، وانطيمر في دورات لا يدركها العقل طولا ، وكل دورة منها ترتفع رويداً الى
ذروة من الخير ثم تنحدر فتدخل في فلك آخر يتردى باستمرار في الشر حتى يبلغ أحد
أعناق الفساد قبل أن يأخذ دوره في فلك جديد للخير وتستغرق هذه الدورات المتلاحقة
ملايين ملايين القرون ، والانسان الذي لا تزيد حياته عن طرفة عين في دهر ، كيف
يتسنى له أن يعيش ليدرك السلام لروحه وأن يتخلص من آلام الدنيا) (٤) .
وهكذا يظهر التناقض بين مبدأ التغيير وهذه الفرضية ، وعلى أي حال
فان مقولة عدم فنا* المادة الذرية فتحت الباب واسعاً أمام الفلاسفة والملاحدة للسؤال
بقدم العالم ، فوجد الفلسفة اليونانية القديمة تتبنى هذه النظرية وتدافع عنها بأدلة
لا تستند الى براهين طيبة بل الى تخمينات وتخيلات عقلية لا أساس لها من الصحة

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ١٧

٢ - انظر : محاضرات في نقد الفلسفة ، أقيمت على طلبة كلية الشريعة للدكتور محمود خفاجي
١٣٩٨-١٣٩٩ هـ - جامعة أم القرى .

٣ - انظر : محاضرات في المذاهب الفكرية المعاصرة للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني
فصل الوجودية في الفلسفة ، - محاضرات أقيمت على طلبة الدراسات العليا فرع العقيدة
١٤٠٠ هـ - ١٤٠١ هـ - جامعة أم القرى .

٤ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٢ وراجع كذلك : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٢٧

(١) وقد تناول العلماء المسلمون الرد على هؤلاء وأثبتوا بالدلائل العقلية والنقلية حدوث العالم وأبطلوا الزعم بقدمه . وقد اعتمدوا في نقدهم على ما يثبت حدوث الجواهر والأعراض المسميثة في هذا الكون وورهنوا على أن التغير ملازم لها وما أن التغير انتقال من حال إلى حال فمن المحال القول بقدمها . وفي ذلك يقول الباقلاني :

(و يجب أن يعلم أن العالم حادث وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى والدليل على حدوثه : تغيره من حال إلى حال ، ومن صفة إلى صفة ، وما كان هذا سبيله ووصفه كان محدثا ، وقد بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا بأحسن بيان يتضمن أن جميع الموجودات سوى الله محدثة مخلوقة لما قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن بدء هذا الأمر ؟ فقال :

(نَعَمْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ فَأُثْبِتَ أَنَّ كُلَّ موجودٍ سِوَاهُ محدث مخلوق وكذلك الخليل عليه السلام ، انما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة لأنه لما رأى الكوكب قال : هذا ربي إلى آخر الآيات (٦-٧٦-٧٩) فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلت (على أنها محدثة) ، ومفسطورة مخلوقة ، وأن لها خالقا فقال عند ذلك (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) . (٦-٧٩) .

ولا شك أن هذه الفرضية التي تذهب إليها الجينية ما هي إلا سعي من أجل الخلاص الذي تتأذى به ، ولهذا كان لا بد لها من اختراع نظريات جنية على الظن والتخمين لا من مسلم نافذ صريح . وذلك امعاناً في الدعوة إلى ترك الدنيا والالتفات إلى المقررات التي ينشئها الرهبان الجينيون . والتي من بينها عقيدة الخلاص التي سيكون الحديث عنها خلال السطور القادمة .

خامساً : الخلاص

تشارك الجينية مع غيرها من أديان الهند بفكرة الخلاص من دورات الحياة والولادة الثانية كما أنها لم تختلف عن البقية في : أن الشدة والقسوة في ممارسة الرياضة النفسية والدينية هي طريق الخلاص والنجاة من هذه الحياة ، فالنجاة عندهم (حالة يبطل فيها نشاط الأعمال السالفة في الحياة السابقة فالروح مع خلودها لا تعود تتقمص الاجساد الأخرى وتتخلص من الحياة الطارية إلى الأبد) (٣) . أما ما تختلف به عن الهندوسية فينحصر في تحديد الهدف الأسنى من هذه الممارسات .

فقد لوحظ في الهندوسية أن الاتحاد ببرهمن هو الهدف الذي من أجله تمارس الممارسات والشعائر وتعذيب الاجساد وازهاق الأرواح .

أما في الجينية فان الغاية من هذه الممارسات هو بلوغ حالة انعدام الخلقة فسيهدو* و خلود ويطلق على هذه الحالة اسم (النيرفانا) (٤) .

١ - راجع في ذلك : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١٢/ ٢١٤ وما بعدها وأصول الدين لابي منصور البغدادي ص ٥٩

٢ - راجع : الانصاف للباقلاني ص ٣٠ مؤسسة الخانجي ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣

٣ - مجلة ثقافة الهند ص ٣ المجلد ٢ العدد ٣ سنة ١٩٥١

٤ - حكمة الأديان الحية ص ٢٤٢ وكذلك :

- Mans Religions . P. 98

- ENCYCL. BRIT. V:10. P.8

وطيه فان فكرة الخلاص أو النجاة في الفكر الجيني تعتبر طورا (من الوجود يختلف عن أطوار الحياة الدنيا الغائية وهي الفوز بالسرور الخالد الذي لا يشوبه ألم ولا حزن ولا هم) (١).

ومعنى ذلك أن هذا الفكر ينادى بخلود الروح وهو الأمر الذي أقرته الهندوسية من قبل .

ولكي نفر الجينية من قضية الاتحاد التي نادى بها الهندوسية حاولت أن تفلسف الخلاص فقالت : بأن الشخص إذا وصل إلى هذه المرتبة فإنه (ليس يذى جسم مادي وليس بطويل ولا قصير ، ولا لون يحيط بكل شيء * ، مطلق من جميع القيود ، يكون دائما في سرور ، وطمانينة واستقرار ونعيم مقيم ، مكانه فوق الخلود الكوني) (٢) وهذا هو الفرق بين نظرة البوذيين إلى الشرفانا ونظرة الجينيين إلى فكرة الخلاص (التي هي عند هم جنة حقيقية أو سعادة تحظى بها روح الانسان لا فنا *) (٣).

ولا شك أن الجينية وجدت في هذه النظرة فرصة لترغب الناس بدنيا الجدي فالحزاء على الطاعات يأخذ حيزا واهتماما كبيرا من الفكر البشري . وكان لا بد للجينية أن تأخذ هذه القضية بعين الاعتبار لسائرة عقول العامة وترغيبهم بهذا الثواب المزعوم . ولهذا فقد أوجت بهذه العقيدة كبديل عن فكرة الاتحاد وذلك للتخلص من عبود عبادة المراهمة وبالتالي لتجذب الناس إلى هذه الآمال المستقبلية الخيالية .

أما في الاسلام فان مفهوم النجاة يختلف عما قرره الأديان الوضعية ومنها الجينية إذ يرتبط بمدى التزام العبد بأوامر الله تبارك وتعالى واجتناب نواهيه وفسق ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة ، هذا الالتزام والانقياد هو المعنى الحقيقي الذي يحمله الاسلام بين طياته. وطيه فإن الاثابة والاحسان في الدار الآخرة لا يرتبطان بأي تضحية بشرية أو قرابين أو ازهاق الأرواح أو فداء للبشرية ، بل يكونان في الجنة حيث وعد المتقون .

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) (٤) . والايمان باليوم الآخر جزء من الايمان بعالم الغيب الذي تعبدنا الله تعالى به . والا فلا معنى للعبودية دون الالتزام بما افترضه الله تعالى على عباده وهذا الامر الغيبي ليس من باب الاستحتمل . فالقادر الحكيم والخالق الكريم الذي خلق السموات والأرض بالحق بيده كل شيء وهو المستصرف في هذا الكون وثوابه من باب التفضل على الخلق . (والله يعدكم مغفرة منه فضلا والله واسع عليم) (٥).

١ - أديان الهند الكبرى ص ١١٨

٢ - المصدر السابق وكذلك الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٣ - حضارات الهند ص ٦٢٢ وانظر ايضا :

- MAN'S Religions . P. 99

٤ - محمد : ١٥

٥ - البقرة : ٢٦٨

الفصل الثاني

العبادات الموصلة للخلاص :

ترسم الجينية مبادئ عدة للوصول الى الخلاص ، وذلك عبر تعاليم متعددة تشكل في مجموعها اطارا للسير في هذا الطريق الصعب ، الذي لا يمكن لأي فرد اجتيازه دون تحمل الأعباء الجسام والآلام ، والإرهاق المستمر في سبيل الامل المنشود .

هذه الممارسات لا تعتبر في نظر الجينيين الا وائل طقوسا وعبادات وذلك لان مهافيرا رفض العبادات انسجاما مع مبدأ الاتحاد الذي رسمه لاتباعه مع ان هذه المبادئ سرعان ما تغيرت عبر الاجيال لتصبح بالفعل ممارسات تعبدية حقيقية كنتك التي يمارسها الهندوس تطاما .

وبالرجوع الى الرميل الاول الذي تربي على أيدي مؤسس هذه الديانة نجد أن هذا الجيل قد كتب عليه الالتزام بمبادئ الرهينة الجينية والحفاظ عليها والتقيد بعبادتها ، دون ان يشعروا ان يقوم به هو من قبيل العبادات . وربما تكون مبادئ الرهينة الجينية من أقسى درجات الرهينة في العالم وذلك لاعتمادها على مبادئ خطيرة على النفس البشرية المؤدية الى الهلاك . وقبل الوصول الى درجة الخطورة هناك مبادئ اولية تجب مراعاتها ومن ذلك :

- ١ - الاعتقاد الصحيح
 - ٢ - المعرفة الصحيحة
 - ٣ - السلوك الصحيح
- وتسمى هذه المبادئ " الجواهر الثلاثة " (١)

ولكل من هذه المبادئ خصائص ، وبنود وذلك على النحو التالي :

اولا : الاعتقاد الصحيح :

ويندرج تحته أمور

- الاعتقاد بالاشياء المؤكدة كما هي ، هو اعتقاد صحيح .
- انك تصل الى هذا الاعتقاد بالحدس والفهم .
- يستقى الفهم من المصادر الخارجية ، اي الكتب المقدسة .
- والوصايا ، وتصل اليه بالمعرفة الصحيحة ، وبالمعرفة الجزئية .
- تصل الى الفهم بوصفه ، بفطريته ، بعلته ، بمكانه ، بدعوته ، وتصنيفه .
- وتصل اليه ايضا بوجوده وعدده ومكانه وامتداده وزمانه وكيفه وكمه (٢)

١ - راجع حكمة الاديان الحية ص ١٤٢

٢ - هذه النصوص موجودة في كتاب " تانغارشاد هيجمات سوترا " وقد ذكرها صاحب كتاب : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٢٨

ثانيا :
المعرفة الصحيحة :

المعرفة عند هم خمسة انواع :

- المعرفة العادية - معرفة الكتب المقدسة - المعرفة فوق العادية
- المعرفة العقلية - المعرفة الكاطية (١)

ثالثا :
السلوك الصحيح

ربما يكون هذا الجهد هو أهم المبادئ التي تنطوي عليها الديانة
الجسنية لتعلقه بالجانب المادي وهو الأساس الذي بنيت عليه الرهينة عند مهافيرا .

ويتعلق هذا الجهد بفكرة الخلاص الذي لا يمكن بلوغه (بالصلاة ولا بتقريب
القرايين ولا بعبادة الهة متعددة بواسطة الروحانيين وإنما بصالح الاعمال التي يأتيها
الانسان عن فهم وعقيدة فحسب ، وقد علمهم مهافيرا ان خلاص كل منكم يكمن في نفسه (٢)

كما يرتبط السلوك الصحيح بجهد النذر ، وهذا النذر يجب أن يكون
مجردا عن خمسة أمور :

- ١ - عن الأذى ٢ - عن الكذب ٣ - عن السرقة
- ٤ - عن عدم العفة ٥ - عن التعلق الدنيوي . (٣)

هذه النذور الخمسة يندرج تحتها تعاليم جزئية او تفصيلية ولكل من
هذه النذور تأملات خمسة :

(أ - التأملات الخمسة للنذر ضد الأذى هي

- ١ - الحذر في الكلام ٢ - الاعتناء بالعقل (أي التأمل العقلي)
- ٣ - الحذر في السير ٤ - الحذر في رفع الأشياء وانزالها
- ٥ - الحذر في تناول الطعام . والشراب (حذرا من قتل الكائنات
الحية في طعامه وشرابه) .

ب - التأملات الخمسة : (للنذر ضد الكذب) وهي :

- ١ - تجنب الغضب ٢ - وتجنب الطمع ٣ - تجنب الجبن
- ٤ - تجنب الطيش ٥ - التحدث حسب الوصايا المقدسة

(أي التي أفضى بها مهافيرا واتباعه) .

١ - راجع : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٢٨

٢ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٢ - ١٤٣

٣ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٦

ج - التأملات الخمسة (للنذر ضد السرقة :

- السكن في مكان منعزل
- السكن في مكان مهجور
- السكن في مكان لا يدخل فيه أحد
- نقاء العطاء .
- عدم الجدل مع من يؤمن مثلك .

د - التأملات الخمسة (للنذر ضد عدم العفة) ومنها :

- رفض الاستماع إلى أحاديث الاتصال بالنساء
- رفض رؤيا أجسادهن
- رفض تذكر المتع مع النساء في الماضي
- رفض تجهيل الجسد .

التأملات الخمسة (للنذر ضد التعلق الدنيوي ومنها :

- التنكر للمحبة
- التنكر للحقد
- للذة
- لعدم اللذة .
- لمواضع الاحساس (١)

ومن مجمل هذه النذور نستطيع ان نستخرج بعض الاحكام التي

يحرم على الجيني القيام بها :

- (فالزراعة حرام . . . لانها تمزق التربة وتسحق الحشرات والديدان ، والجيني الصالح يرفض أكل العسل لأنه حياة النحل ، ويصفي الماء قبل شربه خشية أن يقتل ما عساه ان يكون كامنا فيه من كائنات ويغطي فيه حتى لا يستنشق مع الهواء أحياء عالقة فيقتلها ، ويحيط بها به بستار حتى يقي الحشرات لذع النار ، ويكنس الارض امامه وهو يمشي خوفا من ان تدوس قسده الحافية على كائن حي فترويه ولا يجسوزله ابداً أن يذبح حيوانا أو يضحى به) . (٢)

ومن الواجبات المفروضة على الراهب :

- الاستجداء : فعلية القيام به لتأمين الطعام والشراب والكساء .
- حمل العصا والكنيسة لتنظيف الارض التي يمشي عليها حرصا منه على عدم إيذاء الحشرات .

وهذه الاعمال تلتزم بها النساء الداخلات في سلك الرهينة ايضا
لدى فرقة السفاتبارا الا ان فرقة الدياغبارا لا تسمح لهن بالدخول في الرهينة (٣)

١ - راجع جميع هذه البنود في : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٦

٢ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٠-٦١ وكذلك الفلسفات الهندية ٣١٨
و) - MAM'S Religions, P. 100

٣ - راجع بتوسع : موسوعة الدين والاخلاق ٤٧٢/٧) - ENCYCL. of Religion, and Ethics . V. 7. P. 472

أولا :

أهمية اليوغا في الرهينة الجينية

سبق الحديث عن إهتمام الرهينة الهندوسية بممارسة اليوغا ، ورأينا من خلال ذلك الصور المتعددة لهذه الرياضة الشاقة .
والجينية تدّين بهذه الطريقة أيضا للوصول الى النجاة أو الخلاص كما تراه . ومن الممكن الاستشهاد بنصين من كتب الجينيين للتأكد من أهميتها عندهم ومن ذلك ما جاء في كتاب " تانغارشاد هيمجاماسوترا " في الفصل السادس قوله :

- اليوجا هي نشاط الجسد والكلام والعقل .
- اليوجا هي السيلان الداخلي لمادة كارما الى الروح (١) .
ومهما قيل عن فوائد اليوغا فانها في النهاية لا تبعد عن ان تكون طريقة تهدر فيها الطاقات والافات دون طائل ، والانسان موثمن على جسده لا يحق له التصرف به وفق أهوائه ونزعاته كما أنه مسؤول عن وقته وعمله فلا ينبغي اضاعته فيما لا فائدة منه والا أصبح عرضة للضياع والتأخر والكسل ، وهي النتيجة الحتمية التي آلت اليها حياة الرهبان .
اضافة الى ما تقدم فان الديانة الجينية وضعت عدة مبادئ عظيمة تلزم الأتباع بوجوب تطبيقها تطبيقا تاما وهي مبادئ متنوعة وفي مجالات عدة .
أهم هذه المبادئ ما يتعلق بقانون اهمسا (٢) او عدم الايذاء ، وكذلك ما يتعلق منها برفض معاشرّة النساء والابتعاد عن الشهوات واللذة ومنها ما يتعلق بنذر الصمت .

ثانيا : قانون أهنسا : والنقد الموجه اليه

من النصوص الدالة على أهمية هذا القانون ما جاء في (السوترا - كريت انكا) وهو كتاب جيني ما يلي :
- جميع الاحياء تكره الالم . . . وطى هذا لا تؤذيها ولا تقلتها . هذا هو روح الحكمة ، : " لا تقتل حيا " .

- اذا ما اعتكفت على سعادتك الروحية فلا تقتل أي حي بنفسك ولا باوامرك ولا بموافقتك .

- من يقتل او يؤذي من أجل راحته سيفقد في نهاية حياته في حمأة (من العذاب) (٣)

١ - راجع : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٥

٢ - راجع بتوسع عن هذا المبدأ في كسل من (الموسوعة البريطانية ١٠ / ١٠

وكذلك راجع عن هذا الموضوع في : (Man's Religions . P. 101

٣ - : حكمة الاديان الحية ص ١٤٥ - ١٥٠

النقد الموجه الى هذا القانون :

يلاحظ في هذه السبائى* التزمت والتنطع الزائدين عن حدود المعقول ولا يمكن ان يعيش الانسان بهما حياة عادية .

انه لأمر محمود أن تدعو هذه النحلة الى وجوب التمسك بعدم الايذا* ولكن من المستهجن حقاً أن تمنع عن بني آدم ما أحله الله له من الطيبات ، وتغرض عليه قيوداً ما انزل الله بها من سلطان كتصفية المياه وكتمس الارض ووضع المنديل على الأنف حتى لا تتأثر الجراثيم الصغير وتتعرض للفناء* .

ان الحرج الذى تضعه الجينية أمام الخلق يدل دلالة واضحة على عظم المشقة التى ترهق كاهل الانسان اذا تمسك بمبدأ يمنع من أدنى حقوقه المعيشية البسيطة ، وهذا ظلم ما بعده ظلم ينبع أساساً من عدم التفقه والتبصر في معنى الحياة . . .

فمن الدلالة على سخف العقلية التى وضعت هذا المبدأ : هي مساواة حياة الانسان وروحه بروح الدواب والطيور والهوام والحجر والشجر .

وهنا تقع الجينية في تناقض كبير حينما تتيح لاتباعها تطبيق الممارسات العقلية كالرياضة القاسية لازهاق الروح وصولاً الى ما تدعيه بالخلاص ، في حين تنكر عليهم قتل بعوضه او ذبابة مضرّة بالصحة .

ولأستان المطار راي في هذا الموضوع نستأنس به حيث يقول :

(. . . ولكن لي رأياً في أساس الجينية ، فهو سسها ما هافيرا حاقد على الحياة والمجتمع والناس لأن والديه فارقا الحياة بواسطة الانتحار جوعاً حتى الموت فامتلات نفسه المفجوعة ألماً وحقدًا وكراهية وبغضا* للسحياة فانعكس ما في نفسه على مذهبه انتقاماً من الحياة بتسخير افرادها ليلقوا مصير والديه ومن لا يلقاه يفقد التذذ بالحياة وهو موت الدافع الى الحياة الطيئة بالاطايب والطسذات الحلال .

انه دين انبعث من مريض مضطرب النفس ولكن لا غرابة في ان يجد اتباعاً لان الهند تتسع لاي دين مهما كان مناقضاً لقوانين الاخلاق واداب السلوك والمجتمع وللحياة والوجود نفسيهما) (١) .

١ - راجع : الديانات والعقائد في مختلف العصور ، ١/١١١

ومن نقاط الضعف التي تسجل على هذا القانون وتشكل طعنا فيه ، هو
ما يتعلق بالموقف السلبي الذي يتخذه الجينيون ازاء التعرض للحيوانات والحشرات .
فالانسان معرض للاخطار الناجمة عن مهاجمة الحيوانات المفترسة او الحشرات
المؤذية ، والقاطعة .
فما موقف الرهبان من مهاجمة تلك الحيوانات وتعريضها حياة الانسان
للخطر ان لم نقل للموت الزوام ؟ .
ان دعوى المسالمة لا تنفع في مثل هذه الحالات ، ان العقل يأبى
الاستسلام لهذه العقولة لما فيها من استكانة وخنوع بل وسخف عقلي لا مبرر لوجوده
فبعض الحيوانات لا يمكن ابعاد اذائها الا بالقتل كالضواري ، وبعض الحشرات
لا يمكن اتقاؤها الا بالابادة ، كالزواحف السامة وغيرها .
ولا شك ان ابقاء الحشرات يزيد من انتشار الامراض والامثلة ويسهم في
افقار البلاد ، وقتل المواسم الزراعية ، والمواشي .
الى غير ذلك من الاسباب التي تدعو الى نبذ هذا المبدأ .

ثالثا - :

البعد عن النساء :

ان النصوص الجينية تدعوا الى الابتعاد عن النساء ، واعتزالهن .
ومن ذلك قولهم :

(- من لا تخضعهم للذات يعلمون بان التأمل واجبهم .

- الأفاضل يعتبرون اللذائذ كالأمرض .

- النساء للرجل لاحق اغراء تصعب مقاومته .

- من ينفق وقتا طويلا مع النساء يعرض عن ممارسة التأمل .

- في قلب النساء رجل واحد ، وفي كلماتهن آخر وفي أحضانهن آخر .

- كما أن الرعود أعلى الأصوات ، والقمر أبهى الأجرام السماوية ، والصندل

أفضل العطور ، كذلك الذي نبذ جميع الشهوات

- المحمول على غارب الشهوة لن يبلغ مدى (١)

إن الدعوة الى البعد عن الشهوات والذات أمر يتفق مع السلوك السوي لبني
البشر لأن الإفراط فيها باب عريض اذا فتح تصبح النفس وبالا على صاحبها وتجترر
المجتمع نحو الهلاك والويل .

والجينية اذا ارادت الالتزام بالتخفيف والتقليل من الشهوات فلا أحد
يعترض سبيلها ، فالتوسط في جميع الأمور هو الحل المطلوب في هذه الحياة كي
تستقيم ، ويصبح لها معنى له مغزى وقيمة .

الا أن الجينية تأبى هذا التوسط أو الدعوة الى التقليل من الشهوات ، بل
فرضت على النفس البشرية كبتا مطبقا لاي نشاط جنسي أو عاطفي ، فالزمت أتباعها
بوجوب الابتعاد عن النساء وعدم الاقتراب منهن والتخلي عن اي ارتباط بهن
الى حد انها ازاحت من قاموس تعاليمها مجرد كلمة حب أو ود فمن تعاليمها :

(يحيا الحكيم حياة مبعدة عن الحب بعدد ما عن البغضاء) (٢)

وهكذا تكون حياة الراهب الجيني خسطلية من أي هدف في هذه
الحياة ، ان يلاحظ في هذه الدعوة عدم لآمال الانسان وتطلعاته واطفاء لاشراقه
الروح النقية . وايقاف عمل الفطرة التي فطر الله الناس عليها واغلاق لمدارك العقل
الذي منحه الله لبني البشر .

١ - حكمة الادريان الحية ص ١٤٥ - ١٥٠

٢ - المصدر السابق

كما ان الدعوة الى الابتعاد عن الحياة الزوجية فيها اهدار لعطية التناسل التي هي اساس في عمارة الارض وانشاء المجتمع الامثل .

ولا يخفى على عاقل ما في هذا القانون من انانية مفرطة فهو يبيح للفرد ان يعيش حياته كما قررت الرهينة الجينية ويرفض ان يدع المجال لغيره في العيش كما اراد الخالق سبحانه وتعالى .

ان تعطيل وظيفة الجنس في الكيان البشري خطر كبير يهدد الداعين اليه ، وذلك لما لهذه الطاقة المزروعة في كيان البشر من قوة هائلة تدفع النفس الانسانية الى افاق واسعة ، فان روعيت بدقة وانتظام عادات بالنفع والامن والسعادة على صاحبها وان اوقفت ومنعت من اداء مهمتها اضحت شرا قاتلا يهدد كيان الفرد ، في اي لحظة من حياته بالدمار .

ولا ادل على فشل هذا المبدأ في الرهينة الجينية من تلك الحياة الخاصة التي كان يحياها الزعيم الهندي "غاندي" الذي اخذت عليه والدته العهود الجينية الثلاثة وهي التي تامر باجتنب : الخمر واللحم والنساء . (١)

فالامر الغريب في تلك الحياة ما كان يشاع في العلن عن بطولته وشدة ورعه وتقشفه حتى انزلته الموقوفات والمعاجم منزلة القدسين والانبياء .

وبشأن المولى عز وجل ان يفصح هذه السيرة وذلك عند ما نشر كتاب "الحياة الجنسية لمشاهير الناس" الذي تعرض مؤلفوه الى حياة المهاتما غاندي الخاصة والذي يظهر فيه هذا الزاهد على حقيقته ، فهذا الكتاب يصف مفامرات هذا الزعيم مع النساء واساليبه الكثيرة في اختيارهن ، فمن فصول هذا الكتاب ما يذكره المؤلفون عن تلك العلاقات قولهم :

(بقيت هناك بعض الجوانب الاخرى وان كانت تفصيلية فتقاليد الهندوس من هذا الجانب الذي انغمس فيه غاندي تغترض على الرجل ان يتجنب الجنس الاخر كلية ولكن غاندي امضى بقية حياته في مزلق صعبة هي مزلق الاغراء . فقد كان على الرغم من كل ذلك عاشقا يحب النساء ، اللواتي كن مفيدات جدا لحركته السياسية وقد بدأ قصصه معهن في جنوب افريقيا اثنا عمله هناك ، عندما التقى بفتاة مراهقة في السابعة عشرة من عمرها اسمها "صونيا اسلشن" . . . وكانت صونيا بدايئة

١ - راجع في هذا الصدد كتاب : مهاتما غاندي ، رومن رولان ص ٧ ، ترجمة عمر فاخوري ، مطبعة طيارة ببيروت .

٢ - غاندي هو هندوسي ، ولا يعني ذلك الا يلتزم باي مبدأ اخر ، فطبيعة الهندوسي ميالة الى كل تغيير مهما كان نوعه وهو على استعداد ليخلط عقائده باي عقيدة تروق له .

سلسلة من الفتيات المراهقات . . اللواتي كن يتهافتن عليه كتهافت الفراش على النار ، فالشيء الثابت ان غاندى كان يتمتع ليس بحيوية جنسية دافقة وحسب ، وانما بجاذب جنسي غريب لم تكن شهرته وحدها هي السبب في ذلك ، ولكن هو* المراهقات يعطن كسكرتيرات اثنا* الصباح ، ومثلكات في فترات الغدا* وعند العصر ، فاذا ما جاء الليل ، انسلت احدها الى فراش الرجل الذى كان يكتفى من الثياب بقطعة قماش بيضا* اثنا* العمل ، ولا شيء* مطلقا في الفراش ، .

وكان غاندى يفضل الليلة بعد عطية ساج تتناول كل شيء* ، حتى انه كان يستعمل نوعا خاصا من العطر والبخور ، وخاصة في الحمام بعد الساعة العاشرة مساء* ، حتى ليقال ان غاندى كان مولعا بالطقوس .

ومن الغريب ان هذه الطقوس كانت جنسية الى حد بعيد ، لقد كانت النساء ياتينه من اماكن نائية وغير متوقعة ، ومع ذلك فقد كتب يقول : " ان النضال من اجل البقاء نقياً جنسياً هو كالسير على حد السيف " .

ولكن الغريب ان غاندى حاول الابقاء على هذه العلاقات الجنسية بعيدا عن كل فضول الى ان افترض امر الفتيات المراهقات اللواتي كن ينمن معه عاريات ، وكانت حجة : ان الرجل الذى يقرب نحو الستين يحتاج الى الدفء* . (١)

- ١ - ان هذا التناقض الذى يلف حياة هو* لا وجود له في حياة الفرد المسلم ان كان الاسلام يحيط هذا الفرد بالرعاية التامة فيوضح له الطريق الذى يجب ان يسلكه منذ ان يشب عن الطوق وذلك وفق منهج متكامل ومتوازن في آن معا لا تطفئ فيه وظيفة الروح على الجسد أو العقل عليها وكذلك العكس . وبذلك فلا يمنع الاسلام من ممارسة الوظيفة الجنسية بل يحض عليها باسلوب لا تعقيد فيه ولا غموض ودون كبت أو حرمان بل يضع الضوابط الكفيلة باسعاد الانسان وتنمية روح الخير والمحبة فيه للجنس الآخر كشريك له في هذه الحياة لا على أنه من سقط المتاع أو أنه رهيب للشيطان . يقول تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٢)

ووفق هذا المفهوم فالسليم لا يحتاج الى اتخاذ الخليلات أو المحظيات سراً لان الاسلام قد أتاح له أن يعيش حياته الخاصة وفق وسيلة نظيفة ولغاية شريفة .

١ - راجع هذه التفاصيل ، وأمور أخرى في الترجمة التي أوردتها مجلة الحوارات :

العدد ١٣٠٥ سنة ١٩٨١ ، الجمعة / تشرين الثاني / نوفمبر / ص ٩٧ .

وذلك تحت عنوان (غاندى بشر بفلسفة الجنس في خدمة . . الهنود) وهو

ترجمة لفصل من كتاب (The intimate sex lives of famous people .

لعدد من الكتاب الغربيين .

٢ - الروم : ٢١

رابعاً

تطور و تبدل الانظمة :

ربما وجدت الجينية نفسها محرجة امام التعاليم والممارسات الروحية الصعبة التي نادت بها . وكما رأينا سابقا مدى صرامة الهادي* التي ياخذ الجيني بها نفسه ، فهذه القوانين وجدت صعوبة في التنفيذ ، كما تركت اثارا سلبية على اتباع العاديين (١) . ان التكليف بما لا يطاق لا يتلاءم مع الفطرة البشرية . ولا سباب كثيرة رجعت الجينية الى نفسها قليلا ، حينما وجدت تقاعسا شديدا من قبل اولئك المتعبددين المتعبيين .

واذا* هذا الوضع كان لابد من تغيير في نصوص القوانين والانظمة المتبعة ، وتقسيم الممارسات بحيث تتلاءم وطبيعة افراد هذه النحلة . وهكذا اصبحت هناك الجيني العادي ، والراهب المنتظم .

وقد جاءت النصوص الجينية المعدلة لتراعي هذا العادي ومن تلك النصوص ما جاء في كتاب " تانغارشاد هيجاماسوترا " :

- نذور رب البيت اقل من نذور الزاهد

- يجب ان يحدد رب البيت نشاطه في مكان ثابت ، ويحدد نذوره بوقت

اقصر ، ولا يقترب خطيئة عن عمد أولا عمد . وعليه ان يتأمل في الروح وان يصوم وان ياكل بعد ان يأكل الضيوف .

- رب البيت هو من يراقب موته الهادي* في اللحظات الاخيرة من حياته (٢)

وهكذا نرى كيف غيرت الجينية نطق القوانين فبدل الصرامة والشدة المتمثلة في التعاليم الاولى نجد التخفيف الذي شرع لفئة من العامة .

فلفظ رب البيت قد استعمل من قبل عند الهندوس ، وربما استعمله

الجينيون كذلك لهذا الغرض ان البراهمة يطلقون هذا الاسم على الهندوسي الذي يمر بالمرحلة الثانية من المراحل الاربع عند هم والتي تتيح له فرصة الزواج والانجاب وممارسة الحياة العادية .

ورغم ذلك فقد ارادت الجينية وضع بعض القيود على " رب البيت " أو

على الجيني العادي حتى يبقى ضمن الاطار المرسوم له في تلك الديانة .

فمن الامور التي فرضت عليه ما يلي :

- (١) - اجتناب الخمر ٢ - اجتناب قتل الكائنات الحية مع تحريم الذبح
 - ٣ - اجتناب السرقة ٤ - اجتناب الزنى
 - ٥ - اجتناب الطمع ٦ - الابتعاد عن المعاصي
 - ٧ - التقليل من اعباء الحياة ومطالباتها ٨ - الحرص على الابتعاد عن المساوي* .
 - ٩ - تحديد المناسبات الدينية باوقات معينة
 - ١٠ - تحديد مدة النذور
 - ١١ - تحديد ايام معيشة لممارسة حياة الرهبان
 - ١٢ - يجب التصديق على الفقراء* والساكنين دائما (١)
- ويضاف الى هذه العبادى* ايضا
- (- اجتناب اكل اللحم - اجتناب الفواكه - اجتناب اكل العسل .
- اجتناب اكل الجذور - عدم الاكل ليلا (٢)

الفصل الثالث : السفر الجينية وتطورات الرهينة

اولا : الفرق :
لم تثبت الجينية بعد موت مهافيرا طويلا حتى حل الانشقاق بين اتباعها والرهبان المنتعين اليها ، فانقسمت هذه الديانة الى عدة فرق .
فقد اكد العلماء على وجود انقسامات عديدة في الجينية ، فالس جانب وجود فرقتين كبيرتين هناك فرقة اخرى اسسها احد اقارب مهافيرا ويدعى جمالي الذي انضم اليه . . . راهب .
الا انه لم يعرف مصير هذه الفرقة ، ولعلها نابت في الفرقتين الكبيرتين فيما بعد . (١)

اما الفرقتان الكبيرتان اللتان استقطبتا الرهبان والاتباع فهما :

- ١ - الدياغبارا (اصحاب الرداء الازرق)
- ٢ - والسفاتسبارا (اصحاب الرداء الابيض)

وقد اختلف العلماء اختلافا كبيرا حول تاريخ الانشقاق الحاصل بين الفئتين كما اختلفوا في اسباب النزاع .

فبالنسبة للتاريخ فهناك من يرجع الانشقاق الى سنة ٨٣ ق م . وهناك من يذهب الى انه حصل في سنة ٨٠ ق م . وهناك عدة آراء اخرى (٢) .

اما بالنسبة لسبب النزاع والانشقاق فهناك من يقول بان (سيفابهوتي كان في خدمة الطك راتها فيهارا وان هذا الاخير قد اهداه لحافا اود ثارا هدية تكريما له على دخوله في الجينية الا ان الناس قد مزقوا الهدية في غياب سيفابهوتي فحزن وغضب وانحرف ليقوم طائفة الدياغبارا (٣) .

وهناك من يقول بان الفرقة والانشقاق قد حدثا (حينما هاجر راهب جيني واسمه بهادراباهو بغثة من طائفته جنوبا الى اقليم الكرنات فرارا من مجاعة ظلت اثنتي عشرة سنة ببلاد البنغال ، وعلى اثر عودة هذه الفئة اتخذ الرهبان الذين فضلوا الاقامة على المهجرة قرارا في مجلسهم الديني ان يجمعوا الكتب الجينية لكنهم لم يستطيعوا

— EARLY, in Diam. P. 173-174

١ - انظر :

٢ - راجع الموسوعة البريطانية ٨/١٠

— EARLY, in Diam. P. 175

٣ - راجع :

تسجيل بعض نصوص البروات (اى الكتب الدينية) القديمة ، ولهذا السبب جاء قانون سفاتبارا (اى الفرقة التي بقيت) ناقصا وهو القانون الذى تمت كتابته في صورته الحالية في مجلس فالابهي (القرن الخامس أو أوائل السادس الميلادى) .
واتبع الرهبان العائدون طريقة أشد صرامة وتجنبوا المجلس واطلقوا على أنفسهم إسم طائفة الدياغبارا وقالوا ان القانون الحقيقي قد ضاع (١) .

وهناك مصادرا أخرى تذكر أن سبب الخلاف يعود الى اللباس أو الرداء الذى يجب على الراهب الجيني أن يلبسه
فرأت فرقة أن تضع الرداء الأبيض ، وأطلقت على نفسها اسم السفاتبارا واطلقت الثانية على نفسها إسم : الدياغبارا (٢)
وكانت هذه الاخيرة أكثر تشدداً إذ رأت أن على الراهبان عدم ارتداء أي لباس يوارى الجسد وأن بقاء الراهب عاريا هو المطلوب حتى لا ينشغل عن التفكير والتأمل لأن اللباس يوصل الى الإحساس بوجود المادة وهو الأمر الذى يجب أن يمحى من النفس وان يبقى الراهب بعيداً عنه . (٣)

ومن فلسفتهم في هذا المعنى قولهم : (ان الشعور بالحياة يتضمن تصور الإثم ، فلو لم يكن الإثم في الحياة لما كان الحياة . فترك اللباس هو ترك للإثم وتصوره . وعلى ذلك يجب على كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عاريا ويتخذ من الهواء والسما لباسا له) (٤) .

وللرداء عندهم تعلق بالنجاة فمن قولهم أيضا : (مادام المرء يرى في المعنى ما نراه نحن ، لا ينال النجاة ، فليس لأحد أن ينال نجاته مادام يتذكر انه عار ، عليه أن ينسى ذلك بتاتا ليتكن من اجتياز بحر الحياة الزاخر ، وذلك لان المرء طالما يتذكر انه عار أو أن هناك خيرا أو شرا حسن او قبيح فمعناه أنه لا يزال متعلقا بالدنيا وما فيها فلا يفوز بـ (موكشا) اى النجاة (٥)

- ١ - موسوعة تاريخ العالم ص ٩٩ وكذلك EARLY. INDIAN. P. 173
- ٢ - راجع وقد ترأس فرقة السفاتبارا راهب اسمه "ستهولا بهادر" ، كما ترأس فرقة الدياغبارا راهب واسمه بهادرابا هو انظر EARLY. INDIAN. P. 174
- ٣ - راجع بتوسع الموسوعة البريطانية ٨ / ١٠
- ٤ - تاريخ الاسلام في الهند ص ٥٠
- ٥ - مجلة ثقافة الهند ص ١٣ المجلد ٢ عدد ٣ سنة ١٩٥٠

ثانيا : اثر التطورات في مبادئ الرهينة :

هناك عدة تطورات طرأت على الفكر الرهيني الجيني كان من شأنها تحول المد الديني الى تراجع وانكماش بعد انتشار وذيوع كاد يهدد الاراء والمعتقدات السابقة والتقليدية في الهند . وهذا الفشل ادى بالتالي الى تهديد الرهينة الجينية نفسها بالانقراض . وهذا العصر خير شاهد على ذلك .

ان اصبح الجينيون في الهند يمثلون اقلية (١) دون ان ننسى ان تفوقهم المادى الان راجع الى تخليهم عن مبادئ الرهينة التي نادوا بها مسن قبل .

ونستطيع ان نلخص مجمل التطورات التي رافقت الجينية وذلك على

النحو التالي :

١ - في مجال العقائد :

تم التحول من الالحاد وانكار الالهة الى عبادة الانسان والعودة الى تعدد الالهة وفق الطريقة الهندوسية .

وقد راينا في الفصول الماضية كيف دعا مهاويرا الى الالحاد الذي بناء على قاعدة مؤداها انه لا يجوز الاعتقاد بوجود اله حتى لا يعود نظام الطبقات الى الوجود . وبعد وفاته لم تستطع الجينية الصمود امام مغريات وتحديات الهندوس وغيرها من الاراء المحلية ، كما انها من ناحية اخرى فشلت في صرف انظار العامة عن فكرة وجود الخالق ، وازاء هذا الفشل لم يجد الجينيون بدا من الرجوع الى اقامة التماثيل لمصلحيهم الاربع والعشرين . الذين قسدهم سوهم واتخذوهم اربابا من دون الله وكان اول هؤلاء وفضلهم على حد زعمهم ريشابها (Rishabha)

والثلاثة الآخرون وعلى راسهم (Rishamemi - PARSVOMATHA -
VAROLHAMANA - MAHAVIRA)

(٢)

وقد أقيمت التماثيل في القصور التي شيدت من اجل ال ٢٤ جينا او ما يطلق عليهم (الشيرثانكاراس) في معظم الاماكن التي تواجد فيها الجينيون . وقد اعتبرت هذه القصور والتماثيل من افخم الاعمال التي قامت في الهند نظرا للبيدخ والترف اللذين حظيت بهما هذه الاماكن . (٣)

١ - يبلغ عدد الجينيين حسب احصاء ١٩٠١ / ١٠٣٣٤١٤٠ / مليون وثلاثمائة واربع وثلاثين الفا ومائة واربعين نسمة وهذه النسبة اقل من نصف بالمئة من سكان الهند . راجع موسوعة الدين والاخلاق : ٤٧٢ / ٧

٢ - موسوعة الدين والاخلاق ٤٦٥ / ٧

٣ - والمذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٠

— Man's Religions. P. 101

٢ - احترام الجينييين للبراهمة بعد كراهيتهم لهم :

على الرغم من ان الجينية تعتبر ثورة على الهندوسية الا انها لم تستطع السير قدما للتحرر من ريق البراهمة .

وما لا شك فيه ان سطوة البراهمة لم تترك مجالا للجينييين بالتحرك ضدها واخذ المبادرة على نطاق واسع ، ولهذا نرى الجينية قد اعترفت ضمنا بهذه القوة ومع مرور الزمن تحول هذا الاعتراف الى احترام للبراهمة ولمقامهم^(١) والسدوة التي عدم المساس بهم او التعرض لهم بالاذى مهما كان الامر .

وقد وجد الجينيون ذريعة لهذا التغيير استنادا الى مبدئهم العام المسمى بقانون اهمسا الداعي الى عدم الايذاء .

وهكذا جاء هذا القانون لتثبيط الهمم وترسيخا للدعة والكسل ، مما اسهم في ابقاء الجينية بعيدا عن الرئاسة والزعامة في الهند وابسقاؤها تحت سيطرة البراهمة .

٣ - اثر الانشاق في الرهينة الجينية :

راينا في السابق كيف انقسمت الجينية الى فرقتين رئيسيتين هما :

الدياغبارا والسفاتبارا .

وقد كان هذا الانشاق مثار كتابات كثير من العلماء والمؤرخين . ذلك لانه كان السبب الرئيسي في زعزعة التماسك في الرهينة الجينية ، فقد اورشها عبثا ثقيل لم تستطع تحطه عبر تاريخها وقد تمثل في الجدل القائم بين الفئتين حول عدة امور منها :

١ - الرسائل التي خلفها مهافيرا

٢ - مبدأ المعري

٣ - مبدأ دخول النساء في السلك الرهيني .

ان هذه الامور رسخت الشقاق^(٢) بين اتباع الجينية وعلى الرغم من عدم

قيام نزاع دوى بينهما الا ان هذه الخلافات اسهمت الى حد بعيد في زيادة الهوة بين الطرفين . ،

١ - راجع حضارات الهند ص ٦٢٣

٢ - راجع تفاصيل النزاع في : الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٤ - وضع القوانين والانظمة الديرية :

بعد رحيل مهافيرا احتدم النقاش بين السفاتبارا والدياغمارا حول القوانين التي ألفها مهافيرا بنفسه .

فقد أنكرت الدياغمارا هذه القوانين واعتبرتها في حكم الضائعة بينما أقرت طائفة السفاتبارا هذه القوانين .

وقد وجدت فيما بعد قوانين لعبادات جديدة أهمها :
قوانين عبادة نياغياشا . وقد اكتشفت في عهد ماتورا (١) كما
تغيرت عدة قوانين عملية تتعلق بالدعوة والارشاد والتي أطلقوا عليها اسم :
" ايوساريا " وربما تكون هذه الطريقة قد أخذت عن البوذيين والتي تسمى :
" البيهاراس " . (٢)

٥ - ادخال النساء في السلك الرهيني :

لم تكن هذه المسألة قد أثرت في حياة مهافيرا ، إلا أنها طالبت أن
برزت بشكل حاد لتحدث خلافا في آراء الجينية وليلة بين افرادها .

فالدياغمارا ترى عدم وجوب ادخال النساء في سلك الرهبنة
لانهن غير قادرات على عبور قانون النجاة أو الخلاص وعليه فانهم يحرمون دخول
النساء (٣) .

اما السفاتبارا : فقد رأوا ان ما ينطبق على الرجل ينطبق على المرأة
وانها تستطيع ان تطارد جميع المهام الموكلة الى الراهب دون تعب مع اجبارها
على لبس الثياب .

وقد اعتبرت السفاتبارا فئة غير مرغوب فيها من قبل الدياغمارا واطلقوا
عليها اسم (هيريتكس) . (٤)

كما ان العرى كان سببا في ازدياد الفرقة بين الطائفتين (٥) .

EARLY Religions. P. 182

- ١

Emcyl. of Religion and Ethics.

- ٢

V: 7. P. 472

- EARLY Religions. 175

- ٣

// . P. 174

- ٤

٥ - راجع ثقافة الهند ص ١٣ عدد ٣ المجلد ٢ سنة ١٩٥١

: النتيجة التي آلت اليها الرهينة الجينية :

كان من الطبيعي جدا ان تتغير مفاهيم الرهبان الجينيين ، الذين احسوا بضرورة ايجاد مخرج للمأزق الذي أوجدوا أنفسهم فيه ، هذا المأزق نتج عن التعاليم الصارمة في الحياة ، ومعارضة كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد . وهنا برز التطور في إدخال بعض التغييرات على النصوص الدينية فبدل أن تكون العبادي* والاحكام متجهة نحو إرشاد الرهبان فقط. تحولت هذه النصوص لتخاطب الافراد العاديين وتضع لهم المناهج للسير عليها في حياتهم الخاصة . فأتاحت لهم الزواج والانجاب وسمحت بتكوين البيت والأسرة إلا أنها لم تترك وضع قيود أخرى اعتبرتها ضرورية للبقاء على الصيغة الجينية . . وغالبا ما تكون هذه القيود متصفة بالقسوة والاحكام رغم ادعائهم بانها من باب التخفيف .

وقد كان للعوامل السالفة الذكر اثر كبير في نشوء مرحلة جديدة ومغايرة كل التغاير عما كان عليه الوضع القديم .

فعلى اثر اهراق الكواهل بالقيود وانزال الناس منازل القهر والفقر والتسول وخاصة المعدمين من الجينيين كان لابد من البحث عن ثغرة للخروج من النفق المظلم الذي يستحيل العيش في كنفه .

فقد ضاق الناس بكثرة القوانين وقيودها ، فالزراعة حرام والفلاحة كذلك واكل اللحوم وشرب العسل كلها من باب المحرمات ، وحينما يصبح التحريم والتحليل سلعة بيد الرهبان فان المقاييس سوف تختلف وكذلك الموازين ستقلب . ولهذا فمهما حاول هو* لا* الشرعون من ترقيع لقوانينهم المهترئة فان الخرق سيتسع على الراقع .

وهنا استطاع الجينيون استغلال بعض النصوص الدينية وتحويلها الى تشريع جديد يتيح لهم فرصة ارغد للعيش .

فقد تحول اتجاههم للتجارة التي فتحت عليهم بابا للثراء ، الذي لم يفلق الى الان ، وقد أدى هذا الإجراء* إلى إضمحلال سريع لتعاليم الرهينة .

لقد أكد المؤرخون والعلماء* على تحول الجينيين الى التجارة بشتى أنواعها حتى إنشأ البنوك الربوية التي أوقعت الديون بالناس وأسهمت في شحن النفوس بالبغضا* ضد هم (١) .

ولهذا كله فقد بات من المؤكد الاعتراف باخفاق الرهينة الجينية

وفشلها في ايجاد المجتمع الامثل وذلك للنتائج التي آلت اليها .

الباب الرابع

الاسس العقدية
للرهينة البنوذية
والرد عليها

التمهيد :

بعد الوقوف على الاسس العقيدية للرهينة الجينية والتطور الذي رافقها،
ينقلنا البحث الى فصل آخر من فصول الرهينة التي شهدتها الهند إبان القرن
السادس ق.م ، حوالي ٦٠٥ ق.م.

فقد عرفت الهند كما سبق القول ، ثورتين كبيرتين ضد الهندوسية
وعقائدها ومبادئها التسلطية التي أرهقت النفوس في سبيل تربيع طائفة البراهمة على
عرش النفوذ، والتحكم بنظام الطبقات وفقاً للمصالح ، وكسبا للاستيازات العرقية والعنصرية.
(١) وقد اعتبر العلماء الحركة الجينية أولى هاتين الثورتين واعتبروا
البوذية هي الثورة الثانية بعدها .

(٢) وهناك من اعتبر البوذية حركة سلمية اصلاحية ضد الهندوسية ، يسـل
فلسفياً أخلاقية ترمي الى التدرج في رفع مقومات النفس الانسانية وطوها ، وعلى العموم
فقد اعتبر هذا العصر بالذات عصر (الانتقال من الطقوس الى التأمل والفكر) (٣).

ورغم ذلك فهناك من يذهب الى ان هذا العصر يعتبر عصر الانتكاس
الشديد والتشاؤم (٤) ولا شك أن مرد ذلك الى النظام الرهيني الذي أشاعه
بوذا ودعاه بآرائه وتعاليمه .

ولا يهم البحث هنا الدخول في متاهات العلماء حول هذا الخلاف
بقدر ما يهمه الإطلاع أولاً على مبادئ وأسس الرهينة البوذية ، من حيث العقائد
والأفكار ومن ثم متابعة التطورات والتغييرات التي واكبتها ، وكذلك التوقف للحكم
عليها من خلال النتائج التي وصلت اليها والدور الكبير الذي قد مته لنظم الرهينة
التي لحقت بها وسارت على منهجها فيما بعد .

١ - نسبة الى بوذا مؤسسة الديانة البوذية ولكلمة بوذا عدة معان منها : العالم
والحكيم ، والعاقل . راجع في ذلك : دائرة معارف بطرس البستاني ، مادة بوذا .

٢ - راجع : البوذية ، هنري أرقون . ت : هنري زغيب ص ١٧ ، المنشورات العربية
الطبعة البولسية ، جونية لبنان ١٩٧٥ .

٣ - تاريخ البشرية ، أرنولد توينبي ٢٢٣/١ ، ت : نقولا زيادة ، الطبعة الاهلية
للنشر، بيروت ١٩٨١ .

٤ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦١

أ - مصادر الفكر البوذي :

يرجع العلماء* مصادر البحث عن العقائد البوذية وما يختص منها بالرهينة ،
وتعاليمها ، الى الكتب التي قدسها البوذيون ، اضافة الى الآثار التاريخية التي
اكتسبت اهمية لدى الباحثين لما فيها من نقوش وكتابات قديمة توضح بعض المراحل
التي مرت بها هذه الديانة ، نظيرة التطورات التي حدثت داخلها .
وهوكد بعض الباحثين على أهمية تلك الآثار لكونها تزيح الستار
عن الغوامض التي اكتتفت البوذية بشكل عام . و التي لم يكن بالامكان التوصل الي
حل رموزها إلا من خلال الوقوف على تلك الآثار خاصة تلك النقوش المحفورة داخل
المعابد والقصور ، إضافة الى الكتابات المنحوتة على صناديق الذخائر الدينية ، والنصب
والجرار التي زعم أنها حوت رفاة بوذا والتي ترجع الى حوالي عام ٤٥٠ ق م . (٣)
أما بالنسبة للكتب التي قدسها البوذيون ، فهي مؤلفة باللغة
البالية (اللغة المقدسة التي كتبت بها الشريعة البوذية) . وقد توصل العلماء*
الى حقيقة مفادها ان بوذا لم يترك سوى بعض التعاليم التي من شأنها ارشاد أتباعه
الرهبان الى طريقته التي وقف عندها من خلال تجاربه العديدة التي مر بها ، مع
تأكيدهم على انه لم يترك كتابا مستقلا يوضح فيه مبادئه وتعاليمه ، وقد وجد فيما بعد
ما يسمى (بانجيل بوذا) وهو موجود ومطبوع وصترجم الى اللغة العربية ، ويدعي
البوذيون انه من تأليف بوذا ، الا ان الواقع لا يتفق مع هذه المقولة لاسباب عديدة (٥)

١ - راجع : تاريخ حضارات الهند ، فوستاف ليهون ص ٣٦٥

٢ - راجع : البوذية ص ٢٤-٢٥

٣ - انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٢٦-٤٢٧ ، دار نهضة لبنان ،

وكذلك دائرة معارف البستاني ٦٦٢/٥-٦٦٣

٤ - : معالم تاريخ الانسانية ، هـ . ولز ، ٤٧٣/٢

٥ - من اهم الاسباب الداعية الى رفض نسبة انجيل بوذا الى صاحبه :

ان ما تضمنه هذا الكتاب من مسائل عقائدية لا تتفق مع جطة الامور التي كان ينادى بها
بوذا نفسه ، فنصوص هذا الانجيل تفيد بان بوذا كان يؤمن بوجود الاله فمن ذلك
مثلا قوله للبرهمنين : (اذن اعطوا ان (تتفانوا) بمعرف الطريق السوي الذي يوصل
الى الاتحاد " ببرهما " وهو وحده يعرف ذلك ولا احد سواه لانه في عالم براهما ، وفيه
ولد فهو في وانا فيه وكلانا واحد " انجيل بوذا ص ١٥٧ ، ت : عيسى سابا ،
مكتبة صادر ، بيروت ط ١٩٥٣) مع ان العلماء* قد بحثوا هذه القضية مطولا وشاروا
الى ان بوذا لم يكن يتعرض لهذه القضية كما انه كان يصرف اتباعه عنها ويدعوهم الى عدم
الخوض فيها بل وانكر وجود الله الخالق (راجع : الموسوعة الفلسفية م . روزنتال ،
يودين ، ت : سمير كرم ص ٩١-٩٢ مادة بوذا ، دار الطليعة بيروت ط ١٩٨٠)

أما بقية المصادر الدينية الأخرى فقد وجدت عبر تأليف كبار علماء البوذية ورهبانها وأهم هذه الكتب . :

- طريق الطهارة (١)

- زهرة الشريعة المستقيمة

- القانون السنسكريتي

- وصف سهب للبلاد السعيدة (٢)

ولم يخف على العلماء ما في هذه الكتب من روايات سقيمة ، وضعها أهل الغلو تعظيماً لشان صاحب هذه النحلة (٣) .

= كما أنه في تعاليمه لم يشر من قريب أو بعيد إلى وجود هذا الانجيل خلال إرشاده لتلاميذه ، كما أن حركة العربة الصغرى ، - وهي فرقة من الفرق البوذية - لم تشر إلى هذا الانجيل بينما كل الأصابع تتجه إلى فرقة أخرى تدعى " العربة الكبرى " على أن هذا الكتاب من تأليف مؤسسها وطوائفها .

ويقول د . محمد اسماعيل الندوى (كما لا نملك دليلاً قاطعاً على تأليفه (أى بوذا) كتاباً واحداً من بين عشرات من الكتب المنسوبة إليه) .

الهند ، حضاراتها ، ودياناتها ، محمد اسماعيل الندوى ص ١٤٩

وراجع كذلك : فلسفات الهند ، جان فيليوزات ص ٣٣

١ - هذا الكتاب ينسب إلى " بوذاغوزا "

وهو أحد كتب فرقة " العربة الصغرى " انظر : البوذية ص ٦٠

٢ - هذه الكتب هي للعربة الكبرى : انظر : البوذية ، ص ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ،

٣ - انظر في هذا الصدد : دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى

٣٨٤ / ٢ ط ٣ مادة بوذا دار المعرفة بيروت ١٩٧١ .

ب - حياة بوذا :

حفلت مؤلفات المؤرخين الغربيين وغيرهم بقصص وروايات عن حياة بوذا (٥٦٠-٤٨٠ ق م) وقد استمدت هذه المؤلفات مادتها من كتب البوذيين أنفسهم . وليس هناك أدنى شك أن ما تناولته هذه الكتب من روايات لا يمت إلى الحقيقة بصلة نظرا لكثرة الأساطير والخرافات والأوهام التي نسجتها العقليّة الهندية المفعالية^(١) ويعترف ليهون بهذا الواقع حيث يعبر عنه قائلا : (. . فالحق أن معظم تاريخ بدهة (بوذا) هو كما أشار سيوسينار مقتبس من الأساطير القديمة^(٢)) كما أنه من العسير جدا التمييز بين الحقيقة التاريخية وبين الأسطورة فيما يتصل ببوذا وحوارييه ، زد على ذلك أن العالم لم يلم (الما صاحبها بحياة غوتا ما (بوذا) ورايه الحقيقية إلا في نصف القرن الأخير وذلك نتيجة الاهتمام بدراسة اللغة البالية^(٤) .

وبالرجوع إلى تلك الأساطير التي سردت حياة بوذا يلاحظ وصفها لحياة أسرته ومركزها المرموق في المجتمع الهندي وعن نسبتها إلى طبقة الكشترية وكيفية ولادته وما رافقها من عجائب وغرائب تخرج في مجملها عن حدود الواقع المألوف^(٥) . وقد تشابهت هذه القصص إلى حد كبير مع القصص التي يوردها المسيحيون عن حادثة ولادة السيد المسيح عليه السلام ، وقد قارن العديد من العلماء هذه القصص مع بعضها البعض فوجدوا تطابقا في معظمها . ولن نعد إلى ما تناقلته الكتب المتعلقة بهذا الموضوع بل إن التعرف على أهم المراحل التي رافقت ذلك الأمير الشاب هو ما يخدم البحث .

- ١ - معالم تاريخ الانسانية ٤٧٣/٢ ، وقد اختلقت آراء العلماء حول تحديد سنة ميلاده ووفاته ، راجع تلك الاختلافات في : الديانات والعقائد ١١٦/١ وكذلك في : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦١ .
- ٢ - حضارات الهند ص ٣٤٤
- ٣ - : الاسلام بين الأديان د محمد كمال جعفر ص ٢٥٠
- ٤ - معالم تاريخ الانسانية ٤٧٣/٢
- ٥ - راجع هذه الخرافات في كل من (انجيل بوذا ص ١٧ وما بعدها ، وكذلك في : حياة بوذا ، أ . فارديناان هارولد ، ت : فليب عطا الله ص ١٤ ، دار الروائع الجديدة ط ١٩٧٥ ، وكذلك : البوذية ص ١٦ ، ودائرة معارف البستاني ٦٥٩/٥

ولسد غوتاما بودا^(١) في مقاطعة كابيلافاستو والتي سميت فيما بعد باسم بنارس ، وهي احدى المقاطعات الهندية ، وقد رعاه والده وهياً له جميع وسائل الرفاهية ثم ما لبث ان زوجه من احدى الاميرات ، التي انجبت له ولدا سماء راهولا^(٢) ، الا ان عدة مشاهد مؤثرة قد اوقفت هذا الامير للتفكير والتدبر واعادة النظر في هذه الحياة ، كما ان تلك الحوادث حالت بعد ذلك دون تحقيق رغبة والده في تسليمه مقاليد الحكم من بعده .^(٣)

لقد كان لتلك المشاهد اثر كبير في حياته ان قلبت مفاهيمه راسا على عقب ، فقد توقف اثناء سيره مع مرافقه (شانا^(٤)) امام عجوز هرم احد ودب ظهره وكلت رجلاه عن حمله كما شاهد بعدها مريضا طحنه الالم وأهله حوله عاجزين عن تقديم العون له ، كما مر على جنة مهترقة يأكلها الديدان ، ثم شاهد راهباً يتعبد ، وفي كل مرة كان يطرح سؤالا على خادمه فلا يلقي سوى جواب واحد قائلا :
(هكذا نهج الحياة ولا مفر لنا من هذا المعبر)^(٥) .

لقد لعبت هذه الصور في مخيلته وأثرت في نفسه واثارت يطرح الاسئلة دون ان يحظى باجابة مقنعة ما حدا به في نهاية المطاف الى العدول عن حياته السابقة والالتزام ببدء الرهبنة الهندوسية التقليدية طه يصل عمرها الى اكتشاف اسرار هذه الحياة ، وكان عمره في هذه الاثناء يقارب التسعة و العشرين^(٦) .^(٧)

١ - لقد سمي عند ولادته (سيدارتا) اي الذي حقق غايته ، ومنها اسم العائلة كما اطلق عليه اسم ساكيا موني نسبة الى القبيلة ، ولكن الاسم الذي غلب عليه هو بودا ومن معانيه : الطهم ، والشرق عليه ، او المتنور . : البوذية ص ٢٦

٢ - حضارات الهند : ٣٤٥

٣ - : انجيل بودا ص ٢٢

٤ - انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٢٦-٤٢٧ وحياة بودا ص ٣٩-٤٠

٥ - معالم تاريخ الانسانية ٢/ ٤٧٤ وحياة بودا ص ٣٩-٤٠

٦ - : معالم تاريخ الانسانية ٢/ ٤٧٤

٧ - حضارات الهند ص ٣٤٧

٨ - الديانات والعقائد ١/ ١١٨

وطيه فقد قرر في د خيلة نفسه ضرورة الانتصار على الشيخوخة والمرض والموت (١) . وللوصول الى مبتغاه ، فقد غير مجرى حياته السابقة وهجر الاهل والولد (٢) ، وأرتدى ملابس الرهبنة واتبع طريق الغاية وحده ، حيث ظفر بخسة رهبان فاستانس بهم وقاسمهم حياة الرهبنة ونال اعجابهم حينما فاقهم تعبدا وتبتلا وانقطاعا حتى غدا لهم مرجعا وقدوة (٣) .

ولم يشف سلك الرهبنة الهندوسية غلته ، ان هذا الطريق لم يوصله الى مبتغاه الاساسي كما كان يرجو ، سيما وانه مارس الوانا وصورا قاسية من العبادات الهندوسية حتى لم يعد هناك من مزيد . ومن خلال هذه الوقائع نستطيع تلخيص ما توصل اليه عبر ممارسته للرهبنة الهندوسية :

- عدم جدوى الممارسات التعبدية المقررة من قبل الرهبان الهندوس . تلك التي وضعت في الاساس للوصول بالفرد الى طبقة البراهمة لان بوذا كان من طبقة الكشتارية ولم تشفع له هذه الممارسات في بلوغ تلك المرتبة لاقتصارها على العنصر البرهمني فقط . - عدم وضعية الاراء العقديّة للرهبنة الهندوسية وذلك لعدم تمكنها من تحقيق اهدافه . وتطلعاته او الاجابة على اسئلته الطمعة فضلا عن اقتناعه بعدم امكانية الوصول الى نتيجة مشرفة لرياضته ان لم ينل منها سوى ازهاق النفس واثرهاق الجسد . دون طائل .

- تأكد من ان الاسباب الكامنة وراء الظلم والقهر المقيمين على العامة انما مردء الى الهيمنة البرهمنية ولهذا نراه في تعاليمه يشدد على ضرورة ازالة الظلم والجهل (٤) . وهكذا ادرك بوذا ان البرهمنية طاجزة عن حل لغز الوجود ومشكلة الحياة .

هنا طيه فقد أحس بأنه أخفق في سعيه ، فعاد أدراجه وقرر العدول عن التبتل مؤكدا ان الوصول الى ما يريد لا يكون الا بعقل تغذى وجسم سليم (٤) . بعيدا عن حياة الرهبنة الهندوسية الرتيبة ، وعاد الى الاكل والشرب ، مما أثار حفيظة رفاقه الرهبان الخمسة وجعلهم يبتعدون عنه (٥) .

١ - حياة بوذا : ٤٩-٥٧

٢ - انجيل بوذا ص ٢٩

٣ - حياة بوذا ص ٩٩ وراجع كذلك : الديانات والعقائد ١١٩/١

٤ - اديان الهند الكبرى ٢٤٢

٥ - المصدر السابق

وتصف المصادرك كيف استطاع بوذا مقاومة الشيطان (مارا) واعوانه وانتصاره عليهم (١) وهي في حد ذاتها شبيهة بما يورده النصارى ايضا عن السيد المسيح عليه السلام .

وفي هذه الاثناء وبينما كان مستلقيا تحت ظل شجرة (البو^(٢)) ان سمع صوتا من داخله يدعو الى مجاهدة نفسه للوصول الى الحق ، عندها قرر عدم مراحة المكان حتى ولو تشقق جلده وتقطعت عروقه وانفصلت عظامه ... الخ^(٣) .
لقد احسن تحت هذه الشجرة بالسعادة والطمأنينة تملأ ن نفسه ، حسب ما يذكره البوذيون ، وشعر بعدها بالهدوء وقد تكشفت له اسرار الحياة وتم له التعرف على كيفية الانتصار على الهرم والمرض والموت ، وهو الامر الذي اطلق عليه اسم النيرفانا او الاستنارة^(٤) .

اخذ بوذا يبشر بالدعوة الجديدة قبلد (مجادها) والتي دعيت فيما بعد باسم " بيهار " وما لبثت تعاليمه ان انتشرت في اصقاع عديدة في الهند ، فكثير اتباعه^(٥) ومريدوه ولقي حظوة في اعين الرهبان الذين تجندوا للتبشير بدعوتهم و تعاليمه ، وقد اسهم في انتشارها بعض الملوك والامراء الذين اعتنقوا هذه الديانة وعملوا على نشرها مثل اسوكا (٢٦٤-٢٣٢ ق م)^(٦) .

تلك هي اهم مراحل حياة بوذا كما تناقلتها الكتب المختلفة ، علما بان الكثير ما ورد في تلك القصص يكتنفه التغيير والتبديل تبعا لاختلاف الكتاب والمؤلفين حول الكثير من هذه القصص ، اضافة الى عدم ثبوت اى منها ثبوتا قطعيا .
كما لا يمكن القول بوجود اتفاق تام بين الذين كتبوا سيرة بوذا وذلك لان الذين نقلوها كانوا يعتمدون على الكتب الدينية الطيبة بالاساطير والخرافات التي حيكت حول حياته .

.....

- ١ - حضارات الهند : ص ٣٤٩ وانجيل بوذا : ص ٤٤-٤٥
- ٢ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٨٠
- ٣ - اديان الهند الكبرى ١٤٢
- ٤ - الديانات والعقائد ١ / ١٢١
- ٥ - المرجع السابق ١ / ١٢٢
- ٦ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٩٢-٤٩٣ وكذلك اديان الهند الكبرى ١٨٠-١٨١
وقصة الاديان ، د . رفيق زاهر ص ١٢٠-١٢١ ط ١ دار المطبوعات الدولية
صدر ١٩٨٠ ، ١٤٠٠ .

وتجدد الإشارة الى ان مجلة اليونيسكو قد مت تقريراً مصوراً عن : "شاندى بوروبودور" وهو من أكبر المعابد البوذية في أندونيسيا ، أوضحت فيه صوراً عديدة للنقوش والزخارف التي تمثل حياة بوذا وتعاليمه ، وقد توقف التقرير عند كل نقش على حدة وبين فيه مراحل عدة من حياة بوذا وكذلك القصص الخرافية التي رافقت تلك الحياة . (١)

ج - أراء حول شخصية بوذا :

هناك من يرى أن بوذا يعتبر فيلسوفاً . وأن ما جاء به ليس ديناً بل هو فلسفة حياة . (٢) كما يذهب البعض الى امكانية اعتباره نبياً من الانبياء لان ما جاء به من حكمة وموعظة واخلاق انما يمثل وينطبق على ما دعت اليه الاديان السماوية . وقد استدل القائلون بنبوة بوذا بقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقص عليك ...) . (٣)

وهذا الرأي بعيد . وذلك : لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مؤيدون بوحى من عند الله تبارك وتعالى والوحى الالهى له اعراض . فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعتره : احمرار الوجه وتتابع الأنفاس ، مع تحول الوعي عما حوله الى تلك الوحي . وينجلي عنه الوحي في اليوم القارس البارد وأن العرق ليتقاطر غزيراً من جبينه وأن جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليثقل من شدة الوحي ، حتى تكاد فخذ ترض فخذ زبد ونها ، وحتى تثقل ناقتة فتترك على الارض . وتزخر أذناه بأصوات حادة ، كصلصلة الجرس ، يجد الصحابة لها دوا كدوى النحل ...) . (٥)

وقد رد الاستاذ العطار على القائلين بنبوة بوذا والذين استدلوا بقوله تعالى (والتين والزيتون وطور سنين) زاعمين بان التين هي شجرة التين التي استظل تحتها بوذا ونزل عليه الوحي . وفي ذلك يقول (فليس لدينا أي دليل يثبت نبوة بوذا ورسالته وما بين أيدينا من سيرته يجعله بعيداً عن عيسى . ولا لقاء بين ديانتيهما ، لان ملكوت بوذا خال من إله . وعيسى جاء بديانة التوحيد الحق وملكوته لدى المسيحيين مشغول بثلاثمائة

١ - راجع : رسالة اليونيسكو العدد ٢٦١ ، ص ١٣ ، سنة ١٩٨٣ ، القاهرة .

٢ - الفلسفات الهندية ص ١٢٩ و ٢٣٣

٣ - الآية ٧٨ من سورة غافر .

٤ - الوحي لغة : الإشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما ألقته الى غيرك (انظر : لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، ط ١٣٥٦ هـ وكذلك : القاموس المحيط للفيروز ابادى - مادة (وحي) الطبعة الحسينية ط ١٣٣٠ هـ والنهاية في غريب الحديث والاشهر لابن الاثير . (باب وحا) دار احيا الكتب العربية وفي الاصطلاح : الايحاء : الاعلام على سبيل الخفاء ، قال تعالى (ذلك من انباء الغيب

نوحيه اليك) والايحاء هنا : الارسال الى النبي صلى الله عليه وسلم والوحي يكون الهام وايضا وغير ذلك (انظر الجامع لاحكام القرآن . للقرطبي ٨٥/٤ ط ١٣٧٦ هـ وكذلك : التفسير الكبير للفخر الرازي ١٠٨/١١ ط ٢ . طهران . وكذلك : تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٢٥٦ فصل (وح) مطبعة الامام . مصر .

٥ - انظر : وحي الله . د . حسن ضياء الدين عتر ص ٥٠/٤٩ ط ١٤٠٤ هـ مطبعة رابطة العالم الاسلامي مكة المكرمة .

الاب ، والابن والروح القدس (١) .

كما ان انكار بوذا للذات الالهية أمر مستهجن بكل منكر وكفر والعماد ، فان الانبياء عليهم السلام آمنوا على الرسالة والوحي ، وهم معصومون : ومكلفون بتبليغ شرع الله تعالى ، فلا يجوز في حقهم انكار الذات العلية ، كما لا نستطيع القول بنبوته من لحيقصة الله تعالى صراحة في كتابه العزيز ، أولم تشر اليه السنته بدليل شرعي .

ولكنثرة الاختلافات حول شخصية بوذا فقد اضطربت عبارات العلما في تحديد الحالة التي وصل اليها في تجربته . فمن ذلك ما حصل لـ " ولسز " . فتارة يصف هذه الحالة بالالهام ، وذلك حينما قال (والعقل عند ما يضطر مع مسألة جليسة معقدة يخطو خطوات ويتثبت من موطن " قد فيه ، خطوة خطوة ، وهو لا يدرك المغامرات التي غنمها الا اذ راها يسيرا حتى يفوز بالنصر بغتة في شيء من الالهام غير منتظر الذي ينير له الطريق وهذا كما يخيل اليها هو ما حدث لجوتا (٢)) .

وتارة يصف هذه الحالة بأنها وهي حينما قال (فانه جلس يتناول طعامه تحت دوحه عظيمة الى جوار نهر عند ما جاءه ذلك الشعور بالروية الصافية والبصيرة النافذة ان خيل اليه انه يرى الحياة صافية نقية . ويقال انه جلس طيلة ليله ونهاره مستغرقا في فكر عميق ثم نهض يذيع على العالم رؤياه وما هبط عليه من وحي (٣)) .

ولا شك أن هذه الحالة ليست بالالهام ولا بالوحي : وانما هي من قبيل الحدس الذي يأتي بالحلول التي تومض وتطرا على فكر العالم أو الفكر فجأة دون أن يكون قد تعدد تكوينها ، وذلك نتيجة عملية درس وتمحيص لمعالجة قضية استعصت عليه ولم يجد اجابة لها .

وهذا ما يسهم الى حد كبير في اجهاد الفكر واتعابه خاصة اذا كانت هذه المسائل تمس قضايا الانسان ، وتعنى بحل مشاكله . وان كان بوذا قد توصل الى حل بعض ما يراه مشكلة فلا يعني ذلك أنه أصبح نبيا وأن الوحي قد نزل عليه . ومن الادلة على ذلك ما جاء على لسانه :

(لقد اكتشفت حقيقة عميقة كان من الصعب رؤيتها . لذا سيكون من الصعب فهمها فالحكما وحدهم سيتمكنون منها ، ان الناس منغمسون في طمذات العالم وهم مع ذلك فرحون ، فكيف سيفهمون النتائج والسببات ...) (٤) . وهذا يدل على انه كان يبحث عن شيء " ثم وجد " .

١ - الديانات والمعائد ١٣٧/١ - ١٣٨

٢ - الالهام : ما يلقى في الروح بطريق الغيظ ، وقيل الالهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو الى العمل من غير استدلال بأية ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلما (الا عند الصوفيين) راجع : التعريفات للجرجاني مادة : الالهام .

٣ - معالم تاريخ الانسانية ٤٧٨/٢ - المصدر السابق .

٤ - المصدر السابق .

٥ - حياة بوذا ص ٩٣ وكذلك انجيل بوذا ص ٥٣

بعد عنا* ، ويمكننا بعد ذلك من خلال دراسة منهج بوذا وتعاليمه ان نقرر
امرا مطابقا لواقعته بالنسبة لهذه القضية بالذات فقد كان يمثل مدرسة فلسفية
وكان غرضه منها التحرر من ريقه التعاليم الدينية وطقوس الطبقة الحاكمة لكسر
نفوذها ، فلم يجد سوى النظر في القضايا الفلسفية التي تتعلق بالانسان ومسا
يعتريه من مشاكل . وقد اتسمت هذه الفلسفة بطابع الرهينة ، لما فيها من
قوانين وانظمة تدعو الى الترهيب ، وقد أسهمت هذه المدرسة في مد انظمة
الرهينة في العالم بكثير من المبادئ والاراء .

وقبل التعرف على تعاليم الرهينة البوذية ، ينبغي الوقوف على اهم
العقائد التي تنادي بها .

الفصل الاول : العقائد البوذية ، ونقد هــ

هناك مرحلتان هامتان في تاريخ الفكر الديني والفلسفي البوذي .

المرحلة الاولى : تتمثل في بداية عهد البوذية ، وفي هذه الفترة يتكلم العلاء عن سيرة بوذا وحياته وآرائه التي كان يبشها بين أتباعه ، وذلك من خلال خطبه ومواظه . وقد وصف البعض هذه الفترة بأنها مثلت في مبادئها جانب البساطة كما دعت الى الكثير من البحث داخل كل نفس (١)

اما المرحلة الثانية : فهي فترة ما بعد بوذا وهي التي تم فيها تغيير الكثير من المعالم في هذه النحلة ، وفيها تم ادخال العقائد الهندوسية (٢) . اضافة الى الطقوس والتقاليد الوافدة عبر الذاهب الهندية المخططة والتي أسهمت في تغيير وجهة المرحلة الاولى .

وقد تمثلت العقيدة في المرحلة الاولى ببعض الآراء التي كان ينادى بها بوذا ومن ذلك : أولا : - انكار الالهية (٣)

برزت هذه الحقيقة حينما تجاهل بوذا وجود الاله ، وهذا الأمر لم يكن في حد ذاته جديدا على الفكر الهندي ، إذ رأينا سابقا كيف أنكر مهافيرا صاحب الجينية الايمان بوجود الاله ، وهاجم آلهة الهندوس .

ومرر هذا الانكار راجع الى ارتباط المفاهيم العقيدية بالواقع المعرفي الذي كان يميز الطبقات الشعبية من بعضها . بأسلوب يتسم بالعنصرية .

فمهافيرا وبوذا كانا ينتميان الى " الكشترية " التي كانت تكوى بظلم الكهنوت البرهمني ، ولهذا لا نجد كبير عناية في التوصل الى الاسباب الراضة لكل ما يمت الى الهندوسية برأى أو فكر .

وهناك أمر آخر يمكن أن يساعد في تأكيد هذه النظرية : وهو موقف بوذا نفسه من قواعد الرهبنة الهندوسية وما انطوت عليه من تعاليم ، إذ انه لم يستطع أن يجسد فيها ما يرضي رغباته ويجيب عن أسئلته : ويحقق طموحه في الوصول الى المعرفة . فلقد وجد في هذه الرهبنة ضيقا للوقت دون طائل ، وهدرا للطاقة والفكر وتشبثا للذهن دون فائدة .

لهذا قررا اعتزال ما كان عليه والالتفات الى طريق آخر ، ويمكن ربط هذا الاستنتاج بما توصل اليه " مهافيرا " الجيني أيضا أثناء قيامه بالرياضات والممارسات وفقا لتقاليد الرهبنة الهندوسية وما وجد فيها من تناقضات . فالواقع الذي

١ - شجرة الحضارة ١٨٦/٣ - ١٩٠

٢ - راجع : البوذية ص ٧٣ ، وشجرة الحضارة ١٨٦/٣ - ١٩٠

٣ - هناك من يرى : أن بوذا (كان ينفذ مسائل العقيدة لسببين) أولهما : أنها تتناول مسائل فوق مداركنا . وثانيهما : أن معرفتها لا تسوي الى الخلاص . والجرح يطلب العلاج والتفريد . ولا يعنيه من أجل ذلك أن يعرف طبيعة السلاح الذي جرح به

(٤) : تاريخ العالم ٥٣١/٢

بعميشه البراهمة يختلف عما يروجونه ، وكأنهم يجعلون من هذه التعاليم ستارا يخفون به حقيقتهم المخزية وصولا الى الهيمنة والسيطرة .

فلا غرابة اذاً أن يصرف بودا جُلَّ وقته في ابعاد أتباعه عن الخوض فسي المسائل العقديّة الخاصة بالألوهية وما وراء الطبيعة^(١) .

وقد حارر العظماء كثيرا في هذه القضية واختلقت آراؤهم حول ما اذا كان بودا يقر بوجود أو نفسي الايمان بالاله^(٢) . وعلى الرغم من تأييد البعض لفكرة ايمان بودا باله الا أن الواقع يقول عكس ذلك . فقد ترجم د . روف شلبي كتاب (دام بادا) السي العربية واستطاع التوصل الى عدة حقائق منها :

- ان (لا اله في البوذية ولا تاريخ لذات بودا ولا تعاليم محددة متقنة فكل

ما في البوذية سلبي . . . انها دعوة الى الهروب من الحياة دون مقابل^(٣) . وهذا الرأي قد ذهب اليه من قبل عدد من عظماء الغرب^(٤) .

وهذا ما أراه مناسباً في تقرير حالة بودا والبوذية الاولى تجاه هذه القضية .

طما بان هناك من يرى : أن منهج بودا كان (لا أدرياً خالصاً) في مسائل

ما وراء الطبيعة ، وكان يرفض ان يبحث مع أتباعه في المسائل الخاصة بالطلق وعلاقة الروح بالطلق ، وسأله " لا نهاية الزمان والمكان - أو نهايتها " بل وصل به الى انكار الرغبة المتأججة عند الكثيرين لمعرفة ما اذا كان مصير جسم الرجل الذي وصل الى الاستنارة الكاملة (النيرفانا) هو الغناء التام بعد الموت ، أو أن مصيره نـزـوع من الحياة الخالدة^(٥) .

١ - يذهب الشيخ ابو زهرة رحمه الله الى ان بودا " لم يتعرض لسألة الألوهية بسلب او ايجاب ، وأنه كان حائرا مضطربا و " أن المذهب لا يؤخذ من قول المفكر عند هذه الحالة بل المذهب ما يستقر عليه الشخص ويتجه اليه ويدعو الناس الى اعتناقه . ولم يدع أحد أن ذلك كان جزءاً من مذهبه وآرائه ، دعا الناس اليه بل أن منتحلي نحلته كانوا جميعاً يؤمنون بقوة سيطرة على العالم ولم يمنحهم ذلك من أن يجمعوا بين عقيدتهم ومذهبه ، واذا كان من متبعيه من نحلّه أوصاف الاله ، فذلك دليل يظن معه أنه ليس من دعايته انكار الاله) الديانات القديمة ص ٧٠

٢ - لاحظ في ذلك : الاسلام بين الأديان ص ٢٥٧ وما بعدها .

٣ - راجع : آلهة في الاسواق ص ٢٣٥

٤ - مثل : قصة الحضارة ١/٣ : ٨٢ وكذلك شجرة الحضارة ٣/ ٦١٩-١٩٧٢ ومعالم تاريخ الانسانية ٢/ ٤٨٤

٥ - مدرسة طيسفية قامت عقب موت الاسكندر وانحطاط الحالة السياسية والاجتماعية بعده في اليونان ولم تأخذ هذه المدرسة جانب التحكم في الشك كالحالة التي وجدت عند السوفسطائي ولكن الشاك - كما يقول (كرم) - رجل مغلوب على أمره فقد الايمان بالحق والخير في بيئة تهللت فيها الافكار وفسدت الاخلاق الى حد بعيد فانعزل في نفسه لا يوجب ولا ينفي وانما يقول : لا أدري) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٣٤ ، وقد اشتهر " بيرون الايليسي " كأحد ابرز اعلام هذه المدرسة (: الوجود الالهي ص ٥٠

٦ - تاريخ العالم ٢/ ٥٣١

١٥ المرحلة الثانية من البوذية :

فهي تعتبر في عرف العلماء فترة التوسع والانتشار ، ليس فقط داخل الهند بل الى آفاق اخرى كالصين واليابان ودول جنوب شرق آسيا بصفة عامة . وفي هذه الفترة بالذات يمكن تسمية البوذية ونعتها بالدين الوضعي بعد أن كانت تمثل جزءاً من الفلسفة الهندية . ففي هذه الاثناء تم ادخال كثير من العقائد الهندوسية وأسستها ضمن العقائد والتقاليد والشعائر البوذية . وهذا هو السبب السذى قوض دألم البوذية في الهند ، بعد أن كان الفكر البوذى في تصاعد (١) .

يضاف الى ذلك ضياع الاصول البوذية في حطّة المرحلة التي تولت فيها المعربة الكبرى " سؤولية الدعوة (٢) . فقد ألفت في هذه الفترة أكثر الكتب التي قدسها البوذيون واعتبروها من تراثهم الديني . طمأن بوذا لم يترك كتاباً من تأليفه .

وقد اعتبر العلماء أن التوسع الكبير في العقائد البوذية كان نتيجة الانفتاح الذى طرسته المعربة الكبرى أو " الماهايانا " تجاه العقائد الاخرى . (٤)

١ - وقد أسهب " ليهون " في وصف أسباب تصاعد وانتشار البوذية الموقت ، وارجع بعضها الى تحكم الهندوسية وصرامة الدين الذى لا يعرف الرحمة بما يمثل من قساوة حيث لا رأفة فيه ولا محبة في حين ان تعاليم بوذا تعارب هذه الهيمنة وذاك التسلط . راجع هذا المفهوم في : حضارات الهند ص ٣٥٢

٢ - ولها عدة تسميات اخرى منها (المعجلة العظمى) ، وهي الفرقة الثانية التي نشأت عقب التبدل الذى طرأ على البوذية وهجرة هذه النحلة خارج الهند مما ادى الى الانشقاق . وقد سميت بذلك تمييزاً لها عن المعربة الصغرى أو ما يسمى بالهيمايانا . وقد سميت بالصغرى على وجه الامتنان ، لعدم انفتاحها على مقائنها على الصور الاولى للبوذية : انظر : حكمة الاديان السحية ص ١٨-١٩ وكذلك فلسفات الهند ص ٤١ .

٣ - البوذية ص ٧٣

٤ - المرجع السابق ص ٦٧

ثانيها : الكارما :

كان العقل الهندي مليئا بفكرة التكرار الدوراني ان كان يزعم ان كل شيء لا بد ان يدور فيعود .

وعقيدة الكارما هي من جملة العقائد التي قبلت بها البوذية . وقد تعرضت سابقا لهذه الفكرة عند الهندوس ، وقد بان أثرها على العقيدة ككل . ولا تختلف الكارما عند البوذيين عما هي عليه عند الهندوس اختلافًا كبيرًا فالبوذية تضيف الى هذا القانون مفهوما آخر يتعلق بالتوبة .

وقد رفض العُلما مناقشة هذه العقيدة لأنها تنتمي الى عالم فكري آخذ فسي الزوال ، وما قاله " ولسز " في هذا الصدد : (انه لا توجد أية ضرورة تدعونا لفرض أية حياة فردية معينة تستأنف . . . (وانه) لا وجود لشيء من هذا التكرار أو التعاقب المضبوط . . . فان كل يوم يكرر سابقه بمقدار متناه في الصغر ، وما من جيل يكرر سابقه تكررًا دقيقًا مضبوطًا والتاريخ لا يعيد نفسه أبدًا ، انما نعلم الآن علم اليقين ان ألوان التغيير التي تلحقه لتنتهي ولا يكاد يدركها حصر ، فكل شيء جديد جدة أبدية (لا نهائية) (١) .

كما ان هذا القول يؤكد لنا تعارض فكرة الكارما مع العلم والواقع ، وقد أكد القرآن الكريم على أنه لا يوجد شيء أبدى ولا نهائي على صعيد هذه الحياة ، فالله وحده هو الحي الباقي قال تعالى (يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَرِزْوًا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (٢) وقال (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (٣) .

١ ط الجانب الجديد في قانون " كارما " البوذي ، فهو يتعلق بالتوبة ، فهي لا تمنع صدور المعلول عن العلة ، وانها لا تكفر الذنوب (وهي بوذا ان التوبة مقصودة كانت أو غير مقصودة لا تستطيع أن تمنع صدور المعلول عن العلة ولا العمل عن نتاجه) (٤) .

وبالتالي فان هذا القانون ينسجم مع موقف بوذا الالهادي ، فمن آرائه ما جاء في قوله (ان ناموس الطبيعة ليس بخاضع لذات قدسي يتصرف فيه كيف يشاء ، بل ذلك الناموس بذاته نافذ بنفسه لا يتأثر بموشش بشري أو إلهي أبدًا) (٥) .

١ - معالم تاريخ الانسانية ٤٨٥/٢

وكذلك : الفلسفات الهندية ص ٢٢٣

٢ - ابراهيم : ٤٨ - الرحمن : ٢٦-٢٧

٤ - حضارات الهند ص ٣٥٦

٥ - اديان الهندى الكبرى : ص ١٥٧

ولا يخفى ما لهذا المفهوم من اثر سيى على الناس ، فمعنى عدم قبول التوبة من العاصي يحط به ما لا يطيق . وربما شعر البوذيون بهذه المساوى فاضطروا الى اضافة قانون اخر فاخترعوا مبدأ " الاعتراف امام الكاهن " ^(١) للتوبة والمغفرة ، وهذا ما قدمته البوذية بدورها الى من جاء بعدها .

ثالثا : التناسخ :

من جملة العقائد التي قبلها البوذيون عقيدة تناسخ الارواح ، وهذا المبدأ سبق الكلام عنه في اثنا عرض العقائد الهندوسية ، ويرى العلماء ان اصحاب بوذا قد تأثروا الى حد بعيد بكتب الاوانيشاد الهندوسية (٢) . التي نادت به . الا ان مفهوم التناسخ هنا يرتبط ارتباطا وثيقا بالمبدأ العام الذى وضعه بوذا وهو عدم الاقرار بوجود الاله وفي هذه النقطة يختلف البوذيون مع الهندوس .

فالبوذية توسعت فيه واخذت مدى ارحب عما عليه الهندوسية التي ارادت من وراءه ارغام الطبقات الدنيا على الرضوخ لها وذلك عبر اجتياز العديد من التقصات قبل التوصل الى طبقة الكهان ، كما ارادت من اقرار مبدأ الروح الكلية (آتان) والانداماج فيه حصر هذا الاتحاد بطبقة البراهمة فقط .

ولقد كشفت البوذية التناقض الحاصل بين مبدأ التناسخ ومبدأ الروح الكلية (آتان) عند الهندوس ، وبينت ان التوافق بين هذين المبدأين عقيم (فالاتحاد بالروح الخالدة هو على صعيد نظرى مباشر ومجرد من كل سببية ، فيما التناسخ على العكس يخضع لسلسلة قاسية من الأسباب والنتائج ^(٣)) .

ومن هنا استطاعت البوذية توجيه السطعن بمبدأ وحدة الوجود لدى الهندوس الذى يتعارض مع مبدأ التناسخ لعدم قدرة أصحابه على تفسير تعدد الوجودات ..

ويقع البوذيون في التناقض حينما ينكرون وجود النفس ، ومنعاً لهذا الحرج فقد قالوا بانتقال الرغبة من جسم الى آخر .

١ - راجع في هذا الصدد : انجيل بوذا ص ١١٤-١١٥

٢ - راجع : فلسفات الهند ص ٣٦

٣ - البوذية ص ٢٢

والبوذية في هذه المسألة تريد الفرار من الاعتراف بوجود النفس تشبهاً مع اللاحاد الذي اكتنف تعاليم بوذا ، فكما انه (اقترح لاهوتا بغير اله فكذلك يقدم لنا طمس نفس بغير نفس فهو يرفض الروحانية في شتى صورها حتى في حالة الانسان) (١) .

وطى الرغم من القول بانتقال الرغبة من جسم الى آخر فان الاعتراض يبقى قائماً فالتحليل العلمي يقول ان هذه الرغبة اما ان تكون خاصة بالجسم او شي* غير الجسم (فان كانت شيئاً غير الجسم ، فهي النفس ، سواء* أسسوها رغبة أم نفساً . وذلك يعود على أصلهم بالنقض ، وهو* دى كلامهم الى نقض ما يدعون ، ويهدمون بيد ما يبنون به باليد الاخرى .

وان كانت الرغبة خاصة من خواص الجسم ، ولزمة من لوازمه فكيف تنتقل الى جسم آخر وهي خاصة من خواص غيره ؟ ذلك يقتضي أن ينتقل الجسم مع رغبته الخاصة به لانه من غير المعقول ان يوجد اللازم من غير طموزمه والخاصة من غير المختص بها . لهذا كله نقول : ان انكار بعضهم للنفس يتناقض مع اعتقادهم التناسخ الثابت نسبتهم اليهم والتوفيق بينهم يوم* دى الى أمور لا يقبلها العقل . أو يوم* دى الى هدم أحد الامرين - : اعتقاد التناسخ أو انكار النفس . (٢)

(٣)
والجد يسر بالذكر ان بعض العلما* قد أنكروا ان يكون بوذا قد اعترف بسبدأ التناسخ . الا أن مرد ذلك يعود الى الالتباس والغموض اللذين سادا تعاليم بوذا ، ويحلل د . الندوى ذلك بقوله :

(والسبب في ذلك ان تعاليمه كانت تتناقضها الالسن اعتقادا على الذاكرة قرابة اربعة قرون . وفي خلال هذه المدة الطويلة اضيفت الى عقيدته وتعاليمه اضافات كثيرة ونسبت اليه أمور عدة (كما) نسبت اليه عشرات من الكتب ، وقد ثبت فعلاً ثبوتها طمياً وجود الخلط والتحريف في كثير ما يروى عنه وينسب اليه) (٤) .

هذا ولا جدال بين العلما* أن البوذية العالية تدّين بهذا الطهسب الذي يعتبر أحد د طام عقيدتها .

١ - قصة الحضارة ١/٣ : ٨٢

٢ - الديانات القديمة ص ٧٠-٧١

٣ - الهند القديمة ، حضاراتها ودياناتها ص ١٤٨-١٤٩

٤ - المرجع السابق .

رابعاً: النيرفانا :

يدعي البوذيون ان " بوذا " استطاع التوصل الى معرفة اسرار الحياة عن طريق " النيرفانا " التي تعني في عرفهم : الغيبة ، أو الانطفاء . وقد شبهت هذه الحالة بالشعلة التي تنطفئ عند انتهاء مادة الاحتراق (هكذا ينطفئ الفرد الذي يتوقف عن اذكا نيران عواطفه فلا تعود حياته تولد مرة ثانية تماماً كالصباح الذي اذا ما انطفأ مرة لا يقوى بعدها على اذكا شعلت نفسه (١) .

الا ان البعض يفسر حالة بوذا في النيرفانا قائلًا (هي صفو الروح وسكينته ذلك ان النيرفانا ليست معناها الفناء كما يعتقد الكثيرون من الناس خطأ وانما معناها فناء الاغراض الشخصية الباطلة التي تجعل الحياة بحكم الضرورة دنيشة او ذليلة او مروعة) (٢) .

وكأن صاحب هذا القول يريد الرد على من احتار في امر النيرفانا خاصة فيما يتعلق بصير الانسان بعد هذه العطية . (٣)

وانا كان بوذا يريد من وراء فكرته هذه الايحاء لا تباعه ان من اتبع هذا الطريق فانما يكون بذلك قد توصل الى الخلاص او النجاة فاننا نستطيع القول بان فكرة الخلاص او النجاة في الفلسفة الهندية واحدة لدى معظم نحل الهند وان صر عنها بأساليب متعددة .

والتأمل في حقيقة مبدأ النيرفانا يكشف ان بوذا اراد من هذه الفكرة بالذات الخلاص من تكرار الولادات التي تمخضت عن طريق مبدأ التناسخ . وعلى الرغم من تحرر بوذا من بعض قيود المفاهيم البرهمية بشكل عام الا انه لم يستطع مطلقاً التغلب من هذا المبدأ وهذا يفسر لنا مدى سطوة التعاليم البرهمية على البوذية .

وفي ميزان بوذا فان النيرفانا تعتبر خشبة خلاص له ولهذا نراه يفسر اتباعه بضرورة اللجوء اليها رغم الاعتراضات وكثرة الاسئلة التي انبالت عليه لمعرفة كنه حقيقة النيرفانا التي ظلت غامضة بالنسبة للكثير من تلاميذه وهذه حادثة تدل على ذلك : (سأل مالتوكيا بوتا معلمه عن النيرفانا وما اذا كان من بلغ الكمال يستطيع

١ - البوذية : ص ٢٠ وقارن مع البيانات والمعاني ١٢٨/١

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٤٨٢/٢

٣ - راجع تاريخ العالم ٢: ٥٣٢ وما اثاره من شكوك حول هذا الموضوع .

الاستمرار في حياته بالنيرفانا ؟ أم يبتلعها العدم ؟ . فما كان من بوذا إلا أن ضرب مثلاً لرجل (أصابه سهم سموم . هل ينتظر كي يتداوى ليعرف ما إذا كان الذي أصابه راهباً براهمانيام أم نبيلًا شريفًا أو فلاحًا أم خادماً من الشعب ؟ ما يكون نتيجة هذا الانتظار ؟ موت الجريح طبعاً . . . هكذا حال الذي يريد الشفاء من حالات التناسخ (١) .

ورغم ذلك فإن هذه العقيدة لم تختبر في عقول البوذيين ، تبمساً للغموض الذي يكتنفها . لهذا نجد تطوراً هاماً بطراً على هذه العقيدة بعد موت بوذا إذ سرعان ما تأثرت البوذية بعدء بالآراء الهندوسية والجينية ، فاخذت الرموز والاصطلاحات الغربية تحتل قسماً وافراً من تفسير قانون النيرفانا فعبء عنس تارة (بانه) تحرير الفرد من عودته الى الحياة (أو) انعدام شعور الفرد بفرديته . او (اتحاد الفرد بالله) او هي (فردوس حسن السعادة بعد الموت) . (٢)

ومن التحليلات التي وجدت بعد بوذا ولم تكن من قبل ما تدعيه البوذية من ان بوذا قال (ايها المريدون (النيرفانا) هي طور لا ارض فيه ولا ما* ، لا نور ولا هوا* ، لافيه مكان غير متناه ، ولا عقل غير متناه ، ليس فيه خلا* مطلق ، ولا ارتفاع الادراك واللاادراك ، ليس هو هذا العالم ولا ذاك العالم ، لا فيه شمس ولا قمر (٣) ووفقاً لهذا الاطار فقد وضع البوذيون مقومات للوصول الى النيرفانا منها :

- | | |
|-----------------------|----------------------|
| ١ - السيطرة على النفس | ٢ - البحث عن الحقيقة |
| ٣ - النشاط | ٤ - الهدوء |
| ٥ - الفهظة | ٦ - التركيز |

وهناك ما يفسى بالحقائق النبيلة الاربع التي تضع القدم على طريق

النيرفانا (٤) .

-
- ١ - البوذية : ص ٤٢
 - ٢ - راجع هذه الاصطلاحات في : قصة الحضارة ٣ / ٠ : ٨٤
 - ٣ - ثقافة الهند عدد ٤ ص ١٣٣ سنة ١٩٥٣
 - ٤ - الحقائق النبيلة الاربع جميعها ذات صبغة تشاؤمية ، راجع : انجيل بوذا ص ٤٨-٤٩

ويضاف الى ذلك بعض الامور التي تشدد البوذية على اتباعها للوصول الى النيرفانا منها ما يتعلق بالغناء التفكير الكلي مما يحيط بالفرد والانقطاع التام عن حراك والتدرج الطويل في هذا السبيل مرغوب بل مطلوب وقد يمتد الى حيوات بعيدة .

ويعلق احد الشراح على هذه النقطة قائلاً (هذه السكينة طالما انها سكينة العالم الطبيعية ، تسمى الغبطة ، وسكينة التعدد هي ايضا الغبطة وذلك بسبب توقف الكلام وتوقف الفكر) (١) .

واذا هذا الموقف السلبي لم يخف البعض تهكمه على بوذا الداعي الى ايقاف الفكر حيث يقول (اذا كان شرطه (اي بوذا) الوحيد هو خنق كل تفكير وكل احساس فمن الطغاثي ان يبلغها جميع الصم والعميان والاعميا) .

ومن جملة النقد الموجه الى مبدأ النيرفانا ما افاد به الاستاذ المعطار من ان (النيرفانا في البوذية ليس طالما ديا ولكن ميتافيزيقي انه وراء الحس . ان انتهت البوذية الى اثبات ما انكره بوذا وهو المجهول ، فبماذا كانت النيرفانا حالة شعورية تقوم على الوهم فآين موقع النيرفانا في الوجود ؟ انه الموجود نفى فيه الموجودات عند ما يتحقق له الصفاء والخلوص من الألم والمعذاب ، ولكن أين يقع هذا الوجود ؟ ان النيرفانا حالة وهم تنتهي اليها الأرواح بعد التطهر من العناء الذي فرضه عليها الوجود في حالة الحياة وعندئذ تتساوى أرواح الناس بالالهة وتعود للمجهول الذي أنكره بوذا) (٢) .

وهكذا يكون التناقض قد أحاط بهذا المفهوم فضلا عن أن النيرفانا في حقيقتها لا تستند الى أساس علمي صحيح بل الى تجربة شخصية فردية طانت من الضياع والتمزق العرقي فلم تجد أمامها سوى اللجوء الى التخيلات والأوهام تمنى النفس بها طمأنينة في الواقع المرير الذي تعيشه وتبعث فيها الألم بالخلاص من رقة القيود المفروضة عليها من قبل الطغثيان البرهمن .

ولا نجد في الاسلام ما يدعو الى هذا التششت الذهني أو الإغراق في الخيال والوهم وذلك للضوابط التي يضعها الاسلام في عطية تربية العقل البشري وتوجيهه الوجهة السليمة . فالقضايا الغيبية يوليها الاسلام أهمية بالغة ، ولكنه لا يترك فيها العقل البشري يتخبط في تفسيرها وفق الخيال والوهم بل وفق السمعية التي جاءت في الكتاب العزيز والسنة المطهرة بما يتناسب والفكر البشري أما المشاكل الفردية والاجتماعية التي تأخذ حيزا مهما من حياة الفرد فان الاسلام قد بسط الاحكام الشرعية المستنبطة من الادلة التفصيلية المستندة الى الكتاب والسنة أو تلك الاحكام التي توصل اليها العلم وفق عطية الاجتهاد المبنية على الدقة والدراسة المستفيضة . وذلك لتذليل الصعاب أمام الناس .

وبالنتيجة فان الاسلام لا يترك مجالا لاغراق الفكر في قضايا لا طائل تحتها ووفق هذا المفهوم فان تصور الاسلام للسعادة البشرية ينطلق من مبدأ الجزاء والعقاب فالسعادة المنشودة تكمن فيما وعد الله تبارك وتعالى عباده المتقين ذلك بالظفر بجنت النعيم . ولن يكون ذلك الا بالعمل الصالح واتباع اوامر الله تعالى والانتهاز مما نهى عنه .

١ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٤٣٧

٢ - البوذية ص ٤٣

٣ - الديانات والمعتقدات ١٢٩/١

وقارن مع : الفلسفات الهندية ص ٢٧٤

خامساً : مبدأ التفسير الدائم :

تؤمن البوذية ايضاً كبيراً بهذا المبدأ ، وهو يشمل حياة الفرد وكذلك العالم بأسره . . . وهو يشبه الى حد ما النظرية النسبية التي يعتنقها الجينيون ، وقد رأينا سابقاً كيف ان هذه النظرية اتخذت قاعدة لكثير من الاحكام التي بنت عليها الجينية اراءها الفكرية . كقانون أهسا مثلاً .

وسريان هذا التغير في حياة الفرد يوضحه بوذا لاحد البراهمة حينما قال (ان ذاتك المتحدة بك هي عرضة للتغير ، لقد كنت منذ زمن طفلاً ثم تد رجعت الى سن الحداثة ، فالشباب ، فالرجولة ، فهل من فرق بين هذه الاديان ؟ وهل بينها مطابقة ؟ اليس مثلها مثل النور الاول والثاني والثالث ، يتناقص الزيت كلما اندلعت السن اللهب ؟ فهل هذه واحدة في الاسر وط قبله اليوم ؟ (١) وهكذا فالحياة في نظر البوذيين ليست مستقرة ، كما يفسر ذلك ايضاً الرامهوري موضحاً راي البوذية حيث يقول (ليس في حياتنا الشاعرة شيء قائم مستقر يعبر عنه بالذات او النفس او الروح سوى تطورات متعاقبة متوالية وتقلبات متتالية مستمرة من البديهييات ، ان الجسد يبقى طاعة سنة ويزداد عليه ولكن الامر الذي يقال له الذهن والادراك والشعور لا يزال يجري ويضي نهاراً وليلاً ، يفتنى شيء وينبعث موضعه اخر . . . فالحياة الشخصية حياة دون حي وشخصية من دون شخص ونفسية من دون نفس ، وروحية من دون روح وفكر ولا مفكر وشعور ولا شاعر . (٢)

فالوجود الشخصي في عرف البوذيين يمثل دائماً بالعربة (التي تجرها الخيل ، هذه العربة - في حقيقة امرها - ليست الا مجموعة من الاخشاب ، والسامير وبعض المعادن ركبت بطريقة معينة ثم اعطيت هذا الاسم : " العربة " - دون ان يعني ذلك وجود جوهر متميز مستقل لهذا المفهوم من هذا اللفظ (٣) .

وكذلك الشخص مثله كمثل العربة فما هي الا اجزاء فلما اجتمعت يقال لها " العربة " . (٤)

١ - انجيل بوذا ص ١٧٦

٢ - ثقافة الهند العدد ٤ ص ١٣١ سنة ١٩٥٣

٣ - الاسلام بين الاديان ص ٢٥٦

٤ - ثقافة الهند عدد ٤ ص ١٣١ سنة ١٩٥٣

ومنا* على ذلك فالمصطلحات : ("شخص" او "فرد" ، شخصية ، نفس ، هوية ذاتية ، وما الى ذلك ليست الا اسما* منوحة لما هو في حقيقة امره سلسلة معقدة من الحوادث والخطرات نجست عن تداخل وتشابك عدد لا يحصى من العوامل ، ان تتابع مراحل الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة يجعل من المستحيل اعتبار الشخصية ذات كيان مستقل متميز وثابت ولهذا ترى البوذية انه ليس هناك مبرر للاعتقاد بثبات الهوية او الذاتية من الطفولة الى الرجولة (١) .

هذه الفلسفة التي تنادي بها البوذية تريد ان تصل الى نتيجة مؤداها ان هذه الحياة ليس فيها سوى البؤس والشقاء ، ومادامت الحياة فسي تغير مستمر فالأجدر تركها والابتعاد عنها ، وهذا الطرح يرتبط ارتباطا وثيقا بما قرره البوذية من احكام تتعلق بالاسباب المؤدية الى الحزن والبؤس .

فقد نصت الروابط الاثنا عشرة على انه :

(بسبب الكيان الذاتي يكون الوجود الدنيوي . . . بسبب الوجود الدنيوي يكون الموت والفناء ، وهكذا تقوم سلسلة الغم والحزن واليأس . . .) (٢) .

وكما حدد بوذا نظريته نحو الكيان الفردي ، فانه حدد ايضا فكره

بالنسبة لهذا العالم ، حيث يقول عنه :

(كل ما في العالم باطل ، وكل شيء زائل ، وافراح الحياة في حلم طير ، الناس في العالم اشباح ، ورجاؤهم سراب) (٣) .

وعلى هذا الاساس فان هذا العالم (ليس فيه شيء ثابت مستقر ، وما الكائنات الا تكونات وتصرفات يأتي حال ويذهب حال ، يوجد طور وينقضي طور في كل آن يتكون جديد ويغنى قديم ، لا قرار لهذا ولا لذاك) (٤) .

١ - الاسلام بين الاديان ص ٢٥٦

٢ - حكمة الاديان الحية : ص ٢١

٣ - انجيل بوذا ص ١٣٦

٤ - فلسفة الهند القديمة ، مقالة لمحمد عبد السلام الراهوري ، ثقافة الهند ،

العدد ٤ ، ص ١٢٦ ، سنة ١٩٥٣

واستنادا الى ما تقدم فان هذا العالم (يحمل ثلاث خصائص بارزة

وسمات واضحة : ١ - انه تعس حزين ، مليئ * بالام والاحزان ٢ - انه عابر متنقل ،
خادع لا يدوم ٣ ، انه خال من اية روح او اى معنى .

اننا نولد في احزان ونموت في احزان وتتناوشنا الا حزان فيما بين ذلك ،

وبعد و ان السبب الرئيس لهذه الاحزان يكمن فيما تشير اليه الخصيصة الثانية للعالم
وهي انه عابر متنقل لا قرار له فلا شئ * يبقى على حاله ، واذن فليس الكون (العالم)
الا نوعا من الفيض المستمر (FLUX) للحوادث المتتابعة كشريط سينما فسي
لا يكف عن الدوران ونحن لا نستطيع التصرف الا في ضوء الاعتقاد (الكاذب) في
الدوام والثبات والاستقرار ولذا نجد انفسنا متسكين بالاشياء التي نصادفها محاولين
ادامة الاحتفاظ بها مع انها بطبيعتها عابرة زائلة وهكذا نصدم في احلامنا وامانيها
حتى ابان تملكنا لهذه الاشياء يعزونا الخوف من فقدانها ثم يضطربنا الواقع المر السى
فقدنا فعلا فننتالم ونحزن واذن لا مناص من الالم والحزن ، اننا لا نستطيع ان نضمن
لمتعنا الخلود ولذا كنا - ولن نزال تعساء * (١)

ان هذه النظرة القاتمة التي تصورها لنا البوذية عن الكيان الفردى

والعالم انما تريد من وراءه ادخال عنصر الشك الى هاتين القضيتين . وعدم التسليم
لحقيقتهم ونفي امكانية التعرف على جوهرها ، فاذا تم لها ذلك بالفعل وامكن
صرف النظر عنها تماما اصبح من السهل في نظرها الالتفات نحو ما هو اجدر
واسلم ، الا وهو * النيرفانا * ان ان الشئ * الوحيد الذى قد تسلم البوذية بسلامته
من التغير والصيرورة هو * النيرفانا * (٢)

وطيه فان الهدف واضح ، وهو يشابه الى حد بعيد ما سعت اليه

النظرية النسبية في الجينية ، التي ارادت من وراء * قانونها صرف النظر عن هذا العالم
تسهيذا للوصول الى طريق الخلاص المزعوم . وهكذا تتشابه النظريتان من حيث
الضمون والمفهوم . وصحيح ان هذه الفلسفة استطاعت ان تصف بعض جوانب التغير الظاهر
في هذه الحياة الا ان حكمها لم يصب كبد الحقيقة فالتغير المشاهد لا يتم وفق خيط عشوائي
بل بمقتضى ارادة ربانية خالقة مدبرة حكيمة (اَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَا بِقَدَرٍ وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً
كَلِمَةً بِالْبَصَرِ ..) القمر : ٤٩ (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) الفرقان : ٢
(مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى . (٣) فكل يجرى لما خلق
له ولغااية يعلمها الله تعالى ويبين على ذلك حكم شرعى يتعلق بالايمان بعالم الغيب
والبعث والحساب . وكل ذلك وفق ظم الله تعالى وتقديره . اما دعوى التغير في المفهوم
الوضعي فالمراد منه التشكيك بكل ما يتصل بالدين من مفاهيم وقيم وعقائد .

١ - الاسلام بين الاديان ٢٥٤

٢ - المرجع السابق ٢٥٦

٣ - الاحقاف : ٣

سادسا : اليوغا

رأينا من خلال دراستنا للهندوسية والجنينية ان مبدأ اليوغا يعتبر دأمة
أكيدة لعقائد هـا وطيه فان هذا المبدأ يضاف الى سلسلة الاراء المستعارة التي
استقتها البوذية من غيرها .

وقد لوحظ في السابق مدى القسوة والعنف المصاحبين لتلك الممارسة والتي
في الغالب كانت تؤدى الى ازهاق الروح للخلاص من هذه الحياة .
واعتراف البوذية بهذا المبدأ ليس امرا شاذا ان يعتبر من الامور الشائعة
لدى قطاعات كبيرة من الطوائف الهندية .

الا ان البوذية تضيف بعدا آخر الى هذا المفهوم ان (تروى التقاليد
المسطقة . . . كيف مربوذا نفسه بالدرجات التأطية الاربع قبل توصله الى الاشراق . .
وهذه الدرجات الاربع التي توازى الحقائق المقدسة (عندهم) تثبت تصاعدية اليوغا
البوذية فمع الدرجة الاولى تتم السيطرة على مراقبة الحواس ، ومع الثانية تطويع المخيلة
ومع الثالثة محو الاحاسيس ومع الرابعة والاخيرة قطف ثمرة التحقيق الروحي الناجز) (١)

وهكذا نرى ان اليوغا تعتبر مادة خصبة للرهبنة البوذية فهي عنصر مهم في
تحقيق اهداف الرهبان وتطلعاتهم .

وطى الرغم من اخفاق الهندوسية والجنينية في هذا المضمار ، فقد كان الاجدر
بالبوذية الا تهبط الى هذا الدرك وهي التي تدعى محافظتها على الفلسفة والحكمة .
فأي حكمة في ضياع الوقت دون طائل ؟ واي فلسفة تدعو الى توقف العقل عن
العمل ؟ والخلود الى السكون والصمت دون حراك ؟ .

ولن نجد في الاسلام ذلك الخيال الفارغ لان المسلم يحرض على وقته وجسده
وعقله وقد جاءت مقاصد الشريعة الاسلامية للمحافظة على ما يهم الانسان في هذه الحياة
وما يعقبها فهي تحافظ على الدين ، والعرض ، والمال ، والنفس ، والعقل . وطيه
فان الاحكام الشرعية تدور حول هذه الامور وتضع لها السداد الكفيلة بحماية الانسان
ما يهدده من اخطار . وبذلك تنتفي السلبية المفرطة التي تنادى بها الرهبنة
عبر اليوغا وبدلا عنها نرى الاسلام يدعو الى العمل والنشاط والى ما فيه خير وصلاح
البشرية . . . (. . . وَقُلْ اَعْطُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ عَطَاكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمَسْئُومُونَ . .) (٢) ومن
العمل استعمار الارض (هُوَ اَنْشَاكُمْ مِنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيْهَا . .) (٣) فعطارة الارض تتناقض
مع مبدأ اليوغا الداعي الى الكسل والدعة .

١ - البوذية - : ٤٤-٤٥

٢ - التوبة : ١٠٥

٣ - هود : ٦١

الفصل الثاني :

أثر التطور في الفكر الديني ونشأة الفرق البوذية :

حينما استطاع بوذا نشر دعوته الجديدة ومبادئه التي رآها قيمته باصلاح مجتمعه ، كان قوام هذه الدعوة يستند الى مجموعة من الرهبان الذين اعجبوا بشخصية معلمهم ، وعن طريقهم استطاع بوذا ادخال مجموعات اخرى في دعوته .

وبذهب البعض الى ان بوذا لم يكن مهتما باقامة كهنوت من رجال الدين ، ولم يكن يدعو الى انشاء الاديرة والمعابد ، بل كان جل همه اكتساب الاتباع من الرهبان الجدد لضمهم الى عشيرته ، وقد سميت البوذية في هذه الفترة " بالبوذية البدائية " والتي يصفها "لژ" بقوله (هذه البوذية البدائية تختلف من اوجه اخرى معينة عن اى دين من الاديان التي بحثناها حتى الان ، فهي قبل كل شيء "ديانة خلق وسلوك لا ديانة طقوس وقرايين ، ولم تكن لها معايير ولم يكن لها قرايين لم يكن لها هيئة مقدسة من الكهان وكذلك لم يقم لاهوت ، وقد وقفت موقفا محايدا من الهة الهند التي كان يعبد ها الناس في ذلك الزمان فلا هي اكدتها ولا هي اعترفت بها ولا هي انكرتها بل غضت الطرف عنها جميعا) (١) .

واذا هذا الوضع فقد استطاعت البوذية البدائية التأثير على بعض العلماء الذين اخذوا يبحثون عن الجوانب الخلقية التي احتوتها تعاليم بوذا فها هو أ. هارتمن يقول (فما هي الهداية الاخلاقية التي تقدمها لنا مثل هذه العقيدة ؟ انها تستطيع ان تاخذنا بان نعيش حياة الرهبان اغرابا لا نعتزل الناس تلك العزلة الطالوفة بل نعيش معها في جماعات فسطرية نتبادل التشجيع والتعاون ، عيشة تأمل هادى ونبتد للرغبة . (٢) .

هكذا كان ينظر الى البوذية الاولى ، ولا شك ان هذه المبادئ كانت جديدة على الفكر الهندى الذى ذاق الامرين من الكابوس الهندوسى ، ولهذا كان التعاطف مع الفكر الجديد الذى نسي على نهج مؤقت . لم يدوم طويلا .

اذ ان الاقدار لم تدع الحلم البوذى يطول ، فلم تستطع الرهبنة البوذية مواكبة التطور الذى طرأ على المجتمع الهندى بعد موت بوذا ، خاصة اذا لاحظنا بدقة الالتفاف الهندوسى على البوذية ومحاصرته لها بمعقده المتنوعة

١ - : معالم تاريخ الانسانية : ٤٨٦/٢

٢ - تاريخ العالم : ٥٣٢/٢

إضافة الى عنصر اساسي ركز عليه بعض العلماء الذين اشاروا الى ان تعاليم بودا لم تكن تروق الشخص العادي (١) لاقتضاها على طبقة الرهبان فقط .

لذلك نجد هذه التعاليم تتعرض للتغييرات والتطورات العديدة والتي شملت العقائد والعبادى والطقوس والتقاليد الى غير ذلك .

ففي الجانب العقدي :

تم ادخال عبادة الالهة الى العقائد البوذية بعد ان كانت تنادى بتجنب الخوض في هذه المسائل ، واصبح بودا " المصلح " يمثل احدى هذه الالهة فبعد موته " استبدل التمجيل البسيط لذكرى المعلم بتاليه بودا وصار خلاص الانسان يتوقف على فضل الالهة الذي يمكن السعي اليه عن طريق ترديد السوترا والاسفار المقدسة . (٢)

فما ورد على لسان مثل بوذية " الماهايانا " ساتفيدقا (القرن السابع الميلادى) قوله (انني شبع بالفكرة التي تدعوني الى بذل جهدى وانا اولد ولادات متكررة لا احصل لها لاكتساب الفضائل التي ستتيح لي بعون الالهة بودا والصلاة ان اصبح بلسما لالام جميع الكائنات) . (٣)

ولم يقتصر على هذا الامر بل (قام مجمع للارباب ذ وتسلسل وطبقات فما طاد بودا الا في المرتبة الثانية ، وتتلخص بوذية المركبة الكبرى في الفقرة التالية : (ثمة بودا اولى موجود غير مخلوق ، عنه صدر العالم وكان من تفكره نشوء خمس شخصيات التفكير البوذى " صدر عنها بدورها " خمس شخصيات التفكير البوذى الحقيقي " بعدها صدر على الارض " الخمس شخصيات البوذية البشرية " منبثقة عن شخصيات التفكير البوذى ، ورابع تلك الشخصيات " ساكياموني " يليه طاتيريا خامس واخر بودا في هذه الحلقة من التطور) . (٤)

١ - انظر : شجرة الحضارة ١٨٦/٣ - ١٩٠

٢ - الموسوعة الفلسفية ، ص ٩١-٩٢

٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٩

٤ - البوذية ص ٦٦ وقارن مع : الفلسفة في الشرق ص ١٣١ .

وبفصل لبون هذه السألة حيث يقول : (ان بودهة (بودا) شاكيه موني وحده لم يكن رسول الحق في العالم ، فسيظهر بودهة ثان وثالث حاملين انوارا جديدة وقوى جديدة مرشدين الى اقصر طريق لبلوغ الكمال ، بيد انه لا بد من مرور احقاب لا تحصى بين ظهور بودهة ودهة لما يتطلبه تكوين بودهة من زمن طويل (١) .

وهكذا نرى انتقال الفكر الجيني الى البوذية ، فالجينية لديها هذه النظرية ، وقد استقت البوذية منها هذا الهدأ .

ومن الامور التي لحقها التطور في الفكر البوذي ايضا ، قضية النيرفانا التي كانت تشكل العمود الفقري للبوذية الاولى ، ومع ذلك فان هذا الهدأ لم ينج من براثن هذا التطور . الذي ادى الى بروز منحنى جديد .

فلم يعد الهدف الرسمي (للنيرفانا) الفرار من الدورة الجحيمية للولادات المتتالية وهو طموح انانسي بل صار العمل على مساعدة الاخرين للوصول الى هذا الخلاص ، والمثال الاعلى لسلم يعد المعتكف التقي . . . بل صار البوذي العالم وهو يوشك الدخول في النيرفانا على رفض هذا الدخول ريثما يخلص من تخلفوا وما زالوا يتخبطون في شرك الاضاليل والاهام . (٢) .

وقد اصبح الهدأ العام لهذا التطور ينادى :

(انه اذا كان للمرء ان يقتدى ببودا نفسه فان طيه ان يسعى الى تحقيق خلاص الاخرين لا الى خلاصه هو (وهكذا) حلت صورة " البوذيساتفا " - اي الشخص الذي يبلغ حالة التنور - محل فكرة النيرفانا (٣) .

اولا : التطور في الجانب المعنوي والفكري في الرهبنة .

أما من هذه الناحية فان نصوص الكتب الدينية في البوذية لم تعد تخاطب الرهبان لوحدهم ، تماط كما فعلت من قبلها الجينية بل تعدت الى عامة الناس وبذلك تكون البوذية الجديدة اكثر انفتاحا لتقبل التقاليد والنظم الاخرى من غيرها . ففي مجال السعادات هناك الصلاة وادعيتها عندهم ، وقد اصبح بودا محور صلاتهم ومن ذلك قولهم (انا التجي* الى "بودا" ، انا التجي* الى "الذارط" انا التجي* الى "السانغا" تكرر ميكانيكيا مرات لا تحصى على سبعة

١ - حضارات الهند ص ٣٦٠

٢ - البوذية ص ٦٣ - ٦٤ وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤
ويذهب اورسيل الى ان فكرة الدعوة الى خلاص المخلوقات مردها الى تاثير الفكر الايراني على الفكر البوذي ، راجع الفلسفة في الشرق ص ١٣١

٣ - رسالة اليونيسكو عدد ٢٦١ ص ١٣ سنة ١٩٨٣ القاهرة .

وتحريك الشفتين فقط ، كاف لجعلها فعالة ، ثم جعلت الآلات للصلوات مؤلفة من
اسطوانة مجوفة تدور على محور تجعل فيها الصلاة مكتوبة على د روج كثيرة وتدأر (١) .

وقد لاحظت انطاطا من هذه الآلات الموسيقية اثنا زيارتي للهند
وشاهدت الرهبان البوذيين وهم يضربون عليها بالعصي ، ويرتلون على انغامها
صلاتهم وانشيدهم . وكان ذلك في "سارنات" القريبة من بنارس ، تلك المدينة
التي ولد فيها بوذا .

- ومن التطور الديني في البوذية انشاء "مبدأ غفران الذنوب"
ومن ذلك ما جاء في انجيل بوذا (ولبى الزهاد رغبة الواحد المبارك فكانوا
يجتمعون في "فيهارا" اى الدير يقيمون الصلاة بحضور الشعب الذى كان يأتي
لسماع "دهارم" ولكن الشعب لم يكن يرضى عن سكوت الزهاد ، لانهم ما كانوا
ينطقون ببنت شفة كانهم بكم لا يتكلمون .

واتصل الخبر "بالواحد المبارك" فامر الزهاد ان يقرأوا كلمة
"براتيوشكا" وفيها اطمئنان عبادة . وان يدعو الناس الى الاعتراف بخطاياهم
لينالوا مغفرة . وعلى الذنوب ان يتقدم الى الزاهد الذى يرى فيه صلاحا فيعترف
له بخطاياها فيغفرها له . (٢)

وهنا نرى كيف كانت هذه المقدمة بداية لما يسمى بالكهنوت ، واذا
كانت البوذية في بداية عهدا انكرت على الهندوس هذا التنظيم ودعت الى ازالة
الطبقات ، فان اعترافها بهذا المبدأ يعتبر نكسة خطيرة وتراجعا عن المبادئ
التي وضعها بوذا .

والاعتراف بالذنوب امام الكاهن سوف يكون له شأن خطير في المسيحية
التي اقتبست هذا المبدأ عن البوذيين وسوف نرى الاثار السيئة لهذا المعرف
في الفصول القادمة ان شاء الله .

١ - دائرة معارف البستاني ٦٢١/٥

وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٣

٢ - انجيل بوذا : ١١٤-١١٥

ثانيا : ترتيب الكهنوت :

ان من اهم التطورات العظيمة التي لحقت بالرهبة البوذية ما يسمى بقوانين " الغينايا " والتي تطلق على ترتيب الكهنة وتقسيماتهم ، ولا شك ان هذه القوانين قد ثبتت على ايدى رهبان المعربة الكبرى . وهي من الناحية التنظيمية تعتبر من اوائل التنظيمات في الرهبة على مستوى العالم ، وهي بالتالي تعتبر الام بالنسبة للتنظيمات التي جاءت بعدها ، وستفيد الرهبانية المسيحية كثيرا من هذه التقسيمات وسنرى ذلك اثنا الحديث عن الاديرة والانظمة الرهبانية عند النصارى .

- التنظيم الرهبني البوذي -

هناك اقسام عدة ابتدعت من بينها قسم يدعى " سيلا " وهو خاص

بادب العوام .

وقسم اخر يدعى " السرامانه " اى مهذبو الحواس ، يلزمهم ان يحفظوا ٢٥٠ وصية ، من بين هذه الوصايا (لا تقتل ، لا تسرق ، كن عفيفا ، لا تكذب ، لا تسكر ، لا تأكل بعد الظهر ، لا تغني ولا ترقص ، تجنب ملابس الزينة ، لا تستعمل فراشا كبيرا ، لا تقبل معادن كريهة (١)

ومن الصفات الضرورية للدخول الى سلك الرهبة :

(تقديم الاحترام لبوذا والشرعية والكهنوت والسيرة الجيدة ، والصحة الجيدة والعلم القليل . ومن الاوامر : ان لا يأكل الراهب الا من فضلات اطعمة العوام وان يلبس ردا* من الخرق مطحنا ، وان يسكن بالقرب من اصول الاشجار وان يستعمل بول البقر ردا* وان لا يفخر بقوى فوق القوى البشرية) (٢)

هذه وصايا عامة للراهب من الضروري عند هم التحلي بها ، ثم

نأتي بعدها الى مراحل السيامة وهي التي يتخرج الراهب منها بعد اتمام التعاليم والفرائض المقررة ، فهناك مرحلتان :

السيامة الاولى : وهي للخروج من الحياة الزمنية ، فتكسر عزم الحبس

على التغلي عن عالم العلمانيين والانصراف بعدها الى عقيدة بوذا ، ولا تحقق هذه السيامة الاولى الا لمن اتم السادسة عشرة ، و يكون " للاكيريكي الجديد " (المنتظم) - يرافقه معلمه العرشد - ان يبقى على ثيابه العلمانية ، انما ان يبسط على يديه الطرحات الصفراء التي للرهبان المتسولين ، ويتقدم من جمعية الرهبان فيستمرحهم اذ نهم بقبوله في درجة الابتداء ، واعدا بالتخلي الا عن المراجع الثلاثة قائلا انهم

(في بوذا ، أ جعل ثقتي ، وفي قوانينه ، ومذهبه) (١) .

بعد أن يعدد المفاهيم التي يجب أن يلتزم بها ، (يتشع بالطرحات الصفراء ، وهي ثوبين داخليين وآخر خارجي و ما يغطي الجسد كله الا الكتف اليمنى ، وحاملاً قصعة الرهبان المتسولين ، . (ويكون) للمبتدئ ان يشارك معلمه السيرة . فمن شروق الشمس حتى انتصاف النهار ، يتسول قوته ويقتات ، وبعد الظهر ، يلجأ الى الحدائق او المرايد او الصوامع التي وضعها مسورون طمانيون بتصرف اتباع بوذا ، او الى عك الغابات ، وينصرف الى سماع توجيهات معلمه وممارسة التأمل) (٢) .

(اما السيامة الثانية ، وهي اقتبال سر الكهنوت ، فتأتي بعد مرحلة تتراوح مدتها بين قصيرة أو مديدة ، انما لا تحقق الا لمن أتم العشرين ، عندها يكون للمنتسب الجديد المحتفى به يرافقه كفيلاً واحداً معلمه المرشد ، ان يخضع لامتحان يثبت مؤهلاته لاقتبال سر الكهنوت . كل هذا بعد التحقق من المواصفات التالية : خلوه من مرض معد ، او عاهة ، تمتعه بكامل حريته فسي التصرف (فلا يكون عبداً او مديناً او قاصراً او جندياً) حصوله على اذن من اهله بلوغه العشرين ، حيازة الاثواب الثلاثة وقصعة التسول .) (٣) .

وهكذا نرى كيف تتشابه الفرائض البوذية وتتعدد بعد ان كانت بسيطة ، ساذجة . ولا بد من الاعتراف بان قوانين وتعاليم بوذا البدائية لولم تكن قابلة لهذا التطور وقبول المفاهيم الغريبة لما حدث اى جديد على مفاهيم هذه النحلة . وهكذا دأب الاديان الوضعية .

وهناك داخل التنظيمات طبقات للرهبان :

فمن ذلك ما يسمى (طبقة الارية : وهم معلمو الالهيات ، ومعنى الارية هنا اى المحترمين الذين يعرفون الحقائق الاربعة .

وهناك طبقة الاشار : الذين وصلوا الى النهر الذي يوصلهم الى النيرفانا ، وطبقة اخرى سترجع الى الحياة . وآخرون لا يرجعون .

ومنها طبقة الارشاة : اى العباد ، وهم في عرف البوذيين (اتقياء

معصومون لهم قوة اجتراح المعائب وهرمون النيرفانا) (٤) .

١ - : البوذية ص ٤٨

٢ - المرجع السابق ص ٤٩

٣ - المرجع السابق ص ٤٩

٤ - : دائرة معارف البستاني ٦٦٩ / ٥

وهناك طبقات ارفع من السابقة :

وهي تشمل انواعا من القديسين اسمى من تقدم بحسب المجازات
الثلاثة وهم الذين يعيشون لانهم كانوا تلاميذ لسقياموني (بوزا) .
والبوذات والبراتيكا او المخلصون انفسهم وهم اعلى من الارشاشات
بطييون من المرات يدركون كل الحوادث . . . والبوذ يستغفروهم نوع من البسوذات
(١) .
الاصليين (١) .

ومن الهادي* السلوكية التي استقاها البوذيون من الجينية ما يلي :
- لا يجوز للراهب المتسول ان ياتي بيوت الخلاعة ولا بيوت الاشرفاء
ولا الارامل والكفار .

- يجب قبول الصدقات او الهدايا .
- لا يجوز للمتسول ان يقبل اكثر مما يحتاج اليه للاكل مرة واحدة

- ولا يجوز اكل اللحم ولا البقول ما دامت فيها قوة النمو (٢) .

والجديس بالذکر ان المصادر التي تنسب الى العربة الكبرى تورده
نصوصا عن اباحه بوزا بعد الاستنارة " النيرفانا " لكثير من المأكولات (٣) .

١ - : دائرة معارف البستاني ٦٦٩/٥

٢ - المرجع السابق

٣ - لاحظ ما قدمته " اناندا " الى بوزا وذلك في انجيل بوزا ص ٤٢
وما قدمه احد الشباب له : في ص ٥٢ وما اكله هو في اخر حياته و ذلك في كتاب
حياة بوزا ص ٢٢٨-٢٢٩

ثالثا : دخول النساء سلك الرهبنة :

ركزت البوذية الجديدة على فتوى كان بوذا قد أصدرها بحق ادخال النساء في السلك الرهيني على مضض ، فمن ذلك ما جاء في انجيل بوذا ١ :

(سألت " ياشود هارا " بوذا ثلاث مرات ان يقبلها في سنانغسا

- اى الدير - فلم يجيبها الى رغبته ، وجاءته حاضنته " براجاباتي " مصحوبة

" بياشود هارا " وغيرها من النساء راجيات من " تتغاثا بوذا " ان يعلن امامه

تذورهن فيقبلهن طميدات لـ " بوذا " . ولما رأى المبارك غيرتهن وشوقهن

الى الحقيقة لم يرد ما يمنعه عن قبولهن طميدات (١) .

وهكذا انتهى الامر بقبول النساء في الرهبنة طم بان كتاب " حياة

بوذا " يورد ما يفيد ندم بوذا على هذا الامر ومن ذلك قوله (ولكن جاء يوم قال

المعلم فيه لا تاندا : لو لم تقبل النساء في الرهبنة يا آناندا لبقيت العفة ميانة

ولا استمرت الشريعة الحقيقية عاتشة قوية لا يعكرها معكر لمدة الف سنة اما وقد

دخلتها النساء فالعفة سوف تتعرض للخطر ، والشريعة الحقيقية لن تعيش كامل

قوتها اكثر من خمسمائة سنة . (٢) .

وهكذا نرى أثر الجينية ينتقل الى البوذية في هذه السألة ، والى

جانب ذلك فقد وضعت لهن عدة فرائض من بينها (حلق الرؤوس ، والجلوس

للتسول (لا ديرة) (٣) ومن الشروط كذلك (بعد مضي مئة سنة على ترهبها

(اى الراهبة) ان تقف امام راهب في نفس اليوم الذى يصبح فيه راهبا ، وتقدم

له اعق دلائل الاحترام ، وعلى الراهبات ان يتوجهن الى الرهبان ويعترفن لهن

جهارا بخطاياهن ويتعلمن منهم الكلام المقدس . .

وكل راهبة تقترف ذنبا كبيرا تخضع لعقاب مدته خمسة عشر يوما ، تقوم

بتنفيذ امام الرهبان والراهبات كافة ، وكى تقبل الراهبات في الرهبنة طمهن ان يبرهن

١ - انجيل بوذا ص ١٠٧

٢ - حياة بوذا ص ١٧٤

٣ - دائرة معارف البستاني ٦٦٩ / ٥

لمدة سنتين عن فضيلتهن ورباطة جأشهن ، ويحرم على الراهبات إطلاقاً ان يوجهن
(١) النصح والارشاد للرهبان ، اما الرهبان فيحق لهم ذلك ، (٢) .

بعض المبادئ والطقوس البوذية :

تهتم البوذية الجديدة (بسيامة الرهبان ، وغالباً ما تكون هذه
في ايام الاعياد الكبيرة عندهم ، صحوة باحتفالات كثيرة) (٢)
اما النذور في الرهبنة البوذية فانها لا تلزم صاحبها بها مدة
حياته كلها ، اما طيبوس الكهنة فهو مؤلف من صدرية تحتية وكساء يصل السرى
الركبتين ويشد بمنطقة ورداء* يجعل على الكتف اليسرى ، وجميعها صفراء اللون
تلبس دائماً حتى في الليل ، وبحسب فقد ها كفقد صفة كهنوتية ، والجميع يخلقون
لحاهم في اول القمر وتطامه الا (الرسل) يحافظون على نظافة اظافرهم واسنانهم .
- ومن الامور الضرورية للمستسول :

- قدح كبير ضيق الغم لا عروة له ، يقبل فيه الصدقات .
- منخل او مصفاة لتصفية الماء ، وعصا او شمسية .
- سبعة ذات ١٠٨ حبات ، وموس وابرة . (٣)

وفي بداية البوذية لم يكن هناك اماكن معينة للانعزال عن الناس ، اول للوحدة
أول للمستسول ، والجولان . ثم جعل لها بعد ذلك بقليل اديرة ذات غرف تسع
كل منها راهبا واحدا .

ويلاحظ هنا تشابها كبيرا بين هذه النظم وبين نظم الرهبانية

المسيحية وهي تظهر بجلاء* في نظام الاديرة على وجه الخصوص ، اما بقية الامور
فتظهر في المبادئ التالية :

- القيام بالاحتفالات حول الهياكل والمزارات وذلك بحمل الزخائر والقرايين .
- اعتراف العوام - المعمودية
- لبس الحلل لرجال الكهنوت كحلل اساقفة النصارى
- الهياكل والمذابح
- تماثيل القديسين - الخدمة الدينية بايقاد الشموع - الترتيل وقرع النواقيس

١ - حياة بوذا ص ١٢٣-١٢٤

٢ - البوذية ص ٤٩

٣ - راجع : دائرة معارف البستاني ٦٦٩/٥

وما اضيف الى العبادات البوذية ما سموه بالحج الى الديسار
التي شهدت اهم الاحداث في حياة بوذا :

(١)
مثل : مدينة كيبلافتو وبود هغايا ثم مدينة بنارس ، وكوسينارا
وفي بنارس بالذات توجد اهم المعابد عند البوذيين ، واليها يحج الاف الناس
حسب المواسم عندهم . ففي " سارنات " وهي ضاحية من ضواحيها يقصد البوذيون
من جميع اقطار العالم هذه المنطقة لوجود اكبر صنم لبوذا هناك . وحول جدار
المعبد عُلقت صورته منذ ولادته حتى نهايته .

(٢)
كما اضيفت (عبادة بقايا بوذا كشعره وسننه وما لم يحرق منه)

١ - انظر الفلسفات الهندية ص ٢٩٠

٢ - المرجع السابق ص ٢٩١

رابعاً : المجمع البوذية :

هناك عدة مجامع بوذية عقدتها اتباع بوذا للنظر في التطورات الحاصلة في مسيرة الدعوة البوذية ، وفي نهاية كل مجمع كانت تقرر بعض التوصيات ففي :
المجمع الاول

عقد هذا المجمع (كاسياپا) وهو أهم تلاميذ سقيموني (بوذا) وكان مؤلفاً من ٥٠٠ كاهن في "رجه غريباً" وقد قرر فيه الترتيب المؤسس على اطلالي بوذا ومواعظه (١) .

وقد جاء هذا المجمع لوضع تعاليم المعلم الراحل التي تتعلق بالعقيدة وبالحياة الرهبانية ، ويعتبر هذا المجمع محاولة أولى لوضع القانون في مجموعة شرائعه الذهبية ، وقام "اناندا" المقرب من بوذا بصياغة خطب المعلم "اوبالي" بنص قواعد السلوك الرهباني "كاسياپا" بأعداد موجز واضح لجوانب العقيدة (٢) .

المجمع الثاني :

جاء هذا المجمع بعد وقوع خلل في دير مدينة فيسالي وكان ذلك بعد موت بوذا بنحو ١٠٠ سنة (٣) . وكان الهدف من وراءه ابطال "هرطقة" مذهب شايغي المركبة الكبرى ومنذئذ كان الانشقاق ، اذ ان هؤلاء لم يرضوا بما قرره اولئك المحافظون العتاق (٤) .

المجمع الثالث :

عقد هذا المجمع بامريباداسي في باتاليپوترا ، وقد اجتمع فيه الف من الكهنة حاولوا اصلاح الخلل العظيم الذي احدثه في السياسة قوم من المشاقين الرهبان الكذبة الفاسدين (٥) .

١ - دائرة معارف البستاني ٦٦١/٥

٢ - البوذية ص ٥٨-٦٠

٣ - دائرة معارف البستاني ٦٦١/٥

٤ - البوذية ص ٥٨-٦٠

٥ - دائرة معارف البستاني ٦٦١/٥

كان ذلك عام ٢٤٥ ق م . وعندها وضع النص النهائي للقانون الذي سن الشرائع المذهبية القديمة .

وذلك القانون ينقسم الى ثلاثة مواضيع كبرى :

(اولها : يتعلق بمسألة السلوك ، اى يسرد سير الرهبان ، وهو

بدوره يقسم الى عدة التزامات : الاعتراف العلني بالخطايا

- تسجيل الاعمال اليومية - نقد الخطايا ، التبشير الديني

ثانيها : يتعلق بمواعظ بوذا ويقسم الى خمسة عشر مقطعا موجزا

لحكم بوذا وامثاله .

ثالثها : يتعلق بعرض العقيدة البوذية وهي مجموعة من سبعة

ابواب في الطوائف ، أشهرها وأهمها الباب الثالث

(١) لانه يعدد الاقوال المتناقضة لمختلف نحل المركبة الصغرى .

المجموع الرابع :

وقد صدر عنه قانون كتب باللغة السنسكريتية (وربما كان هذا القانون

هو نفس القانون السابق ولكن ترجم من البالية الى السنسكريتية .

وعقب هذا تم ارسال دعاة الى البلدان الاجنبية لرد نحل

التانج (اى عدة الافاعي) الى البوذية وقبائل اخرى وثنية من كشمير (٢) .

المجموع الخامس :

عقد في مندالاى (بيرمانيا)

(٣) حيث حفرت فيه نصوص التعاليم على ٢٢٩ قطعة رخامية

١ - : البوذية ص ٥٨-١-٦٠

٢ - دائرة معارف بطرس البستاني ٦٦١/٥

٣ - راجع : البوذية ص ١١٣

المجموع السادس :

عقد في رانغون (بirmانيا) وبعد اقيم احتفال سنة ١٩٥٦ بالذكرى
٢٥٠٠ لولادة بوذا . واتفق على العمل على توحيد الكلمة الدينية بين البلدان
البوذية وتنظيم حملة تبشيرية جديدة لعقيدة بوذا في الهند (١)

وهكذا تكون المجامع البوذية قد اسهمت كثيرا في تدعيم
خطط الرهبان ، وعملت على احتواء التناقضات الموجودة داخل هذه النحلة
وان كانت هذه التناقضات لم تسفر عن توحيد تام بين البوذيين وذلك
لوجود الخلافات العميقة بين المذاهب المختلفة والتي تمخض عنها
بـروز : الفرق البوذية

والتي سيكون الحديث عنها ان شاء الله في الصفحات التالية

خامسا : الفرق البوذية

كسنت البوذية في حياة معلمها تعيش تعاليم مبسطة ولكن (ضمن نظام معقد ، ثم اخذت تنمو وتتشعب فصارت لكل قرن بوذية تختلف قليلا عن بوذية سابقة وبوذية لاحقة ، وطفقت تتطرق فيها مسائل من الالهيات مجردة قد نهى عنها مؤسسها وحذر منها مرديه واتباعه وزجرهم عن البحث عنها ، فبحثوا فيها حتى ادرجوها في التعليم نفسه وجعلوها كمبارى للاعتقاد وبدأ التعارض وانهقدت مجالس ونشأت المباحث وفشا الاختلاف واختلقت التعبيرات حتى صارت مذهبها فكريا وميلا عقليا ، وحدثت مدارس فلسفية كل منها يمثل عن البوذية ويدعى انه هو البوذية الخاصة المنقلة عن بانيتها)^(١)

وبالرجوع الى التاريخ البوذي القديم نجد انه ليس من الغريب ان يحدث الانشقاق والنزاع بين البوذيين ، فمن المجمع عليه بين الروايات ان الخلافات كانت تقع في عهد بوذا نفسه وكان يجتمع بالرهبان ويحل هذه النزاعات . واولى هذه النزاعات حدثا ثانيا ترمد بعض الرهبان في مدينة كوشامبي على بوذا نفسه وامر حينها بانزال العقوبة بالراهب المتمرد على اوامره مما اثار حفيظة رفاقه الرهبان الذين وقفوا الى جانبه ضد معلمهم بوذا الا انه استطاع في النهاية السيطرة على هذا التمرد .^(٢)

ويمكن القول ان هذه النزاعات الاولى كانت نتيجة خلافات شخصية ومنافسات محدودة لم تبث ان عولجت في وقتها . الا انه بعد لومي ١٠٠ عام تقريبا على وفاة بوذا لم تستطع البوذية المحافظة على وئامها وتماسكها امام التيارات الهندوسية وغيرها . ولذلك فقد دب النزاع والشقاق بين الاتباع خاصة بعد انعقاد المجمع البوذي الثاني الذي عقد في مدينة فايزالي بعد وفاة بوذا بقرن من الزمان .^(٣)

١ - ثقافة الهند ، مقالة للرامبوري العدد ٤ ص ٩٤ سنة ١٩٥٣ م

٢ - راجع : حياة بوذا ص ١٩٣ وانجيل بوذا ص ١١٦ حول هذا الموضوع ويذهب اورسيل الى ان النزاع جاء "بتأثير الفكر اليوناني والایراني على البوذية"

: الفلسفة في الشرق ص ١٣١

٣ - موسوعة تاريخ العالم : وليم لانجر ١/٩٨

ويعزو بعض العلماء* هذا النزاع الى اثر التطور الحاصل داخل الكيان البوذي وذلك لانتشار البوذية ودخولها اقطارا كثيرة ، فان اتباعها هنا وهناك اكثروا فيها القياس والتأويل حسب عقولهم وثقافتهم حتى بعدت عن اصلها الساذج البسيط ، (١)

كما ان بروز الشاحنات بين اعضاء المذهب الواحد ادى بالتالي الى تأسيس عدة طوائف وفرق (٢) .

وقد عدد العلماء* الفرق البوذية وأصلوها الى خمس فرق ، . الا انها تعتبر فرقا كلامية اكثر من كونها فرقا لها كيانها المستقل عن بعضها ، (٣) اما الفرق التي لها مميزات خاصة ، والتي حافظت على كيانها ومبادئها السلوكية وممارساتها فهي تلك التي انشقت عن النحلة الام مكونة مذها له طقوسه ومعتقداته وكان لها الاثر الكبير على مجريات التطور الفكري البوذي .

وقد احصى العلماء* ثلاث فرق مهمة منها اثنتان رئيسيتان هما :

الاولى : المركبة الصغرى

الثانية : المركبة الكبرى (٤)

الثالثة : المركبة التانثرية .

- فرقة المركبة الصغرى (الهينايانا) :

وفي هذا التشبيه بعض احتقار اسيفه شايعو المركبة الكبرى على الذين يتسكون بحرفية العقيدة البوذية غير محاولين توسيع افاقها الى ديانة منتشرة تعبق بالتقوى والخلقية (٥) .

ويذهب البعض الى (ان المركبة الصغرى تمثل تعاليم بوذا بكاملها وتدعو الى الاهتمام بهدي شاربها وكأنها هي التي دعا اليها بوذا نفسه واتباعها مریدوه واتباعه الملازمون له) (٦) .

وتقتصر هذه الفرقة على الرهبان والراهبات فقط (٧)

١ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ١٧٧

٢ - شجرة الحضارة ص ١٨٦/٣ - ١٨٧

٣ - اديان الهند الكبرى ص ١٧٧

٤ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٣

٥ - البوذية ص ٥٦

٦ - ثقافة الهند العدد ٤ ص ٩٥ سنة ١٩٥٣

٧ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤

وتراث هذه المركبة كتب باللغة البالية ، ويحتوى على الناموس
البوذى الذى يتألف من ثلاث (مجموعات) تسمى " تريبيتاكا " وهي :

اولا : الناموس الراهبى او الديرى / فينايا

ثانيا : الخطب (شسوترا) : وهي مجموعة مواعظ تدعى سوتابيتاكا
ومدونة في القرن الثالث والرابع ق . م - بحسب ما يدعون -

ثالثا - العقيدة المجردة (ابهيدارط)

وهناك كتب اخرى تضم نصوص اجوبة الراهب البوذى ناغسينا عن
اسئلة الأمير اليوناني ميناندر ، يكثر فيها الاساطير والمخلفات الى جانب ذلك
هناك كتب اخرى مثل ياتاكا وهي مخصصة للتبسيط ولا فهم العامة (١)

ثانيا : الماهايانا المركبة الكبرى :

كانت بدايتها في مطلع القرن الميلادى الاول ، ودعت بالمركبة
الكبرى تمييزا عن المركبة الصغرى ذات الوجهة الضيقة والمحصورة لشرح
العقيدة البدائية (٢) .

وقد بشر بهذه الفرقة راهب بوذى اسمه " نجارجانا " (٣) وكانت
تعاليمها مخططة باراء في الكون ، وافكار مجردة عن الحياة والنجاة ، مؤسسة على
نظريات فلسفية وقياسات عقلية ، قد سمحت بها قرائح المتأخرين من الشراح والزعماء
والغالب عليها صبغة الفلسفة (٤) .

ونظرا للتطور المشار اليه فقد طغى التغيير على جميع مناحي الفكر
البوذى (وبه است البوذية ديانة شعبية) وتخلت (عن صبغتها الطحدة . ففي
العقيدة الأولى لم يكن من مجال لخالق العالم ، مزود بارادة مستقلة ويمكنه الحكم
على الاسباب والنتائج كما لم تكن اية نعمة الهية تتدخل في حركة التناسخ المتواترة
اما مع المركبة الكبرى فانفتح المجال لارادة عليا وصار حتميا ان تتأله شخصية بوذا (٥) .

١ - راجع : الفلسفات الهندية ص ٢٦٧

٢ - البوذية ص ٦٠

٣ - شجرة الحضارة ١٨٦/٣ - ١٩٧

٤ - ثقافة الهند عدد ٤ ص ٩٥ سنة ١٩٥٣

٥ - البوذية ص ٦٥ وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤

وبذلك فتحت العربة الكبرى المجال للام التي انتسبت الى سلك

الرهينة فيما بعد وذلك بادخال عقيدة التثليث الى الجاى البوذية (١)
فهذا الواقع الجديد تجسده عقيدة الاجساد الثلاثة للبوذا اى

لمفاهيم الثلاثة ، بشرها ، والسهييا ، وكونيا ، هكذا صار للبوذا جسد

الخلق ، طالما يجول على الارض ويمارس فيها نشاطا بشريا ثم جسد النعمة

لدى دخوله العوالم الغو-ارضية (اى الفوق ارضية) واخيرا جسد الشريعة

لدى تجرده من اى تمثيل ، وتسجد وذايان فى المطلق الذى هو اساس كل شىء (٢)

وهنا يبدو و تأثير الفكر الهندوسى على البوذى الذى قبل

وربما تحت ضغوط كثيرة هذه العقيدة ، وقد رأينا عبادة تعدد الالهة عند

الهندوس وخاصة فكرة التثليث ، (براهما ، سيفا ، وفشنو) فليس من المستغرب

اذا ان تنتقل هذه العقيدة الى البوذيين ، وسنرى كيف انتقل التثليث ايضا

الى الفكر المسيحى فيما بعد .

ولشدة ذوايان البوذية فى الديانة الهندوسية فقد لاحظ لوبون

هذا الاختلاط فى مباني افكار الشهيرة ، فالرموز الموجودة فيه تتشابه الى

حد كبير بين ما هو لدى الهندوسية وما لدى البوذيين فى هذا الجانب (٣)

وقد كان لفلاسفة وطما* المركبة الكبرى اثر كبير فى تطور هذا المذهب

فعلى ايدى هؤلاء* الرهبان تمت كتابة الكثير من الكتب المنسوبة الى البوذية ومن اشهر

هؤلاء* : - امتياها - فايروكانا - اتالوكيتسفارا .

وما لبثت هذه الشخصيات ان تحولت الى الهة فيما بعد (٤) .

كما انتقل هذا التغيير ايضا الى خارج الدائرة الهندية ليشمل بلادا

جديدة استطاعت البوذية نشر دعوتها فيها مثل اندونيسيا وغيرها من بلدان

جنوب شرق اسيا . وقد اكتسبت الماهايانا عبادات جديدة كعبادة الاسلاف ،

ويعتبر معبد بوروبودور فى اندونيسيا من اكبر المعابد البوذية فى الشرق ، وترجع

اهيته بالنسبة للبوذيين الى انه مشاد خصيصا لممارسة : طقوس الرهينة ، بشتى

اشكالها ان تتوفر فى هذا المعبد الضخم الامكن والخلوات والمساطب اللولبية ذات

المراحل المتعددة والتي من شأنها تمكين الرهبان من ممارسة شعائرهم وطقوسهم

المختلفة وعمرأزمنة طويلة (٥)

١ - الديانات والعقائد ١ : ١٤٠ ٢ - البوذية ص ٦٥

٣ - حضارات الهند ص ٣٢٠ وراجع كذلك : دائرة معارف البستاني ٥ / ٦٦٢
وقارن مع : المذاهب الكبرى فى التاريخ ٦٤

٤ - البوذية ص ٦٧

٥ - رسالة اليونيسكو عدد ٢٦١ ص ٨-١٥ سنة ١٩٨٣

المركبة التانترية :

قامت هذه النحلة على يد (بهكشواسنغا في القرن السادس للميلاد .
وهو الذي ابتدع بدعة تسمى بوغانشارا او تنترا ، وهي ضرب من مذهب سيموا
(سيفا) السرى) . (١)

وهي قائمة على مبادئ* السحر الممزوجة بتماليم اليوغا . (٢)
واهم المناطق التي انتشرت فيها هذه النحلة : منغوليا والتبت (٣)
وهذه الفرقة ليست ذات اهمية بالنسبة لما قبلها .
ومن بين الفرق التي استطاعت ان تغير في العقائد البوذية :
- الشاكتية :

وتعني عبادة الالهة الانثوية
وكان بوذا كما مرشديد الحذر من ادخال العنصر النسائي في دعوته
حتى ادخل في مذهبه النساء* على مضض وعلى اساس قاس من الانصياع والاذلال .
ولما جاء* اناندا التلميذ الفضل يسأل معلمه عن سبب هذه القسوة اجابه :
(لانهن يا اناندا لعينات حسودات حقودات وحقاوات) .
ولكن تحت ضغط الايمان الشعبي الجارف من منبع . . غير اري لاقت
نشأة العبادة الانثوية قبولا كبيرا وخاصة في صفوف الرجال
وتبرز (الشاكتية) هذه الجمعية العنصر الاصل والقدرة (بصورة النزوة
الجنسية التي تربط الرجل بالمرأة) . كذلك البوذية التانترية تزود جميع البوذيين
الحقيقيين بنقد انثوى عليهم الالتحام به لبلوغ الوحدة الخالدة) . (٤)

١ - دائرة معارف البستاني ٦٦٢/٥

٢ - البوذية ص ٧٤

٣ - الفلسفات الهندية ص ٢٦٧

٤ - البوذية ص ٧٦-٧٤

الفصل الثالث

النتائج التي وصلت اليها الرهينة البوذية ونقد ها .

حينما قيل " لا يأْس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس " كانت مقولة صادقة تنطبق على الواقع الذي تعيشه البوذية بأفكارها وأطروحاتها العقدية والسلوكية . فهي من هذا الجانب تغلق باب الامل في وجه الانسان وتقطع ينبوع الرجا الذي اجراه الباري عز وجل لعباده .

وهي بهذه السمة انما تعمس عن قنوط وبأس وتشاؤم يدفع صاحبه الى مآهات نفسية لاحد لها ، واذا كانت البوذية التي ارسى دعائمها بوذا تدعي انها تريد وضع الحلول لمتاعب البشرية وكشف الظلم والقهر عن الشعوب والانتصار على الالام والاحزان والموت ، فقد جانب الصواب واخطأت الهدف ، ومرد ذلك يعود الى الاخفاق في ايجاد الدوا الناجع لتلك المشاكل ، نتيجة النظرة الضيقة الى الامور ، والاعتماد على اسس واهية لا تسمن ولا تغني من جوع .

فالبحث عن الحلول الاجتماعية والانسانية والعقدية لا يتأتى عن طريق وضع قيد مكان اخر ، ولا بوضع معضلة مكان اخرى . وصحيح ان البوذية حاولت تفسير بعض الظواهر الاجتماعية التي يعاني من مشاكلها كثير من الناس ، الا انها لم توجد حلولاً جذرية لها ، وجل ما قامت به هو وضع حلول مؤقتة لا مراض مزمنة كالدوا المسكن يخدر صاحبه ولا يبرئه .

وظنت بهذا ان مبادئها وتعاليمها تستطيع ان تمحو القهر والظلم عن المجتمع وترفع الضيم والغبين عن الناس ونسيت في غمرة نشوتها وانتصارها الموقت ان ما حققته لم يكن الا ردة فعل عاطفية لجيل من الرهبان الذين اغتروا بالمعبارات الطنانة التي اطلقها بوذا والتي غلفها باغلفة جذابة وادعى فيها خلاص البشرية . وسرعان ما ظهرت على حقيقتها عند اول حركة دفاعية من قبل الهندوسية التي تمكنت من اخذ زمام المبادرة فيما بعد واحتوت الموقف كله ، فالقت بقفـسـازها في وجه عدوها الجديد الذي سرعان ما ترنح وتهددت قواه ، وولى هارباً بميسدا عن بلده يبحث عن ركن اخر لنشر دعوته . وهكذا عادت تعاليم الهندوسية تملك المخيلة البوذية وتأخذ بالبابها ، وتلاشت سريعاً من الهند بعد قرابة الالف عام . ومن هنا يتضح لنا السمة الهشة التي حطتها البوذية في معركتها الفكرية والنسكية .

ويحق القول هنا بان الاديان الوضعية ينهش بعضها بعضا ويفترس القوى منها الضعيف فيغدو المنتصر مهيمنا ويبقى المنهزم فيها ذليلا خائرا .
ومن ناحية اخرى فان البوذية وان لامت في بعض الاحيان شاعر الانسان وعواطفه بعباراتها الداعية الى تهذيب النفس وسمو الاخلاق . ، الا انها لم تستطع ان تهيب لهذا الانسان سبل الكمال النفسي والخلقي ، وهذا ما غاب عن تعاليمها ومبادئها لبعدها عن المنهج الرباني القويم الذي يصون هذه التعاليم ويحفظ استمراريتها .

كما وانها وان حاولت تبني مفاهيم خاصة بتحرر العباد من عبادة العباد بادي الامر الا انها لم تستطع بتعاليمها الانعطاف نحو عبادة العقيدة الدينية السليمة لبعدها عن الحق وانكارها لبديع السموات والارض ، وتجاهلها للمخالق جل وعز . وحتى هذا الاتحاد الذي صبغت نفسها به لم تستطع ان تحافظ عليه لهشاشته وضعفه امام التيار الشعبي الهندوسي فعادت الى تأليه البشر واتخذت فيما بعد من بوذا الهها يعبد .

وهي في تعاليمها ايضا انما تاخذ من هذه الحياة الجانب المولم ولم تلتفت الى الجانب المضي كما اتخذت منها الجانب المحزن المبكي وتناست الجانب السعيد المضي الى الحب والوفاء .

وطى العكس من ذلك نرى الاسلام يفتح امام البشر جميع الوسائل المتاحة للسعادة في هذه الدنيا والاخذ منها بقدر الحاجة دون جشع او طمع .

قال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (١)

وقوله (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (٢) ولقد كررنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٣)

هذه الايات المشرقة ينشرح صدر الانسان لها وتتفتح مداركه لاستقبال الامر الالهي دون كبت او قنوط . وهذه الحياة التي يريد لها السلام من الانسان هي وسط لا افراط فيها ولا تفريط ، فهذه الوسطية تكفل للانسان العيش الهانسي الرضي في ظل رحمة الله تبارك وتعالى ، وذلك في الدنيا وله في الآخرة النعيم القيم ان احسن واتقى .

١ - الاعراف : ٣٢

٢ - الاعراف : ٣١

٣ - الاسراء : ٧٠

واذا تناسى هذه السلسلات فقد عاشت البوذية وحدها في عالمها المنعزل في دنيا رهبانها وكهنتها الامر الذي ادى الى تفكك الروابط الاجتماعية ولم تستطع التوسع والخروج من النفق المظلم الا بعد رحيل بوذا الذي اسهم موته في تغيير وجهة سيرها كثيرا واستطاعت ضم اتباع من عامة الناس بدل الاقتصار على الرهبان .

وربما يخدع البعض بالشعارات الداعية الى التعقل والتدبر واعطال الفكر . الا ان العقل السليم يدرك تماما التناقض الحاصل في تلك الشعارات والتي وقع في شراكها كثير من العلماء خاصة الغربيين .

فقد ادعت البوذية انها تريد من الانسان ان يعمل فكره وليسه لغاية نبيلة ، الا ان الواقع يفيد ان هذا الغاية اضحت بعد البحث والدرس مجهولة وليس لها اى بعد فكري سليم ، بل ولا تساعد الفكر على التحرك والتدبر ، بل تعمل على تقييده باوهام وترهات لا تقبل عقول الصبية بها .

واذا افترضنا جدلا ان مبدأ النيرفانا هو الغاية المنشودة ، فان البوذية بهذا لم تستطع مطلقا حل المعضلات التي تواجه البشرية ، ان الطابع السلبي يصيب هذه الحالة بطابع كسول ، ومهما ادعت البوذية ان النيرفانا تحقق للفسرد الاشرار والاستنارة والانتصار على الالم والظلم والموت ، فان الواقع يكذب هذه العقولة . واذا كان ما تدعيه صادقا فلماذا لم تحاول البوذية حل مشاكلها مسع الهندوسية او غيرها من الديانات الوضعية على اقل افتراض . .

ثم هل يمكن للانسان ان يعمل في ظل النيرفانا اذا كان هذا المبدأ يدعو في مرحلة لاحقة الى الفناء احساسه ومشاعره وفكره وكل ما يحيط به ؟ ؟

وكيف يمكن بعد هذا الالفاء حل المشاكل الانسانية . ؟

وكيف يمكن التوصل الى ردع المارقين والمجرمين والمذنبين ؟

هل النيرفانا كفيلة في احقاق الحق وارساء قواعد العدل والسلام ؟

بين الناس ؟ واذا افترضنا ان البعض يصلون الى النيرفانا فهل يتأتى لجميع الخلق الوصول اليها ؟

واذا كانت الاجابة بالسلب فط الفائدة المرجوة من النيرفانا اذا واي

هدف يجنى من ورائها . ؟

ان الغاية الوحيدة التي يمكن الوصول اليها هي : الضياع ولا شئ *

غيره ، وان البوذية اتعبت نفسها واشغلت كاهل البشر بمسائلها التعصفية دون طائل وجد يربى بهذه النحلة ان تندثر ولا يسمع بها الا في كتب التاريخ لاخذ العبرة والعظة .

وما احسن ما قيل في الحكم على البوذية بعد استعراض ارائها :
(انها فلسفة اخلاقية موجهة للمعجزة ، للطاعنين في العمر ، ثم انها قاتمة متشائمة ، هي فلسفة شخص قتله سوء الظن والخيبة والفشل الدائم والرييسة ولذلك نجد ، يبشر بالابتعاد والانقطاع والانفراد بنفسه بلا سعيين حتى ولا مع اله^(١) .

ومن جولة التعقيدات التي تضيفها البوذية الى فكرها ذلك التعنت في اغلاق باب التوبة امام المذنبين والعصاة ، فلم تتح لهم المجال ليتراجعوا عن غيهم ويرتدعوا عن معاصيهم ، بل اقفلت باب الندم ، وهي بذلك بدل ان تسهم في ارساء الامن والسلام للمجتمع ان بها تزيد زعزعة وتهدد استقراره لوقوعها في التناقض ، وهي وان لم تكن تدعو الى الرذيلة ، الا انها ساعدت عليها بطريق غير مباشر . وهي تدعي انها تريد تسليح البشر بالقيم الاخلاقية وتنسى ان هذا الامر لا يتحقق بمجرد وضع نظريات عقلية خالية من معالجة لب القضايا من اساسها .

فكيف تنتفي السرقة وابواب الرحمة موصدة دون اللصوص ، وكيف يمكن دعوة المذنب الى الخلاص دون فتح باب الرجاء والامل له ؟

انها اسئلة تتزاحم لتضع الفكر الديني البوذي في حيرة واضطراب .
(ومن التناقضات التي تقع فيها البوذية تلك الدعوة المبشرة بالمحبة والفضيلة والصدقة مع الناس ، وقد جعلت ذلك متوقفا على محبة الانسان لنفسه حتى يمكن التسليم بانتقال المحبة الى الغير ، وبمقتضى التعاليم البوذية التخلص من هذه النفس وخصائصها . فماذا يحب الانسان ؟ يحب اطلاقا ما ؟ من المحب ومن المحبوب ؟ بل ان مقتضى محبتي لغيري ان اخلصه من بدنه او من نفسه فهل اقلته ليريح ويستريح^(٢)) .

وان كانت البوذية تدعو الى هذه السبادة حرصا منها على الاخلاق فمهما قيل عن دعوى التمسك بالاخلاق ومهما نالت من اعجاب البعض فالحق يقال ان ما جاء به الاسلام من اخلاق لا يمكن ان يوازن بين ما تدعيه البوذية او اى دين وضعي اخر .

١ - الفلسفات الهندية ص ٢٨٤

٢ - الاسلام بين الاديان ص ٢٢٤

وذلك لان الانسان مهما حاول وضع ضوابط لسلوكه وآدابه فانها ستظل قاصرة ما دامت تابعة من مشاعره واحاسيسه الشخصية ، وما دامت هذه الاحاسيس فردية فحكمها على الامور غالبا ما يكون قاصرا عن الشمول والاحاطة ، وعليه فلا يمكن تطبيق المبادئ الموضوعة لها على بقية البشر لا اختلاف الامزجة والنزعات المختلفة بين العباد .

ولهذا فقد تكون الضوابط في بعض الاحيان قاصرة عن اعطاء علاج شاف لكثير من الامراض ولعلم الانسان المحدود ولقصور خصائصه فانه لا بد من تعشيره ازا ما يضع لنفسه من مبادئ دون استناد الى قانون عام شامل لمطالب احتياجات البشر جميعا ، كالذي صدر من لدن حكيم خبير .

ولا ننكر ما لدعوة بعض المصلحين السابقين عبر التاريخ من اثر في نشر المبادئ الخلقية بين البشر .

الا انه ازا ذلك يجب الاعتراف ان المبادئ الخلقية هذه لم تكتل ولم تتم الا بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث ليتم مكارم الاخلاق . . . وقد اثبت الاسلام بتعاليمه الشاملة وقواعده الراسخة انه دين الفطرة وانه دين الاخلاق والاداب والسلوك وان بقية الدعوات الاخرى لا يمكن ان تقارن به لانه دين الله القويم . .

والبوذية وان وضعت قوانين اخلاقية ، فانما تضع هذه المبادئ لفئة دون اخرى وهم رهبانها وكهنتها ، فما جدوى هذه المبادئ على بقية الناس ، ان لم تلبي احتياجاتهم ومتطلباتهم في التربية ؟ ووضع هذه المبادئ لفئة الرهبان من لدن رهبان سابقين نتيجة الخبرة والمعرفة الخاصة غير مضمونة النتائج لافتقارها الى اصل سماوي ونص شرعي قويم .

وخلاصة القول ان المبادئ الخلقية الموجودة في الاديان الوضعية اما ان تكون مستقاة من اصل سماوي ثم حرفت عقائدها الدينية ، واما ان تكون تابعة من المعرفة والخبرة الخاصة بالانسان .

فان كانت الاولى فيجب الرجوع اليها واتطامها ، بالعقائد الصحيحة والتسك بها ومسح اثار التحريف والتزييف عنها والاقرار بوضع هذه القوانين سبحانه وتعالى ، والاسلام كفيل بهذه الغاية . وان كانت الثانية فيجب تصحيحها والعودة بها الى ينبوع الاصلي ، ولقد وجد الاسلام لاجل هذه الغاية فانه نعم به واكرم .

وقبل الختام لابد من الاشارة الى التقرير الذى وضعه د . شلبي
عن جولته في بعض البلدان التي تنتشر فيها البوذية .

ففي هذا التقرير نلص صرخة مدوية لاستنهاض الهمم واستدراك
التقصير اللاحق بكثير من البلدان التي تنتشر فيها البوذية انتشارا كبيرا ، طم
بان الجيل الجديد من البوذيين لم يعد يقتنع بالعقائد والبادى* البوذية
مما اتاح الفرصة امام المبشرين المسيحيين لوضع الخطط تلوا اخرى لنشر العقيدة
المسيحية بين اتباع البوذية ، وقد استطاعت فرق التبشير وبسهولة وضع هذه الخطط
موضع التنفيذ مستغلين خلوا الشباب البوذى وتركه للبادى* الوثنية التي لم تعد
تلب الشاعر والا حاسيس الانسانية فضلا عن الخواء الروحي الذى يربح تحته .

وهذا التقرير يدعو الى توجيه الدعاة المسلمين وعلى اولى درجة
من التخصص للاطلاع و حمل امانة الدعوة الاسلامية الى ربوع تلك البلدان ، ان ان
الارضية صالحة الى درجة كبيرة لبث العقيدة الاسلامية السمحة بين القوم (١)

١ - راجع بتمعن هذا التقرير في : اديان الهند الكبرى ص ١٨٦-١٩٢

الباب الخامس

"الرهبنة اليونانية"

التمهيد :

من المفسر جدا على الباحث التغفل في كنف التاريخ القديم للعشور
على بدايات وصور العبادات الاولى ، وخاصة بالنسبة للتاريخ الديني لليونان .

فقد ساد الغموض تلك الحقبة الاولى ، والمعاناة للحياة الدينية البدائية
فغابت بذلك معرفة دقائق الطقوس والعبادات التي كان عليها ابناء اليونان الاول .
ولعل السبب يعود في المرتبة الاولى الى (الاضطراب والاختلاف
الناتج عن التنوع الذي لا حد له للصور وافكار الدينية ، كذلك المراكز المتنوعة
للحياة الاجتماعية التي كانت تتمركز في أعلى درجة من الممارسات الدينية) (١)

الا ان دراسة القرن الثامن قبل الميلاد ، قد اعطت الباحثين بصيصا
من الامل للموقف على بعض المعارف والمعالم الدينية التي سادت آنذاك .
ومع هذا فان تلك المعالم لم تكن لتعطي الصورة الواضحة والمرجوة التي
ينشدها الباحثون . . (٢)

وعلى الرغم من تلك الصعوبة ، فاننا سنجد في وسط الصور التعبدية
القديمة والمتنوعة ، نواة من الوحدة والتشابه في السيكولوجية الدينية ، هذا
الجانب يودي الى وحدة وتشابه في الممارسة والتطبيق وذلك يمكننا العيشور
على نقاط عامة تشمل الجميع . . (٣) وبهذا ايضا نستطيع لمس بذور الرهينة .
- الاصول العرقية :

ان من الحقائق عليه بين الباحثين ان الاربيين هم الاجداد الاصليون للشعب
اليوناني القديم - فقد كانوا جماعات وقبائل متناحرة متفرقة ،
وتكاد الحياة الدينية تكون بسيطة وساذجة الى أبعد الحدود . ان (لم يكن

١ - موسوعة الدين والاخلاق ٣٩٢/٦

٢ - تاريخ الحضارات العام : ٢٧٩/١ - ٢٨٩

٣ - موسوعة الدين والاخلاق : ٣٩٢/٦

لهؤلاء الاربيين من كهنة سوى سدنة العقاصير والاماكن المقدسة ومن رؤساء العائلات وكان (هناك من) يقوم كذلك بتقديم القرابين ولكن لا يبذروا انديانتهم تنطوي على خفايا كبيرة وشعور باسرار مقدسة ، فعندما يخرج الاغريق للقتال يلتئم من هؤلاء الرؤساء والاكابر مجلس ، ينصبون عليهم فيه ملكا يتمتع بسلطات فضفاضة وليس لديهم قوانين بل لديهم العرف وحده دون اي معايير مضبوطة للسلك والاخلاق . (١)

وعلى هذا فان البربرية الاغريقية القديمة كانت سائدة ابان تلك العصور ولكن من المعجيب حقا بل والغريب ايضا أن نشاهد المدنية الاغريقية تنمو نمو سريعا وتقطع شوطا بعيدا ، ذلك لان (رعاة الاغريق المتبريرين شقوا طريقهم جنوبا مغربين على عالم كانت مدنيته قد أصبحت قصة طال بها العهد . إذ كانت الملاحة والزراعة واقامة المدن المسورة والكتابة أمورا معروفة من قبل ، فلم ينشأ الاغريق مدنية خاصة بهم بل حطموا مدنية واقاموا من انقاضها وعلى اطلالها مدنية اخرى . وذلك هو السبب الذي يرجع اليه عدم وجود دولة معبد في سجل الاغريق ولا مرحلة الملوك الكهنة بل وصل الاغريق مباشرة الى نظام المدينة التي لم تنبت في الشرق الا حول المعبد ، فعرفوا من الشرق فكرة ارتباط المعبد بالمدينة وتسلموها سائفة . . . ومرار الايام أصبح الاغريق أكثر تدبنا وأشد اعتقادا في الخرافات . (٢)

لقد استقى طمس التاريخ والاثار المعلومات عن تاريخ الديانة من مصادر مختلفة أهمها ذلك التراث الباقي والمتحل بالأدب اليوناني القديم من شعر ونثر وخطابة . (٣) وعن هذا الطريق تمت معرفة الأنشطة الدينية وكانت تتضمن هذه الأعمال الموضوعات المتعلقة بالعبادات أو باللاهوت أو بالنظم الاسطورية للمجتمعات .

١ - معالم تاريخ الانسانية . ولز . ٢ / ٣٢٠

٢ - المصدر السابق ١ / ٣٣٠ - ٣٣١

٣ - توجهت أعمال خطباء ذلك العصر إلى أغراض معينة وذلك لانهم كانوا يحالين الى ان يركزوا على الموضوعات الدينية ويلجؤون غالبا الى الاثارات مستغلين في كسب المستمعين وجذبهم اليهم باعتبار ان الدين يحتج في هذه المجتمعات بالسياسة والحياة الاجتماعية ويعتمد على هذه الخطب أكثر من اعتماد على الشعراء او الفلاسفة باعتبار ان كلمات الخطيب كانت توجه الى الانسان العادي . . . انظر موسوعة الدين والاخلاق ٦ / ٣٠٣ ،

الفصل الاول : الديانة والعقائد :

تشابهت الديانات القديمة خاصة الوثنية منها - في عبادتها الاولى -
تشابهها كبيرا ، وذلك يعود الى الالتقاء الذي كان يتم بين الشعوب ، واخذ
بعضها عن بعض .

وكما رأينا قد ما المصريين وغيرهم يتدربون من عبادة الى اخرى
كذلك فعل اليونان من بعد . . . فالتنوع الديني والتقلب في العبادات كان سمة
تضاف الى سمات العصر اليوناني القديم .

- وقد قسم بعض العلماء انواع الالهة التي عدها اليونان ، فمن ذلك :
- الالهة السماوية ، والالهة الارض ، والالهة الخصب ، والالهة الحيوانية ، والالهة
ما تحت الارض ، والالهة الاسلاف والابطال ، والالهة الالهية ، .
واما اسماؤها فمما يشق على الإنسان ذكرها كما يقول " هزيبود " (١) .

الى جانب ذلك فقد آله اليونان بعض الخصال في البشر : كالحكمة ،
والفصاحة والبيان ، كما آلهوا مواهب التمثيل والموسيقى ، وبعض الرموز كالحرب ،
والجمال . مثل افروديت وغيرها . (٢)

كما إتخذ اليونان من مظاهر الخصب عبادة لهم ، وقد تمثلت باتخاذ عضوي
الذكر والانثى للرجل والمرأة (ولهذا كان قضيب الرجل وهو رمز الانتاج يظهر في
طقوس ديمترود يونيسيس وهرمس)^٣ . ولعل هذه العبادة مأخوذة عن الهندوسية
فعبادة " اللنجا " لا تزال السبى يومنا هذا موجودة في الهند .
وبأتى تأليه البشر وتقديسه في أعلى مقام ، وكان يتوزع على عائلات مختلفة
من الشعب (وقد تم كل هذا العمل في الوقت نفسه الذي تكون فيه الشعب اليوناني
وقد اکتل في أوائل القرن الثامن (ق م) حيث انتصر تشبيه الالهة بالانسان . . .
ولم يبق للاصنام والحيوانات الى جانب الالهة سوى قيمة الرمز او الخاصيات) (٤)

- ١ - قصة الحضارة : ج ١ مجلد ٢ ص ٣٢١ ط ١٩٥٩ م
- ٢ - سوسيولوجية الحضارة القديمة . د . صلاح فوال ، ص ٩٨ دار الفكر العربي ،
القاهرة ١٩٨٢ .
- ٣ - قصة الحضارة ، ج ١ م ٢ ، ص ٣٢٣
- ٤ - تاريخ الحضارات العام ، ١ / ٣٩٤ ، وراجع كذلك : دراسات فلسفية واخلاقية ،
د . محمد كمال جعفر ، ١١١ - ١١٢ ، مطبعة حسان ، ١٩٧٧ م وموسوعة
الدين والاخلاق ٦ / ٤٠٥

وأضافة الى كون هذه العبادات تعتبر ثمرة الالتقاء الفكري بينهم وبين الشعوب الاخرى إلا أن هناك اسباباً تدعو للإهتمام، وهي بروز الشخصيات المحاربة التي كانت تقود الشعب نحو النصر في الغزوات المتعددة والتي انبثقت عنها ما يسمى بابطال الحروب. (فالحروب المتعددة اوجدت كثيراً من المستوطنات خارج اليونان) وبالتالي كان قادة الاستيطان يصبحون زعماء في المستوطنات الجديدة وبعد موتهم يتحولون الى ابطال يعبدون فيها ويدفنون في أضرحة للعبادة (١).

وعلى الرغم من وجود هذه الآلهة البشرية والتوجه اليها بالعبادة إلا أنها كانت تعالى (في غير كثير خوف او رهبة ولكن كان يتستر وراء الهة الغزاة الاحرار آلهة اخرى للشعوب المحبورة (التي تجد من يتبعها) خلصة بين الارقاء والنساء ولم يكن منتظرا من الالهة الاولية الأصلية ان تأتي بالمعجزات أو أن تتصرف فسي حياة الناس) (٢).

ولم يمنع اليونانيون أن تتصف هذه الالهة حتى بالصفات الذميمة للبشر (٣). فابطال الحروب هو لا وصلوا الى ما وصلوا اليه بعد ان نعموا (بثروة وفيرة) وقد كان تملك الارض عنوان الثروة الوحيدة تقريبا ومن بين هذه الطبقات نشأت طبقة الاشراف. اما المجتمع اليوناني القديم فقد كان موزعاً توزيعاً على اساس الثروة والقوة اضافة الى توزيع على أساس الأصل والانتساب، فكانت القبيلة ثم الاخوية ثم الجينوس الذي يأتي مباشرة فوق الاسرة وهو القبيلة المحدودة والاسرة الكبيرة، فقد طاب للاغنيا التباهي بنسبهم البطولي وحتى الالهى (٤).

١ - الاغريق تاريخهم وحضارتهم - سيد احمد علي الناصري، ١٣٧-١٣٨، دار النهضة العربية.

٢ - معالم تاريخ الانسانية، ولز، ٣٣٢/١.

٣ - دراسات فلسفية واخلاقية، د. محمد كمال جعفر، ١١١-١١٢.

(فالالهة اليونانية كانت في رأيهم تحيا حياة بشرية كاملة فالاله ما هو الا كائن حي بكل مشاعره واحاسيسه وقواه الجسمية والنفسية والعقلية... ومما يلاحظ في الرغبات والفردات حتى السيسى منها ولكن الاله كان دوما انسانا مكتمل الرجولة أو امرأة رائعة الجمال... وما دام للالهة صفات البشر فهم يلدون ويموتون، ولهم تاريخ ميلاد... لكنهم أبداً خالدون... والاولاد والاخوات والاقرباء قد يكونون اربابا او انصاف ارباب... المهم أن لهم من الالهية نصيب...) : سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ٩٩ وقارن مع: دراسات في العصر الهلنستي، لطفي عبد الوهاب يحيى ص ٤٤

٤ - تاريخ الحضارات العام، ١/ ٢٧٩-٢٨٩.

وقد لعب الاشراف دورا كبيرا في تاريخ اليونان القديم وتقلبت هذه الطبقة في مجالات الحكم والدولة ، ورغم التطور الذي رافق الحياة اليونانية ابتداءً من تسلط طبقة الاشراف مروراً بالطبقة الديكتاتورية وصولاً الى الديمقراطية ، الا ان نمط العبادة لم يكن يتغير خلال تعاقب أنظمة الحكم هذه .
ذلك لان الشعب نفسه لم يكن في ديانته ، سوى مقلد للام التي جاورته او التي غزاها وانتصر عليها ، وان شهدت البلاد في بعض الاحيان تياراً دينياً قويا الا ان هذه الظاهرة لم تكن هي السمة الاساسية .

اولا : الكهانة اليونانية :

في ظل التقلبات السياسية والعسكرية كان المعبد يقوم بنشاط بين عامة الشعب ، ولا شك ان طبقة من الكهنة كانت تمارس دورها في معابد اليونان . وربما تكونت هذه الطبقة من ساعدى ومستشارى طبقة الاشراف الاول والذين ادعوا الالهية ، اذ ليست هناك إلا بعض المصادر الضئيلة عن هذه الطبقة ونشاطها وممارساتها وصور عبادتها . كما ان الغموض كان سيطرا على سجل الحياة الدينية وخاصة فيما يتعلق برجال هذه الطبقة . فكان لا بد من الوقوف على الانشطة الدينية لمعرفة درجة شيوع الكهانة والرهبة على حد سواء .
أثر الديانة الشرقية في اليونان :

واذاً هذا الوضع الصعب ، فانه لا مناص من البحث عن جذور المعرفة اليونانية ومنبع تراثها الديني الغامض للوقوف على بعض المعالم .
فاضافة للتراث الادبي والشعري المعتبر من أهم المصادر التاريخية لليونان هناك مصدر اساسي لهذه الديانة والذي يعتبر عند العلماء من اهم المصادر التي استقى منها اليونان معرفتهم وعلومهم الدينية .

فاللقاء الحضارى الذى تم في منتصف القرن الثامن (ق . م) بين اليونان والشرق بصورة عامة قد أثمر تطورا هاما في هذا المضمار ، ذلك لان اليونان بحكم طبيعتها الجغرافية ، وخصب اراضيها ووفرة مواردها دعت الناس الى التشبث بالحياة والمتعة بظواهرها المختلفة . ونظرا لمهارة اليونانيين في امر البحار وكثرة تنقلهم واختلاطهم بغيرهم من الامم وغزوهم لبلاد الشرق وخاصة مصر فان هذا اللقاء كان كفيلا ينقل مفاتيح العلوم والمعرفة ومختلف الفنون اليهم .

ويؤكد العلماء انه (لم يعد من الشكوك ان يكون اليونانيون قد استمدوا
بعضهم من الميثولوجيا اليونانية - من مصر وفينيقيا والهند (١) والصين والكلدان
وايران (فارس) فميثولوجيتهم شرقية الاصل وان بدت في ثوب من الشعر والخيال
يناسب المزاج اليوناني الذي اوحاه جوبلادهم ، وطيها فان البعثات العلمية التي
انجزتها اليونان الى مصر لتستقي من المعارف والعلوم وتتلقى عن حكمائها فمسرور
الحكمة ومعرفة الاسرار كانت متتالية ، ولا شك ان اليونانيين نقلوا من مصر الشيسى*
الكثير الذي يتصل بفروع العلم مثل علم الفلك وباقي الرياضيات والطب وما وراء الطبيعة
الى جانب نقلهم الحكمة عن الكهنة المصريين) (٢)

ومن هنا نعلم اهمية الشرق بالنسبة للديانة اليونانية وخاصة مصر . وقد
فرض هذا التقارب نوعا من التشابه والوحدة وان اختلفت الصور والاشكال التعبدية
وتبدلت الاسماء من بلد لاخر .

ثانيا :

بدايات الزهد :

وبانتقال المعرفة الى اليونان يمكن حصر مدى ذبوع الفكر الديني ، وبالتالي
يمكن القول بان الزهد الشرقي على الاخص قد استطاع ان يؤثر تأثيرا كبيرا في حياة
بعض اليونانيين الذين وجدوا فيه موقلا وملاذا من الحياة الصاخبة التي كانت
قائمة . وقد أسهمت هذه القلة على خآلتها في ايجاد الميل الى الزهد والترهب
في الحياة اليونانية وكان هذا الاتجاه متمثلا في صورة فردية أولا ، ومقصورا على
الذين اكثروا من التأمل والنظر واقتبسوا من معين تلك المعتقدات الدينية الاجنبية .

١ - يرى بعض الباحثين ان اليونان حينما اتصلت بالهند عقب غزوات الاسكندر على
الهند وتوطدت العلاقات بين البلدين في شتى المجالات (اخذت فكرة التجسد
(اى حلول الالهة في الطك) السائدة في الهند آنذاك تدخل في العقيدة
اليونانية فانقل الاله فشنعند ها لينال نفس التقدير والاعجاب وكذلك أصبح الاله
هليود وروس (HELIODORUS) رمز التجسد كما انتقلت كذلك هذه النظرية
الى ايران بعد زرادشت) : الهند حضاراتها ودياناتها . د . محمد

اسماعيل الندوى ، ص ١١٢ ، دار الشعب ، مصر ، ١٩٧٠ ، قارت مع :
٢ - : دراسات فلسفية واخلاقية ، ص ١١١ - ١١٢ ، وكذلك : تاريخ الحضارات
العام ١ / ٢٧٩ - ٢٨٩ . وقد وجدت اولى الاشارات الدالة على بداية الزهد
والاستشفاء ورد في كتابات هوميروس (هوميروس) من ضرورة اخذ العهد والحيثاق على
المتعبدين ، وقد جاء ذلك في العقائد عن اله اليونان " زيوس " . موسوعة
الدين والاخلاق ٣٩٧/٦

كما وجدت اشارات تفيد وتوضح أول صورة للتطهير الذي أوحى به الكهنة اليونانيون الأول لفئات الشعب وذلك (بضرورة تطهير نفسها من البلاء بطرح مياه التطهير في البحر وهذا كان طقساً دينياً معروفاً منذ القدم وكان من بين القوانين التي يذكرها هزيبود :

" الانسان العائد من جنازة مشوومة ، سيفنى ما لم يجتهد في ان ينجب طفلاً في ذلك اليوم " . (١)

ثالثاً :

بدايات الرهبنة :

وهناك ظواهر أخرى تدل على وجود نوع من الترهيب والتبيل ، وان كان هذا النوع خالياً من القوانين والأنظمة كما هو الحال في الرهبنة الهندية والمسيحية . ، وكان الجانب الفكري الذي اتخذته هذا التيار يتمثل بالشعور (باله سيطر على كل نفس ، ومعنى هذا أنه أتاح وجود علاقة شخصية بين كل شخص وبين المعبد بصورة خاصة ، ومن هنا وجد الاجتهاد والاختلاف بين افراد العبّادين واتخذت القرايين شكلاً آخر فبدلاً من ان تتخذ من الاشياء المطوكة أصبحت تقدم من أفعال الانسان أو ذاته وذلك بتكريس حياته لخدمة هذا الاله فوجد التبيل والانقطاع للعبادة (أى الترهيب بالمعنى العطي) وهذا بدوره ساعد على ازدهار وتقدم مذهب التجسيم والتشبيه . . . وفي حالات معينة كان يقدم الاطفال باعتبارهم حصاد مزرعه الاباء حتى تنال البركة الاجيال المستقبلية . . . واخذ الايمان كان يسبق العبادة مع المواثيق والعهود على المواظبة في جميع هذه الحالات (٢)

١ - موسوعة الدين والاخلاق ٢٩٥/٦

وربما تفيد هذه الظاهرة : انها اول شاهد على التحريم او ما يسميه الغرب (بالتأهب) .

٢ - المصدر السابق : ٤٠٤/٦

الفصل الثاني : العبادات وصورها وأثر الرهينة في مدارس الزهد والفلسفة

أولا : - الممارسات التعبدية

- لقد قام نوع من الهيمنة على مقاليد السلطة والحكم في اليونان من قبل طبقة الكهنة ، تماط كما كان الحال في مصر ، والهند .
الا ان هذه الهيمنة تسخّطت من حيث المدة والصلاحية ، ومن حيث اللون الثقافي والعلمي . فقد تميزت الكهانة المصرية بطول مدة هيمنتها على الحياة الدينية بعكس اليونان ، كما ان اللون الثقافي المصري كان أوسع وأعق مما للكهنة اليونان الذين لم يكن لديهم هذا البعد ولم يكن اهتمامهم منصبا الا على الخرافات والاساطير التي برعوا وتفننوا في اذاعتها ونشرها .

وبالعودة للحديث عن التيار الزهدي الذي وجد في اليونان بعد الالتقاء مع الشرق نستطيع القول بأن هذه الفئة قد تأثرت بالروح الصوفية الشرقية (ويبدو ان هذا التيار التصوفي الذي دفع بالمصوفين الى الانخراط احيانا قد كان خير معوان لنجاح هتافات الغيب ^(١)) .

لقد شهدت بعض المدن اليونانية كمدينة كلاوس ودلفي وعلى الاخص هذه الاخيرة كثرة مميزة من طبقة الكهنة ، وقد ذاع أمرهم بين الافراد حتى بين الحكام والملوك ، ذلك لان الكهانة اليونانية قد اكتسبت نوعا من التأيد الشعبي بمسبب الاساليب التي اتبعتها . كما ساد نوع من الممارسات التعبدية خالطها كثير من الوان الشعوذة ، وأطلق على هذه الأنشطة الدينية " مهابط الوحي " او " هتافات الغيب " .

هاتان التسميتان اطلقتا في الهياكل والمعابد التي أقام بها الكهنة السعراقون ، وجبر هذه الوسائل استطاع الكهنة اذاعة الاساطير والخرافات وامداد المعتقدات الدينية المزعومة بكثير من الحيوية والنشاط ، وغالبا ما توجهت هذه العبادات نحو تأليه البشر. والجدير بالذكر ان هذه الاساطير والممارسات ^(٢) لم تنطل على عامة الشعب فقط بل امتدت لتشمل ملوك البلاد واستقطبت حكاما من خارج اليونان أيضا ^(٣) ما أكسب هذه المعابد أهمية كبرى في نفوس العالم وأدى الى ازدهارها وزيوع صيت البلدان التي اقيمت فيها وخاصة مدينة دلفي كما اسلفنا .

١ - تاريخ الحضارات العام ٢٩٨/١

٢ - راجع هذه الاساطير بتوسع في : الاغريق تاريخهم وحضارتهم ص ١١-١١٢

٣ - راجع : تاريخ الحضارات العام : ٢٩٨/١

ثانيا :
=====

الطقوس والشعائر :

في جو الحرب والمنازعات الطاحنة ، تفتقد الشعوب كثيرا من طاقاتها وتنزف دماؤها بغزارة مما يؤدي الى اسسوأ الكوارث المادية والوجدانية والعاطفية .
فلا تجد الشعوب وسيلة سوى المعابد الدينية تلوذ بها وتوكل اليها لتغطي الجانب الخفيس من مشاعرها .

وامام هذه الوقائع الطاسوية التي عاشها الناس ايمان العصور القديمة ، فان الشعب اليوناني المخامر كان يعود بعد حروبه الطويلة مشخنا بالجراح او مثقلا بالعوارض النفسية والاهام التي تنتابه .

وفي ظل هذه الاوساط الكريهة استطاع الكهنة استغلال هذه الاحداث لاجتذاب الهاربين من ميلاات الحروب الى معابد هم واديرتهم ، مارسين امامهم صنوفا والوانا من الهرج والممارسات التي اتقنوها وسيطروا بها على مشاعر واحاسيس الناس .

لقد اطلق الكهنة ما يسمى بالعرافة على المرأة التي تتحدث عن الغيب فمثلا (كانت العرافة " بيتا " عادة امرأة في الخمسينات من عمرها تلف باردية غريبة وتجلس فوق قائم ذي ثلاث ارجل وعند ما يتقدم طالب المشورة يقدم الاضاحي والقرايين ويثلو الصلوات للرب ثم يقوده الكهنة الى حجرة الانتظار وفي الوقت المناسب يدعس للثول امام كاهنة " ابوللو " التي لا تكاد تبدو من ابخرة مياه العين الساخنة ويضع طالب المشورة سؤاله او اسئلته امامها وتسهذي الكاهنة وهي تضع اوراق الفاروتنهل من غاز غريب يتصاعد من شقوق الصخر ، وتحسني السياه الكبريتية وتتم بكلمات غريبة يترجمها أحد الكهنة الى أبيات من الشعر السداسي الموزون ويعطيها للسائل وكانت الاجابات عادة غامضة بحيث يمكن تفسيرها تحت أي ظرف بحيث تهد والكاهنة صادقة في كل ما تقول ، وكانت المشورات تتنوع من اسئلة شخصية الى اسئلة سياسية وعسكرية خاصة بالدول مثل اقامة المستوطنات او اعلان الحروب .

ولقد اكتسبت دلفي مكانة عالية بين الاغريق وتمتع كهنتها بتبجيل ووقار واحسن الكهنة بمدى مسؤوليتهم ولهذا كانوا غاية في الدبلوماسية عند اعطاء اي مشورة) .

١ - الاغريق تاريخهم وحضارتهم : ١١١-١١٢

وراجع كذلك قصة الحضارة ج ١ م ٢ ص ٣٥٩

بهذا الأسلوب وبغيره كان الكهنة يمارسون نوعاً من الهيمنة النفسية على العامة بحيث يعتقد هؤلاء أن كل ما يصدر عن الكاهن إنما هو الحق وعليه يجب اتساعه في تعاليمه وكل ما يصدر عن عيسه من قرارات .

ومذلك أيضاً نعلم مدى الخطورة التي تمثلها هذه الناحية لما تنطوي عليه من إصدار التشريعات للبشر ، وإنشاء القوانين وفق أهواء ونزعات الكهنة والرهبان . إلا أن هذا التيار الذي شهدته اليونان لم يستمر طويلاً ، فما لبث أن انكشفت الحجب عن تلك الممارسات ومات الشعب يعرف جيداً الأساليب المخادعة وقد ساد شعور (بأن هتافات الغيب انتهazy أو أنه يستنشق الريح أو يخضع لتأثيرات يصعب الاعتراف بها دون من الشرف فقد اتهم بالرشوة والخضوع للعظماء) (٢)

ولا يفوتنا هنا ذكر اعتماد الكهنة على السحر فقد وجدت صور تعبدية مرسومة خلالها صور من ألوان السحر الأسود كما يسميه العلماء . ولا (جدال أن هذه الصور كانت مبنية على أساس السحر (أن) كان هناك اهتمام بفن السحر الأسود وفيه صيغ قريبة للإيمان والتأمل . وتظهر بوضوح العقلية الهيلينية وكأنها مغطاة بسحب وهذه الصيغ هي التي كان يمارسها الرهبان بطرق معينة وخطوات محفوظة يتدربون على أثرها في مناصبهم ودرجاتهم) . وقد كانت لديهم قوانين تشبه القوانين الديرية التي أوجدتها المسيحيون فيما بعد كما تشابهت مع نظام القسس إلا أن نقطة الخلاف بينهما تظهر في (عدم

-
- ١ - لاحظ أساليب الكهنة في : سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ٩٩
 - ٢ - تاريخ الحضارات العام ١ : ٣٦٢ / ٣٦٣ وما بعدها
 - ٣ - موسوعة الدين والأخلاق ٦ / ٣٠٩ وما بعدها
- وكثيراً ما كان السحر يسخر لأغراض شخصية وكان بعضه يتعلق بالخنازير بصورة خاصة وكانت تؤخذ القطع المتعفنة منها حيث تتخذ أداة للسحر . . . ثم تنشر في الأماكن التي يراد حصول السحر بها ، وقد يرمز هذا إلى طرح الذنوب القذرة عن الإنسان والتخلص منها نهائياً بإعادتها إلى مكانها الطبيعي وهو الأرض وتتخلص السماء منها . وقد كان هناك سحرة راسخون لهم القاب معينة) . المصدر السابق ٤٠١ / ٦

محاولة فرض " أبولون " كإله أعلى على الدول الهيلينية وكانت ممارساتهم تتراوح بين الدوام على الصلاة ، والأدعية والترانيم مع الاحساس بالانتماء الوطني .
وتنص بعض قوانينهم على الآتي :

أولا : تقديم القرابين وقبولها من الشعب .

ثانيا : بذل النشاط التعبدى في نظام يومي مقسم على اوقات مختلفة
قد تطول بطريقة مذهلة .

ثالثا : الاعداد لاهدائ الامور الخارقة او ما يشبه المعجزات (الشعوذة
والسحر) .

رابعا : تقديم المعلومات المتصلة بالمركز الرئيسي الدينى الذى يحتل اقوى
الروابط والوحدة الروحية في العالم الهيلينى .

وهذه هي نقطة الالتقاء بين السياسة والدين آنذاك مما كان يفرض على
الراهب التأكد بين آونة واخرى من ولاه العباد لاوطانهم ودولهم .
وكان يتعهد بأخذ العهد على الراهب نفسه أن يظل مخلصا للنظام وأن
يتبع الانصاف المتبادل بين أخوته وقصاد معبد ، وهذا حصلت خطوة تقدمية فسي
نطاق الدين بايجاد تشريعات للمعابد تتضمن الطهارة الضرورية في كل ما يشين ،
وأولها اراقة الدماء ، وإلا لم يكن لها الحق الدينى في أن تبلغ رسالة او تقوم
بمهمة . (١) .

ومن نتائج تعاليم الكهان والرهبان اليونان ظهرت على السطح
عدة مظاهر تعبدية ، منطوية على اساطير ، ومرتكزة على خرافات ، وقد اجمع
العلماء على ان هذه العبادات ظلت تعاليمها سرا احقابا طويلة ولم تعسرف
تفاصيلها على الوجه الاكمل ، الا انهم استطاعوا تحليل مراميها وتعليل الاشارات
الخاصة بها ، فمن هذه العبادات ، ظهر ما يسمى باسرار " الفيسس " ، أو
(الويسس) . فقد ظهرت هذه (وقصدت الى تجاوز حدود المدينة ، ودعوة
الناس جميعا حتى الاجانب والارقاء الى حياة روحية أسمى وأقوى ، ذلك أن فريقا
من اليونان لاحظوا الفارق بين سيرة الانسان وما يعتقد من مثل أعلى في الاخلاق
واستوقف نظرهم التعارض البارز بين شقاء الانسان وسعادة الآلهة ، فبداهم
أنه قد يكون بالإمكان ايجاد علاقة بالآلهة عبر علاقة العبد بالسيد ، علاقة تقارب

فاتحاد تكفل للانسان المشاركة في السعادة الالهية ، ووجدوا عند الشرقيين
غذاء لهذه النزعة ، فنشأت " اسرار " أو نحل سرية تعد مريديها بالنجاة من
هائب هذه الحياة والسعادة في الآخرة . فياً منون شر المرض والفسق والخراب
والحرب وما اليها ، ويضمنون لانفسهم النجاح والتوفيق ، وبعد الموت النجاة
من " الحاة " واللاحق بالالهة فيخلصون من الكابوس الذي كان جاثماً على الصدور
والذي يلخص هذه العبارة :

(ان حياة الانسان ظل زائل ، ووجوده بعد الموت ظل الظل) . . .
(ان) نحلة ألويس (كانت) تعبد " ديتر " التي كانت الهة الحرب عند
هوميرس ، فصارت عند ها الهة العمل (١) .

والملاحظ ايضاً انتشار عبادة " كورا " الى جانب عبادة " ديتر " كذلك
عبادة (ديونييسيوس) (وكان ذلك عاملاً هاماً من عوامل نجاح هذه الاسرار . . .
ما يحلنا على الاعتقاد بانها قد انطوت على تفسير رمزي عن طريق عرض غير مباشر
وتحليل مختصر ، غير أن ذلك كله كان يستدعي فكرة الموت ، مصدر قلق الانسان الدائم
وكان المشترك في هذه الاسرار يغادر المعبد مطمئناً الى المصير الذي سيكون بعد
الاجل المحتوم ، فقد كتب " سوفوكليس " وعلى غرار كثيرين :

" طوبى لمن طوبى لا ولئك البشر الذين سيذهبون بعد مشاهدة هسنة
الاسرار لمقابلة " هاديس " اما الآخرون فكل شي " سيكون لهم عذاباً " . (٢)

وقد حققت هذه الاسرار انتصاراً وديوعاً كبيراً بحلول القرن الخامس (ق م)
حتى حازت على ثقة اليونانيين واصبحت المعابد مزاراً لهم واقامت لهذه الغاية
الاحتفالات الضخمة (وتقوم العبادة في هذه النحلة على اسطورة غامضة وتعساليهم
ظلت سرا مكتوماً مدى ألف عام . وكان المريدون يملكون قصة مثولوجية لكي يبعثوا
في نفوسهم العواطف التي إن فعل بها الإله أو الآلهة يملكون عبارات مهمة
ويرقصون ويصيحون على صوت موسيقى صاخبة لكي يحققوا حالة الجذب والاتحاد
بالالهة)^٣ .

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص ٦٥ - ٦٦ ، دار القلم ، بيروت

٢ - تاريخ الحضارات العام ٣٦٤ / ١

٣ - ان هذا السر كان محرماً على أي انسان ان يبوح به (ولا تعرض للقتل

. . . وكان الاحتفال عبارة عن (مسرحية رمزية لها أثر في حياة ديونييسيوس

ولعل بعض أسباب ازدهار هذه العبادة وشيوعها خلال هذه الفترة يعود الى الافكار التي انطوت عليها والتي ترجع الى اهتمام واضعيها بالحياة الزراعية التي كان يعيش عليها اغلبية الشعب ، فاستغل الكهنة هذه الناحية فكان لهم اكبر الأثر في الاستقطاب الشعبي .

إضافة الى توجيهها نحو الفرد بعينه دون تمييز طبقي او عنصري ومخاطبته (بعيدا عن كل نظام او قانون وعن كل اثر عائلي او مدني . . . الى الفرد وحده . كط سيكون يوم موته) (!!).

ومن اهم العبادات التي تخص البحث تلك العبادة التي انتقلت الى اليونان عبر مدرسة الاسكندرية واسمها " عبادة السرابيس " أو " السيرابيوم " فقد عرفنا شيئا عن هذه العبادة التي كانت على عهد ايزيس وكيف كان الزهاد والنساك المصريون يقومون بالشعائر التعبدية في حضرتها .

وقد استقى الاستاذ العقاد معلومات عن " فيلون " ليهودي اثنا الحديث عن اثر العبادات المصرية في اليونان . فادها ان نحلة قوية خرجت من مصر " على قلة عدد المنتمين اليها ، وهي نحلة المتنطسين (the RAPEUTS) التي ذكرها الحكيم الاسكندر ليهودي فيلون ، وقال ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك في الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية ورياضة السروح والجسد واسمهم اليوناني معناه " الاساة " أو " المتنطسون " واكثر صوامعهم كانت على مقربة من الاسكندرية حول مريوط القديمة (٢٠) .

= واكبر الظن ان موضوعها كان اختطاف بلوتو برسفوني وتجوال د متر الحزينة وعودة الغناء العذراء الى الارض والكشف عن اسرار الزراعة وكانت خلاصة الاحتفال هي زواج خفي بين كاهن يمثل زيوس وكاهنة تمثل د متر وكان هذا الزواج الرمزي يثمر ثمرته بسرعة سحرية عجيبة فقد كان يعقبه بعد قليل على ما ينقله لنا المؤرخون اعلان صريح بان " سيدتنا قد وضعت غلاما مقدسا " . (راجع قصة الحضارة ٢ / ١ : ٣٤٣)

١ - تاريخ الحضارات العام : ٣٦٤ / ١

٢ - حياة المسيح ، عباس محمود العقاد ، ٢٦٦ / ١١ المجموعة الكاملة

دار الكتاب اللبناني بيروت ط ١ ١٩٧٨

وقد ركز على كيفية انتقال كثير من العبادات المصرية الى غيرها من الامم

ومن بينها عبادة سرابيس . راجع معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٢٤٤ - ٤٦٩

ان هذه الجوانب العقدية والتعبدية ، تكشف بصورة واضحة التماثل والتشابه الذي يعتبر القاسم المشترك بين الديانات الوضعية الوثنية وبين العقائد والاسرار المسيحية التي اقتبسها كهنة الكنائس ، ورهبان الاديرة ، فالي الآن لا تزال المسيحية تفرق بتعاليم الاسرار ، لتوهم الناس بوجود خفايا لا يعلمها الا الرهبان . تماما كما كانت الرهبنة اليونانية وكهننتها يمارسون هذا الدور .

وبالعودة للحديث عن الحياة الخاصة التي كان يعيشها الكهنة اليونان والجمادي* التي كانوا يدينون بها كالاظمة والقوانين التي تضبط اوضاعهم ففسد قل حديث العلماء عنها ، . (غير ان نوعا من المراسيم والتزام التطهير الجسدي كان مفروضا عليهم . كما ان هناك نوعا من التعاليم الاخلاقية والشعارات التي كان يطلقها الكهنة أثناء اداء المناسك التعبدية في هياكل العبادة اوصت باحترام الحكمة واليمين وتأدية واجبات الضيافة) (١)

ثالثا : أثر الرهبنة في المدارس الزهدية والفلسفة :

بعد الاطلاع على بعض صور الرهبنة اليونانية ، وما انطوت عليه من ترهب وتبتل متم بالبساطة ، يجدر بنا الوقوف على الاثر الذي أحدثته في المدارس ، الزهدية والفلسفية .

وسنرى هنا مدى تأثير أصحاب هذه المدارس " كالا ورفيين " والفيثاغوريين " ببعض العقائد التي صاغها الرهبان ، كذلك الامر بالنسبة لبعض الفلاسفة كسقراط وارسطو وأفلاطون .

وسنرى أن هذه التأثيرات غالبا ما اصطبغت بالنساحية الفكرية والتأملية أما الجانب السلوكي فقد شهد نوعا فائرا من الترهّب ، ويمكن أن نسميه نوعا من الزهد . إذ لم تكتمل في هذه الاثناء صورة الترهّب على النحو الأوسع ، فلن نرى فيه قوانين وضوابط ، ولا أديرة وصوامع ، ولا تنظيمات رسمية وكهننتوت هسرمسي . بل سنرى فيه نوعا من الترف الفكري الذي ينطوى على قضايا نفسه تتعلق بالفلسفة والاخلاق .

اما الناحية المهمة في هذا الجانب فتظهر جلية في أثر الفلسفة اليونانية في السعائد النصرانية ، كعقيدة الخطيئة الاولى ، والتضحية ، وضرورة تعذيب الجسد لخلاص الروح ، وغيرها . وسوف نشاهد هذه الملامح من خلال عرض مذاهب الاورفيين والفيثاغوريين ومقبة الفلاسفة .

الفصل الثالث :

أهم المدارس الزهدية في اليونان :

اولا : الاورفية

قد يكون الحديث عن الاورفية أكثر إثارة وأقرب الى مواضيع البحث صلة من حيث نوعية التعاليم والنسك . فقد ذاع في القرن السادس ق . م . نوع من الزهد الصوفي اليوناني المتأثر بالروح الشرقية .

هذا التيار تمثل بنحلة " اورفيوس " ^(١) والتي دعيت فيما بعد بالاورفية

١ - يشكك العلماء بوجود هذه الشخصية الخيالية لكثرة الاساطيرة التي حيكت

حولها " ، الا ان ديورانت يقر بانسه كان شخصا حقيقيا .

انظر : قصة الحضارة ، ج ١ م ٢ ص ٣٤٤

وتقوم تعاليم هذه النحلة على العديد من الآراء العقلية وما تدعى أنه مبادئ أخلاقية . إذ اعتدت اعتقاداً مباشراً على القصص والأساطير التي زينت به عفاة ها ، وذلك لتقبلها العامة ، كما إعتدت في أواخر عهد ها على السحر والشعوذة . ونظرا لبعض آرائها التشفية فقد أعتبرت الاورفية بأنها تمثل تيارا زهديا فلسفيا وقف في وجه التيار الالمبي الرياضي الذي نشأ متمسكا بحب الجسد والدعوة الى نعيم الحياة ومتعها .

الجانب العقدي لهذه النحلة تمثل في عبادتها لديونيسوس فقد عبسده الاورفيون وأقاموا حوله الاساطير (١) التي جذبت اليها الكثير من العامة . وفي الجانب النفسي : ألحت الاورفية (على فصل النفس من حيث هي عنصر روحي عن الجسد من حيث هو عنصر مادي) . فالنفس يمكنها ان تكون قد مرت بتجسّدات سابقة ويمكن أن يكون لها تجسّدات أخرى في المستقبل كما أن بعض الشرور التي تنزل بحياة خاصة يمكن أن يكون سببها إقتراف خطيئة سابقة على هذه الولادة ويمكن للنفس فيم بين تجسّدات مختلفة ان تقيم في الجحيم (٢) .

(وكانت الترانيم والطسقوس الاورفية ترشد المؤمنين الى ما يجب أن يتبعوه في هذا الحساب النهائي الشامل ، شأنها في هذا شأن كتاب الموتى عند قدماء المصريين) (٣) .

١- تقول احدى هذه الاساطير : ان " تزوس " وهب طفله " ديونيسوس " السلطان على العالم فغارت منه " هيرا " زوجة " تزوس " وألبت عليه طائفة من الالهة الاشداء هم " الطيطان " فكان " ديونيسوس " يستحيل صورا مختلفة ويرد عنه الى ان انقلب ثورا فقتلوه وقطعوه وأكلوه . غير أن الالهة " بلاتس " (مينيرفا) استطاعت أن تخطف قلبه ، فتبعث من هذا القلب " ديونيسوس الجديد " . : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦-٧ ، وتاريخ الحضارات العام ١/٢٩٧-٢٩٨ ، وهذه الاسطورة تتشابه مع مضمون اسطورة ايزيس وايزوريس وحوروس المصرية

٢ - : المذاهب الكبرى في التاريخ . البان ج . ويدجيرى ، ٨١-٨٢ ترجمة : ذوقان قرقوط ، دار القلم ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٩

لقيت هذه الآراء أصداً واسعة في اليونان بصورة عامة ، وعلى الأخص ظهر هذا التأثير في " الفيثاغورية " التي امتزجت تعاليمها بتعاليم الأورفية ، ففُسِّد انتقلت إليها عقيدة انتقال الروح من جسد لآخر (١) .

وإن من الجدير بالذكر أن المبادئ هذه والأفكار التي انطوت عليها الأورفية كانت بمثابة النواة الأولى للفلسفة فيما بعد ، وقد أرجع العلماء هذه الآراء إلى النتيجة التي آلت إليها أسطورة " ديونيسيسوس " التي حاكتها مخيلة الأورفية وموهها : " أن الإنسان ركب من عنصرين متعارضين : من العنصر "الطيطاني" وهو مبدأ الشر ومن دم "ديونيسيسوس" وهو مبدأ الخير ، فالجسد بمثابة القبر للنفس وهو عدوها اللدود يجرى معها على خصام دائم " . (٢)

كما تظهر الروح الشرقية الصوفية في تعاليم الأورفية والشعائر التي كانوا يقيمونها ، وتتضح أكثر في الممارسات العطية التي اعتدت . فهناك ضرورة التطهر من الشر ، ويكون بالاستحمام باللبن ، أو بالماء ، وتضاف إليه مادة طوينة بلون اللبن . كذلك بالنسبة للقرايين غير الدمية ، وتمثيل قصة "ديونيسيسوس" بط في ذلك تقطيع ثور وأكل لحمه نيئاً وتلاوة صلوات كالتى وردت في كتاب الموتى المعروف عند المصريين فقد اكتشفت صفائح ذهبية عليها إرشادات للنفس عما يجب أن تسلك بعد الموت من طرق وتتلو من صلوات فكانت هذه الصفائح دليلاً قاطعاً على أنهم عرفوا كتاب الموتى وأخذوا عنه (٣) .

ويقرب لنا ديورانت صورة التشابه والتماثل ، بين عقائد الأورفية وما نادى به المسيحية فيما بعد ، خاصة فيما يتعلق بعقيدة " الابن المقدس " و " الخطيئة الأولى " و " العشاء الرباني " . فهو يقول عن ذلك :
(أن هذه العقيدة كانت في جوهرها تأكيداً لعذاب " ديونيسيس زجيريوس " الابن المقدس وموته ومعته كما كانت تأكيداً أيضاً أن الناس جميعاً سوف يبعثون في حياة مستقبلية يشابهون فيها على أعمالهم أو يعاقبون عليها ، وإذا كان الاعتقاد السائد

-
- ١ - دراسات فلسفية وأخلاقية : ١٢١ ، والمذاهب الكبرى في التاريخ ٨١-٨٢ وقصة الحضارة ٢/١ : ٣٤٧
 - ٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦-٧ ، وسنرى فيما بعد أثر ذلك على كل من سقراط وأفلاطون .
 - ٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨

ان الجبابرة الذين قتلوا " ديونيسيس " هم الذين تناسل منهم الاله ميون فقد كانت البشرية كلها ملوثة بشئ * من الخطيئة الاولى ، وكان عقابها على هذه الخطيئة ان الروح تسجن في الجسم كأنها في سجن أو قبر ، ولكن في وسع بنى الانسان أن يعزوا انفسهم بأن يعرفوا أن الجبابرة قد أكلوا ديونيسيس وأن كل إنسان ينطوى لهذا السبب فسي روحه على جزء من الالهية الخالدة وكان عباد أرفيوس يتناولون في " عشا " رباني " جماعي لحم ثور نيئاً ويحفل في اعتقادهم ديونيسيس إحياء لذكرى قتل الاله وأكل لحمه وامتصاصا للجوهر المقدس من جديد) (١)

هذا ويرجح أن الاورفية كانت في الأصل على صلة وثيقة بالاسرار ولا يبعد ان تكون أغلب عناصرها مستمدة من الكهنوت المصري) (٢)

وقد اعتبر العلماء ان هذه الممارسات والتعاليم تتبالغ في اطراء نوع من الزهد غريب جدا على الموقف اليوناني المتسم بالاعتدال والانسجام في الحياة النفسية (الإغريقية) (٣)

وكما أخذ الاورفيون عن كتاب الموتى المصري ، كذلك أخذوا فكرة (الولادات المتعاقبة عن الهنود مباشرة أو بواسطة الفرس ، وكانوا يقطون ان الارض للبشر كالخطيرة للماشية ، فلا يحق للنفس أن تهرب من هذه الخطيرة ، وانما واجبها ان تنظر السى الاجل المحدد من الالهة ، فالانتحار كفر ، إنه عدول عن الامتحان ومن ثمت عن الثواب وسيأتي اليوم الذي تنسجوفيه النفس الصالحة من " دلاب الولادات " وتستعيد طبيعتها الالهية فتحيا حياة روحية في العالم غير المنظور ومن مبادئهم ايضا احترام الحياة حيثما وجدت في الانسان والحيوان والنبات) (٤)

١ - قصة الحضارة ج ١ م ٢ ص ٢٤٥

٢ - دراسات فلسفية واخلاقية : ١٢١

٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ : ٨١-٨٢

٤ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨ ، وراجع في هذا المصدرا أيضا قصة

الحضارة ٢/١ : ٣٤٥

وتؤكد بعض المصادر ان عقيدة تناسخ الارواح (قد انتقلت الى الاغريق عن طريق فيريكيديس * PHEREKIDES وتلميذه فيثاغورس الذي كان معاصرا لبوذا معلم الهند ومؤسس الديانة البوذية . (١)

ويذكر البعض ان معوثين بوذيين من بلاط الملك اسوكا البوذي قد حضروا الى الاسكندرية زمن اليونان ، وأن جالية هندية كانت تتواجد هناك (٢) .

وتذكرنا بعض المطامير اليونانية ببعض المبادئ الرهبانية في النصرانية (ان بعضها يفرض " تجارب حماسية واخلاقية صارمة تتضمن الاطام وتقسفا مريسا وجلدا طوافا في الليل على ضوء المشاعل ولباسا خاصا) (٣)

وهذا ما دعنا ديورانت الى القول (ان الاورفية كان فيها . . اتجاهات مثالية هي التي ادت الى الفلسفة الاخلاقية والرهبنة في المسيحية) (٤) .

وكما كان الحال بالنسبة للجماعات الدينية اليونانية التي سبقت الاورفية والتي اندثرت وانمحت . كذلك كان نصيب الاورفية ، فلما كان الدجل والخسدا عاطلين مهينين في انحطاط الدعوات السابقة ، كذلك تسرب الخبث الى نحلة اورفيوس إن (لا ريب في ان الاورفيوسيين قد جمعوا في صفوفهم دجالين وعرافين يجوز الاشتباه بهم ولا ريب ايضا ان السحر كان له مكانة في كتبهم المقدسة) (٥) .

١ - : العودة للتجسد ص ١٩

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٢ : ٤٦٤ وانظر كذلك : الهند حضاراتها ودياناتها

محدث اسماعيل الندوي ص ١١٢

٣ - دراسات فلسفية واخلاقية ص ١٢١

٤ - قصة الحضارة ٢ / ١ : ٣٤٦

٥ - تاريخ الحضارات العام : ١ / ٢٩٧-٢٩٨

ثانيا :
- نحلة فيثاغورس

ألمحنا الى أن نحلة أورفيوس كان لها بعض التأثيرات على الفكر الفيثاغورى .
الا ان الفيثاغورية ، قد أضافت الى تعاليمها نمطا من الكشف في الممارسة ، فمن
مبادئها ما يحتم على الافراد العيش عيشة العفة والبساطة بموجب قانون ينص على
الطبخ والمأكول والصلاة والترتيل والدراسة والرياضة البدنية (١) .

كما أنها نادت بتحريم أكل لحم الحيوان وبعض النبات وممارسة السرية في
تعاليمها الدينية والدنيوية وفرضت على أتباعها الكتان ، وقد أوصلت عقوبة افشاء
سر هندس الى الاعدام (٢) .

ثالثا :
- نحلة إيزيس ومثرا :

واقترنت نحلة " إيزيس " المصرية بنحلة " مثرا " (الفارسية في غزوبلاد الرومان
واليونان فسماها اليونان ديمترو) نحلوها صفتها المصرية وهي صفة الأمومة الكبرى
أو صفة الطبيعة الأم ، وكان عبادها يوحدون بينها وبين القمر ، ويعتبرونها من ثم
ربة البحر والملاحة ، ويرسمون لها صورا جميلة تنم عن الطهارة والحنان وفي حضنها
طفل رضيع يشع النور من وجهه رمزا للأمومة والبر والبراءة ، وكان كهانها يطلقون
روءوسهم في الغرب محاكاة للكهنة المصريين وكان لها بينهم عابدون وعابدات يسمونها
حامية البيت والأسرة ، ومن ثم شيوع عبادتها بين الرومان الذين اشتهروا بتقاليد
الأسرة وتقديس حقوق الاباء ولا شك أن المراسم السرية التي تلازم نحلة إيزيس كان لها
أثرها في تشويق الناس . . .) (٣)

أليس في هذا الوصف ما يشابه الى حد كبير تلك الصور التي يتخذها
السيحيون للعذراء وطفلها يسوع بين ذراعيها ، وما يطلقون عليها من القباب
التقديس ما يفيد انها حامية للبلد الفلاني او القرية الفلانية ٢٢ .

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ص ٢٠

٢ - المصدر السابق

٣ - حياة المسيح ، العقاد : ١١ / ٢٦٥-٢٦٦

الفصل الرابع : اثر الرهينة في الفلسفة اليونانية :

أخذت الفلسفة اليونانية حيزا كبيرا من كتابات العلماء وأبحاثهم، ذلك لان جاذبية الفلسفة اليونانية طغت على هذه الكتابات مما أثر على الابحاث المتعلقة بالدين .

فقد اتسعت آفاق الفلسفة وامتدت أفكارها لتشمل جل المعارف المتعلقة بالفكر ، والعقيدة ، والأخلاق ، وما وراء الطبيعة ، وقد أسست على أثرها المدارس المختلفة .

وبهنا في هذا الصدد أن نعرف عن هذه الفلسفة ما يتعلق بموضوعنا الاساسي ومدى علاقة الرهينة اليونانية والزهد بها .

وقبل ذلك لا بد من الرجوع قليلا الى الورا* لكشف بذور هذه الفلسفة وجذورها .

فقد مر بنا في السابق ان اللقاء الحضارى بين اليونان والشرق القديم وعلى الخصوص " مصر " قد اسفر عن نتائج هامة بالنسبة للمعرفة والثقافة اليونانية. وما يجب التنبيه إليه أيضا أن ما أخذته اليونانيون عن مصر (لم يقتصر على ما كان يدون في الكتب ، بل هناك تعاليم شفوية يغضي بها الكهنة الى خلصائهم بعد أخذ الميثاق عليهم بعدم إفشائها لأنها من الأسرار المحفوظة التي لا يليق بالعامه أن يعلموها . ومن الحكماء اليونانيين الذين زاروا مصر طلابا : فيثاغورس وديمقراطيس ، وانكسندر ، وفريسنس ، وافلاطون . أولئك تربوا في معابد المصريين ونهلوا من حكمتهم ثم كتب لهم أن يسموا بالفلاسفة فيما بعد) (١)

وعليه فيمكن القول بان الشرق له أثر فعال في الشعراء والفكرين بل يمكن القول أيضا ان التعاليم الشرقية هي التي (وجهت الفلسفة وجهتها العقلية الروحية على ايدى فيثاغورس وسقراط وافلاطون . وسنجد عندهم عقائدها وتعاليمها كأصول يحاولون ترجمتها الى قضايا عقلية ثم البرهنة عليها . ولما اشتد اختلاط اليونان بالشرقيين شعر فلاسفتهم بالحاجة الى دين فعادوا الى " الاسرار " يشرحون اقوالها بل يصطنعون شعائرها وينسجون على منوالها) .

١ - دراسات فلسفية وأخلاقية : ١١٢-١١٣

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨

هذه المبادئ والتعاليم اصبحت فيما بعد محور الفلسفة وروحها .
لقد قعد الفلاسفة هذه المبادئ ووضعوا لها الأطر والقوالب المناسبة
للتغيير الاجتماعي والسياسي ، وللتطور الذي رافق الحياة اليونانية آنذاك .
وفي اقوال الفلاسفة الأول ما يشهد على ذلك فسقراط " الاب الاول " للفلسفة
اليونانية انصبت معظم توجيهاته وتعاليمه حول النفس البشرية ومعالجتها .
ولقد لجأ الى القواعد المنطقية المستندة الى الدين والأخلاق اليونانية ضد
التيارات المعارضة والمهادفة الى التشكيك في القيم والمبادئ ، وهو ما قام به
السوفسطائيون وغيرهم ، فحاول أن يوقف هذا التدهور الخلقي الذي وصل اليه
الشباب اليوناني .

ولهذا كانت توجيهاته وتعاليمه تهتم بالنفس والسلوك .
وانحصرت الفلسفة عنده في دائرة الاخلاق ، باعتبارها أهم ما يفيد الانسان
" فمن مبادئه " (أن الانسان روح وعقل يسيطر على الحس ويديره ، والقوانين العادلة
صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحققة ، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمتها
الآلهة في قلوب البشر . فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الالهي
وقد يحتال البعض في مخالفتها بحيث لا يناله اذى في هذه الدنيا ولكنه مأخوذ
بالقصاص العدل لا محالة في الحياة المقبلة ، والانسان يريد الخير دائماً ، ويهرب
من الشر بالضرورة فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو انسان اراده حتماً ، اما
الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره ، ولا يعقل انه يرتكب الشر عمداً ، وعلى ذلك فالفضيلة
علم والرديلة جهل . (١)

ولهذا كان غرض سقراط تنبيه الناس الى وجوب التحلي بالقواعد الخلقية
لمجابهة خصومه ، ولنبذ الخرافات والشعوذة التي كان الكهنة يمارسونها أمام أعين
الشعب . وربط تكون هذه التعاليم هي احدى اسباب الحكم عليه بالموت .
فمثلاً (لما سمع عن نبوءة كاهن دلفي وأنه " أحكم الناس " . . . تسائل مستنكراً :
كيف يمكن أن يكون حكيماً وهذه صفة موقوفة على الآلهة ؟) (٢)
وصحيح أن سقراط لم ينفس في حمأة الاهداف الكهنوتية إلا أن المسحة
التقشفية التي التزم بها الرهبان تبرز عنده من خلال فلسفته المتعلقة بالنفس
البشرية ، خاصة حينما اعتبر أن الحياة مسرح مليء بالآلام لا يتخلص منه الانسان
الا بالموت فقد خاطب صديقه " كريتسو " عند موته قائلاً :

١ - سقراط (٤٦٩ - ٣٩٩ ق م) فيلسوف يوناني شهير وجه البحث الفلسفي الى
الانسان ، وكان قبله موجهاً الى العالم والجرام السماوية ، ولذلك قيل انه استنزل
الفلسفة من السماء الى الارض ، وبعد سقراط مؤسس علم الاخلاق لأنه أول من حاول
ان يبين معاملات الناس على اساس علمي (مبادئ الفلسفة ، ا.س. رابويرت

ت : احمد امين ص ٢١٧ دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٩ م

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٣

" يا كريستولان طي ديناً وهو (ديك) لاسلكبيوس فلاتنس أن ترد
عني هذا الدين " . ويقول البعض إن اسلكبيوس المقصود هنا هو رب الشفا^١
(المعادل لا منحوتب عند المصريين وبالتالي فإن مقصد سقراط هو أن يقدم
قربانا لرب الشفا^٢ . لأنه شفاه من الأم الحياة) . (١)

وسأتي وصف سقراط على لسان تلميذه واكبر مردييه أفلاطون موضحا
زهد أستاذة واعراضه عن الطذات فيقول :-

(. . . كان طول حياته معرضاً عن متاع الدنيا ، هائماً بالجمال الآسدياً
إليه وكان يشتد به الهيام فيغيب عن العالم المحسوس ويستغرق في التأمل حتى يمكث
واقفاً بلا حراك ساعات متوالية بل يوماً بليلاً ، ثم أنظر إليه في سجنه وقد دنا أجله ،
ليس يكفي القول في وصف حاله انه لا يخشى الموت أو انه ينتظره بشجاعة فهو مغتبط
به أشد اغتباط ، هو يعلم أننا ملك الالهة وأن الانتحار انتقاص على ارادتهم ولكنه
يرحب بالموت يأتي على يد غيره ، لان الفيلسوف يحس الشوق الى الالهيات ويحس ثقل
الجسم يعوقه عن اللحاق بها ، فالموت خلاص النفس ، وبداية حياة جديدة مع الالهة
والفيلسوف الحق يجتهد ساعة فساعة أن يعيش هذه الدنيا العيشة الروحية التي
يشتهيها وأن يتعجل الحياة الأخرى بممارسة العفة بمعناها الاسمي وهو الرغبة عن
اللذة والتجرد عن الجسم والمران على الموت فيلبي جسمه ويصفيه من المادة بقدر
الاستطاعة ، لانه يعلم ان سعادته في التشبه بالله .)^٢

هذه الاشارات كفيلة باجتذاب الحنادين بالسلك الرهباني ، وصحيح
ان سقراط لم يؤسس تنظيم رهبانيا الا ان آراءه الفلسفية وعبارات تلميذه
عنه توحى بأن نمطا من الحياة المتقشفية كان يلزم سقراط في عيشته ، كما يذكرنا
وصف افلاطون لاستاذة بأحوال التقشف والزهد الرهباني الذي مارسه الرهبان
المسيحيون ، بل يمكن اعتبار هذا المنحى هو من الجادى^٣ الاساسية لنظرياتهم
وقواعدهم التأملية والفكرية ، والتي سنشهد طرقا منها في أبواب قادمة إن شاء
الله تعالى .

غير أن هذه الآراء^٤ كان لها أكبر الأثر في تلاميذه من بعده ونعني به
على وجه الخصوص " افلاطون " الذي اعتبر أمينا على الإرث الفلسفي الذي تركه
سقراط . . .

١ - الاغريق تاريخ وحضارتهم ص ٢٩٩

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٩٨-٩٩

١ - آراء افلاطون (١)

تعددت آراء افلاطون الفلسفية ، فشلت ، الدين ، السياسة ، والاخلاق
ويمكن اعتبار ما كتبه في محاوراته والمسماة " بالجمهورية " خلاصة آرائه حول
الامور السابقة .

ففي كتابه هذا يوضح افكاره السياسية ، وقد عالج فيه تصويره لما ينبغي ان تكون
عليه الدولة مرتبه وفق نظام هرمي وقد خرج بنظرية المدينة الفاضلة او السعيدة بعد
تحليل لعناصر الدولة المنشودة . وقد بناها على الفكرة الدينية التي هي قوام الاخلاق
(واساس التنظيم الاجتماعي ولولاها لما كان للحياة نظام ولا كان للعقاب والثواب معنى
(على حسب ما يذهب اليه) ، ان الفكرة الدينية أساس النظام في المدينة السعيدة
وهي الهدف الاسمي الذي يرمي اليه افلاطون في كتابه الجمهورية لذلك نجد ، يقول
للشبان : ان الامة لا تكون قوية الا اذا آمنت بالله يعزى القلوب الجريحة يشجع العزائم
الخائرة . وان تقسيم الدولة بين الفلاسفة والمحاربين والعمال أمر مقدّر من الله (٢) .
كما عالج القضايا المتعلقة بالنفس البشرية من خلال نظريتي الكهف والعربة (٣) (٤)

- ١ - ولد حوالي (٤٢٧-٣٤٧ ق م) الفيلسوف المعروف ، ابن اريستون وبركتيوني
ولد في اثينا وعاش فيها معظم سني حياته التي بلغت الثمانين ، ومع انه اشتهر بالسياسة
في البدء بفضل أسرته واهتماماته بها ، فقد كرس معظم حياته في الوقف للدرس والتعليم
(٥٥) : الوجود الالهي ، . . . في تاريخ المذاهب الفلسفية ، سانتلانا .
تحقيق د . عصام الدين محمد علي ، هامش ص ٢٨ ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ، ط ١
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٢ - من افلاطون الى ابن سينا : د . جيل صليبا ص ٣٣ ، دار الاندلس ١٤٠١
- ١٩٨١ - بيروت .
- ٣ - (لقد شبه افلاطون حياة الناس في هذا العالم بحياة سجناء كهف مظلم ألفوا
ظلامه ، وقنعوا بالضوء الخافت الذي يتسرب من كوة صغيرة ، عاكسا ظلالا متحركة ، يحسبها
السجناء أشخاصا أو كائنات ، وشتان بين هؤلاء وبين من ينطلق في الفضاء الفسيح ،
حيث الشمس المشرقة وحيث الحقائق السافرة ، ان الفيلسوف وحده هو الانسان الذي
استطاع ان يخرج من كهفه . وان يبصر الاشياء كما هي ، ولذا كانت اسطورة الكهف تعبيرا
فنيا رمزيا عن المعرفة الحقة في نظر افلاطون) . . . : دراسات فلسفية واخلاقية
ص ١٤٥ وانظر كذلك : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٧٤
- ٤ - هذه النظرية في رأيه تعبير عن الفضائل الثلاثة التي تدبر (قوى النفس الثلاث :
الحكمة فضيلة العقل - تكلمه بالحق - والعفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الا هو -
فتترك النفس هادئة والعقل هرا - ويتوسط هذين الطرفين الشجاعة وهي فضيلة القوة
الغضبية تساعد العقل على الشهوانية فتقاوم اغراء اللذة ومخافة الألم) تاريخ
الفلسفة اليونانية ص ٩٥

وقد ركز افلاطون فلسفته على الجمال واتخذ من هذه الدراسات وسيلة للوصول الى نظرية المثل (١) .

ومن خلال النظريات الثلاث نستطيع ادراك أهمية الزهد والتعشق بالنسبة له . فنظرية الكهف ترمز للسجن العام الذي يفرضه البدن على النفس كلما كانت خاضعة لـ رغباته وميوله . فإذا ما تحررت وارتقت عن الرغبات والسيول استطاعت أن تتخلص من البدن نهائيا واستطاعت أن تُحصِّل المعرفة اليقينية . وهذه هي النقطة التي تلمس فيها نوعا من الزهد والرهبة ، وذلك لقهر البدن والصمود أمام رغباته .

أما نظرية العربة فتظهر فيها علية التوازن ، والتي يعطي فيها القيادة للعقل الذي يوازن بين القوة الغضبية والقوة الشهوانية ، فلو تركت النفس تحت رحمة القوة الشهوانية لدمرت النفس بخضوعها التام للبدن - ولو خضعت للقوة الغضبية لدمرت النفس أيضا ولو أعطيت القيادة للعقل لنجت النفس واستقامت وصلح امرها لان العقل هو الذي يعطي التوازن والانسجام بين القوتين الاخيرتين .

والنظريتان : أدتا الى بذور الزهد وقهر البدن والتخفف من مطالبه وشهواته وهذه من المبادئ الاولى التي تبنتها الرهبانية المسيحية .

وتتضح آراء افلاطون في فلسفة النفس والعلم من خلال ما يراه بالنسبة لمعرفة النفس ، فيذهب الى (أن النفس لا تطلع على المعرفة بواسطة الاحساس بل تتذكر علمها الأبدى الذي كان لها قبل أن تتصل بالجسد ، لقد كانت النفس في السطاس تسيطر مع الآلهة وراء مركبة جويتر ، إن العالم العقلي وظيفتها الحقيقية ، إنها لسبب ما أعرضت عن تأمل المعقولات فأضاعت أجنحتها وهبطت إلى الأرض وجاورت خراب الجسد ونسيت ما كانت تعلمه من حقائق الأشياء يوم كانت في السطاس فالعلم إن كان هو تذكر النفس لما نسيت من الحقائق أو هو صعود من العالم المحسوس الى العالم المعقول ولا يستطيع المرء أن يرتقي من الحوادث إلى علمها أو من الإحساس إلى الصورة إلا إذا كان مؤيدا

١ - هي نظرية عقلية تذهب الى : وجود عالم مواز لوجود هذا العلم كنتيجة منطقية للبدء القائل : الخير والحق والجمال لا يخرج منها الا نظائرها وامثالها أي : الخير والحق والجمال . فهو يقول مثلا : (ما من شيء في هذا العالم ، إلا وله في العالم العقلي معنى يقابله ، هو عاود وجوده ومنبع حياته ، وأصل حركاته ، وموضوع علمنا به .

فالإنسان مثلا ، والحيوان والنبات وكل ما ثبت نوعه واستقر وجوده بخلاف الامور الطارئة ، له في العالم العلوي مثال بسيط جرد عن القشور الحادية والطوارئ الحسية . . .)

الوجود الالهي . . . في تاريخ المذاهب الفلسفية (سانتلانا) ص ٦٨

النفس بشدة الصفا . ان ادراك الحقائق الخالدة ليس بالامر السهل لان الناس تعودوا في كهف الحياة ان يذكروا الظلال ويعرضوا عن أسبابها الحقيقية (١)

ويركز افلاطون اهتمامه على النفس من حيث هي قوة هائلة ينبغي الانتباه اليها وظائفها ، ويحذر مما قد يسبب في ابطال هذه الوظيفة : (إن الجسد سجن للنفس لذلك فانه يجب على جميع الجهود أن تكون بعيدة عن السعي الى الارتفاع بواسطة العالم المحسوس . أن تتجه الى التخلي عن هذا العالم) (٢)

هذا ما استطاع افلاطون أن يقدمه من اراء الى الزهاد والنسك فيما بعد والذين نهلوا هذه العبادي ووضعوها نصب اعينهم .

الا ان الاخطاء الاكثر اثارا تلك التي تتعلق بمسألة شيوعية المال والنساء على اعتبار أن نظام الاسرة يفغى الانانية في نظره وأن الحل الوحيد لكسب ولاء الناس جميعا للوطن هو تخريج جيل من الاطفال لا ينتسبون الى أب وأم معينة وانما ينتسبون الى الدولة التي تربيتهم وتحدد تخصصهم . وكذلك المال ملك مشاع بين الناس جميعا يمكن لاي انسان ان ياخذ منه ما يريد . وهذا بلا شك يؤدى الى عكس ما اراده افلاطون وهو انهيار المجتمع وشمول الفوضى .

وليس في نهاية المطاف من القول إن مقولات افلاطون الفلسفية واراؤه المنطقية لم تأت من فراغ ، فالى جانب تأثيرات استاذ سقراط جاء الجانب المصرى الذى أضفى على هذه المعارف صبغة شرقية بلون صوفي . فالمعارف الكهنوتية المصرية أثرت الى حد بعيد في أفكار افلاطون ، فمن خلال تجواله وترحاله في طلب المعرفة (سافر الى مصر وهو يذكرها في غير ما موضع من كتبه ولا سيما (الجمهورية) و (القوانين) ذكر من عرفها معرفة شخصية وانتهاز الفرصة فذهب الى قورينا لزيارة عالمها الرياضي تيودوروس ودرسته وطاف الى مصر ف قضى زمنا في عين شمس واتصل بـ درستها الكهنوتية واخذ بنصيب من الفلك ولا بد ان يكون استفاد ايضا بملاحظة الديانة والحكم والاخلاق والتقاليد فان في مؤلفاته الشواهد العديدة على ذلك (٣)

١ - من افلاطون الى ابن سينا ص ٢٦-٢٧

٢ - المذاهب الكبرى في التاريخ : ٨٨

٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ص ٦٣ . ويلاحظ ان هذه الفلسفة التي ظهرت على يديه قد صبغت الفلسفة (عامة) بطابعها الخاص ووضعت لها النظام والمنهج المنطقي حتى بدت على ما هي عليه الآن ثم عادت مصر تنتفع بها في مدارس الاسكندرية وان كانت قد مزجت بالدين في صورة ما يسمى بالافلاطونية المحدثة مثلا (دراسات فلسفية واخلاقية ص ١١٣ وقصة الحضارة ١/٣ : ٢٤٦ ط ٢ ١٩٥٧ م

واذاً هذا الحشد ، فانه لا مندوحة من القول : ان ما تبناه افلاطون من مبادئ فلسفية واخلاقية ونظريات فكرية كانت ماثراً اعجاب الكثير من العلماء والادباء والفلاسفة ورجال الدين المسيحي وعلى الخصوص الذين بهرتهم الفلسفة اليونانية ، خاصة ما تعلق منها بالجانب النفسي والتألمي .

ومن أعجب بذهب افلاطون وسار عليه ، أحد ابرز رجالات هذه الوسط المسيحي وهو " اوغسطين " ، اضافة الى العديد من اباء الكنيسة (١) . فقد ألف اوغسطين (كتاباً اسماه مدينة الله مستوحياً منه فلسفة افلاطون . (٢)

وسيتضح فيما بعد مدى الاثر الذي تركته الفلسفة اليونانية على الفكر الديني المسيحي ، وسنرى مدى التزام الرهبانية بهذا الفكر ، وتطبيقها العملي له .

١ - من افلاطون الى ابن سينا ص ٣١

٢ - : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية . لويس غريدييه . ج . قنواتي

ت : د . الشيخ صبحي الصالح والأب فريد جبر ، دار العلم للملايين ، بيروت

ط ٢ ، ١٩٧٨ .

الباب السادس :

الاسس العقديّة
الرهنية اليهوديّة
والسرد طيهـا

التمهيد :

شغلت الاوساط العلمية المختصة بالاثار والتاريخ في اواسط هذا القرن بثلاثة اسما* لفرقة يهودية تبنت مبدأ الرهبنة في نظامها وهذه الاسما* هي : الاسينيون - الحسيديون - جماعة وادي قمران .

ومن الغريب حقا أن تقوم في الوسط اليهودي الديني فرقة تنادي بالرهينة و تلتزم التزاما كاملا بالعباد* التقشفية والنسكية ، كاي نحلة سابقة عليها مارست الزهد والتبتل . والغرابة تكمن في كيفية اكتشاف هذه الفرقة والملايسات التي رافقت هذا الكشف ، اضافة الى تلك التطورات التي اعقبت عطيات البحث والتنقيب ، ولم نجم عنها من اراء متباينة بين علماء التاريخ والاثار ومقارنة الاديان .

ومن خلال الفصول القادمة سوف نستعرض جميع هذه التطورات لنصل الى الاسس العقدية لهذه الفرقة والعباد* التي نادى بها وعملت من اجلها .

بدايات الكشف :

يتفق العلماء والمؤرخون على وجود فرقة يهودية قديمة مارست عباد* الرهبنة والتقشف في نظام حياتها ، ثم ما لبثت ان انقرضت فيط بعد ، ومع هذا الاتفاق هناك خلاف حول تحديد تاريخ نشأة هذه الفرقة والعصر الذي وجدت فيه ، الى جانب الخلاف حول تحديد اسم هذه الفرقة على وجه القطع . ولهذا نجد هذه التسميات الثلاث تتردد في ابحاث العلماء كل حسب اجتهاده . ولا بد من الاعتراف بان هذه الفرقة لم تكن محسطة انظار العلماء على الاقل قبل عام ١٩٤٧ م ، لان هذا الكشف يعتبر بالنسبة اليهم اهم اكتشاف في مجال مقارنة الاديان في العصر الحديث ، حيث تم التعرف على بعض خبايا التاريخ القديم والذي يعود الى ما قبل الميلاد بحوالي قرن أو قرنين على خلاف بين العلماء .

ويرجع إلهتمام العلماء بهذا الاكتشاف الى تلك المخطوطات التي
عثر عليها عام ١٩٤٧م - ١٣٦٦هـ قرب البحر الميت جنوبي أريحا في وادي قمران
حيث توالت الفرق العلمية والاثريّة للبحث والتنقيب عن اثار تلك المنطقة القديمة .
وتعود القصة إلى أن شابا (في الخامسة عشرة من عمره من عشيرة
عرب التعامرة واسمه (محمد الذيب) قد اشتهر اسمه بعد مرور عامين من عثوره
على المخطوطات عندما تم استجوابه وسجلت معلوماته . وبناءً على كلامه تبين
انه وجد المخطوطات في شهر شباط عام ١٩٤٧م (فبينما كان) يرمى قطيعا
من الاغنام في السفوح الواقعة في البرية التي تشرف على البحر الميت من الغرب
ولما افتقد احدى معزاته اخذ يبحث عنها في تلك الكهوف حتى ظن انها قفزت
داخل كهف فرماها بحجر ليردّها ولكنه سمع تكسيرا وانى فخارية فاثار هذا
الصوت فضله ونادى رفيقا له فهبطا الى الكهف حيث وجدا المخطوطات هناك (١)

وقد تعددت الروايات المتناقلة حول وصول هذه المخطوطات الى علماء
الاثار ، وعلى اثر ما تم اكتشافه قامت بعثات وهيئات علمية ودولية بالبحث والتنقيب
حول تلك المسغرات ومن ثم امتدت الاكتشافات الى خربة قمران والتي كانت
في السابق معسكرا للقمرانيين اصحاب هذه المخطوطات (٢) .

ولم تخل هذه الروايات من روح الاثارة والتشويق لكثرة ما رافقها
من عطيات فحص وتتبع وعرض من قبل العلماء لتحديد تأريخها والتعرف على محتوياتها
كما لم تخل من جرائم السرقة الفردية التي تعرضت لها تلك المخطوطات خاصة
على يد المطران صموئيل (٣) وما تبعها من جرائم اغتصاب على يد سلطات
الاحتلال الصهيوني بعد دخولها القدس عام ١٩٦٧م .
ويتوالي الاكتشافات اخذت المراجع العلمية الغربية تكشف اباحتها
في تلك المنطقة وتكتشف في كل مرة كهوبا ومغارات تحتوى ادراجا نحاسية وجرارا
خزفية تتضمن اعدادا كبيرة من المخطوطات باللغة العبرية والتي اختلف العلماء
بداية في تحديد زمن تأريخها (٤) .

١ - مخطوطات البحر الميت ، محمود العايدى ص ٥٤ ، جمعية عمال المطابع
التعاونية ، عمان ، ١٩٦٧م وراجع في هذا الصدد : التوراة بين الوثنية والتوحيد
سهيل ديب ، ص ٨٥ دار النفائس ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

٢ - راجع الفصل الاول من "مخطوطات البحر الميت" ، للعايدى .

٣ - المرجع السابق ص ٣٣٢ - ٣٥٢ وانظرا ايضا : مخطوطات البحر الميت ،
حسين عمر حمادة ص ١١١ ، دار منارات للنشر ط ١ ، ١٩٨٢ ، عمان الاردن .

وقد اصدر هذا المطران كتابا ساء " كنز قمران ، مدارج البحر الميت " شرح
فيه قصة تلك الادراج ، ودافع فيه عن أعماله التي قام بها .

٤ - مخطوطات البحر الميت ، للعايدى ص ٥٥ - ٧٠

و تكمن قيمة هذه المخطوطات لدى العلماء* تبعاً لما تحتويه من أسفار
للعهد القديم باللغة العبرية الى جانب عدد كبير من المؤلفات التي كتبها جماعة
وادي قمران ، وعقب هذا الحدث اختلفت آراء العلماء* حول الاثر الذي يمكن
ان يحدثه فيما بعد على اكثر من صعيد .

فلقد اثارت تلك المخطوطات العديد من الدوائر العلمية التي ابسدى
كتابها كثيراً من الآراء* والتعليقات حتى بلغت الكتابة حولها الاف المقالات ونشرت
عنها عشرات الكتب ، (١) كما طرحت هذه النصوص الكثير من التساؤلات حول
الضامين العلمية التي تنطوي عليها هذه المخطوطات ، ويمكن اجمالها بالاتي :

- (٢) - اعتبر البعض ان هذه المخطوطات مزيفة ولا تتضمن اي قيمة علمية
بينما ذهب فريق الى انها اصلية وتعود الى طائفة القمريين التي حاولت اظهار
زيف الفرق اليهودية ، كالصدوقيين والغريسيين ، وكشف حقيقتهم . وان هذه
الفرق الضالة قد حرقت التوراة الاصلية ، وان جماعة قمران تؤمن برسول آخر
الزمان الذي سيأتي وتكون علامات النبوة في جسمه (٣) .
- كما اعتبر البعض ان هذه الاكتشافات ما هي الا عمل مضخم يهدف الى
النيل من الحقوق الاسلامية انطلاقاً من استغلال اليهود لهذه النصوص لصلحتهم
الخاصة ولا ثبات احقيتهم بفلسطين كما يزعمون (٤) .
- كما يذهب البعض الآخر الى ان هذه المخطوطات سوف تعيد النظر
في كثير من العقائد المسيحية التي يدعيها النصارى حالياً وانها ستكون ضريبة
موجهة الى اصول النصرانية الوثنية (٥) .
- ويؤكد البعض انه لن يكون هناك اثر كبير في تغيير نصوص العهد
القديم الحالية لشابهة تلك المخطوطات للنصوص الموجودة الان (٦) .

-
- ١ - الموسوعة الاثرية العالمية لمجموعة من العلماء* باشراف ، ليونارد كوتريل ،
ت : د . محمد عبد القادر محمد ، ود . زكي اسكندر ص ٢٥٧ ، الهيئة
الحصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م القاهرة ، وراجع في هذه الصدد : مخطوطات
البحر الميت ، حسين حمادة ص ٧ ، وحياة المسيح للعقاد ٢١٣/١١ ،
 - ٢ - الموسوعة الاثرية العالمية ص ٢٥٨
 - ٣ - محاضرة عن " مخطوطات البحر الميت ، والبحث في اصول النصرانية الاولى "
القاها د . فاروق عبد الله بتاريخ ٢٢ ربيع الاول سنة ١٤٠٦ هـ في جامعة
الملك عبد العزيز بجدة ، كلية الاداب والدراسات الانسانية .
 - ٤ - مخطوطات البحر الميت " حمادة ص ١٣٠
 - ٥ - محاضرة د . فاروق عمر عبد الله .
 - ٦ - الموسوعة الاثرية العالمية ص ٢٦٠

وفي غياب غالبية النصوص المكتشفة ، ونعدها عن ايدي العلماء المسلمين المتخصصين في هذا المجال ، فان الاسئلة لا تكاد تنقطع حول هذه المخطوطات ، وملابساتها ، خاصة اذا علمنا ان قسما كبيرا منها لا يزال رازحا تحت الاحتلال اليهودي في القدس ، . حيث تعكف دائرة يهودية مختصة ، على دراسة محتوى المخطوطات منذ ما يزيد على ثلاثين سنة دون ان تخرج للناس الا النذر القليل من المعلومات ، ولهذا اطلق على هذه اللجنة اسم " الدائرة المسحورة " ^(١) وتوجد مخطوطات في الاردن هي جزء من تلك الاجزاء المكتشفة .

وحيث ان هذا الاكتشاف يعتبر بكرة فانه من المؤكد مضي وقت طويل حتى يتم التوصل الى معرفة ما خفي حتى الان من أمر هذه المخطوطات ومضامينها ، وما الابحاث التي سنتناولها في هذا الموضوع سوى خلاصة لما توصل اليه العلماء حتى الان ، ولا بد من الاشارة الى ان المواضيع التي سيتطرق اليها البحث لا تتعلق الا بما يهم ويتصل بالرهينة اليهودية موضوع الدراسة .

أ : الخلاف حول التسمية :

هناك خلاف واضح بين العلماء حول تسمية اصحاب المخطوطات المكتشفة في وادي قمران ، ومرد الخلاف يعود الى ان (المخطوطات لم تذكر اي اسم لتلك الجماعة) ^(٢)

ولهذا يطلق البعض عليهم اسم (القمرانيين) ^(٣) نسبة الى الوادي الذي نزلوا فيه ، ويطلق اخرون اسم " الاسينييين " ^(٤) على هذه الفرقة ، لان يوسيفوس ^(٥)

- ١ - محاضرة د . فاروق عمر عبد الله .
- ٢ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٧١ ، وراجع ما جاء في هذا الخلاف في ص ٢٨٧ وما بعدها ، في نفس المصدر السابق .
- ٣ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٧٣
- ٤ - (لا يعلم أحد بالضبط المعنى الحقيقي لكلمة (أسيني) فقد تضاربت فسي شرحها الاراء وكلها تستند الى حقيقة تاريخية أو صفة ادبية كانت تلازم جماعة الاسينيين) راجع : " كنز قمران ، مدارج البحر الميت ، الطران اثنا سيوس يشوع صموئيل ص ٢٠٨ ت : القس الفونس شوريز ، نشر ثاوفيلوس جورج صليبيا ، ١٩٨٥ ، لبنان . وقد عد هذا المصدر المعاني التي يمكن ان يكون هذا الاسم قد اشتق منها . ولكنها جميعها تخمينية .
- ٥ - مؤرخ يهودي ولد سنة ٣٧ او ٣٨ م وكانت أسرته من كبار الكهنة وقد اتبع مذهب الفريسيين وسافر الى روما ، وقد كتب عن الفرق اليهودية الثلاثة ومن بينهم الاسينيين راجع في هذا المصدر : مخطوطات البحر الميت " للمعابد ص ٤٧-٤٨ وكنز قمران ص ٢١١

المؤرخ اليهودي أرخ لفرقة يهودية وسماهم "بالاسينيين" ، وربط تكون هذه التسمية طارئة على نحلة جماعة قمران من فرقة يونانية الاصل كانت تسمى بنفس الاسم ، وانها كانت تمارس حياة الرهبنة ابان العهد البطلمي^(١) ، وقد اطلق على هذه الزمرة اليونانية اسم اخر هو "المتنطسون" اي الاطباء .
وبناء عليه فقد اعتبر الاستاذ العقاد ان هؤلاء المتنطسين ربط كانوا اساتذة لجماعة وادي قمران^(٢) . وقد استند في ذلك الى اليهودي فيلسوف^(٣) الذي قال : (ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك فسي الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية ورياضة الروح والجسد واسمهم اليوناني معناه الاساة أو المتنطسون واكثر صوامعهم كانت على مقربة من الاسكندرية حول مرسوط القديمة^(٤) .
والى جانب ذلك هناك من يذهب الى تسميتهم بـ "الحسيديين" اي :^(٥)
الأتقياء^(٦) او المستحسين^(٧) . وقد اعتبر البعض جماعة قمران جزءا من الحسيديين وهي فرقة محاربة كانت كبيرة العدد متشعبة الفروع^(٨) وعنها اخذت تعاليمها^(٩) .

-
- ١ - راجع : اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان ، د . مصطفى كمال عبد العليم ص ٢٨٨ ط ١ مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨ م ومخطوطات البحر الميت "لحمادة" ص ٤١-٤٢
 - ٢ - راجع : حياة المسيح ، عباس محمود العقاد المجموعة الكاملة ٢١٦/١١ دار الكتاب اللبنانية بيروت ط ١ ، ١٩٧٨ .
 - ٣ - فيلون (٢٠ ق م - ٦٠ م) فيلسوف يوناني من اصل يهودي . ولد في الاسكندرية ، اطلق فلسفته المتميزة بفلسفة افلاطون والتوراة فقد اشرت على الاداب المسيحية) : كنز قمران ص ٢١٠
 - ٤ - راجع حياة المسيح ، للعقاد ، ٢٦٦/١١
 - ٥ - الاسفار المقدسة السابقة للاسلام . د . علي عبد الواحد وافي ص ٥٨ وكذلك راجع : الديانات والعقائد ، للمطار ٣٧٣/٢
 - ٦ - دافرة المعارف ، فؤاد افرايم البستاني ٣٧٢/١٢
 - ٧ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٤
 - ٨ - مخطوطات البحر الميت "للعابدي" ص ٢٧٢
 - ٩ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٤

ويؤكد البعض ان هذه الفرقة هي جزء من الغريسيين التي تقف في الوسط بين اليحيين اليهودي المتمثل بالمدوقيين وبين اليسار المتمثل باصحاب يهوذا الجليلي (١).

الا انه من غير الجائز اطلاق اى من هذه التسميات على وجه السقوط وذلك لعدم توفر الادلة الاكيدة على صحة ثبوت اى اسم من التسميات السابقة ، وان الوقت لا يزال مبكرا لمعرفة الاسم الحقيقي لهذه الفرقة على الوجه العلمي الصحيح . ولكن الامر الذى يسترشح له اطلاق لفظ جماعة وادى قمران ، وذلك لثبوت وجودهم في ذلك المكان ، والقمرانيين . كحل مبدئي (٢) .
وانما استعملت لفظة "الاسينيين" في هذا البحث ، فذلك وفقا لما تعارف عليه العلماء حتى الان لا على الوجه القطعي انما من باب التجوز .

ب - الأماكن والأثار المكتشفة :

ظلت الاكتشافات والتنقيبات تتوالى في وادى قمران وما جاوره مدة طويلة كان ختامها عام ١٩٥٦ (٣) حيث تم اكتشاف المغارة الحادية عشرة ، والاخيرة والى جانب الاحد عشر كهفا التي اكتشفت محتوياتها تم الكشف ايضا عن كهف المربعات التي تبعد ١٥ كلم عن الأماكن المكتشفة الاولى وكذلك امكن التعرف على خربة قمران (٥) وهي التي كانت في السابق معسكرا للقمرانيين ، مارسوا فيه حياة العزلة والرهبة بعيدا عن المجتمعات اليهودية الاخرى ، كما امكن التعرف على خربة المرد (٦) ووادى الدالية (٧) .

- ١ - راجع : مخطوطات البحر الميت " للعابدي ص ٢٨٧ ويرى البعض أن رئيس هذه الفرقة والذي اطلق عليه اسم " استاذ الحق " انه هو السيد المسيح عليه السلام . راجع : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٩٧
الا ان صاحب هذا المرجع يذهب الى ان ذلك من باب الافتراض فقط دون الجزم وذلك لاختلاف التاريخ بين " استاذ الحق " وبين المسيح عليه السلام . راجع ص ٩٠ منه
- ٢ - وقد ذهب الى هذا الراى د . فاروق عمر عبد الله في محاضراته عن هذا الموضوع
- ٣ - انظر : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ص ٨٦
- ٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ١١١
- ٥ - المرجع السابق ص ١٢٥
- ٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢ / ٣٢٠
- ٧ - مخطوطات البحر الميت " لحادة " ص ٢٢

وجميع هذه الامكنة عشر فيها على اثار عينية تراوحت بين جرار خزفية كانت تحتوى على تلك المخطوطات المشار اليها ، والى جانب ذلك عشر على قطع نقدية معدنية بلغت حوالي ٥٠٠ قطعة أمثالت الباحثين ببعض التواريخ التي يمكن ان تعود اليها أزمدة تلك المخطوطات أو زمن وجود جماعة وادى قمران ، وهذه القطع لها تتابع زمني متصل تقريبا لحوالي ٢٠٠ سنة ويصل تاريخ ثلاث منها الى عهد الملك هيرودس (٢).

ج - المخطوطات المكتشفة :

المخطوطات المكتشفة هي بلغات متعددة منها العبرية القديمة المعروفة باسم (*PALEO HEBREW*) وعبرية أحدث واليونانية والارامية والنبطية . (٣)

ويمكن تقسيمها الى قسمين :

- قسم يختص بأسفار العهد القديم

- وقسم يختص بكتب جماعة وادى قمران نفسها ألفها علماءهم ورؤسائهم أما القسم الاول :

- فقد إشتل على الاسفار التالية : سفر اشعيا ، وضم اكبر وا قدم مخطوط
بما في ذلك الجزء الموجود في الجامعة العبرية (٤)
- سفر تثنية الاشتراع - نص لسفر ايوب بالارامية (٦)
- مزامير التسابيح والشكران الموجودة في القطع الاربع المتفرقة . (٧)
- تفسير لسفر حيقوق والتعليق عليه . (٨)
- سفر لا ملك (٩) - كتاب (أوسفر) اللاويين (١١)
- ومن هذه الاسفار ايضا " ميخا ، ونحوم ، ودانيال وعاموس والخروج (١٢)
وصموئيل ، وهذه الاربعة الاخيرة هي مقاطع منسوخة فقط .

- ١ - انظر : العرب واليهود في التاريخ . د . أحمد سوسة ص ٢٧٧ ، العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ، ١٩٧٥ .
- ٢ - الموسوعة الاثرية العالمية ص ٢٥٨ ، الا أن البستاني يوصل هذه القطع الى خمسمائة وخمسين قطعة ، سكتها مدينة صور الفينيقية في منتصف القرن الثاني فالفقرن الاول قبل الميلاد وكانت قد دغنت في جرار ثلاث بعضها من البيرونز يحمل اسم هركانس الاول ابن سمان واسم ابنه الاسكندر ابن يونان والقليل جا باسم هركانس الثاني وهيرودس الاكبر وقد ابرز المصدر نفسه بعض الصور لهذه النقود راجع : دائرة فؤاد افرام البستاني ٣٧٨/١٢
- ٣ - التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديسب . ص ٨٣
- ٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٧١
- ٥ - الموسوعة الاثرية العالمية ٢٥٩ ٦ - العرب واليهود في التاريخ ص ٢٧٧
- ٧ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدى ص ٧١ ٨ - دائرة فؤاد البستاني ٣٧١/١٢
- ٩ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٧١ ١٠ - المرجع السابق ص ٨٠
- ١١ - العرب واليهود في التاريخ ص ٢٧٧ ١٢ - دائرة فؤاد البستاني ٣٧١/١٢

ويذهب البعض الى القول انه بالاستطاعة جمع /توراة كاملة من مخطوطات هذه الكهوف باستثناء سفر استير وميزتها انها وردت بلغتها الاصلية مترجمة عن اليونانية كالتي بين ايدينا وانها اقدم منها بالف سنة (٢٠) . (١)

كما ان هذه الكتب تحبذ القراءة السبعينية اكثر من القراءة الماسورية (٢) (Massoritic) (٣)

ولا شك ان هناك سאלغة في هذا الموضوع ، طمأ بان هذه السائل بحاجة الى وقت " ان لا تزال امام الباحثين كمية هائلة من العمل لوصول القطع بعضها ببعض وترجمة نصوصها الصعبة وهذه العملية بحاجة الى جهود كبيرة اضافة الى الامكانات الضخمة . (٥) .

اما القسم الاخر من هذه المخطوطات فهو يشتمل على كتب خاصة بجماعة وادي قمران واهمها :

- قانون الجماعة (٦) او كتاب النظام - الشواهد (٧)
- وثيقة دمشق (٨) - التقويم (٩)
- قانون الاخلاق (١٠) - الابراج (١١)
- الترانيم (١٢) - كتب التفسير (١٣)
- الطحمة او " قانون الحرب او حرب ابنا النور وابنا الظلام (١٤)
- جدول الكنوز . (١٥)

-
- ١ - مخطوطات العايدى ص ١٣٦ والموسوعة الاثرية ص ٢٥٩
 - ٢ - الموسوعة الاثرية ص ٢٥٩ والقراءة السبعينية قد اشتهرت "بالترجمة السبعينية" (Version de, Septante) وهي التي تمت في سنتي ٢٨٢-٢٨٣ ق م على أيدي اثنين وسبعين حبراً من يهود مصر بامر بطليموس فيلادلف . راجع الاسفار المقدسة ، د . الوافي ص ١٨ وراجع كذلك : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٨٣
 - ٣ - نصوص الاسفار السورة (او الماسورية) اى المضبوطة بالشكل العبرى المعروف راجع ، مخطوطات البحر الميت " لحماة ص ٣٦ ، وللمزيد يراجع : مخطوطات البحر الميت " للعايدى ص ٧٠ و ٢٢٠ وما بعدها .
 - ٤ - الموسوعة الاثرية ص ٢٥٩
 - ٥ - طمأ بان كثيراً من القطع هذه ليس من السهل وصلها ، وربط بحاجة الى الاتخاصة لهذا العمل .
 - ٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٠/١٢ - ٣٧١ ومخطوطات البحر الميت " للعايدى ص ٧١
 - ٧ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٠/١٢ - ٣٧١
 - ٨ - // المرجع السابق . ٩ - المرجع السابق
 - ١٠ - المرجع السابق ١١ - المرجع السابق
 - ١٢ - المرجع السابق ١٣ - المرجع السابق ومخطوطات " للعايدى ص ٧١
 - ١٤ - المرجع السابق ومخطوطات " للعايدى ص ٧١
 - ١٥ - المرجع السابق ٣٧٠/١٢ - ٣٧١

د - محاولات للتعرف على تاريخ القمranيين وهويتهم :

حاول العديد من طما* مقارنة الاديان استقرا* تاريخ فلسطين القديم ومراجعة النصوص الواردة في المخطوطات التابعة للقمranيين وذلك لمقابلتها بالاحداث التي جرت ايان تلك الحقب ، ومن ثم البحث عن ابرز الشخصيات التي دارت حولها تلك النصوص ، تمهيدا للتعرف على الزمن الحقيقي لنشأة هذه الفرقة وأسباب وجودها بين اليهود .

ويلاحظ أن كتابات الباحثين في هذا الصدد قد أصيبت بالحيرة والاضطراب لصعوبة الخوض في هذا الموضوع الشائك ، وتكمن الحيرة في الالتباس الحاصل في تحديد الفترة الزمنية لوجود هذه الجماعة ، إذ أن الحروب والمنازعات الداخلية والخارجية ما فتئت تتواصل إيان تلك العصور ، وقد إنعكست سلبا على أوضاع القمranيين ، مما تسبب في ضياع الكثير من أخبارهم وتواريخهم الخاصة بهم .

يضاف إلى ذلك أن النصوص لم توضح تاريخ الأحداث التي مربها القمranيون ، كما غابت اسما* الشخصيات البارزة فيهم والتي تصدرت الزمامة أو الرئاسة .

وقد ازدادت الحيرة حينما أوردت هذه النصوص عبارات وإشارات عامة غير محددة من الممكن جداً إلصاقها بأي عصر من العصور التي وجد فيها اليهود في الماضي ، كما أن الشخصيات الواردة ذكرها توافق العديد من أوصاف كثير من الحكام الذين تولوا زمام السلطة في فلسطين القديمة قبيل الميلاد .

وكما هو معروف فإن الحكام اليونانيين والرومانيين قد تتابعوا على حكم هذه المنطقة ، وانهم كانوا ينسبون عنهم حكما وكهانا محليين لإدارة مناطق النفوذ .

ومن امثلة ما اوردته نصوص المخطوطات من اسما* ، مثلا : اسم

" معلم الصدق " او " معلم العدل " وكذلك اسم " معلم الكذب "

او " الكاهن الكاذب " او " الكاهن الراسع "

لقد حاول بعض العلماء^(١) إطلاق الصفات الخاصة بمعلم الكذب على الكاهن اليهودي "يشوع طوبيا" الذي سمي نفسه "ياسون"^(٢) وقد عين من قبل خليفة الاسكندر انتيوخس^(٣) الذي جرت في عهده مذابح واضطرابات عنيفة خلفت وراءها آلاف القتلى من اليهود ، وكان ذلك في سنة ١٧٠ ق م . (٤)

وهذا الرأي يستند الى ما جاء في المخطوط السامي بشرح حيقوق حيث ورد فيه بعض صفات هذا الكاهن وذلك على النحو التالي (لقد امتلاء بالفضيحة بدل المجد -) اي ان كاهن الشر لم يظهر قلبه بل سار في طريق السكر لكي يطفئ ظمأه ... وفي نص اخر: (يستصدم المدينة)^(٥) ...

وهناك من يرى ان كاهن الشر كان يعيش حياة فاسقة ويعكف على الشراب وينغمس في الظلم والتعسف اشارة الى العبارات التالية (وكأس يمين الرب تدور اليك وفي الفضيحة يغمس مجد هم)^(٦) . ويورد هذا المصدر ما يفيد ان الاوصاف والاشارات هذه تتشابه الى حد كبير مع عهد آخر وشخصيات مختلفة . ومن ذلك ان الكاهن الشرير ممكن الاستدلال عليه من اوصاف سيمس الذي عين كاهنا على اليهود من قبل انتيوخس الخامس ولد انتيوخس الاول وان سيمس هذا انقلب على الحسيدي المتسكين بالدين واضطهدهم وقتل ستين رجلا منهم وسلب كنوز الهيكل ولم يبسال باصوات الاستنكار اليهودي لانه كان مدعوما من القائد السوري بكداش ، وظهر هنا ان بيت طوبيا قد استقموا من الحسيد الذين انسحبوا من الثورة المكابية فجاء بكداش القائد الى القدس وامر ببناء مدينة الظلام بالدماء واسكنها رعية الباطل . وهنا

١ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدي " ص ١٨٢

٢ - هو كاهن يهودي وهو ابن سيمان الثاني (١٧٥-١٧١ ق م) استغل نفوذه لاشاعة الروح اليونانية بين اليهود (٢ طوك ٤ : ٧-٢٦) ، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٤٥ .

٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ١٨٢-١٨٣

٤ - راجع مختصر تاريخ سوريا ، المطران يوسف الدبس ١٤٢/١-١٤٣ ط ٢ ١٩٨٤ بيروت .

٥ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ١٨٠

٦ - المصدر السابق .

قال بعض العلماء ان سيمس هو الكاهن الشرير وان بكداش هو داعية الكذب^(٢) . كما يذهب نفس المصدر^(١) أن الكاهن الشرير تنطبق أوصافه أيضا على اسكندر هركانوس الحكابي لأن هذا الأخير قد أذاق شعبه الهيلات^(٣) . وعلى هذا السؤال يعرض نفس المصدر عدة شخصيات من نهاية العصر الهوناني الى بداية العصر الروماني مرشحة ومؤهلة لقبول أوصاف الكاهن الشرير ، ولكن دون الاستطاعة من تحديد زمن أو اسم هذه الشخصية على وجه القطع للتشابه الحاصل^(٤) .

وفي المقابل فإن أوصاف معلم الحق أو معلم العدل أيضا عامة لا يمكن القطع بأي من الشخصيات هي صاحبة الزعامة او الرئاسة بين القمرانيين ، علما بان هناك من يذهب الى القول بان هذه الصفات تنطبق على المسيح عليه السلام^(٥) ، والذي يسميه الابيونيون (نبي الحق)^(٦) . ولهذا فان خيرا ما يقال في هذه الصدور (ان كل ما بايدنا من مصادر تاريخ اليهود في حكم اليونان والرومان قليل غير موثوق به حتى يمكن ان يقارن مع ما جاء في مخطوطات البحر الميت ويتصل به)^(٧) .

وعلى الرغم من وضوح العبارة وما ترمز اليه من صعوبة الا ان بعض الباحثين^(٨) حشد جميع جهودهم العلمية والتاريخية والدينية لاثبات ان صفات الكاهن الشرير او كما اسماه (الكاهن الرابع)^(٩) اي الكاذب تتحقق في شخصية يوناثان افسوس (١٦٠ - ١٤٢)^(٩) ويحاول باحث اخر تحديد عهده بسنة ٥٠٠ ق.م^(١٠) .

- ١ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ١٨٠
- ٢ - المرجع السابق ، وراجع اعمال القائد بكداش في مختصر تاريخ سوريا ، للدبس ١٥١/١ الذي اورد به باسم بكيديس .
- ٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ١٨٣
- ٤ - لاحظ الصفحات ١٨٤-١٨٥ من المصدر السابق .
- ٥ - المصدر السابق ص ١٨٦
- ٦ - المصدر السابق
- ٧ - المصدر السابق
- ٨ - راجع دائرة فؤاد البستاني ٢٢٥/١٢
- ٩ - راجع ترجمته في قاموس الكتاب المقدس ص ١١٢٥
- ١٠ - المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص ١٤٣ دار الطليعة بيروت ط ١ ١٩٧٩ م .

ويستند البستاني الى عبارات من النصوص المكتشفة والتابعة للقرانيين خاصة
ما جاء في تفسير حيقوق ووثيقة دمشق حيث ورد فيه ما يلي : هو الذي " عرف فسي
اول عهد ، بالامانة والوفاء ولكنه ان حكم اسرائيل زاغ قلبه وتكبر وترك الرب ، وعصى
الناموس بسبب امواله ، فقد نهب وجمع اموال ذوي العنف الذين تمردوا على الرب
كما استولى ايضا على اموال الشعب (١) .

وما جاء في التفسير ايضا (الكفر والجشع والتسلط تلك هي وجه الرئيسية انما
يفوقها الكذب فهو الذي يقطر كذبا ، الذي افسد جمعا كثيرا ، ان بنى بالدم مدينة
الباطل واقام جماعة بالكذب (٢) .

وكذلك قوله (وما انه جاء على معلم الصدق واتباعه اسلمه الرب في ايدي
اعدائه فاذلوه وأوقعوه في انواع الشقاء ، حتى أنهم حياته مريرون لانفسهم عاملا
بالشر أولياء الله) (٣) .

ويستدل البستاني على معلم الصدق بالاوصاف التالية والاشارات التي وردت منسوبة
الى المعلم نفسه (حيث جاء في كتاب الترانيم المخطوط :
(اقسمت الا ارتكب خطيئة في وجهك والا اقترب اثم اياك ، وهكذا ادخلت
في الفة اعضاء جماعتي) (٤) .

وما جاء ايضا (اشكرك يا رب لانك آثرتني واظهرت لي عهدك . . . لقد
انرت بواسطتي الكثيرين واظهرت قوتك التي لا قياس لها ، وعرفتني الى اسرارك التي
لانفاد لها وارادت ان تتمجد بي في تدابيرك التي لا ادراك لها) (٥) .

وبناء على ما تقدم قام البستاني بتقسيم المراحل التي مرت بالقرانيين
وارجع الحوادث الى تواريخها وشخصياتها التي لعبت على مسرح الاحداث وفسق
تفسيره الخاصة واستنتاجاته (٦) .

-
- ١ - من تفسير حيقوق ٨/٨-١٣ ، راجع دائرة فؤاد البستاني ٣٧٤/١٢
 - ٢ - // ١٠/٩-١٣ // //
 - ٣ - // ٩/٩-١٢ // //
 - ٤ - الترانيم ١٤-١٧/١٩ // //
 - ٥ - // ٤/٢٧-٣٠-٥٧ // //
 - ٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٤/١٢

وازا* هذا الاختلاف بين العلماء* حول تحديد الازمنة والشخصيات الستى وجدت في عهد القمranيين ، هناك في المقابل رأى قابل للاخذ والرد والمتشكك بطرح جديد لم يسبق صاحبه اليه من قبل .

فقد كشفت محاضرة د . فاروق عمر عبد الله * ان هذه الجماعة اسست معسكرها في وادى قمران فيما يبدو من دراسة الاثار ما بين سنة ١٤٠ الى سنة ١٢٥ ق . م . ، واستمرت الجماعة فيه حتى النصف الثاني من القرن الميلادى الاول ، اى حوالي سنة ٦٨ الميلادية يعنى قبل تدوير الهيكل الثانى بسنتين ، ولعل بقية منهم أو من غيرهم عادت اليه واقامت فيه حتى سنة ١٣٥ ميلادية أيلم ثورة اليهود الأخيرة على الحكم الرومان الوثنيين التي كانت عاقبتها الفشل التام واجلاء بقية اليهود من القدس وفلسطين وطمس آثار اليهودية فيهما واعادت تسمية القدس من قبل الرومان الوثنيين الى ايليا كابيتولينا ، التسمية التي بقيت معها حتى الفتح الاسلامي العظيم وهو المذكور ايضا اى ايليا في كتب التفسير .

ويبدو ان الرومان هدموا المعسكر وأحرقوه ، وتدل على ذلك علامات الحريق الكبير على بعض اثار الباني ووجود بعض نصال سهام الرومان في انقاض المعسكر . وقد زعم بعض الباحثين بان جماعة النصارى الاولى التي كانت في بيت المقدس تحت رئاسة يعقوب العدل ويطرس ويوحنا والتي انضم اليها غيرهم من الحواريين منذ رفع المسيح الى حولى سنة ٦٤ م . اى ست سنوات قبل تدوير الهيكل الثانى ، كانوا هم ايضا على صلة قوية بجماعة وادى قمران والتشابه بينهما كبير والنظام الجماعى فيما يبدو نفس النظام والاسماء والاصطلاحات المستخدمة نفسها .

واشار بعض الباحثين الى التشابه بين يعقوب العدل نفسه امام النصارى الاول بعد رفع المسيح حسب ما يقول المؤلفون المسيحيون القدماء* والمعلم أو الهادى العدل المذكور في المخطوطات فان يعقوب العدل (كان ايضا من طوائف بني اسرائيل معروفًا بعدالته وتسكبه بالشرع وامانته على التفسير والفتوى واخلاصه في القول والعمل واجتهاداته بالعبادات وتسمى كذلك بالعدل .

وان المؤرخ النصراني القديم هيفيسوبيوس يصف يعقوب العدل ببعض السمات في اللباس والعبادات التي اتصفت بها طائفة الاساة والاسانيين الكتابية التي يزعم معظم الباحثين انهم الطائفة التي كانت في وادى قمران . () ١ .

١ - هذا ما اشارت اليه المحاضرة ، طما بانها سجلة على شرائط تسجيل صوتي . ولم تنشر الى الان .

وعليه فان الحصيللة التي يمكن الخروج منها بعد استعراض الاراء مجتمعة هي ان علماء مقارنة الاديان لم يتفقوا اتفاقا تاما على زمن نشوء هذه الفرقة وانتشارها وان الراى الذى يرتاح له حول تاريخ النشوء هو ما ذهب اليه د. فاروق (١) عمر عبد الله الموافق الى حد ما ما ذهب اليه البستاني في دائرته .

١ - علماء بان المعلومات الواردة في محاضراته قد استقاها من ثلاثة مصادر

غربية هي :

- the DEAD SEE SCROLLS. theader. GASTER.
- the DEAD SEE SCROLLS. in. ENGLISH. VERMES.
- the CRICIBLE OF chRISHianity - Ed. Toymbes.

الفصل الاول

الحاليتين السياسية والدينية في عهد اليونان والرومان

قبل التعرف على الاسس الدينية والعقدية لرهينة جماعة وادي قمران يحسن ايجاز الكلام عن الحالة السياسية والدينية التي رافقت نشأة تلك الفرقة ، للوقوف على بعض الظروف التي اسهمت الى حد كبير في بزوغ هذه النحلة .

اولا : في عهد اليونان

لم يعرف اليهود في فلسطين حياة الاستقرار والهدوء لكثرة الفتن الداخلية من جهة فيما بينهم ، والحروب الخارجية التي اجتاحت الاقاليم الخاضعة للنفوذ اليوناني ، اضافة للنزاع الحاد الذي قام بين خلفاء الاسكندر المقدوني (٣٣٢ ق م) الذي نشب بسبب اطماع كل فريق بما لدى الاخر من تركة هذا الاخير (١)

وقد انعكس هذا الصراع سلبا على اوضاع اليهود السياسية والدينية والاقتصادية على السواء ، وقد كانت فلسطين من ضمن المناطق التي حكمها اليونانيون وكانت طمسقة بسوريا .

والدارس لهذه الحقبة من التاريخ يرى اليهود متأرجحين بين سندان السلوقيين حكام سوريا وبين مطرقة البطالمة حكام مصر (٢)

كما ان احلك الاوضاع السياسية وغيرها بالنسبة لليهود كانت على عهد انطيوخوس الرابع السلوقي (١٧٥-١٦٤ ق م) . ان ضغط هذا الاخير على اليهود لتركوا تقاليدهم وآدابهم وانذر كل من يخالف امره باشد العقوبة ، ووضع لهم حكما عرفوا بشدة بغضهم لليهود فادى ذلك الى ثورتهم بقيادة العاتلة المكابية عام ١٦٧ ق م (٣)

وقبل اندلاع الثورة بقليل كان اليونان قد تمكنوا من جذب زعماء وكهنة يهود الى صفوفهم ، فتم لهم بواسطتهم تأسيس حزب ليوقف في صفهم ، وقد اقام هؤلاء الزعماء (مدرسة وثنية في المدينة المقدسة (القدس) (مكابيين ١٢٠) . وتزلفوا الى انطيوخس (انطيوخوس) ترويجا لمطامعهم وكان من هؤلاء رجل اسمه يشوع فبدله بياسون وهو أخو أنيا رئيس الاحبار صولت له نفسه ان يأخذ الرئاسة من أخيه فوجد انطوكس ببلخ جسيم من المال فقلده الرقاصة (٤)

- ١ - بلادنا فلسطين ، مصطفى مراد الدباغ ، ص ٥٩٥/١-٥٩٦ منشورات دار الطليعة بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م وانظر : الشخصية الاسرائيلية ، د . حسن ظاها ص ٦٧ . دار القلم دمشق ط ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م
- ٢ - الموسوعة الفلسطينية ، العميد عبد الرزاق محمد الاسود ١٣-١٤ ، دار العربية للموسوعات ط ١٩٧٨
- ٣ - بلادنا فلسطين ٥٩٩/١
- ٤ - مختصر تاريخ سوريا ١٤٣/١

وفي هذه الفترة نرى صراعا عنيفا يدور بين زعماء اليهود وكهانهم للوصول الى رئاسة الكهنوت وهو المنصب الديني الذي يدخل صاحبه التحكم في رقاب الناس ، وقد استعمل هؤلاء الكهنة شتى اساليب السرقة والنهب والرشوة للوصول الى مناصبهم .

وقد تمكن ياسون المذكور انفا في نهاية السطاف من مهاجمة " اورشليم " القدس بالف رجل . . . واخذ يذبح اهل وطنه بلاشفقة ولكن تقوى عليه الجمهور فزحف السى اورشليم فاهلك من اهلها ثمانين الفا في ثلاثة ايام وباع منهم كثيرين وانتهب الهيكل وكان ذلك سنة ١٧٠ ق م (مكاف ٤ عدد ٧) (١)

كما قامت بعدها عدة حوادث عنف ذهب خلالها الكثير من اليهود ، والتي تبعتها ثورة اليهود بقيادة متياس الحشموني (او متتيا المكابي) سنة ١٦١ ق م . الذي استطاع شن حملات ناجحة ضد اليونان وتمكن من هزيمتهم وقد وقع المكابيون معاهدة سلام مع اليونانيين عام ١٤٣ ق م (٢)

تولى الحكم في عام (١٦٠-١٤٢ ق م) يونانان الذي يعتقد بعض العلماء انسه هو المقصود (بالكاهن الراسع الكاذب) الذي عذب معلم الحق او معلم الصدق في عهد يونانان تسم اضطهاد جماعة وادي قمران وعلى يد هذا الكاهن . فقد كان (صاحب ثروة طائلة جمعها من اسلاب الحرب ومصادرة الارزاق ، والاموال . . . وقد اغنته الغزوات في مادبا والبقاع وعدد من المقاطعات واسلاب اليهود المتمردين ، وخصه الطك (ديمتريوس ببعض الامتيازات . . . ولما ظهر الاسكندر بالاس في بطلطيس (عكا) سنة ١٥٣ ق م . يناوى ديمتريوس استمال يونانان ونصبه رئيس كهنة سنة ١٥٢ ق م ثم اقامه حاكما عسكريا واداريا على اليهودية وبعد وفاة بالاس نشط قائد تريفون واطن طكا انطيوخوس السادس بن بالاس (١٤٥-١٤٢ ق م ، فزايست هذا الاخير وعين يونانان حاكما على سورية ، ليستعدى المكابيين على منافسة عرش انطاكية ، وهو ديمتريوس الثاني ١٤٥-١٣٨ ق م (٣)

هذه المراحل جعلت يونانان يتحول من زعيم الى متزلف لارباب الدولة السلوقية المتداعية ، لايهمه منها سوى الحفاظ على مركز مرموق فيها ، مما اثار نقمة بعض الكهنة " وابناء التقى " فتحولوا عنه ، ملتحقين بمعلم الصدق الذي نادى بقطع علاقاته مع الجاحدين والطارقين وخونة القسيسية منعزلين في قمران وربما في بر الشام " مدشنيين " منذ تلك الايام نوط من العصيان المدني وتنبه يونانان

١ - مختصر تاريخ سوريا ١٤٣/١

٢ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية د . عبد الوهاب محمد السيرى ص ٣٧ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ١٩٧٤ م مصر .

٣ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٥/١٢

الى مغبة تلك المقاومة السلبية ، فزار قمران محاولا التخفيف من ضغط الجماعة ، ومتوخيا استمالتهم الى موقفه فلم يفلح ، إذ " أن الرب " حفظ اولياءه المختارين ومعلمهم ودفع عدوهم الى يد تريغون ، الذي طمع بدوره بالملك ، فاغتال صنيعة انطيوخوس السادس واحتال على يوناتان فقضى عليه في عكا وعاد به الى انطاكية ، حيث أذاقه مر العذاب ، أملاً في إرغام أخيه سمعان طسي (١٤٣-١٣٤ م ق م) على الانضمام الى معسكره وكان سمعان قد انتقل الى سانددة ديستروبيوس الثاني وان فشلت خطة تريغون أروى نغمته فأعدم أسيره يوناتان سنة ١٤٢ ق م (١) .

وتعتبر الفترة الممتدة ما بين ١٤٣ ق م الى عام ٨٦ ق م من اسوأ الفترات التي شهدتها فلسطين ، وقد عدد المؤرخون المثالب الكثيرة التي اتصفت بها هذه الفترة خاصة في عهد هركانوس الخامس (١٣٥-١٠٤ ق م) الذي اجبر الاديبيين سكان جنوبي الكرمل على التهود بالبطش والقهر .

كما ان ارسطوبولس الاول بن هركانوس (١٠٤-١٠٣ ق م) على الرغم من قصر ملكه الا انه كان ملوفاً بالجرائم الكبيرة فترك أمه تموت جوعاً في السجن ومن حسده قتل احب اخوته اليه ، وسجن الآخرين ، وافظع جرائمه ارغامه هو واخوه اسكندر من بعده سكان الجليل العرب (الايطوريين) . . بعد ان ضم بلادهم الى ملكه على التهود واعتناق اليهودية بعد السيف .

قال المؤرخ (تومبي) *(toymbe)* إن أقدم حاد ث تاريخي معروف من حوادث التعصب الديني هو قيام اليهود المكابيين بقيادة اسكندر جينوس باكرام سكان الجليل من غير اليهود على اعتناق اليهودية وذلك في الربع الاول من القرن الاول قبل الميلاد . (٢)

ومن المثالب ايضا في حكم المكابيين ما نقله الطران يوسف الديس عن يوسفوس المؤرخ قوله (ان الشعب مقت الملك اسكندر ودخل الهيكل في عيد الحطال) فاخذوا يرشقونه بشار الليمون على راسه ويقذفونه بالشتائم فخرج عليهم بحرسه فقتل منهم ستة الاف رجل واخذ لنفسه حرساً من الاجانب سنة ٩٥ ولما أخذ ثورة

١ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٥/١٢

٢ - " بلادنا فلسطين ، للدباغ ٦٠٠/١ "

٣ - بالعبرية عيد " السوكوت " ويبدأ في الخامس عشر من شهر تشرى اليهودي (اكتوبر) ومدته سبعة ايام ومناسبته " التاريخية " هي احيا ذكرى خيمة الشعب التي آوت ابنا اسرائيل في العراء بعد الهجرة فهي تذكرهم بايام التيه .

٤ : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٧٧

اليهود اقبل على محاربة الا جانب فانتصر على جنود ملك العرب وذلك المؤابيين وغيرهم وافترض الجزية عليهم وكمن له اعداؤه في مضيق وزحمة قطار من الابل فلم ينسج الا بشق النفس وقتل كثيرون من رجاله وجراً صابه العرب والمؤابيين على محاربتهم فحاربوه ست سنين وقتل من الفريقين نحو خمسين الفا وفتح مدينة كان العصاة تحصنوا بها وقبض على ثمان مائة رجل اتى بهم الى اورشليم فسقطتهم سنة ٨٦ ق م ولدى تشا على ملوك سورية بالحرب بعضهم مع البعض افتتح مدنا اخرى وعاد الى اورشليم وعكف على الملان ومعاقرة الخمرة فاصيب بحمى الربيع ومات سنة ٧٩ (١)

وهكذا تمثل هذه الفترة التي حكم فيها اليهود المكابيون صورة د موية وحالة من الفوضى السياسية التي خلفت الكثير من التآسي والويلات في فلسطين . كما تعطي انطبعا واقعيا عن الفطرسية اليهودية التي اتسم بها اولئك الحكام اليهود الذين تذرعو بالكهنوت ليحكموا بالحديد والنار ، كما بينت لنا هذه الحقبة ايضا مدى تكالب هؤلاء الزعماء على السلطة وعدم تورعهم عن ارتكاب الجرائم الخلقية والسياسية للوصول الى اطماعهم .

ولهذا لا نستغرب مطلقا سرعة زوال هذا الحكم الذي دام ١٢٩ سنة (٢) وهذه النزاعات التي عصفت بالمجتمع الداخلي كان لها اكبر الاثر في تقويض الاستقلال المزعوم الذي تمكن المكابيون من انتزاعه لفترة جد قصيرة ، ورغم ذلك فانه لم يمد طويلا لقلة عددهم وضعفهم الداخلي الناشئ عن انشغالاتهم وانقساماتهم ، وخصوصا بعد ان شرع الرومان في توسيع سلطتهم وسط ظلهم على البلاد والاقطار فكان ذلك عاملا على زوال الاستقلال المزعوم . (٣)

وهكذا نرى ايضا كيف كانت حالة القمرايين ابان تلك العهد ومن غير الممكن ان تستقر اى فرقة م دامت تعيش في وسط هذه اللجج المستعرة .

١ - مختصر تاريخ سوريا ١٧٢/١-١٧٣

٢ - الموسوعة الفلسطينية ، عبد الرزاق الاسود ، ١٣-١٤

٣ - بلادنا فلسطين ، الدباغ ، ٦٠٠/١

ثانيا - في عهد الرومان

ظهرت روما على المسرح الدولي كأقوى ضارع للامبراطورية اليونانية
الاستداعية ، التي سرعان ما تقوضت دعائمها امام الزحف الروماني الذي كلف حروبا
طاغية مكنت الرومان من التغلب على النفوذ اليوناني بشكل تام .

وفي الشرق استطاع الرومان التغلب على السلوقيين في سوريا وأصبحت
فلسطين تحت حكمهم . ففي سنة ٦٤ ق م . احتل القائد الروماني (بومبي) سوريا
وضمها الى روما وفي السنة التالية (٦٣) ق م دخل اورشليم واخضعها لحاكم
سوريا الروماني .

ولم يكن اليهود في هذا العهد احسن حالا مما كانوا عليه في عهد
الاغريق وكانوا بين مد وجزر على قدر حدة الصراعات التي تنشب بين الزعماء الرومان
على الحكم .

ففي عهد الامبراطور (قيصر) تمتع اليهود بحرية اقامة الشعائر الدينية
وحكم ذاتي (٤٣-٤٩ ق م) و لما اغتيل قيصر سنة ٤٤ ق م حكم (اوكتافيان)
وانطونيوس) اورشليم وعينا حاكما على (يهوذا) والجليل المدعو (هيرودس)
الادومي (١) وذلك سنة ٣٩ ق م وهو الذي قضى على المكابيين وازال حكمهم (٢)
وفي عهد اعيد بناء الهيكل الا ان اليهود كانوا يحقونه لقسوته وشدة تعصبه
في نشر الثقافة اليونانية والرومانية وبناء المعابد للاصنام (٣)

ولما نشب الخلاف والقتال بين (اوكتافيان) و (انطونيوس) سنة ٣٠
ق م . انتصر (اوكتافيان) وتولى الحكم بصفته أول امبراطور روماني وسمي نفسه
اغسطس . (٤)

وبعد مقتل انتياتر والد هيرودس وانتحار اكبر (اخوته) خلى العرش
لهيرودس (وفي سنة ٣٧ ق م . دخل القدس فاتحا بمعونة الرومان وقد تزوج
هيرودس عشرنسا . وكان له ابناء كثيرون واشتد التنافس فيما بينهم على وراثة العرش
وكان القصر مسرح عشرات المؤامرات والفتن واشتركت زوجات الطك واقاربهن في تلك
المؤامرات . هذا الى جانب الضغائن التي حاكها هيرودس ضد اعدائه من يهود

١ - هو الابن الثاني لانتياتر الادومي الاصل وكانت أمه آدومية ايضا لذلك لم يكن
يهوديا من ناحية الجنس مع ان الادوميين كانوا قد رضخوا للمذهب اليهودي بالقوة
سنة ١٢٥ ق م . وكان قيصر قد عين انتياتر حاكما على اليهودية سنة ٤٧ ق م وقسم
مدن فلسطين بين ابناءه الخمسة وكان نصيب هيرودس في الجليل (قاموس
الكتاب المقدس ص ١٠٠٨

٢ - بلادنا فلسطين ١/٦٢٢

٣ - الموسوعة الفلسطينية ١٣-١٤

٤ - المصدر السابق

٥ - راجع موسوعة المقاهيم والمصطلحات

الصهيونية ص ٤٢٥ ، وقد أحب الرومان هيرودس حبا جما لانه ساعد هم على توطيد
حكمهم في البلاد واجتهد في نشر ادابهم وتقاليدهم ومد نيتهم فرضي عنه الامبراطور

اغسطس حتي قيل انه لم يفضل احدا عليه سوى وزيره الاول (بلادنا فلسطين ١/٦٢٣

البلاد ، وضد خصومه من حكام الرومان . (١)

فقد كان الملك المذكور قاسي القلب عديم الشفقة يسعى وراء مصلحته ولا يتراجع مهما كانت الخسائر ، ولم يكن يهتم للحقيقة ولا يهتم بصراخ المظلومين واشتهر بكثرة الحيل وقتل عدة زوجات وابناء واقارب خوفا من مؤامراتهم ، غير انه بنى اماكن كثيرة في فلسطين . (٢)

هذه النظرة القاتمة التي سادت عهد هذا الحاكم مرهونة بعدة اعتبارات منها : ان هذا الاخير لم يكن يهوديا بحسب المفهوم اليهودي لانه من ام آدومية اى عربية الاصل وهو ما يتعارض مع الشروط التي يضعها اليهود لقبول اى شخص في ديانتهم ولهذا نرى السخط الذى يحمله اليهود على هذا الحاكم ووصفه بابشع الصفات . كما تورد روايات اهل المكتاب ان هذا الحاكم قد امر بقتل جميع الاطفال في بيت لحم زمن مولد المسيح عليه السلام (٣) وذلك حتى لا ينجوا ابن داود ولا يملك على اليهود ويتربع على عرشه (٤) . ولهذا ايضا كان مكروها من المسيحيين ، يقول " الدبس " : (ونجا يسوع بارشاد الملك ليوسف ان يهرب به الى مصر) متى فصل ٢ عدد ١ (وقد قضى هذا السفاك غير ما سوف عليه ان اصيب بحس محرقه وتقصر الامعاء وقد ذكر يوسيفوس ك ١٧ ف ٨ اعراض مرضه مفصلا وقد ملك في اليهودية سبعة وثلاثين سنة على ما روى اكثر المؤرخين (٥) .

(تقاسم ابنا هيرودس بعد وفاته الحكم حسب وصيته ورضيت روم بتعيينهم ولاية فقط لا حكام على الاقاليم التي عينتها لهم في سوريا وفلسطين إلا أن هؤلاء الولاة سرعان ما تقلص نفوذهم بسبب كثرة المشاكل التي أحدثوها هم أنفسهم أو بسبب القلاقل التي أحدثها اليهود بثوراتهم وتغلباتهم وقد كانت الفوضى والفتن من أهم سمات هذا العهد فمثلا قام أرخيلاوس خطيبا في الشعب بعد أن انقضت أيام الحداد على والده هيرودس ووجد برفع المظالم التي أحدثها والده فلم يكتف الشعب بالوعد بل سأله الحط من الخراج ونسخ الضرائب المفروضة على البيع والشراء وتبدل رئيس الاخبار الى غير ذلك فسوفهم باجرائه وتألّبوا عليه فساق جنود اليهم فقتل يومئذ من اليهود ثلاثة الاف رجل (٦) .

١ - وقد أرخ الدبس نقلا عن يوسيفوس لهذه الفترة وبين تلك المنازعات الحادة : راجع مختصر تاريخ سوريا ١ / ١٨٢-١٨٣

٢ - قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨ ، وقته لزوجاته وابنائيه مذكور في كتب المؤرخين المسيحيين لاحظ : مختصر تاريخ سوريا ١ / ١٨٤-١٨٥ وما بعدها

٣ - انظر : انجيل متى الاصحاح الثاني .

٤ - انظر : انجيل متى ١ / ٢

٥ - مختصر تاريخ سوريا ١ / ١٨٦-١٨٧

٦ - بلادنا فلسطين ١ / ٦٢٩-٦٣٠

ولهذا كانت نهاية حكمه سريعة ان عطلت روما على وضع بيلاطس البنطي مكانه وفي عهد هذا الاخير حصلت حوادث عدة من بينها ، ما جرى لسيدنا عيسى عليه السلام مع قومه . (١)

اما هيروود وس انتيباس (٤ ق م - ٣٩ م)

فقد ارتكب هذا الحاكم عدة جرائم اهمها :

زواجه ب (هيروديا) ابنة اخيه ارسطوبولس البارعة الجمال والطاعة ، وكانت هيروديا قبلا تزوجت عمها هيروود وس فليبيس (ثم تركته اثنا * حياته والقت بنفسها فسي احضان عم اخر هو انتيباس هذا (٢) .

وينقل اهل الكتاب ان يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) قد قطع راسه في عهد هذا الحاكم ، و ذلك لانه اعترض على زواج انتيباس من ابنة اخيه . . . وقد كان ذلك عقب حفلة اقامها هيروود وس انتيباس وفيها أرسلت هيروديا ابنتها الجميلة سالومة لتؤانس ضيوف الطك وسط المجون والخلاعة ورنين الكو* وس وان بهيروود وس الشل ينتشي برقصها المثير فيقسم امام ضيوفه بان يعطيها ما تطلب فتطلبت حسب رغبة امها راس يوحنا على طبق ، وبعد لحظات هوى الجلاذ بسيفه على عنق الرجل العظيم (٣) .

ويعتقد البعض ان (يوحنا المعمدان) كان من جماعة وادي قمران (٤) .

١ - راجع : بلادنا فلسطين ٦٣٠ / ١ وسوف نتعرض لهذا الحديث اثنا * الكلام عن الحالة الدينية ان شاء الله تعالى .

٢ - بلادنا فلسطين ٦٣٢ / ١

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٨ وقد ذكرت قصته في انجيل متى ١٤ : ٣-١٢ ويعتبر يحيى عليه السلام احد الانبياء في نظر الاسلام وقد ورد ذكره في العديد من السور والايات في القرآن الكريم ومنها في سورة آل عمران .

وقد أول المسيحيون اقوال يحيى عليه السلام وما ورد على لسانه في اناجيلهم ليواطوا اعتقاد اتهم بالوهية المسيح عليه السلام وبنوته . راجع في ذلك (يوحنا

١٥ : ٢٩-٣٦

٤ - راجع : دائرة فؤاد البستاني ٣٧٦ / ١٢

ويعتبر " يحيى " عليه السلام - في الاسلام - نبيا من انبياء الله تعالى ، وقد وردت في حقه

ايات كثيرة في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى (. . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه

يحيى لم نجعل له من قبل سميا . .) مريم : ٧ وقوله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب

بقوة واتيناه الحكم صبيا . .) مريم : ١٢

وفي عهد اغريباس الثاني قامت ثورة اليهود عام ٦٦ م ضد هذا الوالي لمطالته الرومان وتودده الى ولايتهم (١) وقد كتب يوسيفوس عن هذه الثورة سبعة كتب . وفي سنة ٧٠ تم تدمير الهيكل بمرته واحرق كل ما كان في المدينة بيسد الرومانيون (٢) وقد نقل عن يوسيفوس ان عدد القتلى في الحصار بلغ مليوناً ومائة الف نسمة (٣) . ويذهب البعض الى ان جماعة وادي قمران قد تلاشت واضمحلت عقب استيلاء الرومان على بيت المقدس وحرق الهيكل ومهاجمة معقل اليهود في فلسطين وان جماعة قمران قد نالها ما نالها وهذا ما دفعها الى دفن كتبها ولغائها في مغارات المنطقة عند ما احست ان الخطرات يهددها (٤) .

ولا يغوتنا ذكر الثورة الثانية التي قادها " باركوكبا " وذلك انه بعد (تراخي الايسام اخذ اليهود يعودون الى خرائب القدس وبينون فيها ما يشبه اوكار الأرانس واعشاش الطيور ، حتى اذا مرت ستون سنة من خرابها ظهر من ابنائها باركوكب " سيمان ابن الكوكب " الذي ادعى أنه المسيح الذي يخلص امته من استعباد الرومان فتبعه عدد كبير ازعج بهم حكومة روما واقلعها ثلاث سنين الى ان ارسل الامبراطور هدرين قائد ه فقضى على الثورة سنة ١٣٥ م وصح اسم اورشليم من الوجود وينس على انقاضها مدينة رومانية خاصة اسماها " ايليا كابيتولينا " وحرم على اليهود الاقتراب منها ونس في موضع الهيكل معبدا لجوثر وزينها بالابنية الوثنية والملاهي والحمامات (٥) .

ونخرج بنتيجة من هذا التاريخ القاتم مفادها ان اليهود رغم تمكنهم في بعض الاحيان من تكوين مجتمعات لهم في فلسطين في العصور القديمة الا انهم افتقدوا عنصر الثبات والتكثيف في الارض خاصة ابان الفترة موضوع البحث ، كما انهم لم يكن لديهم ما يدعوهم لاقامة دولة مبنية على اساس ومرتكزات راسخة بل اثبتت القرائن انهم كانوا عصابات همجية همها الوصول الى السلطة باي ثمن ، ولم يكن هدفها التطلع نحو ارض الله تبارك وتعالى ، او النظر الى مستقبل الشعب والامة بقدر ما كانت اهدافها تنحصر في نزوة الحكم وحب السيطرة مسترة وراء الدين والكهنوت ولهذا كانت فترات الحكم قصيرة ، وان يسر لها ومكثت روحا من الزمن فهذا يرجع الى حبيل من الناس ، وذلك عبر التزلف لليونان تارة أو التودد للرومان طورا . وهذا هو دأبهم اينما كانوا وحيثما حلوا ، وما أشبه اليوم بالامس .

- ١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٨٩-٩٠ ٢ - كانت قيادة الحملة لتيطس ، راجع في هذا الصدد ، مصر والعرب واسرائيل في الكتب المقدسة . د . محمد أحمد محمود حسن ص ٨٢ دار المعارف بمصر ١٩٨٠ م . - ويذهب البعض الى انه في هذه الواقعة نال الاسينيون نصيبهم فسقط عليهم نهائيا الجيش الروماني في صيف ٦٨ م وقد اوفدت مفرزة الى قمران فهدمت واحرقت من طالته من سكانها ولان من اقلت بالفرار وضربت حامية عسكرية مخيمها على انقاض المدينة لعشرين السنوات حتى اخر القرن الاول (انظر دائرة فؤاد البستاني ٨٠/١٢ ٣ - مختصر تاريخ سوريا ٢٠١/١ ٤ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٠/١٢ ٥ - مخطوطات البحر الميت للمعابد ص ٢٧-٢٨ وقارن مع : تاريخ فلسطين القديم : ظفر الاسلام خان ، ص ٩٢-٩٣ دار النفائس بيروت ١٤٠٤/٤

الحالة الدينية

ربما تكون الحالة السياسية سببا مهما في توسيع دائرة الخلافات الدينية بين اليهود ، وهذه الخلافات كانت على الدوام سببا للشقاق الحاصل بين فرقهم ومجتمعاتهم ولا بد من التعرض للحالة الدينية لمعرفة الجوال الذي عاش اليهود فيه ، وهذا يعطينا بالتالي صورة لمجمل الحياة الدينية في العصرين اليوناني والروماني .

ومن خلال استعراض صور العبادات الوثنية والنحل اليونانية المتعددة والتي مرت في الباب السابق ، رأينا مدى تأثير العقائد الدينية المصرية القديمة والديانات الشرقية الوضعية على الوضع الديني اليوناني بشكل عام .

ولم ينحصر هذا الجو على اليونان فقط بل خيم شبح هذه الديانات المرقعة على شعوب المستعمرات القديمة ، ومع انهزام الامبراطورية اليونانية واضمحلالها ورث الرومان هذه التركة السقيمة واصبحت روما ومستعمراتها مسرحا لمزيج من الاديان الوضعية الوثنية المختلفة .

وقد ظلت روما تحافظ عليها كما طورت بعضها واخترعت لها اسما* وكفى جديدة لم تكن في السابق وابقت على البعض الاخر كما هو بكامل طوقسه وتقاليد من مصادره الام .

وكان الاثر الكبير الذي تلقته روما ناتجا عن العقائد الشرقية التي اُدت نحلها بشتى انواع العقائد . وقد عمل الاباطرة الرومان على اكتساب ود الشعوب المستعمرة وذلك بالابقاء على عباداتها المحلية دون فرض طقوس معينة وكانوا يسترضون الكهنة بشتى انواع الهبات مما اسهم في ازدياد ثروتهم ونفوذهم . (١) .

وتعتبر ديانا شعوب البحر المتوسط في تلك العصور من اهم مصادره الفكر الديني الروماني فمن سوريا مثلا كانت عبادة اودونيس وهداد واشرجاتس . (٢) ومن مصر القديمة كانت عبادة ايزيس اله القمر واوزيريس وحوروس وميراميس . (٤) ومن فارس كانت عبادة مثراس ابن اهرامزدا اله النور . (٥)

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٦

٢ - المرجع السابق

٣ - سوسيولوجية الحضارات القديمة . ١٢٠

وراجع كذلك ما كتبه العقاد عن هذا الموضوع ٢٦٥/١١ من المجموعة الكاملة

٤ - سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٥ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٦ وراجع المجموعة الكاملة للعقاد ٢٦٥/١١

ومن العبادات الموروثة عن الغرب :

عبادة "ديونيسيس" اليونانية التي اقتبست منها فيما بعد عبادة جوبيتر الروماني
إله السماء . وهناك عبادة مارس إله الحرب وهركوليس إله الشجاعة (١) .
أما معبوداتهم الخاصة التي نسجوها فكانت عبادة "سيبيل" وعبادة
"أتيس" .

كما نأب الرومان على تأليه قيصر والباطرة وناطونيوس وكثير من العظماء
المحليين في حين أنهم وبعد مطهرهم وأخذت هذه الآلهة تمتزج بعضها ببعض بتأثير
التجارة والحرب فيزداد عددها ومعظم شأنها في كل مكان ، وتقام الصلوات بالف
لغة لألف إله أملا في النعيم والنجاة فلم تكن الوثنية والحالة هذه ديناً واحداً
بل كانت أجمة من العقائد المتشابكة المتناقضة المتنافسة وكثيراً ما كان يتدخل
بعضها في بعض وتختلط اختلاطاً متعدياً مختاراً (٢) .

ولم يقتصر هذا التعدد على ما ذكرنا بل انتقل التأليه إلى كل مظاهر
الحياة (فهناك إله لكل ملكة ولكل حاسة ولكل جزء من أجزاء جسم الإنسان بل والأكثر
من هذا إن الطفل عند ما يذهب إلى المدرسة تخصص له أربعة أرباب إثنان منهما
مختصان بالذهاب وإثنان آخران مهتمان بالعودة به سالم إلى والديه (٣) .
هذه الحالة أدت إلى صرخة صاحبة بها إحدى النساء قائلة (إن بلادنا
غاصة بالأرباب بحيث يسهل على المرء أن يلقى فيها ربا من أن يصادف رجلاً (٤) .

بعض صور العبادات القائمة :

تنوعت صور العبادات الرومانية تنوعاً لا يختلف كثيراً عن المضمون الذي
رافق الحياة الوثنية اليونانية القديمة .

من هذه الصور ما جاء عن عبادة سيبيل (التي ثبتت في كل من "ليديا"
وفريجيا " وإيطاليا وأفريقية وغيرها من الأقاليم وظل كهنتها يخصون أنفسهم كما
فعل حبيبها "أتيس" فإذا أقبل عيد الربيع صام عبادها ، وصلوا وحزنوا لموت

١ - سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٧

٣ - سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٤ - المرجع السابق

"أتيس" ، وجرح كهنتها سواعدهم وشربوا دماءهم وحمل الآله الشاب الى قبره باحتفال مهيب فاذا كان اليوم الثاني ضجت الشوارع بأصوات الفرح الصادرة عن الأهليين المحتفلين ببعث أتيس وعودة الحياة الى الأرض من جديد وعلا صوت الكهنة ينادى اولئك العباد (قووا قلوبكم ايها العباد المتصوفون لقد نجا الآله وستكون النجاة حظكم جميعا) . (١)

هذه الصورة ليست هي الوحيدة التي كانت ذائعة ابان عهد الرومان فالى جانب ذلك (كانت ايزيس الالهة المصرية والام الحزينة والمواسية والمحبة وحاملة هبة الحياة الخالدة تلقى من التكريم اكثر مما تلقاه سيبيلا وكانت شعوب البحر الابيض المتوسط تعرف كيف مات زوجها وكيف قام بعدئذ من بين الموتى وكان يحتفل بهذا البعث السعيد في كل مدينة كبيرة وكان عباد المستهجون ينادون (لقد وجدنا اوزوريس من جديد) وكانوا يرمزون الى ايزيس بصور وتمثيل تحمل بين ذراعيها حورس ابنها الالهي ويسمونها في الاوراد والادعية ملكة السماء . . . وام الآله (وكانت) هذه الطقوس اقرب العبادات الوثنية الى المسيحية) . (٢)

وكان انتشار دين ايزيس من مصر الى بلاد اليونان في القرن الرابع قبل الميلاد ثم انتشار الى صقلية في القرن الثالث والى ايطاليا في القرن الثاني ثم انتشار بعدئذ في جميع اجزاء الامبراطورية . (٣)

ومن الصور الخاصة بالعبادات والطقوس الفارسية التي انتقلت الى تلك الاجواء ، عبادة " ميثراس " (اذ كانت القرابين تقرب اليه . . . كما كان عباد يشتركون في تناول طعام مقدس من الخبز والنبيذ ، وكانت الاشارة التي يختتم بها عيد هـى دقات ناقوس وكان يحتفظ على الدوام بنار (موقدة) امام القبو الذى يمثل فيه الآله الشاب يطعم الثور بخنجره . . . ويقول كهنته ان الناس كلهم سيحشرون لا محالة امام ميثراس ليحكم بينهم) (٤)

وقد انتشرت هذه الاساطير التي تبعث في نفس اصحابها الامل والقوة في القرنين الثاني والثالث من التاريخ الميلادى في غربي اسيا وانتقلت منه الى اوربا . وروى الاباء المسيحيين ما وجدوه من اوجه الشبه بين دينهم وبين الميثراسية وقالوا : ان الثانية قد سرقت هذه العبادات عن المسيحية وانها في الميثراسية حيل مضللة احتال بها عليهم الشيطان . . . وليس من السهل ان نعرف اى الدينين اخذ عن الآخر ولعل الاثنتين قد تسربت اليهما افكار كانت وقتئذ منتشرة في جوبلا الشرق) . (٥)

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٧ - المصدر السابق وراجع مجموعة العقاد ٢٦٥/١١

٣ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٨ - المصدر السابق ٣/٣ : ١٤٩-١٥٠

٥ - المصدر السابق ٣/٣ : ١٥١

ومن صور العبادات التي اخذت عن اليونانية ايضا ما كان يمثل طقوس
الاورفيين الخاصة بشرب (دم ثور يضحون به للمنقذ الميت الذي يكفر عن خطاياهم
ويوحدون بينه وبين هذا المنقذ وكان الاشتراك الجماعي في تناول الطعام والشراب
المقدس من المظاهر الكثيرة في اديان البحر الابيض المتوسط وكثيرا ما كان اهل
هذه الاديان يعتقدون ان هذا الطعام ستحل فيه بهذا التقديس قوى الاله
ثم تنتقل منه بطريقة سحرية خفية الى المشتركين في تناوله (١) .

وقد توجهت هذه العبادات بصورة هي اقرب الى الواقع المعبر عن الحالة
الدينية التي سادت العصر الذي ينسب له الحديث عنه .

اذ ان هذا العالم كان غنيا بمن فيه من السحرة ومدعي صنع المعجزات
والمتنبئين والمنجمين والزهاد والقديسين ومفسري الاحلام العلميين ، وكانت كل
حادثة غير عادية تتخذ تديرا ، البهيماء سيقع من الحوادث في المستقبل . واصبح
لفظ " اسكيسيز " (*ASKESIS*) الذي كان معناه عند اليونان
تدريب الجسم تدريبا رياضيا يقصد به وقتئذ اخضاع الجسم لسلطان الروح فكان الناس
يضربون انفسهم بالسياط ويبترون اعضاءهم ويجمعون انفسهم او يقيدون اجسامهم
بالسلاسل في مكان واحد ، ومنهم من كانوا يموتون نتيجة لهذا التعذيب او الحرمان
الذاتي (٢) .

وهنا يجب التوقف عند هذه النقطة السهام التي ستفتح المجال للبحث
في صلب موضوع الرهبنة اليهودية ، رهبنة جطاعة وادي قمران .

يقول ديورانت معقبا على كلامه السابق الموصل الى هذه النقطة :
(ولجأ جماعة من اليهود وغير اليهود رجالا ونساء الى الصحراء المصرية
القريبة من بحيرة مريوط ، يعيشون فيها منفردين في صوامع وبيع ، ويحرمون على
انفسهم جميع العلاقات الجنسية ، ويجتمعون في يوم السبت للصلاة الجامعة ويسمون
انفسهم معالجي النفوس (*therapeutae*) (٣) .

هذه النحلة هي محور الرهبنة اليهودية ومنها انبثقت جماعة وادي قمران
موضوع هذا الباب . والتي عاشت وسط هذه الاجواء الدينية ،

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٥١

٢ - المرجع السابق

٣ - المرجع السابق ، وراجع كذلك معالم تاريخ الانسانية ٣ / ٧٣٠ ، "المسيح" للحياة للعقاد

وما لا شك فيه ان هذا الجوال الديني الوثني المكفهر اشاع لونا من اللون
التقلب الفكرى والديني على السواء في منطقة حوض البحر المتوسط . كما انعكس
على عقائد اليهود .

فعلى الرغم من الادعاء بان الفكر اليهودى كان مناوئا للفكر الديني الوثني
وانه كان خصما له ، الا ان هذا الخصم لم يكن جادا في دعوته للخلاص من الوثنية
ولم يكن يهدف في الاصل الى التغيير من وضعه العزى والا لم تسرب اليه شي منها .

فالواقع يشهد ان اليهود كانوا في عقيدتهم مشوشين ومضطربين وانهم
في أحقاب كثيرة كانوا يدخلون العقائد الوثنية في دينهم .

والقرآن الكريم يفضح اليهود ويؤكد هذه الحقيقة ، حيث يقول الحق
تبارك وتعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ (١)
وقوله تعالى (قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) (٢) .

وقد أكد هذه الحقيقة لوبيون حينما أورد العبادات الوثنية التي اقتبسها اليهود
عن جاورهم من الأمم ، من ذلك عبادة تموز ابن عشتار الذى دعي فيط بعد أدونيس
الغريقي كما ظلت عبادة الشمس والقمر والنجوم سائدة فيهم . وكانت عبادة الشمس
تختلط آنئذ بعبادة الحيوانات وذلك لما كان من تصوير القوم على جد رمعبد يهوه
صور الزخافات والبهايم والأشياء الكريهة وجميع الهة ال اسرائيل (٣)

ومن معبوداتهم أيضا ملك اله النار ، وكان الفينيقيون على الخصوص
يعبدون بعلا فاد خلته ايزابيل الصيدونية على الخصوص الى العبريين (٤) .

١ - البقرة : ٥٤

٢ - الاعراف : ١٣٨ ٣ - لاحظ : اليهود في تاريخ الحضارات ص ٦٥ ، ط : عيسى البابي
الخطيب

٤ - اضافة الى ذلك فان التفاعل بين اليهودية والوثنية ظل مستمرا فمن جهة كان من
الوثنيين من يخلصون (العلي) اله اليهود بعبادة الى جانب عبادتهم لالهتهم
وكان اخرون يعتنقون عقائد اليهودية ويختلفون الى معابد هم واخرون يدخلون فسي
الطة اليهودية ومن جهة اخرى كان اليهود يتأثرون بالفلسفة اليونانية اعلاهم شانس
واعظمهم نفوذا في اخوانهم يهود الاسكندرية وكانوا يولفون جالية غنية زاهرة اخذة
بحظ كبير من الثقافة اليونانية حتى انهم لم يكونوا يقرأون التوراة الا في الترجمة
اليونانية المعروفة بالسبعينية وكانوا يضيفون اليها مثل ما للاصل من كرامة وعصمة
ولكن كان منهم الكفار اضلتهم السفسطة اليونانية فاعرضوا عن الله وشريعته وكان اخرون
يد ينون بد دينهم ويتحللون من قيود الشريعة بالتأويل المجازى (تاريخ الفلسفة
اليونانية ، يوسف كرم ، ص ٢٤٧

الجدير بالملاحظة ان اليهود ربطوا عاشوا سالمين للفكر الوثني فيما لو اتاحت لهم فرصة العيش دون فرض المكوس عليهم من المستعمرودون الزامهم بالضرائب للدولة الغازية . ولولا الناحية الطالية والطادية لما قامت ثورات اليهود على اليونان والرومان والتي على اثرها انمحق اثر اليهود من ارض فلسطين - ويضاف الى تلبد الجوالوثني ما أشاعه اليهود أنفسهم من فرققة بين أحزابهم وجميعياتهم السرية والعلنية والتي وصلت علاقاتها فيما بينها الى حد القطيعة ان ان المنافسة بين هذه الفئات ما فتئت تتفاعل وتتضاعف الى درجة الخطورة ، وحينما وقع الصدام استصرخ المتناحرون منهم بالقياصرة تارة وبالباطرة تارة اخرى للقضاء على ابنا جلدتهم كل يريد الخلاص من خصمه بعد ان بلغ الامر ذروته .

ولم يكن عالم النزاع والشقاق ليستمربين الفرق اليهودية المتناحرة لولا وجود بؤادر مشجعة أسهمت في تاجيح نار الخلاف .

كما لم يكن لهذا النزاع ان يستمر بين اليهود والامبراطوريات المستعمرة لولم تكن هناك جذور قابلة لبث سموم الفرقة بين هذا الشعب المتمرد والشعوب الاخرى .

هذه البؤادر وتلك الجذور هي نتيجة حتمية لروح العقيدة اليهودية المتقلبة والقابلة للتشردم والانقسام كخلايا الديدان المتكاثرة والمتشعبة على الدوام تشعب خيوط العنكبوت .

واذا ما استقرأنا نفسية اليهود المضطربة الحائرة المتمردة لادر كنا اسباب اعراضها عن خالقها ، وابائها الخضوع لوامره ، فتحرف كتبه ، وتقتل رسله ، وتغتال انبياءه وتلحق بربها من الصفات ما لا يليق به تبارك وتعالى .

ومن هذا نصل الى تشخيص مرض هذه الامة ، فهي : امة تريد العيش والبقاء على دماء الآخرين ، كالحشرات والطفيليات التي تمتص دماء البشر ، ولهذا تخترع كل يوم اساليب خبيثة لهذا الغرض ، ومن هذا المنطلق تتعامل مع الشعوب بشمارها الدائم (الغاية تبرر الوسيلة) .

تلك هي ابرز سمات الفكر اليهودي الذي يرجع في اساسه الى تلك العقيدة المحرفة التي غيرت مفهوم اللوهية واخرجت صفات الباري تعالى من حدود الكمال الى النقص ومن التنزيه الى التشبيه والتعطيل والتجسيم كما ان الانبياء لم ينجوا من سنتهم وحرابهم وسوف نتعرض باذن الله لهذا الانحراف العقدي قبل استعراض اهم الفرق اليهودية واهم ارائها وسبائلها والتي ستوصلنا الى بيت القصيد وهو الحديث عن رهبان جماعة قمران والتعرف على منهجهم وعقائدهم وما دار من خلاف حولهم . وسوف نرى كيف ستكون هذه الفرقة حلقة من حلقات الوصل بين رهبنة الاديان الوضعية ورهبانية اهل الكتاب .

الفصل الثاني : المقائيد اليهودية ونقد ها

اولا : موقفهم من الالهية :
بعث الله تبارك وتعالى أنبيا^ه ورسله الى بني اسرائيل لهدايتهم وارشادهم الى الطريق المستقيم ، وأنزل معهم الكتب والصحف هدى ونورا ليحكموا بها بين الناس ، الا أن اليهود انحرفوا وكفروا فاستحقوا لعنة الله تعالى وغضبه ، ومرد ذلك يعود الى عدة مواقف اتخذوها من عقيدة التوحيد التي أمروا بها .
وطيه فان تاريخ اليهود زاخر بالبهلات والنكبات التي حلت بهم عقابا لهم لخروجهم عن طاعة الله تعالى وضربهم الكتاب بعضه ببعض واختلافهم على انبيائهم وهاهي كتبهم المحرفة شاهدة عليهم . ولا أدل على ذلك من الزيف في العقيدة حيث شبهوا الله وجسموه ووصفوه بما لا يليق به سبحانه .

فمن ذلك ط جاء في العهد القديم (فأكلت السموات والارض وكل جند ها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا) (١)

ومن ذلك ايضا ط جاء في قصة آدم وحواء :
(وسما صوت الرب الاله طشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاغتبا آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة . فنادى الرب الاله آدم . وقال له : أين أنت ، فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاغتبت . فقال : من أظلمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها . فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي أعطتني من الشجرة فأكلت) (٢)

ولقد وصل بهم الأمر الى أبعد من التشبيه والتجسيم حيث حرفوا في سفر التكوين بما يوهم القول بتعدد الالهة (وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الأبد ، فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها فطر)
الانسان وأقام شرقي جنة عدن الكروم ولهبب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة (٣)
كما أؤمن اليهود أيضا إيمانا كبيرا في التشبيه والتجسيم بل ان كل نقص استحال في حق الله تعالى لم يخلوا من ابراده وذكره حتى غدت كل نصوص التوراة واسفارها المقدسة تصف الله بصفات المخلوقات دون تنزيهه أو مراعاة للكامل الواجب له سبحانه .

١ - سفر التكوين : ١/٢ - ٣

٢ - التكوين : ٣/٨ - ١٣

٣ - التكوين : ٣/٢٢ - ٢٤

وزيادة على ما سبق اليك بعضا مما جاء في العهد القديم من صفات لا تطيق بذات الله تعالى ولا بصفاته :

من ذلك ما أوردوه من قصص خرافية توحشي بظهور الله تعالى ظهورا هائلا فمن ذلك ما جاء في سفر التكوين (وظهر الرب لابرام وقال لنسلك اعطي هذه الارض) (١).

ومن الصفات ايضا :

- (٢) - لقا موسى عليه السلام وارادة قتله . - الاجتياز والخروج في وسط مصر .
- (٣) - الخروج والصعود والوقوف (٤) والنوم والاستيقاظ (٥) - التعب (٦)
- (٧) - الحزن (٨) - المعق (٩) - الندم (١٠) - الدعا بالويل على نفسه (١١)
- (١٢) - الزمجرة والصراخ والهتاف (١٣) - التخمسة (١٤) - الوجود في الزو بمعة (١٥)
- (١٦) - التشبيه بالمخلوقات (١٧)

كما أنهم نسبوا لله تعالى الأبوة . من ذلك قولهم :

(هو يبنى لي بيتا وانا اثبت كرسيه الى الابد ، انا اكون له ابا وهو يكون لسي ابنا ولا انزع رحمتي عنه كما نزعها عن الذي قبلك) (١٦)

كما نسبوا الهنوة لله تعالى وسبوا أنفسهم أبنا لله :

(ان أبنا لله رأوا بنات الناس أنهم حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا) (١٧)

- ١ - راجع التكوين ١٢: ٧ وكذلك ١٧: ١ وراجع ظهوره لكل من : سارة في تكوين ١٨: ١٠-١٥ ولهاجر تكوين ١٦: ٧-١٤ ولإسحاق ٢٦: ٢ وليعقوب ٢٨: ١٦-١٧ وللموسى سفر الخروج ٣: ٦ وسليمان ، الملوك الاول ٣: ٥ ولاشعيا ، اشعيا ٦: ١-٥ ولارميا ، أرميا ٣: ٣١ ولحزقيال ، حزقيال ١: ٢٦-٢٨
- ٢ - راجع سفر الخروج ٤: ٢٤-٢٦ ٣ - الخروج ١١: ٤-٥
- ٤ - مزامير ٦٨: ١٨ وكذلك حزقيال ٩: ٣ و ١٠: ١٨-٢٠ وزكريا ١٤: ٣-٤ والقضاة ٥: ٤
- ٥ - أرميا ٢٣: ٢٦-٢٧ ومزامير ٧٨: ٦٦-٦٧ وزكريا ٢: ١٣ ومزامير ٤٤: ٢٣
- ٦ - ملاخي ١: ١٧ ٧ - اشعيا ٦٦: ١٤ ٨ - أرميا ٨: ١٨ و ٨: ٢١
- ٩ - أيوب ١١: ٩-١٠ - هناك العديد من النصوص انظر مثلا : خروج ١٢: ١٤-١٤ صموئيل الاول ١٥: ١٠-١١ صموئيل الثاني ٢٤: ١٦ مزامير ١٠٦: ٤٤-٤٥
- أرميا ٢٦: ١٣ طموس ٧: ٣-٨ يونان ٣: ١٠
- (١١) - أرميا ١٠: ١٨-٢٠ ١٢ - أرميا ٢٥: ٣٠ ١٣ - اشعيا ١: ١١ ١٤ - ناحوم ٣: ١٥ - اشعيا ٤٢: ١٣ و ٤٠: ٢٢
- ١٦ - الايام الاول ١٧: ١٢-١٣ وملاخي ١: ٦ وصموئيل الثاني ٧: ١٤
- ١٧ - تكوين ٦: ٢ وانظر ايضا ايوب ٢: ١ ومزامير ٢: ٧ ومزامير ١١: ١٢ و ٢٩: ١

ولم يقتصر الامر على ما ذكر ، بل تجاوزوا الحدود باتخاذهم الاصنام والاوثان

ومن الادلة على اثبات عكوف بني اسرائيل على عبادة الاصنام ما جاء

في اسفارهم من فضائح ولم يكن اتخاذ الاوثان مقتصرًا على عصر موسى عليه السلام بل ان في عهد يشوع والقضاة نصوصًا تدل على ارتكاب مثل هذا الكفر البواح من قبلهم^(١).

وقد تعقب الامام ابن حزم مراحل ارتداد بني اسرائيل عن الايمان

وعبادتهم للاوثان في عهد القضاة واورد اسماء الولاة الذين تم في عهدهم هذا

الارتداد ، وقد بلغت حسب تتبعه رحمه الله سبع ردات (٢) .

كما تتبع د . عبد الشكور محمد امان هذه المراحل وفصلها وارجعها

الى عهودها وفق ما هو مذكور في نسخ العهد القديم المتداول حديثًا والتي جاءت على النحو التالي :

١ - من النصوص التوراتية التي تثبت عبادتهم للاوثان ما يلي :

- سفر التثنية ٤ - ٤ : ٣-٤

- سفر العدد ٢٤ : ١-٣

- مزامير ١٠٦ : ١٩-١٠

- هوشع ٩ : ١٠

ومن النصوص الاخرى :

في - يشوع ٢٤ : ٢٣

- قضاة ٢ : ١٩

- // ٢ : ١٠-١٣

- // ٣ : ٥-١٧

وتجدد الإشارة الى ان التفصيل الذي اورد د . عبد الشكور محمد امان عن

عقائد بني اسرائيل ما ينفني القارى ان انه يجد بيانًا وافيا لهذه العقائد الضالة

والانحرافات الشاذة راجع بتوسع : ينو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية

د . عبد الشكور محمد امان العروسي ١/٢٤٢ - ٤٠٧ ، رسالة دكتوراه ، جامعة

ام القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ .

٢ - راجع الفصل لابن حزم ١/١٤٩

المرحلة (١)	عدد اعوام الارتداد	اسم السفر
الاولى	٨	القضاة ٨: ٣
الثانية	١٨	// ١٤: ٣
الثالثة	٢٠	// ٣-١: ٤
الرابعة	٧	// ١: ١٦
الخامسة	٣	// ٣٤-٣٣-٢٧: ٨
السادسة	١٨	// ٨-٦: ١٠
السابعة	٤٠	// ١: ١٣

اما في عهد الملوك فقد بلغ عدد ملوك مملكة يهوذا عشرين ملكا توارثوا عبادة
الاوثان لم يستقم منهم سوى خمسة فقط (٢)

وقد ذكر ابن حزم رحمه الله ان اليهود قد اتخذوا الهياكل اخر من دون الله
اطلقوا عليه اسم صندلغون ويقول في هذا الصدد :
(واعلموا انهم افردوا عشرة ايام من أول أكتوبر يعبدون فيه ربا آخر غير الله
عز وجل ، فحصلوا على الشرك المجرد ، واعلموا ان الرب الصغير الذي افردوا له الايام
المذكورة يعبدونه فيها من دون الله عز وجل هو عندهم صندلغون الطك خادم التساج
الذي في راس معبودهم وهذا اعظم من شرك النصارى . (٣)

١ - بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية ، د . عبد الشكور محمد امان ، ٣٩٣/١

٢ - يراجع في هذا الصدد الاسفار التالية :

١ - سفر الملوك الثاني ٨: ١٨

٢ - اخبار الايام الثاني ٢١: ١١ و ١٠

٣ - اخبار الايام الثاني ٣٦ : ١١-٢١

٣ - في مملكة اسرائيل ظلت عبادة الاصنام منتشرة فيهم راجع :

سفر الملوك الثاني ١٧: ٧-٢٤

وراجع في هذا الصدد ما كتبه ابن حزم عن ذلك في الفصل ١: ١٥٠ ،
ومطالعات د . عبد الشكور في " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية " :

٣٩٩-٣٩٥/١

٣ - الفصل ١٨/٢ وتعقيبات كل من د . طي عبد الواحد وافي في كتاب

الاسفار المقدسة ص ٢٩ ود . عبد الشكور في " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية

لقد فضح القرآن الكريم في كثير من السور والايات تلك المراحل التي انحرف فيها التفكير العقدي لدى اليهود ونبه الى الجرائم التي ارتكبوها بكفرهم وفسقهم بحق الله تبارك وتعالى ، وقد أشار الى هذا الانحراف من خلال توراتهم المحرفة التي دسوا فيها ما شاؤوا من أباطيل وخرافات وأساطير ،

ففي طلبهم من موسى رؤية الله يقول الحق تبارك وتعالى :
(وَأَنْذَرْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (١)

وقد بينت الآية الكريمة ضيق أفق هؤلاء القوم واهتزاز ايمانهم بعالم الغيب كما يدل طلبهم هذا على سوء الأدب لاعتقادهم على الابتزاز أسلوباً وطريقاً وكان قضية الايمان تدخل في باب المساواة كالبيع والشراء . ولهذا طلبوا من موسى عليه السلام ما طلبوا . وفيه دليل على سوء طويتهم .

وفي مرحلة لاحقة قالوا لموسى عليه السلام :
(... يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ . قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ بِمَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغْمِرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) (٢)

وقد أوضحت الآية هنا مدى تورطهم في التقليد الأعمى السني على محاكاة العقائد الوثنية ، إذ مر هؤلاء الجيلة على قوم يعبدون أصناماً على صور البقر (فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك) (٣)
كما يدل على ان هؤلاء ارتبط ايمانهم بالمعسوس فقط مضاهاة للوثنيين الذين طصروهم .

ولم يكتفوا بمجرد الميل الى الهوى وطلب الاشراك بالله فقط بل ما لبثوا ان اتخذوا العجل الهياً بمجرد غياب موسى عليه السلام لميقات ربه .
(وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلُوفِهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوَارٌّ) (٤)

١ - البقرة : ٥٥-٥٦

٢ - الاعراف : ١٣٨-١٤٠

٣ - : تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٢/٢٤٢-٢٤٣ ط : المكتبة الشعبية

٤ - الاعراف : ١٤٨

وهذه الآية لها ارتباط بط سبق * ان يخبر الله تبارك وتعالى عن ضلال من ضل من بني اسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذوه لهم السامري من حلي القبط الذين كانوا استعاروا منهم فشكل لهم منه عجلا ثم ألقى فيه القبض من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا جسداً له خوار ، والخوار صوت البقر وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لحيقات ربه تعالى فأطمع الله تعالى بذلك (١) .

وطى هذه المشاكلة كانت نفوس القوم تتأرجح ، فكلما وجدوا فرصة للفرار من عقيدة التوحيد تسكوا بها حتى اذا جاءهم العقاب هدلوا عن غيهم والتزموا أمر ربهم ولكنهم لم يلبثون حتى يعودوا لما نهوه عنه فازدادوا ضلالا وارتكاسا .

وقد رد القرآن عليهم حينما نسبوا لله تعالى الولد :
فمن ذلك قوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (٢) .
وهذه الشبهة التي وقعوا فيها تعود الى اعجابهم بالعزير نتيجة كتابته للتوراة دون الرجوع الى نصوص مكتوبة في أسفار (٣) .

وفي مجال الرد طى صفات النقص التي ألحقوها بالباري تعالى يقول سبحانه :
(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا) (٤) .

وفي جانب آخر يرد القرآن عليهم في نسبة الفقر الى الله تعالى مما يقولون طوا كبيرا (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (٥) .

١ - تفسير ابن كثير : ٢ / ٢٤٧

٢ - التوبة : ٣٠

٣ - تفسير ابن كثير ٢ / ٢٤٨

٤ - الطائفة : ٦٤

٥ - آل عمران : ١٨١

وقد تعقب كثير من العلماء المسلمين افتراءات اليهود على الله تعالى فمن ذلك ما أورده الامام ابن حزم في الفصل ردا على ما جاء في توراتهم المحرفة

من أن الله تعالى قال (هذا آدم قد صار كواحد منا) ان هذا يعتبر (مصيبة من مصائب الدهر ، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد ادى هذا القول الخبيث الفترى كثيرا من خواص اليهود الى الاعتقاد ان الذى خلق آدم لم يكن الا خلقا خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التى أكل منها آدم فعسرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار لها من جلة الالهة ، نعوذ بالله من هذا الكفر الاحق (١) .

أما ما ألقوه من صفة التعب والنصب لله تعالى فهو افتراء وهتان . فالله تعالى قادر على كل شيء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو القائل (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) (٢) .

وهذا رد عليهم فيما أورده في كتبهم المحرفة . (٣)

وطيه فان كل شبهاتهم وافتراءاتهم تدور حول تشبيه الله تعالى بخلقه وهذا باطل لان الله تعالى (منزّه أن يكون من جنس شيء من المخلوقات : لا أجساد الآدميين ، ولا أرواحهم ولا غير ذلك من المخلوقات ، فانه لو كان من جنس شيء من ذلك بحيث تكون حقيقته كحقيقته للزم أن يجوز على كل منتهى ما يجوز على الآخر ويجب له ما يجب له ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه وهذا متنع : لأنه يستلزم أن يكون القديم الواجب الوجود بنفسه غير قديم واجب الوجود بنفسه ، وأن يكون المخلوق الذى يمتنع غناه يمتنع افتساقه الى الخالق ، وأمثال ذلك من الأمور المتناقضة والله تعالى نزه نفسه أن يكون له كفو أو مثل أو وسي أو ند . (٤)

١ - الفصل في الطل والاهواء والنحل للامام ابن حزم الظاهري ١٥/١

مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة .

٢ - ق : ٣٨

٣ - انظر في سبب نزول هذا الرد : " أسباب نزول القرآن " لابي الحسن علي بن الواحد

ت : السيد احمد صقر ص ٤٢٠ - ٤٢١ ط ٢ - ١٤٠٤ هـ

٤ - : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥ / ٢١٧ ط ١ ١٣٩٨ هـ

ثانياً : موقفهم من الانبياء والرسل طيهم السلام

إذا كانت السنة اليهود السليطة وكتبهم المحرفة قد تعرضت للذات العلمية بصفات النقص وشابهة الحوادث فليس من المستبعد بعدها ان يكون مقام الانبياء والرسل هدفاً لسهام القدح والشتم من قبل اليهود بل والضرب والقتل والنشر لانبيائهم .

وطيه فان (الموقف الاجمالي من أنبياء الله تعالى الذي وقفه بنو اسرائيل في تاريخهم الطويل وشهدت به طيهم أسفارهم ، انهم لا يراعون لانبياء الله حرمة ولا يعتقدون فيهم العصمة ، بل كانوا يكفرون بهم ويؤذونهم ويروونهم بعظائم الامور من الصفات القبيحة والخصال الشنيعة ولم يقتصروا على الايذاء والتكذيب والتجريح بل اعتدوا على عدد كبير من انبياء الله بالقتل غير مبالين بغضب الله وسخطه) (١)

ونتيجة لعدم اعتراف اليهود بعصمة الانبياء فقد جوزوا في حقهم ارتكاب الكباير والآثام والمحرطات فمن ذلك :

- ١ - اتسهم آدم بعدم الاستغفار من ذنبه (٢)
- ب - اتهم نوح طيه السلام بشرب الخمر (٣)
- ج - اتهم لوط طيه السلام بالزنى بابنتيه (٤)
- د - اتهم ابراهيم طيه السلام بالكذب وتسليم زوجته سارة دون مقاطعة . (٥)
- هـ - اتهم اسحق طيه السلام بالكذب (٦)
- و - اتهم يعقوب طيه السلام بالكذب (٧)
- ز - اتهم داود بالزنى (٨)
- ح - اتهم سليمان بالارتداد عن الدين . (٩)

هذا غرض من فيض ما تطفح به تلك الاسفار المحرفة من وصف للانبياء والرسل بما

هم يسمون منه . فالانبياء والرسل اذكى الناس واطهرهم وافضلهم . ومثل هذه

الذنوب التي نسبها اليهود السبهم لا يمكن ان تقع من احد منهم بحال من الاحوال وهذه الاتهامات الشنيعة هي في حقيقتها تدخل في باب التعدي على حرمة الله تبارك وتعالى فهي محاولة دنيئة من قبل حاخامات اليهود للنيل من دين الله القويم وصراطه المستقيم وذلك اتباط لهوى النفس وتبريرا لجرائمهم واثامهم التي يقتربونها على الدوام واعطاء الفرصة للاجيال القادمة لاستباحة حرمة الله تحت ستار الاقتداء بالانبياء والرسل .

١ - بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ٢٦٦/٢
٢ - تكون ١: ٢٤ - ٣ - تكون ٩: ١٨-٢٥ ٤ - تكون ١٩: ٣ ٥ - تكون ١٢: ٢٦-٢٧
٦ - تكون ١: ٢٦ - ٧ - تكون ١: ٢٧ - ٨ - صموئيل ٢: ٢١
٩ - الملوك الاول ١١: ٢١-٢٢ وانظر في مجال رد الطمعون : اظهار الحق ص ٥٧٠

ولهذا فان جرائم اليهود في العصور السالفة والحالية تمثل انعكاسا واضحا لتعاليم التوراة المعروفة بالصفاة وفق مخططات اليهود واطماعهم ، وما أضافوه من تعاليم الظنود ، وغيرها من الكتب السرية والعلنية تحقيقا لأهدافهم الدينية وهذه الصورة الواقعية توضح اختلال مفهوم النبوة والرسالة عند هم فحالة فقدان أسس وقواعد الدين القويم كقيلة يجعل هذا المجتمع متكفك الا واصر متفرق الاهداف فضلا عن الكفر والضلال .

والاضطراب في مفهوم النبوة والرسالة كان سببا من أسباب كثرة الانبياء في بني اسرائيل فمنهم من كان مرسلًا من عند الله تبارك وتعالى مؤيدا بالوحي والحق . الى جانب ذلك وجد بين بني اسرائيل صلحون ، فأطلق اليهود عليهم اسم النبوة ، كما وجد بينهم من ادعاه زورا وهيتانا ووجود هو "الكنيسة" كان بمثابة رد فعل للنظام الطبقي الذي انتشر بين اليهود والتسلط بسيطرة قطاع كبير من الاثرياء على مقاليد النفوذ على أشاع جوا من الحقد والضغينة وأسهم في ابراز هو "المتبئين" (الذين يستطيعون قراءة قلوب الناس) (كذبا) واطاعهم وخبرونهم بمستقبلهم حسب ما يتقاضون منهم من أجور ومنهم متعصبون متوسون يستشيرون شاعرهم بالأصوات الموسيقية الغريبة أو الشروبات القويصة أو الرقص الشبيه برقص الد رايوش ومنطقون بعبارات يراها أصحابهم وحيا أوحي اليهم أي تشبها فيهم روح غير روحهم) . (١)

وهذا ما برع فيه الكهنسة الذين استطاعوا الوصول الى مناصب مرموقة في المجتمع اليهودي وسيأتي الكلام عنهم بعد الحديث عن موقفهم من عقيدة البسمع والحساب (اليوم الاخر) ان شاء الله تعالى .

اما موقف الاسلام الشرف من الانبياء والرسل عليهم السلام فهو موقف يلبيق بتكريمهم واحترامهم والذب عنهم وهو مبني على أساس أنهم مختارون ومصطفون من الله تبارك وتعالى بتبليغ رسالته الى البشر ، مبشرين ومنذرين لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ولهذا فقول اكثر العلماء " منعقد على وجوب كون الانبياء معصومين من الكبائر ون الصغائر يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : القول بان الانبياء معصومون من الكبائر ون الصغائر هو قول اكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف ، حتى انه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر " ابو الحسن الامدي " ان هذا قول اكثر الاشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هو لم ينقل عن السلف والائمة والصحابة والتابعين وتابعيهم الا ما يوافق هذا القول (٢)

١ - قصة الحضارة ٣ / ٣ : ٣٤٩ وقارن مع : اليهودية د . شلبي ص ١٦١-١٦٢

٢ - فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٤ / ٣١٩

و مجمل القول فان الانبياء معصومون من الكبائر بعد البعثة عدا وسهوا وكذا من الصفات عدا واذا وقعت منهم صغيرة سهوا بعد ها فانهم ينيهون على ذلك وما قبل البعثة فانهم غير معصومين من الكبائر والصفات اللهم الا ما ينفر الطباع عن متابعتهم في رسالاتهم .

وللعصمة متعلقات اهمها : العصمة من الكفر ٢ - العصمة من المعاصي ٣ - العصمة من الخطأ في التبليغ (٢)

وللعصمة صفات منها : الصدق ، والتبليغ والامانة والفسطانة وهذه من الواجبات في حقهم عليهم السلام .

١ ط يستحيل في حقهم فهو : الخيانة والكذب والغفلة والكسبان ط امروا بتبليغه ١ . (٣)

وقد ايد الله سبحانه وتعالى انبياءه ورسله الكرام بالمعجزات تصديقا لكل ما يبلغونه عنه وكانت مقرونة بالتحدي لمواجهة انحراف المنكرين والزام الجاحدين

١ - والعصمة في اللغة : الشئ وأيضا الحفظ : وفي الاصطلاح : حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحاله وقوعه . . .) أو هي (لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير وهزجره عن الشر مع بقاء الاختيار للابتلاء والاختيار) : مختار الصحاح للرازي مادة عصم وتحفة السريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٣٤ والفقه الاكبر للسلاطي القاري ص ٩٤ دار الكتب العلمية ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م بيروت ، لبنان .

٢ - راجع : المواقف للايجي ص ٣٥٨ - ٣٥٩

٣ - راجع في موضوع العصمة ومتعلقاتها " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ٢ / ٤١٦ - ٤١٧

وقد اورد الرازي في اثبات وجوب العصمة ثلاثة أوجه :
أحدها : أن كل من كانت نعمة الله تعالى عليه أكثر كان صدر الذنب منه أقبح وأفحش ونعمة الله تعالى على الأنبياء أكثر فوجب أن تكون ذنوبهم أقبح وأفحش من ذنوب كل الأمة وأن يستحقوا من الزجر والتوبيخ فوق ما يستحقه جميع عصاة الأمة وهذا باطل فذاك باطل .

الثاني : أنه لو صدر الذنب منه لكان فاسقا ولو كان فاسقا لوجب أن لا تقبل شهادته لقوله تعالى (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وإذا لم تقبل شهادته في هذه الاشياء فبأن لا تقبل في اثبات الأديان الباقية الى يوم القيامة كان أولى وهذا باطل فذاك باطل .
الثالث : أنه تعالى قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم (فاتبعوه لعلكم تفلحون) وقال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فلو أتى بالعصمة لوجب علينا بحكم هذه النصوص متابعتهم في فعل ذلك الذنب وهذا باطل فذاك باطل ، وأما جميع الآيات الواردة في هذا الباب فاما ان تحمل على ترك الأفضل أو أن تثبت كونه معصية لا محالة فذلك انما وقع قبل النبوة (معالم أصول الدين ، فخر الدين الرازي ص ١٠٨)
١٠٩ - طه عهد الروافد سعد دار الكتاب العربي بيروت . وراجع في ذلك : أصول الدين لابي منصور البغدادي ص ١٦٧ - ١٦٩ دار الكتب العلمية ط ٢ ١٤٠٠ - بيروت

والقرآن الكريم يورد في كثير من السور والآيات قصص الانبياء والمرسل
عليهم السلام مع قومهم .

كما يشير بوضوح الى معارضة بني اسرائيل لهم والاعتداء عليهم بالقتل
من ذلك قوله تعالى :

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَتَفِينَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا هَارُونَ
ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) (١)

ويقول الحق سبحانه :

(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ
بِمَا قَالُوا وَنَقُطِّرُهُمُ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (٢)

وهكذا يكون موقف الاسلام من الانبياء لا ثقا بهم كاشفا جرائم الميهمود
اعداء الحق والدين .

١ - البقرة : ٨٧

٢ - ال عمران : ١٨١

ثالثا : عقيدة اليوم الآخر :

ان الطائفة التي صبغت الفكر اليهودي كان لها من الاثار المتعددة
ما أخرج اليهود من دائرة المؤمنين بالبعث والحساب ، وهذا يمثل ارتكاسا كبيرا
وجوهريا لعقيدة اليوم الآخر والتي جاءت بها شريعة موسى عليه السلام ككل الاديان
الساوية والتي اعتقد بها بنو اسرائيل في بداية الدعوة ثم حرفوها بعد ذلك . قاله
تعالى ارسل رسله وانبياءه لهداية الخلق وانزل كتبه بالحق (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ) (١) و " الكتب الساوية من ركائزها الدعوة الى التوحيد والايمان
باليوم الآخر فاذا ما خلت التوراة من هذه الركائز أو احداها فهي ليست توراة الله
بل هي السوءة المحرفين (٢) .

وانكار اليهود لعقيدة البعث والحساب لا يشكل مفاجأة لدارسي النفسية
اليهودية (٣) . وما انطوت عليه اخلاقهم من مفسد فردية واجتماعية ، أهمها : الحرص
على متاع الدنيا ، وكثرة الجدل ، والعنصرية في التفكير ، وقسوة في القلوب وتهور
في الطباع والسلوك (٤) .

والتبديل والتغيير والتحريف في التوراة من الأسباب الرئيسية في
ابتعاد القوم عن أصول عقائدهم وعليه فقد باتت الفرق اليهودية تتضارب في عقيدة
البعث والنشور ، وتضع تصوراتها عنها وفق أهوائها ، وقد خلت التوراة من ذكرهما
تاما . وفي ذلك يقول ديورانت : (طي أن اليهود قلما كانوا يشيرون الى حياة
أخرى بعد الموت ، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود .
وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا ولم تدرك فكرة البعث في
خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض . .
ولعلهم أخذوا هذه الفكرة من الفرس أو لعلهم أخذوا شيئا منها من

١ - الطائفة : ٤٤

٢ - الاديان في القرآن ، د . محمود بن الشريف ، ص ١٠٣ ط ٣ سنة ١٩٧٩ م دار
مكاظ للطباعة والنشر .

٣ - راجع في هذا الصدد كتاب " دلائل النفسية اليهودية . د . محمد علي الزعبي
ط . بيروت .

٤ - لقد فضح القرآن الكريم هذه الصفات الذميمة في كثير من آياته فمن ذلك قوله تعالى :
(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا
هُوَ بِمُزَحِّزٍ مِنَ الْعَذَابِ إِنَّ يُعَمَّرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) البقرة : ٩٦
وفي حب الجدل (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا
هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بَكْرٌ هَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعِ لَوْنُهَا تَسْمُرُ النَّاطِرِينَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ طِينًا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ . قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ
فَذْبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) البقرة : ٦٧-٧١

و عن قسوة القلوب (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ
الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ
مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) البقرة : ٧٤ .

وراجع في هذا الموضوع : " قصة الاديان " رفي زاهر ص ١٩٧-٢٠٢ مكتبة النهضة . ٤

(١) (المصريين)

وهذا النص يفسره هوكد لنا ما ذهب اليه د. السيرى (٢) من : ان العهد القديم ليس فيه اشارة واحدة الى البعث أو اليوم الآخر وأن فكرة الاعتقاد بالبعث بدأت تظهر في الكتابات اليهودية لتخدم فكرة العودة للأرض ولعل هذا من الأسباب الكامنة في عدم تقبل الفرق اليهودية لفكرة البعث والحساب .

والايمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الايمان في الاسلام وقد

شدد القرآن الكريم النكير على الكافرين لانكارهم البعث ، وقد طالجت الآيات المكية هذه الناحية بصورة خاصة لان البيئة الجاهلية كانت لا تعتقد بهذه العقيدة .

قاله تعالى هو المحيي والمميت وهو القادر على بعث الاجساد وهو أهون عليه (وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ...) (٣) (أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (٤)

وابتات هذه العقيدة لا يتم وفق النظريات والقوانين التجريبية لتعلقها بالايمان بعالم الغيب ، فالطريقة السليمة التي وضعها الله تعالى في النفس البشرية هي القدرة على ادراك هذه الحقائق وأن ذوى الأبصار وأولى الالباب هم المتمكنون من النظر في الآيات الكونية السبوثة في هذا الوجود والاستدلال على امكانية البعث والنشور. وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك، ودعا الخلق الى التفكير والتدبر ، يقول سبحانه في ذلك (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٥)

ويقول (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ طِفْلاً فَخَلَقْنَا الْعَمَلِقَةَ ضُفَّةً فَخَلَقْنَا الضُّفَّةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِينُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) (٦)

ويقول سبحانه (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْنَشُورُ) (٧)

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٨)

وهكذا تأتي الآيات القرآنية لتجيب على أسئلة الحيارى التائهين في لجج الحياة مذكرة لهم بأن البعث حقيقة لا ريب فيها .

١ - قصة الحضارة ١/٢ : ٣٤٥ ، ان كان قصد ديورانت بالتوراة المحرفة فهذا صحيح والا فان الكتب المنزلة من عند الله تعالى جميعها تقر بهذه العقيدة .

٢ - راجع : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٠١-١٠٢

٣ - الروم : ٢٧ ٤ - العنكبوت ١٩ ٥ - العنكبوت ٢٠

٦ - المؤمنون : ١٣-١٦ ٧ - فاطر : ٩ ٨ - فصلت : ٣٩

اسفار اليهود المقدسة (التوراة) أو العهد القديم - ونقد ها

لم يطلق على أسفار اليهود إسم العهد القديم في العهد اليهودي التي وافقت نشأة جماعة وادي قمران ، لان هذه التسمية لاحقة على وجود الجماعة ، إذ أن أول من أطلق وقرر هذه التسمية هم المسيحيون تمييزاً لها عن الاناجيل التي أطلقوا عليها اسم العهد الجديد (١) .

وقد تعددت الآراء حول معنى كلمة (التوراة) فيذهب البعض الى انها مشتقة من كلمة (تارا) بمعنى : يلقي بالقرعة لمعرفة شيعة الله ، والكلمة لم تكن ذات معنى محدد إذ كانت تستخدم بمعنى (وصايا) أو (شريعة) أو (علم) أو (أوامر) ولكنها في القرن السادس ق.م. صارت تعني الشريعة بشكل عام ثم أصبحت تشير الى البنتاتوخ (أو البنتاتوك) (٢) . أو شريعة في مقابل أسفار الانبياء . وكتب الحكمة والأناشيد (٣) ، ويذهب البعض الى انها من كلمة تورة بالعبرية اي الهدى والرشاد (٤) . وينسب أهل الكتاب الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام على أساس انها موحى بها من الله ، أما بقية أسفار العهد القديم فهي ... أسفار تاريخية مختطفة تحكي التقلبات التي مر بها اليهود . ، أما بقية أسفار الانبياء فقد سمي كل سفر بحسب إسم صاحبه كما يعتقدون .

وجميع هذه الاسفار في نظر أهل الكتاب مقدسة ما عدا بعضها التي اختلفت في قدسيته ، فبعض الحبار يضيفون اسفاراً لا يقبلها احبار آخرون (٥) .

- أما بالنسبة لمفهوم الاسلام حول التوراة فهو يختلف عما يذهب اليه اليهود فالسلمون يؤمنون بان الله تبارك وتعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام

١ - راجع : كتاب : " كنتم خیرامة اخرجت للناس " ، خير الله طلفاح ، ١٥٦/٧ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م . ، وكذلك راجع في هذا الصدد بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية ، ١٧/١

٢ - اي الكتاب ذو الاسفار الخمسة ، راجع " كنتم خیرامة اخرجت للناس " ١٥٧/٧

٣ - موسوعة الفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٤٣ وهناك تسميات أخرى منها (الناموس) راجع : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨ ، ومنها التعاليم ، راجع : اليهودية ، د شلبي ، ص ٢٣٠

٤ - راجع : " كنتم خیرامة اخرجت للناس " ١٥٧/٧

٥ - اليهودية ، د . شلبي ص ٢٣٠

هَدَى وَنُورًا ، قَالَ تَعَالَى (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّهَابِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَالْأَخْشَاءَ وَلَا تَخْشَوْا بَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) (١)

ولكن : هل بقيت التوراة كما أرادها الله لبني اسرائيل ، أم غيرت وبدلت ؟ ، وهل حافظ عليها هؤلاء أم حرفوها وزوروها ؟

ولا هُمية هذا السبحث وتعلقه بجماعة وادى قمران وكتبتها ومولفاتها التي تخالف بقية اليهود بحسب اراء بعض العلماء يحسن ايراد بعض النقاط حول ماهية التوراة المتداولة حاليا بين أيدي أهل الكتاب ، وتاريخ تدوينها ومصادرها للانتقال الى التحريفات التي أدخلها القوم عليها .

اولاً : نظرة عامة :

اهتم نقاد النصوص الدينية بأسفار العهد القديم وتمكنت أبحاثهم الكثيرة عقب حقبة طويلة من التوصل إلى حقيقة مفادها أن أسفار التوراة دونت في أزمنة مختلفة وليس في زمن واحد ، وأن هذه الأزمنة متباعدة جداً فيمت بينها وتصل إلى قرون عديدة ، ما يوحى باستحالة نسبتها إلى موسى عليه السلام من جهة ، كما أن المفاهيم والمعلومات والأحداث التاريخية التي وردت في هذه النصوص لا تتفق مع نظريات وقوانين العلم الحديث (٢) فضلاً عن التناقضات الكثيرة الواردة في هذه الأسفار ولهذا اعتبرت من قبيل الأساطير والخرافات القديمة التي نسجتها مخيلة الكهنة الأمر الذي يستحيل معه قسوس العقل السليم بمثل هذه الترهات ، وما رافقها من تضخيم وتضخيم لشعب مشتهر مختار ، ظن صلفاً أنه شعب مختار تشبهاً بمع تقوله على الله تبارك وتعالى ومكابرة على الحق ، واتباعاً لخطط الكهنة ابتغاءً جموع اليهود بعد التيه والتشرد .

١ - الطائفة : ٤٤

٢ - يراجع في هذا الصدد ما كتبه " موريس بوكاي " حول الأخطاء التاريخية الواردة في التوراة المحرفة المتداولة ، وكذلك المناقشات العلمية التي لا يسلم بها العلم الحديث وذلك في كتابه " دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة " ، ص ٣٩ - ٤٧ ، دار المعارف بمصر

ثانيا : تقسيم التوراة : ===

يقسم اهل الكتاب اسفار العهد القديم كل بحسب ترتيبه الخاص ، وط
يذهب اليه كل فريق . فاليهود لهم تقسيم رتبوا فيه اسفارهم بحسب تواريخهم
ولم يسلم هذا التقسيم من خلافات بين الفرق اليهودية -
فاذا جئنا الى المسيحيين وجدنا النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة
اسفار عن النسخة البروتستانتية (١) .

وط يهم البحث هنا هو التقسيم الذي ارتضاه اليهود للعهد القديم
والذي يبلغ مجموع اسفارهم ٣٩ سفرا وهي على النحو التالي :

القسم الاول : اسفار موسى الخمسة ، وتسمى ايضا الناموس (٢)
وهي :

١ - التكوين ، : وهي بذلك لانه يصف الخليقة ود * العالم والشعب المختار بنوع
خاص . (٣)

٢ - الخروج : واسمه في الاصل العبري (واله شيموت) ويتحدث عن بني اسرائيل
وخروجهم من مصر ، وقد دونت فيه احكام شريعتهم بحسب ما يرونها
ومن ضمنها الوصايا العشر في الاصحاح العشرين . (٤)

٣ - اللاويين : ويحتوي على طقوس الكهنة ابنا * لاوي (٥) ويبين واجباتهم وحقوقهم
والذبايح وفروضها . (٦)

٤ - العدد : تضمن احصاءات عن الشعب المختار ، وقصة التيه . (٧)

٥ - تثنية الاشتراع : وهو تكرار وتتمة لشريعة موسى (٨) بحسب ما يزعمون ، واسم السفر
بالعبرية (اله هو ياريم) (٩)

١ - اليهودية ، د . شلبي ص ٢٣٠

٢ - قاموس الكتاب ص ٧٦٤

٣ - " كنتم خیرامة " طلفاح ص ١٥٧/٧

٤ - قاموس الكتاب ص ٣٣٩ ، (و " كنتم خیرامة " ، طلفاح ، ١٥٧/٧

٥ - " كنتم خیرامة " ١٥٨/٧ وقاموس الكتاب

٦ - قاموس الكتاب ص ٨٠٩

٧ - " كنتم خیرامة " . طلفاح ، ١٥٨/٧

٨ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٠٩ و " كنتم خیرامة " ص ١٥٨/٧

٩ - قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٥

القسم الثاني : ويسمى الانبياء ، وكذلك الاسفار التاريخية

وهو اثنا عشر سفرا يسأعددها فقط واحيل القارى الى المصادر والتي تحدثت عنها ، والتي توسعت في مباحثها .

- | | |
|-------------------|-------------------------|
| ١ - يشوع | ٧ - الطوك الثاني |
| ٢ - القضاة | ٨ - اخبار الايام الاول |
| ٣ - راعوث | ٩ - اخبار الايام الثاني |
| ٤ - صموئيل الاول | ١٠ - عزرا |
| ٥ - صموئيل الثاني | ١١ - نحميا |
| ٦ - الطوك الاول | ١٢ - استير |

وتتحدث اخبار هذه الاسفار عن كل ما مر باليهود حسب زعمهم من احداث خلال عهود الانبياء اصحاب هذه الاسفار ، وما حدث لكل واحد منهم (١)

القسم الثالث : اسفار الاناشيد

وعدها خمسة

- | | | |
|-------------|-------------------|------------------|
| ١ - ايوب | ٢ - مزموير داود | ٣ - امثال سليمان |
| ٤ - الجامعة | ٥ - نشيد الاناشيد | |

وتتحدث هذه الاسفار عن امور مختلفة منها قصص ايوب وابتلاؤه ، وادعية متعددة نسبت اليه والى سليمان وداود . وغيرهم .

القسم الرابع : اسفار الانبياء (الصغار) ويسمى نبينهم

وهي سبعة عشر سفرا

- | | | | |
|-----------------|--------------------|------------|---------------------|
| ١ - اشعيا | ٦ - هوشع | ١١ - ميخا | ١٦ - زكريا |
| ٢ - ارميا | ٧ - يوشيا | ١٢ - ناحوم | ١٧ - ملاخي او ملاحي |
| ٣ - مراثي ارميا | ٨ - طوموس | ١٣ - حبقوق | |
| ٤ - حزقيال | ٩ - عوبيديا | ١٤ - صفنيا | |
| ٥ - دانيال | ١٠ - يونس او يونان | ١٥ - حجي | |

وهي أسفار تتحدث عن كل ما جرى لهؤلاء المذكورين اعلاه مع قومهم

١ - ومن اهم المصادر والمراجع التي بحثت في تفاصيل هذه الاسفار وفسرت الاحداث التي صرت بانبياء بني اسرائيل : اليهودية ، د . شلي ، والاسفار المقدسة ، للدكتور وافي ، وكتاب قاموس الكتاب المقدس ، ونوا اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء للدكتور عبد الشكور محمد أمان ، وكنتم خيرامة ، لطفاح وغيرهم .

ثالث : لغات الاسفار وتاريخ تأليفها وتدوينها :
=====

دونت اكثر اسفار العهد القديم بالعبرية ، وان كانت التراكيب اوالا ساليب
وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الاسفار وتنتم عن العصور التي الف فيها كل سفر
منها ولا يستثنى من ذلك الا بعض أجزاء يسيرة الفت من اول الامر باللغة الارامية وهي
بعض اجزاء من سفر عزرا (ESDRAS) ودانيال وفقرة واحد من سفر ارميا
وكلمتان اثنتان من سفر التكوين وردتا باللغة الارامية عن قصد ويرجح الباحثون ان
ان ط الف بالارامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه الى حوالي سنة ٣٠٠ قبل
الميلاد وان ط الف بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه الى سنة لاحقة لهذا
التاريخ . (٣)

وان اقدم ترجمة للتوراة (هي الترجمة المعروفة اليوم بالترجمة السبعينية
وهي المنقولة من العبرانية الى اليونانية وقد نقلت هذه الترجمة الى الاسكندرية
بحصر في حوالي سنة ٢٥٠ ق م طلبية لرغبة بطليموس فلا دلفوس (٢٨٠ - ٢٤٧ ق م) ثم
ترجمت الى اللغة الحبشية عام ٣٢٠ للميلاد ويرى المؤرخون المحققون ان المقصود
بالتوراء هنا هو الاسفار الخمسة الاول من الكتاب المقدس المنسوب لموسى عليه
السلام كما يدعي اهل الكتاب . (٤)

(وليس في الوسخ تحديد تاريخ قاطع للتوراة ولكن الارجح ان معظمها كان
موجودا ومعترفا بقداسته لدى اليهود منذ عهد الاسكندر الاكبر (عام ٣٣٠ ق م)
وقد اتفق معظم شراح العهد القديم على تعدد النسخ التي جمعت منها التوراء واهمها
نسخة إلهيم ونسخة يهوه ونسخة الكهنة او المسجلين والذائع ان بعض هذه النسخ
كتب حوالي القرن العاشر ق م على ايام السلطنة الاسرائيلية وبعضها الاخر كتب
في القرن السادس ق م . اثنا فترة السبي البابلي وبعضها كتب قبل الميلاد بنحو
ثلاثة قرون .

وايضا كان الافرسان اقدمها عهدا يروى احداثا تعزى الى زها* السف
سنة مضت قبل تسجيلها كما انها في جملتها تتناول تاريخا بينها وبينه عدة قرون وهذا
ينطوى ضمنا على ان تدوين التوراء تعرض لتعديلات كثيرة حتى تكون اكثر مطابقة
للاغراض التي دعت الى كتابتها وفي راي ولزان التوراة قد انتهت الى صيغتها
الراهنة حوالي سنة ١٠٠ ق م (٥)

- ١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣ ٢ - المرجع السابق
- ٣ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ١٧ ٤ - " كنتم خيرامة " طلفاح ١٧٠/٧
- ٥ - التراث اليهودي الصهيوني ، صبري جرجس ص ٢٢ ط ١ ١٩٧٠ عالم الكتب ، القاهرة

وهذه موريس بوكاي الى ان : ما اشار اليه " اد موند جاكوب " من انه لم يكن هناك نص واحد فقط بل هناك (متعدد في النصوص ، ففي القرن الثالث قبل الميلاد تقريبا كان هناك على الاقل ثلاث وثلاثون للنص العبري للتوراة ، وكان هناك النص المحقق (الطاسوري) والنص الذي استخدم جزئيا على الاقل في الترجمة اليونانية والنص المعروف بالسامري او اسفار موسى الخمسة ثم بعد ذلك في القرن الاول ، قبل الميلاد اتجه الى تدوين نص واحد ولكن تدوين نص الكتاب المقدس لم يتم الا في القرن الاول بعد الميلاد . (١)

وهوكد بعض العلماء على (ان النسخة الوحيدة من التوراة التي كانت محفوظة بالهيكل ضاعت باحراقه لأول مرة على ايدي البابليين) (٢)

ومن ثم فقد قام احبار اليهود اثنا عشر البابلي بتأليف توراة جديدة اعتدوا فيها على الذاكرة واضعين اطماعهم هدفا واحدا هو اجتماع اليهود مرة اخرى عند الهيكل بعد اعادة بنائه من جديد ولا يمنع هذا بطبيعة الحال من ادخال التعديلات عليها حتى اصبحت بنصها الحالي (٣)

وهناك اسفار كثيرة لم يعرف مؤلفوها (٤)

وتجدد الاشارة الى ان اخر الابحاث التي انتشرت في الغرب اكدت على بشرية التوراة المكتوبة حاليا : ان جاء في مقدمة دراسة صادرة عن الهيئة العبرية

١ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ، ص ١٨ ، وهوكد ايضا (انه لو كانت هذه الوثائق الثلاثة موجودة الان لا يمكن اقامة المقارنات للوصول الى رأى على ان عليه النص الاصيل ولكن يشاء " سوء الحظ الا تكون لدينا اقل فكرة عنه ان اقدم نص عبري للتوراة يرجع عهد الى القرن التاسع بعد الميلاد هذا اذا وضعنا جانبا اسطوانات مفارقة قمران التي ترجع الى ما قبل العصر المسيحي بقليل ويرد يسة الوصايا التي تختلف طفيفا عن النص الكلاسيكي ، وبعض مخطوطات ناقصة ترجع الى القرن الخامس بعد الميلاد . . .)

٢ - التراث اليهودي الصهيوني ، ص ٢٢

٣ - المرجع السابق

٤ - راجع : بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ، ١/ ٨٢-٨٩ وقد أسهب د . عبد الشكور أمان في اعطاء نماذج كثيرة لهذه الاسفار .

الامريكية والتي اوضحت (ان هذه الدراسة تنبع من فرضية ان سفر التكوين كما هو الحال في الاسفار الاربعة المكونة للتوراة هي كتاب بشري من وضع البشر (١) .

كل ذلك يدعو الى الشك في هذه الاسفار ، بل والاعتقاد بانها من وضع احبار اليهود ، وانها ليست من وحي الله لما فيها من دس وتحريف وتزوير .

وهكينا ان الحق تبارك وتعالى قد كشف جرائم اليهود في تحريفهم للتوراة والكتب المنزل على انبيائهم ، يقول الله تعالى :

(أَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَايِكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَلْفَاظًا وَهُمْ يَغْنُنُونَ ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (٢) .

ويقول ايضا (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاقْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ، وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَعَارِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (٣) .

ويقول (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمِعْ غَيْرَ سَمِعٍ وَرَأَيْنَا لَبًّا بِالسِّنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (٤) .

١ - : مقالة بقلم " محمد جلال كشك " تحت عنوان " ملاحظات اسلامية عن التوراة

والانجيل " ، مجلة البهاية ، عدد ٨٠٤ ، ٢٢ شعبان ١٤٠٤ هـ ، ص ٤٩ ، السعودية .

٢ - البقرة : ٧٥ - ٧٩

٣ - البقرة : ١٣ - ١٤

٤ - النساء : ٤٦

النقد الموجه الى تلك الاسفار

من الاسباب الهامة التي تدعو الباحثين للشك في صحة الاسفار المقدسة وعدم نسبتها الى موسى عليه السلام : كثرة الفتن والاضطرابات التي رافقت التاريخ اليهودي ، ولا ادل على ذلك من تعدد حملات السبي المتكررة التي قام بها الاشوريون على امتداد حقب طويلة كان اولها سبي الاسباط العشرة او ملكة اسرائيل الشمالية سنة ٧٤٦-٧٢٨ ق م حتى سقوط السامرة بيد سرجون عام ٧٢٢ ق م . ثم سبي السكان الى ما دى وما بين النهرين .

اما السبي الثاني فهو سبي يهوذا وتم على يد نبوخذ نصر في اربع مراحل اى في الاعوام ٦٠٥ ق م و ٥٩٧ ق م و ٥٨٧ ق م و ٥٨٢ ق م (١) . ولا يخفى على احد ما يرافق عادة عمليات السبي من بطش وقتل وخراب وحرائق ما يجعل من المؤكد فقدان وتلف ما بحوزة القوم من اعيان . وكتب ، وما الى ذلك . زد على ذلك ان الصراع كان دينيا في اغلب الاحيان .

وعلى هذا الاساس فان هذه الاسفار لا يمكن ان تبقى على حالها من حيث الصحة والنقل واتصال السند فضلا عن التواتر مهما قيل من حجج توهي في الظاهر انها كانت محفوظة في الصدور ثم تداولت فيما بعد او انها كانت مكتوبة في مجلدات . وقد اكد الشيخ رحمة الله الهندي انقطاع سند الاسفار وعدم تواترها بقوله (ان تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون والنسخة التي وجدت بعد ثلثي عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقينا ، ومع كونها غير معتدلة ضاعت هذه النسخة ايضا غالبا قبل حادثة بختنصر ، وفي حادثة انعمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم رأسا) (٢) .

على ان العلماء يوردون اسبابا اخرى تجعلهم في شك من امر هذه الاسفار وتقدم لهم ادلة قاطعة على انها من صنع كتيبة وحاخامات اليهود ولا يمكن نسبتها الى موسى عليه السلام .

فمن ذلك ما اورد ديورانت حول سفر التكوين من (ان العلماء مجمعون

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٨ - لمجموعة من علماء اللاهوت .

٢ - اظهر الحق ، الشيخ رحمة الله الهندي ص ٨٤

على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هـ القصتان المتشابهتان المنفصلتان هما
عن الأخرى في سفر التكوين تتحدثا أحدهما : عن الخساق باسم (يهوه) على حين
تتحدث الأخرى عنه باسم (الوهيم) ويعتقد هؤلاء العلماء أن القصص الخاصة
بـيهوه كتبت في يهوذا وأن القصص الخاصة بالوهيم كتبت في افرايم وأن هذه وتلك
امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة . (١)

أما بالنسبة لسفر تثنية الاشتراع فيقول عنه ديورانت :

(وفي هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية أكبر الظن أن كاتبه
أو كتابه غير كتاب الأسفار السالفة الذكر وشقة عنصر رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة
فيما بعد والرأي الغالب أن هذه الفصول تكون الجزء الأكبر من سفر الشريعة الذي
إذاه عزرا وجد وأن هذه الأجزاء الأربعة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام
(٢)
٣٠٠ ق م .

ويفرق ديورانت بين ما وجد في عهد يوشيا وما تلاه عزرا على الشعب ولهذا
فالحاجة ماسة للعودة إلى هاتين الحادثتين للتعرف على ما قرره ديورانت .

- يعترف أهل الكتاب أن معظم الأسفار المقدسة قد اُتلفت أو فقدت في عصر
الارتداد عن الله وهذا ما صرح به قاموس الكتاب المقدس مستشهدا بالأصحاح ٢١ من
سفر الملوك الذي أخبر عن الأحداث التي طرأت ^{منسى} وقد جاء فيه (من أجل أن منسى
ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأسأ أكثر من جميع الذي عمله الأموريون الذين قبله
وجعل أيضا يهوذا يخطئ بأصنامهم لذلك هكذا قال الرب اله اسرائيل هاأنذا جالب
شرًا على اورشليم ويهوذا حتى أن كل من يسمع به تطن أذناه وأعد على اورشليم خيط
السامرة ومطارب بيت أخاب وأمسح اورشليم كما يمسح واحد الصحن بمسحه ويقلبه على
وجهه وأرفض بقية ميراثي وأدفعهم إلى أيدي أعدائهم فيكونون غنيمة ونهبًا لجميع أعدائهم)
(٣)

بعد هذه الكارثة تولى يوشيا الحكم وفي عهده وجد "حلفاء" فصولا من سفر تثنية
الاشتراع . ، وقد أكد الدبس أن ما وجد فقط أربعة فصول من سفر التثنية . (٤)
فالمعشور على أجزاء من سفر لا يعني أن جميع أجزاء التوراة التي فقدت
أو أُلغيت أو محيت قد عثر عليها كلها ، هذا إذا كانت حادثة المعشور حادثة صحيحة
ولم تكن الأجزاء المعشورة منها من تأليف شافان الكاتب بالتواطؤ مع حلفاء الكاهن

١ - قصة الحضارة ١/٢ : ٣٦٧

٢ - المرجع السابق ١/٢ : ٣٦٧-٣٦٨

٣ - سفر الملوك الأول ٢١ : ١١-١٤

٤ - مختصر تاريخ سوريا ، ص ٩٧

فهنا اللذان عثرا على تلك الاجزاء (١)

وهوكد ديورانت أن ما عثر عليه من الاسفار على عهد يوشيا " قري " على اليهود مرتين في يوم واحد " . (٢)

ثم تأتي الحادثة الثانية وهي حادثة عزرا والتي تحدث عنها ديورانت قائلا (في سنة ٤٤٤ ق م دعا عزرا وهو كاهن وعالم اليهود الى اجتماع عام خطير وشرع يقسراً عليهم من مطلق النهار الى منتصفه (سفر شريعة موسى) وظل هو وزملاؤه اللاهوتون سبعة أيام كاملة يقرأون عليهم ما تحتويه ملفات هذا السفر ولما فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستوراً لهم يتبعونه ويحادي " خلقية يسيرون على هديها ويطيعونها الى أبد الأبد (٣) .

ثم يؤكد أن ما نطس في عهد يوشيا هو غيره ما نطس في عهد عزرا . وبعد أن يورد تأثيرات الأمم الأجنبية على اليهود يقرر حقيقة هامة فادها (ان الاسفار التي نطيت على الشعب بأمر يوشيا وعزرا هي التي صيغت منها القوانين الموسومة التي قامت عليها الحياة اليهودية كلها فيما بعد .) .

وقد طق الشيخ رحمه الله الهندي على ذلك بقوله (ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسختها واكثر نقولها في حادثة انتيوكس (انتيوخوس) . وحادثة انتيوخوس هذه تعتبر من أهم الكوارث التي حلت باليهود وتراشهم الديني وقد تحدث عنها الديس قائلا (. . . وطاد ياسون من مكره وهاجم أورشليمم بالف رجل فهرب متلاوس الى القلعة وأخذ ياسون يذبح أهل وطنه بلا شفقه ولكن تقوى عليه الجمهور فطردوه وطاد غربها في مصر ، وبلغ انتيوكس خبر ثورته فزحف السى اورشليم فاهلك من اهلها ثمانين الفا في ثلاثة ايام وباع منهم كثيرين وانتهب الهيكل وكان ذلك سنة ١٧٠ ق م) . (٦)

١ - راجع : قاموس الكتاب المقدس حول حادثة العثور هذه في ص ١١٢٠

٢ - قصة الحضارة ١/٢ : ٢٦٦

٣ - المرجع السابق ، ويعقب على ذلك قائلا (. . . على حين ان قراءة الكتاب الاخر (عزرا) قد احتاجت الى اسبوع .

٤ - المرجع السابق ١/٢ : ٣٧٠ ه - اظهار الحق ص ٨٤

٦ - مختصر تاريخ سوريا ص ٩٧ مستشهدا بـ (مكاف ٤ عدد ٧٠)

الفصل الرابع : رجال الدين اليهود ،

ان التطور الذى رافق العقيدة اليهودية والذى اشار اليه العلماء ، راجع دون شك الى وجود طبقة في المجتمع الديني اليهودي ، اذ عتادوا تحريف التوراة الاصلية ، وهذه الطبقة تمثت "بالكهنة" والكتبة" ، والتي سنرى طرفا منها اثاء الاشارة اليها بشكل موجز لنعرف حقيقتها وما تمثله من ضغط في المجتمع اليهودي .

أ - الكهنة :

تطلق هذه الكلمة في عرف اهل الكتاب على خدام الدين وفي اصطلاح الكتاب المقدس عندهم تأتي من كلمة (كاهن - أوكهنوت " اى الشخص المخصص لتقديم الذبائح ") (١)

وكان الكهنة يتولون الى جانب ذلك التشفع لدى الله من أجل الشعب (٢) . ومن هنا تبرز أهمية دور هؤلاء في المجتمع كطبقة تستغل تدين الناس بامتهانها الوساطة ما بين الخلق والخالق .

والاعتقاد السائد بين اليهود (أنهم أمة من الكهنة والقديسين والانبياء اختارهم الله ليكونوا بمثابة الكهنة لكل الاغيار ، ولكن شعب الكهنة كان مع هذا له كهنته المقصورون عليه) (٣)

والى جانب واجبات تقديم الذبائح اليومية والاسبوعية والشهرية والسنوية اضيفت الى مهامهم الخدمة في (الاحتفالات والتطهير) وكانوا يعتنون بالانيسة المقدسة والنار المقدسة والمنارة الذهبية والاثاث المقدس . وكانوا يطلقون الصوت في الابواق المقدسة ويحيطون تابوت العهد ويقضون في دعاوى الغير ويقدررون المال للافتداء وينظرون في شأن البرص ويفسرون الناموس للشعب ويقومون باستشارة الله بواسطة الاوريم والتيميم (٤)

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١

٢ - الكتب التاريخية في العهد القديم . مراد كامل ص ٢٠ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ م .

٣ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص ٣١٧

٤ - كلمتان عبريتان معناهما (انوار وكلمات) . ويرجح انهما كانا شيئين صغيرين اوريا حجرين وكانا يحفظان في صورة رئيس الكهنة يستخدم الاوريم والتيميم في معرفة ارادة الله في الامور الكهنوتية او السياسة القومية (قاموس الكتاب المقدس ص ١٣٦) ومن خلال وصفهما فان قول صاحب القاموس انف الذكر (ويقومون باستشارة الله) يفيد ان حوارا قائما يدور بين الكهنة وبين الله بواسطة هذين الحجرين ، وهذا محال وتدلّس على الناس واقترا على الله كما لا يصح وصف هذه الطريقة بالاستشارة كما جاء في قول صاحب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) من انهم كانوا يفصلون في الامور

وكان رئيس الكهنة اعظم الاشراف بين الاسرائيليين وكانت وظيفته ميراثا في آل هارون وكان البكر ، اذا خلا من العيوب الجسدية هو الذي يتولّى هذا المنصب وكانوا يعينون^(١) في حفل كبير) ويقوم بتقديم الذبيحة يوميا ، وكان يلبس الملابس الفاخرة ولا سيما في يوم الكفارة ، وكان يضع في هذا اليوم صورة مرصعة بالجواهر وقد نقش على الجواهر اسما^{*} اسباط بني اسرائيل الاثنى عشر ، وذلك يرمز الى ان رئيس الكهنة يحل محل مسؤولية كل الشعب ، وهذه الرتبة هي تذكرا للشعب امام الله كما يدعون^(٢) .

=القضائية عن طريق استخاره الله ، راجع : ص ٣١٧ من المرجع السابق . فهذه لا يمكن تسميتها استخاره ، لمخالفة الشكل والمضمون ، بل هي اقرب الى طريقة عرب الجاهلية في الاستقسام بالازلام او عادة التطير عندهم .

اما الاستخارة فهي عند المسلمين : دعا^{*} بعد صلاة غير فريضة يقصد منها (طلب الخيرة) سخر الصالح لابي بكر الرازي ص ١٩٥ ط ١٣٩٨ هـ ، دار الفكر .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم اصحابه الاستخارة في الامور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن : يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين غير الفريضة ثم ليقل : اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب ، اللهم فان كنت تعلم ان هذا الامر ، ثم يسميه بعينه - خير لي في عاجل امري واجله وفي ديني ومعاشي وعاقبة امري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وان كنت تعلم انه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال عاجله واجله فاصرفني عنه واقدّر لي الخير حيث كان ثم رضني به)

صحيح البخاري كتاب التوحيد باب ١٠ ، المكتب الاسلامي ، محمد اوزدمير ، استانبول - تركيا ١٩٧٩ م

١ - قارن هذه الاحتفالات بما في قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٣

٢ - الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٠

وهكذا نرى هو* لا الكهنة كيف يلعبون دورا مهما في حياة اليهود واليهودية* فقد وضعوا انفسهم بين الناس والله فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين الا اذا باركها الكاهن لان مفتاح السماء كان في يده (١) . (حسب ما يدعون) كما لم يكن احد غير الكهنة يستطيع ان يقرب القرابين بالطريقة الصحيحة او يفسر الطقوس او الاسرار الدينية تفسيراً آمناً من الخطأ وكان هو* لا طبقة مغلقة ولا يستطيع احد ان ينتمي اليها الا ابناً ليفي ، ولم يكن من حقهم ان يرثوا مالا ولكنهم كانوا معفيين من الضرائب وفرضة الرووس وسائر الاتاوات على اختلاف انواعها وكانوا ياخذون العشور على نتاج الضان ، وينتفعون بما يبقى في الهيكل من القرابين التي لم تستفد ههنا الالهة (٢) (حسب زعمهم) .

ولا شك ان هذه العطية تد ر عليهم اموالا طائلة كما تبرز هذه الظاهرة مدى الثروة التي يمتلكها هو* والتي جنبت من الناس باسم السدين . (٣) .

ومن خلال مراجعة جدول فرق الكهنة في قاموس الكتاب المقدس يتضح لنا ذلك العدد الهائل الذي كان يولف طبقة هائلة تعيش على دماء الناس وتلاعب بعواطفهم واحاسيسهم الدينية لقاء تجارة الخداع والغش .

١ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣١٢

٢ - قصة الحضارة ١/٢ : ٣٤٦

٣ - يقول الحق تبارك وتعالى في معرض مخازي اليهود في اكل اموال الناس بالباطل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) التوبة : ٣٤ قال الواحدي : (نزلت في العلما والقراء من اهل الكتاب كانوا ياخذون الرشا من سفلتهم وهي المآكل التي كانوا يصيرونها من عوامهم) اسباب نزول القرآن لابي الحسن علي بن الواحدي . ت : سيد احمد صقر ص ٢٤٣ دار القبة للثقافة الاسلامية ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م المملكة العربية السعودية .

وقال ابن كثير (ذلك لانهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون اموالهم بذلك . كما كان لاحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عند هم خرج وهدايا وضرائب تجبي اليهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم في ان تبقى لهم الرياسات فاطفاها الله بنور النبوة وسلبهم اياها وعوضهم الذل والصغار وباءوا بغضب من الله تعالى) تفسير ابن كثير ٢ : ٢٥٠

ب - الكتيبة :

هذه الطبقة يطلق عليها اسم آخر هو " الناموسيون " (١) كانت مهمتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها فهم أشبه بالنساخ (٢) وعن طريق صلتهم بكتابة الشريعة عرفوا بعض المعلومات من الكتب التي نسخوها فاتخذوا الوعظ وظيفه اخرى لهم بجوار كتابة الشريعة وكان الوعظ وكتابة الشريعة وسيلتين اصطنعهما الكتبة لتصيد اموال الناس وبخاصة عند ما عم الفساد وانحرف الفريسيون (٣) .

وقد تطورت هذه الطبقة واصبح من مهامها :

اولا : درس الناموس وتفسيره واصبح شرحهم مدنيا ودينيا وكانوا يحاولون تطبيقه على تفاصيل الحياة اليومية وقد اصبحت قرارات عظماء الكتيبة شريعة شفهية (٤) تدعسي التقاليد . ولا شك ان التلمود كان وليد ما ألفه الكتبة .

١ - الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٦

٢ - المرجع السابق ص ٢٧

٣ - اليهودية د . شلبي ص ٢٣٢

٤ - هكذا تحولت الشريعة من الاصل الى التحريف على ايدى هؤلاء ، فجاء التحريم والتحليل وفق اهوائهم وهذا تعد على مقام الالهية والربوبية ، وقد فضح الحق تبارك وتعالى هذه الجريمة بقوله في محكم التنزيل (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) . التوبة : ٣١ قال الامام ابن كثير ، : وهكذا قال حذيفة ابن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير (اتخذوا احبارهم . . .) انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا وقال السدي : استنصحو الرجال ونبذوا كتاب الله ورا (ظهورهم) . . . راجع تفسير ابن كثير ٢ : ٣٤٩

وفي شان الذين يكتسبون الكتاب بايديهم وينسبون لها الله يقول سبحانه (فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشترؤا به ثمنًا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) البقرة : ٧٩ ، يقول الامام ابن كثير : اي فويل لهم مما كتبوا بايديهم من الكذب والبهتان والافتراء وويل لهم مما اكلوا به من السحت كما قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه (فويل لهم) يقول فالعذاب عليهم من الذي كتبوا بايديهم من ذلك الكذب وويل لهم مما يكسبون ، يقول : مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم) تفسير ابن كثير ١ : ١١٨

وعن تبديل هؤلاء لكتاب الله جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (يا معشر المسلمين كيف تسألون اهل الكتاب وكتابكم الذي انزل على

ثانيا : لدرس الاسفار الالهية بنوع عام وذلك من الوجهة التاريخية والتعليمية .
 ثالثا : للتعليم ، وكان يلتفت حول كل كاتب مشهور جماعة من الطلاب ينتظرون عليه .
 رابعا : العناية بحفظ الهيكل والمجامع ^(٢) . اضافة الى ذلك جاءت (خطوة ثانية رفعت من شأن الكتبة وأطت من قدرهم ، وهي أن كل واحد منهم عنى بإنشاء مدرسة أصبح هو راعيا لها ومعلما بها . وكان له مریدون يسمعون تعليماته ويذيعونها ، ومن الناحية النظرية لم يكن يجوز لهذا المعلم أن يتقاضى أجراً من مریديه وان كانت الناحية النظرية كثيراً ما أهملت وحصل الكتبة على ثراء كبير من مریديهم ومن وسائل أخرى ^(٣) .

وقد بلغ (أوج نفوذهم على الشعب في أيام المسيح (عليه السلام) . . ومع أنه وجد بينهم من آمن بتماليم المسيح . . إلا أن أكثرهم قاموا ضده وتذمروا منه ^(٤) .
 وقد حمل المسيحيون الكتبة مسؤولية (صلب المسيح) كما يمزعمون . ولهذا كان الانتقاد شديدا لهم .

وهكذا يتضح دور رجال الدين اليهود وكذلك خطورة المهام الموكلة اليهم .
 فمن هذا السبيل يمكن اخضاع المجتمع لتوجيهاتهم والزامه بمقرراتهم وتقريراتهم العقديّة والاجتماعية والاقتصادية وغيرها . وقد شكلت هذه الفئات العمود الفقري للنحس الفكرى والسلوكى والسياسى اليهودى عبر التاريخ ، فنجد المؤلفات اليهودية تصدر عن اراء هؤلاء كتابة وشرحاً وتفسيرا مع الاخذ بعين الاعتبار ما تضيفه هذه المهام عليهم من قدسية في أعين البسطاء .

وتتطادى هذه الفئات في اضلال الرعاى عن طريق استغلال العواطف واثارة الشاعر وتأليبها وبث روح العداوة والاحتقار لغير اليهود وقد اخترعت ما يسمى بشعار " المعاداة للسامية " كستار لمعاربة كل من يتصدى لمآرب اليهود واطماعهم التوسعية وعن هذا الطريق استطاعت الصهيونية تنفيذ مآربها واغتصاب اراضي المسلمين فسي فلسطين وهي على الدوام تسعى لمزيد من التوسع ككل سنحت الفرصة بذلك .

= نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الاخبار بالله تقروونه لم يشب وقد حدتكم الله ان أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن سائلتهم ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم) : صحيح البخارى ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها ١٦٣/٣

- ١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٩
- ٢ - يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية . د . احمد حجازى السقا ص ٢٤ دار التراث العربى للطباعة والنشر ط ١ ، مصر ، ١٩٧٨ م
- ٣ - اليهودية . د . شلي ص ٢٣٢
- ٤ - قاموس الكتاب المقدس ٧٦٠
- ٥ - المرجع السابق .

الفصل الخامس

الفرق اليهودية

أسباب انقسام اليهود الى فرق دينية تعود إلى أمور شتى ، ولكن العقائد اليهودية خاصة ما يتعلق بأصول الدين ، وفروعه ، كانت من أبرز أسباب هذه الفرقة وهذا الشعب .

كما أن روح التفرد والأناية التي تصطبغ بها الشخصية اليهودية كان لها تأثير كبير على انقسام المجتمع الديني اليهودي ككل ، وإذا كان لليهود ما يجعلهم يعيشون بعيداً عن الشعوب الأخرى ضمن مجتمعات منغلقة فإن هذه العقولة تنطبق على الوضع الداخلي إذ أن الأحقاد والضغائن تنتشر انتشاراً واسعاً وتشكل باستمرار تهديداً للمجتمع اليهودي ، ومن الناحية التاريخية فإن تفرق اليهود خاصة بعد رجوعهم من السبي البابلي قد ازداد (١) .

ورغم هذا الانقسام وحب التشرد فإن اليهود يحرصون في الظاهر على إعطاء صورة مزيفة لواقعهم المنحل ، فهم على الدوام يوجهون الاعلام حول تجمعاتهم والتفافهم حول بعضهم ، إلا أنهم في حقيقة الأمر يعيشون في خداع مستمر وقصد كشف القرآن الكريم هذا الزيف ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى (لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ رِجْدٍ رِئَاسَهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) (٢) .

وسوف أحاول في هذه المعجالة استعراض أهم الفرق اليهودية المنتشرة إبان العصر الذي وجد فيه القمرايون للتعرف على بعض آراء هذه الفرق ، ومن ثم الوقوف على الفرق بين جماعة وادي قمران وبقية أقرانها .

أولاً : الصدوقيون

هذه الفرقة تنتسب إلى رجل يقال له صدوق^(٣) ، أو صادوق^(٤) ، وقد كان كبير الكهنة ، وقد ورث الصدوقيون عنه المهنة حتى عام ١٦٢ م^(٥) ، وكانت أسرة صادوق تقود الشموئون في القرنين الرابع والثالث في العصرين الفارسي واليوناني (ثم) أخذت تضع الاعتبارات السياسية فوق الدينية (٦) .

- ١ - راجع : الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٣
- ٢ - الحشر : ١٤
- ٣ - الفصل ، لابن حزم ٢٨/١
- ٤ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٧
- ٥ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ٢٤
- ٦ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

وقد تقرب الصدوقيون من حكام اليونان وغيرهم كما تقرب الحكام اليهم ، فكانت القيادة والسياسة في ايدي الصدوقيين في زمان الرومان اليهود وسيين وكان رؤساء الكهنة انذاك منهم (١)

وانحصرت عقائدهم في الاتي :

أ - التزموا تعاليم التوراة (المحرفة) ورفضوا الأخذ بالا حاديث الشفوية المنسوبة الى موسى (عليه السلام (٢) . وقالوا : (إن حرف الناموس المكتوب وحده ملزم) (٣) .

ب - انكروا القيامة والثواب في الجسد ، ذاهبين الى ان النفس تموت مع الجسد (٤) . ويعتقدون ان عقاب العصاة واثابة المحسنين انما يحصلان في حياتهم (٥) .

ج - انكروا وجود الملائكة والارواح (٦) .

د - قالوا بحرية الارادة و (اننا قادرون على اعلاننا ، واننا سبب الخير واننا نتقبل الشر من أجل حماقة أفعالنا وأن لا يدخل الله في صنعنا الخير أو اعرضنا عن الشر (٧) .

(٨)

هـ - كانوا يقولون بان عزيرا ابن الله (تعالى الله عما يصفون) وكانت تحصل بينهم وبين الفريسيين مشاحنات وخلافات . (٩) . وقد عارضوا المسيح عليه السلام في دعوته وكانت لهم محاورات معه سجلها متى (٣ :- ٢٣ ومتى ١٦ : ١-٤) ويتهمهم المسيحيون بالمشاركة في المؤامرة على السيد المسيح ، كما نصب متى وصف المسيح لهم بأنهم أولاد الأفاعي هم والفريسيون متى ٣ : ٧ . وكان باقي اليهود ينفرون من تعاليمهم (١١) وتعتبر هذه الفرقة من الفرق التي اضمحلت مع الزمن (١٢) وان كانت بعض افكارها لا زالت موجودة بين ظمروا بني اليهود .

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

٢ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٦

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ وحياة المسيح للعقاد في المجموعة الكاملة ١١ : ٢٤٥

٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٣٨ وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

٥ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٦

٦ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ ٧ - المصدر السابق ومخطوطات البحر الميت للعابدي " ص ٣٨

٨ - الفصل ، لابن حزم ١ : ٢٨ ٩ - يوحنا المعمدان ص ٢٣

١٠ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٠

١١ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٧

١٢ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٣٨ و موسوعة المفاهيم ص ٢٤٠

ثانيا

الفريسيون :

هذه الكلمة مأخوذة من العبرية (بيروشيم) أى المنعزلون^(١)، وهذا اللفظ دليل على انفصالهم عن عامة الشعب وما يختص بالسلوك^(٢)، ومع ذلك فهم لم يتجنبوا الناس كلية بل كانت لهم صلات وتعامل ، واختلاط ، وانما كانت هذه التسمية تهكماً وتحقيراً لهم^(٣)، كما يطلق عليهم أيضاً اسم الربانيين^(٤)، وهم يشكلون إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي تناهض الفئتين الأخريين الصدوقيين والاسانيين (جماعة وادى قمران) وكانت أضيقتها رأياً وتعليطاً^(٥)، وهناك خلاف بين العلماء حول أصل نشأتهم^(٦)، وقد شكل هؤلاء حزباً سياسياً دينياً أيام المسيح عليه السلام وقد تعرضوا للابادة في عهد يوحنا هركانس الأول (١٣٤-١٠٤ ق م) فتدفق الفريسيون من اليهودية إلى قمران إلتقاءً للمظالم أكثر منهم رغبة في الحياة النسكية ، وبلغ الفريسيون ذروة اليأس والقنوط (وازدادت على يد) الاسكندر بن يوحنا نان (١٠٣-٧٦ ق م) "الشبل الكلب" على حد التعبير الوارد في "تفسير نحوم" وناصر عليهم الصدوقيين ، ودام النزاع بين الفريقين ست سنوات باد فيها من الفريسيين خمسون الفا رجل على ما جاء في تاريخ اليهود القديم ليوسيفوس فاستنجد هؤلاء بالسلوقيين فتقدم ديمتريوس الثالث افكابروك (٩٤-٨٨ ق م) من دمشق إلى شكيم (نابلس) حيث أوقع بجيش الاسكندر سنة ٩١ ق م) ولما قفل الطك السلوقي راجعاً عاد الاسكندر وانتقم من الفريسيين فعلق على الصليب ثمانمائة من وجهائهم وقتل نساءهم وأولادهم تحت أعينهم وهم ينازعون ، والطك يعاقر الخمر مع محظياته^(٨) . إلا أنهم استطاعوا الحصول على دعم زوجة الاسكندر الكسندرا (٩٠) .

- ١ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ٢٨٣
- ٢ - يوحنا المعمدان ص ٢٣
- ٣ - حياة المسيح ، مجموعة العقائد الكاملة ١١ : ٢٤٤
- ٤ - الاسفار المقدسة ص ٥٦
- ٥ - قاموس الكتاب المقدس ٤٧٤
- ٦ - راجع هذا الخلاف في الاسفار المقدسة ص ٥٥ وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤
- ٧ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢ : ٣٧٥ - ٣٧٦
- ٨ - المرجع السابق ٩ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤

اهم عقائدهم :

- أ - انهم يعترفون بجميع اسفار العهد القديم والا حاديث الشفوية ، المنسوبة (زيفسا) الى موسى عليه السلام واسفار التلمود ، ويتضح ان فقهاءهم هم الذين ألفوا التلمود (٢)
- ب - يقولون بالقدر ، ويجمعون بينه وبين ارادة الانسان الحرة .
- ج - وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامه الجسد ووجود الارواح ومكافأة الانسان ومعاقبته في الآخرة حسب صلاح حياته الارضية أو فسادها (٣) .
- ولا شك ان مفهومهم هذا يختلف عن مفهوم الاسلام له ، ان يركب الفريسيون ان الاموات سينتشرون في هذه الارض ليشتروا في ملك المسيح السبى سيا تي آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعا في ديانسة موسى أي أن بعث هو لا سيحصل في الحياة الدنيا (٤) .
- د - ومن آرائهم ايضا أن دولة اليهود لا بد أن تستعيد مكانتها (٥) .
- وقد شاركوا غيرهم من اليهود في السوقوف بوجه دعوة عيسى عليه السلام وكذلك كان الامر بالنسبة لدعوة يحيى عليه السلام ، وكانا عليهما السلام يقولان بحسب ما يسمعتهم به المسيحيون ويناديانهم باولاد الافاعي هم والصدوقيون .
- كما وبخ المسيح عليه السلام بشدة رؤساءهم وادعاهم البر كذبسا وتحملهم الناس أثقال العرضيات دون الاكثراث بجوهر الناموس (٦)
- وقد انقسم الفريسيون في عصر السيلاد الى فريقين :
- فريق منهم يتبع الحكيم (هلل) وهو الفريق السمع الودود في معاملته الا جانب والفريق الاخر يتبع الحكيم (شامى) وهو أقرب الى الحرج والتضييق ورد الراغبين في دخول الدين من غير اليهود (٧)
- ولا شك بأن الكثير من الأحزاب السياسية والدينية في اسرائيل تأخذ بافكار هذه الفرقة التي ليس لها ذكر في التاريخ الحديث .

١ - الاسفار المقدسة د . وافي ص ٥٥ وكذلك قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤

٢ - الاسفار المقدسة ٥٥

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤ ٤ - الاسفار المقدسة ص ٥٥

٥ - اليهودية ، د . شلمي ص ٢٢٧

٦ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٥ وحياة المسيح ، في مجموعة العقائد ١١ : ٢٤٤

٧ - المسيح ، في مجموعة العقائد ص ١١ : ٢٤٥

ثالثا : السامريون :

تنسب هذه الفرقة الى مدينة السامرة ، تلك المدينة القديمة التي بنيت نابلس على انقاضها ^(١) ، وقد اشتق اسمها منها ^(٢) ، وسميت بذلك لان عمرى بن أخاب (٨٧٦-٨٤٢ ق م) اشترى تلالا بوزنتين من فضة من رجل اسمه شامر ^(٣) ، وهم يقولون ان مدينة القدس (هي نابلس) ولا يعرفون حرمة بيت المقدس ولا يعظمونه ^(٤) ، ويقول خصوصهم ^(٥) انه عند ما غزا سرجون السامرة عام ٧٢٢ ق م سبى من سكانها ٢٧٢٨ شخصا وترك بعض السكان الاصليين وان وجد انهم متمردون دبر خطة يقتل بها وطنيتهم النائرة فنقل شعبا من بابل وحماه والفريية الى السامرة وصار هؤلاء السامريون ، وظلوا يمارسون عباداتهم التي اعتادوها قبل المجيء الى السامرة ^(٦) ، وقد امتزجوا بالسكان واختلطوا ^(٧) بهم وتزاوجوا فيما بينهم ، ولما عاد اليهود من السبي البابلي رفضوا اشراك السامريين في اعادة بناء الهيكل ، وسنوا القوانين التي تحرم الاختلاط ^(٨) بهم ، وقد قدس السامريون فيما بعد جبل جرزيم ^(٩) .

وما اكثر المنازعات التي قامت بين اليهود العبرانيين والسامريين والتي كان من نتيجتها وجود هوة سحيقة بين الطرفين تعود في مجملها الى خلافات فسيقية العقائد والاراء وكذلك الخلاف حول الكتب التي يقدسها كل فريق ^(١٠) .

- ١ - وقد هدما القائد " فسباسيان " واقام على انقاضها مدينة اسماها المدينة الجديدة (نيوبوليس او نابلس ، المعروفة اليوم) راجع : حياة المسيح ، للعقاد ، في المجموعة الكاملة ٢٤٩ / ١١
- ٢ - موسوعة المفاهيم ، ص ٢١١
- ٣ - قاموس الكتاب المقدس ٤٤٨ ، وراجع مقدمة كتاب التوراة السامرية ، ت : د . احمد حجازى السقا ص ٤-٥
- ٤ - الفصل لابن حزم ٢٨ / ١ ٥ - تقول التوراة العبرية ما يلي (واتى ملك اشوري قدّم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفردايم واسكنهم في مدن السامرة عوضا عن بني اسرائيل فاملكوا السامرة وسكنوا في مدنها وكان في ابتداء سكنهم هناك انهم لم يتقوا الرب . .) سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٤-٢٥
- ٦ - قاموس الكتاب المقدس ٤٤٩-٤٥٠ ٧ - حياة المسيح ، للعقاد ٢٤٨ : ١١
- ٨ - موسوعة المفاهيم ص ٢١١ ٩ - قاموس الكتاب المقدس ٤٥٠
- ١٠ - مخطوطات البحر الميت ، للمبادئ ، ص ٣٦
- ١١ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٨
- ١٢ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية د . عبد المنعم الحفني ص ١١٥ ، ط ١ دار المسيرة بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ . وراجع هذه الخلافات وحول الفروق بين التوراة العبرية والسامرية في مقدمة كتاب التوراة السامرية

اهم الآراء والعقائد :

أ - يبطل السامريون كل نبوة كانت في بني اسرائيل بعد موسى (عليه السلام)
وبعد يوشع . . . فيكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان واشعيا واليسع والياس وعاموص
وحبقوق وزكريا وارميا وغيرهم . (١)

ب - يرفضون اسفار الانبياء ويؤمنون باسفار موسى الخمسة ، ويضيفون اليها
احيانا سفر يوشع بن نون (٢) وسفر القضاة . (٣)

ج - يقدسون جبل جرزيم ويتوجهون اليه في الصلاة والحج ، على عكس اليهود
المعبريين الذين يقدسون جبل صهيون . (٤)

د - يتشددون في حرمة يوم السبت ، ولا يرى عندهم ناراً أو نور .

هـ - يصومون يوم الكفارة مثل سائر اليهود ولكنهم يتشددون فيه فلا يستثنون
منه حتى الاطفال والرضع . (٥)

و - يؤمنون بيوم القيامة ، وبوجود ملائكة ، وظهور المسيح في آخر الايام
لكنهم يزعمون انه سيكون من آل يوسف على حين يعتقد اليهود انه من آل داود . (٦)

وقد افرقت السامرة الى د و ستانية وهم الالفانية والى كوستانية .
والد و ستانية معناها : الفرقة المتفرقة الكاذبة ، والكوستانية معناها : الجماعة الصادقة
و يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها . والد و ستانية تزعم أن الثواب والعقاب
في الدنيا ، وبين الفريقين اختلاف في الاحكام والشرائع . (٧)

١ - الفصل : لابن حزم ، ٢٨ / ١ ، والتوراة السامرية ص ٢١١

٢ - مقدمة التوراة السامرية ص ١٤

٣ - موسوعة المفاهيم ص ٢١١ ٤ - الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٦

٥ - حياة المسيح ، للعقاد ، ٢٤٨ / ١١ ، وراجع تفاصيل احتفالات السامريين على
قمة هذا الجبل في كتاب " مخطوطات البحر الميت " للعابدي ص ٣٦-٣٧

٦ - التوراة السامرية ص ١٥

٧ - يوحنا المعمدان ص ٢٣ ٨ - يذكر الامام ابن حزم في الفصل ٢٨ / ١

ان السامريين هؤلاء لا يقرون بالبعث (والخلاف الدائر بين اليهود حول هذه النقطة
متشعب وطويل ، وما نقله ابن حزم محمول على انهم لا يدينون قطعاً بالبعث كما هو عند
المسلمين ولا يقرون بما جاء مطابقاً لما في القرآن والسنة النبوية الشريفة . والله اعلم .

٩ - يوحنا المعمدان ص ٢٣ ١٠ - الطل والنحل للشهرستاني ٢٧ / ٣

على هامش الفصل لابن حزم ط ، محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة . ويذكر الشهرستاني
انه قد (ظهر رجل في السامرة يقال له الالفان ادعى النبوة وزعم انه هو الذي بشر به .

ويقول العقاد : (من المحقق ان هو "السامريين كان لهم شأن في تطور الفكرة المسيحية او فكرة الخلاص المنتظر على يد رسول موعود (١))

وما ذكره د . احمد السقا ، حول تغير " نظرة اليهود العبرانيين اليوم الى السامريين وانهم ينظرون اليهم على انهم اخوة اختطفوا معهم في السراى كما اختطف العبرانيون من قبل المسيح وفرقهم الخلاف الى فريسيين وصدوقيين (٢)) ليس على اطلاقه ، اذ يرى د . المسيرى ان " بعض اليهود ينفي عن السامريين صفـة الانتساب الى اسرائيل والايمان بـاله اسرائيل . (٣))

الا انه يمكن الجمع بين الرأيين بان الخلاف بين العبرانيين والسامريين ربما أُجَّـلَّ بسبب الحروب التي يخوضها اليهود ضد المسلمين فليس من المستبعد أن يـؤخر هذا الخلاف الى ما بعد ذلك - والا فالنزاع العقائدى قائم لا شك .

والسامريون هم أصغر طائفة دينية في العالم ، فعدهم لا يتجاوز ٢٤٠ شخصا يعيش أغلبهم في نابلس والباقي في اسرائيل بجوار تل ابيب (٤) .

= موسى وانه هو الكوكب الذى ورد في التوراة وانه يضى " ضوء القمر وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مائة سنة) . راجع الطل والنحل ، للشهرستاني ٢٧/٣

١ - حياة المسيح ، للعقاد ، ص ٢٤٩/١١

٢ - مقدمة التوراة السامرية ص ١٥-١٦

٣ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢١١

٤ - المرجع السابق .

رابعاً : القنائيون (١)

تعتبر هذه الفرقة من الفرق المتطرفة بين اليهود (لأرائها واتجاهاتها
فقد اتخذت طابع العنف والعدوان لتحقيق اهدافها ، وكانت وثيقة الصلة بالفريسيين
يقول عنها (Guignebert) (وكان في فلسطين بين الفرق الاخرى فريق وثيق
الصلة بالفريسيين يتفق معهم في اكثر عقائد هم كالقول بالسيح المنتظر وكالحماسة
الوطنية والميل للعبادة ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التسامح ، بل بالعدوانية ضد
المواطنين الذين اتهموا بالادينية او بقبول الخضوع لغير اليهود ، وكان من سياسه
هذا الفريق الا ينتظر اتباعه العون من الهتهم بل ان يعطوا بانفسهم ليساعدوا الاله
على تحقيق ما يريد له لشعبه وكانوا بذلك يكونون الجناح اليسارى في فريق الفريسيين . (٢)

ومن اقوالهم : ان الله لا يعود الى شعبه الا اذا خلصت الارض للشعب (٣)
وقد قضى الرومان على ثورتهم التي قاموا بها بقيادة القائد القنائي اليعسازر (٤)
وهو من الغلاة الذين اطلق عليهم اسم السقارة (SICA Ri) من سقرارامية
والعربية (بمعنى : قائد على المحارم ، فهم الذين يحطون بشدة على المحارم ،
حيث كانوا يغيرون ويسلبون وينهبون . (٥)

-
- ١ - من الكلمة العبرية قنأ بمعنى : غيور (موسوعة المفاهيم ص ٢٩٤ وقاموس الكتاب
المقدس ص ٧١٠ - وبالارامية والعربية من قنأ بمعنى : اشتد غضبه فهم الغاضبون
(الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٧٥ . كما ان لهذه الفرقة اسماً اخرى
منها : أ - الفيوريون (الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٨)
ب - الجليليون (موسوعة المفاهيم ص ٢٩٤) وقد اعتبر د . مراد كامل
ان الجليليين والفيوريين فرقتان منفصلتان في حين انها فرقة واحدة ،
ج - المتعصيون (اليهودية د . شلي ص ٢٢٢)

٢ - اليهودية ص ٢٢٢

٣ - الموسوعة النقدية ص ١٧٥

٤ - موسوعة المفاهيم ص ٢٩٤

٥ - الموسوعة النقدية ص ١٧٦

خامساً : الناظوريون

هذه الفرقة اشار اليهسا شارل جنيبير ، نقلا عن كتابات احد

المؤلفين المسيحيين من القرن الرابع ويدعى القديس " ابيفان " . (١)

يقول عن اتباع هذه الفرقة :

(انهم لم يعترفوا بمعبد اليهود كمركز لطقوسهم ، ولكنهم ساروا على تقاليدهم الاخرى ولم يقبلوا الشريعة اليهودية على انها شريعة الهية متأثرين في ذلك بالتيارات الفكرية الخارجية

- ثم انهم يعتبرون انفسهم " قديسين " بالنسبة الى بقية البشر وكان هذا رأى المسيحيين الاول ايضا في بد * دعوتهم .

ومن ناحية اخرى يمكن ان نفسر الاسم الذى اتخذوه لفرقتهم بالسر جوع الى كلمة ناظر العبرية التي ترجمتها اليونان بكلمة (هاجيوس) اى القديس وينطبق هذا التفسير ايضا على اللقب الذى اطلق على عيسى وكان هو * الناظريون فسي اظب الظن شديداً التحمس لفكرة حلول ملكة الله ، ولعلمهم كانوا السابقين الى التفكير في (المسيح المنتظر) والى القيام بطقوس معينة من اجله على غرار ما كانت تقوم به فرق اخرى اكثر اغراقا في الشرق منهم بالنسبة الى الاله المنفذ ، الذى تنهياً له متاثرة في ذلك باتجاهات دينية خارجية مختلفة . (٢)

ويضيف جنيبير الى ذلك القول بان وجودها يدل دلالة واضحة على اتصال

الروابط بين اليهودية بمعناها الحقيقي وبين الاديان الاخرى التي شاركت اليهودية في فكرة ترقب او عبادة " منقذ الهى " وان تفاوتت اشكال هذا الترقب وطك العبادة . (٣)

علما بان انتشار هذه الفرقة كان على ضفاف نهر الاردن قبل حلول

المسيح عليه السلام (٤)

١ - المسيحية ، نشأتها ، وتطورها ، شارل جنيبير ، ص ٦٣-٦٤ ، المكتبة المعصرية

ت : د . عبد الحليم محمود ، المكتبة المعصرية ، صيدا لبنان .

٢ - المرجع السابق

٣ - المرجع السابق .

٤ - المرجع السابق

الفصل السادس

عقائد القمانيين :

الحديث عن عقائد جماعة وادي قمران ، أعقد من الحديث عن تاريخ نشأتها وتطورات حياتها ، ذلك لان الباحثين حينما قارنوا عقائد هذه الفرقة بغيرها من الفرق اليهودية الاخرى ، تحدثوا عن جوانب قليلة منها ، دون الخوض في مسالكها المتشعبة ، ما تعذر - والحالة هذه - اعطاء حكم نهائي بشأنها .

ومن الصعوبات التي تذكر في هذا الصدد ، ان العلماء حينما رجعوا الى مخطوطات العهد القديم المكتشفة في المغارات قاموا بمقارنة ما هو مطبوع بين ايدي اهل الكتاب ببعض نصوص منها مغفلين بذلك الموازنة الضرورية للكاشفة لاختلاف عقائد القمانيين ورائهم . وكل ما قام به العلماء يعتبر مقارنات لنصوص من سفر اشعيا ونصوص من تفسير حبقوق ، (١) (٢)

علم بان العلماء حينما تحدثوا عن المخطوطات المكتشفة اكدوا على وجود عدد كبير من هذه النصوص ، فكان الاجدر بهم عقد مقارنات بين الاسفار الخمسة الاولى للتوراة المخطوطة وبين ما هو مطبوع ، فمن هذا الطريق يمكن لهم التاكد بشكل واضح من اصول عقائد القمانيين خاصة فيما يتعلق بالالوهية والنبوات واليوم الآخر .

وربما يكون العذر الوحيد امام العلماء هو عدم استكمال نشر جميع نصوص المخطوطات وهو ما يعيق فعلا عطية البحث والمقارنة .

الا ان الخشية نابعة من مغبة ان تكون هذه المقارنات قد أبعدت عمدا او صرف النظر عن نشرها لما تتضمن من حقائق قد تظهر بطلان عقائد اهل الكتاب المعروفة عن الالوهية والنبوات وابطال مزاعمهم ، أو أن الدائرة اليهودية المولفة للبحث في هذه المخطوطات تستغل المعلومات المستخلصة منها كورقة ضغط على المسيحيين للتنازل والخضوع للمقررات اليهودية .

واذا هذه الصعوبات فانه لا يمكن القطع باى فرضية لغياب المخطوطات عن ايدي السليبين فضلا عن عدم وجود هيئة رسمية علمية اسلامية تتبنى دراستها وتحصيلها وترجمتها لوضعها بين ايدي الباحثين المنصفين لاستخلاص النتائج واصدار

١ - راجع في هذا الصدد : مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٥٠-٢٦٥

وكذلك : مخطوطات البحر الميت " لحطادة " ص ٦٢

٢ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابد " ص ٢٤٩-٢٥٣ ، ومخطوطات البحر الميت لحطادة ص ٦٢

القرارات المناسبة بشأنها .

وما يزيد البحث صعوبة ندرة المصادر والمراجع التي تحدثت عن الفكر الديني لدى القمريين . ، وجل ما في الامران ما بحث . حتى الآن كان استعراضا للمعومات ، بل بعض هذه الدراسات جاءت محيرة ، بل وغامضة .

ومن ذلك ما ذكر بان عقائد هذه الفرقة لم تخرج عن عقائد بقبيلة الفرق اليهودية وانه (لا يختلف مفهوم الاسينيين لله والعالم والانسان في الاساس والجوهر عما ورد في العهد العتيق بل يعتمد في مجمله على شئ من التفصيل والتأويل) (١)

وقد عرفنا في الفصول السابقة ما كانت تعتقده الفرق اليهودية من عقائد باطلة وارا متشعبة . فهل عقائد جماعة وادي قمران على هذه الشاكلة ، ام انها تختلف عن البقية ، واذا كانت على شاكلتها فما الداعي الى الانعزال والابتعاد عن اقربائها ؟ .

والاجابة على ذلك تكمن في تحليل الاسباب الدافعة لانعزالهم واستقلالهم عن المجتمع اليهودي فقد بلغت الفروق الى الحد الذي قال عنه بعضهم (ولمسوا صلتهم بالهيكل الاسرائيلي لما حسبوا من الاسرائيليين) (٢)

فالاخلاقات في مناحي العقيدة لاشك قائمة ، وربط يظهر بوضوح اثبات استعراض كافة جوانب الموضوع .

الا انه لا بد من الاشارة الى ان بعض ما كتب عن عقائد هم جاء من قبل طي اساس ما ذكره خصومهم المعاصرون لهم ، وهذا ايضا يلقي ظلا من الشك على بعض النقول لا احتلال وجود الدس طيهم او محاولة للطعن بهم .

واغلب الظن ان الذين بحثوا في عقائد هذه الفرقة هم من المعدين في هذا الجانب ، ولم يكونوا من اصحاب الاختصاص في مجال العقائد والاديان . ولهذا نرى اهتمامهم تنصب على الانظمة والقوانين الدينية السني شغلت هذه الفرقة اتباعها بها في حياتها النسكية واساليب التقشف والتعب .

اما ابحاث المتخصصين في هذا المجال فقد جاءت كقدمات اولية لا يمكن ظهور نتائجها الا باستكمال نشر بقية المخطوطات وهذا ما لم يتم حتى الان . (٣)

لهذه الاسباب مجتمعة فان البحث يعطي لنفسه العذر ان قصر في تتبع اقوال العلما وتمحيص ارائهم ، او اقتصر على مراجع دون اخرى لقلة المادة العلمية المطلوبة

١ - موسوعة فؤاد البستاني ٢٨٠ / ١٢

٢ - البيانات والعقائد ، للمطار ٣٧٤ / ٢

٣ - وذلك : كابحات . علي عبد الواحد وافي ص ٥٨ في الاسفار المقدسة .

١- اختلاف العلماء حول الاسس العقديّة :

هناك انقسام بين العلماء حول عقائد القرانيين ، ففريق منهم يعتمد جانب الطعن بهم مستندا الى بعض اقوال المؤرخين والكتاب الذين عاصروا هذه الفرقة ، اضافة الى بعض نصوص من كتب القرانيين المخطوطة ككتاب النظام واسفار العهد القديم .

وأولى هذه الاتهامات تتحدث عن عبادة تهم للشمس ، إذ لاحظ البعض (أن الآسنيين يستعملون لفظة الله ، والشمس ، والقدر ، في السدلول الواحد . فهل هي واحدة ؟ أم في الالفاظ بعض التورية ؟ والفوارق الخفية ؟ ، ومن هنا . . . يبدو أنهم يعبدون الشمس فلا يتلفظون بكلمة دنيوية قبل يزوغها حتى إذا ما أشرقت سجدوا لها ودعوا بتوسلات وصلوات ورثوها عن آباائهم كأنهم يضرعون إليها أن ترسل نورها عليهم ، أليس في ذلك بقايا من تأثير عبادة المصريين للشمس " آمون ، رع " طقسست في ممارسة الآباء وانتقلت الى الآسنيين فجاءت تعاليمهم خليطا من المذهب المصري ومذهب الصابئة ومذهب القدرية مع المحافظة على استحقاق الاعمال للعقاب والثواب بدورها حاكم مطلق وذلك دون تمييز ودون الاجتهاد في التوفيق بين هذه النظريات التي ظهرت متضاربة متباينة هذا اذا اعتمدنا ما نقله يوسيفوس (١) .

وهذه المطران صموئيل : أن ذلك كان نتيجة تأثرهم بأجواء السبي البابلي . الى جانب ذلك لاحظ البعض أن أحد أسفار مزامير الشكر يسي الله تبارك وتعالى " أمير الآلهة وملك السجّلين ورب كل روح وسيد كل عمل (٢) . وهذا اتهام لهم بتعدد الآلهة .

ومن جلة الاتهامات ايضا ، انهم كانوا يأخذون بمذهب الغنوصية (٤)

- ١ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨١/١٢ وكنز قرمان ، للمطران صموئيل ص ٢١٦-٢١٧
- ٢ - كنز قرمان ص ٢١٧
- ٣ - مخطوطات البحر الميت " للعبدي " ص ٢٦١
- ٤ - الغنوصية أو " الغنوسيس " هي كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة ، غير انها اخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيا هو التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا او هو تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بان تلقى في النفس القاء فلا تستند على الاستدلال او البرهنة العقلية وقد اعتبر الغنوصيون عقائدهم عقيدة في الوجود وان الغنوصية اقدم (وهي) اوحى الله به ، فانتقل من طبقة غنوصية الى طبقة اخرى ، ولا يمكن انتقاله ولا ينتهي . وهو يختلف عن غيره من العقائد الدينية بان دائرته لا تنتهي ابدا ، وقد احتفظ به مجموعة من الكهان والسحرة وتناقلوه معلنين ان بيدهم (مفاتيح الاسرار الالهية و " اسرار القدس الاعلى " وان بالغنوص الخلاص الابدي ، ذلك الوحي المتجدد والفيض الذي ينبعث دائما من الملا الاعلى ولا نعرف بالدقة اين ظهر . . . هل اتى من فارس أو من الهند ؟ : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام د . علي سابي النشار ١ : ١٨٦

ولاستدلال على ذلك اختيرت بعض النصوص الدالة على ايمانهم بنظرية المعرفة والاسرار الخفية^(١) الا ان هذه النصوص في راي هذا المصدر لا تكفي لوضع اساس قرابة بين القرانيين والغنوصية ، فهو يقول حسن ذلك (فالتشابه بين الغنوصية والقرانيين هنا لا يكفي لوضع اساس قرابه بينهما ولا شك ان المخطوطات تحتوى افكارا ومثلا تشابه تلك التي كان يدين بها الغنوصيون في نقاط مختلفة ، ومن الممكن ان تكون بينهما حلقة اتصال غير مباشرة وتاريخية غير قابلة للتعريف .

ويضاف الى ذلك القول (بان كانت الغنوصية لم تؤثر في ديانة شريعة قمران اليهودية فكل منها قد اغترف الطاء من نفس البئر ، فالافكار تتشابه وقد توجد في البلاد المتاخمة بالسجوسية او ديانة بلاد فارس القديمة ، ولهذا يقول " كون " :

(ان مخطوطات البحر الميت تربطنا النقطة التي تدفق عليها تيار تأثير الديانة السجوسية . . (فقد) جرى في جدول التقليد اليهودي والتقى به .)^(٢)

كما يذهب البعض الى انهم كانوا يعتقدون بمناقبة النور والظلام ونظرية الخير والشر .^(٣)

اذ لمس الباحثون وجود عبارات " جيوش النور والظلام " وتنازعهما حيث تتعارض الجبهتان في داخلية كل انسان يتزعم الاولى من جهة ميخائيل امير النور متحدا مع روح النور وروح الحق ، ويقود الثانية من جهة اخرى بليل او سلاك الظلام مع جمهرة ارواح الظلام واورواح الشر المسيطرة على العالم الارضي^(٤) .

ويتفق المتبحرون على ان هذه النظرية مأخوذة من الفكر الفارسي وعلى الاخص الزرادشتي^(٥) . فحول هذا التأثير يقول النقاسد (على الرغم من ان طبيعة التقارب بينهما نقول : ان افكار كتاب النظام ايرانية بدلا من ان نسميها غنوصية فالتأثير الايراني يظهر بصورة خاصة في الادب الذي يدور حول الروما والذي يتضمن كتاب سفر دانيال في العهد القديم وكتب اخنوخ غير القانونية .

وقد عثر في كهوف قمران على اجزاء من هذه الكتب التي لها اوجه تقارب في نقاط عديدة في هذا النوع من الادب مع المخطوطات وكثيرون هم الكتاب الذين لاحظوا ان فكرة الاسرار الالهية التي تعبر عنها مخطوطات البحر الميت تعود الى هذا المنوع من التفكير الغيبي فكتاب دانيال يستعمل كلمة (سر) التي تظهر في مخطوطات البحر الميت وان الفقرات المأخوذة من مخطوطات دانيال الكثيرة التي عثر عليها في الكهوف تبرهن ان نساك يهوذا كانوا يعرفون هذا الكتاب وقد لوحظت ايضا تعابير مشابهة في كتاب اخنوخ^(٦) .

١ - مخطوطات البحر الميت * للعابدي ص ٢٥٣ ، ٢٥٦ - ٢ - المصدر السابق

٣ - كنز قمران ص ٢١٦-٢١٧ - ٤ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨١/١٢

وقارن مع : مخطوطات البحر الميت * للعابدي ص ٢٥٩

٥ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٢٨١/١٢ ومخطوطات * للعابدي ص ٢٥٩ وكنز قمران ص ٢١٧

٦ - مخطوطات البحر الميت * للعابدي ص ٢٥٩-٢٦٠ وكنز قمران ٢١٧

ومن الاتهامات المسجلة ضد هم أيضا ما قيل بأنهم كانوا يقدسون بعد الله تبارك وتعالى شخصا آخر يسمى يوسفوس (معطينا الشريعة) وهو موسى عليه السلام ، وأنه كان في اطي مكان من القداسة والاحترام لدى العهديين . (١)

فكلمة القداسة هنا تحيط حولها الشكوك بعض الشيء ، وذلك لان اغلب الباحثين لم يلمسوا قدسية موسى في المخطوطات ، وربما تكون الترجمة غير دقيقة أو ان معنى القداسة هنا لا يخرج عن كونه تقديرا واحتراما لا أكثر وهذا ما عبر عنه المطران صموئيل . (٢)

ومن تلك الإتهامات ما نقل أنهم كانوا يعتقدون بالبعث الروحاني دون الجسماني ، جاء ذلك إعتقادا على ما تحدث به يوسفوس بشأن العقيدة الفروضة عليهم و (القائلة) (" بان الاجسام تغنى وان الطادة التي عطلت منها ليست خالدة لكن النفوس هي الخالدة والتي تعيش الى الابد ") وعند ما تتحرر من ريسقتها كأنها مربوطة باجسادها وكأنها في سجن بقوة سحرية ، عندئذ تذهب الاجساد الى الفناء ، وتذهب الارواح الى الخلود . (٣)

وقد حلل البعض أقوال يوسفوس هذه بقوله (ا ما الأخذ بالعقاب والثواب ، فنتاج من الاعتقاد بخلود النفس وفناء الجسد ، والا فلا يمكن حصول القيامة والبعث فالنفس تتحدر من ألطف الاثر فتجذبها محاسن الجسد بتشويق طبيعي معين ، فتزلق ، وتحل فيه وتعيش متحدة به كأنها في سجن ، وتتابع حياتها وتقوم باعمالها صالحة أو طالحة على أن السعي لنيل جزاء الصلاح واجب حتى يدرك الجسد الموت والفناء فاذا حان الأجل تتحرر من قيود الجسد تحرر الافلات من العبودية فان كانت صالحة ، تعيش في النعيم ، في مكان واقع فيط وراء البحر المحيط حيث لا يكدرها طر ولا تلج ولا حر وحيث يهب عليها النسيم اللطيف وينعشها وان كانت شقية تطرح في مكان مظلم بارد حيث تقاصي عذابا ابديا) (٤)

على ان هذا التحليل يلقي اعتراضا من قبل باحثين اخرين ، حيث لم يتضح لهم انها (افكارا غريزية وعقيدة غنوصية) (ان) لم ترد في مخطوطات البحر الميت . وان هذه الاراء فيها ما فيها من تعاليم مدرسة الاسكندرية وقد يكون يوسفوس اخذ بالفلسفة الاسكندرية فنسبها الى الاسنبيين في معرض الكلام عنهم وهو الذي انفصل عن جماعتهم قبل ان يدرك كنه معتقد هم . . .) (٥)

- ١ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٧٧-٢٧٨ ٢ - كنز قرمان ص ٢١٧
- ٣ - المرجع السابق ص ٢٨١ وراجع كذلك : المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص ١٤٨ دار الطليعة ط ١ ١٩٧٩ م .
- ٤ - دائرة فواد البستاني ٣٨٢/١٢ وكنز قرمان ص ٢١٧ نقلا عن يوسفوس
- ٥ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٨١

ومن ضمن المآخذ ط لاحظ د . النشار نقلا عن فيلون ، من ان بعض

(١)

عقائد هم تدوين (يذهب يلعب فيه طم الجن والملائكة الدور الكبير) .

كما وجهت اليهم تهم ترميهم بانهم اخذوا عن الفرس المفاهيم التنجيمية
فذهبوا الى ان حياة البشر واعمالهم مسيرة على سير الاجرام السماوية وان الانسان
يتأرجح بين تقلبات قوى الخير والشر المتنازعة فيميل الى هذه أو تلك حسب ربه
فلكل برج نسبة حسابية تفرض على مواليد في انخراطهم بعالم أرواح النور أو أرواح الظلام (٢)

كما يذهب البعض الى ان (من بين المعتقدات التي اُشيعت عنهم القول

بانهم (لم يشكوا ابدا في ان اسرائيل كانت شعب الله المختار) (٣)

هذه بعض الانتقادات والانتهاكات التي صدرت من قبل العديد من

العلماء ، وفي المقابل هناك من يذهب الى النقيض من ذلك .

(٤)

وهذا الفريق يستند الى آراء متفرقة منها ط اعتد على اقوال بيليني

ومن ذلك قوله (ويتباهون ويتفانون في تقوى الله (سبحانه وتعالى) ولا يسمع لهم صوت

قبل بزوغ الشمس حتى يؤدوا فريضة الصلاة باتجاه الشمس وكانوا هم يتضرعون لتششرق ،

(٥)

حتى اذا فرغوا من الصلاة صرفهم كبارهم كلا الى عمله) .

وبعض ذلك قول بعض الباحثين (انهم كانوا يشعرون بتسام روحي

له شكر موجه الى الله تبارك وتعالى الواحد الاحد) (٦)

كما استدرك بطرس البستاني على يوسفوس حول ذات الموضوع حيث

اوضح ط ذهب اليه يوسفوس بقوله (انهم يسمون نور الشمس نور الله . . . وراينا انهم

لا يتلفظون بكلمة عالمية (اي دينية) قبل طلوع الشمس وانهم كانوا يصلون لها كل يوم

لكي لا ينقطع نورها عن العالم . . . (كما ذكر) يوسفوس ايضا (انهم كانوا يعتقدون

١ - : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام . د . النشار ، ١/٧٦-٧٧

٢ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/٢٨١

٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٢٦١

٤ - بليني الكبير (٢٣-٧٣) هو مؤلف التاريخ الطبيعي . وقد كتب عن الاسينيين في

كتابه الخامس والفصل السابع عشر . (راجع كنز قرآن ص ٢١١

٥ - مخطوطات البحر الميت للعابدي ص ٣٩-٤٠

٦ - : صفحات مضيئة من تراث الاسلام ، أنور الجندی ، ص ١١٢ دار الاعتصام ١٩٧٩

ان كل شيء " خاضع لسلطة القدر وان لاشي " يحدث في الناس الا بما امر القدر . . .
 فاذا اخذنا ظاهر هذه الالفاظ وقربناها - بعضها من بعض - نرى ان الله
 والشمس والقدر واحد عند هم وانهم كانوا يعبدون الشمس ويعتقدون القدرة الكلية
 في القدر فيظهر من يوسفوس ان تعاليمهم اخلاط من مذهب الصابئة ومذهب القدريه
 وزادوا عليها اعتقاد استحقاق الأعطال وابدية العقاب والثواب ووجود حاكم مطلق (١)
 وقد رد البستاني على ذلك قائلاً (فلا يخفى ما في التوفيق بين هذه
 الآراء من عدم المناسبة ان يصعب تصديق كون جماعة واحدة تعتقد بوجود حاكم
 مطلق والقدر معاً . . . فالحظنون ان يوسفوس لم يدرك كنه اعتقادهم أو أنه أخطأ
 في تفسير بعض خرافاتهم وعباراتهم المبهمة) (٢) .

وليس من الغريب ان يوجه النقد الى اقوال يوسفوس حيث يذكر
 المؤرخون انه كان قائداً في الحرب مع الجيش الروماني الذي قضى على مساكن اصحاب
 العهد (القمانيين) ووضع حداً للهيكل (٣)
 ونستنتج من ذلك ان ما ينقل عن يوسفوس قد يكون مدسوساً على هذه
 الجماعة ولهذا يعترى الباحثين شك من اقواله خاصة في مجال العقائد .

وفي زحمة هذه الآراء يأتي راي الدكتور فاروق عمر عبد الله بنظريته
 تدعو الى التدبر بأمر هذه الطائفة تدبراً دقيقاً للوقوف على حقائقها حيث تبين له من
 خلال دراساته الأولية لهذه الفرقة أن عقيدة التوحيد الخالص كانت منتشرة بينهم ، وقد
 ذهب إلى أن الجماعة قد بنت أسسها على النحو التالي :

اولاً : كانت جماعة وادي قمران تعتبر نفسها الجماعة الصالحة الوحيدة
 في بني اسرائيل إلى أيام وجودها . . . واتهمت غيرها من اليهود بتحريف الكتب
 فقالت مثلاً : بان التوراة التي انزلها الله تبارك وتعالى على سيدنا موسى عليه السلام
 قد حرفها وشوهها وفسد معانيها المفسرون والمؤولون والمبطلون من بني اسرائيل
 ولذا فان وظيفة جماعة وادي قمران الأولى والأكبر في اعتقادهم - هي ان يحافظوا
 على الاصول الصحيحة والتفسير والتأويل الصحيحين لها ويبينوها للناس (٤) .

١ - دافرة معارف بطرس البستاني ٣ / ٥٠٠ .

٢ - المرجع السابق .

٣ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٧٦ .

٤ - فقرة من معاضرة الدكتور عن " مخطوطات البحر الميت والبحث عن اصول النصرانية الاولى .

ثانيا : اعتقادهم بمجيسى* المسيح ومجيسى* رسول اخر الزمان
(عليها افضل الصلاة والسلام) والاستعداد لقبولها ولتعزير رسول اخر الزمان
خاصة ونصرته (عليه الصلاة والسلام) على كفار جميع الامم .

واعتبرت الجماعة القمرانية هذه التعاليم من أهم الاسرار التي تحتفظ
بها والتي لا تستطيع اياحتها بين عامة اليهود الا (بتعريض) من أبا حها للقتل على
أيدى الفاسقين من بني إسرائيل أهدا* الحق وأعوان الشياطين .
وبعد استعراض الخطوط السرية التي كانوا يتداولونها يذهب صاحب
المحاضرة الى ان (بعض الكتب الاخرى الخاصة بهم) كانوا يكتبونها بخط سري خاص
ومن النصوص المكتوبة بخط معكوس قطاعات من وصف طهيل لولادة رسول عظيم يولد آخر
الزمان يعينون تاريخ ولادته بذكر منازل البروج ثم يصفونه ويصفون بعض العلامات
التي تكون على جسده الشريف وصفا دقيقا .
وان الوصف وان كان مجزأ وغير كامل ، يصدق على المصطفى عليه وعلى
اله واصحابه افضل الصلاة والسلام .

ثالثا : ان نسخة العهد القديم التي بايدينا اليوم لا تحتوى الا على
١٥٠ زمورا من زمهر زبور داود عليه السلام وان نصوص الكتابيين التي بين ايدينا اليوم
لا تصرح بان داود عليه السلام كان نبيا بل ينكر كثير من النصارى كونه نبيا بسبب فهمهم
الخطى* للنبوذة ولكن مخطوطات وادى قمران تصدق القرآن الكريم في ذلك فتقول بالنصوص
الصريحة : ان داود عليه السلام كان نبيا وأن جميع ما أوتى من الزبور ما جاءه إلا وحيا
من لدن العلي العظيم .

رابعا : لم تخف (الجماعة عداوتها للصديقين وسائر خدمة الهيكل الثاني
الذين عرفوا بالفسق والانحراف من الحق . . . وان كتب جماعة وادى قمران تسمي
الفرسيين بالمرتدين والحنافقين ومعلي النفاق .

خامسا : كانت هذه الجماعة تقول (بانه كان دائما في بني اسرائيل نسي
كل جيل منذ الزمن الاول بقية قليلة من الصالحين لم يخونوا العهد ووفوا به وان الله
تبارك وتعالى لم يرحم بني اسرائيل ولم يهبطهم مع كثرة فسقهم إلا بسبب تلك البقايا
الصالحة في كل جيل وهم يعرفون انفسهم بالغرباء* في قومهم .

وكانت هذه الجماعة تعرف نفسها احيانا بانها هي واتباعها جنود الله
المرابطين : الذين يقتدون في ذلك بموسى وهوشع بن نون (عليها السلام) فيبقون
على الاستعداد الدائم لمجاهدة وا في سبيل الله فيطردوا المشركين والكفار من الارض

كلها ، وكانوا يستفتحون في ذلك . . . برسول آخر الايام الذي ينتصرون به على جميع الامم ويسمون أنفسهم بالمتطوعين .

وقد استشهد المحاضر بنصوص من سفر اشعيا * وقارنها بنصوص من انجيل يوحنا وسفر تثية الاشتراع للدلالة على بشارة التوراء بالرسول صلى الله عليه وسلم واثبت ما حذف من انجيل يوحنا في هذا الصدد وقابله بما للقرانيين من نصوص تثبت صحيفته . موضحا احتمال ان يكون يحيى عليه السلام شاركا في هــــــ الجماعة بحسب اراء بعض العلماء .

هذا وبعد استعراض المواضيع يقرر الباحث ان عقائد القرانيين حسبما تبين له حتى الان كلها توحيدية توافق الاسلام تماما ثم انهم كانوا حذرين من الشرك ، كان ايمانهم بالقضا والقدر واضعا جدا ، وكانوا يركزون على الالهية بالرضا بالقضا والقدر ويكل ما أنزل الله تبارك وتعالى على اليهود بحكمته وعدله لنكتهم العهد .

واما ذلك فانه لا يوسع القول سوى ان هذا البحث لا يزال بكرا ولا بد من انتظار بعض الوقت للوقوف على كامل التفاصيل المتعلقة بهذه القضية ، والى حين ذلك فلا بد من التاكيد : انه ان ثبت حرص هذه الجماعة على تعاليم موسى عليه السلام وشرعه فهي طائفة مخلصون ومن ريسب ، وان ثبت العكس فهي ضالة منحرفة .

هــــــذا من الناحية العقيدية ، اما من الناحية السلوكية والتعاليم النسكية فسرى ذلك كله من خلال استعراض الافكار والمبادئ التي التزمت بها الجماعة وذلك للحكم عليها من هذا الجانب .

الفصل السابع :

=====

العبادات :

١ - الصلاة :

من الفرائض التي التزم بها القمانيون : القيام الى الصلاة بعد طلوع الشمس وذلك عقب التطهير بالطاء* (١)

ومن ضمنها : الصلاة والقراءة عند الساعة الخاصة، وتكون قبل الاكل (٢)

- كما انهم يعكفون على قراءة الكتاب (التوراة) وتفاسيره ، ويقوم الجمهور

بالسهر معا ثلث الليالي على مدار السنة للقراءة والصلاة الجماعية (٣) .

ولا جل ذلك فهم يقسمون انفسهم ثلاثة افواج :

الفوج الاول : يحيي الثلث الاول من الليل اي السهرة كلها .

الفوج الثاني : يحل محل الاول .

الفوج الثالث : يستمر حتى الصباح ، فيقضي الليل كله (٤) .

٢ - الصوم :

- كانوا يكثرون من الصيام حتى لقد كانوا لا يتناولون الطعام الا وجبه

واحدة كل ثلاثة ايام او يزيد (٥) .

٣ - تقديم القرابين :

ومن العبادات ايضا عندهم : تقديم القرابين وذلك في المعابد الخاصة

بهم (٦) . وقد نبذوا الذبائح الدموية في تقديمها (٧) واقتصروا على النهائية فقط (٨)

واعتبروا التطهير انقى وافضل وتجاهلوا قدسية هيكل اورشليم ، ناهبين

الى ان خلاص اسرائيل لن يتحقق من الخارج بذبح الحيوان بل من الداخل بالتنسك

والصمت والتأمل والصلاة والتكشف حتى بلوغ اسنى درجات الفضيلة والاقترب من الكمال (٩)

وهناك خلاف بينهم حول طريقة تقديم القرابين ، وقد حصل بين من سكن

منهم في وادي قمران وبين من سكن في مصر (١٠)

١ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢ ، وحياة المسيح ، للمعقاد ٢٤٧/١١

٢ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢

٣ - المرجع السابق

٤ - المرجع السابق

٥ - المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص ١٤٧ ،

٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢

٧ - المرجع السابق والاسفار المقدسة د . وافي ص ٥٨

٨ - حياة المسيح ، للمعقاد ص ٢٤٦/١١

٩ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢

١٠ - المرجع السابق ٣٨٣/١٢ - ٣٨٤

(١) وانسجاماً مع مفهومهم الخاص عن الطاعة ، فقد حظروا على انفسهم تعاطي التجارة للربح لانها في مذهبهم حرام ، وعلى خبيث (٢) ، لهذا فسقد كانوا يسزرون (٣) الغنى ، واعتبروا اموالهم في الجمع والانفاق واحدة . (٤)
وفي تعاطيهم الداخلي فانهم التزموا السقايضة فلا يبيعون ولا يشترون شيئاً بعضهم من بعض ، بل يعطي كل منهم اخاه ما يحتاج اليه ما عنده وماخذ منه ما يوافق حاجته . (٦)

الا ان ذلك لم يمنع من قيام كل واحد بحرفة خاصة به وغالباً ما يبدأ صاحب الحرفة عمله بعد الصلاة صباحاً (٨) . كما انهم اقتصروا على الزراعة والصيد وما يحتاجون اليه ويتصل بهما ، كما حرموا استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما لطبعين في النفوس من زهو وما يحملان عليه من جشع وشح . (١٠) ، وكانوا يكرهون العبودية كما انكروا التفرقة العنصرية واقروا مبدأ المساواة بين الناس في القيمة الانسانية المشتركة وحرصوا على التعايش السلمي بين جميع الشعوب . (١٢) كما حرموا الاشتغال بصناعة الاسلحة والذخيرة وسائر الآلات الحرب لتتأخر الغاية التي تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبادئهم وهي أن يعيش العالم في سلام دائم . (١٣)

- ١ - دائرة فوآد البستاني ٣٨٤/١٢ وكنز قمران ص ٢١٨
- ٢ - حياة المسيح ، للعقاد ٢٤٧ والاسفار المقدسة د . وافي ص ٦٠
- ٣ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ص ٣٩-٤٢ ومخطوطات البحر الميت لحضارة ص ٤٦
- ٤ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ص ٣٩-٤٢
- ٥ - دائرة فوآد البستاني ٣٨٤/١٢ ٣
- ٦ - المرجع السابق ومخطوطات بحر الميت ، للمعابد ص ٣٩-٤٢
- ٧ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٥٠
- ٨ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ص ٣٩-٤٢
- ٩ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٦٠
- ١٠ - المرجع السابق
- ١١ - دائرة فوآد البستاني ٣٨٤/١٢ والاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٩ وكنز قمران ص ٢١٨
- ١٢ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٩
- ١٣ - بحوث في الاسلام والاجتماع ، د . وافي ص ٢٧١ وكنز قمران ص ٢١٨

العلوم

- عرف القمranهون عن دراسة المنطق لانهم اعتبروه ترفاً فكرياً^(١) .
- كما لم يبحثوا في العلم الطبيعي^(٢) لان مجاله أوسع من قدرات الانسان واعتبروا المنطق وعلم الحقايق والطبيعة لا فائدة منها^(٣) .
- لكنهم كانوا يتفكرون في آثار الله سبحانه بتدبر مخلوقاته والنظر في الكون^(٤) .
- اهتموا بالقراءة المتعلقة بالاخلاق وفيما يزيد معرفتهم بها ومنهجها^(٥) .
- كانوا يجتمعون يوم السبت في معابد هم ويجلسون كل بحسب رتبته ، وكان للقدما منهم في الاخوية المحل الأعلى من المعبد وكان أحد الحاضرين يقرأ ثم إن عضواً آخر مختاراً من اكثرهم علماً ومعارف يفسر الجمل الصعبة على الفهم ، وكانت خطبتهم وكتبهم تعارض عن غيرها بما يستعملونه فيها من التشابيه والاستعارات المتنوعة^(٦) .

١ - الموسوعة النقدية ، د . حفي ص ٥٠ .

٢ - المرجع السابق

٣ - دائرة معارف بطرس البستاني ٤٩٩/٣

٤ - الموسوعة النقدية ، د . حفي ص ٥٠ .

٥ - المرجع السابق .

٦ - دائرة معارف بطرس البستاني ٤٩٩/٣

الاخلاق

اسبب الباحثون في وصف السجايما الخلقية التي كانت تلازم القرانيين ،
ويمكن حصرها بالاتي :

- التعاون ، اذ كان سمة اساسية بين الافراد اضافة الى الاحترام المتبادل
بينهم . (١)

- اكرام الضيف ، فقد كانوا على فقرهم يحسنون الضيافة ولا سيما مع الاخسوة
فاذا جاءهم احد من مكان اخر ، وضعوا ما عندهم تحت تصرفه كانه له وبدأ هو يعمل
كانه من ارق السكان . (٢) ثم يحل ضيفا على أحد الآخوة المكلفين بالاعتناء بالغيرىسا*
في الامكن التي ليس فيها اديرة ، فيقدم له الأطعمة واللبسة وسائر اللوازم . (٣)
- الاستئذان قبل التحدث اذا كان الاجتماع يضم عشرة اشخاص ، ويتحاشون
البصق بحضرة بعضهم . (٥)

(٦)
- لا يتسرب اليهم الغضب ، واذا غضبوا طكوا انفسهم ، وهم يقدرون الامانة
- يسمعون دائما وراء السلام ، ويأبون صناعة السلاح . (٧)
- يصدقون كل ما يقولون ولا يحلفون ، والحلف لا يكون الا عند قسم الجماعة
مرة واحدة لتبيين الامانة والمحافظة على الجماعة . (١٠)
- الصبر على تحمل الاجاع والاسقام . (١١)
- يحرصون على الصدق والوفاء . (١٢)

(١٣)
- اشتهروا بالطاعة والاحترام للشيخ والاذن لقلوبهم والخضوع لرأى الاكثرية
- يبالبغون في نظافة الثياب ، ويؤثرون ارتداء البهيز منها . (١٤)

- ١ - مخطوطات البحر الميت * للمعابدى ص ٣٩-٤٢
- ٢ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ومخطوطات البحر الميت * للمعابدى ص ٣٩-٤٢
- ٣ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢
- ٤ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابدى ص ٣٩-٤٢
- ٥ - مخطوطا المرجع السابق
- ٦ - المرجع السابق
- ٧ - المرجع السابق وراجع كذلك قصة الحضارة ١٧٥: ٣/٣
- ٨ - حيا* المسيح ، للعقاد ٢٤٧/١١ وقصة الحضار ١٧٥: ٣/٣
- ٩ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابدى ص ٣٩-٤٢
- ١٠ - المرجع السابق ودائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢
- ١١ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابدى ص ٣٩-٤٢ وقصة الحضارة ١٧٥: ٣/٣
- ١٢ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ وقصة الحضارة ١٧٥: ٣/٣
- ١٣ - دائرة فواد البستاني ٣٨٥/١٢
- ١٤ - الموسوعة النقدية ، د . حفني ص ٥٠ ومخطوطات البحر الميت ، للمعابدى ص

"الاكل والشرب"

- اعتد القمرانيون على النبات في اكلهم ، لانهم "لا يأكلون اللحم" ^(١) .
كما كانوا يأبون الذبح ^(٢) .

- كانت لهم حجرة طعام خاصة حيث يأخذون مقاعد هم فيها بهيبة ووقار ^(٣) .
وكانهم يؤمنون هيكل مقدس ^(٤) ، لكل واحد منهم رغيف غير الادم ، ببارك الكاهن
على الخبز ثم يأكلون وحاشا لاحد هم ان يمد يده الى فمه قبل البركة ، حتى اذا أكلوا
عادوا الى الصلاة خالعين ثياب الطعام وينبشون الى اعمالهم حتى الغروب ^(٥) .
وكما تغدوا يتعشون ومعهم الضيوف بكل هدوء وسكون واذا تكلم أحد هم أنصت
الكل اليه ولا يزيدون عن كفاية الشبع ^(٦) .

- وازافة الى نبد هم الطال امتنعوا ايضا عن شرب الخور كما لم يوجد بينهم
من يبيعه ^(٨) . الا ان الطران صموئيل يذهب الى انهم لم يحرموا اكل اللحم وشرب الخمر ^(٩)
- "الطب والتمريض" :

- اهتم القمرانيون بالطب فاذا "اعتري احد الاخوة (فيهم) مرض يعتسي
به الخبرا" كل الاعتنا ، وقد كان بين الجماعة من يبذل جهدا عظيما في درس صناعات
القداس ، ليتعرفوا منها على خصائص الحشائش ، والعقاقير والسماد والنجاسة ، وطرق ^(١٠)
استعمالها لمعالجة اخوتهم المتألمين . حتى لا يضطروهم الامر الى تركهم يتضورون
ويسهرون الى الموت دون مساعدة ونجدة ولثلا يسلموهم الى اطباء نجسين من غيبر ^(١١)
صفوفهم اضافة الى تعاطيهم لطب الروح ^(١٢) . فقد كانوا "يداوون المرضى بالصلاة والاواراد
والادعية" ^(١٣) ، وكانوا يعتقدون ان العرض ناشئ من تسلط الارواح الخبيثة على الادميين
فكانوا لذلك يحاولون طرد هذه الارواح بالتعاون السحرية ^(١٤) .

- ١- الاسفار المقدسة . د . وافي ص ٦١ ، والمسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥
- ٢- الموسوعة النقدية ص ٥٠ ، والمسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥
- ٣- مخطوطات البحر الميت ، للمعابد ص ٣٩-٤٢
- ٤- مخطوطات البحر الميت "لحادة" ص ٤٧
- ٥- مخطوطات البحر الميت "للمعابد ص ٣٩-٤٢ ، ومخطوطات البحر الميت
لحادة ص ٤٧
- ٦- المرجع السابق .
- ٧- دائرة فؤاد البستاني ٣٧٣/١٢ والاسفار المقدسة ص ٦١
- ٨- دائرة معارف بطرس البستاني ٤٩٨/٣ ٩- كنز قمران ٢١٥
- ٩- دائرة فؤاد البستاني ٣٨٥/١٢ ومخطوطات البحر الميت "لحادة" ص ٤٨
ودائرة بطرس البستاني ٤٩٩/٣
- ١٠- دائرة فؤاد البستاني ٣٨٥/١٢ وحياة المسيح "للمعابد" ٢٤٦/١١
- ١١- حياة المسيح ٢٤٦/١١
- ١٢- مخطوطات البحر الميت للمعابد ص ٣٩-٤٢ وحياة المسيح ٢٤٦/١١
- ١٣- قصة الحضارة ٣/٣ : ١٢٥

الانتظام في الجماعة وشروطه *

- رتب القمرايون انفسهم بحسب الدرجات والرتب والاقدسية .
- فقد وجد في هذه النحلة ثلاث درجات هي (١) :
- درجة التمسدة : ويقبلون فيها الصبيان فيطدون الحلم .
- درجة المقسمين : وهم الذين يقسمون اليمين ويقضون سنة في الرياضة والتدريب على العبادة والاطلاع على الاسرار .
- درجة الواصلين : ويقضي فيها سنتين ، ثم يلبس شعار الطائفة وهو ثوب ازرق وزنار ويحمل الفأس في يده كناية عن العمل الشاق . (٢)
- ولهم في المرحلة الاولى والمرحلة الثانية شعائر متواترة يقوم بها الاساتذة منها الاغتسال وتلاوة بعض المعهود .
- يقسم احد هم مرة واحدة يمين الامانة والمحافظة على الجماعة ولا يبوح بسرها ولو اقتيد الى هذاب الموت (٤) ويحرم عليه القسم بالحق او الباطل مدى الحياة (٥)
- يجوز فصل العضو اذا حنث في يمينه ، واتفق مائة من الاخوان على ادانتهم بل يجوز الحكم عليه بالموت اذا بلغ الحنث حد الخيانة والكفر بقواعد الايمان (٦)
- يقدّر الاقدم فالأقدم من التحقق بهم (٧)
- وليس لاحد من القسم الاكبر أن يمس احداً من دونه والا اغتسل (٨)
- ومن الشروط الاخرى الموضوعة لهذا الغرض :
- عدم وجود الموانع ، كالعاهات الجسدية أو الخلقية ، كالاىله ، او الاحق او المجنون ، او الجاهل ، ومن كان ضعيف العينين لا يبصر بهما ، والكساح والاعرج او الاطرش ، او القاصر .
- فاذا ثبت وجود احدى هذه العلل لا يدخل الى احضان الجماعة لان الملائكة القدسين تقوم وسطها (٩)
- الحرص على جميع العادات والتقاليد (١٠)

- ١ - حياة المسيح ، للمقاد ١١ / ٢٤٧
- ٢ - المرجع السابق
- ٣ - المرجع السابق
- ٤ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٣٨٠
- ٥ - حياة المسيح ١١ / ٢٤٧
- ٦ - المرجع السابق ١١ / ٢٤٧
- ٧ - مخطوطات البحر الميت ، للعبدي ٣٩ - ٤٢
- ٨ - المرجع السابق
- ٩ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٣٨٠
- ١٠ - مخطوطات البحر الميت ص ٣٩ - ٤٢

- الاختبار لمدة سنة ، فإذا نجح رقي لأول درجة ويفس بالما* الطاهر .
- ولا يشارك الجميع في الطعام إلا بعد اختبار آخر مدته سنتان وأن ذاك يقبلونه تمام . (١)

- الحلف باليمين المغلظة أن يعبد الله مخلصا له الدين وأن يسير بالعدل والحق مع كل انسان ولا يسيى* الى احد . . . وأن يعرض عن الجاهلين ، ويعاون الابرار وأن يكون أمين الروح مع الناس لاسيما أولى الأمر وأن يتعلق بالحق ويهتكم الكذب ويقاظه .

- أن يكون نقي اليدين من كل سرقة او ظلم منزها عن اضرار السوء . (٢)
- ويتم اختيار الزعماء والقادة منهم بالاقتراع والانتخاب . (٣)

العقوبات :

- فانه لا يجوز التجديف على الله ، وشترعهم اى موسى عليه السلام ، والا حكم عليه بالاعدام . (٤)
- والا حكام كانت تلفظها بالتصويت وبعد التدقيق والتعريض ، هيئة محكمة لا يقل عدد اعضائها عن العشرة .
فمن ارتكب احدى الكبائر ووقع في الخطايا الشائنة يطرد من بين الجماعة فيكون مصيره الموت المحتم لانه لا يتناول ما يجد من الطعام ، ارتباطا منه بقسمه ومعاداته فيضطر الى ان يأكل العشب فيضعف جسمه حتى الهلاك . . ، وإذا كان له من حظ ، او من شفيع يشفق عليه في الرق الاخير فيعاد ثانية الى العظيمة باعتبار ان ما حل به من سوء يكفى للكفارة والتوبة الحقيقية . (٦)

١ - مخطوطات البحر الميت* للعابدى ص ٣٩-٤٢

٢ - المرجع السابق

٣ - قصة الحضارة ٣/٣-١٧٤

٤ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٥/١٢

٥ - المرجع السابق ، وكذلك مخطوطات البحر الميت ، للعابدى ص ٣٩-٤٢

٦ - المرجع السابق .

التبطل و " نظرتهم الى المرأة "

تشدد القمرايون في قهر الجسد للتغلب على الشهوات التي تعتبر في عرفهم منبع الشرور والجريسة^(١) ، وعلى العموم فان المادة عندهم ، مصدر الشر كله والسرور بهما^(٢) سرور بالدنس والخيانة^(٣) ، فكان همهم " كبح جماح النفس وقمع ثورة الهوى^(٤) ولهذا كانت الرهبنة غالبية عليهم فحرموا الزواج واحسبوا التبطل والبعد عن النساء^(٥) ، وهذا الامتناع فانهم لم يعرفوا للعائلة من معنى ، فاذا ما ارادوا تأمين استمرار الجماعة انتقموا اولاد غيرهم ممن يتوسمون فيهم الخير والصالح فاخذوا يدرونهم على الحياة الفضلى ، في رأيهم .

حتى اذا اشتعلت الفتنة في ايام هركانس الاول (١٣٤-١٠٤ ق م) دخل كثير من الفرق الاخرى كالغريسيين والصدوقيين هربا من الموت وانتظموا مع القمرانيين وشاركوهم في مبادئهم وكذلك اثروا في بعض افرادهم خاصة في قضية الزواج . فلما كثر الجمهور وتداخلته افكار جديدة قامت فئة منهم تقر بصوابية الزواج وضرورته لتأمين التسلسل والتناسل بين البشر^(٦) .

فاذا رغب أحد هم في الزواج عليه أن يحترس من سلوك المرأة لان النساء جميعهن فاسقات ، وليس بينهن واحدة تحافظ على امانتها لرجس^(٧) واحد ، لذلك يمتحن الخطيب خطيبته ثلاث سنوات فاذا اقتنع بفضيلتها تزوج منها ، ولا يساكنها وهي حامل ، ليبرهن على انه لا يتزوج لاجل اللذة ، بل لاجل التوالد ، وعاش المتزوجون وهم اقلية وحدهم مع عيالهم الا انهم كانوا خاضعين في سائر الامور لفروض الجماعة وقوانينها^(٨) .

ورشح ان جماعة من النساء دخلن في صفوف الجماعة فتيبن انهن ممن المخطوبات للاسينيين او من زوجاتهم او من بناتهم اللواتي يطلبن الزواج ، ولمسم

١ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ومخطوطات البحر الميت ، للعايدي ٤٢-٣٩

والاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٦٠-٦١

٢ - حياة المسيح ، للعقاد ٢٤٧/١١

٣ - مخطوطات البحر الميت ، للعايدي ص ٣٩-٤٢

٤ - حياة المسيح ، للعقاد ٢٤٦-٢٤٧ و المسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٧

٥ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٦٠ ومخطوطات البحر الميت لعبادة ص ٤٦

والمسيح في مفهوم معاصر ، ص ١٤٧

٦ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ، ومخطوطات البحر الميت ، للعايدي ص ٣٩

٧ - مخطوطات البحر الميت ، لعبادة ص ٤٦

٨ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ٨ - المرجع السابق ٩ - المرجع السابق

و مخطوطات البحر الميت ، لعبادة ص ٤٦

١٠ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ١١ - المرجع السابق ودائرة بطرس ٤٩٨/٣

توجد فئة من النساء منفردة عن الرجال (١)

اما في حال الاغتسال والوضوء الجماعي ، فكان النساء يتقدمن من الاحواض
لابسات بعض اثوابهن ، والرجال متنطقين بالبستهم ايضا . (٢)

اما الذين ابتعدوا عن الزواج ولم يتاثروا بالقادمين عليهم من الفسوق
اليهودية الاخرى فانهم التزموا الصمت والتفكر والتدبر واعتقدوا ان كل ما يباح من
السرور هو سرور الروح او سرور الاتصال بعالم الارواح وهو عالم ساوى في اعلى
الاشهر يرتفع اليه المؤمنون بالعبادة والرياضة والقنوت ، وقد ادت المغالاة الى قيام
بعضهم بخصاء انفسهم . (٣) (٤)

التقويم والاعياد السنوية

اهتم القمريون بالتقويم السنوي ، وقد عينوا من خلاله اعيادهم وايام
خدمة كهنتهم ، فمن اعيادهم مثلا : الفصح ، والفطير ، والاسبوع وغيرها .
وتخدم كل عيد اسره معينه من اسر الكهنة ، كما كانت لهم اعياد اخرى مثل :
عيد الحمام ، وعيد الصيف ، وعيد البذار ، وغيرها ، واصل هذا التقويم انه نسخة
عن التقويم المصري الشسي المعائد الى اواخر الالف الخامس قبل الميلاد . (٥)

١ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢

٢ - المرجع السابق

٣ - حياة المسيح للعقاد ٢٤٧/١١

٤ - المسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥

٥ - راجع بتوسع : دائرة فواد البستاني ٣٨٦/١٢

الدير الكبير أو " المدينة الاسينية "

بهذه القواعد والانظمة والقوانين عاشت جماعة وادى قمران فسي
معسكرها الجماعي بل داخل دير كبير حوى جميع المرافق والانشاءات الضرورية
للمعيش الجماعي المشترك المتكافى * دون الحاجة الى الاتصال بالعالم الخارجي .
لقد حوى هذا الدير برجاً ، وجناحاً من طابقين تدور على جانب
غرفته الرئيسية مقاعد حجرية وقاعة كبرى فيها طاولات من الجص والاجر ينسخ عليها
النساخ الاسفار المقدسة عند هم وظيفها محابر من البرونز .
وفي بعض الطاولات فجوات للما * المقدس من يتطهر به الكتاب عند
الشروع بالعمل . كذلك حوى غراً منها :
الطابخ ، - المغاسل ، - قاعة الاجتماع والصلاة والقراءة . ولا قاعة
المآدب * المقدسة * المشتركة .
كذلك ضم الدير الكبير معامل الخزافين ، والحدادين والنحاسين .
وكذلك الاهراآت (صوامع الغلال) والطاحن ، والمخابز والمخازن ، كمــــا
اقامت مقبرة بالقرب منه .
وقد لوحظ وجود غرف نوم جماعية ولم تر غرف فردية (١)
ولا شك ان هذا النمط من الابنية سيكون له تأثير كبير في الاديرة المسيحية
فيما بعد . وهذا ما قــــام به الرهبان الى حد ما .

١ - يراجع في هذا الصدد :

قصة الحضارة ، ديورانت ٣/٣ ١٧٥

و يراجع بتوسع دائرة فؤاد البستاني ٣٧٨/١٢

نقد مبادئ الرهينة اليهودية

لم تكن الانظمة والمبادئ التي سبق الحديث عنها تابعة مــــن اصول شريعة موسى عليه السلام ، وذلك لان نوط غريباً قد صاحب هذه التعاليم وصيغها بصيغة لم يأمر الله تعالى بها .

ومرد ذلك كله يرجع الى طبيعة الانحراف العقدي الذي اصاب بني اسرائيل بصورة طامة والذي أثر بشكل أو بآخر على فهمهم للشريعة ، وقد جرف معهم جماعة وادي قمران التي تأثرت بالمبادئ الدخيلة .

ومع ذلك فإنه يجب عدم انكار ان بعضاً من التعاليم الاصلية والشرعية قد حافظت على وجودها بين القوم ، ولهذا يلاحظ وجود بعض الجوانب الاخلاقية والمبادئ السلوكية كالصدق والامانة والاخلاص في العمل وحب الافراد بعضهم لبعض الى غير ذلك مما يتفق مع الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام ، فهذه بقايات من تلك الشريعة التي ذابت وانسحت في لجج وسمات بني اسرائيل .

اما المؤثرات الخارجية فتتضح جلية من خلال المبادئ السلوكية والاراء الفكرية التي تتفق مع الفكر اليوناني القديم المتأثر بالفلسفة الهندية وعلى راسها البوذية والجينية ، فقد لاحظ بعض الباحثين ان التأثيرات البوذية قد انتقلت الى مصر وغيرها بعد ارسال الملك البوذي اشوكا بمبشرين الى تلك الديار (١) .

فالحركة الفكرية الدينية الوثنية المعاصرة كانت في جوهرها مسايلة للرهينة اليهودية ، (فالجماعة بعد ان فقدت ثقتها بمؤسساتها التي تنتمي اليها اخذت تفكر بالنجاء الروحية الفردية وكان الدين ذو الطقوس الخفية الغامضة قد بعث هذا الامل في صدور الالاف الموهبة من اليونان وفي بلاد الشرق الهيلنستي وايطاليا ولكن هذا الامل أو الحاجة اليه كان اليهود في انتظاره ، كان الفقهاء المحرومون والمظلومون او المحقررون في هذه الارض يتطلعون الى الله كي يرسل لهم من ينجيهم ويرفع عنهم نير الذل والعذاب) (٢) .

١ - هامش : قصة الحضارة ٣/٣ : ٢١٥

وكذلك مخطوطات البحر الميت ، لحادة ص ٤٩

٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٨٣

لكل ذلك كانت هذه المبادئ بحاجة ماسة الى تصحيح في المفاهيم والاراء الدخيلة على دعوة موسى عليه السلام ، والقمرانيون في زحمة الصراع والنزاع كانوا يشكلون احد الامراض المتفوعة التي انتابت بني اسرائيل ، فكان الجو مهيأ والحالة هذه لمبعث موسى عليه السلام لتصحيح الفساد المستشري .

وسنلاحظ من خلال نقد المبادئ مدى الانحراف الذي تطادى به القوم ، فالتنقد سيوجه الى المبادئ التالية :

- مبدأ تحريم أكل اللحم وذبح الحيوان
- مبدأ الاشتراكية في الاموال والاعيان
- مبدأ الالتزام بالاعيان الوثنية
- في بعض الانظمة والقوانين الداخلية
- في التكتم والسرية
- في قساوة العقوبة
- في مبدأ الاغتسال من اللس أو المصافحة بين الافراد .
- في البعد عن النساء وعدم الزواج
- في اتخاذ الدير الكبير ، والانعزال عن الناس والمجتمع .

نقد جديد أهدم أكل اللحوم وذبح الحيوانات

حرم الله تبارك وتعالى على بني اسرائيل بعض الامور واحل لهم امورا اخرى . ومن ذلك قول الحق على لسان عيسى عليه السلام (وَصَدَقًا لِّمَا بِيَدَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حُلَّ لَكُمْ بِعَظِّ الذِّي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَجَعَلْتُكُمْ بَايَعًا مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رِئَاسَةَ اللَّهِ رَبِّكُمْ وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (١)

وقد اشار العلماء الى ان ما حرم عليهم هو : لحوم الابل والشرب (٢) والشحوم وفي اشياء من السمك وفي اشياء من الطير . . . فجا عيسى بالتخفيف منه في الانجيل (٣)

ومن هذا يلاحظ ان التحريم هنا لم يكن على اطلاقه ، فقد ابيح لهم اكل بقية الانعام ، اما رهبان وادي قمران فقد حرموا على انفسهم اللحوم مطلقا واقتصروا على النبات . وهذا الرأي قد مر في الابواب السابقة ، ولو حظ وجوده عند الجينيين والبوذيين ، وقد تأثر به الى حد كبير الفيثاغوريون .

وقد اشار العقاد الى تأثر القرانيين بهذا المبدأ فقال :

(وقد نشأت الطائفة (اى في بدايتها) على الاغلب ، بالاسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد واقتبست من مدارس الاسكندرية كثيرا من انظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية كذهب فيثاغورث الذي يحرم ذبح الحيوان ويدعو الى التقشف والقناعة بالقليل) (٤)

١ - ال عمران : ٥٠-٥١

٢ - الشروب ج : الشرب ، وهو شحم قد غشي الكرش والامعاء رقيق : راجع : مختار الصحاح مادة شرب .

٣ - : فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني ١ : ٣٤٣ / ، مصطفى البايي الحلبي واولاده بمصر ط ٢ ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

و التسهيل لعلوم التنزيل للامام ابي القاسم محمد بن احمد بن جزى الكلبسي الغرناطي ١ / ١٩٢ ت : محمد عبد المنعم اليونسي وابراهيم عطوة عوض ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة حسان ، القاهرة .

٤ - : حياة المسيح ، للعقاد ١١ / ٢٤٦

مبدأ الاشتراكية في الاموال والاعيان :

تبني رهبان قمران كما مر مبدأ شيوعية الاملاك والاموال والاشترك الكلي والجماعي في امور العشيرة

وهذا المبدأ ايضا لم يكن نتيجة ردة فعل تجاه اليهودية الجامعة نحو المادية وحسب ، بل هو بدعة وجدت قبل نشوء هذه الفرقة بزمان بعيد ، فقد تلتقيها رهبان قمران واقاموا بها نظاما لهم .

وقد حلل المختصون الاسباب الكامنة وراء اتخاذ القمرانيين لهذا المبدأ وارجعوا السبب المباشر الى الحالة الاقتصادية التي تقلب فيها بنو اسرائيل وبيعوا الفرض التي اتاحت لهم (للثراء واستثمار الاموال ، وقد افاد من هذه الفرض اكبر افادة بعض طبقات وبعض افراد من بني اسرائيل ، فملكوا الضياع والقصور وغرقوا هم ونساءهم في الترف والنعيم ، وظهرت الفروق واسعة صارخة بينهم وبين سائر افراد الشعب في مآكلهم ومشاربهم وساكنهم وسائر شئون حياتهم .)

وهذا بدوره يؤدى الى الانحدار نحو الظلم والبغي فقد (استعملوا على غيرهم استعلاء كبيرا وكان لا بد لهم لكي يبقوا على مستواهم المعيشي والاقتصادى ان يمعنوا في ابتزاز الطبقات الدنيا وتجريد ها من كل شئ * ولم يكونوا ليخشوا من جرائد ذلك جزاء ولا حسابا ، فقد كانوا هم الصفوة المختارة الذين يراقبون الناس ولا يراقبون ويحاسبونهم ولا يحاسبون . وكانوا قادة الشعب وحكامه بيد هم الحلال والعقد ، ومن طريقهم تناس الامور .) (٢)

لقد نشأت عن هذا الطغيان مظالم وهيلات اخلاقية واجتماعية كثيرة من ذلك انهم كانوا (لا يتورعون في سبيل الثراء عن الالتجاء الى اخس الوسائل فكانوا ياكلون السحت ويخدون ايديهم للرشوة ويسلمون اموال الضعفاء واليتامس والارامل ومقرضون المعوزين من بني اسرائيل بها فاحش ثم يستولون على اراضيهم سداد الديونهم او يبيعونهم ويبيعون اولادهم وزوجاتهم ببيع الرقيق ، فاستحالت من جرائد ذلك معظم الاراضي الى اقطاعات كبيرة يملكها عدد محدود من الافراد

١ - "بحوث في الاسلام والاجتماع" ، د . علي عبد الواحد وافي ص ٢٦٩

والطبقات ، وتكدست كذلك معظم الثروات الاخرى في ايدى هؤلاء حتى لقد ضاقت بها بيوتهم ولم يقو البشر على حراستها فلبجوا الى بيت الاله نفسه ورطابته فاستحال بذلك المعبد الى (بنك) يهودى لحفظ ودائع بني اسرائيل وكان من نتائج ذلك ان اغتفت الطبقات الصغيرة او كادت (١)

لقد جرت هذه المظالم الى البؤس والشقاء كثيرا من الناس وقصد صرأشعيا عن هذا الوضع المزرى قائلا (ويل للذين يصلون بيوتا بيوت ويرقون حقلا بحقل حتى لم يبق موضع ، فصرتم تسكنون وحدكم في وسط الارض) (٢) .

ولا شك أن هذا الوضع كان نتيجة حتمية لاختلال ميزان الحق والعدل عند هم ولانحراف الكبير الذى شهدته عقيدتهم الزاحفة ، فانعكس ذلك على الوضع الاجتماعى الذى ولد بالفعل نقمة طارئة بين الطبقات الدنيا والتي حاولت باساليب التعبير عن رفضها لهذا النهج بالهروب من هذا الواقع المؤلم الى حياة جديدة تختلف اختلافا كبيرا عن سابقتها فهربت من التطرف الراسمالي الى التطرف الشيوعى وهذا ما فعلته الرهبنة اليهودية .

ولا بد من الاعتراف هنا ان هذا المبدأ الجديد الذى لجأت اليه الجماعة كان معمولاً به منذ عهد ليكورغوس (Lycurgus) في القرن التاسع قبل الميلاد الذى حاول تطبيق هذا النظام في (اسبرطة) .

فقد حقق هذا الاخير (نظاما شيوعيا مبتكرا لم يسبق اليه وذلك انه الغى نظام الملكية الفردية للارض واعاد تقسيم "لاكونيا" الى ثلاثين الف قطعة متساوية القيمة بعدد الاسر الاسبرطية حيثئذ واعطى كل اسرة قطعة منها فاصبحت ملكية الارض جماعية واصبح جميع الاسر سواسية . . . وجعل للدولة نفسها اى للمجتمع العام نصيبا كبيرا من غلة الارض ودخل الناس في مختلف مظاهر الانتاج .

وفي مقابل ذلك تنفق الدولة على جميع الشؤون العامة واعمال الحرب وتأخذ على عاتقها تربية جميع الاولاد الذكور وتنشئهم تنشئة عسكرية على نفقتها (٣) وفي دورها الخاص) .

وعلى نسط يقارب هذا النظام تم لجماعة وادى قمران تأسيس هذا المعسكر الضخم وتم فيه توزيع ما يحتاجه كل فرد بنسب مقدرة .

الا ان نصيب نظام ليكورغوس كان الاخفاق حتى لقد اضطر هو نفسه الى تعديل القوانين هذه واعاد توزيع الارض اكثر من مرة ولم يثبت شئ من هذا النظام البتة مع مرور الزمن (٤) .

١ - بحوث في الاسلام والاجتماع ، د . وافي ص ٢٧٣

٢ - اشعيا ٥ : ٨-١٠

٣ - بحوث في الاسلام والاجتماع ص ٢٧٣

٤ - المرجع السابق .

وهذا النظام هو في جوهره ينطوي على فساد (ذاتي لتعارضه
مع اتجاهات النزعات الفردية ومع السنن التي يقوم عليها العمران الانساني ، وتعتمد
عليها العلاقات التي تربط الناس بعضهم ببعض .)^(١)
كما ان الغاء الحوافز من اى نظام علمي يؤدى الى التقاعس والتواكل
في العمل . والفشل الذى لقيه نظام (ليكورغوس) كان من هذا القبيل لهذا احتاج
الى تغييره عدة مرات .
وصحيح ان جماعة وادى قمران كانت نهايتها على ايدى الرومان الفاتحين
الا ان هذا النظام بحد ذاته ابقى الجماعة في حلقة مفرغة تدور حول نفسها فلا
تؤثر في غيرها ولا غيرها يتأثر بها وظلت اعدادها كما هي ودافعها محدوده واهدافها
محصوره في نطاق ضيق ، مما أورث الشلل في أركانها . ولهذا كان الفشل ملازما
لها .

١ - بحوث في الاسلام والاجتماع ص ٢٦٩

نقد مبدأ الالتزام بالاعيان والتقويم المصرى القديم

ان استعمال القمانيين للتقويم المصرى والاحتفال ببعض الاعيان المتعلقة بمحاصيل الزراعة والثمار وغيرها من الاعيان الوثنية يجعل من هذه الجماعة مسئلة لغيرها في نظمها وعاداتها .

ولا اعتراض من حيث المبدأ على استعمال التقويم من الناحية العلمية فهذا امر لا بد منه لاستعماله في معرفة المواقيت والازمنة ، انما الذى يعيب هو ظاهرة التقليد في اتخاذ تقويم للاعيان والاحتفال بها تبسعا للنظام الوثني المصرى القديم .

وصحيح ان هذه الجماعة لم تكن تشارك غيرها في الحياة العامة الا انها كانت تخضع في فترات معينة لتيارات غريبة لا تقدر على ردها نظرا لضعف النشأة وفقدان الحيلة .

- في الانظمة والقوانين الداخلية للجماعة

تبين من نصوص الجماعة انها تصر على ضرورة خلو المنتسب اليها من الموانع الخلقية ، وهذا يحتم وجود تفرقة بين الناس وينبئ عن غطة في قلوب اصحاب هذا المبدأ ، كما يمنع بالتالي وصول الخير الى الغير .

فالدعوة الخالصة لا تحتاج الى مثل هذا النص ، ان انها لا تفرق بين كبير وصغير ولا بين غني وفقير ولا بين قوى وضعيف فالكل اطم الحق سواهم جميعا يشكون اطار الجماعة لا فرق بينهم الا بالاحسان ولا فضل الا بالتقوى .

وصحيح أن القوى خير وأحسب إلا أن الضعيف لا يحرم من الحق والعدل والخير ، فلا يجوز طرده من حظيرة الايمان لضعفه الجسدى ان رباط يكون جهاده الطالى مدعيا للجهاد بالنفس ومعينا له (يقول الحق تبارك وتعالى :
(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) (١)

فاقتصار الجماعة على فئة واحدة من الناس او جنس واحد فيه قصر نظر ويترتب عليه خلل وفسوق بين البشر .

مبدأ التكتيم والسريسة :

جرت المفاهيم على ان اى عقيدة دينية جديدة تلقى معارضة قوية في بداية نشأتها ، ولا بد في هذه الحالة من اتخاذ مبدأ السرية والتكتان حفاظا على افكارها وعناصرها من كيد اعدائها ، حتى اذا ما قويت شوكتها واشتد عودها اصبح من الضروري لها اعلان الدعوة جهرة دون ابطاء ، والا فانها معرضة للفشل ان استمرت في اتخاذ مثل هذا الطابع . فاستمرار السرية والخفاء في الدعوة مقرونان بالخطورة لما يترتب عليه من نمو للمنظمات الفردية داخل الجماعة ، المفضي الى التهــور والتسرع في اصدار الاحكام دون اللجوء الى التعقل والتدبر ، وغالبا ما تكون هذه الاحكام في وسط هذا المجتمع المنغلق المتدمر جائرة ، نظرا لضيق الافق ، ومحدودية التفكير و انعدام الشورى .

فما يحاك في الظلام يخرج ضاها وما يزرع في الضوء ينبت ويترعرع ويقوى ويشتد ، في وجه الصعوبات والطبات .

ويمكن الفسفسل في ابقاء الجماعة على سريتها وتكتانها انها لا تستند في دعوتها الى خطة مدروسة ، تقيم فيها مراحل نموها وتطورها . ولهذا فان رهبان قمران رغم تمكنهم من الاستمرار اكثر من ثلاثة قرون او قرنين على اقل تقدير ، الا انهم لم يعلنوا على الملأ مبادئهم واراءهم ولم يعطوا على نشرها في الخارج .

والحق ان هذه الفسفرة لم تستطع التمييز بين ما ينبغي عله في بداية الدعوة وبين ما ينبغي ان تقوم به من خطوات بعدها . فسارت على منهجها دون تغير في اسلوب الدعوة القديمة فظلت جامدة مكبله بنصوص كتبها الجامدة وشروط انتسابها الضيقة المتسمة بالعنصرية والفردية من غير ان تعرض بضاعتها على الآخرين .

وغير خاف ان مبدأ السرية في التعاليم مبدأ مستورد من المذاهب المعاصرة لتلك الفرقة ، فالفيثاغورية مثلا نادى بالسرية المطلقة حتى انها اعتبرت ان من يفشي سرا دينيا او دنيويا يكون عرضة للاعدام (١) .

وهذا ما نصت عليه قوانين رهبان قمران الى حد ما ، وقد استنتج د . النشار من ذلك ان هذه الفرقة اليهودية قد فتحت الباب امام فرقة يهوديية حديثة تتخذ السرية طابعها لها حيث اوضح قائلا :
(وكانت لهم مذاهب خاصة سرية ، ويعتبرونها اسراراً لا تفتش إلا الأعضاء

١ - انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ٢٠

الجماعة بعد انضمامهم لها بوقت طويل واختيارهم اختياراً عنيماً ، هذه هي الصورة الاولى للماسونية^(١) التي ابتدعها اليهود ايضاً في العصور الحديثة وجعلوها وسيلة لنشر كثير من مبادئهم ، وغايتهم اقامة هيكل سليمان مرة ثانية^(٢) .

كما ان هذه الجماعة (كانت بتعاليمها السرية طهية لنحلة يهودية لاحقة تدعى القبالة^(٣) ، أو القبالة^(٤)) .

١ - الماسونية : (من الكلمة الانجليزية (ماسون) اي عامل بناء ، وتعود جذور الحركة الماسونية الى جماعات الحرفيين في العصور الوسطى الاقطاعية ، وهي جماعات كانت منظمة تنظيم صارط شبه ديني لها طقوسها الخاصة ورموزها الخفية وقسمها السري والمحتوى الايديولوجي للماسونية . . . عالم رجراج ولذلك فهي تغير لونها وفق ظروفها التاريخية فنجدها حركة تقدمية آنا ورجعية في آن اخربل انه توجد الان في العالم حركات ماسونية عديدة متصارعة ولكل واحدة طقوسها الخفية السرية) : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣٥٢

ويمكن اعتبارها بشكل عام (مخطط فكري اجتماعي اقتصادي ، صهيوني الفكر عميق الاهداف كبير الاثر متغير المظهر ، قادته هم اساطين الفكر اليهودي العالمي . . . (وهي) تحل اسماء مختلفة وتعطى بسماوات متعددة لتخدم اهدافاً صهيونية واحدة ، وظهرت في يوم من الايام باهداف انسانية في ظاهرها حاكمة حقداً اسود على البشرية كلها في اعطائها) : شهادات ماسونية ، حسين عمر حمادة ص ٧ ، دار قتيبة ط ١ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، وللمزيد يراجع ايضاً : الماسونية في العصور وحقيقة الماسونية ، للدكتور : محمد علي الزعبي .

٢ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، د . النشار ، ١/٧٦

٣ - القبالة : علم التاميلات الباطنية والصوفية عند اليهود والمعنى الاصلي لكلمة قبالة في اللغة العبرية هي التراث من القبول وكان يقصد بها اصلاً التراث الشفوي ، المتناقل لليهودية فيط يعرف باسم الشريعة الشفوية ثم اصبحت من اواخر القرن الثاني عشر الميلادي تعنى الاشكال المتطورة للتصوف والعلم الحاخامي في اليهودية - الى جانب مدلولها الاكثر عموط على كل المذاهب الباطنية في اليهودية منذ بداية العصر المسيحي ومنذ اواخر القرن الثاني عشر الميلادي . . . وينطلق المؤمنون بالقبالة من افتراض ان الله قد خلق العالم عن طريق الفيض الالهي وفكرة الفيض تفترض وجود وحدة تنظيم كل المخلوقات بل وتنظم الانسان والخالق حتى يصبح الاله ومخلوقاته هم نفس الشيء . . . وترتبط القبالة بعدد من العلوم السحرية مثل التنجيم والسيمياء والفراصة وقراءة الكف وعمل الاحجية و تحضير الارواح . . . وقد انتشر الفكر القبالي بين صفوف يهود اوربا في القرن السادس عشر ثم بين يهود شرق اوربا بالذات في القرن الثامن عشر وذلك بانتشار الحركة الحسيدية ومن اهم المفكرين القباليين في العصر الحديث الحاخام ابراهام كوك المفكر الصهيوني واول حاخام صهيوني استوطن فلسطين . . .) : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٩٠-٢٩١ وكذلك

راجع : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٦٥-١٦٧

٤ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٥

قساوة العقوبة في القوانين القرآنية

جاءت الشرائع السماوية لهداية الخلق الى سبيل الحق ، واتخذت وسائل الترغيب والترهيب اسلحتها في مخاطبة البشر .
وعدة هذه الوسائل ، الترغيب بعفو الله تبارك وتعالى ومغفرته لعباده ، وفتح الباب امام العصاة للتوبة والانهابة اليه .

والوقوف في وجه هذا النهج هو اغلاق لباب الرجاء والامل ، وسد لابواب المغفرة ، وما قام به رهبان قرمان من وضع قوانين صارمة لا رحمة فيها ولا شفقة هو من هذا القبيل .

وفي الفصول السابقة لوحظ نهي لا احدى فقرات قوانينهم ان (من ارتكب احدى الكبائر ، ووقع في الخطايا الشائنة يطرد من بين الجماعة فيكون مصيره الموت المحتم لانه لا يتناول ما يجد من الطعام فيضعف جسمه حتى المهلاك)^(١).

هذا النص ان كان المراد منه معاقبة الكفرة والطحدين فهو في موضعه ولا اعتراض عليه ، الا ان النص لم يذكر كفرة او طحدين ، وعليه فان النص يعني المذنبين والعصاة ، وفي هذه الحالة يمكن معالجتهم بالعقوبات الناجمة والرادعة ، المؤدية الى التوبة والندم على فعل المنكر .

والا فالنص يلحق اجحافا كبيرا في حق المذنبين ، والحق انه يجب التسليم بضرورة معاقبة المذنبين كل حسب جرمه مع الاخذ بعين الاعتبار ان حد هذه العقوبة يجب ان يكون مكفراً للجرم المرتكب حتى يكون الانصاف عاما وشاملا . وفي المسائل التي لاقتل فيها ولا دماء كـ بعض الكبائر غير المكفرة والصغائر فينبغي ابقاء باب التوبة فيها مفتوحا امام المذنب للعودة والرجوع الى الحق والصواب كما ان طرد المذنب او نفيه من الجماعة يزيد من شعوره بالظلم فلا يفكر بالعودة الى الصلاح ؛ بل ينقلب مجرماً لا يتورع عن ارتكاب المزيد من المعاصي والكبائر وفي ذلك خسارة كبيرة لكلا الطرفين .

١ - لاحظ صفحة (٢٨٤) من هذا البحث .

مبدأ الاغتسال من المصافحة أو اللبس

مطالبة هذا المبدأ بأنه (ليس لأحد من القسم الأكبر في الجماعة ان يمس احدا ممن دونه والا اغتسل)^(١) يوحى بوجود فوارق طبقية ونزعات عرقية داخل الجماعة الواحدة ، فضلا عن ميزة التعالي والكبر ، وهو ما يناهض التواضع والتسامح .

وهو في وضعه هذا ينم عن تعالي رجال الكهنوت وذلك لتدعيم قوانينهم الخاصة وفرض هيبتهم على الآخرين بغير حق ، كما يوحى باضفاء سمة القداسة على هؤلاء ، وربط التمسك بالطبقات الدنيا من الطبقات العليا البركة والمغفرة ، وهذا ما تجلت صورته فسيط بعد في الرهبانية المسيحية التي اتخذت رهبانها اربابا من دون الله ، وفي الباب القادم ان شاء الله سأعرض لهذا الموضوع .

في مبدأ " البعد عمن النساء " وتحريم النكاح :

اعتناق هذا المذهب فيه مغايرة اكيدة لمذاهب الفرق اليهودية الاخرى التي رأت في مجتها (ان الزواج واجب ديني لكل قادر عليه وان من يحجم عمن الزواج مع القدرة عليه لا يقل حرمة عن القاتل لان كليهما على حد تعبيرهم " يطفئ نور الله " وينقص ظله في ارضه ويبعد رحمته عن اسرائيل " بل لقد رأى بعض فقهاءهم انه من بلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء ان يرغبه على الزواج)^(٢) .

ولم يرد نص في كتب اليهود يوحى بضرورة العزوبة والامتناع عمن النساء ، ما يعطي دليلا قاطعا على ان هذا المبدأ لم يكن نابعا من البيئية اليهودية بل كان نتيجة اثر خارجي .

ولا شك ان تأثير الرهبان اليونان الذين عاشوا مع الجيل الأول من القمرانيين في الاسكندرية وحول مربوط كان كبيرا . .

فبالاستطاعة هنا تقرير ان هذه العقبة بالذات تعطل بحق صلة الوصل ما بين رهبنة الديانات الوضعية ورهبانية النصارى وذلك لان طما " التماريخ يقررون ان جماعة وادى قمران لم تنته تطاما الا بعد ميلاد المسيح عليه السلام بنحو ٧٠ طما تقريبا .

١ - راجع صفحة (٢٨٣) من هذا البحث

٢ - : الاسفار المقدسة السابقة للاسلام د . وافي ص ٦٠ وحول ذات الموضوع

راجع : موقف اليهودية والمسيحية والاسلام في العزوبة " مقالة لنفس المؤلف في مجلة الأزهر عدد محرم ١٣٧٩ هـ ص ٣٠ ، القاهرة

ان هذا السبأ حينئذ قررته الرهينة اليهودية لم تكن قد اخذت بعين الاعتبار اضراره الخطيرة . .

وصحيح ان العظماء لم يتحدثوا عن وجود ما يشير الى حصول جرائم خلقية داخل الجماعة ، الا ان الامر المعلن ان الجماعة كانت تتبنى اولاداً من خارج اطار القمريانيين ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على فشل هذا النظام — اساساً ، فما هو الداعي للتبني ما دام قوانين الجماعة في نظرها مثالية وراقية؟ ان التعالي على الحق جريمة بشعة ودعوة كهذه فيها هدم لركائز المجتمع وتهديد لاستمرار النسل وعصاة الارض .

كما ان نظام التبني لا يمكن ان يقوم بحمل مسؤولية بناء المجتمع ، وكم من الناس من يستطيع التخلي عن قلدة كبد ، ليعيش في مجتمع مغلق تكتنفه حياة العزلة والتوقع ،؟ هذا لعمري بعيد كل البعد عن الواقع .

ومن الواضح ان الجماعة قد بنت نظام رهبنتها وتبنتها طبقاً لارائها المتعلقة بالمرأة فالموقف المعلن من النساء كما توضحه احدى فقرات قوانينهم (انهن جميعاً فاسقات وليس بينهم واحدة تحافظ على امانتها لرجل) (١)

هذا الموقف فيه تجاوز خطير لحقوق المرأة ومكانتها في المجتمع وتعهد على سمعتها وكرامتها ، وان خالها في باب الفسق تحقير لقيمتها الانسانية أولاً ومهانة لدورها في المجتمع فضلاً عن انكار الجميل الذي تؤدية الامهات في سبيل فلسفات اكبادهن .

ولو وجد في واضع هذا القانون شيء من الحياء والخجل لقصر الفسق على فئة معينة من النساء دون ان يعم حكمه الجميع بالاتهام والقذف .

الا ان التقليد الاعس وتتبع خطى الرهينة الجينية والبوذية واليونانية قاد واضعي قوانين رهينة اليهود الى هذا المأزق الخطر .

(٢) وقد لوحظ في السابق موقف الجينية من المرأة وموقف بوذا منها . وقد وقف القمريانيون نفس الموقف ، فما اشبه هذه بئلك .

ولهذا فان معارضة السنن الالهية في الخلق عطية متعبة نتيجةها المحتمة الفشل ، ولا ادل على ذلك من ان هذه الجماعة لم تستطع ان تقاوم الضغط الخارجي فقد استطاعت الجماعات اليهودية الاخرى الولج الى قلب القمريانيين وكسر نظام الجماعة الى حد ما ، وهذا ما حصل عند البوذيين من قبل وكان الزمان قد استدار كهيئته مرة اخرى .

١ - راجع صفحة (٢٨٥) من هذا البحث

٢ - راجع صفحة (١٥٧) من هذا البحث .

نظام الديبر الكبير وساوته

ان انشاء معسكر كبير يضم جميع مستلزمات حياة الرهبان لم يسبق ان اقيم مثله من قبل ، فهذا الابتداء كان نتيجة لقرار الجوعا بعدم التعاون والا اختلاط مع اليهود الاخرين فضلا عن بقية الطل الاخرى .

ان هذا الوضع يحتم انزال افدح الاضرار بالمجتمع فالعزلة والتفوق داخل دائرة ضيقة يمنع من اكتساب المواهب والقدرة على التلقي السليم لبيادى وطوم الحياة المتطورة والنافعة للمجتمع . كما يقفل الابواب امام النابهين ، ويبقى الجماعة تدور في حلقة مفرغة لا جديد فيها ولا تجديد .

والهروب من الشرور لا يكون بالانعزال كلية عن المجتمع ، وصحيح ان نصوص الشريعة الحقة لا تتغير ولا تتبدل الا ان الاحوال التي ترافق الناس تتبدل بصورة مستمرة ، ولا بد والحالة هذه من استنباط احكام تواكب ما يستجد من امور متطورة مع الزمن خاصة اذا لم تكن النصوص قادرة على اعطاء احكام مباشرة او خلست من الوضوح والبيان ، وعندها لا بد من الاجتهاد والاستنباط . .

ومع اقبال هذا الجانب وحصره في دائرة ضيقة تبرز المشقة والحرج امام الناس في امورهم العادية والمعيشية .

واذا لاحظنا الفترة التي عاشتها جماعة وادى قران لا مكن لنا التعرف على مدى القصور الذى اعترها ومدى التأخر الذى اكتنف جوانب حياتها ان ظلمت على انعقادها وانعزالها بعيدة عن أي تقدم يذكر .

وما لاشك فيه ان فكرة المستعمرة او الديبر الكبير قد فتحت اعين اليهود في العصور المتأخرة على انشاء احيا كبرى معزولة كلية عن المجتمعات السكنية الاخرى خاصة في اوربا وقد اتفق على تسميتها بالجيتو^(١) ، وقد توسع

١ - الجيتو : هي حي مقصور على إحدى الأقليات الدينية او القومية ولكن الكلمة

(جيتو) تستخدم بشكل خاص للإشارة الى احيا اليهود في اوربا وقد اقيم اول

حي يهودى يطلق عليه كلمة جيتو في البندقية عام ١٥١٦ م ومع انه كانت توجد

داخل الجيتو طبقات مختلفة (من اليهود) فكان هناك الغني والفقير والمستغل

الا ان الطبقة المنغلقة لهذا البناء الاقتصادي جعلت كل الطبقات تتداخل فكانت

الاقلية اليهودية تقوم برعاية مصالح كافة اعضائها بصرف النظر عن انتمائهم الطبقي

... وفي الجيتو كان اليهودى يهرب من العالم الخارجى لعالم كان يتصور ان كل

ما فيه يهودى خالص فقد كان يمارس طقوسه اليهودية بكل حرفيتها وبدون حرج ثم

كثيرا في استعطاله ، اذ كان طمها لاحلام اليهود وتطلعاتهم ، حيث فيه نشوءوا . .
وترعرعوا وتمكنوا من تحقيق الكثير من اهدافهم التوسعية .

=

يحتج عن العطل يوم السبت حتى يعجل بعودة الساشيح المنتظر ليقود شعبه
لارض السعد ، وحينما كان يحاول اليهودى ان يدرس شيئا فانه كان يذهب
الى بيت هامد راش ، - المدرسة - الطحقة بالمعبد اليهودى او يذهب الى المدرسة
الظهورية حيث كان لا يدرس الا التوراء والظمود والحدراش ولا يقترب البتة من تاريخ
الاغيار فقد كان كل ما يعنيه تاريخ اليهود كما جاء في كتب اليهود المقدسة
لكل هذا كان يعيش اليهودى نفسيا في مكان كان يتصور انه فلسطين وان كان يعيش
بجسده في احدى جيتوات شرق اورها او وسطها) : موسوعة السفاهم
والمصطلحات والصهيونية ص ١٥٤ ، ١٥٥

الترابط بين رهبنة القمرايين ورهبنة الجماعات اليونانية القديمة

هناك ملامح وإشارات قوية توحي بارتباط جماعة وادي قمران بغيرها
من النحل الأخرى المعاصرة لها .

فمن خلال استقراء عقائد هذه الفرقة ونظمها الدينية وقوانينها
يمكن الكشف عن الترابط الذي قام بين القمرايين وغيرهم ، وقد أوضح ديورانت
في معرض حديثه عن هذا الموضوع قائلا (ولجأ جماعة من اليهود وغير اليهود رجالا
ونساء إلى الصحراء المصرية القريبة من بحيرة مريوط ، يعيشون فيها منفردين فسي
صوامع وبيع ، ويحرمون على أنفسهم جميع العلاقات الجنسية ويجمعون في يوم السبت
للصلاة الجامعة ويسمون أنفسهم معالجي النفوس (*therapeutae*)^(١) .

كما أوضح العقاد هذا الجانب بقوله (وخرجت من مصر أيضا نخلة
قوية على قلة عدد المنتعين اليها وهي نخلة المتطسطين (*therapeuts*)
التي ذكرها الحكيم الاسكندر في اليهودي فيلون وقال ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم
السبت ويتفرقون بعد ذلك في الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية ورياضة الروح والجسد
واسمهم اليوناني معناه الاساة او المتطسبون واكثر صوامعهم كانت على مقربة من
الاسكندرية حول مريوط القديمة ويظن بعض المؤرخين ان هؤلاء المتطسبين
هم اساتذة النساك اليهود الذين يسمون الاسين او الاسينيين)^(٢) .

فاقرار ديورانت بسخاطة هذه الفئة اليهودية لغيرها ومحاولة العقاد
ربط هذه الدلالات هو برهان واضح على ان التأثير اليهودي بالفكر اليوناني
الخاص بالرهبنة قد نبغ وانبثق إبان تلك العهود وان كانت في بدايتها .
ويمكن تأكيد هذه الحقيقة من خلال التعرف على العقائد اليهودية
الاستقلدية والتي انكرت في مجملها العزلة ودعت الى الاخذ بمهاج الحياة
الطادية ، وقد مرت في الفصول السالفة نماذج من تلك المبادئ والاراء .

١ - : قصة الحضارة ٣/٣ : ١٥١ ، ويجب لفت النظر الى أن لفظة سراجيس
المصرية القديمة تلك العبادة التي شغلت مصر في عهد ايزيس واوزوريس قريبة جدا
من لفظة (سراجوت او سراجوس (*therapeuts*) وهذا القرب يوحي بوجود
ارتباط بين الفئتين الا ان العلماء لم يشيروا الى الان الى هذه النقطة كما ان البحث
مدعو لايضاح هذا الترابط فيما بعد .

٢ - : حياة المسيح ، للعقاد ٢٦٦/١١

ولا شك انه لم يوجد قط في مهادى الفرق اليهودية القديمة على اختلاف مشاربها وقبل نشوء جماعة وادى قمران من نادى بالرهينة .

فمن المعروف حقا ان اليهود قساة القلوب اصحاب طبيعة مغاليسة في الطادية وتحيل الى الانانية والتكبر والتعالى ، فمن المستغرب ان تظهر بينهم فسفة تنادى بالعزلة والعزوبة . وعليه فلا بد من تقرير حقيقة واقعية وهي ان قيام جماعة يهودية بهذا الامر لا بد ان يحصل من جراء تأثيرات خارجية ولا شك ان بعض هذه التأثيرات قد جاء عن طريق تلك الجماعات التي خالطها اليهود في ميسوط واخذوا عنها نظم الرهينة ومبادئها .

وهكذا يمكن ربط الحلقات المتعلقة بالرهينة لتصبح الصورة واضحة مبنية على اساس ان الرهينة اليهودية هي صلة وصل ما بين رهينة الاديان الوضعية وبين رهبانية النصارى التي سوف نرى نشأتها وتطورها في الباب القادم بإذن الله تعالى .

١ - لم يكثف ديوارنت بايراد التأثير اليوناني على الجماعة بل ألمح الى ان هؤلاء لعلمهم تأثروا بأراء البراهمة والبوذيين والمجوس عتبة النار والفيثاغوريين والكببيين وهي الاراء التي جاءت الى اورشليم ملتقى الطرق التجارية في غرب اسيا) .

: قصة الحضارة ٣ / ٣ : ١٧٤

ويضاف اليه ما ذكره الطران صموئيل في هذا الصدر حينما قال انها (أي الجماعة) مزيج من اليهودية - ولا شك - ومن العناصر الشرقية كالفارسية والهندية والوثنية مع اليونانية بدليل وجود آثار لكل من هذه العناصر فيها ، فالاسينية لجأت الى البرارى والكهوف سعيا وراء كمال كل فرد من اعضائها ومع ذلك فمما لبثت ان انقرضت سواها كان السبب في ذلك الاضطهادات التي قاستها او نكبات الزمن الاخرى المتعددة فالنتيجة الواقعية هي انها لم تكن تحتوى على مقدار كاف من الحياة ليضمن لها استمرار البقاء وطول الحياة على مرالاجيال (كنز قمران ص ٢٤٤)

البساب السباع

الاسم العقديسة
للرهبانيسة السحيحة
والبرد طيها

التمهيد :

بعد الحديث عن الرهبنة اليهودية ومشاكلها وما انتهت اليه
نصل الى نهاية المطاف والى ما لا بد منه في سلسلة الرهبنة ، لنختتمها بالحلقة
الاخيرة والخطيرة منها وهي الرهبنة المسيحية التي مارست جميع ادوار من سبقها
واقتبست عنهم كثيرا من المفاهيم والمبادئ العقدية والعلمية وطبقتها وضافت
اليها الكثير . .

وهنا تتجلى حقيقة البدعة في الرهبانية المسيحية ، صدقنا
لقوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها
حسق رمايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون)^(١) .
فضم عقائد ومبادئ مخترة الى الدين الاصيل ليصبح لدينا محرفا
بدعة ليس للنصارى ادخالها على ما جاء به عيسى عليه السلام .
وللوصول الى ذلك لا بد من استعراض وبيان أهم أسس العقائد
التي استقر رأي الكنيسة عليها ، للوقوف على كيفية نشوء الرهبانية وتطورها
والادوار التي مرت بها والمناهل التي شربت منها .

الفصل الأول : العقائد ونقد ها
أولاً : أسس العقائد المسيحية
==

لقد مرت المسيحية عبر قرون عدة قبل ان تستقر على عقيدة تبني عليها اصولها ، وقد اجمعت الطوائف المعارضة للتوحيد على القول بالتثليث^(١) ووضعت له المصطلحات الخاصة به ، وهي في واقع الأمر تتناقض مع ما تدعيه من القول بالتوحيد التي اضطرت الى المناداة به خوفاً من وصمها بالوثنية .

فهي تضع اسم : الاب ، والابن ، والروح القدس ، كأساس لعقيدتها الا ان الطوائف المتعددة داخل المسيحية نفسها تختلف حول طبيعة كل اقنوم من هذه الاقانيم الثلاثة وانبثاق كل منها عن الآخر .

وقد اقرت عقيدة التثليث عقب مجامع متعددة بعد ان مرت الكنيسة بتطورات كثيرة نظراً لما اعترضها من مشاكل وصعاب فكرية ودينية ، منها ما هو نابع من اختلاف دعاتها الأوائل حول مضمون رسالة عيسى عليه السلام وشخصيته وحياته ومنها ما يرجع الى أسباب خارجية طارئة أسهمت الى حد كبير في إنحراف خط السير وتوجيهها نحو طريق لا يرضى عنه المسيح عليه السلام وحواريوه الخلف .

١ - تتراجع المسيحية في العصر الحديث عن كثير من الآراء التي تحكمت بها في الماضي فالموسوعة الكاثوليكية الجديدة والمعترف بها رسمياً في اوساط الكنيسة تعترف (بان التثليث لم يكن معروفاً للمسيحيين الاولين وان هذا المبدأ قد تمت صياغته في الربع الاخير من القرن الرابع الميلادي فتقول في هذا الصدد : .

(نجد من الصعب في النصف الثاني من القرن العشرين ان نقدم تفسيراً واضحاً وموضوعياً لأصل سر الثالوث المقدس وتطوره المذهبي وتفسيراته اللاهوتية فمناقشة الثالوث تمثل ظلاً من الغموض غير المستقر سواء كانت على مستوى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أو غيرها .

وقد حدث أمران هامان : هناك اعتراف من جانب المفسرين وعلماء الانجيل وعدد كبير من غلاة الكاثوليكية بأنه لا يجب الحديث عن ثالوث العهد الجديد (الانجيل) دون ان يكون المتحدث مؤملاً لذلك ويوازنه اعتراف مؤرخي العقيدة ورجال اللاهوت بأن الحديث في ثالوث مهم يتحرك بنا من أصول العهد المسيحي الأول إلى الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي ففي هذا الوقت أصبح الثالوث مبدأ نهائياً ، وتهيأ الفكر المسيحي والحياة المسيحية تماماً لاستيعاب فكرة الاله الواحد في ذوات ثلاث) : الاسلام والمسيحية ، ألفت عزيز الصمد

ص ٥٥-٥٦ الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م
دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان .

وطيه فان ارا الفرق المسيحية المختلفة لم تتفق على صيغة لاعلان المبادئ
الرئيسية للديانة المسيحية في القرنين الاول والثاني وذلك بسبب الاحداث الخطيرة التي
غيرت معالم الدين الحق .

فبعد تقلبات عديدة وملايسات تاريخية ومجالات عقائدية شهد لها
العالم المسيحي آنذاك عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ضم ٣١٨ أسقفا تحت رعاية
قسطنطين وكان وثيا ولم يتنصر بعد وقد خرج المجمع بقرارات سميت آنذاك بدستور
الايطان أعقبه مجمع آخر سنة ٣٨١ م في القسطنطينية تحت رعاية (تاودوسيوس) وقد
أقرت فيه صيغة أضيفت إلى الاولى كان المؤمنون بحاجة اليها مكلمين بذلك النص
الذي ألزمت الكنيسة أتباعها باعتناقه وعدم الخروج عنه . ونص دستور الايطان كان على
النحو التالي :

- أومن بالله واحد آب ضابط الكل خالق السما والأرض كل ما يرى
وما لا يرى

- وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل
كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو
للاب في الجوهر الذي به كان كل شيء .

- الذي من اجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السموات ،
وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس .

- و صلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث
على ما في الكتب .

وصعد الى السموات وجلس عن يمين الاب .

- وأيضا يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات لافناء لطفه (١)

- وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب الذي هو مع الاب ،

والابن مسجود له ومجد الناطق بالانبياء .

- وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية .

- واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا

- واترجى قيامة الموتى

- والحياة في الدهر الاتي . آمين (٢)

١ - الى هنا النص الذي جاء في المجمع الاول (راجع في ذلك : المسيح في القرآن
والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ص ٢٥٠ ط ١ ١٣٨٥-١٩٦٥ دار الكتب
الحديثة ، مصر

٢ - راجع نص الصيغتين في كتاب الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الارثوذكسية
افلاطون مطران موسكو ص ٦٥-٦٦ ت : الخوري يوحنا حزيون ، مطبعة كرم ، بيروت ١٩٥٢

(١)
وقد حاول صاحب رسالة التثليث والتوحيد تخريج صيغة هذا الدستور
من الأناجيل الأربعة ورسائل اعمال الرسل .

الا أن الناظر في العهد الجديد وما احتوته أناجيله من نصوص يظهر
لنا بوضوح ان كاتبها يمتازون بثقافة اصططغت بالوان شتى اكتسبتها من بيئة شعبية
بأساطير وفلسفات ومفاهيم وثنية .

وما عرف عن أهل الكتاب من اتخاذ منطق التأويل المغالي
لتفسير نصوص كتابهم ليس بغريب عليهم بدرجة تخريج أي نص وفق مفهوم العقيدة التي
يدعون بها بعد تغلغل الآراء التاليفية الدخيلة على رسالة عيسى عليه السلام .

ولمنا في معرض الحديث عن التطورات التي سبقت انعقاد المجامع
والاعتراضات الكثيرة التي أثرت حوله أو الخوض في تأثير الفلسفات الوثنية القديمة
على الديانة المسيحية فإن ذلك سوف يكون البحث فيه أثنا الحديث عن الآثار
الخارجية على الديانة المسيحية .

وما يهم البحث هنا هو استعراض المفاهيم الرئيسية التي قام عليها
دستور الايمان واراها المسيحيين بالنسبة لعقيدة التثليث وما نتج عنها من مبادئ
دينية اتخذت كاستند للأسس التي بنت عليها الرهبانية أطرها وتنظيماتها .
وقبل ذلك لا بد من استعراض بعض نصوص الأناجيل التي يعتمد
عليها المسيحيون في إثبات عقيدة التثليث ومن ذلك :

ما جاء في انجيل متى :

(٢)
(فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعبدوه باسم الآب والابن والروح القدس)
- وما جاء في رسالة يوحنا

(ان الذين يشهدون في السما هم ثلاثة : الآب والكلمة والروح
القدس وهو لا الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض هم
ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد (٣) .

- وكذلك ما جاء في انجيل يوحنا :

(٤)
(في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله) .

١- لسيصى منصور ، وقد نقل الاستاذ عبد الكريم الخطيب تخريج هذه الصيغة في كتابه
٢- متى : ٢٨ : ١٩ المسيح في القرآن ... ص ٢٤٩ - ٢٥٣
٣- رسالة يوحنا (١) ٥ : ٧-٨
٤- انجيل يوحنا ١ : ١

ثانيا : مدلولات التثليث عند المسيحيين

حاول علماء المسيحية تفسير مدلولات العقيدة وما انطوت عليه من مفاهيم عن الأقانيم الواردة في نص دستور الايمان السابق ذكره ، وما تفتتت عنده عبارات الاناجيل من دعوى التثليث .

وسيسير البحث مع بعض الاصطلاحات للوقوف على مدلولاتها وما ترمى اليه ، وستوضح مدى وعمورة هذه التفاسير .

فلفظ الاب عندهم ترادف كلمة (الله) : (وهو الاله ، خالق جميع الكائنات والحاكم لجميع الموالم والواهب كل المواهب الحسنة ، والله روح غير محدود أزلي غير متغير في وجوده وحكمته وقدرته وقداسته ، وعدله وجودته وحقه)^(١) .

في هذا التفسير ولأول وهلة قد تظهر بعض دلائل التنزيه إلا أن ذلك لا يلبث أن يتلاشى أمام بقية المدلولات فيها هم يقولون (الله واحد ، وهو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر . . . الله الاب والله الابن والله الروح القدس ، فالاب هو الذي خلق العالمين بواسطة الابن . . . والابن هو الذي أتم الفداء وقام به ، والروح القدس هو الذي يظهر القلب والحياة غير أن الأقانيم الثلاثة يشتركون معا في الاعمال الالهية على السواء وتطلق الصفات الالهية على كل أقنوم من هذه الأقانيم)^(٢) .

ومعترف النصارى بأن عقيدة التثليث هذه لا تظهر واضحة فـ في العهد القديم (٣) .

- مفهوم (ابن الله) :

اطلق هذا اللقب على السيد (مز ٢: ٧) وهو (٤٩: ١) وهو يدل على العلاقة المكيمة (كما يدعون) بين الاب السطوى والابن الازلي ، وقد استعمل هذا اللقب في العهد الجديد ما يقرب من ٤٤ مرة عن يسوع المسيح ، والله الاب يحب ابنه (يوحنا ٣: ٣٥ و ١٧: ١٠) الاب هو الذي ارسل الابن ويعمل به (يوحنا ٣: ١٦ و ١٧ و ٤٢: ٨) و (غلا ٤: ٤) و (عب ١: ٢) ويقولون كذلك : والمسيح بما انه ابن الله (تعالى عما يقولون) فهو اله بكل الكلمات غير المحدودة والتي للجوهر الالهي والابن ساو لله في الطبيعية (يوه ١٧: ٢٥) ومن هذه الاعتبارات فالمسيح فريد في هذا وهو (ابن الله)^(٤) .

١ - قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اساتذة اللاهوت ص ١٠٧ - ١٠٨ ط ٢ ١٩٧١

٢ - المصدر السابق

٣ - المصدر السابق

٤ - المصدر السابق .

وقد فند الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار هذه الاقوال واثبت بالبراهين ان هذه المفاهيم د خلية على عقيدة المسيح عليه السلام راجع تفسير المنار ١٠ / ٣٩٢

يتضح ما تقدم صعوبة فهم تلك النصوص لما تنطوي عليه من خلط وتناقض يجبر العقل ، ويرفضها المنطق فضلا عن مخالفتها لواقع وحقيقة العقيدة الصحيحة التي جاء بها عيسى عليه السلام النايضة بالتوحيد الخالص .

ولتشابك وتتضاد عقيدة التثليث فقد حاول بعض العلماء حل الرموز التي تكتنفها والتي تستعصي على الفهم ومن ذلك قول أحد العلماء :
(بقي على المسيحيين أن يجدوا حلا للأمور الآتية :)

- ما الطريق للتوفيق بين التوراة التي تقول بالسوحدانية والتي يقدسها المسيحيون ، وبين التثليث الذي اعتنقه المسيحيون ؟

- كيف يتم فهم (وحدة في تثليث وتثليث في وحدة ؟)

- يقولون الابن مولود غير مخلوق والابن ليس احدث من الاب فما معنى هذا ؟ ... لقد حاولت جهدي ان اصل الى جواب لهذه الاسئلة عن طريق القراءة والمحادثة مع المسيحيين ولكني اقرر انني لم استطع فهم اجاباتهم بل صرح كثير منهم ان هذه المسائل مسائل اعتقاد لا فهم ، فاعتضت بانها مسائل اساسية وهيبي المدخل للدين فكيف لا يفهم ؟ ولكني لم اطلق جوابا على اعتراض (١) .

ولم يقتصر عدم فهم هذه العقيدة وصعوبة تصورها على علماء المسلمين بل ان علماء النصرانية انفسهم يقرون بهذه الحقيقة التي لا يمكن اخفاؤها .

فنرى صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة التثليث يقول :

(قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ونرجو أن نفهمه فهما أكثر

جلاء في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات والارض وما في في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية) اي ان عقيدة التثليث لا يمكن ان تتكشف للنفس على وجهها الا يوم تتجلى كل الاشياء لهم يوم القيامة وذلك حق فانهم لا يعلمون حقيقتها الا يوم يحاسبهم الله عليها (٢) .

ويقول القس الياس مقار تحت عنوان الايمان بالتالوث في الاله الواحد (.

(ان الله الواحد الشخص الروح ذوو ثلاثة اقانيم وواضح ان هذه العقيدة مسما تنفرد به المسيحية عن غيرها من الديانات والفلسفات القديمة والحديثة ان لا مرا ان صفحات التاريخ لم تسجل على وجه الاطلاق عقيدة اعتنقها دين او فكر كهذه التي

١ - المسيحية ، د . شلبي ص ١٣٤

٢ - محاضرات في النصرانية ، لابي زهرة ص ١٢٢

يو* من بها المسيحيون على اننا ونحن نتأمل هذه العقيدة بشي* من التفصيل والتوضيح لا مندوحة لنا من الاعتراف اننا اذا* سر من اعق اسرار الوجود والحياة واذا كان اوغسطينوس وكفن قد اعترفا بان اللغة اللاتينية على ما فيها من غنى وجمال عاجزة كل العجز عن التعبير عن كنهها وعمقها فاننا نقول ما هو اكثر ان نقول ان بيان البشر أو الملائكة أعجز من أن يسبر غورها الا اذا امكنه ان يبلغ المستحيل (١).

وهكذا فبلغة المستحيل يريد النصارى اقناع الناس بهذه العقيدة الاسطورية ، ولا عجب بعد ذلك ان يردد المسيحيون قول اوغسطين احد كبار ابا* الكنيسة لصديقه (لا تحاول ان تفهم لكي تؤمن بل آمن لكي تفهم) (٢).

الرد على عقيدة التثليث :

هناك أدلة كثيرة تقوض عقيدة التثليث وتثبت بطلانها ، وقد يعجب المرء كيف فات المسيحيين تلك الأدلة خاصة ما كان منها يتعلق بنصوص أناجيلهم وسوف يتعرض البحث للأدلة النقلية الخاصة بنفي هذه العقيدة ثم يتناول الأدلة العقلية .

الأدلة العقلية :

أولا : ما جاء في انجيل يوحنا قوله (وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) (٣) وهذا اعلان صريح دال على وحدانية الله الحق ، ونص على أن عيسى عليه السلام مرسل من عند الله .

ثانيا : ما جاء في انجيل مرقس : (فجاء واحد من الكتب وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله: أية وصية هي أول الكل ؟ فأجابه : يسوع : إن أول كل الوصايا هي : اسعيا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الاولى) (٤).

وهذا نص آخر أوضح في الدلالة على التوحيد ونفي الشرك بالله تعالى وهو لا يناهى ما جاء به موسى عليه السلام وبقية الانبياء ، ولكن النصوص الوثنية هي التي أعمت أبصار القوم فاضلتهم سوا* السبيل .

١ - اقانيم النصارى ، د . احمد حجازى السقا ص ٧٦-٧٧

٢ - قصة الحضارة ٤ / ١ : ١٤٢

٣ - يوحنا ١٧ : ٣

٤ - مرقس ١٢ : ٢٨

ثالثا : ما يؤيد بشرية عيسى عليه السلام ما جاء في رسائل اعمال الرسل : (ايها الرجال الاسرائيليون ، اسمعوا هذه الاقوال ، يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم ايضا تعلمون) (١).

رابعاً : وما يدل على بشرية ايضاً ما جاء في انجيل مرقس : (وما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السما ولا الابن الا الاب) (٢).

ومعنى ذلك ان علم الغيب منفي عن عيسى فكيف يدعى النصارى الوهيته وهو فاقد لصفة من أخص صفات الالهية ؟ اما صفة الأب والابن فسيأتي الحديث عنها اثنا الكلام عن الملابس التي وقع النصارى فيها . ان شاء الله تعالى .

هذه بعض الادلة النقلية من أناجيل النصارى التي تثبت القول بالتوحيد ، وتنطبق ببشرية عيسى وتنفي عنه صفة الالهية .

وقد خاطب القرآن الكريم أهل الكتاب ودعا هم الى تصحيح العقيدة فمن ذلك قول الحق تبارك وتعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّا السَّيِّحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَيْتَهُ الْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) (٣).

واذاً مكابرة أهل الكتاب واصرارهم على عنادهم حكم الله بكفرهم ، قال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (٤).

١ - اعمال الرسل ٢ : ٢٢

٢ - مرقس : ١٣ : ٣٢

٣ - النساء : ١٧١

٤ - المائدة : ٧٢

وقوله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (١)

وهكذا كان موقف عيسى عليه السلام الذي امر قومه بعبادة الله تبارك وتعالى وحده ، قال تعالى (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ : سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أُطَمُّ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أُمَرْتُ بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (٢)

الى غير ذلك من الايات البيّنات التي نصت على بشرية عيسى عليه السلام ورسالته ، وسيأتي بعضها ان شاء الله فيط بعد .

الادلة العقلية :

غني عن القول ان نخبة من عظماء المسلمين قديما وحديثا جادلست اهل الكتاب والتي هي أحسن اتباعا لقوله تعالى (وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهُنَا وَالْهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ سَلِيمُونَ) (٣)

وقد رد العلماء اقوال النصارى وما آمنوا به من عقيدة التثليث ، فقد جاء في معرض رد الامام ابن تيمية على دستور الايمان قوله : (وهذا تصريح بالهين ، احدهما من الآخر ، وعظم الله القائم به او كلامه او حكمته القائمة به الذي سميتوه ابنا ، ولم يسم احد من الرسل صفة الله ابنا فليس هو اله حق من اله حق ، بل اله واحد ، وهذه صفة الاله ، وصفة الاله ليست باله كما ان قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليست بآلهة ولأن الاله واحد وصفاته متعددة والاله ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها ، والصفة قائمة بالموصوف ، ولأنكـــــــم سميت الاله جوهرًا وقلتم : هو القائم بنفسه ، والصفة ليست جوهرًا قائمًا بنفسه ، وهم في هذه الامانة (اي دستور الايمان) قد جعلوا الله والدا وهو الاب ، ومولودا وهو الابن ، وجعلوه مساويا في الجوهر ، وقد نزه الله نفسه عن الانواع الثلاثة .

(و) قالوا : مولود غير مخلوق مساو لاب في الجوهر ، فصرحوا بانبيه مساو له في الجوهر والمساوى ليس هو المساوى ولا يساوى الاب في الجوهر الا الجوهر فوجب أن يكون الابن جوهرًا ثانيًا والروح القدس جوهرًا ثالثًا . . . وهذا تصريح باثبات

ثلاثة جواهر ، وثلاثة الهة ، ويقطون مع ذلك : انما نشبت جوهرًا واحدًا والها واحدًا وهذا جمع بين النقيضين ، فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الالهة واحدًا واثبات ثلاثة جواهر ، وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)^(١) الا خلاص .

وقد ساق العلما كثيرا من الادلة العقلية في الرد على هذه العقيدة . كما طالع العلامة الشيخ رحمة الله الهندي هذه المسألة وبين عور سلك النصارى فيها وما اورد في الرد على دعوى الاقانيم قوله : (لو وجد في ذات الله ثلاثة اقانيم مستترة بامتياز حقيقي كما قالوا - فمع قطع النظر عن تعدد الوجبات - يلزم ان لا يكون الله حقيقة محصلة ، بل مركبا اعتبارا ، فان التركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقار بين الأجزاء ففسان الحجر الموضوع بجانب الانسان لا يحصل منه أحدية . ولا افتقار بين الواجبات لانه من خواص الممكنات .

فالواجب يفتقر الى الغير ، وكل جزء منفصل عن الآخر وغيره وان كان داخلا في المجموع فاذا لم تفتقر بعض الأجزاء الى بعض آخر تتألف فيها الذات الاحدية على انه يكون الله في الصورة المذكورة مركبا ، وكل مركب مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره ممكن لذاته يلزم ان يكون الله (تعالى) ممكنا لذاته وهو باطل .

واذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الاقانيم فالأمر الذي حصل به هذا الامتياز ان يكون من صفات الكمال أولا يكون . فعلى الشق الاول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه الاقانيم متصف بجميع صفات الكمال وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه .

(و) لو كانت الاقانيم الثلاثة متتازة بامتياز حقيقي وجب ان يكون

المتميز غير الوجوب الذاتي ، لانه مشترك بينهم وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيكون كل واحد منهم مركبا من جزأين وكل مركب ممكن لذاته ، فيلزم ان يكون كل واحد منهم ممكنا لذاته)^(٣) .

- ١ - : الجواب الصحيح لم يدل دين المسيح ، للإمام ابن تيمية ١١٧/٢-١١٨ ويراجع في هذا الصدد : رد افتراءات المشركين على آيات القرآن الكريم د . محمد جمعة عبد الله ص ٣٧ ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٢ - راجع في هذا الصدد : الاجوبة الفاخرة للقرافي ص ١١١ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - وكذلك : الاعلام على دين النصارى من الفساد والاهام ، للقرطبي ص ٧١-٧٨ ، ت : د . احمد حجازي السقا ، دار التراث العربي ص ١٩٨ . وكذلك : " مقام الصليبان " للخزرجي ، ت : عبد المجيد الشرفي ، ص ٨٤-٨٧ ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، ١٩٧٥ وكذلك : تحفة الارب في الرد على اهل الصليب ، عبد الله الترجمان السورقي ، ت : عمر وفيق الداهوق رسالة ماجستير ص ١٥٥ ، مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ وكذلك النصيحة الابطانية في فضيحة الطة النصرانية لابي نصر يحيى بن عيسى المتطبيب المهدي ، ت : محمود قدح ، ص ١٣٥-١٤٩ ، رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- ٣ - : اظهار الحق ، للشيخ رحمة الله الهندي ص ٣٣٨ ت : عمر الدسوقي ، دار احيا التراث الاسلامي ، الدوحة ، قطر ١٩٨٣

والقول بالتثليث ، يوقع النصارى في التناقض ، لانهم يجمعون بين النقيضين ولا يفرقون بين الوحدة الحقيقية والوحدة الاعتبارية .

فلو ان (النصارى) قالوا : ان الههم واحد اعتبارى وهو ثلاثة لسا كان هناك نزاع في هذا المفهوم ويتوجه طيبهم ما يتوجه به على المشركين من الاستدلالات الاخرى . لكنهم يصرون على القول بالوحدة الحقيقية مع التثليث ، واصرارهم هذا نابع من انهم يدركون تماما ان القول بالوحدة الاعتبارية يعني مفهوما شركا والوثنية وهم ينفرون من هذا المفهوم أشد النفور ، ويتسكون بالتوحيد الحقيقي مع التثليث وهذا جمع للنقيضين ، وهو مرفوض عند الناس جميعا باى المقاييس وتحت اى ظرف من الظروف .

والنصارى يشعرون في عقولهم بهذا الحرج المنطقي الشديد ويحيلون المشكلة برمتها الى الايمان والوجدان ، ويرغم الايمان والوجدان والعاطفة والشعور ظلت القضية بدون حل (١) .

ثالثا :

=== السلايسات التي وقع فيها النصارى
حول مدلول الابوة والبنوة

وقع النصارى في ملايسات حول ما يدعونه من ابوة الله (تعالى عما يصفون) وبنوه المسيح عليه السلام ، وهي في حقيقتها متعددة . منها ما هو مفتعل من قبل اعداء الله تعالى كاليهود الذين دخلوا في المسيحية لافسادها كبولس وغيره او الوثنيين اليونانيين كفلوطيين وفلسفته الوثنية ومنها ما هو لغوى يتعلق بالالفاظ والكلمات المترجمة من لغة الى اخرى .

فمن حيث اللفظ : (فان الابن في اللغة العبرانية التي هي لغة المسيح تقع على العبد الصالح المطيع الولي المخلص وان الاب قد تقع على السيد المالك المدير . قالوا : وقد قال في التوراه ان اسرائيل ابني ويكرى واولاده ابناي وعلى دعوى النصارى تجب لهم الالهية وقد قال اشعيا النبي عليه السلام في كتابه ان الله ابو جميع العالم وانتم معشر النصارى تذكرون ان متى حكى في انجيله عن المسيح انه قال : طوبى لكم معشر المصلحين بين الناس فانكم تسمون ابنا الله وقال متى في انجيله ان المسيح قال للناس : ان اباكم السماوى واحد فرد وقالوا ان المسيح كان يقول في صلاته التي كان يصليها ويعلمها الناس : قولوا يا ابانا الذى في السموات انت قد وس اسمك عزيز سلطانك نافذ امرك في السموات والارض لا يعجزك ما طلبت ولا يستع

١ - : الاسفار المقدسة قبل الاسلام . ص ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧

ط الاولى عالم الكتب ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م وهناك ادلة كثيرة حاول استقصاها الاخ سعيده عقيل سراج في : " رسائل الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية ص ٥٥٤ وما بعدها ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ .

منك ما أردت فاغفر لنا ذنوبنا وخطايانا ولا تعذبنا بالنار (١).
 فينبغي على قول النصارى أن تكون هو "الالهة" كلها وأنها لتعلم أن اسم
 الأب يقع في تلك اللغة على السيد والمالك (٢). ولو صح ادعاهم لجازان يكون
 ابايعقوب ولبازان يكون جدا ليوسف . . . ولبازان يكون عا (٣) تعالى الله
 عما يقولون .

ولقد دار حوار بين الشيخ العلمي مع أحد القسس وذلك خلال مناظرات
 الشيخ مع النصارى ، وقد نوه بأن هذا اللفظ له عدة استعمالات فهو يطلق على الوزير
 الأعظم وعلى الرئيس الديني كما يطلق على "الله" أنه أب لكل إسرائيل وأب لسداود
 وسليمان والمسيحيين المؤمنين وأب للبهائم وأب لكل عبد بار يفعل مشيئة الله وقد استدل
 الشيخ على كل لقب وقد لولاه من هذه الاسماء بفقرات من فقرات العهد القديم وذلك
 بما يثبت بطلان ادعاء النصارى في هذه المسألة (٤).

كما توسع الشيخ رحمة الله الهندي في إعطاء المفهوم الحقيقي والمجازي
 لكلمة الأب وأوضح بأنه (لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعناه الحقيقي . لان
 معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العلم من تولد من نطفة الأبوين وهذا محال هنا
 فلا بد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح . وقد علم من الانجيل
 أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح) (٥).

كما أورد الشيخ نصوصا جديدة يتضح من خلالها أن كلمة الابن
 أطلقت على المسيح وأطلقت أيضا على غيره ، ومن ذلك ما جاء في انجيل متى (واما انا
 فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم أحسنوا الى مبغضكم وصلوا لاجل الذين
 يسبونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات) (٦).

ومن ناحية أخرى فإن الإسلام يرفض أي ادعاء للنصارى ببثوة المسيح
 على وجه النسبة واللاحاق فقد قال تعالى (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل لسه
 ما في السموات والأرض كل له قانتون) (٧).

وقوله تعالى (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
 فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٨).

- ١ - النص في : انجيل متى الاصحاح السادس الفقرات ٤٩ مع اختلاف طفيف لا اختلاف
 ترجمة الكتاب من زمن لآخر . ٢ - تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار ١/ ١٢٠
- ٣ - المختار في الرد على النصارى ، للمجاهد . ت : محمد عبد الله الشرقاوي
 ص ١٠٣ ، دار الصحوة القاهرة ط ١ ، ١٤٠٥ - ١٩٨٤
- ٤ - انظر : سلاسل المناظرات الاسلامية بين شيخ وقسيس ، عبد الله العلمي ص ١١١
 ط ١ ، ١٣٩٠ هـ . وانظر ما قدمه شارل جنيبير من أدلة قوية حول نفس الموضوع في كتابه
 المسيحية ، نشأتها وتطورها ص ١٠٦ . وراجع : رسائل اعطال الرسل واثرها في انحراف السيد
 ص ١٢٢
- ٥ - اظهر الحق ص ٣٥١ - وراجع حول ذلك : مرقس ٢٣ : ٤٧ ويوحنا ٨ : ٤١
 وقارن مع ما جاء في هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ٦٢٥
- ٦ - متى : ٥ : ٤٤ - ٤٥ ٧ - البقرة : ١١٦
- ٨ - مريم : ٣٥ ، وراجع تعليقات الشيخ عبد العزيز آل معمر في : ضعة القريب المجيب
 في الرد على عباد الصليب ، ص ١٤٥ ، دار ثقيف للنشر ، الطائف ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م

وقد اعترض الترجطان على النصارى في ادعائهم بالوهمية المسيح عليه السلام وفند آراءهم وفق خمسة أوجه من بينها قوله :

(الوجه الخامس : ان تكونوا جعلتموه الها لعجب مولده في كونه من غير أب فان قلتم لعجب مولده وكونه من غير أب ، فليس ذلك باعجب من كون آدم خلق من غير أب ولا أم ، ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد ولا والدة ولا طينة ولا مادة ولا يسمى شي من الملائكة وآدم الهة وأنتم تمنعون ذلك (٢) .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في قوله تعالى :
(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاتَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِصَابَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) (٣)

وقد جاءت هذه الآية ردا على نصارى نجران وعرفت بآية السباهلة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منهم السباهلة فابوا لط عرفوا من صدقه فيط يقول فخافوا وتراجعوا (٤) .

١ - هو عهد الله الترجطان (٨٣٢ هـ -) كان قسيسا نصرانيا يدعى (انسلم ترميدا) وقد هداه الله تعالى الى الاسلام فنبذ المسيحية والتحق ببلاد المسلمين وعاش بينهم وكان يعمل ترجمانا للاميرين ابي العباس وابنه احمد الحفصيين بتونس وقد ترقى الى درجات عليا في الجيش الاسلامي وجاهد ضد الافرنج وقد ألف كتابه باسم (تحفة الاريب في الرد على أهل الصليب) وذلك لط رأى من زيف الاعتقاد وقلة الهداية والرشاد عند المسيحيين .

٢ - تحفة الاريب في الرد على أهل الصليب ، ص ١٦٨ - ١٦٩

٣ - ال عمران : ٥٩ - ٦١

٤ - ذكر الواحدى من حديث طويل قصة وفد نصارى نجران الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سببا في نزول آية السباهلة (اى الملاعنة) ومن ذلك ما جاء فيه (فكلّم) رسول الله صلى الله عليه وسلم السيد والعاقب وهبط من كبار القوم فقال : أسلمنا فقالا : قد أسلمنا قبلك ، قال : كذبتا منعكما من الاسلام وداوكم الله وليد ا وعباد تكلم الصليب واكلكم الخنزير ، قال : إلم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه ؟ وخاصموه جميعا في عيسى ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : أستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه ؟ قالوا : بلى ، قال : أستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت ، وأن عيسى اتى عليه الفناء ؟ قالوا : بلى . قال : أستم تعلمون أن ربنا قيم على كل

شيء* يحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى قال : فهل يطك عيسى من ذلك شيئا ؟ قالوا : لا قال : فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء* ، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا : بلى ، قال : أستم تعلمون أن عيسى حبلته امه كما تحمل المرأة ثم وضعت له كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذى كما يغذى الصبي ، ثم كان يطعم ويشرب ويحسد ؟ قالوا : بلى ، قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ فسكتوا ، فانزل الله عز وجل فيهم صدر سورة عمران الى بضعة وثمانين آية منها (!)

: كتاب اسباب النزول للواحدى ص ٥٣ ط ٢ مصطفى البابي الحلبي
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م مصطفى . بمصر .

وقد روى البخارى حديث وفد نجران عن صلة بن زفر عن حذيفة قال :
جاء العاقب والسيد صاحب نجران السى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان
ان يلاعنا (اى للمباهلة) فقال : احدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن
كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا . قال : انا نعطيك ما سألتنا وابعد
معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا فقال : لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين
فاستشرف له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح
فلما قام قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أمين هذه الامة .
صحيح الامام البخارى كتاب المغازى ١٢٠ / ٥ ، المكتب الاسلامي
استانبول تركيا ط ١٩٧٩ .

وراجع في قصة الملاعنة : امّاع الاسماع لتقي الدين المقرئى

١ / ٥٠٢ ت : محمود محمد شاكر ، الشؤون الدينية بدولة قطر ط ٢

وقد توسع الدكتور سيد أحمد السير في كتابه إلزام القرآن للماديين
والطلين في هذا الصدد انظر ص ١٠٤ منه وطبعها ط ١٣٩٩ هـ دار الطباعة
المحمدية ، مصر .

وراجع : تفسير ابن كثير في الملاعنة (١ : ٣٦٧ وفتح القدير ١ / ٣٤٦

الفصل الثاني :

العوامل المؤثرة في انحراف العقائد النصرانية

=====

هذه هي عقيدة التثليث التي يستند اليها المسيحيون فسي بنا* اصولهم ، والتي تفرع عنها كثير من العقائد الاخرى كعقيدة الصلب والفداء* والحلول والاتحاد ، وغيرها .

وهي العقائد التي تبني الرهبانية عليها اساسها وتقيم عليها صرحها . وقبلولوج الى هذه الاسس لا بد من التعرف على التطورات التي مرت بها العقيدة المسيحية والعوامل التي أثرت في انحرافها ، ففي ذلك إيضاح وبيان لسائر التاريخ الديني المسيحي وما أنطوى عليه من تقلبات ، وما أدخل عليه من تعديلات كانت كقيلة بانحرافه عن الصراط السوي .

فالناظر في التاريخ الديني للكنيسة لن يستغرب مطلقاً تلك الكيفية التي توصل المسيحيون اليها لإقرار عقيدة التثليث . والدخول في تفاصيل هذا التاريخ ليس بالأمر الهين ، ولهذا فان ما يهم البحث منه هو تلك المراحل التي أدت الى تطور المفاهيم والاسس العقدية . وللوصول الى هذه النقطة يجب التعرف على النقاط التالية :

اولا :

العوامل الداخلية التي أسهمت في اختلاف آراء المسيحيين حول طبيعة السيد المسيح ورسالته .

ثانيا :

العوامل الخارجية التي كان لها الأثر الأكبر في انحراف العقيدة عن سارها الصحيح .

ثالثا :

الجهة المستفيدة من هذا التطور ، ونوعية هذه الافادة .

وهذا ما سيتم توضيحه في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى :

أولاً : العواطف الداخلية التي أسهمت في اختلاف آراء المسيحيين حول طبيعة المسيح ورسالته :

لا شك ان شخصية عيسى عليه السلام كانت مثار جدل ونقاش طويلين ابان الحقبة المسيحية الاولى ، و ذلك قبل الرفع وعقبه .

فقبل رفعه عليه السلام بدأ الجدل يرتفع اثر مولده من غير اب ، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى (إِنَّا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَاهِصَا إِلَى مَرْيَمَ) (١) وقوله (إِنَّ مِثْلَ عِيسَى هُنْدُ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (٢) لقد أرسله الله تعالى الى بني اسرائيل لتقويم اعوجاجهم وتعديل انحرافهم عن جادة الحق وهدايتهم الى سبيل الرشاد ، فقوبل بالرفض والتشهير والتشنيع كما اظهر القوم حقدا دفيناً في نفوسهم وتحجراً في قلوبهم وقسوة في طباعهم وميلاً الى الهوى وحبا للشبهوات . وقد فضح الحق تبارك وتعالى تلك النزعة حيث قال (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذِبْتُمْ وَفَرِقًا تَقْتُلُونَ) (٣)

وقد أعقب هذا الرفض تأييد من الله تعالى لرسوله بالمعجزات قال تعالى : (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَطَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ طَمَّنَّاكِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَهْرِيءُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) (٤)

وقد جاءت هذه المعجزات تدعيم لموقف الرسالة وانذاراً للمعاندين ، وازاء ذلك فقد قوبلت بالذهول بعد أن بهرت العيون ، فمنهم من آمن به وصدق به وانتسب الى حواريه . قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تَطَافُةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَكَفَرَتْ طَافِةٌ فَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدْوِهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) .

ومن كفر منهم فقد كان رافضاً للدعوة ، ومن . . . نـهـل فـقـد آـمن بالمخلوق ونسـي الخالق ، وألحق هذه المعجزات بمن جرت على يديه فخدعه بصره وخذله عقله فسقط في مخالب العقائد الوثنية وجرفه التيار ، وما كان شائعا في تلك الاوساط من أساطير وخرافات أساسها الخيال والوهم وما انتجته قرائح الكهنة .

ومنذ ذلك الوقت بدأت الاختلافات حول طبيعة المسيح عليه السلام تأخذ نظرات التقديس تسرى بين المخدوعين فادعوا أنه هو الاله وادعى آخرون أنه ابن الله تعالى مما يقولون علوا كبيرا . . .

وقد رد الله مقالة الذين أشركوا ، حيث يقول سبحانه (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) .

وقال تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَذَلِكَ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أُنَّى يُؤَفَّكُونَ) (٢) .

فبين الحق تعالى أن هذه المقولة مأخوذة عما سبقهم مضاهاة ومحاكاة للشرك القديم .

وعند ما تفاقم حقد اليهود عليه قاموا بتضييق الخناق ووضع العراقيل في طريق الدعوة وحبسوا مؤامرات لقتله إلا أن الله تبارك وتعالى نجاه من كيدهم برفعه، وفوت عليهم فرصة تنفيذ مآربهم الدنيئة قال تعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَمِيتَ كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (٣) .

كانت دعواته عليه السلام واضحة غاية الوضوح ليس فيها شرك الوثنيين ولا تعقيدات الفلاسفة وخیالهم ولا أهـام الكهنة وترهاتهم ، كانت تدعو إلى التوحيد الخالص (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ شَهِدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (٤) .

١ - الطائفة : ١٧

٢ - التوبة : ٣٠

٣ - آل عمران : ٥٥

٤ - مريم : ٣٤ - ٣٧

هذا التنزيه عن اتخاذ الولد او الشريك وذلك التوحيد كانا لبَّ دعوات الرسل عليهم السلام، فكانت دعوتهم حلقة ضمن هذه السلسلة المباركة قال تعالى (قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَكُمْ سَلِيمُونَ) (١)

وجاءت مسألة الرفع لتزيد من حيرة عقول الفاضلين المفتونين بالبدع ففسرت الأحداث وفق ما أطلته عليها الالهواء والنزعات وما أشربت من عقائد وثنية .
لقد جاءت عملية الرفع ردا على كيد اليهود لأنهم عزموا على تسليمه للحاكم الروماني وقد هيثوا النفوس وأغروا القوم بتنفيذ العقاب فيه ، ولما نجاه الله تعالى من أيديهم وألقى الشبه على "غير المسيح" لم يتحقق المفتونون من شخصية المصلوب وقد فند الله تعالى مزاعم القائلين بصلبه قال تعالى (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (٢)

هو* الذين اختلفوا في طبيعته أصبحت الشكوك تنهب افكارهم ان ما لبثوا ان وقعوا في شرك لم ينجوا منه لانهم ألقوا بأنفسهم في أحضان الشيطان فزعموا أن المسيح صلب وقد تحمل اليهود هذه الغريبة عبر التاريخ مع أن صليب المسيح لم يتم ولم يقع إطلاقا وقد بان حقد هم الدفين على أنبياء* الله حينما اصبروا على تحمل هذا الإثم هم وأولادهم من بعدهم، تقول أناجيل النصارى (قال لهم بيلاطس فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب ، فقال الوالي : وأي شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب ، فلما رأى بيلاطس انه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب ، أخذ ما* ، وغسل يديه قدام الجميع قائلا : إني بري* من دم هذا البار ، ابصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا) (٣)

١ - البقرة : ١٣٦

٢ - النساء* : ١٥٧-١٥٨

٣ - انجيل متى ٢٧ : ٢٢-٢٥

ومع ان نصوص الاناجيل تدّين هو* اليهود وتظهر سوء وليتهم عبر التاريخ إلا أن المصفوط اليهودية على الكنيسة في العصر الحديث قد أسفرت عن تبرئة اليهود من هذه الجريمة : راجع كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٢٦٥ د . مصطفى خالدى وعرف فوخ حول وثيقة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح .

ومن ذلك الحين أخذت الغربة تكبر حين زعم المختفون انه دفن وقام من قبره في اليوم الثالث (١) .

هذا ما كان من أمر القوم قبل الرفع وما أعقبه مباشرة أما التطورات

التي طرأت على عقيدة التثليث فستظهر من خلال الفترة التي ظهرت فيها الاصطلاحات الجديدة وأدخلت في المبادئ النصرانية .

وقد مر في السابق الحديث عن الحالة الدينية في العصور اليونانية والرومانية وما شهدته المنطقة من عقائد وثنية مختلفة (٢) .

كما تم استعراض واقع المجتمع الديني اليهودي قبل مبعث عيسى عليه السلام ، والانحراف العقدي لديهم والانشقاقات في الفرق والمذاهب اليهودية .

وتبين ان رسالة عيسى عليه السلام كانت ضرورية لمعالجة الفوضى الدينية التي كانت سائدة آنذاك والتي استشرى لسيبها الى حد بعيد .

ولا تمام هذه الصورة لابد من استعراض المراحل الأولى التي سبقت القول بالتثليث ، إذ أن هذه العقيدة لم تكن لتظهر على أرض الواقع لولا المقدسات واللبينات التي وضع بذورها آباء الفلسفة اليونانية الاوائل .

- تذهب بعض المراجع الى أن القول " باللوغوس " هو المصدر الاساسي للاعتقاد بسبداً التثليث وقد ابتدع المصريون القدماء هذه الفكرة أول الأمر " قال بوتيوك (وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين الوثنيين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة وان كل شيء صار بواسطتها وانها منبثقة من الله وانها الله) (٣) .

ثم انتقلت هذه البدعة الى اليونان عقب التقائهم بالحضارة المصرية فقال بها أولاً: هيراقليط ثم أخذها الرواقيون (٤) ، (٥) كما (استعان الرواقيون بكلمة هيراقليط وهي (لوغوس) ومعناها اللفظي: كلمة. والمعنوي : العقل المنتشر في الكون) (٦)

١ - راجع في ذلك متى : ٢٧ : ٦٢-٧٠ واعطال الرسل ١ : ٤

٢ - (انظر ص (٢٢٥) من هذا البحث

٣ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التتير ص ٢٧ ط ١٣٣٠ بيروت

٤ - فيلسوف يوناني ولد في افسوس بآسيا الصغرى نبغ حوالي سنة ٥٠٠ ق.م ويلقب بالفيلسوف الباكي لانه كان يبكيه ما يراه من شقاء الناس على العكس من ديمقريطس ويرى النار أساس عنصر الموجودات (انظر : مبادئ الفلسفة أ. س. رابويرت ص ٢٢٧

٥ - الرواقيون (او اصحاب الرواق : احدى الفلسفات التي شاعت في الفترة الهلينية الرومانية ، أسسها زينون الكيتوي في نهاية القرن الرابع ق م ، وتستمد اسمها من السرواق وهو يهونو اعمده ، حيث كان يعلم في أثينا) انظر هامش ص ٢٩ من كتاب الوجود الالهى لسانت لانا .

٦ - مائسدة افلاطون ، محمد لطفي جمعة ص ١١٨ مكتبة التاليف شارع عبد العزيز بمصر

ولهذا فقد رأى بعض المسيحيين أن ط قاله (هو أقرب ط يكون السي
عقيدة الكلمة أو المسيح ، فيقولون : أن هيروقليط كان مسيحيا قبل المسيح) (١)
ثم تلفظ هذه المقولة (بلاتو وأرسطو) (٢) وأفلاطون الذي أطلق عليه لقب " أبى البدع "
في الوقت الذي قال فيه بعضهم أنه خير مذهب للمسيحية) (٣) . إذ قال :
(أن الله أزلي أبدى وهو منزّه عن الحركة تنزيها مطلقا وكان معه فسي
الازل كائن يدعى الديمورج هو صورة الخير أو الله والنموذج الحي لذاته والحاوي
لجميع المثل) (٤) .

كانت هذه المقولات مقدمة ضرورية لبعض فلاسفة اليهود كفيلون الذي
استخدم أدوات الفلسفة لتأويل نصوص العهد القديم لما احتوته من تناقضات لا تتفق
مع القوانين والنظريات العلمية فضلا عن الخرافات والاساطير وقد (انتقل التأويل
الرمزى إلى اليهودية على يد فيلون اليهودي الذي مزج فلسفته بعقائد عصره
وبكل منبت ولاسيما منبت الاغريقية الاسكندرانية) (٥) . وهو يعتبر من أكبر ممثلي النزعة
إلى التأويل في العصر القديم وإن كان قد سبقه في اليهودية كثيرون أولوا الكتب
المقدسة في العهد القديم تأويلا رمزيا وهو نفسه يشير إليها وهو "اليهود السابقون
قد فسروا (ابراهيم - ابراهيم) بأنه النور (العقل) وزوجته سارة بأنها الفضيلة . . .
والفصح بأنه ما تطهير الروح أو خلق العالم لكن فيلون ذرف عليهم بأن جعل
من التأويل مذهباً قائماً برأسه ومضجاً في الفهم .

وقد دفعه إلى اتخاذ هذا المذهب الحطة التي قام بها المفكرون
اليونانيون على ط في التوراة (العهد القديم) من قصص وأساطير ساذجة أو غير
معقولة مثل (برج بابل ، والحية التي اغرت حواء في الجنة
فاضطر فيلون إلى الدفاع عن التوراة بتأويل هذه المواضيع الاسطورية وغير المعقولة
الواردة في التوراة تأويلا بالباطن ورأى أن التأويل بالباطن هو روح النص المقدس وإن
التفسير بالمعنى الحرفي هو مجرد جسم هذا النص المقدس . . . (وأنه) سيؤدي
إلى الكفر والاحالة) (٦)

ومن فيلون انتقلت طريقة التأويل الرمزى إلى المسيحية فقد

أضاف فيلون إلى فلسفة أفلاطون الكثير من المفاهيم الخاصة عند ط جعل

- ١٠ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ١٩
- ٢ - راجع في هذا الصدد : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٧
- ٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية ٢٥٨
- ٤ - المسيح في القرآن والتوراة والانجيل عبد الكريم الخطيب ص ٣٢٠
- ٥ - : حياة المسيح ، للعقاد ، ٢٧٥/١١
- ٦ - مذاهب الاسلايين ، د . عبد الرحمن بدوي ، ١١/٢ - ١٣ ، دار العلم للملايين ط ١
١٩٧٣ ، بيروت .

(المخلوقات التي هي أدنى من الإنسان مصنوعات لله لأنها ليست بذات أخلاق ، والشر هو الشر الخلقى ، ومن الوجهة الروحية طيبة الله مباشرة وغير مباشرة بين الإنسان العاجز والله العلي لا بد من وسطاء ، فإن النفس لا تستطيع الوصول الى الله دفعة واحدة ، فتتدرج في صعودها إليه ، دعا فلا سعة اليونان هؤلاء الوسطاء الهة وأبطالاً ودعاهم موسى ملائكة اي رسلاً فكان أكثر توفيقاً إذ انهىهم^(١) يبلغون أوامر الله الى ابنائه (حسب زعمهم) ويحطون صلوات الانبياء الى الله) . وهنا نلاحظ كيف بدأ فيلون يحور مبادئ الفلسفة ليخدم النص التوراتي

ولم يكتف بذلك بل تعدى الامر الى تصنيف هؤلاء الوسطاء الى طبقات :

الوسط الاول : هو " اللوغوس " او الكلمة او ابن الله نموذج العالم

وله الحكمة ، فرجل الله ، أو آدم الاول ، فالملائكة ، فنفس الله وأخيراً القرات وهي كثيرة من : ملائكة وجن نارية أو هوائية تنفذ الأوامر الالهية على ان هناك نصوصاً تشعر بان الوسطاء ماهم الا وجهات مختلفة للعلية الالهية وانما يتمايزون في الذهن فقط ويرمزون الى آثار الله أو حالات النفس)^(٢) ثم يقدم فيلون للسيحيين مادة أخرى لاستعمالها في ترويج عقائدهم

فهو يرى (أن غاية النفس . . . الوصول الى الله والاتحاد به ومعرفتنا لله اربع درجات : معرفة ناقصة جداً تكتسب بالنظر في مصنوعات الله وعند هذه الدرجة يقف الأكثرون . ومعرفة ترقى سلم الوسطاء ، وثالثة تدرك اللوغوس الوسيط الأعظم ورابعة تدرك الله ذاته وهي خاصة بأهل الكمال مثل موسى وانما تسرع النفس في صعود سلم الوسطاء حالما تتطهر بالزهد وعلى الأخص بالعبادة الباطنية ويبدأ التطهير والصعود حين يعلم الانسان بطلان المحسوسات وزوالها)^(٣) .

ويرى العقاد أن فيلون (قد أخذ تفسير الرموز الدينية من العبادات السرية كعبادة ايزيس وعبادة قأوز وريس سراپيس التي تأسست بالاسكندرية وتفرعت فسي اثينا وبومبي ورومة وبعض الموانئ الاسيوية ثم طبق هذا التفسير على رموز التوراة)^(٤) .

وبهذا تكون العناصر المبدئية المكونة للفلسفة المسيحية آخذة فسي الظهور لتبدأ مرحلة أخرى هي مرحلة التلقي عمن فيلون ومن ثم مرحلة الالتزام بما قاله وتطوير آرائه وفلسفته .

اذ كان لفيلون (أثر قوى في القرون الاولى للميلاد فقد استخدم نفر

من المفكرين المسيحيين كتبه للوقوف على الفلسفة اليونانية وحاكى بعضهم منهجه في شرح الكتب المقدسة وظنه بعض مؤرخيهم مسيحياً وفي العصر الوسيط دخلت قطع عديدة منه المنتخبات التي كانت شائعة)^(٥) .

١ - مذاهب الاسلاميين ١١/٢ - ١٣

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٠

٣ - المرجع السابق ص ٢٥١ - ٢٥٢

٤ - حياة المسيح للعقاد ص ٢٧٥/٥١١ - ٥ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥١

ثم تمثلت مرحلة التلقي عن فيلون بظهور اخطر شخصية في تاريخ المسيحية الديني ، هذه الشخصية أسهمت في تأسيس مدرسة كالملة نقلت آراء الفلسفة اليونانية ود مجتها في التعاليم الوثنية القديمة فجاء نتاجها مزيجا غريبا ينسطوي على آراء تاليفية جمعت أشتات متناقضة وآراء متباينة .

لقد حظي بهذه الشخصية "بولس اليهودي" الذي انتسب زورا الى حواربيي المسيح ، وهو أول من قام بأخذ التأويل الرمزي عن فيلون وأضاف اليه البسود الوثنية التي عاش في كنفها وارتوى من معينها ، وبذلك أرسى بولس قواعد المسيحية الجديدة على مبادئ مخالفة تماما لما جاء به رسالة عيسى عليه السلام .

لقد اعتبر كثير من العلماء "بولس" المؤسس الحقيقي للمسيحية المتعارف عليها حتى يومنا الحاضر .

ولن يتعرض البحث للحياة بولس التفصيلية ولا للاحداث التي كتب عنها الكثير فهذا شأن المؤرخين ، الا أن ما يهم البحث هنا هو التعرف على أخطر البدع التي أحدثها بولس والتي فحيت الكثير من معالم الرسالة الاصلية . ولا شك أن عوامل كثيرة قد أسهمت في بناء شخصية بولس ، وتكوين آرائه ، التي أضافت الى ثقافته اليهودية سادة خصبة ساعدته على استعمال الادوات اللازمة لنشر مبادئه .

لقد كان المناخ المحيط بالسيد المسيح عليه السلام خاليا من مصطلحات عقيدة التثليث وكان تلاميذه يستهجنون كل ما يسمى الى عقيدتهم وكانت شريعة موسى عليه السلام هي السائدة في تلك الاوساط وقد جاء المسيح لتعديل ما حرف منها وتقويم ما زيف على يد بني اسرائيل .

والأنجيل الموجودة بين أيدي النصارى تصرح بأن المسيح عليه السلام كان يقول (لا تظنوا أنني جئت لانقض التاموس أو الانبياء) ما جئت لانقض بل لأكمل (٢) .

ومن ذلك يفهم أن الذين أقروا من بني اسرائيل بدعوة عيسى كانوا يؤمنون بأن رسالته كانت خاصة بهم وأن غيرهم من الأمم غير معنيين بها وقد وردت فصي

١ - راجع في هذا الصدد : كتاب الأنجيل والصليب ، عبد الاحد داود ص ١٦٠ طبع في مصر ، سنة ١٣٥١ وكذلك معالم تاريخ الانسانية ٢٠٥ / ٣ وكتاب الاوائل لمايكسل هارث .

الأنجيل نصوص تفضي الى هذا المفهوم ومن ذلك قولهم (فأجاب (يسوع) وقال :
لم أرسل إلا الى خراف بيت إسرائيل الضالة) (١).

لهذا فان أي إنحراف عن هذا الخط يكفي للدلالة على أن يسوع
لعبت بالنصوص وأولتها وفق أهوائها .

لقد تكفل بولس بلعب تلك الورقة إذ أنه متهم بتحريف الشريعة لطأره
اليهودية القاضية بإزالة كل أثر لحدوة عيسى عليه السلام . (٢)

الى جانب ذلك هناك الأثر الكبير الذي أحدثته الفلسفة الهيلينية
في شخصيته والتي استغلها غلبة استغلال في بث مبادئه .

ان تطور مفاهيم بولس الدينية تشكلت بعد الأثر الذي أحدثته تلك
الطوائف اليهودية التي نشأت في المهجر ايان تلك العهود وعن ذلك يقول جنبيير :
ولم يكن يهود المهجر قد احتفظوا بالصورة الاصلية الكاملة لعادات وروح اخوانهم
في الدين من أهل فلسطين فقد لانت تلك العادات وتلك التقاليد ولان معها تعصبهم
وعداؤهم للاجنبي في ربوع هذه البلاد التي لم تكن لترضى بهم لولا ذلك وأقاموا
مواصلات يومية مستمرة بمجتمعات " الكفرة " وتأثروا في قوة وعق بتيارات الثقافة اليونانية
التي انغمسوا فيها شيئا فشيئا فاذا ما تركنا جانبا عقيدتهم الدينية وفروض طقوسهم
الأساسية وجدنا أن هؤلاء اليهود بعد جيلين أو ثلاثة من الهجرة لا يفرقون فسي
لغتهم ومظهرهم وثقافتهم العامة عن الأغريق الذين يماثلونهم في الظروف الاجتماعية
وأظهر الذين ارتقوا منهم الى أعلى مراتب التعليم إعجابا عميقا بأدب اليونان
وقلسفتهم وامتزج فكرهم بهذا الأدب وهذه الفلسفة الى حد الشعور بأنه لم يعد في
استطاعتهم التخلي عنها لارضاء الشريعة الموسوية . (٣)

ولم يكتف يهود المهجر بالتطور الاجتماعي وفق البيئة اليونانية بل
(راحوا يخلطون باليهودية بعضا من افكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين
بهم في نفس الوقت الذي كانت فيه طوائف من المشركين الوثنيين تعتنق الكثير من
المعتقدات اليهودية الأساسية لتمرزجها بأديانها المختلفة) (٤).

في هذا الجو المتقلب وفي وسط هذه البيئة عاش بولس بين هذه
العقائد ، ان (كان في طرسوس " مسقط رأسه) كما كان في معظم المدن اليونانية
آنذاك أتباع للأورفية وغيرها من العقائد الخفية ، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه
قد مات من أجلهم ثم قام من قبره وأنه إذا دعى بايمان حق وصحب الدعاة الطقوس

١- متى ١٥ : ٢٤ ٢- راجع المسيحية د . شلبي ص ٨٥ ، واقانيم النصارى ص ١٣٦

٣ - المسيحية ، جنبيير . ص ٥٨ ٤ - المرجع السابق ص ٦١

الصحيحة إستجاب وأنجاهم من الجحيم وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس وأعدت بولس لدعوة اليونان .

وكان الجو اليوناني الذي يحيط به في طرسوس يتحدث عن منقذ ينتشل البشرية ، كما كانت علوم بني جنسه من اليهود تتحدث عن (حياة مسيح) منتظر ، ولم لا يكون يسوع صاحب الشخصية المعجبية الغامضة الفتانة الذي لا يتردد الناس في استقبال الموت من أجله ، هو ذلك المسيح المنتظر ؟ فلما أحس في آخر سفره وهو لا يزال ضعيفا وأعمى بيدى يهودى مهتد "رحميتين" تلمسان وجهه وتسكناه "فللوقت وقع من عينيه شيء" كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد وتناول طعاما فتقوى (وبعد بضعة أيام من ذلك الوقت دخل مجامع دمشق وقال للمجتمعين فيها ان عيسى ابن الله) (١)

هذه المقولة الخطيرة التي أحدثت ضجة كبيرة في الأساطير المسيحية الأولى لم تكن لتصدر إلا عن شخصية ذات ثقافة معينة ، فبولس أتم تعليمه (على أساتذة من اليهود بيد أنه كان متبحرا بلاهوتيات الإسكندرية الهيلينية وكانت لغته إغريقية ويقرر بعض طلبة الأرب الكلاسيكي القديم أن لغته الإغريقية كانت غير مرضية فهو لم يستخدم لغة أثينا بل إغريقية الإسكندرية : بيد أنه استخدمها بقوة وطلاقة وهو متأثر بطرائق التعبير الفلسفي للمدارس الهيلينية وبأساليب الرواقيين (stocicism) (٢)

إضافة الى تأثيره بلاهوت الاسكندرية الممزوج بالفلسفة كان هناك تأثير من نوع آخر . " فمن الراجح (أنه تأثر بالمشرائية إن هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات المشرائية ، ويتضح لكل من يقرأ (رسائله) المتنوعة جنباً الى جنب مع الأناجيل أن ذهنه كان مشبعاً بفكرة لا تبدو قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعليم ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قربانا لله كفارة عن الخطيئة ، فما بشر به يسوع كان ميلاداً جديداً للروح الانسانية ، اما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلباً لاسترضاء الآلهة

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٤٩-٢٥٣

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٣ / ٧٠٥-٧٠٦

وانظر : رسائل اعطال الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية ص ٣٢٦

كان يسوع في نظره حلل عيد الفصح ، تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من كل عيب
(١) (وندس .)

الا ان الامر المثير حقا هو تحول بولس من اليهودية فجأة ^(٢) الى
المسيحية التي طالما حاربها ، وهذا ما دعا العلية الى التشكيك في نوايا بولس
الاساسية .

اذ يرى البعض انه كان يمثل جزءا من مؤامرة اليهود الذين اجتهدوا
في ضياع دعوة عيسى عليه السلام ، وسعتهم قوتهم اما بالسلاح واما بالفكر .
ولما كانوا (ط جزين من ضياع الدعوة بالسلاح ضياعا كليا لوقوعهم تحت
سيطرة الرومان لجأوا الى سلاح الفكر يلبسون به الحق بالباطل ويحرفون به
الكلم عن بعض مواضعه وعن مواضعه) (٣) .

والعجيب ان الفاتيكان يعترف الى حد بعيد بموقف بولس من المسيحية وعدم
حرصه عليها ، فقد جاء في كتاب نشره الفاتيكان سنة ١٩٦٨ بعنوان " المسيحية عقيدة
وعمل " ط يلي (كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحد يتي الايمان ان يحتفظوا
بما كانوا عليه من احوال قبل ايمانهم بيسوع) (٤) .

هذه النوايا التي يظهرها بولس تؤكد ها نصوص افعال الرسل التي تفضح تلسون
هذه الشخصية وغرابة تكهناتها ، فهو يقول مثلا عن نفسه (انا رجل يهودي ولدت في
طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي غلاثل على تحقيق
الناموس الابوي وكنت غمورا لله كما انتم جميعا) (٥) .

ويقول في رسالة أخرى (فصرت لليهود كيهودي لا ربح اليهود وللذين تحت
الناموس كأني تحت الناموس لا ربح الذين تحت الناموس وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس
مع اني بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح لا ربح الذين بلا ناموس) (٦) .

ومن هنا يظهر بولس سوء طويته وعدم استقراره على مبدأ واضح فهو يتحسث
بالسنة مختلفة وقبل في دعوت اي شخص مهما حل من عقائد ، وهذا بدوره يؤثر
تأثيرا خطيرا على لب الدعوة لما يسببه من خلط في الاراء والمعتقدات .

-
- ١ - معالم تاريخ الانسانية ٧٠٦/٣
 - ٢ - راجع في ذلك : الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية ، عبد الشكور محمد امان
رسالة ط جستير ص ١٩٢ مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

- ٣ - اقايم النصارى ص ٨٥
- ٤ - المسيحية . د . شلبي ص ١٢٤ - ١٢٥
- ٥ - افعال الرسل ٣: ٢٢
- ٦ - ١ كورنثوس ٩ : ٢٠ - ٢١

ولهذا فقد واجه بولس عددا من المشاكل التي أثارها بسبب اعتراض وريبة التلاميذ منه خاصة حينما سمعوا أنه كان يقبل في الدعوة من الأمم دون ختان الداخلين الجدد الأمر الذي أدى إلى تحريض الجميع ضده ، إلا أنه بأسلوبه المرن استطاع التفاوض مع المعارضة (واتفق الجميع آخر الأمر على ألا يطلب ممن المهتدين الوثنيين أكثر من أن يقلعوا عن الزنى وعن أكل المخنوقة والدم وما ذبح على النصب ويبدوا أن بولس يسر الأمر بأن وعد العشيرة المسيحية المعدمة في دمشق بشي * من المال المطرد الزيادة في كنيسة انطاكيا) (١)

وهكذا نجد بولس يستعمل المال لاستغلال الفرص السانحة ، فقد وجد مجتمع التلاميذ مجتمعا فقيرا بينما (كانت كنائس بولس تضم أحيانا بين أتباعها ثروة القوم وكرامهم . وكان الحوار خبيرا بأساليب حثهم على مساعدة الكنيسة الأم) (٢) .

إلا أن إصرار الجماعة على تطبيق الشريعة كاملة أدى إلى انفصال بولس (فكتب إلى أهل غلاطية رسالة تفيض بالغضب انفصل بها نهائيا عن المسيحيين المشهودين وأعلن فيها أن الناس لا ينجون باستساكهم بشريعة موسى بل بإيمانهم القوى الفعال بالسيح المنقذ ابن الله) (٣) .

وبانفصاله عن الجماعة الأم أخذ ينشر ما يؤمن به من عقائد يهود المهجر المتطونه ، وقد وضع آراءه ويطايد يدين به في رسائل .

وعرض على غير اليهود انجيله من أهل كورنثوس ودخل كثيرون منهم فسيدينهم (ولسل المسيحية قد بدت لهم انها صورة أخرى من الأديان الخفية التي طالما حدثتهم عن المنقذين الذين يبعثون بعد موتهم ، ولعلمهم حين قبلوها قد مزجوها بتلك العقائد القديمة وأثروا في بولس فجعلوه يفسر المسيحية تفسيراً يألفه العقل الهيلينستي) (٤) .

وهكذا أصبحت مصطلحات بولس تأخذ طريقها إلى الأتباع الجدد :

كـ " مصطلح " ابن الله الاول ، وبكر الخلاق ، وقد انتشرت سريعا لوجود الأرض الخصبة لذلك ، وهكذا افتتح بولس للمسيحية الباب إلى القول بالتثليث وأصبحت كلماته التي ضمتها رسائله كتابا مقدسا له طلالانجيل من حرمة واحترام فتناولهم الشراح والدارسون من علماء الكنيسة ورجال اللاهوت بكل ما يملكون من طاقات البحث والنظر وخرجوها على كل وجه ممكن أو غير ممكن فكانت منها تلك الفلسفة اللاهوتية التي شغلت العقل المسيحي ولا تزال تشغله بل وتقلقه وتزعجه (٥) .

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٥٤-٢٥٥ ٢ - المسيحية ، جنيبير ص ١٠٤

٣ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٣٥٩ ٤ - المرجع السابق ٣/٣ : ٢٥٨

٥ - المسيح في القرآن والتوراة والانجيل ، عبد الكريم الخطيب ص ٣١٣

ثانيا : العوامل الخارجية التي كان لها الأثر الأكبر في انحراف العقيدة عن سارها الصحيح .

التأثيرات التي أحدثها بعض أعلام اليهود في المسيحية شكلت اختراقا خطيرا لللب هذه العقيدة ، وقد حطمت العالم المسيحي أوزارا ما كان ينبغي أن يتحطمها لولا وجود اللين والضعف من التلاميذ الذين أعقبوا حواربي المسيح فقد رضوا بالذوبان في الموجات القادمة من الخارج ولم يستطيعوا الوقوف في وجه التيارات الوثنية والفلسفات الشرقية والغربية التي هبت عليهم من كل حدب وصوب .

لقد وجدوا أنفسهم وسط لحج من الظلام لم يستطع العالم المسيحي حتى اليوم الخروج منها ، من هذه التيارات ما كان قادم من مصر الفرعونية ، ومن بلاد فارس ، والهند إضافة إلى ما فرضه الغرب من فلسفة مفرقة في الخيال .

وباستعراغ أهم العقائد التي تسربت إلى المسيحية يمكن ملاحظة الأثر الكبير الذي أحدثته البدع والضلالات المختلفة في العقيدة المسيحية .

- اثر الديانة المصرية القديمة :

رغم توغل هذه الديانة إلى قلب التاريخ السحيق ، ورغم تعاقب الأمم القديمة التي تربعت على عرش مصر إلا أنها وجدت طريقها عبر هذه الشعوب الخافية حتى وصلت إلى لب العقيدة المسيحية ، فقد استطاعت أسطورة إيزيس وأوزوريس وحوروس التأثير على العقيدة المسيحية التي وجدت في شخصية حوروس (الذي كان ابنا لسرابيس وهو وفي نفس الوقت شبيها ، مرشدا ، لهم فيما يبذلونه من جهود عنيفة لتفهم ما خلفه لهم القديس بولس من خفايا وقد كان الانتقال من هذا إلى المطابقة بين شخصية مريم وإيزيس ثم سموها بها مرتبة شبه قدسية وكان طبيعيا كذلك للمسيحية أن تقتبس وهي لا تكاد تعي الطرائق العطية للديانات الشائعة في ذلك الزمان فاتخذت قساوستها طريقة الروم والحليقة والزى الخاص بالكهنة المصريين لأن ذلك يبدو والطريقة المثلى لتمييز القسس ، وتتابع البدع واحدة في اثر الأخرى وكانت نتيجة ذلك أن دفنت التماليم " الثورية " الأصلية بطريقة تكاد تكون غير محسوسة تعبت تلك الإضافات المألوفة (١)

والقصد من القول " بالشورية " هو ذلك الرفض الذي أبدته رسالة عيسى عليه السلام لكل انحراف أدخله اليهود على الديانة الصحيحة .

لقد كان للمعابد المصرية أثر أيضا في بقية الطقوس والتقاليد الكهنوتية (فثياب الطقوس والرمز والصيغة الاصطلاحية التي اتخذتها المسيحية والتي لم يرحل تتركبها الى يومنا هذا في كثير من الاقطار قد نسجت ولا مبرا في عقائد ومعابد " جوبيتر سراپيس وايزيس " التي انتشرت عند ذلك من الاسكندرية الى كافة اصقاع العالم المتمدن في عصر الثيوكرازيا (اعني اتحاد الالهة) فسي القرنين الثاني والاول قبل الميلاد) (١)

ومع خطورة هذه الاقتباسات إلا أنها تصغر اذا ما قيست بعقيدة التثليث التي كانت منتشرة في مصر .

قال العلامة دوان (وكان قسييسو هيكل مغيث بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للهيكلين بتعلم الدين بقولهم : إن الأول خلق الثاني والثاني مع الأول خلقا الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس .

وسأل توليسو ملك مصر الكاهن تنيشوكي أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه أو هل يكون بعده من هو أعظم ؟ فقال له الكاهن : نعم يوجد من هو أعظم وهو : أولا الله ثم الكلمة ومعها روح القدس ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الابدية فاز هب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة (٢)

١ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٦٩

وراجع كذلك : اقانيم النصارى ص ٨٧-٨٨

٢ - العقائد الوثنية في الديانة المصرية ، ص ٢٦

اثر الوثنية الهندية في المسيحية :

كما كان للفرعونية نصيب في المسيحية كذلك الحال في الوثنية الهندية فقد كان لها حظ منها. وقد تمثل بعقيدة التجسد التي كان الدرافيديون يأخذون بها ، فقد اعتقد هؤلاء أن (١) لكل صفة من صفات الله صفة انسانية وأضفوا عليها صفات أخرى وهذه هي الآلهة عندهم .

كما قالوا : " ان قسرة الله ورحمته وجبروته تجسدت في صورة إله في كل أمه من الأم مثل البعل عند الساميين وأندرا عند الآريين وجوبيتر عند اليونان وقد عرضوا هذه الآلهة في صورقائسان ولكن الداورديين حينما أعجبوا ببعض الشخصيات الأسطورية الغدة أضفوا عليها صفات الألوهية واعتقدوا أن إلههم الأعظم فشئو تجسد فيها لمساعدتهم وشد أزهرهم وانقاذهم من كسل شر ومن هذه الشخصيات رام وكرشنا وانتقلت هذه النظرية الى الرومان من اليونان والهنود والمسيحيين على السواء فهم بدورهم عرضوا السيد المسيح مجسداً فيه الله سبحانه وتعالى (١) .

كما أن عقيدة التثليث كانت بدورها قد إنتقلت من المصريين الى الهندوس ومن ثم الى المسيحيين . قال العلامة دوان (اذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث (أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم ، ويدعون هذا التعليم بلغتهم (ترى مورتى) وهي جطة مركبة من كلمتين سنسكرييتين . أما (ترى) فمعناها (ثلاثة) ومورتى معناها (هيئات) او اقانيم وهي (برهمة وفيشنو وسيفا) ومجموع هذه الثلاثة أقانيم الاله واحد ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهي الألف والواو والسيم ولفظونهم (٢) (اوم) .

اما الفرق الطفيف بين الهندوسية والمسيحية في ذلك أن الأولى تقدر (ان الاله براهما كان قبل الوجود وأنه خلق العالم وسمى نفسه الخالق ثم انبثق منه الاله سيفا كان وهو الاله المدمر الموكل بالخراب والغناء ولو ترك هذا الاله شأنه لغنيت السموات والارض ومن فيهن ولهذا انبثق من براهما الاله ثالث حافظ مجد هو الإله فيشنو (٣) كما ان فكرة الخلاص بتقديم الاله نفسه فداه لتكفير خطيئة أزلية مطبسة فيهما الانسانية قد انتقلت الى المسيحية من الديانات الهندية كذلك فالبرهميون يعتقدون أن كرشنا وهو الاله فيشنو مصلوبا مشقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الانسان (٤) .

١ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٢-١١٣ وكذلك انظر: اقانيم النصارى ص ٨٧
٢ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٩ ٣ - الاسفار المقدسة د . وافي ص ١١٣
٤ - المرجع السابق .

التأثيرات البوذية :

حيث إن البوذية تشكل فلسفة في العمل الطقسي ، فإن أشد ما جذب المسيحيين اليها تلك الصور والأشكال التعبدية التي حفلت بها العقيدة البوذية . وقد نقل البستاني صوراً عن الطقوس والشعائر والممارسات والادوات وكثيراً من الرموز التي انتقلت الى المسيحية فمن ذلك قوله :

ف (صور التقسيم السحرية واحداث العواصف والاقامة من الموت وما أشبه (ذلك) . . من بقايا المذهب الشاماني القديم قد دخلت في البوذية عند المغول والكيموك . وصارت المواعظ ايضاً قسماً ضرورياً من أقسام العبادة وكذلك الاحتفال حول الهياكل والمزارات بحمل الذخائر والقرايين من أشجار وأزهار وبخور وما يوءكل مما لا دم فيه واعتراف العوام وتكريس الماء المقدس والتطهيرات المقدسة أو المعمودية في مغوليا والصوم والتسابيح والنشائد والبركات والصلبان ولبس اللامع حللاً حبرية كحلل اساقفة بعض النصارى (١) .

ولا شك ان ما يجري داخل الكنائس المسيحية وخارجها من طقوس وشعائر يتشابه الى حد بعيد مع ما رسمته البوذية من قبل . ولعل التأثير الأكبر الذي إنتقل إلى المسيحية تلك المبادئ التي أسهمت في تدعيم الأسس الرهبانية لدى الرهبان وآباء الكنيسة الأولى ، ف (البوذيون يعتقدون كما اعتقد البرهمنيون من قبل في فيشنو حتى أنهم يسمون بوذا " المسيح " والمولود الوحيد وصليح العالم ويقولون إنه إله كامل تجسد بالناسوت وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر) (٢) .

ولقد وجد لوبون تشابهاً عجيباً بين شخصيتي بوذا والمسيح وذلك حينما قارن بين مراحل حياة كل منهما ولا شك أن ما أضيف الى حياة المسيح عليه السلام من خرافات وترهات على يد المحرفين من اليهود وغيرهم كان مستقى من الأساطير التي نسجتها عقلية البوذيين (٣) . كما لاحظ لوبون أيضاً الزيادة في أوجه الشبه عند تعدت من الشكل الى المضمون فمن ذلك قوله (وتزيد أوجه الشبه تلك أهمية عند الوقوف على تشابه تينك الديانتين موضوعاً فضلاً عن الشكل فكلتاهما أمرتا بالاحسان والمساواة والزهد وكتباهما ناطتا الخطيئة بالنيات كنفا تناط الأعمال وكتباهما ابتدعتا الرهبانية (٤)

١ - دائرة المعارف بطرس البستاني ٦٧١/٥ ٢ - راجع الصفات المشتركة والحوادث المشابهة لكل من الشخصيتين في كل من : المقائد الوثنية في الديانة النصرانية ومحاضرات في النصرانية وغيرهما . وقارن مع : معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٩٠ وكذلك الهند القديمة : حضاراتها وديانها ، ص ٢٢١

٣ - راجع : الأسفار المقدسة . وفي ص ١١٤ وراجع بتوسع : اسطورة تجسد الاله عبد الصمد شرف الدين ص ٢٤-٢٥

٤ - حضارات الهند غوستاف لوبون ص ٣٤٤-٣٤٥

أوجه التشابه في التثليث :

كانت البوذية تمثل انتفاضة ضد الهندوسية إلا أنها لم تستطع أن تغتلب من قبضه هذه الأخيرة حيث تمكنت من احتوائها والسيطرة على الكثير من مبادئها وتعاليمها ولهذا نرى التأثير الهندوسي في القول بالتثليث ينتقل طوعا إلى البوذية وهكذا يقال أيضا بالنسبة للمسيحية . فهناك تشابه في صفات الأقانيم التي يضيفها البوذيون إلى تثليثهم بها يماثل صفات أقانيم النصارى .

قال المستر فابر (وكما نجد عند الهنود ثالوثا مؤلفا من برهمه وفشنو وسيفا هكذا نجد عند البوذيين فإنهم يقولون إن بوذا إله ويقولون بأقانيمه الثلاثة وكذلك بوذي جينست يقولون عن جيغا إنه مثلث الأقانيم .

قال السيد وليمس جونز في تضرعات وتوسلات الزاهد (امورا) هذا نصها (لك أقدم التعظيم والخشوع يا رب أنت الإله الرحيم يا شافي الآلام والأتعاب يا رب كل شيء * حي أنت برهمة وفشنو وسيفا * إني أعبدك تعيزت باسمائك الألف وأشكالك المختلفة وشكل بوذا إله الرحمة) . (١)

التأثيرات الفارسية القديمة في المسيحية :

كما إدعت المسيحية أن لله تعالى ابنا وأنه مثلث الأقانيم تعالى الله عن قولهم كذلك قالت الديانة الفارسية من قبل .

يقول دوان في هذا الصدر :

(وكان الفرس يعبدون إليها مثلث الأقانيم مثل الهنود تطاما وهم اورمزد ومتراث واهرمان ، فأورمزد الخلاق ومتراث ابن الله المخلص الوسيط واهرمان المهلك ويوجد في كتابات زوسترساين الشرائع الفارسية هذه الجطة :
(الثالوث اللاهوتي مضي * في العالم ورأس هذا الثالوث مونا) وكان الاشوريون والفينيقيون يعبدون آلهة مثلثة الأقانيم) . (٢)

١ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٢-٢٣

وراجع كذلك الديانات والعقائد ، عبد الغفور عطار ١٥٦/٣

٢ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٣٠

أثر الوثنية اليونانية في المسيحية :

هناك عدة عقائد يونانية وثنية أثرت كثيرا في العقائد المسيحية

من بينها فكرة : التثليث ، والبعث ، والخلص ، والعشاء الرباني المقدس والتعميد ، والاتحاد ، وغيرها .

وملاحظة صورة التثليث عند اليونان يمكن معرفة مدى تشابهها

مع التثليث المسيحي .

فقد (كان اليونانيون القدماء يقولون : إن الإله مثل الأقانيم

وإذا شرع قسيسوهم يستقيم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات إشارة إلى الثالوث ، ويرشون المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات مأخوذون البخور من البخور بثلاث أصابع ، وعن أورفيوس يقول دوان :

(كل الأشياء عليها الإله الواحد مثل الأساطير والأقانيم وهذا

التعليم الثالوثي أصله من مصر وكثيرون من الآباء في الجيل الثالث والرابع قالوا :

إن فيثاغورس وهيرقليطوس ولاتو طموا التثليث وقد أخذوا فلسفتهم في التثليث

عن أورفيوس . . . وقال العلامة فسك : وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث وهو : اولا ، الله ، ثم الكلمة ، ثم الروح (١) .

ومعترف ديورانت بهذه الحقيقة قائلا : (إن المسيحية لم تقض

على الوثنية ، بل تبنتها ، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر طرد إلى الحياة

في صورة جديدة في لاوهوت الكنيسة وطقوسها . . . وانتقلت الطقوس اليونانية

الخفية إلى طقوس القديس الخفية الرهبانية ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة

(٢)

اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف .)

وسهيا ادعت المسيحية من أنها حاربت الوثنية حربا بلا هوادة فان

القرائن تثبت عدم صحة هذه العقولة فبمجرد النظر إلى الشعائر والطقوس والرموز

التي يقوم بها النصارى في كنائسهم والأصنام التي تمثل معبوداتهم وتطابق

قد يسيهم لا تثبت هذه الدعاوى أن تنهار أمام الواقع ، وقد مرر من هذه

الظاهرة أحد العلماء الغربيين بقوله (راح كبار الأساقفة الذين عاصروا الطوك

١ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٩-٣٠

٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٧٥-٢٧٦

داغوبير ، أمثال القديس ابلوا ، والقديس اوان (*OUEN*) والقديس سوليبس يقومون دوريا برحلات راعوية يهدمون خلالها ويطفون ما تقع عيونهم من آثار الوثنية والصنية ، كما يصادرون مراكز عبادة الاصنام بعد ان يغيروا منها الاسماء والسميات ويضعوها تحت حطية أو شقاعة أحد الشهداء القديسين أو على اسم أحد رؤساء الملائكة كما أطلقوا سميات مسيحية على مراكز العبادة ومواقع الحج الوثنية وألبسوا صيغا وأشكالا مسيحية المراسم الطقسية التي كانت تقام في الأرياف ناشريين على هذه الكنيسة الرمز الصوري أو الحرفي على الأقل للديانة المسيحية (١) .

فكرة البعث اليونانية وأثرها في المسيحية :

كان لرفع المسيح عليه السلام أثر في نفوس الأتباع ، كما مر سابقا الا أن الوثنية اليونانية استطاعت استغلال هذا الحدث الكبير لاحتواء المسيحية والالتفاف حولها ، ولهذا يرى جنيبير أن أقوال بولس في هذا الصدد هي التي أجبت نيران هذه العقيدة وأيقظتها من مرقد ها ، فقول بولس (ان لم يكن المسيح قد بعث ، فاي طائنا لا سبيل له) (٢) .

فهذه المقولة تثير الحساسية الوثنية التي كانت سائدة آنذاك ، (ومن جانب آخر فان فكرة إله يموت ثم يبعث ليسير باتباعه نحو حياة الخلود تسربت الى ضمير المجتمعات المسيحية أو على الأقل منها تلك المتأثرة بالفكر اليوناني فلم يلبث عيسى أن تحول بها من صيغ يهودى وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليوناني ولا يفهمها أهل اليونان الى عيسى المسيح السيد والمنقذ ابن الله وخليفته على الأرض الذي يهتف باسمه سائر المؤمنين وتنحني له الخليقة كلها اكبارا واجلال على حد تعبير القديس بولس) (٣) .

العشاء الرباني اليوناني وأثره :

عقيدة البعث هذه ارتبطت بشعيرة أخرى يقول بها المسيحيون ضاهية للوثنية اليونانية وهي القران القدس أو العشاء الرباني . وقد لاحظ ويلز الذي فسر هذا الترابط بقوله (العلاقة وطيدة (تلك) التي تربط البذار في الذهن البشرى بالقران والتضحية ، ذلك أن البذار أخذ يصبح أهم الأحداث الاقتصادية فكان من الطبيعي أن يربط الناس أشد ما يخطر ببالهم من الأمور روعة ووقعا وأي شيء أشد روعة من قتل رجل من الناس) (٤) .

- ١ - تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى ٣ : ٣٥
- ٢ - الرسالة الى اهل كورنثيا ١٥ : ١٢ ٣ - المسيحية ، جنيبير ص ٥٢
- ٤ - معاليم تاريخ الانسانية ١ / ١٢٣

(وقد تتبع) السهرج ج . فيبرز تطور هذا الترابط وواصل بينه وبين فكرة الأشخاص المخصصين للقربان الذين يقطنون في أوان البذار وفكرة طبقة من الناس مطهرة تطهيرا خاصا هو هلبها لقتل هو^١ الضحايا وهي طبقة الكهنة وفكرة (عشاء مقدس) أو وليمة طقوسية وتأكل فيها القبيلة أجزاء من جسم الضحية لكي تأخذ نصيبا مما للقربان من مزايا وتتقمص تلك المزايا أوثق تقمص من هـــــ (١) البداية تطورت الديانات ذات القربان الموسمية التي لا تزال بين ظهرانينا)

وقد جاء هذا التعليل تمثيلا للصورة التي يراها المسيحيون يقول متى (. . .) وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي (٢)

فهذه العطية أصبحت من التقاليد المعمول بها في الكنائس المسيحية وهي تعني السر المقدس بين المسيح والمسيحيين و (بموجبها يعتمد المسيحي ويصبح شاركا في حياة المسيح الاله مشاركة متجددة دائمة ولا شك أن هذه الفكرة تعود في أصلها الى ديانة الألغاز المعروفة عند الاغريق (٣)

مسألة التعميد بالاتحاد :

لكي يكون المسيحي مسيحيا لا بد له من التعميد بحسب الأصول التي يتبعها القس في الكنائس لهذا الفرض ويكون إما بالتغطيس أو بالرش على خلاف بين المذاهب المسيحية (٤) ، وهو بمثابة فرض ألزمت الكنيسة أتباعها به والا اعتبر الرافض كافرا ، ويستند المسيحيون بأقوال وأفعال نسبوها الى يحيى عليه السلام من أنه غطس في نهر الاردن (٥)

ولا شك أن التعميد المزعوم ليس له أصل سوى الأصل الوثني الذي أشاعه بولس في أوساطه فهو يقول (لأن كلكم الذين غطستم في المسيح فقد لبستم المسيح) (٦)

١ - معالم تاريخ الانسانية ١٢٣/١

٢ - متى ٢٦ : ٢٦-٢٨

٣ - مدخل في تاريخ الاديان د . محسن العابد ٣٥-٣٦ دار الكتاب بموسى ١٩٧٣ م

٤ - راجع هذا الخلاف في : قاموس الكتاب المقدس ٦٣٧

٥ - متى ٣ : ١٣-١٦

٦ - غلاطية ٣ : ٢٧ ، والاصل في التعميد هو الختان حسب الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام من عند الله تبارك وتعالى وقد ظل بنو اسرائيل

وقد فسر جينبير هذا النص بقوله :

(وهذا يعني أن المسيحي يتحد بالمسيح بواسطة التعميد ونحن في قولنا هذا قد نتجاوز حد ود النص الحرفية ، فبولس لم يجروا قط على القول بأن التعميد يجعل من المسيحي " مسيحيا " ملما تجعل طقوس التضيحية بالثور في عبادة سيبييل من المؤء من بها و (الها هو أتيه) الا أن مفهوم هذا التعميد نابع من نفس وجهة النظر التي يفسر بها مفهوم التضيحية بالثور فبالتمديد " يرتدي المسيحي المسيح كما يرتدي اللباس المقدس المنجي ، وهو ينزل رمزيا الى عالم الأموات بغطوسه في النهر أو في إناء التعميد فإذا ما خرج بعد غطسات ثلاث تما كما خرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاث أيقن بأنسه سوف يمجد يوما ان اراد الله له ذلك كما مجد المسيح . (١)

ان الربط بين التعميد والاتحاد هنا وثيق العلة ، ولا شك ان المسيحيين ، قد وقعوا فريسة في شباك الوثنية اليونانية حينما قد تمت هذه البدعة لهم ، فلم يجدوا خاصا من الاعتراف بها لأن التيار الوثني كان متغلغلا في تلك الاوساط ، وقد تولى بولس مهمة ادخال هذا التقليد المسيحي السحيية بسهولة .

=يقومون بهذه الشعائر الى أن قام بولس بنشر بدعه ومنها الغاء الختان ، يقول بولس (ها أنا بولس أقول لكم إنه ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا لكن أشهد ايضا لكل انسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس) (وقوله) لانه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الفرلة بل الايمان العامل بالمحبة) : غلاطية ٥ : ٢-٦ وراجع تعليق ديورانت على هذا الموضوع في : قصة

الحضارة ٣ / ٣ : ٣٥٣-٣٥٥

١ - المسيحية ، ص ١١٠

اثر الفلسفة اليونانية في العقائد المسيحية :

مر في الفصول السابقة التعرف على كيفية دخول الديانات الوثنية المختلطة الى الفكر الديني المسيحي ، وكيف استطاعت تكوين هذا الخليط المعقد من المبادئ والآراء المتناقضة .

ولم تكن القضية لتقف عند هذا الحد ، فقد تزاوجت المشاكل على أبواب الكنيسة ، وناث ظهور الرهبان عن حل تبعاتها ، فلجأ هؤلاء الى الفلسفة التي كانت رائجة آنذاك مستغِيثين بمبادئها ، لا فدين بأفكارها نتيجة لوقوعهم في الفوضى الدينية التي غسوا أنفسهم في وسطها تائبين فسي لجبها .

واذاً ذلك فقد عمد هؤلاء^{الى} إتقان المصطلحات الفلسفية كمادة لتغذية عقائدهم ، وكأداة لحجب الحقيقة وطمس معالم الحق والنور .

وغير خاف ط لهذه المبادئ من خطر على النفوس الوضيعة فسي صرارتفعت فيه أسهم الفلسفة ارتفاعاً كبيراً .

وقد لاحظ العلماء الأثر الكبير الذي أحدثته الفلسفة اليونانية بالذات في الفكر الديني المسيحي ، ووقفوا طويلاً عند انبهار رجال الكنيسة ورهبانها بالفلاسفة الأول . وما استمدوه من مبادئ وصيغ مختلفة .

وقد ظهر هذا التأثير جلياً ابتداءً من القرن الثاني بعد الميلاد ولا شك ان نوطاً من الصدام قد حصل بينهما مبادئ الأمر ، الا ان الفلسفة قد استطاعت السيطرة على مفاهيم هؤلاء وحورت العقيدة الصحيحة وفق اهملوا الفلاسفة ونزعاتهم .

وقد ضرب العلماء مثلاً لالتقاء^(١) وصدام الفكر المسيحي بالفلسفة اليونانية وخير شاهد على ذلك شخصية بولس^(١) ودار حولها من نقاش .

ومعترف الباحثون في هذا الشأن بأن ذلك المجتمع وجد (فيه) فلاسفة محترفون اضطلعوا بمهمة الوعظ والارشاد ، فكانوا يحضون بلحيثهم ورداتهم ينشرون تعاليمهم الخلقية في الاسر والجماعات كل بحسب مذهبهم

١ - راجع في هذا الصدد : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

فيلتقي بهم المسيحيون ويناقشونهم وكان من بين المسيحيين جماعة آمنوا بعد فلسفة فكان طبيعياً أن يصدروا عن ثقافتهم السابقة في تبنيان عقيدتهم ونقد الوثنية فيوفق البعض إلى الحق ، وبفضل البعض ففتشاً البدع وتقوم المناقشات الكلامية والكتابية لتحديد معالم الدين في فوضى المذاهب والطلل ، وهكذا خلقت الفلسفة المسيحية منذ القرن الثاني (١) .

ومن السهل جداً إعطاء نماذج لتأثر عدد من أساطين آباء الكنيسة بالفلسفة ، إذ (لم يخطر ببال المدافعين عن العقيدة المسيحية يوماً أن يتبرروا من ثقافتهم اليونانية أو اليونانية - اللاتينية بل كانوا يتباهون بها ، ولقد أصبحت لدى آباء القرن الثاني ومعظمهم من المهتدين إلى المسيحية خيسر اداء في دفاعهم عن إيمانهم الجديد .

فها هو "يوستينوس" الفيلسوف "واثيناغورس" الآثيني "الفيلسوف المسيحي على ما ورد في كتابه الدفاعي ذاته والقديس "ثيوفيلوس" الانطاكي الأديب وصاحب الأسلوب الأنيق "ومركوس مينوسيوس فليكس" السامعي الروماني الذي اعتبر كتابه (الاكتافوس بانوارهوس " تحفة من تحف الأدب اللاتيني وغيرهم كثير

وها هوذا مثل آخر يدل على شيء من الإفراط وهو التوصية في حق المسيحيين "لاثيناغورس" ورد فيه الكثير من الإشارات إلى أساطير اليونان وكثير من النبذ التي لم تستمد من أفلاطون فقط ، بل بجانب أعظم من "هوميروس" و"هيروdotus" وأيريدوس أيضاً لكن الاسكندرانيين بسبب الافلاطونية المتغلبة عليهم كانوا مع من يقولوا في مجال نفوذهم بالقليل أو بالكثير هم الذين أبلوا خير البلاء في خدمة هذه الثقافة اليونانية التي أصبحت مسيحية (٢) .

وكما مر في الأبواب السابقة فإن الإمبراطورية اليونانية كانت تدبر بمذاهب فلسفية شتى (وكانت المذاهب الفلسفية الكبرى (الشائعة آنذاك) أربعة - الافلاطونية (٣) ، والرواقية (٤) ، والارسطوطالية (٥) ، والابيقورية (٦) مرتبة حسب ظهورها

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

٢ - فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، لويس غريدي ج . قنواتي ت : د . صبحي الصالح ، الاب فريد جبر ٨١/٢ - ٨٢ - ٨٣ ط ٢ ١٩٧٩ دار العلم للملايين ، بيروت .

٣ - انظر صفحة (١٩٨) من هذا البحث ٤ - انظر صفحة (٣٢٣)

٥ - نسبة إلى أرسطو : (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) الفيلسوف المعروف كان ابناً لطبيب باسطاغورا في شمال اليونان ، ظل لعشرين عاماً بادية من ٣٦٧ باكا ديمية افلاطون انظر : الوجود الالهي ص ٢٨ وهو مؤسس المدرسة المشائية ، صبيان في الفلسفة ص ٢٠٦ - ٢٠٧

٦ - نسبة إلى ابيقور (٣٤١ - ٢٧٠ ق م) فيلسوف يوناني كان يرى ان لا خير الا اللذة ولا شر الا الالم وان الفضيلة تقصد لها فيها من اللذة والرديلة انما تجتنب لها فيها من الالم

لدى المفكرين المسيحيين لذلك العهد .

أما الأفلاطونية فكانت المذهب المفضل عندهم ، عرفوها بوقوفهم على بعض محاورات أفلاطون ، وعن طريق مختلف الكتاب ، وخاصة فيلسوف الإسكندرية^(١) .

لقد أعجب هؤلاء* بهذه المذاهب لأنها كانت تعترف " بعالم معقول وصانع العالم المحسوس به فيه من خير وجمال ، ونفس إنسانية روحية هابطة من العالم المعقول تائقة العودة إليه ، وبتحقير الجسم والحياة العاجلة والاشغالة بالزهد والتطهير والخلود والاتحاد بالله وما زالوا يعتبرون الأفلاطونية اسم المذاهب اليونانية وأقربها إلى المسيحية ، حتى إذا طجددتها مدرسة الإسكندرية^(٢) في القرن الثالث متأثرة باليهودية والمسيحية استغلوا الأفلاطونية الجديدة أيضا (

هكذا كان تأثير الفلسفة اليونانية الوثنية على طوما* ورهبان الكنيسة الذين أشبعوا عقولهم بها ، ونهلوا من معينها ، وارتوا حتى الشطالة . فكان انتصار الفلسفة على الدين هو الغالب لدى أمة تركت سلاحها واستسلمت للتيارات المختلفة التي أضرت على تحطيمها وقد كان .

وسأستعرض بعض المدارس الفلسفية التي كان لها أثر في الفكر الديني المسيحي .

= وليست السعادة عندنا إلا نيل اللذائذ ، ولم يقصر* أببيقور قوله على اللذات الجسدية كما فهم بعض الناس من مذهبه بل اعترف باللذة العقلية وفضلها عن غيرها راجع : مبادئ الفلسفة ص ٢٠٦ ، وقد أسى* فهمه فقيل أنه يدعو إلى الملاذ انظر : الموسوعة العربية المصورة ١/ ٤٣ ط ١ أببيقور .

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

٢ - المصدر السابق .

(١) أثر الاورفية :

لعل أبرز المذاهب الفلسفية القديمة التي لها أثر كبير في الوسط الفكري اليوناني وبالتالي على الفكر المسيحي تلك المدرسة الأورفية التي كسان لها حظوة لدى الافلاطونية الحديثة .

ويتضح هذا الأثر عبر عثور العلماء على مجموعة كبيرة من الكتابات الأورفية التي كانت في حوزة رجال الافلاطونية الحديثة بالاسكندرية ، وقد اتخذوها أساسا للاهوتهم وطقوسهم وتصوفهم ، . كذلك أثرت فكرة النار المطهرة والجنة وتعارض الجسم والروح والابن القدس الذي قتل ثم ولد من جديد ، والمعشاة الرباني وهو أكل جسم الاله ودمه وقدسيته ، أثرت هذه كلها من قسرب أو من بعد في المسيحية التي كانت هي نفسها ديننا ذا طقوس ومراسم خفية فيها الكفارة والأطل والوحدة التصوفية وتحرير الروح ولا تزال الافكار والعبادات التي تشتمل عليها الديانة الأورفية منتشرة بيننا (اي بين المسيحيين) هذه (٢)
(الايام .)

(٢) أثر الافلاطونية الحديثة :

تبين مما سبق أن التوحيد هو لب الدعوة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، وأن التثليث هو العقيدة المستحدثة التي طغت فيما بعد على معتقدات المسيحيين بعد التعريف والتبديل ، والناظر في أسس العقيدة النصرانية يستطيع أن يرى أثر الفلسفة الافلاطونية الحديثة بشكل واضح فيها .

هذه الفلسفة ترى أن الحقائق أو الأتانيم ثلاثة :
الحقيقة الاولى : الواحد أو الطبيعة العليا ، وتصف هذا الواحد بالوحدة المطلقة وعدم التكرر حتى في الوصف .
الحقيقة الثانية : هي العقل العام ، وهو واحد كالاول ومجرد عن المادة مظهرا ان فيه تكثرا ما وهو صادر عن الاول بطريق الفيض لا عن ارادة واختيار .
الحقيقة الثالثة : هو النفس الكلية وهي مجردة عن المادة ايضا مشتمل الاولين الا أنها لما بعدت عن الأول أظلمت شيئا مما

١ - انظر ص ١٨٩ - ١٩٣ من هذا البحث .

٢ - قصة الحضارة ٢/١ : ٣٤٧

٣ - هي مذهب قام على اصول افلاطونية وتمثل عناصر من جميع المذاهب ، فلسفية ودينية يونانية وشرقية بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٥

وعن النفس الكلية صدرت الموجودات المحسوسة التي فيها الشرور والظلمات .

والافلاطونية الحديثة لا ترى التساوى بين هذه الاقانيم بل ترى ان الأول هو أكملها والثاني أقل منه كمالا والنفس الكلية أقل من الاثنين
ويرى "ليون جوتييه" المستشرق الفرنسي ان اللاهوت المسيحي مقتبس من افكار هذه المدرسة فيقرر ان التشابه كبير بين اللاهوت المسيحي وبين الافلاطونية الحديثة ، حيث انهما يتركزان على عقيدة التثليث والثلاثة أقانيم وان اختلفا في بعض التفاصيل

أول هذه الاقانيم هو مصدر كل كمال ، والذي يحوى في وحدته كل الكلمات ، وهو الذى دعاه المسيحيون الأب ، والثاني ، أو الابن هو : الكلمة والثالث ، وهو دائما الروح القدس

ويجب ان يلاحظ (وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحي عن الافلاطونية الحديثة) - أن الاقانيم الثلاثة ليست في نظر هذا المذهب متساوية في الجوهر والرتبة بينما هي عند المسيحية متساوية ، فالابن الذى يتولد من الاب لا يمكن أن يكون أدنى منه كمالا ، والا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطرارا عنه غير الكامل ، وهذا خطأ من رتبته وكذلك الروح القدس مساو للاب والابن (١)

واخطأ في هذه الفلسفة ان المرحلة القصوى منها (يتم احرازها - لا عن طريق التجربة والعقل - بل عن طريق الوجد الصوفي وفي هذه الفلسفة تنحط الثالثة الى درك التصوف الاشراقي (٢) . وهو الامر الذى سيكون سادة خصبة للاسس العقديّة للرهبانية المسيحية .

١ - يراجع في هذا الصدد : الجانب الالهي في الفلسفة الاسلامية ، د . محمد البهي ص ١٥٠ وما بعدها دار الكتاب العربي بصرط ١٩٦٧

وكذلك : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٨ ومحاضرات في النصرانية ص ٤٤ نقلا عن كتاب المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية ، ليون جوتييه و قارن مع : الاسفار المقدسة د . وافي ص ١١٣

٢ - الموسوعة الفلسفية ، م . روزنتال . ي . يودين ص ٤١ ط ٢ ١٩٨٠

ذلك هي معالم العزج العجيب التي ظهر اثرها في الفكر الديني المسيحي والتي راح ضحيتها المجتمع المسيحي الذي نهشته حتى البدع وخيبت على جميع مرافقه وكبلته بعد أن هفت بالروح النقية التي دعا اليها المسيح عليه السلام .

لقد ظهرت هذه البدع في شتى أوجه الحياة ، وقد عبر ديورانت عن هذا الواقع المرير بأبلغ تعبير حينما قال :-

(فمدارسنا وجامعاتنا ، ومدارس التدريب الرياضي وملاعبه والمباريات الرياضية والاولمبية كل هذه ترجع اصولها الى بلاد اليونان ونظريته تحسين النسل وفكرة ضبط الشهوة الجنسية والسيطرة على الغرائز والعواطف وعبادة الصحة والحياة الطبيعية وذهب اشباع الحواس أكل اشباع كل هذه وجدت صيغتها التاريخية في بلاد اليونان وقد تغرغ الجزء الأكبر من الدين المسيحي والعبادات المسيحية ولفظا (*theology, christian*) نفسها لفظان يونانيان من الطقوس الخفية التي كانت منتشرة في بلاد اليونان ومن المراسم البيوزيتية والاورفية والابيزيسية ومن العقيدة اليونانية القائلة بموت الابن المقدس لتخليص الجنس البشري ثم بعثه من بين الموتى ومن الطقوس اليونانية والمواكب الدينية وحفلات التطهير والتضحية المقدسة والطعام العام المقدس ومن الآراء اليونانية عن الجحيم والشياطين والمظهر والمغفران والجنة ومن النظريات الرواقية والافلاطونية الجديدة عن الكلمة والخلق ونحن مدبنون بخرافاتنا نفسها لما كان لدى اليونان سن اغوال وساحرات ولعنات وتفاوض وتشاؤم وايام منحوسة (١) .

هذا الواقع المرير الذي حور العقيدة والهسها لباس الضلال والزيف يجعل المرء يهتد ما اقرب به جنبيير من ان (الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الايام) (٢) ويمكن اضافة مقولة اخرى ان مسيحي الشرق المتقيليين لم يوالى التغيير والانحراف هم أيضا لم يكونوا في يوم من الايام مؤمنين برسالة عيسى عليه السلام المنزلة من عند الله تبارك وتعالى بل هم ضحايا الفوضى والفساد والضلال الذي مارسه رجال الدين المسيحي ، رهبانا وفلاسفة وقد أتيحت لهم فرصة ذهبية لتعويض ما فاتهم من خير ونفع لهم يوم جاء الاسلام وهم رهوع الارض لاخراج الناس من الظلمات الى النور فابى اكثرهم الا كفورا .

١ - قصة الحضارة ٢٠٢/٨ - لاحظ ما كتبه د . أسد رستم عن تأثير المسيحيين باليونانيين خاصة فيما يتعلق بالرسوم والتصاوير وذلك في: حرب في الكنائس ، ص ٦٦ ، بيروت ١٩٦٢ .

٢ - المسيحية ، ص ٢٠٩ .

ثالثا : الجهة المستفيدة من الانحراف :
=====

بعد الحديث عن المعامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في انحراف القوم من رسالتهم ، تبقى مسألة الجهة المستفيدة من هذا الوضع والتي يرجع اليها الفضل في ابقاء باب الانحراف مشرطا ضمانا لمصالحها وتمييزاتها وورثتها الدينية التي درت عليها المنافع المادية والمعنوية .

لقد انعكست المنفعة الشخصية على طبقة رجال الدين المسيحي رهبانا ، ومطاركة ، وهابوات . ، وتمكن هؤلاء من اعتلاء الزمام الدينية لدى العامة استطاعوا ممارسة الطغيان الديني والسياسي والاجتماعي على اوسع نطاق . .

وقد ظل هذا الطغيان يتفاقم ويتطور الى ان اصبح كابوسا مزعجا يورق فكر البشر ويهدد امته واستقراره ، ويات بعمل يشقى الوسائل لقتل الروح العلمية المتوثبة لدى العلماء^(١) والمخترعين بصورة بشعة أدت الى كبت كل جديد وطمس كل حديث ، وظلت هذه الطبقات تحارب كل تغيير يفسح المجال للتقدم والرقى الحضارى ، وظلت أوامر الكنيسة في العصور الوسطى وقراراتها سيفًا مسلطا على رقاب العلماء ومقصلة لاهناق الفكر الحر .

لقد حاربت الكنيسة العلم ورجالها ووقفت منه موقفا معاديا وراحت باسم السلطة البابوية تدخل من تشاء في جناتها وتخرج من تشاء من رحمتها وتنزل اللعنات على من تشاء من معارضيها .

وكانت النتيجة الحتمية لهذا الابتزاز احتلال جيوب القسوس والرهبان بالمال الحرام وتكدس الذهب والفضة في خزائنهم .
والفضائح في ذلك كثيرة سوف نراها أثناء الحديث عن الطغيان الكنسي .

١ - يراجع في هذا الصدد كل من : موقف الاسلام والكنيسة من العلم ، عبد الله الشوخي ص ١٢١ وطبعها ، مكتبة المنار ، الاردن الزرقاء ط ١ ، ١٤٠٢ -
١٩٨٢ م - وكذلك : موقف الدين من العلم ، الاستاذ الشيخ محمد نمر الخطيب ص ٦ ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان . ط ١ ، ١٤٠٢ ، ١٩٨٢

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١)

وهكذا يختلف موقف الاسلام عن موقف المسيحية ازا* هذه القضية ، كما ان بعض الآثار تدل على أن المصلوب هو غير عيسى عليه السلام ، فمن ذلك ما رواه الامام ابن جرير عن ابن عباس قال :

لما أراد الله ان يرفع عيسى الى السما* خرج الى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عيين في البيت ، ورأسه يقطر ماء* . قال : ان منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد ان آمن بي . قال : ايكم يلقي عليه شبيبي فيقتل مكانسي ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من احد شهم سنا ، قال ، فقال : أنا . فقال له : اجلس ثم أظاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا ، قال : نعم أنت ذاك . قال : فلقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روضة في البيت الى السما* قال . : وجاء الطلب من اليهود واخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه وكفريه بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به . فتفرقوا ثلاث فرق .

فقال فرقة : كان الله فينا ماء* شاء* ثم صعد الى السما* ، وهو سؤلا* . والمعقوبة . وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ماء* شاء* ثم رفعه اليه . وهو سؤلا* . النسطورية . وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ماء* شاء* الله ثم رفعه الله اليه وهو سؤلا* المسلمون .

فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على المسلمة فقتلوهما فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة . يسعني الطائفة التي كفرت من بني اسرائيل في زمن عيسى . والطائفة التي آمنت في زمن عيسى . فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين في اظهار محمد دينهم على دين الكفار فاصبحوا ظاهرين (٢) .

كما ان انجيل برنابا يؤكد حقيقة تخليص الله تعالى لعيسى عليه السلام حيث يقول (ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع دنسا جمع غفير فلذلك انسحب الى البيت خائفا وكان الاحد عشر نيا ماء* فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه ان ياخذوا يسوع من العالم فجاءوا الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنبوب

١- ال عمران : ٥٥

٢ - رواه ابن جرير عن ابن السائب قال ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن الضهال بن جبير عن ابن عباس (. . .) جامع البيان في تفسير القرآن ٢٨ / ٦٠ لابن جرير الطبري ، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

فحطوه ووضعوه في السطاة الثالثة في صحبه الملائكة التي تسبح الله الى الأبد . (١)

وقد قام الاستاذ عبد العزيز منصور بإثبات حقيقة القا الشبه على شخصية أخرى غير عيسى عليه السلام ، وقد استخرج نصوص ادلته من كتب اهل الكتاب (٢).

كما قام الاستاذ احمد عبد الغفور طاريد دراسة مستفيضة ، اثبت خلالها تناقض الاناجيل في هذه القضية ، خاصة بين ط جا في انجيل متى ٢٧ : ٣-٥ . وبين لوقا في احوال الرسل ١ : ١٥-٢٠ حول صير يهوذا الاسخريوطي .

وقد أثبت بالدليل أن المسيح عليه السلام كان قادرا على التخفي من القوم والظهور في شكل غير شكله العادي مستشهدا ببعض نصوص الاناجيل المختلفة كما خرج بنتيجة خاطئة أنه لم يكن بالامكان القبض على المسيح عليه السلام مؤكداً ومستشهدا بانجيل يوحنا ١٨ : ٣-٦ من ان الجنود حينما جاؤوا للقبض عليه سقطوا على الارض ، وهذه قرينة على ان الله تبارك وتعالى قد أمدّه بقوة يعجز البشر عن الاساك به . (٣)

كما ان حادثة استجواب المقبوض عليه للمحاكمة الواردة في انجيل متى تلقي ظلالة من الشك على ط يدعيه النصارى ، اذ ان المتهم كان يجيب عن كل ما سئل بعبارة واحدة فيقول : (انت قلت) (٤) ولم يعترف باي تهمة وجهت اليه .

ومعجب المرشد المعجب من قوم يدعون " صلب الاله " تعالى عما يقولون ويغفلون عن حقيقة واضحة وهي ان وجوده طستولا وهملها يستلزم منه ان يكون طجزا عن حماية نفسه فضلا عن حماية غيره ، ثم كيف كان الكون يخلو من الاله مدبر طيلة هذه الفترة ؟ وحول هذا الادعاء يورد أحد الشعراء عليهم بقوله
أسمعت ان الاله بحاجة يتناول المشروب والمأكولا ؟
هناك من تعب ، ويدعو ربه هروء من حر الهجير مقيلا ؟

١ - انجيل برنابا ، ٢١٥ : ١-٨ ، تاسيف الله احمد فاضل ، دار القلم ط ١

١٣٩٢ هـ

٢ - دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام ، منصور عبد العزيز ، ط ٢ ،

١٩٧٢ م

٣ - البيانات والمعائد ٣/ ٥٥٢-٥٥٣ وكذلك ٤٤٠-٥٤١

٤ - راجع متى ٢٦ : ٦٣-٦٤ ولوقا ٢٢ : ٧٠

٥ - راجع اقانيم النصارى ٧٢-٧٣

٦ - منظومة الامام ابو بصير في الرد على النصارى واليهود ص ٧ مكتبة المدينة المنورة تبصر

وسمه الألم الذى لم يستطع
يا ليت شعري حين مات بزعمهم
هل كان هذا الكون دبر نفسه
من بعد . ؟ أم أثر التعطيل ؟
صرفا له عنه ولا تحملا
من كان بالتدبير عنه كفيلا ؟

وحادثة الصلب من وجهة أخرى تتعارض مع المنطق السليم والتفكير
القويم ، ولهذا كان لابد للسيحية من مخرج يبعد ها عن هذا الطأزق الخطر
فرأت أن تستعير من البيانات الوثنية عقيدة تسد هذه الثغمة ، فوجدت مبدأ
تضحية الاله بنفسه فداء للبشرية وخلصها وهو موجود لدى اليونان ومن قبلهم
الهند وس المصريين القدماء .

ولا تغيب عن بال أحد فكرة الخطيئة الأولى التي لها ايضا جذور وثنية
وقد وجد النصارى فيها
مادة خصبة لاثراء عقيدة الصلب وتبريرا لها وما ملا مهم لفكرة الخلاص والفداء .

ولهذا فان المصادر المسيحية تربط بين الصورة التي رسمها سفر التكوين^(١)
عن خطيئة آدم وزوجه وبين عطية الصلب المزعومة التي اوردتها اناجيل النصارى
ان سلمت الكنيسة بهذا العرض الاسطوري عن الخطيئة الأولى رغم الخرافات
والاضاليل التي صاحبها .

فالجنس البشري عرف الكنيسة يتحمل الخطيئة الأولى ويرثها الى مجيئ
المسيح المخلص حيث (كان العدل الكامل) كما يدعون (يستلزم تكفير ناقص
شرعي عن البشرية تكفيرا تاما يوازي الا هسانة ، هذا ما تحقق تماما بالتجسد
والفداء . (ان) جعل الله ابنه يتجسد وبهذا التجسد جعله رأس البشرية
ورأس جسم سري نحن (اى النصارى) اعضاءه فيحقق ان ان يعطى باسم
اعضائه ويكفر عنهم باسمهم ، فقد كفر عن خطايا البشر تكفيرا كاملا^(٢))

ويستشهد المسيحيون على هذه العقيدة بنص من انجيل يوحنا القائل :
(هكذا احب الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن
به بل تكون له الحياة الابدية)^(٣) -

١ - راجع في هذا الصدد سفر التكوين الاصحاح الثالث .

٢ - خلاصة التصوف المسيحي ادولف تانكرة . ت : يوسف فرج ١ : ٢٢-٢٣
المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٥٧ م

٣ - انجيل يوحنا ٣ : ١٦

وفي هذا يقول بولس ايضا : (كما أحبنا المسيح ايضا واسلم نفسه لاجلنا قربانا وذبيحة
لله رائحة مرضية) (١)

ويقول ايضا (وكل شي * تقريبا يتظهر حسب الناموس بالدم ويدون سفك
دم لا تحصل مغفرة) (٢)

بل تذهب تحليلات النصارى عن هذه العطية لتأخذ بعدا أكبر حيث
تصف هذا الفداء بأنه كان نتيجة لتشااور الثالوث الاقدس : فهم يقولون :
(ان الجميع كانوا في حاجة الى المعونة والفداء ، كما انه ليس في اماكن
ملك القيام بعمل كهذا يستلزم قوة غير محدودة فلم يبق الا ان يتم الفداء * الله
نفسه جل وعلا . فتقرر في مشورة الثالوث القدوس الكمية القداسة والفائقة طسسى
ادراك الملائكة انفسهم ان يقوم ابن الله نفسه بفداء الجنس البشرى) (٣)

ولقد استغلت الرهبانية هذه الناحية بالذات استغلالا كبيرا ، حينما
اعتبرت ان الانسان (يوجد روحيا في حالة السقم والضعف ، فهو شقي
جدا ومجرم أمام الله ووضعه سي * يبعث اليأس والقنوط وقد بلغ به اليأس انه لم
يعد له رغبة في طلب واسطة أو طى الأقل قبولها اذا قدمت له لكي يخرج من
حالته التعيسة) (٤)

وأول استغلال للرهبانية انطلق من هذا المفهوم ان قضى بضرورة الفرار
من غضب الله وعقابه وهذا لن يتأتى الا عن طريق الابتعاد عن كل ما يتعلق
بهذه الحياة وهجر الدنيا وما يقرب اليها والنظر الى السراة نظرة شك ورهبة
لانها السبب في خروج آدم من الجنة ومصدر الشرور والاثام ويتكلم ذلك كله
بالتبتل او الاخصاء وقهر الجسد .

ومن هنا الباب ، استطاعت الرهبانية المسيحية ان تخلق وتجنيد
اعداد هائلة من الرهبان والراهبات الذين انتشروا في الغياض والقفار بينسون
الاديرة والصوامع ويضعون الانظمة والقوانين الخاصة بهم .
وعند ما وجدت الرهبانية نفسها محروجة امام الاسئلة الموجهة اليها خاصة
فيما يتعلق بذنوب البشر واثامهم الانية والمستقبلية اضطرت الى اختراع قوانين

١ - افسس ٥ : ٢

٢ - عبرانيين ٩ : ٢٢

٣ - الخلاصة الشبيهة ٨٣-٨٤

٤ - المرجع السابق ص ٥٤

أو الاقرار امام الكاهن بجميع الذنوب .
وكان ذلك بابا لغرض مبدأ الوصاية على البشر ، وممارسة ابشع انسواع
الطفيان النفسي والمعنوي على الناس .

واذا* ذلك كان لابد من بيان موقف الاسلام من مبدأ الخطيئة الاولى .
فما قررت الكنيسة من انسحاب خطيئة آدم على ابنائه لتشمل افراد الجنس
البشرى كله يتوقع اصحاب هذه العقيدة في الشطط ويصمم بالافراط ، ان انهما
تعتبر محاولة سقيمة لا رهاب الناس من أمر بني على أساس هش واعتقاد واهم .
فآدم عليه السلام بعد المخالفة التي ارتكبها و زوجته رجع الى ربهم
وذلك أخذاً من قول الباري تعالى (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة
وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فآذاهما
الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في
الارض مستقر ومتاع الى حين فطلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو
التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعاً فإنا بآتينكم مني هدى فمن تبع هداى
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون) (١)

يتضح من الآية الكريمة فوالله تعالى ومغفرته لآدم ، وانحطار العذاب
على الكافرين والمكذبين وازاحة السخوف والحزن عن المهتدين بهدى الله تبارك
وتعالى .

واغفال نصوص العهد القديم لتوبة آدم فتح الباب امام الرهبانية
لاقرار هذه العقيدة ومن ثم قامت تتبنى ايجاد مخرج مخترع لمعضلة مفتعلة
لا صلة للدين القيم بايجادها وصنعها .

وعدل الله تعالى لا يقتضي تقديم بشر فدا* لاى معصية وانما يتم
تكفير الاثم بالتوبة النصوح والرجوع عن الذنب والاستغفار . ورحمة الله تعالى
واسعة يقول الحق تبارك وتعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم) (٢)

١ - البقرة : ٣٥-٣٩

٢ - الزمر : ٥٣

فهو يغفر كل شيء لمن يشاء ما هذا الكفر (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دونه ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد إفتري إثماً عظيماً) (١)

والله تعالى خلق الخلق ويعلم مكان نفوسهم وما تسخف صدورهم وما تكنه أفئدتهم ويعلم مدى ضعفهم وقوتهم وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة فقال تعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) (٢) .

والعزم في اللغة : توطين النفس على الفعل والتصميم عليه ، والمضي على المعتقد في أي شيء كان ، وقد كان آدم عليه السلام قد وطن نفسه على أن لا يأكل من الشجرة وصمم على ذلك فلما وسوس إليه ابليس لانت عريته وفتنة عزه وأدركه ضعف البشر (٣) .

واصرار الرهبانية على إلحاق التهمة بالبري ظلم وجور وتحكم في رقاب البشر فأى ذنب يلحق انساناً لم تكن له يد في إقرار أي جرم سبق وجوده على وجه البسيطة ؟ وما ذنب أولئك الأطفال الذين ولدوا على الفطرة دون إحداث ما يوجب العقوبة ؟

وما أقسى قلب " القديس أغسطين " حينما قرر أن الأطفال غير المعمدين يصيرهم أن يحرقوا في نار جهنم خالدين فيها ، وإلى وقت قريب لم يكن مسوحاً بدفن الأطفال غير المعمدين في المقابر المخصصة للكنائس المسيحية لأن الاعتقاد السائد أنهم قد ماتوا على الخطيئة الأولى (٤) .

وعدل الله تعالى بأبي أنزال الظلم بعباده (ففي الحديث القدسي عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن ربه أنه قال :) (٥) يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)

١ - النساء : ٤٨

٢ - طه : ١١٥

٣ - فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ٣ / ٣٨٩

٤ - الاسلام والمسيحية ، الفت عزيز الصد ص ٧٥

٥ - رواء الامام مسلم في باب تحريم الظلم ١٦ / ١٣١ - ١٣٢ وتطام الحديث

.. يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم

جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم طارٍ إلا من كسوته =

فتحرير الظلم بعداً عام يقرره الاسلام ويدرج تحته حكماً يتعلق بالمعصية
وعدم انسحابها على غير مرتكبها قال تعالى :

(أم لم ينأ بظ في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي ، ألا تزر وازرة كفراً)
أخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الا وفي)

ويتضح من الآية الكريمة ان هذا الحكم كان على عهد ابراهيم وموسى
عليهما السلام .

وعدم اعتراف النصارى بهذه الحقيقة معناه وجود تحريف اكيد في شريعتهم
لانهم يقولون بان عيسى عليه السلام لم يأت لنقض الناموس .

مع التأكيد على ان الرهبانية حينما اقرت بسعداً الخطيئة الاولى
وانسحابها على الجنس البشري لم تستند الى اساس شرعي يشير الى هذه العقيدة
من قريب او من بعيد .

= فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب
جميعاً فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا
نفعي فتنتفعوني ، يا عبادي لست بـ أولكم وآخركم وانسكم وكنتم كنوا على اتقى
قلب رجل واحد منكم ط زاد في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم
وكنتم كنوا على أفجر قلب رجل واحد ط نقص ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي لست
بـ أولكم وآخركم وانسكم وكنتم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان
مسأله ط نقص ذلك ط عندي إلا كما ينقص المحيط اذا دخل البحر ، يا عبادي
إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيتكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد
غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه) .

ثانيًا : الحلول

بسبب اختلاط النصوص الدينية المسيحية ، وحيرة النصاري في التعبير عما يعبدون ، فقد تداخلت مفاهيمهم عن الآقائهم الثلاثة تداخلا كبيرا ^(١) . قالاب والابن والروح القدس في عقيدتهم الله واحد على الرغم من اعتقادهم بان الاب اله والابن اله والروح القدس اله ^(٢) .

الا أن ط حرر من نصوص الاناجيل على عهد بولس ومن بعده ، وط ركز عليه انجيل يوحنا الموضوع لاغراض خبيثة فقد ادعى المسيحيون بان عيسى هو الاله وهو المخلص . فمن النصوص التي وردت على لسان بولس قوله :
(منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح) ^(٣)
وط جاء في انجيل يوحنا قوله : (انا والاب واحد) ^(٤) وكذلك (الذي رآني فقد رأى الاب) ^(٥)

ولا شك ان الالتباس الحاصل كان نتيجة هذه المفاهيم الخاطئة التي ادخلت على النصوص الدينية والتي يرجع سببها الرئيسي الى اعترافهم بعقيدة الحلول الوثنية التي اشاعها بولس بين تلاميذه مضاهاة للعقائد الهندية واليونانية القديمة . وقد حفلت تلك النصوص بهذه الآراء . فمن ذلك (فانه فيه يحل كل شيء اللاهوت جسديا) ^(٦) . وكقوله (الله ظهر في الجسد) ^(٧) وكذلك (ولهم الاباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الهامباركا الى الابد) ^(٨) .

ولهذا جاء دستور الايمان بعبارة (الذي جاء من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السموات وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس) ^(٩) .

وكما اشير في السابق فان الرهبانية قد ربطت هذا المبدأ بعقيدة أخرى وهي (الاشتراك في " العشاء الرباني " المأخوذ عن متى) وفيما هم يأكلون اخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لان هذا هو دم الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثير لمغفرة الخطايا) ^(١٠) .

- ١ - راجع في ذلك : اسطورة تجسد الاله ، عبد الصمد شرف الدين . ص ٤
- ٢ - راجع : قاموس الكتاب المقدس . ص ١٠٧ - ١٠٨
- ٣ - تيطس ١ : ٣ - ٤ - يوحنا ١٠ : ٣٠ - ٥ - ١٤ : ٩ يوحنا
- ٦ - كولوسي ١ : ٢ - ٧ - تيموثاوس الاول ٣ : ١٦ - ٨ - رومية ٩ : ٥ وكذلك راجع : يوحنا ١ : ١٠ - ١٤ ٩ - الخلاصة الشبهة ٦٥ - ٦٦ ١٠ - متى ٢٦ : ٢٦ - ٢٧

وفي انجيل يوحنا (انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحمي الى الابد والخبز الذي انا اعطي هو جسد يسى الذى أبذله من أجل حياة العالم .) (١)

من هذه النصوص ومن غيرها أصبح الاعتقاد سائدا في كل قداس يقام في الكنائس ان ما يقدم للحضور من خبز وخمر ان الاول جسد المسيح والثاني دمه حقيقة واصبح الرهبان المسيحيون يتغنون بهذه العقيدة فيقول أحد هم :

(ان الخبز والخمر يتحولان الى جسد الرب المولود من العذراء مريم والذى تألم وقام من بين الاموات منذ اتمام الاستحالة يكون الرب نفسه وبصورة كاملة ودائمة تحت شكلي الخبز والخمر وفي كل جزء منهط .) (٢)

ويقول في موضع آخر (ان الرب قد أكد لنا باننا سنأكله حقيقة ونشربه حقيقة وليس فقط بالرمز والخيال كما يدعى " البروتستانت . " وولس الرسول يثبت ذلك فسي :

١ كو ١١ : ٢٧ (فإى انسان أكل خبز الرب أو شرب كأسه بدون استحقاق فهو مجرم الى جسد الرب دمه) (٣)

١ - يوحنا ٦ : ٥١ وراجع كذلك يوحنا ٦ : ٥٤

٢ - العبادة المسيحية ص ٩٣

٣ - المصدر السابق ص ٩٢ وراجع في مجال الرد عليهم في هذا الموضوع بالذات ما كتبه " عبد الله الترجمان " في : " تحفة الاربب في الرد على اهل الصليب " ص ١٧٨ وما بعدها

ابطال عقيدة الحلول :

حاور العلما* المسلمون هذه العقيدة وابطلوها بأدلة وبراهين طيبة وعقلية واضحة . وقد تنسأولت في مجال الرد على عقيدة الحلول الهندوسية بعضنا من نصوص العلما* في هذا المصـدـر .^(١)

وجاءت ردود العلما* المسلمين على النصارى في هذه العقيدة اوسع وأشمل من حيث تفنيده وابطال المزاعم التي يدعونها .

فقد فند الامام الرازى في تفسيره كثيرا من هذه المزاعم . فمن ذلك قوله :

(وذكرنا للحلول تفسيرات ثلاثة :

(احدها) : كون الشي* في غيره - : ككون ماء* الورد في الورد . والدهن

في السسم . والنار في الفحم .

واعلم ان هذا باطل ، لان هذا انما يصح لو كان الله تعالى جسما وهم

وافقونا على انه ليس بجسم .

(وثانيها) : حصوله في الشي* على مثال حصول اللون في الجسم . فنقول :

المعقول من هذه التبعية حصول الله في ذلك الحيز تبعا لحصول محله فيه . وهذا ايضا

انما يعقل في حق الاجسام لا في حق الله تعالى .

(ثالثها) : حصوله في الشي* على مثال حصول الصفات الاضافية للذوات .

فنقول : هذا أيضا باطل لان المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو كان الله تعالى في

شي* بهذا المعنى لكان محتاجا . فكان ممكنا . فكان مفتقرا الى المؤثر . وذلك محال .

وانما ثبت انه لا يمكن تفسير هذا الحلـول بمعنى ملخص يمكن اثباته في حق الله ، امتنع

اثباته) .^(٢)

ومن ادلته ايضا قوله : (. . . والوجه الثالث : وهو انه - اما أن يقال بان

الاله هو هذا الشخص الجسـانـي الشاهد . أو يقال : حل الاله بـكـلـيته فيه . أو حل

بعض الاله وجزء منه فيه . والاقسام الثلاثة باطلة :

اما الاول : فلان الاله العالم لو كان هو ذلك الجسم . فحين قطعه

اليهود كان ذلك قولا بان اليهود قطعوا الاله العالم . فكيف بقي العالم بعد ذلك

من غير الاله . ثم ان أشد الناس ذلا ودناءة اليهود ، فالاله الذي تقطعه

اليهود الاله في غاية العجز .

١ - راجع ص ٥٥ من هذا البحث .

٢ - التفسير الكبير للامام الفخر الرازى : ٢١٠/٢١ وفيه ادلة أخرى فلتراجع .

وامسا الثاني : وهو ان الاله بكليته حل في هذا الجسم ، فهو ايضا فاسد . لان الاله لم يكن جسما ولا عرضا . فامتنع حلوله في الجسم وان كان جسما ، فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط اجزائه باجزاء ذلك الجسم . وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الاله .

وامسا الثالث : وهو انه حل فيه بعض من أبعاد الاله ، وجزء من اجزائه فذلك ايضا محال لأن ذلك الجزء إن كان معتبرا في الالهية . فعند انفصاله عن الاله وجب ان لا يبقى الاله إلهاً . وان لم يكن معتبرا في تحقق الالهية لم يكن جزء من الاله ، فثبت فساد هذه الاقسام . فكان قول النصارى باطلا (١) .

ويرد الامام الجويني على عقيدة الحلول بقوله :

(... ونقول لهم : اذا زعمتم أن الكلمة تتدرع بالسيح وفسرتموه بالحلول قيل لكم : العلم السمي كلمة ، هل يفارق الجوهر أم لا ؟ فان زعموا انه يفارقه ، لزمهم فيه أن يقولوا : لم يكن للجوهر أقنوم العلم لما كان العلم متدرعا بالسيح وهذا مما يابونه .

فان زعموا : أن أقنوم العلم لم يفارق الجوهر ، استحال مع ذلك حلوله في جسد السيح عيسى - عليه السلام - مع اختصاصه بالجوهر الاول . فانه يمتنع حلول

عرض في جسم مع بقاء ذلك العرض في جسم آخر . فاذا امتنع ذلك في العرض فلان يمتنع في ذلك - في الخاصة التي تنزله منزلة صفات النفس - أولى .

ولو جاز أن تتحد الكلمة بالسيح لجاز أن يتحد الجوهر بالناسوت . ولا فصل في ذلك . وقد منعوا اتحاد الجوهر بالناسوت (٢) .

امسا الامام ابن تيمية فقد رد على النصارى في عقيدة الحلول . من ذلك قوله :

(فان الحلول لا يعقل الا اذا كان الحال قائما بالسحل محتاجا اليه سواء أريد بذلك حلول الصفات والاعراض في النوصوفات والجواهر . أو أريد به حلول الاعيان . فان كون احد الجسمين محلا للاخر ، كحلول الماء في الظرف - هو - يوجب افتقاره اليه

واذا قالوا : ان الرب حل في السيح كما حل في غيره ، وهو الحلول الموجود في كلام داود عندهم ، حيث قالوا : " أنت تحل في قلوب القديسين " ، فقد عرف ان

١ - التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٩/٨

٢ - الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد للجويني ص ٤٩ مكتبة الخانجي ١٣٦٩ هـ

هذا الحلول: الايمان به ومعرفته وهداه ونوره والمثال العلمي . كما بسط في موضع آخر .
ولهذا يسمى ظهورا . والشعاع الحال على الارض والهوا* عرض قائم بذلك . وهو مفتقر
الى الارض والهوا* (١) .

ويرد الامام القرطبي على هذه الدعوى بقوله :

(واما من قال بالحلول . فليس له محصول . ولا معقول . لان حقيقة
الحلول انما هي : ان يحصل جسم أو متحيز في شي* . أو على شي* . فيسمى الحاصل
حالا . والمحصل فيه : يسمى محالا . وتسمى النسبة بينهما : حلولا . وهو الذي
يسميه النحوى صدرا . هذا هو المفهوم من حقيقة الحلول .

وقد يتوسع فيه فيقال : حل العرض في محله . ومعناه صار المحل متصفا
به وصار العرض قائما به وموجودا فيه .

فان أردت حقيقة الحلول كان محالا . فان العلم ليس بجسم ولا جوهر
على ما مر . وان أردت الثاني : فهو محال ايضا . لانه يلزم عليه مفارقة العلم الجوهر
ومقاوؤه جاهلا . ويقوم عرض واحد بمحلين . في زمان واحد . ويلزم عليه انتقال الصفة
من محل الى محل . وحدوثها الى انواع من المحالات . لا يبو* بها عاقل . ومنتحلها
احق جاهل

ثم نقول لسهم بعد ذلك في قولهم بالاختلاط ، وانها صارا شيئا واحدا
: لا يخلو ان حيث اختلطا - : اما ان يسبق العلم موجودا بحاله والجوهر موجودا
بحاله . أو ينعدم أحدهما أو ينعدم معا . محال ان يبقيا موجودين بحالهما مع
فرض الاختلاط وكونهما شيئا واحدا .

فان الواحد لا يعود اثنين الا باضافة غيره اليه . واذا أضيف غيره اليه
ارتفعت الوحدة بالضرورة على ما تقدم في التلخيص . وكذلك الاثنان لا يعودان واحدا
الا اذا انعدم أحدهما . فترتفع الاثنينية بالضرورة .

ومحال ان ينعدم . فانه يورث الى عدم القديم . والى عدم ما هو موجود
في حالة وجوده . فلم يبق الا أن ينعدم أحدهما دون الآخر . وذلك محال فان
الموجود لا يخالط المعدوم ولا يمازجه . بل يبقى الواحد واحدا . واذا بطلت هذه
الاقسام المنحصرة بطل الامتزاج والاختلاط وصير الاثنين واحدا على ما قاله

واما من قال : بأن الكلمة انقلبت لحما و د م . فلقد ارتكب حماقة والتزم عسسى يلزمه عليه جواز عكس مذهبه . وهو ان ينقلب اللحم والدم طما . والقديم حاد شاما والحادث قد يما الى غير ذلك من المحالات التي لا تصدر عن من شد اطرافا --- المعقولات . ولولا الحق والتقليدات ، لما وجد مثل هذا القوابح في كلام احد من المخلوقات (١) .

وتجدد الاشار الى ان هذه المقالة قد انتقلت الى الفرق المغالبية من الرافضة الحلولية . وغيرهم .

وقد رد الامام البغدادي على الذين تسربت اليهم هذه العقيدة بقوله : (...) . وقول الحلولية باطل . لانا قد دللنا على أن الاله ليس من جنس الجواهر والاعراض ولانه قد ثبت عندنا أنه حي بلا روح فيستحيل وصفه بانتقال روح منه الى غيره . ولو كان الصانع محدثا لافتقر الى محدث له . ولو كان محدثا ايضا محدثا لافتقر الى محدث ثالث . وهذا يتسلسل لا الى نهاية . وهو محال . وما ادعى الله محال فهو محال . وضح باستحالة ذلك ووجوب كون الصانع قديما (٢) .

وهكذا نجد في براهين العلماء المسلمين ما يكفي لابطال عقيدة الحلول التي يدعيها النصارى .

والناظر في نصوص أهل الكتاب يجد ما يشير الى مناقضة هذه الدعوى التي يلتزم بها النصارى .

ففي رسائل اعمال الرسل . جاء ما يلي :

ايها الرجال الاسرائيليون : اسمعوا هذه الاقوال ، يسوع الناصري رجل قد تهرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم ايضا تعلمون (٣) .

فهذا النص يثبت بوضوح شخصية عيسى عليه السلام البشرية وانه ليس بالله بل هو مؤيد بالمعجزات من الله تعالى . اما ادعاء المسيحيين بان الاله قد حل فيه فان ذلك لا سبيل الى صحته مطلقا بل هو بهتان .

١ - الاعلام بط في دين النصارى من الفساد والاهام . ص ١٣٠ - ١٣١ ط دار التراث العربي .

٢ - أصول الدين لابي منصور البغدادي ص ٧١ - ٧٢ ط ٢ ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ وهناك أدلة أخرى كثيرة جمع بعضها الزميل سعيد عقيل ونقل آراء العلماء حول هذا الموضوع اعتمادا على شرح المقاصد للفتازاني . وهاكاري الأفكار للادي . والتفسير الكبير للرازي . والشامل للجويني . انظر : رسائل اعمال الرسل واثرها في انحراف المسيحية ٢/ ٤٦٥ - ٤٧٤
٣ - رسائل اعمال الرسل ٢ : ٢٢

والقرآن الكريم يعرض شخصية المسيح بوضوح وهو كد على بشرته بجلاء
وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّا
صِدْقُهُ كَانَسًا يَتَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (١)

فهذا الافك هو الذي يعنى أبصار القائلين على الله ما لا يعلمون من
البهتان والافتراء وأنه حل بمريم مسمى ابن مريم .

وما جاء في الكتاب العزيز (قَالَ إِنِّي عِدَّةَ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْعَلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا . ذلك همس ابن مريم
قول الحق الذي فيه يحترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمرا فإنما
يقول له كن فيكون وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) (٢)

هذه كلها اشارات توضح بشرة عيسى عليه السلام وأنه يسرى عليه ما
يسرى على بقية البشر من احكام واعراض يشترك فيها مع غيره . ومن كانت هذه صفاته
فمن المستحيل حلول الله تعالى فيه او غيره . فهو تعالى منزّه عن الحد والحكان
أوالحيز . فليس الكمال المطلق .

١ - الطائفة : ٧٥

٢ - مريم : ٣٠-٣٦

٣ - التوبة : ٣٠

ثالثا : الاتحاد

يعبر عن هذه العقيدة بعبارة يردد ها المسيحيون فيقولون : اتحد

اللاهوت بالناسوت . اى : اتحاد الذات الالهية بمعى ابن مريم . اما المقصود

من هذا الاتحاد فهو يختلف باختلاف الفرق المسيحية المتعددة .

ولا بد من الاشارة الى ان هذه العقيدة قد أقرت في عام ٤٥١ م وذلك

حينما انعقد مجمع خلقيدونية (إن) أقرت الكنيسة تعسيفا للمعنى " الصحيح " لالوهية

المسيح . على انه من طبيعة الاب . وانه انسان بالمعنى الصحيح من نفس طبيعتنا

نحن البشر . وقد تقرر هذا الاتحاد بين الالهية والانسانية اتحادا لا لبس فيه

ولا تجزؤ ولا انقسام (١) كما يزعمون .

وتتلخص مذاهب الفرق المسيحية حول اتحاد اللاهوت بالناسوت وذلك

على الشكل التالي :

(٢)

قالت اليعقوبية : ان (الاتحاد) كان كاتحاد الط* يلقي في الخمر

فيصيران شيئا واحدا .

(٣)

وقالت النسطورية : كاتحاد الط* يلقي في الزيت فكل واحد منهما باق بحسبه

وقالت الطكية (٤) : كاتحاد النار في الصفيحة

١ - راجع في هذا الشأن : أسطورة تجسد الاله ص ٣

٢ - (هم اتباع يعقوب الهرادي ولقب بذلك لان لباسه كان من خرق برادع السد واب

(وهم يقولون) ان المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين " احداها " طبيعة الناسوت

والاخرى طبيعة اللاهوت . وان هاتين الطبيعتين تركبتا فصارا انسانا واحدا

وجوهرا واحدا (هداية الحيارى ص ٦٤١ وقد اطلق عليهم فيط بعد اسم (الارثوذكس)

انظر اقانيم النصارى ص ٦٧

٣ - (نسبة الى (نسطور) أونستور بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨ م . . (وقد ذهب

الى القول : بان مريم العذراء لم تلد الإلاه بل ولدت الانسان فقط . ثم اتحد ذلك الانسان

بعد ولاته بالاقنوم الثاني اتحادا مجازيا لان الإلاه وهبه المحبة والنعمة فصار بمنزلة

الابن . . . غير ان النسطوريين قد انحازوا في مصورهم الاخيرة الى الرأي القائل بامتزاج

اللاهوت في الناسوت . اى الى القول بالطبيعتين (الاسفار المقدسة د . وافي ص ١١)

٤ - (وهم الروم نسبة الى دين الطك لا الى رجل يدعى طكانيا . (يقولون) ان الابن

الازلي الذي هو الكلمة تجسدت من مريم تجسدا كاملا كسائر اجساد الناس . وانه صار

انسانا بالجسد والنفس اللذين هما من جوهر الناس . والها بجوهر اللاهوت كمثل ابيه

لم يزل . وهوانسان بجوهر الناس مثل ابراهيم وموسى وداود . . . وهو شخص واحد لم يزد

عده وطبيعتان ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة فله بلاهوته مشيئة مثل الاب . .

وله بناسوته مشيئة كشبيئة ابراهيم . . (هداية الحيارى ص ٦٤٠ وقد اطلق عليهم

يقول آخر :

(تركز العبادة الالهية بجميع أقسامها على التأمل في الصفات الالهية فمن حيث ان الله هو الخير الاظم الكلي الكمال . الذي هو أعلى من أن يقاس به شيء ينبغي ان يضطرم قلبنا بنار محبته الكلية الطهارة وان نبذل الجهد للاتحاد معه) (١)

ولقد سارت هذه العقيدة في عقول الرهبان والراهبات . ولكثرة ما رددتها ألسنتهم فقد ظن القائلون بها انها حقيقة واقعية . فها هي سانت تيريزا الافيلية تقول :

(عندما كنت على وشك ان أكتب هذا (لقد) اتصلت للفتوى . وكنت تحسنت تجربة هذه الصلاة حينها تلك الصلاة التي أكتب عنها الان . كنت أفكر فيما تعطه الروح أثناء ذلك . عندما قال الرب هذه الكلمات لى :

(انها تموت في نفسها كلية - ايبتها الابنة - لتثبت نفسها أكثر وأكثر معي . انها لم تعد تلك التي كانت تحيا ولكنها أنا . وكما انها لا تستطيع ان تعي ما تفهمه فانها وهي لا يفهم) (٢)

١ - الخلاصة الشهية . افلاطون موسكو ص ٤٤

٢ - التصوف طريقا وتجربا ومذهبا . د . محمد كمال ابراهيم جعفر ص ٢٩٥ .

دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠

* ابطال عقيدة الاتحاد

تعقب العلما المسلمون أقوال الفرق المسيحية حول هذه العقيدة وكشفوا عوارها وناقشوا اصحابها مناقشة طيبة رصينة .
وقد جاءت ربودهم العديدة متفقة فيما بينها - بصورة عامة - . وسوف استعرض نموذجا من هذه الادلة واهين اراء بقية العلما الاخرين في هذا الصدد .

بمعرض الاطام القرافي على القائلين بالاتحاد فيقول :

(والسؤال عليهم : (اى على اليعاقبة) ان حقيقة اللاهوت والناسوت ان بقيتا بعد الاتحاد على حالهما ، بطل قولهم صارتا طبيعة واحدة . وان تغيرتا عن حالهما فهذه حقيقة أخرى لا "لاهوت" ولا "ناسوت" فلا تصفوا المسيح - عليه السلام - بانه إله . ولا انسان .

ولزمهم ان القديم الاله صار محدثا . والمحدث صار قديما لضرورة اتحاد الحقيقة . وأن يصير الخالق مخلوقا . والمخلوق خالقا لضرورة اتحاد الحقيقة أو نقول : اللاهوت ، والناسوت إن بقي لكل واحد منهما خصوص ذاته فهما حقيقتان قطعا لا حقيقة واحدة . فلا اتحاد . وان ذهبت خصوصية كل واحد منهما عدما بالضرورة لان الخصوصية للذات من ألزم اللوازم . فاذا عدم اللازم عدم الطرزم . واذا عدمت الحقيقتان فلا اتحاد بالضرورة لان اتحاد الذاتين فرع وجودهما . والعدم نفي محض فلا اتحاد معه . فالاتحاد باطل جزما .

اما الرد على النسطورية : (فالسؤال عليهم ان : الطبيعتين ان كانتا في شخص واحد فذلك باطل . لان الطبيعتين لا تقومان في محل واحد وان كانتا في شخصين فذلك يكذبه الحس . فان عيسى عليه السلام كان شخصا واحدا . فيكون مذهبهم من قبيل السفسطة . ومخالف الضروريات . وكفى بذلك بطلانا) .

اما الطكية : (السؤال عليهم) ان نقول : قولكم الحقيقتان لم تتحدا . وانما حصل الاتحاد في الشخص . كلام غير معقول . فان الاتحاد ان اريد به الامتزاج فقد صارت الحقيقتان واحدة . وهو مذهب اليعاقبة . فعليككم ما عليهم . وان اريد ان الحقيقتين اجتمعتا في شكل واحد ، فهذا هو الحلول لا الاتحاد

وهو محال . فان العالم يلزم ان يكون اصغر من جماعة من اليهود . فانه كان في اليهود من هو اعظم هيكل من المسيح عليه السلام . وهو كان سياحا قليل الغدا^١ كثير الاسفار ومن هذا شأنه يكون ضئيل الجسم . والحال اهدا اصغر من المحل فيكون ذلك اليهودي العيل البدن اعظم من المسيح الذي هو اعظم من الله تعالى وهو لا يقوله عاقل (١)

هذا نموذج لحوار العلما^٢ المسلمين مع فرق النصارى المختلفة والقاطعة بالاتحاد .

أما ابطال هذه العقيدة بالصورة الاجالية فقد رد العلما^٣ على ذلك بادلة كثيرة . من ذلك :

أشار اليه الامام ابن تيمية حيث قال :

(قولهم) اتحدت الكلمة به اتحادا برها من اختلاط او تغيير واستحالة : كلام متناقض ايضا فان الاتحاد ان يصير الاثنان واحدا . فيقال قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهر والناسوت جوهر اخر .

وان شئت قلت : كان هذا شيئا وهذا شيئا . أو هذا هينا قائمة بنفسها وهذا هينا قائمة بنفسها . فبعد الاتحاد اما ان يكونا اثنين كما كانا . أو صار الاثنان واحدا .

فان كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد . بل هما متعددان كما كانا متعددين وان كانا قد صارا شيئا واحدا . فان كان هذا الواحد هو احدهما فلا خر قد عـدم وهذا عـدم لاحدهما لا اتحاد .

وان كان هذا الذي صار واحدا ليس هو احدهما فلا بد من تغييرهما واستحالتهم . والا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهم لم يكن هناك اتحاد .

فاذا قيل : اتحد اتحادا برها من اختلاط أو تغيير . أو استحالة . كان هذا كلاما متناقضا ينقض بعضه بعضا . فان هذا انما يكون مع التعدد والباينة لا مع الاتحاد .

يوضح ذلك : انه اذا اتحد الماء واللبن والماء والخمر ونحو ذلك كـان الحاصل من اتحادهما شيئا ثالثا ليس ماء محضا ولا لبنا محضا . بل هو نوع ثالث وكل من الماء واللبن قد استحال وتغير واختلط . واما اتحاد بدون ذلك فغير

١ - الاجوبة الفاخرة . للامام القرافي ص ١١٠ . وانظر في هذا الشأن ما اورد .

الامام ابن حزم في الفصل ٤٢/١ - ٤٣ وكذلك قارن بما اورد الامام الرازي في تفسيره

٢١٠/٢١ وكتاب تهيد الاوائل للباقلاني ص ١٠٧-١٠٨

معقول . ولهذا عظم اضطراب النصارى في هذا الموضوع وكثير اختلافهم وصار كل منهم يرد على الآخر ما يقوله . ويقول هو قولاً يكون مردوداً . فكانت اقوالهم كلها باطلة مردودة . ان كانوا اشتركوا في أصل فاسد يستلزم أحد أمور كلها باطلة . (١)

الاعلام القرطبي فقد ناقش النصارى من زاوية

اخرى فهو يقول :

(واما من قال : ان الاتحاد هو ظهور وفيض ومثله بانطباع الصورة في المرأة . فهذا المثال انما كان يصح لو كان العلم صورة محسوسة بالبصر ويكون جسد المسيح صقيلاً تنطبع فيه صورة المقابلات وكل ذلك معدوم في سألتننا بالضرورة فتخليه فاسد وباطل بالضرورة . فكما لا تتمثل ذات الحياة والادراكات في المرأة كذلك لا تتمثل الكلمة في جسد المسيح ثم ان جاز انطباع علم الله في جسد البشر فلم ينطبع في كل ما شبهه في الجسدية . . . واما التمثيل بنقش الخاتم يعمود منحرفاً في الشمع والمنحرف في الخاتم يعمود ناتئاً في الشمع فذلك لا يتصور الا في الاجسام .

وان جاز في غير الاجسام فيلزم ان يكون كل واحد منهما - اعني - اللاهوت والناسوت يؤثر في الآخر . ويحل فيه ، فيكون الناسوت حل في اللاهوت وذلك محال عند كل فريق .

والامر الثاني : ان النقش في الخاتم يوضع مقلوب الكلمات . ثم تنطبع مستقيمة في الشمع . ولو وضعت في الخاتم مستقيمة لانطبعت في الشمع منعكسة . فيلزم على ساق هذا المثال : ان تنطبع الكلمة في الناسوت . اما بالاستقامة او بالعكس فان انطبعت فيه بالاستقامة فأقوم الكلمة في الجوهر بالانعكاس .

وان انطبعت فيه بالانعكاس فلم تبقى الكلمة في الناسوت على حقيقتها في اللاهوت بل هي منعكسة فلا تبقى حقيقة العلم على ما كانت بل هي ليس بعلم وهذا كله ما يلزم على ارائهم الفاسدة وتحكماتهم الباردة . (٢)

١ - الجواب الصحيح لابن تيمية ٢/٢٦٧-٢٦٨ . وانظر ما اورد في الامام الجويني في : الارشاد ص ٤٨

٢ - الاعلام للامام القرطبي ص ١٣١-١٣٢ . وانظر بقية الادلة في : النصيحة الايطانية ص ١٣٥ . منحة القريب المجيب ص ١٣٤ . أصول الدين للرازي ص ٥٠ . والرد الجليل للغزالي ص ٢٦٨-٢٦٩

اما صورة الاتحاد المزعومة التي أحدثتها الرهبانية عن طريق الادعاء ان الاتحاد ينسحب ايضا على بقية البشر . فهذه المزاعم والتخيلات ان هي الا اضعاف احلام لا تمت الى واقع الحقيقة بصلة . بل هي اوهام يلقبها العقل الباطن على اولئك الذين أرهقوا انفسهم وارواحهم باعمال مجهدة للعقل والروح فتأتي هذه التخيلات وتلك الاوهام لتصور ما يدور في العقل الباطن على أنه حقيقة فتتخدع الحواس وتستسلم . لأنها في واقع امرها مرهقة ومتعبة كتعب اصحابها وسقمهم وخفة عقولهم .

ولقد تسربت هذه الاضاليل الى ما يسمى بالتصوف الفلسفي المزعوم في الاسلام . . . ووجدت متسعا عند اصحاب الأهواء والمصالح والنزعات فاعتنقوا هذا القول البارد وأظهروه في ثوب قشيب لا تبعثهم ومن يريد السير في طريقهم .

وكان غرض القساطين بالاتحاد هو : اسقاط التكاليف الشرعية عنهم وتجاوز الحدود طمعا بسمعة دينية أو منصب كهنوتي يد رطبهم اموالا طائلة او زطامة فارغة .

وتحت هذا الستار تصبح المحظورات في حقهم مباحة . وعلى غيرهم محرمة فضلا عن دعوى بلوغ السقامات المقدسة التي تتم عبر الاتحاد المزعوم والذي من شأنه - حسب اعتقادهم - ان يعفيهم من العبادات بحجة انشغالهم به . وهذا الاعتقاد كما اشرنا اليه من قبل هو مضاهاة للرهبان البراهمة فيها هو أحد هم يقول (في اللحظة التي تتجلى أو تنبعث فيها المعرفة في نفسي حيث أصبح متحدا مع براهما لا أكون مكلفا بعمل أو فريضة) (١) .

(وعند الغنوصيين عموما : التأمل في الكائن الاعلى يجعل الاعمال الظاهرة سواء . لا نتيجة لها . وهذا هو الاصل في رفض كل الامور الشرعية والنواميس الخلقية حتى الوصايا العشر تصبح محتقرة لان اتحاد الروح بالوحدانية العظمى ترفعه الى ما فوق الاشكال الدينية المحدودة) (٢) .

١ - العقيدة والشريعة في الاسلام : جولد زيهير ص ٣٥٤ ط ٢ - محمد يوسف موسى وآخرون . دار الكتب الحديثة بصر . ومكتبة المشى ببغداد .

٢ - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها . د . عرفان عبد الحميد فتاح . ص ١٨٠-١٨١

ويوضح من هذه الدعوى أنها مبنية على أساس قيام الحاد ث في (القديم
تعالى . وجمع للرب والمعبود في مرتبة واحدة . والفناء للبينونة المطلقة
التي أقامها القرآن الكريم بين عالم الربوبية وعالم الخلق .
وكل ذلك خرق لحدود الله تعالى وتجاوز على حرمانه وهتك لاستسار
التنزيه) . (١)

يقول الامام ابن تيمية في وصف هذه الحالات الشاذة والغريبة
على العقيدة الاسلامية .

(ولكن هذه الحال - حال الغيبة - تعترى كثيرا من السالكين . يغيب
احدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات . وقد يسمون هذا فنا اصطلا . وهذا
فناء عن شهود تلك المخلوقات . لا أنسها في نفسها فنيته . ومن هنا دخلت
طائفة في الاتحاد والحلول . فأحد هم يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله
ويستغرق في ذلك فلا يبقى مذكور مشهود لقلبه حتى يتوهم انه هو الله وان الوجود
هو الله) . (٢)

هذا الوهم وذاك الخيال هما من وحي العقائد الرهبانية
التي تسربت الى تلك الفرق المغالية . والناظر في حقيقة المفاهيم الاسلامية
وتعاليمها الصحيحة يدرك براءة الاسلام مما اتقى به زورا وبهتانا تعنت
ستار الزهد والعبادة .

فالعبادات الاسلامية كقيلة بايصال العباد الى ما يرضي الله
تعالى منهم دون اللجوء الى مبادى غريبة .

يقول الحق تبارك وتعالى :
(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . (٣)

١ - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص ١٨٠-١٨١

٢ - مجموعة الرسائل الكبرى للامام ابن تيمية ١٤٩/١ - ١٥٠ مكتبة انس بن مالك

١٤٠٠ هـ

٣ - الانعام : ١٥٣

الفصل الرابع :

أثر الانحراف العقدي على نظرة الرهبانية الى النفس البشرية والزواج والمرأة
والرد عليها .

لقد مر الحديث عن الاسس العقدية التي بنت الرهبانية عليها صرحها الفكري والعقلي والاخلاقي ، ومن الواجب القول ان هذا الصرح لم ينجز الا بعد اجيال متعاقبة تخللتها احداث ومنازعات وانقسامات كثيرة فرقت المسيحية الى فرق متعددة تتال كل واحدة من الأخرى للبقاء على عرش السلطة الكنسية .

ولقد استطاعت هذه العقائد الانحراف نحو منعطف خطير ظهر أثره على السلوك العقلي للحياة المسيحية ككل ، وعلى الرهبانية على وجه الخصوص إذ صبغت هذه الحياة بالسلبية والجفاء ، ودعتها إلى نبذ كل ما أباحه الله تعالى لعباده من الزينة والطيبات من الرزق ، .

كما تطور الأمر بـستكون مجتمعات رهبانية أفرزت أجيالا من الرهبان ، دعت بأعدادها موقف الكنيسة تجاه خصومها . ، حتى إذا ما تسنى الأمر لهؤلاء بتسليم مقاليد السلطة وارثين بذلك الإمبراطورية الرومانية ، وجدوا زخارف الدنيا قد أحطيت بهم ، فاغترفوا منها ما وسعهم ، فافترقوا وظلموا واستبدوا ، وتمت على أيديهم أبشع صور الطغيان الديني والدنيوي .

وقد رضي البابوات أن يمسثوا هذا الدور فكتبوا بذلك تاريخا حافلا بمداد أحمر نتيجة الجرائم البشعة التي ارتكبوها ، وسودوا صحائف أعمالهم بالمخالفات السيئة والمخالفات لتعاليم المسيح عليه السلام الصحيحة .

كما خرجوا - حتى - عن تعاليم رهبانيتهم المتدعة غروجا تجاوز كل الحدود .

وقد وضعت الرهبانية الأطر العامة لحياتها وسلوكها الخاص وفق الأسس العقدية التي تم تعريفها وتزييفها ، وقد سنت قوانينها الديرية وفق نظرات ثلاث :

أولا : النظرة الرهبانية الى الحياة والنفس البشرية

ثانيا : النظرة الرهبانية الى الزواج

ثالثا : النظرة الرهبانية الى المرأة .

وسوف اتناول كل واحدة على حدة مبينا أثر الانحراف فيها .

أولا : النظرة الرهبانية الى الحياة والنفس البشرية :

عند الكلام على عقيدتي الصليب والفداء ، ظهر بوضوح مدى الارتباط الشديد بينهما وبين فكرة الخطيئة الأولى ، وعليه فإن نظرة الرهبانية الى الحياة تأخذ شكلا يوافق هذا الأساس العقدي .

فما دامت الحياة في نظرهم مليئة بالشروع والآثام نتيجة الخطيئة الأولى التي أوحى بها سفر التكوين في الاصحاح الثالث . . . وما دامت مظاهرها الخادعة تعيق الوصول الى الغاية المنشودة : وهي الاتحاد بالمسيح . . . فينبغي إذًا الإبتعاد عنها والهروب منها ، اتقاء لشرها وتغاديًا لمواقبها الوخيمة ، وذلك تقربا من المسيح في السموات . . . !!!

وقد استغلت الرهبانية بعض النصوص الواردة في الاناجيل للدلالة على أن ما تختاره من سلوك انبسط هو تابع من اساس شرعي لا مربة فيه ، علما بان التحريف الذي تسرب اليه العقيدة المسيحية تابع من تلك الاناجيل المزعومة ، فمن ذلك ما جاء في متى : (حينئذ قال يسوع لتلاميذه إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني ، فان من أراد ان يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها لانه : ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه) (١) .

ومن قول پولس (فان كنتم قد قستم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله ، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض) (٢) .

وقول متى (وكل من ترك بيوتا أو اخوة أو اخوات أو أبًا أو أمًا أو امرأة أو أولادًا أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابدية) (٣) .

ومن قول لوقا : (٤)
(ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذا) .

وان اقسى نص جاء في هذا الصدد مما ورد في لوقا (ان كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذا) (٥) .

١ - متى ١٦ : ٢٤-٢٧

٢ - كولوسي ٣ : ١

٣ - متى ١٩ : ٢٩

٤ - لوقا ١٤ : ٢٧

٥ - لوقا ١٤ : ٢٦

واتباعا لما جاء في لوقا آنفساً فقد تفنن الرهبان في معاملة الأهل والأقارب حتى أقرب الناس إليهم ، فهذا اسحق السرياني أحد أبرز الرهبان المقتدى بهم يقول في نسكياته :

(خير لك ان تشرب سوطا من أن تأكل مع امرأة وان كانت أمك وأختك خير لك ان تسكن مع اثنين من أن تنام مع شاب حتى لو كان أخاك في الجسد) (١)

وهكذا تصبح الحياة في نظر الرهبان تمسكة ، وهكذا يجب التخلي عن كل ما يستأثر به الدنيا بصله ، وترك مشاكلها والانعزال عن الناس وقطع الصلة بالأقارب والأهل والإعتكاف واتخاذ حياة التبتل . تقول إحدى فقرات القوانين الديرية :

(ينبغي للمجاهد أن يستبعد عن كل امتلاء ولو من الخبز والماء وأن يجمع عقله في صلاته ليكمل قربانه الروحاني ويتذكر خطاياہ دائما ويحزن عليها وليكن كل ما يعمل ويقله من أجل مرضاة الله لا من أجل مجد الناس وأن يتفقد تدبيره دائما لكي لا تكون سكناه في البرية غير مذنب الرهينة فانه قد سكن البرية كثير من اللصوص وهي ماوى للوحوش والطيور الموزنية أما الراهب فإنه يسكنها هربا من سجن العالم الذي يشغله عن عبادة الله التامة) (٢)

هذه النظرة القاتمة للحياة نابعة من المنهج العام الذي يربط قلوب الرهبان بأسس لم تكن في يوم من الأيام من منهج عيسى عليه السلام ولا من جادى دعوته إذ كان عليه السلام يحارب الإنغراس في الطلح والشهوات التي وقع فيها بنو اسرائيل وعادى فيهم قسوة قلوبهم المتحجرة ، فاستكت كلماته بالروحانية فكانت أدعى الى لين القلوب وترقيقها ، لا لكبتها وتزويقها .

أما المنهج الذي ارتضته الرهبانية لنفسها فقد بنته على قاعدة تصوّر سواد الدنيا في حين ناظرها ما أدى الى انعكاس هذا السواد على جميع شاعر الرهبان وسلوكهم وفكرهم وحصرها في هذه الدائرة الضيقة ، وكان الأجدر بها التوسط لا الغلو .

ولا شك أن هذا الغلو قد نتج عنه عواقب وخيمة أقلها ضعف وهزال بنية

١ - كتاب " نسكيات " لاسحق السرياني ص ٤٣

٢ - يستاني الرهبان ، لآباء الكنيسة القبطية ص ١٢٩ ، الطبعة الثانية

تتقيق : لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف والبهنسا ، مصر

القائمين على مبادئ الرهينة . ما يؤدى في نهاية المطاف الى افاقة كل تقدم بناه في ركب الحضارة والرقى .

وهذا ما حصل بالفعل في أوروبا العصور الوسطى . ومن أجل ذلك قامت الثورات فيما بعد ضد الكنيسة ضاربة بالاصلاح كسرا لهذا الجمود والفساد .

كما ان هذه النظرة تؤدى الى احداث خلل في بنية المجتمع ككل . مما يجعله والحالة هذه في شلل تام فضلا عن تفكك عرى العلاقات بين افراد الامة . لان دعوى الانعزال عن الناس فيها حجب العنصر الايجابى المعطاء في النفس البشرية وايقاف الوظيفة التي خلقت من اجلها . الا وهي عطاء الارض . وتعطيل هذا المسدأ يؤدى الى حرمان المجتمع من ثروة التعاون والتراحم والتآخي الذى وهبه الله تعالى لبني البشر .

كما ان الركود يزيد من مشاكل الحياة وهومها ويلغى بالحزن والكآبة وسوف يظهر ذلك بوضوح في الفصول القادمة ان شاء الله تعالى .

وعلى العكس من ذلك : نرى الاسلام يضع تصوره للكون والحياة وفق منهج متوازن متكامل يتسم بالحكمة والدقة المتناهية في جميع المجالات . ليعطى الانسان دفعة قوية تمكنه من الجمع بين خيرى الدنيا والاخرة وذلك وفق تعاليم ربانية ثابتة لا خلل فيها . فلا افراط ولا تفريط .

فهو يعلمنا (أن الروح لا تسوء عن طريق سحق الجسد ، وان الغرائز الانسانية ليست مفسدة على الشر ، فلا يجب وأد ها . وانما يجب السيطرة عليها بحكمة وضبط سارها وتوظيفها في الاغراض التي تجعل حياة المرء ثرية فاضلة . و (أن) هذا العالم لم يخلق سدى (ان) ان له مغزى وهى فائدة . ويجب على الانسان ان يحيا حياة طبيعية طبيعية في هذا العالم وان يقدر أنعم الله ويستمتع بها اثناء الله . وكذلك يقترب اليه ويعمل لخدمة أقرانه وبعد نفسه للاخرة) (١)

والاسلام يحض على الاعتدال في كل الامور ويدعو الى التوسط في كل شئ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (٢)

١ - الاسلام والسياسة : ألفت عزيز الصمد ص ١٠٨-١٠٩

٢ - البقرة : ١٤٣

وقد عالج الاسلام وظائف الانسان العامة في هذه الحياة بحكمة ودراسة كما عمل على تربية الروح والعقل والجسد وحدد وظائف كل طاقة منها . وأعطى الجرعات المناسبة لغذائها ونشاطها . (١)

ومن النفحات الطيبة التي يَشيعها الاسلام في النفس البشرية ما جاء في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ السَّعْتِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) (٢)

ويقول تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) . (٣)

ويقول ايضا (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) . (٤)

بهذه الروح المنفتحة التي يَشيعها الاسلام في ربوع أهله تصبح الحياة في نظر المؤمنين زاخرة طامرة بكل ما يفيد الانسان دينيا ودنيا وآخره . .

اما دعوى الانعزال بحجة عدم الانشغال بالدنيا فحجة قاصرة . وهي نظرة الى الحياة بعين واحدة . وما على اولئك الغافلين الا ان يحاولوا ازالة الغشاوة عن الاخرى ليسروا الحياة على حقيقتها كما يعيشها المسلمون العاطسون المخلصون لربهم .

١ - راجع في هذا الصدد : منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب . ١٩/١ وذلك للموقف على خصائص المنهج الاسلامي في تربية الروح والعقل والجسد .

٢ - الطائفة : ٨٧-٨٨

٣ - الاعراف : ٣٢ ٤ - الاسراء : ٢٠

- ثانيا : نظرة الرهبانية الى الزواج :

انطلاقا من المفهوم السابق عن الحياة والنفس البشرية ، فقد التفت الكنيسة من الاناجيل خصوصا تفضل العزوبة على الزواج ، ، فتركت هذه الوظيفة السامة تركا كليا تفرقا لعمل القلب وعدم انشغاله عن المسيح كما يدعي الرهبان .
وربط كانت نصوص العهد القديم الداعية الى الزواج والتكاثر والانجاب أدعى لحيرة عقول المسيحيين على اعتبار أن تاريخ اليهود وتعاليمهم هي جذور للتاريخ المسيحي وتعاليمه .

فمن نصوص العهد القديم ما جاء في سفر التكوين قوله :
(فخلق الله الانسان على صورته وعلى صورة الله خلقه ذكرا وانثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض)^(١) .

وقوله (وقال الرب الاله ليس جيدا أن يكون آدم وحده فاصنع له معينا نظيره)^(٢) .

ولن يتعرض البحث لقصص العهد القديم وما حفل به من أخبار زواج بني اسرائيل وانبيائهم وتناسلهم عبر التاريخ فهي أكثر من أن تحصى .
ولقد تناسى المسيحيون هذه القضايا في زحمة النصوص التي تصيد لها اصحاب البدع للنيل من التعاليم الحقبة التي امر بها المسيح كما تناست الكنيسة حدث المسيح على الزواج وأنه قد حضر عرسا في قرية قانا^(٣) . وأن حضوره هذا دليل على اعترافه بالزواج والا فإنه مخالف لما أمر به وهو تناقض واضح .
الا أن العامل الحاسم في اقرار المسيحيين للتبطل يعود الى البذور القوية التي وضعها بولس في رسائله ، فالناظر فيها وتحديدًا في رسالته الى أهمل كورنثوس الاولى يقول (وأما من جهة الأمور التي كتبتكم لي عنها فحسن للرجل ان لا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا يمكن لكل واحد امراته وليكن لكل واحد أرجلها

وفي موضع آخر يقول :

(ولكن أقول لغير المتزوجين وللازواج انه حسن لهم اذا لبثوا كما اننا

١ - سفر التكوين ١ : ٢٧ - ٢٨

٢ - سفر التكوين ٢ : ١٨

٣ - راجع انجيل يوحنا ١ : ٢ وما بعده ، وقانا هذه في الجليل تبعد عن الناصرة ١٣ كيلومترا ، راجع في ذلك سيرة المسيح وتعاليمه ، دنيس كلارك ص ٤٩ وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٩

ولكن ان لم يضبطوا انفسهم فليتزوجوا لان التزوج أصلح من التحرق . وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها وان فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصلح رجلها ولا يترك الرجل امرأته .

أما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه السرب أن يكون أميناً ، فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للانسان أن يكون هكذا :

أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال ، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة لكنك ان تزوجت لم تخطئ* وأن تزوجت العذراء* لم تخطئ* ولكن مثل هؤلاء* يكون لهم ضيق في الجسد وأما أنا فإني أشفق عليكم فأقول هذا أيها الاخوة الوقت منذ الآن مقصر لكي يكون الذى لهم نساء* كأن ليس لهم ، والذين ييكون كأنهم لا ييكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشتررون كأنهم لا يملكون والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول .

فأريد أن تكونوا بلا هم غير المتزوج يهتم في ما للرب ، كيف يرضي السرب وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي اسسراته .

ان بين الزوجة والعذراء* فرقا . غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكنون مقدسة جسداً وروحاً وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها (!)

هذا النص المضطرب والمخل ، يجعل القارىء في حيرة من أمر بولس ففي بدايته يقرر أن من الحسن الالتزام بالتبطل ويدعو المسيحيين أن يكونوا مثله دون زواج وفي وسط النص يستدح الزواج ويقر بأنه خير من التحرق . وصحيح أنه فصل الحالات المختلفة وأعطى نصائح الخاصة إزاءها إلا أن التردد بشأن الزواج وعدمه بدا واضحاً على دعوته .

وقد حلل د . شعلان نفسية بولس بعد دراسة مستفيضة حول تردده وما اعتراه من اضطراب في هذا النص وخرج بنتيجة مفادها ان بولس (دخل في المسيحية لغاية محددة ويفكر معين يريد تنفيذ تلك الغاية لكن بذلك* وحيلة ، انه لا يريد ان تكون معارضة لما استقر في أذهان الناس من قول المسيح بشأن الزواج معارضة صريحة وقاطعة بل يريد أن يكون متفقاً في بعض الاحيان غير متفق في أحيان كثيرة أخرى حتى لا يتهم بأنه مبطل لشريعة المسيح . . . ومهما يكن من أمر فان دعوة

بولس هذه بجانب طلب المسيح من أحد أتباعه أن يبيع أملاكه ويتخلص من كل شي*
ويجيب* فيتبعه هذه الدعوة كانت فيما بعد-الاساس الأول الذي اعتد عليه معتنقو
فكرة الرهبنة (١).

الا أن الأثر الذي أحدثته دعوة بولس كان لها انعكاس على سائر رجال
الكنيسة فيما بعد ، فها هو ترتوليان وهو من كبار رجال الكنيسة المسيحية (١٦٠-
٢٤٠) م يطلق دعوة بولس ويشرح ما رمى اليه من التبتل في نصيحته فيقول :
(ان الأفضل من حالتين لا يلزم ان يكون خيرا في ذاته ، فلان يفقد
الانسان حيناً واحدة أفضل من أن يفقد كلتي عنيه . ولكن فقد عين واحدة ليس
من الخير في شي* فكذلك الزواج : فهو : لمن لم يقو على العفة أفضل من ان يحرق
بنار جهنم ولكن الخير أن يتقى الانسان الأمرين معا : فلا يتزوج ولا يعرض نفسه
لعذاب النار وان قصارى ما يحققه الزواج انه يعصم الفرد من الخطيئة على حين
ان التبتل يروض المرء على اعمال القديسين وبذلك له السبيل الى منزلة الاشراق
ويتيح له أن يأتي بالمعجزات) (٢).

ومع مرور الوقت بات من الضروري بالنسبة للكنيسة وضع ترتيبات معينة
لتنظيم أمور القسس والرهبان ففي القرون الثلاثة الأولى لم يكن يطلب الى القسس
ان يظل عزبا (ان) كان في مقدوره ان يحتفظ بزوجه اذا كان قد تزوج بها قبل
رسامته ،

ولكنه لم يكن يجوز له أن يتزوج بعد أن يلبس الشياح الكهنوتية
ولم يكن (كذلك) يجوز لرجل تزوج باثنتين أو بأربعة أو طلق زوجته
أو اتخذ له خليفة أن يصبح قسيسا (٣)

الا ان العكوف على نصوص بولس أدت ببعضهم الى استنتاج أن (كل
اتصال بين الجنسين خطيئة ، ولذلك كانوا يعارضون في الزواج بوجه عام ، وتهتك
سامعهم من الهلع اذا سمعوا ان قسا تزوج وقد اطن مجلس جنجرا (Gengra)
الديني (حوالي ٣٦٢) ان هذه الاراء لا تتفق مع الدين ولكن الكنيسة مع ذلك
ظلت تطالب قساوستها وتلح عليهم الحاحا متزايدا أن يظلوا بلا زواج (٤)

١ - نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام . د . محمود عبد المسيح الشعلان

١ : ١٧٢ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م

٢ - كتاب : بحوث في الاسلام والاجتماع . علي عبد الواحد وافي ص ٢٧١

ومقاله عن موقف اليهودية والمسيحية والاسلام من العزوبة في مجلة الازهر

عدد محرم ١٣٧٩ هـ .

٣ - قصة الحضارة ٤ / ١ : ٩٣-٩٤

٤ - المصدر السابق .

وطى الرغم من مراقبة الكنيسة لرجالها فان هذه القيود لم تنسح
من انتشار الزنا والفاحشة بين رجال الكهنوت الذين أمكن لهم استغلال النصوص
لمصلحتهم وقد أدى ذلك إلى انحطاط مكانة القس في أعين الشعب ، ولهذا
فان مجمعا مقدسا عقد في عام ٣٨٦ م أشار على رجال الدين بالعفة المطلقة
وبعد عام من ذلك الوقت أمر البابا سيرسيوس (*Siricius*) بتجريد
كل قس يتزوج أو يبقى مع زوجته التي تزوج بها من قبل وأيد جيروم واجوز واوغسطين
هذا المرسوم بقواتهم الثلاثة (١).

ومنا عليه فان الكثير من فقهاء الكنيسة المسيحية ينظر الى (هذه الحقائق
على أنها من الأمور السلبية في الدين بالضرورة أي التي لا يجوز إنكارها ولا الشك
فيها حتى أن مجمع (ميولانس *Mediolanense*) المسيحي قد حكم في
أواخر القرن الرابع الميلادى على الراهب " جوفينيان *Jo Vemien*) " بالطرد
من الكنيسة لأنه طارض الهدأ المسيحي الذى يقرر أن التبطل خير من الزواج (٢)
وتجدر الإشارة إلى أن فرقة (المارسيونيين *Marcionites*) وهي
فرقة مسيحية اعتنقت مذهب مرسيون (ذهب) الى ما هو أبعد من ذلك فحرمت
الزواج تحريماً باتاً على جميع افراد نحلته كما فعلت فرقة الحسيديين من
اليهود (الاسينيين) وأوجبت على كل متزوج يرغب في اعتناق مذهبها من الذكور
والاناث أن يفترق عن زوجه وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده .
ومع أن الفرق المسيحية الباقية الى عصرنا الحاضر لم تأخذ بهذا المذهب
فان نظرة المسيحية الى التبطل على أنه الحالة المثلى والى الزواج على أنه مجرد
ضرورة قد أدت بالتدريج الى نظام العزوة المفروض على الرهبان وطى القسيسين
في المذهب الكاثوليكي (٣).

الا أن هذا المذهب والجزر وعدم الاستقرار على قانون قاطع أرغم القائلين
بعدم زواج الرهبان إلى عقد مجمع لهذا الغرض ، ففي (أوائل القرن الرابع
الميلادى أصدر مجمع الفيرا *Elvira*) في اسبانيا قراراً بتحريم الزواج والابتعاد
عن كل شهوات الجسد على كبار رجال الكنيسة .
وفي أواخر القرن الحادى عشر أصدر البابا جريجوار السابع أمراً بوجوب

١ - قصة الحضارة ١/ ٤ : ٩٤ ، وكان سيريسوس هذا أول من وضع قانوناً بوجوب
العزوة فيما بعد انظر : الزواج ، هر رضا كماله ١ : ٣٧ مؤسسة الرسالة ط ٣

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤

٢ - الاسفار المقدسة د . وافي ص ٨٤ ٣ - موقف اليهودية والمسيحية والاسلام
من العزوة ص ٣٣-٣٤

المعزوبة ، على جميع القساوسة والرهبان كبارهم وصغارهم حتى لا تتدنس صفاتهم الكهنوتية بالاتصال الجنسي ، ومع أن هذا القرار قد لاقى في مبدأ الأمر معارضة شديدة في كثير من المناطق المسيحية ، فإنه لم يكد ينتهي القرن الثالث عشر الميلادي حتى كان نظاماً (١) مقرراً في الكنيسة الكاثوليكية ومطبقاً على جميع القساوسة والرهبان والراهبات من النساء (٢) .

وقد أسفرت هذه القرارات عن اضرار جسيمة ، وخلل عميق في مفهوم المسيحيين للزواج وأهدافه . فالتحلل الخلقي والفساد الاجتماعي الذي وقع فيه القسوس والرهبان كان في جانب كبير منه يرجع الى عدم السماح لهم بالزواج وهذا ما دأب مارتن لوتر زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي الى الثورة على الكنيسة (وكان لوتر قد نذر نفسه لله ولمن يتزوج . ولم يكف بأنه طاف فتزوج ، بل تزوج راهبة كانت ناذرة نفسها لله مثله) (٣) .

وكان اسم هذه الراهبة كاترينا وقد قال لوتر في ذلك (قد عزمت على رغم اعدائي ان أتزوج راهبة ليعلموا أنهم لم يغلبوني) (٤) .

وقد وجهت انتقادات كثيرة الى قرارات حظر الزواج على الرهبان خاصة في الغرب ، كذلك الامر بالنسبة للشرق .

اذ تلاشت قرارات البابا سريسيوس جيلاً بعد جيل فكانت حياتها قصيرة الاجل . اما ما جاء بعده من قرارات فقد تبنت البروتستانتيه مقاومتها (٥) .

يقول أفلاطون مطران موسكو : ان الكنيسة الارثوذكسية لا تفرض المتولية على المزمع على الكهنوت (ف المتولية مباحة متى كانت عن رضى واختيار لا عن الزام واجبار وهذا هو المراد بقول يسوع المسيح (انه يوجد خصيان خصوا انفسهم لاجل ملكوت السموات) متى ١٩ : ١٢ ، لذلك كان فرض عدم الزواج على الكليروس مخالفاً لقوانين الكنيسة وطاداتها كما هو مضاف للطبيعة الانسانية) (٦) .

هذا الاعتراف شاهد على العنت والمعاناة التي شهد لها المجتمع المسيحي من جراء القيود المفروضة عليه والتي انعكست آثارها السلبية على افراد ، ليس فقط على الرهبان وحدهم بل على الافراد العاديين وقد رسم الاستاذ محمد قطب بعضاً من هذه المعاناة التي يعيشها المسيحي العادي في مجتمعه وفق الصورة التالية :

- ١ - موقف اليهودية والمسيحية والاسلام من المعزوبة ص ٣٠٤
- ٢ - محاضرات في النصرانية لابي زهرة ص ٢١٦ - ٩ : نفاق اليهود ، مارتن لوتر . ت : عجاج نويهض ص ٤٤ . دار الفكر : ط ١ ، ١٣٩٤ هـ - ٣٠ - تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر ، للعلامة " ميرل دوينيه " . ت : ابراهيم الحوراني ص ٤٧٦ ، منشورات مكتبة الشعل ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م .
- ٤ - قصة الحضارة ٤/١ : ٩٤
- وقد أدان لوتر المعزوبة وألف كتاباً عن ابطال الرهبانية ، راجع : تاريخ الإصلاح ص ٣٦٩ و ٢١٠
- ٥ - الخلاصة الشبهية ص ١٣٩

(ولكن بقية الشعب المسيحي يتزوج على أي حال ، ولا يأخذ نفسه
بالرهينة ولا نقطاع عن شهوات الحياة ، فهل تنتهي المشكلة عند هم بالزواج ؟
كلا إن الصبي الذي ينشأ في جو العقيدة المسيحية ، ينشأ وفي نفسه عقيدة
تستنكر الجنس وتستقذره وذلك من وحي الاشعاعات الدينية التي يلقيها اليه
رجال الدين والكتب المقدسة ويطلقها من أبيه ومن مدرسه ومن كتب النصائح
والتحذيرات فإذا كبر هذا الصبي ووصل الى سن المراهقة فالبلوغ ، فهناك الأزمة
العنيفة التي يصطدم بها على غير انتظار . هناك الدفعة الجارفة التي
تنادي به أنا الليل وأطراف النهار : أن أقبل واستجب ، واستمتع بتلك اللذة
المعارة التي تنبت في أطوار جسدك ، وفي الجانب الآخر ذلك السيف الحليست
أو ذلك السوط المرتفع في الفضاء يهدد تهديداً لا ينقطع ويكاد يهوى على ظهر
ذلك المراهق المسكين بل هو يهوى على طيه فعلا بين الحين والحين تسكبه
يد خفيه لا تبين ، يتخيل أنسها يد الله أو يد القسيس أو يد الوالد أو المدرس
أو من يكون من صور الرادعين والزاجرين عند ذلك يبدأ الصراع ثم لا يكف ابداً .
فدفعة الجسد متجددة لا تنقطع وأبحاث الدين التي تصور الجنس
ونساء وقذارة تلك الأبحاث التي ترسبت في نفس الفتى وهو طفل صغير تظل
هي الأخرى متجددة لا تنقطع ومن هذا الصراع تنشأ كما أسلفنا العقد النفسية
والاضطرابات العصبية التي تترك أثرا لا يمحوه بعد ذلك أن يتزوج هذا الفتى أو
الفتاة في قبال الأيام بل أثبت الطب والتحليل النفسي أن كثيرا من أسباب الشقاء
الزوجي يرجع أصله الى عقد الصبا والمراهقة وأن الزواج لم يحلها بل كبرها كما
يكبر السجهر النقطة الصغيرة . (١)

هذه هي الصورة المزرية التي يعيش في كنفها الانسان العادي في الوسط
المسيحي ، فكيف يعيش الرهبان ، ؟ لا شك أن التعاسة والكآبة تأخذ حيزا
كبيرا وأضخم ما تأخذ من أي إنسان آخر .
ولن أتعرض الآن للصورة المشرقة التي يشيعها الاسلام في ربوع أهل
فذاك سيكون الحديث عنه بعد استعراض موقف الرهبانية ونظرتها الى المرأة .
كي تستكمل الصورة التي يراها الرهبان بالنسبة للنساء .

١- الانسان بين الطادية والاسلام ، محمد قطب ،

ثالثا : نظرة الرهبانية الى المرأة

الدعوة المحبوبة التي أطلقها بولس شئت بها أفكسار المسيحيين ، ،
وانعكست سلبا على أوضاع الرهبان والمسيحيين أجمعين ، إذ أضحى الزواج
في عرفهم بوابة للمعصية ومفتاحا للدنس والخطيئة .

وتبعاً لذلك انعكس الوضع على موقف رجال الكهنوت من المرأة ، التي
راحت ضحية لتعاليم بولس ومن لف لفه .

لقد صب بولس جام غضبه على المرأة ، مطحدا برجال الكهنوت التي أخذ
كلامه بشي* من التقديس والإحترام ، فهو يقول بشأنها :

(ولكنني أخاف انه كما خدعت الحية حواء* بحرها هكذا تفسد اذها نكم
(١)

عن البساطة التي في المسيح) (ولكن لست أذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بسبل
وقوله أيضا)

تكون في سكوت لان آدم جبل أولا ثم حواء* وآدم لم يهجو ولكن المرأة أقيمت فحصلت
(٢)
في التعدي) .

فاصرار بولس على ترديد تهمة الخطيئة كانت سببا رئيسيا لاعلاء شأن
البتولية على الزواج في الشريعة المسيحية . (٣)

هذا ما تفتقت عنه قريحة بولس وهذا ما بشر به من تعاليم ضد المرأة
فقد حطها إثم الغواية. وألحق بها جرم التعدي ولهذا نراه فيط بعد يتخذ قرارات
بشأنها تلزمها بالصمت والخضوع ومن ذلك قوله (لتصمت نساؤكم في الكنائس لانه
ليس ما نونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا ولكن أن كن يردن
أن يتعلمن شيئا فليسألن رجالهن في البيت لانه قبيح بالنساء أن تتكلم في الكنيسة (٤)

وقوله في موضع آخر (أيها النساء* اخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل
هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد ولكن كما تخضع
الكنيسة للمسيح كذلك النساء* لرجالهن في كل شي* ، أيها الرجال احبوا نساءكم
كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لاجلها . . .) (٥)

١ - رسالة بولس الى أهل كورنثوس ١١ : ٣

٢ - ١ تيموثاوس ٢ : ١٢-١٤

٣ - انظر : نظام الزواج في اليهودية والمسيحية د . محمد شكرى سرور ص ٦٦ ، دار
الفكر العربي بمصر ط ١٩٧٩-٧٨م وقارن مع : الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية ص ٢٠٤

٤ - ١ كورنثوس ١٤ : ٣٤-٣٥ هـ - افسس ٥ : ٢٢-٢٥

ولكن ماذا ينفع الحب في هذه الحالة بعد أن وصمها بالفجائية وقبول الخداع ، ولماذا ينفع الحب بعد أن وجه اليها تهمة التعدى . وكيف ستكون نظرة الرجل اليها بعد زعزعة الثقة بها .

ولا أدل على ذلك من موقف رجال الكنيسة الذين تتبعوا خطا بولس فمن ذلك ما قاله القديس يوحنا الدمشقي (المرأة أخت الخديعة وحارس الجحيم وعدم السلام ، بسببها طرد آدم من الجنة ...)

وقال القديس سبريان :

المرأة هي الأداة التي يستخدمها الشيطان للسيطرة على أرواحنا .

وقول القديس أنطون :

المرأة هي منبع سلاح الشيطان وصوتها فحيح الأفعى (١) وقد بحث مجمع ماكون ٥٨١ م فيما إذا كان للمرأة نفس وهل تعد من البشر (٢)

هذه الأقوال جعلت موقف المرأة يهتز أمام المجتمع المسيحي الذي ظل إلى قبيل الثورة الصناعية عرضة للطعن والشتم فضلا عن اعتبارها قطعة من اثاث المنزل يحق لزوجها بيعها وشراؤها متى شاء .

أما الاسلام فإنه لم يلجأ إلى هذا الموقف المعادى منها ولم يتخذ قرارات ضدها ولم يتعرض لمكانتها ولم يصمها بالفجائية والفساد . ففي قصة آدم عليه السلام لم يكن اللوم منصبا عليها وحدها ، وفي ذلك يعرض القرآن الكريم موقفه الواضح حيث يقول الحق تبارك وتعالى (فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظلمون فيها ولا تضغن) فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبا ربه فتاب عليه وهدى (٣) وهكذا يكون الأكل قد وقع منها وان الفجائية لم تلحق بداية بالمرأة كما هي الحال في سفر التكوين ، كما تظهر الفارقة فسي ان الوسوسة كانت لآدم في حين ان العهد القديم يلقي اللوم على المرأة بالفجائية .

وطيه فان الاسلام قد كرم المرأة واعطاها حقوقها التامة في وقت كانت اوضاعها المزرية في مقام لا تحسد طيه . وقد حرص الاسلام على مصلحتها واعتبرها دعامه أساسية في عملية التربية والتوجيه . وحض على اعتبارها مساوية للرجل في انسانيتهما ومن حيث كونها مخلوقة من نفس واحدة قال تعالى : (يا ايها

١ - الاسلام والمسيحية ص ١١٩-١٢٠ ٢ - يوجد جدال طويل عنيف كان الجواب ان لها نفسا وانها بشر ولكنه كان بأكثرية قليلة وان كانت الفكرة الغالبة عليهم ان المرأة خالية من الروح الناجية ما عدا السيدة مريم (: المرأة في الشعر الجاهلي . د . احمد محمد الحوفي ص ٣٤-٤٢ ط ٢ دار الفكر العربي مطبعة المدني .

الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء (١)

وقد أعطاه حقوقها الطالية وحرية التصرف بطمكيتها الخاصة ولم يفرض عليها قيودا تنزل من مكانتها (ولهن مثل الذي طيهن بالمعروف وللرجال طيهن درجة) (٢) . وذلك للمسؤولية الاجتماعية التي يتحطها الرجال تجاه الانفاق وتدير الشؤون العامة . ولقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بط فضل الله بعضهم على بعض ويط انفقوا من أموالهم) (٣) .

كل ذلك كان ضمن توجيهات تحمي المرأة من الوقوع في المخاطر . وقد حصنها وذلك بتربية نوازع الخير فيها وهذبها بتعاليمه السمحة ، كما وجسه الرجال للمحافظة طيها والعناية بأمرها ومعالمتها معاملة قائمة على الود والاحترام ودعا الى تعليمها وتثقيفها ثقافة طيق بوضعها كام واخت زوجة وابنة (٤) .

وهكذا يتضح الفرق بين نظرة الاسلام اليها وبين نظرة الرهبانية وموقفها منها .

ومعد فهذه هي الأسس التي بنت عليها الرهبانية نظرتها الى الحياة والنفس البشرية والزواج والمرأة .

وباستقراء الاسباب التي أدت الى اتخاذ مثل هذه المواقف يمكن حصرها بالاتي :

- ١ - التأثيرات الاجنبية على الرهبانية ونظمها ومبادئها .
- ٢ - نظرة الرهبان الى حياة المسيح الخاصة
- ٣ - نظرة الرهبان الى الاضطهاد والحروب التي ألمت بهم .

وسيتبع البحث كل أثر على حدة للوقوف على الزالق التسي وقعت فيها الرهبانية .

١ - النساء : ١
٢ - البقرة : ٢٢٨
٣ - النساء : ٣٤
٤ - يراجع في هذا الصدد السور والايات على النحو التالي : النساء : ٣٢ السور : ٢١ ، التوبة : ٧١ النحل : ٩٧ الاحزاب : ٣٥ الى غيرها من السور والايات . ولا ننسى الاحاديث الكثيرة الواردة في كتب السنة والتي أمرت بتكريم المرأة ومعالمتها معاملة لائقة .

اولا : التأثيرات الاجنبية على الرهبانية ونظمتها ومبادئها

ان الاسس العقديّة للرهبانية المسيحية امتازت بقابلية قريبة احتوت واجتذبت بموجبها مبادئ وطرقا شتى يمكن وصفها بالتلون والقدرة على معايشة الآراء التاليفية .

وصحيح أن الرهبانية بدعة نمت وترعرعت داخل الجملعات الأولى التي تلت عهد الحواريين ، إلا أن هذه البدعة لم تكن لتتفاقم لولا المؤثرات الخارجية الأخرى التي باركت هذا النمو وعطت على رعايته ونماؤه .

فما إن حل القرن الثالث الميلادي حتى غدت الرهبانية هذه قائمة على سوقها تنهل مبادئها وقوانينها من انظمة الرهبنة السابقة عليها .

وقد تعرض البحث في الأبواب السابقة لمبادئ الرهبنة البدائية عبر التاريخ السحيق ابتداءً من المصرية مروراً بالهندية ووصولاً الى اليهودية التي كان لها دور بارز في مد الرهبانية بالنظريات والأطر الجاهزة فكانت بحسب تمثل صلة الوصل ما بين رهبنة الاديان الوضعية ورهبانية النصارى .
وهقر الكتاب المسيحيون بهذه الصلة التي تربط رهبانهم بالاسينيين رواد وادي قمران فمن ذلك ما قاله بطرس البستاني (١) ومن أول من اعتزل دنيوا الاسينيون الاسرائيليون فسمي بعض المؤلفين بالاسينيين الذين يضايقون أنفسهم بالصيام والذين ينقطعون بضع ساعات نهارة وليلاً الى التضرعات والصلوات والذين يبذلون أموالهم وأيامهم في سبيل إعالة الفقراء وعيادة المرضى والاعتناء بهم وكان الاسينيون من النصارى يسكنون عادة المدن ويلبسون أثواباً قاحلة اللون مخصصة بهم كأثواب الحكماء القدماء (٢) .

كما بحث الرهبان المعاصرون قضية ما اذا كان للرهبانية المسيحية بالفعل سوابق في الديانات الوثنية (٣) البوذيين مثلاً ولدى الافلاطونية الجديدة في اليونان وفي البلاد اليهودية بواسطة شيعة الاسينيين المعاشين على ضفاف البحر الميت (قمران) واعترافاً بالواقع المشهود لم ينكر المسيحيون أن بين هذه الطرق وبين الرهبانية المسيحية بعض أوجه الشبه (٤) .

١ - : دائرة معارف بطرس البستاني ٦٨٨/٨

٢ - : تاريخ الكنيسة الشرقية الاب البيرابونا ١ : ١٦٢ الطبعة

العصرية ، الموصل العراق .

وقد طُلَّت هذه الظاهرة بانها تابعة (من طبيعة الانسان بالذات ومن غرائزه الدينية) (ف) تحت كل سماء وفي جميع العصور كانت نفوس اكثر سخاء وأشد تعطشا الى الكمال ، إنها بحثت في المدارس الدينية والحرمان ، والآلام الارادية عن واسطة للتقرب أكثر فأكثر من الله وصولا الى طهارة أسس (١) .

وان الانسان (التواق الى الكمال قد وجد في مختلف الأجيال طريقه الى هذا الكمال - حسب - فهمه في الإطاعات وضبط النفس وقهر الحواس (٢)

وهذا الكلام وان إستشف منه سمو الهدف ، إلا أن الواقع يوهك :
ان الانسان مفطور على حب التعبد ، وان الطريق الذي يخطه الانسان بنفسه ولعبادته هو غير الصراط الذي وضعه الخالق له عبادة ومنسكاً وطريقاً نحو الكمال وهنا منشأ الضلال الذي يقع فيه الرهبان .

فالا جتهاد الانساني الذي نجد في القوانين الخاصة بالرهبانية هو اجتهاد محدود ألزم الرهبان انفسهم به وصولا الى كمال مزعوم ، ومعنى ذلك أن طريقته لم تكن تابعة من رسالة سماوية موحى بها من عند الله تبارك وتعالى بل هي محض نظريات فردية بنيت على أساس معاناة الانسان وتقصفه وقهر حواسه وصولا الى هدف يظن أنه سام . وما هو الا ابتداع في الدين ، وخروج عن تعاليم النبي المرسل .

وقد يتساءل المرء عن مدى نفع هذه الطرق التقشفية لادامت لا تستند الى عقيدة صحيحة أو شريعة سماوية واضحة .

وتكمن الإجابة عن هذا التساؤل في معرفة أثر الفراغ الروحي الصحيح الناشئ عن البدع الكثيرة واختراع العقائد واحدة تلو الاخرى . فما ان تتجمع واحدة فسي بيئة حتى تظهر لها طبقة كهنوتية تحاول بهتس الطرق المحافظة عليها ببناء أنظمة لها جاذبة من نفسها وصية على هذا التراث المخترع وتبقى متسكة به حفاظا على منصبها ورتبتها الكهنوتية .

ومن هنا تكمن الحاجة الطمحة الى ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية لدرى هذه الانحرافات كطائفة البشر في خضم التيارات المختلفة .

١ - التنظيم الرهباني في الكنيسة المارونية ، الاب يوسف محفوظ . ت : الاب يوحنا خليفة ص ٣٤ ، المركز الوطني للبحوث العلمية في باريس طبع في بيروت ١٩٧٠ مطابع مؤسسة الارز .

٢ - تاريخ الكنيسة الشرقية ١٦٧/١

ولا شك ان هذه التأثيرات الخارجية قد انعكست على الجادى السلوكية للرهبانية المسيحية كما هو الحال بالنسبة للأسس العقديّة .

وأكثر ما تتضح هذه التأثيرات في كل من :

أولا : النذور الثلاثة

أ - الفقر

ب - العفة

ج - الطاعة لرئيس الدير .

ثانيا : في لباس القسّس والرهبان

ثالثا : في اتخاذ الأديرة والكهوف للاعتزال

رابعا : في الطقوس الكنسية وغيرها .

وسيتعرض البحث لبعض هذه التأثيرات خلال فصول

قادمة إن شاء الله تعالى .

ثانياً : نظرتهم إلى حياة المسيح عليه السلام الخاصة

يعتبر الرهبان المسيحيون عيسى عليه السلام هو الراهب الأول . . .
ولهذا فإن نشوء الرهبانية عندهم يبدأ به ، فهم يزعمون أنه قد شق لهم (طريق
الخلاص والحياة فقراً وعفة ، وطاعة صليب حبا بالله الاب (١)) وان الحياة الرهبانية
قد انبثقت من تعاليمه ومن حياته السلي التي اسسها في جوهرها واضعا لها
العبادة الأساسية داعيا النفوس الأكبر سخاء الى انتقالها ليتشبهوا به على
اكل وجهه ممكن (٢) .

ويستند هؤلاء الى ما جاء في لوقا (وقال للجميع إن أراد أحد
أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني) (٣) الى غيرها من الأقوال .
يقول ترتوليان : (إن جسم المسيح نفسه قد جاء من بتول عذراء . . .
والقديس يوحنا المعمدان (JEAN BAPTISTE) يحيى بن زكريا عليهما
السلام والرسول بولس وجميع اخوانه الحواريين الذين سجلت اسماؤهم في سفر
الخلود آثروا التبتل وحثوا الناس عليه وقد فتح السيد المسيح للخصيان
ابواب السط لان حالتهم قد باعدت بينهم وبين قربان النساء . ولو أن آدم لم
يمصر به لعاش طهورا حصورا ، ولتكاثر النوع الانساني بطرق أخرى غير هذه الطرق
البهيمة ولعمرت الجنسية بفضيلة من الطاهرين الخالدين (٥) .

ويظهر هذا الكلام مدى الافتئات على الله تبارك وتعالى وعلى سنته
في الخلق ، كما انه تزيّد سوءاً أدب مع العزة الإلهية وتقول لم يسبق إليه أحد .
وقد عني ترتوليان بقوله (وقد فتح السيد المسيح للخصيان)
ما ورد في متى (لأنه يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع
أن يقبل فليقبل (٦)) .

١ - الحياة الرهبانية ، رهبنة مار جاورجيوس دير الحرف ، ص ١٥ ، منشورات النور

٢ - الرهبانية الباسيلية الشويرية . د . أ . حاج ٣٤/١ ، ط ١٩٧٤ ، لبنان

٣ - لوقا ٩: ٢٣

٤ - راجع لوقا ١٤: ٢٧ وكذلك كولوسي ٣: ١-٢

٥ - الاسفار المقدسة . د . وافي ص ٨٣

٦ - متى ١٩: ١٢

وقد مشى أورجيين حسب وصية هذا النص وخصى نفسه ، إلا أنه كان شديد الحرص على عفته كما يعتقد علماء المسيحية ، وإن كان في واقع أمره قد تتبع المعنى الحرفي للنص ولم يفقه المعنى الحقيقي الذي يرمى إليه لوصحت نسبتة إلى المسيح عليه السلام .

وإزاء هذا الوضع فإن البحث معني بالتطرق إلى :

حياة كل من عيسى ويحيى عليهما السلام ، وموقف الإسلام — من السبيل والخصاء . وذلك للتوصل إلى نظرة الإسلام إلى الزواج ومكانته .

إن موقف الإسلام من عدم زواج عيسى عليه السلام لا يتفق مع ما يراه الرهبان من أنه هو الراهب الأول ، فوضعه الخاص لا يمكن القياس عليه سيما وأنه قد واجه أمة منحرفة في دينها عن الصراط المستقيم ، نتيجة الأمراض التي اعترتها والأوبئة التي فتكت بها والناجمة عن اشتغالها باكتناز الأموال وهتك الأعراض وانحراف كلي في الأخلاق والمعاملات .

ونظرا لقصر زمن رسالة عيسى عليه السلام في قومه وضخامة الجهد الذي بذله في التبليغ والانداز ، فقد شغل بهذه القضايا وأعطاهما جل اهتمامه فضلا عن المضايقات التي لاقاها في حياته اليومية من قبل اليهود وغيرهم ، كما لا يخفى على المسيحيين وكتاب التاريخ ما كان يقوم به عليه السلام من تنقلات بين المدن الفلسطينية وقراها للوعظ والارشاد .

وقد جاء رفعه كما سلف مبكرا وهو لا يعدو سن الكهولة عموما مهبط في عدم زواجه ، فلو كتب له البقاء أكثر لما تأخر عن الزواج ، والله اعلم . ومن مواقفه عليه السلام من المرأة ما يعطي انطبعا عن عطفه وحنانه تجاهها ، وقد حفلت الأناجيل التي يعترف بها النصارى بالقصص والروايات التي تصور مواقف عديدة للمسيح من المرأة وكلها تتسم بالتقدير يسر ولا احترام لهن . وعدم المساس بمكانتها الاجتماعية .

١ - لاحظ تلك الأحداث التي مرت بالمسيح من خلال الآتي :

- أ - حديثه مع المرأة السامرية بالقرب من قرية سوخار وكيف وعظها بلين ورفق انظر :
يوحنا ٤ : ٤٢-٤٤ / ب - حنانه على الأرملة وإقامة ابنها من الموت في قرية نايين ، انظر لوقا ٧ : ١١-١٢ / ج - قبوله الطبيب من المرأة الخاطئة التي دهنته به ، انظر : لوقا ٧ : ٣٦-٥٠ / د - شفقتة على ابنه بايرس وشفاءه للمرأة التي نزفت دما في كفرناحوم ، انظر متى ٩ : ١٨-٢٦ / هـ - شفاءه لابنه المرأة السورية الغنيقية في اقليم صور وصيدا انظر : متى ١٥ : ٢١ / و - نزوله في بيت مرثا ومريم ونصحه لهما في " بيت عنيا " انظر : لوقا ١٠ : ٣٨-٤٢ إلى غير ذلك من القصص .

ولم يقتصر الحال على المسيح عليه السلام بل ان التلاميذ قد وقفوا أيضا من المرأة بما يتناسب مع تكريم المسيح لها وعطفه عليها ، وقصصهم مودة في اناجيلهم^(١) فلم التعامي عن الحق .^٢

ومن جهة ثانية فإن طما* مقارنة الاديان مدعوون لمعالجة تلك الدراسة التي ظهرت حديثا في كتاب " الكاهن والسلالة والكنز " وهي لثلاثة باحثين غربيين هم : مايكل بيجنت ، ورتشارد لي ، وهنري لنكولن^(٢) . الذين حاولوا إقامة البراهين تاريخيا على ان قصة صلب المسيح مفتعلة وان هناك ما يفيد انه عاش حتى عام ٤٥ م . وان هذا يدل على احتمالات زواجه من مريم المجدلية مستشهدين بعدة قرائن تاريخية معتدة على اناجيل منعت الكنيسة تداولها كإنجيل "توماس" وحكمت بتعريضها الى جانب دلائل اخرى ليست بموضوع هذا البحث .

١ ط الحديث عن يحيى عليه السلام :

فان القرآن الكريم قص علينا ط يبين حاله فقد قال الحق تبارك وتعالى (هنالك د ط زكريا ربه ، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى صدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين)^(٣)

والحضور عند طما* اللفظة له عدة معان منها :

- الناقة الضيقة الاحليل .
- الذي لا يأتي النساء .
- الضيق البخل (٤)

وقد نقل أغلب المفسرين معاني هذه الكلمة وبينوا الاراء المتعددة في تفسير الآية و المقصود من قوله تعالى (سيدا وحصورا) . وقد اختار حذاق المفسرين والمحققين : ان المراد من (الحصور هو الذي لا يأتي النساء لا للعجز بل للعة والزهد وذلك لأن الحصور هو الذي يكتر^(٥) حصر النفس .

- ١ - راجع في ذلك : اعطال الرسل ١ : ١٣-١٤ وكذلك رساله يوحنا الثانية ١ : ١٦ ورسالة يعقوب ١ : ٢٧ وغيرها . وراجع تعليقات العقاد حول الموضوع في حياة المسيح ١١- / ٣١٨
- ٢ - راجع : مجلة المسلمون العدد ٢٢ - الى ٣٣ من ١٠ / ٦ الى ٥ / ٨ / ١٤٠٢ هـ عرض وتحليل د . محمد ابراهيم الشوش . السعودية .
- ٣ - ال عمران : ٣٨-٣٩ ٤ - راجع : تاج اللغة وصحاح المعرربة ، للجوهري ت : احمد عبد الغفور عطار ، مادة حصر . ٥ - : التفسير الكبير للفخر الرازي ٨ / ٣٦-٣٧ ط ٢ دار الكتب العلمية ، طهران ، وكذلك ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لابي السعود ١ / ٤٧٦ ، مطبعة السعادة .

وقد وافق الإمام ابن كثير القاضي عياض في رده على من قال ان يحيى عليه السلام كان "هيها" أولا ذكر له ، بل قد انكر هذا كبار المفسرين والنقاد وقالوا : هذه نقیصة وعیب ولا یلیق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حضور عنها ، وقيل : مانعا من الشهوات وقيل : ليست له شهوة في النساء ، وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها . . . (١)

واتما لهذه القضية الهامة فقد عرض العلماء مسألة كون العزوبة

افضل أم الزواج ، وفي ذلك تفصيلات كثيرة وارا متعديدة .

فمن ذلك ما اوضحه الفخر الرازي حينما فاضل بين العزوبة والزواج بقوله (احتج اصحابنا (اي الشافعية) بهذه الآية (ال عمران ٣٨-٣٩) على ان ترك النكاح افضل وذلك لانه تعالى مدحه بترك النكاح وذلك يدل على ان ترك النكاح افضل في تلك الشريعة واذا ثبت أن الترك في تلك الشريعة افضل وجب أن يكون الامر كذلك في هذه الشريعة بالنص والمعقول أما النص فقله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) واما المعقول فهو أن الأصل في الثابت بقاؤه على ما كان والنسخ على خلاف الاصل (٢)

وهذا الرأي مرجوح . عند الجمهور .

وقد رده الإمام محمد رشيد رضا بقوله (. . . نقول إن الآية ليست

نصا ولا ظاهرة في ذلك واذا سلمنا أنها تدل عليه فلا نسلم أنها تدل على أن ترك التزوج افضل مطلقا . وليس يحيى بأفضل من أبيه ولا من إبراهيم الخليل ومحمد خاتم النبيين والمرسلين وسنة النكاح افضل سنن الفطرة لانها قوام هذه الحياة الدنيا وسبب بقاء الانسان الذي كرمه الله وخلق في أحسن تقويم وجعله خليفة في الارض المسمى (٣) الأجل المسمى في علم الله) . وسوف تتضح المسألة أكثر عند الحديث عن محاربة الاسلام للتبطل والخصاء . ان شاء الله تعالى .

واتما لقضية يحيى عليه السلام فانه يحسن الاستئناس برأى العقاد في

هذه المسألة التي ألع اليها أثناء الحديث عن السنن ودين من بني اسرائيل وان يحيى عليه السلام كان طما من اعلامهم المعدودين وفي ذلك يقول :

١ - تفسير ابن كثير ٣٦١/١ :

٢ - التفسير الكبير للفخر الرازي ٣٦/٨ - ٣٧ :

٣ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد رضا ٢٩٨-٢٩٧/٣ دار المعرفة ط ٢ ، بالافست . وراجع ما ابداه الالوسي في تفسيره : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٤٨/١ ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م دار الفكر بيروت .

(ولا يشترط في النذرى والنذر أن يهجر العالم ويمتزل الناس في الصوامع ولكنه يراض على حياة التنطس فلا يجوز له شرب الخمر ولا أن يدنس جسده بملامسة الموتى والأجسام المحرمة ، وعليه أن يرسل شعره ولا يحلقه قبل وفاة نذره ان كان منذورا لأجل مسمى .

وقد ينذر الطفل قبل مولده ويمتد نذره طول حياته ويقال من النذور انه بمثابة النبي في سنن الفتوة . قال النبي عاموس بلسان يهوذا بنى اسرائيل " وأقمت من بينكم انبياء " ومن فتياكم نذريين لكنكم سقيتم النذريين خمرا وأوصيتهم الانبياء ان يدعوا

والنبوة هنا بمعنى الانذار بما سيكون وليس النذريون طائفة موحدة ولكنهم ينتمون الى كل مذاهب يوافقهم حجة الشباب وهذا الذي جعلهم قوة ذات بال في عصر الحيلال خاصة لانهم جميعا فتيا ن معمرة قلوبهم بالامل ، معقودة نياتهم على الاصلاح ، يؤمنون بانهم رواد الدعوة الى المسيح الموعود ويترقبون ظهوره للترحيب به والاصفاة اليه ولا تحيط بهم طائفة معينة او مذاهب محسود . (١)

ووفق ذلك كله فانه يجب التأكيد على ان يحيى عليه السلام يعتبر من وجهة النظر الاسلامية نبييا جاء لتقويم اعوجاج بني اسرائيل والتبشير بمقدم المسيح عليه السلام .

• نظرة الاسلام الى الزواج •

=====:====:

نظرة الاسلام الى الزواج

بعد استعراض نظرة الرهبان الى حياكل من المسيح ويحيى عليهم السلام ، وموقف الاسلام من هذه القضية .

يأتي الحديث عن نظرة الاسلام الى الزواج وأحكامه في الشريعة الاسلامية ومن ثم التحدث عن مكانته .

فقد سن الاسلام الزواج لحكم عظيمة ومقاصد رفيعة وأهداف نبيلة ، وحض الشباب عليه وتندب المسلمين اليه ، متغنيا من وراء ذلك الأمور التالية :

اولا : عبارة الارض ، قال تعالى (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (١) .

ثانيا : محافظة على النوع الانساني ، قال تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يوحدون وينعمة الله هم يكفرون) (٢) .

ثالثا : وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا) (٣) .

تحصين المجتمع من الانهيار الخلقي
قال عليه الصلاة والسلام (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (٤) .

رابعا : تسكين النفس البشرية من غلواء الشهوة الجنسية ومتاعب الحياة
قال تعالى (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٥)

١ - هود : ٦١

٢ - النحل : ٧٢

٣ - النساء : ١

٤ - رواه البخاري ١١٧ / ٦ ط ١ استنبول

٥ - الروم : ٢١

(١)

وقوله تعالى (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) .

الى غير ذلك من المقاصد الرفيعة كالمحافظة على الانسان وسلامة المجتمع من الأمراض والتعاون بين الزوجين لبناء الأسرة المسلمة وتأجيج عاطفة الابوة والامومة ليبقى التراحم سمة المجتمع المسلم (٢)

لكل ذلك حظى الزواج في الاسلام بمكانة رفيعة ، واهتم العلماء بتوجيه الاحاديث والآيات ، واستنبط الفقهاء الاحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية وبينوها وفق ما أشارت اليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وقد استدلل الفقهاء على مشروعية الزواج من الكتاب والسنة :

١- الكتاب فمن قوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء متى وثلاث ورباع فمن خفتن الا تعدلوا فواحدة او ما طكت ايظانكم ذلك أدنى الا تعولوا) (٣) وقوله تعالى (وانكحوا الأيام منكم والصالحين من عبادكم وما لكم ان يكونوا فقرا يغفهم الله من فضله والله واسع عليم) (٤)
٢- السنة فمن قوله صلى الله عليه وسلم (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج) (٥)

ومن خلال مطالعة الأحكام الفقهية يلاحظ أن أقوال الفقهاء تدور حول توقان النفس الى النكاح وعدمه والقدرة على المونة وانتفاها .

ولهذا فالنكاح ترد عليه الاحكام الشرعية التالية :

- الواجب - الحرمة والكراهة - السنة ، - الندب والاباحة (٦)

أما نوع أو صفة الزواج شرطا بحسب طلب الشارع فيعرف عند الفقهاء بحسب احوال الناس ومصالحهم (٧) .

فلا خلاف بين العلماء على ان من تأقت نفسه للنكاح وخشي العنت كالخوف من الوقوع في الزنا يجب في حقه النكاح (٨)

١ - البقرة : ١٨٢ ٢ - راجع ما كتبه المرحوم الشيخ عبد الله ناصح طوان بهذا الخصوص في : تربية الاولاد في الاسلام ١/٢٩-٣٢ دار السلام للطباعة والنشر ط ٣ ، ١٤٠١ - ١٩٨١ م حلب ، بيروت .

٣ - النساء : ٣ ٤ - النور : ٣٢

٥ - رواء البخاري ، وقد تقدم ٦ - الفقه الاسلامي على المذاهب الاربعة ، عبد الرحمن الجزيري ٤/٤ ، دار الارشاد والتأليف مصر .

٧ - الفقه الاسلامي وأدلتها ، د . وهبة الزحيلي ٣١/٧ دار الفكر بيروت ط ١ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ٨ - راجع في هذا الصدد : كتاب الافصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ١١٠/٢ والمغني لابن قدامة ٤٤٦/٦ ، وفتح القدير

ولا فرق بين الوجوب والغرض عند الجمهور هنا (١) . وقد حدد الفقهاء طئة الوجوب أو الغرضية في هذه المسألة بأن التحرز من الزنا فرض ولا يتوصل اليه إلا بالنكاح وما لا يتوصل الى الغرض إلا به يكون فرضاً (٢) .

أما إذا تيقن الانسان ظلم المرأة والاضرار بها فيما إذا تزوج فإن النكاح يحرم عليه ، بأن يكون في حالة المعجز عن تكاليف الزواج أو لا يعدل ان تزوج بزوجة أخرى لأن ما أدى الى الحرام فهو حرام (٣) .

كما يحرم النكاح عند الحنابلة في دار الحرب إلا لضرورة ، فإذا كان أسيراً فإنه لا يباح له الزواج على أي حال (٤) .

وهوكون النكاح مندوباً أو مستحباً : وذلك في حال الاعتدال بأن يكون الانسان معتدل المزاج بحيث لا يخشى الوقوع في الزنا ان لم يتزوج ولا يخشى ظلم زوجته وحالة الاعتدال هذه غالبية عند أكثر الناس (٥) .

= لكامل الدين ابن الهمام ١٨٧/٣ ط ١ مصطفى الباهي الحلبي ١٣٨٩ هـ
 وهداية المجتهد ونهاية المستقص لا بن رشد ٢/٢ دار الفكر مكتبة الخانجي
 وكذلك : تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي
 ٩٥/٢ ط ١٣١٣ هـ بولاق ، والبنية على الهداية ٩/٤-١٢ ومغني المحتاج
 ٣ : ١٤٥ لابن زكريا يحيى بن شرف النووي ط ١٣٧٧ هـ

١ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣٢/٧

٢ - راجع المبسوط لشمس الدين السرخسي ١٩٣/٢ ط ٢ دار المعرفة

وراجع ما استعرضه بتوسع : احكام الزواج والطلاق في الاسلام ، د. بدران
 ابوالمينين بدران ص ٣٦ وما بعدها ط ٣ ١٩٦٤ دار المعارف بمصر .

٣ - الفقه على المذاهب الاربعه ٤/٥-٦ والفقه الاسلامي وأدلته ٣٢/٧

٤ - الفقه على المذاهب الاربعه ٤/٧

٥ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣٣/٧

كما لا خلاف بين العلماء على أن النكاح من السنة (١)
ودليل الجمهور على ذلك قوله عليه السلام م (يا معشر الشباب من استطاع
منكم البائة فليتزوج) (٢) .

وط جاء في الصحيح : عن انس بن مالك رضي الله عنه (قال) جاء ثلاثة
رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله
عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم
أما وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وط تأخر قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي
الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل
النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم
كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج
النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني (٣) .

ومع ذلك فقد ذهب الظاهرية كابن حزم وغيره الى القول بفرضية النكاح (٤)
الا ان الخلاف بين الفقهاء دار حول مسألة ما اذا كان النكاح أفضل أم العبادة
في حال الاعتدال .

فقد ذهب الشافعية إلى أن العبادة أفضل من النكاح ، قال الإمام
النووي رحمه الله تعالى (وجمهور أصحابنا أن ترك النكاح لهذا والتخلي للعبادة
أفضل ولا يقال النكاح مكروه بل تركه افضل) (٥)
ويستدل الشافعية على ذلك بـ :

١ - قوله تعالى في مدح يحيى عليه السلام (. . . . وسيدا وحسورا) (٦)
والحضور الذي لا يأتي النساء مع القدرة على امتيانهن فلو كان الزواج أفضل لما
مدح بتركه .

(٧)
٢ - قوله تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين) .

١ - راجع : المجموع شرح المذهب ، باب النكاح ص ٢٨٧

وكذلك المبسوط ١٩٣/٢ ، والمغنى لابن قدامة ٣/٣

ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٤٠٣/٣

٢ - رواء البخاري وقد تقدم

٣ - صحيح البخاري ١١٦/٦

٤ - المحلى لابن حزم ٤٤٠/٩ ت : احمد شاكر المكتب التجاري بيروت

٥ - صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٤/٩ المطبعة المصرية ومكتبتها

٦ - ال عمران : ٣٩

٧ - ال عمران : ١٤

كما انهم قاسوا النكاح على السبيع فقالوا : النكاح من الاعمال الدنيوية
فهو كالبيع (١) .

(ورد السبكي التعليل الاول : بانه ليس المراد بالاية المستطاب وانما
المراد الحلال ، لان النساء محرمات باية حرمت عليكم امهاتكم . . .) (٢)

كما رد الاحناف على استشهاد الشافعية بحالة يحيى عليه السلام فيما
قاله السكّال بن الهمام : (فالأولى في جوابه التمسك بحاله صلى الله عليه وسلم
في نفسه ورواه على من أراد من أمته التخلي للعبادة فانه صريح في عين المتنازع
فيه وهو ما في الصحيحين) وان نفرا من اصحاب النيسابوري صلى الله عليه وسلم
قد سألوا ازواجه عن عله . . . (٣) الحديث . فرد هذا الحال ردا مؤكدا حتى
تبرأ منه ، وبالجملة فالأفضلية في الاتباع لا فيما يخيل للنفس أنه أفضل نظرا الى
ظاهر عبادته ، ولم يكن الله عز وجل يرضى لأشرف أنبيائه إلا بأشرف الأحوال
وكان حاله الى الوفاة النكاح . فيستحيل أن يقرره على ترك الأفضل مدة حياته
وحال يحيى بن زكريا عليه السلام كان أفضل في تلك الشريعة وقد نسخت
الرهبانية في ملتنا ولو تعارضا قدم (حينئذ) التمسك بحال النبي صلى الله
عليه وسلم) . (٤)

كما أجاب العيني رحمه الله على ذلك بقوله (والجواب عنه أن الشافعي
يرى شرع من قبلنا شرعا لنا فكيف يحتج بما لا يراه ؟ ونحن نقول شرع لنا ما
لم ينص الله على انكاره . وقال الشافعي : النكاح معاملة فلا فضل لها على العبادة
قلنا : هذا نظر الى ظاهره دون معناه وليس له أن ينظر الى الصورة ويترك المعاني
فانه ليس عن أصله ذلك ولو كان التخلي للعبادة خيرا من النكاح نظرا الى صورته
ما قطع النبي صلى الله عليه وسلم حكم الصورة بالسنة وليس في مدح يحيى عليه
السلام ما يدل على أنه أفضل من النكاح فإن مدح الصفة في ذاتها لا يقتضي ذم
غيرها وذلك أن النكاح لم يفضل على التخلي للعبادة بصورته وانما تميز عنه بمعناه
في تحصين النفس وبقاء الولد الصالح وتحقيق السنة في النسب والصهر فقضاء الشهوة
يفي بحالها والتيسير بمقاصده وهذا أمر تفتن له أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه
ومن قال بقوله . (٥)

١ - مغني المحتاج ١٢٥/٣ - ٢ : الفقه الاسلامي وادلته ٣٤/٧

٣ - الحديث في البخاري ١١٦/٦

٤ - فتح القدير على الهداية لابن الهمام ١٨٨/٣-١٨٩

٥ - عدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ٦٦/٢٠ دار احياء

التراث العربي بيروت ، لبنان ، طبعة صورة عن طبعة ادارة الطبعة المنيرية .

(١) ما قياس الزواج على البيع فهو قياس مع الفارق ،
اذ أن البيع عقد معاوضة محض والزواج ليس كذلك لان فيه تحصيلاً
للنفس وحفظها من الوقوع في الفاحشة وفيه حفظ الدين وتحصيل النسل وتكثير
الامة وكلها مصالح لا يشتمل عليها البيع ، ما يجعل فعل الزواج راجعاً على فعل
النوافل وهو ما ذهب اليه اكثر الائمة (١) .

ولا شك أن ما ذهب اليه الجمهور أرجح وأصوب ما ذهب اليه الشافعية
ذلك لأن (من تأمل فيما يشتمل عليه النكاح من تهذيب الأخلاق وتوسعة الباطن
بالتحمل في معايشة أبناء النوع وتربية الولد والقيام بمصالح المسلم العاجز عن
القيام بها والنفقة على الأقارب والمستضعفين واعفاف السحرم ونفسه ودفع
الفتنة عنه ومنهين ودفع التقدير عنهن بحبسهن لكفايتهن مؤنة سبب الخروج ثم
الاشتغال بتأديب نفسه وتأهيله للمعبودية ولتكون هي ايضاً سبباً لتأهيل غيرها
وأمرها بالصلاة (٢) .

ورغم هذا الخلاف الا ان الشافعية يرون أن الزواج في حالة الاعتدال
انما هو مندوب أو مستحب وفي هذا ، اشارة الى الميل المطلق عموماً نحو الزواج وعدم
تأييد العزوبة باسم التبتل والعبادة . والله تعالى اعلم .

١ - احكام الزواج والطلاق في الاسلام ص ٣٩

٢ - فتح القدير بن الهيثم ١٨٩ / ٣

وراجع في هذا الصدر ايضاً : اعلاء السنن ، ظفراحت العثاني

التهانوي ٣-٢ / ١١

مكانة الزواج في الاسلام :

من فضائل الاسلام على المجتمع ، اهتمامه بتوجيه المسلمين نحو
الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، فشرع لهم النكاح وسنه لهم ابتغسا
العفة والتحصن من الفحشا ، ولأسباب أخرى مر ذكرها . .

ولم يكن المسلمون ليخالفوا تعاليم دينهم الحنيف ،

ولهذا فانهم سارعوا الى نهج نبيهم صلى الله عليه وسلم كان عليه
اخوانه الانبياء عليهم السلام . من سنة النكاح قال تعالى (ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) (٢)

قال الامام ابن كثير في تفسير الآية (وكما أرسلنا يا محمد رسولا بشريا
كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ويأتون
المنزجات ويولد لهم وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، وقد قال تعالى لا شرف
الرسل وخاتمهم (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى) . . (٣)
وروى الامام احمد عن ابي أيوب قال (قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (أربع من سنن المرسلين : التعطر والنكاح والسواك والحياء) (٤)

١ - الجن : ٢٣

٢ - الرعد : ٣٨

٣ - الكهف : ١١٠ ، وراجع تفسير ابن كثير ٢ : ٥١٨-٥١٩

٤ - : سند الامام احمد ٤٢١/٥ المكتب الاسلامي / دار الفكر ط

بيروت . قال الامام ابن كثير وقد رواه ابو عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع
عن حفص عن غياث عن الحجاج عن مكحول عن ابي الشثال عن ابي ايوب فذكره ثم قال
وهذا اصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشثال ولفظه (أربع من سنن المرسلين

الحياء والتعطر والسواك والنكاح) تفسير ابن كثير ٢ / ٥١٨-٥١٩

وراجع عارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذي ٤ / ٢٩٨-٢٩٩ مكتبة المعارف لبنان

وقال الاستاذ الارناؤوط : هذا رواه احمد والترمذي ورواه ابن ابي خيثمة وغيره

من حديث طليح عن ابيه عن جده نحوه ورواه الطبراني من حديث ابن عباس ولعل

الترمذي حسنه بهذه الشواهد فقال حديث حسن غريب : جامع

الاصول في احاديث الرسول ٤ : ٢٩٣ في الهامش .

ويقول الحق تبارك وتعالى (وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم
واما ثكمم ان يكونوا فقرا* يغنهم الله من فضله والله واسع عليم) (٢).

وروى ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسند عن ابن عبد العزيز قال بلغني
ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : اطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح
ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال تعالى (ان يكونوا فقرا* يغنهم الله من فضله) (٣)

وعن ابن مسعود : التمسوا الغنى في النكاح : يقول الله تعالى (ان يكونوا فقرا*) الآية . (٤)

ومن باب الترغيب في الزواج ايضا فقد عمل الاسلام على تسهيل أمره
وتيسير سبله ، اخرج الحاكم بسند عن ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة حق على الله أن يعينهم : المجاهد في سبيل
الله والنكاح يريد ان يستعف والمكاتب يريد الاداء .

قال هذا حد يث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٥)
وقد درج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على حدث بعضهم البعض
على النكاح فمن ذلك ما رواه البخاري بسند عن سعيد بن جبير قال
قال لي ابن عباس : هل تزوجت قلت : لا قال : تزوج فان خير هذه
الامة كان اكثرهم نساء* يعني النبي صلى الله عليه وسلم . (٦)

١ - الايامي الذين لا ازواج لهم من الرجال والنساء . الصحاح للجوهري

ما (ايم

٢ - النور : ٣٢

٣ - تفسير ابن كثير ٢٨٦/٣

٤ - تفسير ابن كثير ٢٨٦/٣

٥ - المستدرک على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي ، وقد

وافق الحاكم ، انظر ٢ : ١٦٠ - ١٦١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر مكتب

المطبوعات الاسلامية حلب .

٦ - اخرجه البخاري في كتاب النكاح باب ٤ الحديث الثالث ١١٨/٦ ط استانبول

يقول الامام الحسيني رحمه الله في معنى (فان خير هذه الامة ...)
المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اكثر نساء من غيره ، و الامة الجماعة (١)

وقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه الى اختيار الزوجة صاحبة
الخلق والدين ، فمن ابى ههنا رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال (تتكح المرأة لاربعة ، لطلبها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر
بذات الدين تربت يداك) (٢)

كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم صفات اخرى للمرأة المراد الزواج
بها ، ومن ذلك ما رواه ابو داود عن معقل بن يسار ، قال : جاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال : اني اصبت امرأة ذات حسب وجمال وأنها لا تـ
افسأ تزوجها ؟ قال لا ثم أتاها الثانية فنهاه ثم أتاها الثالثة فقال : تزوجوا السود
الولود فاني مكاثر بكم الامم (٣)

١ - : عدة القارى شرح صحيح البخارى ، بدر الدين العيني ٢٠ / ٢٠

٢ - صحيح البخارى ٦ / ١٢٣

٣ - : مختصر سنن ابى داود ، للحافظ المنذرى ٦ / ٣ ، ت : محمد حامد
الفتي ، مكتبة السنة المحمدية .

وفيه قال الامام السخاوى : اخرج ابو داود والنسائى والبيهقى وغيرهم
من حديث معقل بن يسار مرفوعا : تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم .

ولا حد وسعيد ابن منصور والطبرانى في الاوسط والبيهقى واخرين
من حديث حفص بن عمر اخي انس عن عمه انس قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالبائة وينهى عن التبطل نهيا
شديدا ويقول : تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وصحح
ابن حبان والحاكم (.....)

مع : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على
اللسنة ، للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى ص ١٦٥ ، ت : عبد الله محمد
الصديق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

نهى الاسلام عن التبتل والخصاء :

في حَسْبِ وَد هذه التوجيهات يلاحظ ان الوسيلة النظيفة التي وضعها الاسلام للعناية السامية ، تعطي الطاقة الكامنة في الانسان الحرية في اداء مهنتها التي انشطت بها ، فلم يعمل على كبتها أو حرمانها من اداء وظيفتها وفق ما أمر الله به ، وذلك حتى لا ينقلب أثرها رأساً على عقب ، فتلحق بصاحبها أفدح الضرر .
طوبى ومعنوا .

وصحيح أن الاسلام أتاح لهذه الطاقة حرية العمل ، إلا أنه لم يوسع من دائرتها بل وضع لها ضوابط ، خاصة فيما يتعلق بمرحلة المراهقة .

وقد مر في السابق توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للشباب ، وذلك لمراعاة هذا الضابط في حال عدم القدرة على الزواج .

فالصوم هو الضابط الضروري لمعالجة مكان النفس التواقة الى ممارسة الوظيفة الجنسية في هذه الحالة ، ولأنه أنجع الوسائل لدرء مخاطرة فاقة الجسد وغفوان الطاقة .

ولأن الصوم أقدر على ضبط هذه الطاقة من أي وسيلة أخرى ، فقد أختير كوسيلة اضي وضمن من الخصاء والتبتل .

والرهبانية حينئذ فرضت التبتل أو أقرت بالخصاء فانما تكون بذلك قد حرمت الناس من اداء وظائف الضحة الربانية التي وهبها الله تعالى للبشر ، من اجل عتارة الارض ولن يكون ذلك الا بالتنازل .

ولهذا نرى الأحاديث الكثيرة تدور حول هذا المفهوم فمن ذلك ما رواه الامام البخارى بسنده عن سعيد بن المسيب قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا (١) .

و في رواية له عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا يا رسول الله ألا نختصي فنهانا عن ذلك (٢) .

والمراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النساء وترك التزويج أما معنى قوله تعالى (وتبتل اليه تبتيلاً) فالمراد الانقطاع اليه والتعبد لا ترك الزواج فإنه لم يؤمر به

١ - صحيح الامام البخارى ١١٨/٦ - ١١٩

٢ - المرجع السابق ١١٩/٦

النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله : الخصا* بكسر الخاء* وبالد مصدر خصي الفحل اذا سللت خصيته . . .) (١)

وقد استشهد الامام ابن حجر بـط أخرجه الطبراني من حديث عثمان بن مظعون نفسه أنه قال (يا رسول الله اني رجل يشق على العزوبة فاذن لي فسي الخصا* قال : لا ولكن عليك بالصوم) الحديث . ومن طريق سعيد بن العاص . (ان عثمان قال : يا رسول الله اذن لي في الخصا* فقال : ان الله قد ابدلنا بالرهبانية الحنيفية السبعة) (٢)

ويعقب ابن حجر على ذلك بان الحكمة في منعهم من الاختصاص* : (ارادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفار والا لو اذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفار فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية) (٣) ومن الفاسد أيضا : (تعذيب النفس ، والتشويه مع ادخال الضرر الذي قد يفضي الى الهلاك ، وفيه ابطال معنى الرجولية وتغيير خلق الله وكفر النعمة ، لأن خلق الشخص رجلا من النعم العظيمة . . .) (٤)

هذا ولا ينبغي السماح لدع أن ينال من حث الاسلام على النكاح والسترغيب فيه بدعوى أن هذا النهج يؤدى الى الانغماس في الطذات والفسق في الشهوات التي تسيطر على حياة الانسان ، فتدعه يخلد الى الدعة والكسل . فهذه الشبهة وغيرها تنتفي (٥) بمجرد معرفة اهداف الاسلام العليا والغرض من وجود الانسان في هذا الحياة ، وكما وضع الاسلام ضوابط لمرحلة ما قبل الزواج

١ - : عدة القارى ٢٠ / ٧٣

٢ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ بن حجر ١١ / ١٩ ، مصطفى البابي الحلبي ١٣٢٨ هـ

٣ - المصدر السابق .

٤ - : منهج السنة في الزواج . د . محمد الأحمدى ابو النور ص ٤٨ ط ١

دار النصر للطباعة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، القاهرة .

٥ - انظر الى تلك التربية التي أخرجت نطاج فريدة من الرجال وذلك في محاضرة عبادة بن الصامت في رده على القوقس الذي أراد اخافة المسلمين حين قال : (وما منا رجل الا وهو يدعوه صباها وساء ان يرزقه الشهادة والا يرد الى بلده ولا الى اهله وولده ، وليس لاحد منا هم فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه

كذلك فعل بالنسبة لم بعده ، وتوجيهاته في هذا الباب كثيرة ومستعددة
والاسلام بخصائص تصوره الغريسة فسر حقيقة هذا الوجود وبين أهمية
ارتباط الانسان بم حوله من موجودات كما بين أهمية ارتباطه بخالقه من خلال
القرآن الذي أنزله الله تبارك وتعالى دستوراً لهداية الخلق .

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة وضعا الوسائل الناجعة لتحقيق هذه
الاهداف ، واوجدا البدائل والحلول للمشاكل الانسانية التي طنت وتعاثي
منها البشرية .

والمشكلة التي يدور البحث حولها ، وهي ظاهرة الرهينة ، قد أوجد
الاسلام نهجا وطريقا أفضل منها وأسلم .

وهذا ما يسيعالج أثناء الحديث عن : موقف الاسلام من ابتداء الرهبانية
وحكمه عليها ، ان شاء الله تعالى . وذلك بعد استيفاء الحديث عن الجوانب
المتعلقة بالرهبانية وتطوراتها ، وما رافقها من مشاكل . وهو موضوع الفصل
القادمة .

أهله وولده ، وانما ههنا ما أمانا ، وأما (قولك) إنا في ضيق من معاشنا
وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لأنفسنا منها
أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذي تريد فيمنه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها
منكم) . - : حسن المعاصرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للحافظ جلال الدين
السيوطي ، ت : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ١ : ١١٢-١١٣ دار احيا الكتب
العربية عيسى البابي الحلبي ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م ط ١

هكذا يرى الاسلام أجياله ، وهكذا يعيش المسلمون من أجل دينهم
فلا يضيعونه من أجل دنياهم ولو فتحت عليهم زخارفها ، فلا يأخذون منها
الا بقدر حاجتهم وما يعينهم فسي ادا رسالتهم .

الفصل الخامس

أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية

واجهت دعوة عيسى عليه السلام كثيرا من المعن والصعوبات ، التي كانت سببا في عدم استمرارها مدة طويلة .

وتأتي مواقف اليهود المعلنة والسبئية في طليعة المؤامرات التي هيكت لهذا الغرض وقد تقدم الحديث عن هذا الجانب في الفصول السابقة .

وقد انتقلت المعن والاضطهادات التي نزلت بأتباع عيسى عليه السلام الى يد (الرومان الذين مارسوا أشنع أنواع التعذيب النفسي والجسدي ، الأمر الذي أثر بشكل خطير على المطرزين من جهة وعلى الذين أعقبوهم ، كما امتد الخطر أيضا الى الانجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام حيث تعرض في زحمة النكبات الى التحريف والتبديل ^(٢) ، مما أدى الى اختلاط التعاليم الصحيحة بالاراء والمعتقدات الوثنية وغيرها .

وبشكل عام كانت المعن ايمان عهد الاباطرة وحتى بداية القرن الرابع الميلادي (٣٢٥ م) بيئة صالحة وأرضا خصبة لزراعة مفهوم الرهبانية ونموها وذلك نتيجة لهرب المضطهدين الى البراري والجبال من بطش اعدائهم .

ومن الصور التي ينقلها السحيون عن هذه الاضطهادات ما جاء في كلام الأب البير أبونا حيث يقول (كانت السبئية حتى قبيل مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ تعيش تحت وطأة الاضطهاد وعلى هامش الحياة العامة ، فكان على السبئي أن يختار البطولة والتضحية وأن يستعد في كل حين للشهادة ، يدلي بسببها اطم الطوك والولاة ويبذل دمه في سبيل الحقيقة فكانت فكرة الاستشهاد ترافق السبئي دوما ولا تسمح بان يتعلق قلبه بحطام الدنيا أو مجدها أو مناصبها الرفيعة ، فكان الله هو الوحيد وهو يصوب دوما الى ساعة الجهاد الأخيرة التي فيها يتحرر من قيود الجسد وينضم الى المسيح في المجد ، هكذا قبل أن تتكون الحياة الرهبانية باطارها القانوني كان السبئيون يعيشون بحسب روحها وكان الشهيد يحقق فكرة الراهب بتجرده عن كل شيء وباعطائه ذاته لله حتى الموت ^(٣) .

١ - راجع : ملامح من التاريخ القديم لليهود العراق ، د . احمد سوسة ، مركز الدراسات الفلسطينية ج ١ ص ١٩٧٨ ط ١

٢ - راجع : محاضرات في النصرانية لابي زهرة عن تاريخ كتابة الاناجيل المزورة واثر الاضطهادات في التحريف والتبديل ، ص ٣٥ وما بعدها .

٣ - تاريخ الكنيسة الشرقية ، ألبير أبونا ص ١٦٥

وفي هذا اعتراف واضح ان الرهبانية لم تكن موجودة على النمط الذي اتخذته المسيحيون فيما بعد والذي طوروا فيه ديانتهم لتستجبه نحو الابتداع وهو ما سيتضح فيما بعد .

ومن ناحية أخرى فان النظرة الاسلامية الى هذه الاضطهادات كانت في محلها ، حيث يعترف المسلمون بأن النكبات قد وقعت باتباع المسيح عليه السلام^(١) ، كما وقعت وتقع باصحاب كل دعوة ورسالة سطوية ، وان ذلك من سنن الله تبارك وتعالى ، (الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)^(٢) .

هذا وقد تتبع المؤرخون الأحداث التي رافقت عمليات التعذيب وأنواعها ، وما نسجم عنها من هرب ونزوح من قبل اتباع المسيح عليه السلام ومن ذلك ما ينقله داووني حيث يقول :

(وعند ما بدأ ظهور الاضطهاد في القدس ، بعد اعدام استفانوس فر من المدينة كثير من اتباع السيد المسيح وأوغلوا في سفرهم حتى بلغوا فينقيا وقبرص وانطاكية)^(٣)

وبوضوح وليس صورة الاتهامات والعقوبات التي كان يلقاها هؤلاء ومن ذلك أن جريمة المعارضين للوثنية (في عرف الاباطرة) كانت (بمنزلة الخيانة العظمى وتجاوزي بالاعدام فان صح انه كان رجلا ذا مرتبة وطم فان تلك الظروف ما كانت لتزيد في جرمه واذا هو يحرق أو قل يشوى على نار بطيئة واذا بجلاده وقد امتلأوا حماسة للانتقام للاهانة الشخصية التي لحقت بالاباطرة يفتنون في إنزال العذاب ألوانا بالسكين دون أن يستطيعوا لصبره قهرا ، وأن يغيروا من ابتسامة الثبات والزراية التي ظل محتفظا بها على معياه)^(٤) .

١ - روى الامام مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن قصة الراهب والفلام ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ / ١٣٠ ، وهو الحديث الذي يشير الى قصة اصحاب الأخدود وقد بسط المفسرون المسلمون القول في أسباب نزول سورة البروج التي وردت في القرآن الكريم ، راجع في ذلك : التفسير الكبير للفخر الرازي ٣١ / ١١٧ وما جاء فيه حول هذا الموضوع ، كما ان الامام ابن كثير أورد احاديث عدة ونقل روايات مختلفة عن الحادثة وقد انتهى الى القول بأن أحداث القصة كانت في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليه السلام مستندا الى ما جاء في رواية ابن اسحق . انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٤٩٢ وما بعدها .

٢ - المنكبات : ١ - ٣

٣ - جيم : انطاكية القديمة ، جلانفيل داووني ، ت : ابراهيم نصحي ص ١٥٨ ط ١٩٦٧ القاهرة

٤ - معالم تاريخ الانسانية ، ولز ٣ / ٧١٥

ولم يقتصر الأمر على ذلك إذ (ان السلطات بذلت جهدا كبيرا في تصيد نسخ الكتب المقدسة كما حدث أيضا في أماكن كثيرة هدم فيها معظم الكنائس كما طشت السجون بالاساقفة والقساوسة المسيحيين وكانت هناك تهمة مدنية عديدة توجه في آن واحد الى المؤمنين لتحويل الأمر عليهم نذكر منها :

الانتساب الى دين غير مشروع

الانتقام لخطاات سرية ، والتآمر على الحاكم

رفض اطاعة الاوامر ، ان كانوا جندا والتهرب من واجبات الحياة العامة

والخاصة بل وممارسة السحر . (١)

(٢) وينقل ابن العبري أسما^(٢) الاباطرة الرومان الذين تقلدوا الحكم من زمن اضطهاد المسيحيين حتى بداية القرن الرابع الميلادي أي الى زمن تولي قسطنطين مقاليد الامبراطورية والتي انتهت على أيديه أيام التعذيب . ومن بين هؤلاء^(٣) الاباطرة :

الاسم :	مدة الحكم
نيرون	١٤
طربانيوس	١٩
سوريانوس قيصر	١٨
مكسيميانوس قيصر	٣
فيليبوس قيصر	٣
ارلارينوس قيصر	٩
اورليانيوس قيصر	٦
ديوقليديانوس قيصر	٢٠

(٣) الى جانب هؤلاء^(٤) هناك فليريان وجاليسير وديدكلسيان وتراجان ، وطيباريوس (٤)

١ - راجع في ذلك ، المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنيبير ١٦٩

وما نقله عن تعذيب نيرون لهم وايقاد أجسام ضحاياهم وجعلها مشاعل للسير على ضوئها ، وذلك في : محاضرات في النصرانية ص ٣٥ وكذلك ، المسيحية د . شلبي ص ٢٠ وما بعدها .

٢ - تاريخ مختصر الدول ، غريغوريوس الطيطي المعروف بابن العبري من ص ٦٩ الى

ص ٧٨ ، ط ٢ ٣ - المسيحية ، جنيبير ص ١٦٩ ، ومحاضرات في النصرانية ص ٣٤

وطيه فان الأحداث الدامية لم تكن لتزدون أن تتسرك أثرا
نفسيا صعبا على المضطهدين ، خاصة بعد انقضاء الفتن واضمحلال المحسن
ولم تكن عهود السلام اللاحقة لتبشر بتقدم لموسى نحو ديانة قائمة على التوحيد
الخالص ونبت كل ما يمت الى العقائد الوثنية والاجنبية بصلة .
فما إن صدر مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ م (حتى حل السلام في الكنيسة
وأصبحت المسيحية ديانة معترفا بها . .

ثم غدت دين الأباطرة الرومان وشعبيهم . . . فلم
يعد المسيحي يلاقي غنا من جراء دينه بل اكراطا وجاها ، بيد أن هذه الحالة
أثارت في فكر المسيحيين تساؤلات كثيرة : هل يمكن للمسيحي وهو في العالم
أن يتبع المسيح بحمل الصليب ؟ وهل يمكنه في وسط العالم أن يحقق خلاص
نفسه ؟ . وكان جواب كثيرين منهم نفياً (١) .

هذه الاسئلة لم تكن لتطرح لولا الانحراف العقدي الذي تكلمت
فصول البحث عنه في السابق ، والتي تست على أيدي بولس ومن سار على نهجه ، ذلك
النهج الذي ألزم الأتباع بما لا يطاق حتى جاءت الاجابات الكثيرة بعدم القدرة
على السير وراء المسيح كما يعتقدون .

ومعنى ذلك أن هذه السدود التي وضعت في طريق الدعوة الصحيحة ما
هي الا حركات مفتعلة للوصول الى حافة الانهيار .

وهذه هي النتيجة التي وصل اليها المسيحيون ، وبعد ما تمخضت
قرايهم عن البدع التي ابتلوا بها فماذا حصل يا ترى؟ :

يجيب الأب البير على ذلك فيقول (وان تضائل أمام المسيحيين حقل
الجهاد والكفاح في سبيل دينهم والذود عنه ، شعروا أن ثمة شهادة أخرى
غير شهادة الدم ، يتحتم عليهم آداؤها ، لاسيما وأنهم لاحظوا أن جموع المؤمنين
وجماهير الهواة المتفرجين شرعوا يغزون مواضع الصلاة ، ففتشوا عن وسيلة تمكنهم من
اداء الشهادة للمسيح (٢) .

فالتفتيش هنا هو مرتبط الفرص في الموضوع ، وهو القضية الرئيسية التي

يجب أخذها بعين الاعتبار لما تنطوي عليه من أدلة تثبت ابتداء المسيحيين للرهبانية

١ - تاريخ الكنيسة الشرقية ص ١٦٦

٢ - المرجع السابق .

مصادقاً لقوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) (١) .

وسيتعرض البحث لجوانب هذا الابتداء اثناً الحديث عن موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها .

فلم يكن تفتيش هؤلاء الهواة عن وسيلة نابعة من اتباع نص شرعي صادر عن مصدر سطاوى أو وحي السهي ، ولم يكن هذا التفتيش كذلك معمولاً به قبل هذا الوقت بل كان الجهاد والكفاح حسب ما مر سالفاً هو الدافع بين الاوائل الذين ضحوا وقد موالد ما والأرواح خالصة .

بل يمكن وصف هذه النزعة بط يسمى فورة الشباب المتحمس لاى جديد دون اجتهاد مهني على أسس سليمة : لهذا جاءت نتائج أعمالهم بناء على مقدمات فاسدة . فما الداعي الى سلوك هذا الطريق الوعر دون الرجوع الى المصدر الأساسى للتشريع ، ثم كيف يرجعون الى الشريعة وقد تم تحريف نصوصها وعمل على تزويرها ؟ ، إنه لسؤال صعب بالفعل

ففي غياب النص الشرعي ووجود التحريف والانحراف العقدي الذى جلل الأناجيل والرسائل ، فإن حتمية الإبتداء لاشك واقعة ، الأمر الذى ترتب عليه عملية تعطيل الجهاد وإيقاف حركة الدعوة .

يقول الأب السبير أبونا (. . . وإذا بهم ينفردون في عزلة عن الناس في أماكن بعيدة عن ضوضاء العالم ويعكفون على الصوم والصلاة ، وهناك ممن يقول إن الأمر الذى دعا بعض المسيحيين الى اعتزال العالم ليس الاضطهادات ولا الخوف من تسرب روح العالم اليهم إنما هي الرغبة في تحقيق مثل التنسك العليا ، وفي الكرازة بالقول والحياة ، فبعد ان بشرت الكنيسة المدن ، توجهت الى البرارى برهبانها وكانت فكرة التنسك تراود كل مسيحي يريد امتثال المشورات الانجيلية ، وقد أدت هذه الرغبة ببعض المسيحيين منذ القرن الثالث الى الانفصال عن المجتمع جزئياً أو كلياً في المعتملات النائية في البرارى والجبال) (٢) .

وهكذا يتبين كيف نسجت الرهبانية خيوطها ، التي بنت عليها صرحها ، فكان الاساس واهياً ، فلا المسيح أمر أتباعه بالانعزال في البرارى والجبال . ولم يقل لهم التساموا قوانين عزلتكم من جاء قبلكم من الرهبان ولم يقل لهم حرموا

١ - الحديد : ٢٧

٢ - تاريخ الكنيسة الشرقية ، ص ١٦٦-١٦٧

ما أردتم أو حللوا ما ترون ، بحسب أهوائكم . .

ولو عرضت أعمالهم عليه لتبرأ منهم ولتخذ أفكارهم وترهاتهم . ويكفسي
انهم دعوا الى تعطيل الحياة واتخاذ سبيل السلبية طريقا وسلوكا في حين
أنه عليه السلام لم يهدأ ولم يكل من أجل انقاذ ما أمره الله به .

من هنا يتبين كذلك أن الرهبانية تأسست مسيحية ، وسوف نرى كيف نمت
وترعرعت بفنائها وهدد اجنبي ، وان هذا الابتداء الداخلي لم يكن ليستمر لولا وجود
العوامل الخارجية والتيارات الأجنبية التي أمدته بالقوانين والانظمة المرحية لديها .

الفصل السادس : الانظمة والقوانين الديرية : نشأتها ، تطورها
اشارها ، ونقدها

لم ينتظم عقد الرهبانية المسيحية كطبقة لها نفوذ واسع وسلطنة
عريضة الا بعد تطورات عديدة شهدتها الكنيسة وأتباعها .
فقد بدأت حركة الرهبان حركة فردية كحالة منفصلة عن الواقع القائم
ابان عصر الحواريين الذي اتسم بالجهد والاستشهاد ، وهذه الحركة الفردية لم يكن
يربطها اى رابط فيط بينها ولا يجمعها اى تنظيم معين ، الا ان سلات الاتصال
الخارجي بالفكر الغربي تظهر من خلال التطورات التي اعقبت هذه الحركة .
ويمكن متابعة التسلسل الذي مرت به الرهبانية عبر التعرف على بذورها
الاولى التي بدأت في مصر . فمن هذه المراحل :

اولا : أوائل التنظيمات الديرية

يعتبر " انطونيوس " ^(١) (٢٥١-٣٥٦ م) مفتتح الطريقة النسكية مع نداء الانبا
بولس (٣٤٧ م) الذي اختار الصحرا الشرقية في مصر قرا له وسكن مغارة هناك
مدة تسعين سنة . ^(٢)

وطيه فإن الظاهرة قد بدأت في مصر على يد هذا الأخير ، وهناك من يرى أنه
قبل انطونيوس وجد (مسيحيون متوارين في ضاحيات مدتهم منفردين . . . يعيشون
حياة العزلة ، وانطونيوس نفسه عندما رفض حياة العالم كان على علم بواحد من اولئك
النساك كان يعيش منذ سنين طويلة في ضاحية : " كيمو " (*Quemau*) ^(٣)

وتتلخص سيرة انطونيوس هذا بأنه (شاب أمي من أنحا طيبة الدنيا ، وزع أملاكه
الموروثة وهجر أسرته ووطنه ، ونفذ كفارة الرهينة في تعصب أصيل جرى ذلك أنه بعد
أن قض فترة طويلة شاقة في إعداد نفسه للرهبنة بين القيسية وفني برج

١ - ولد سنة ٢٥١ في حضن عائلة مسيحية ثرية في بلدة قمن أو (قيمان) من أعمال
مركز الواسطي التي تقع على بعد نحو ٩٠ كلم جنوبي القاهرة المصرية ولم يكن مصري
الأصل بل ابن مهاجرين يونان سكنوا مصر وأبواه مسيحيان أثريا من التجارة (انظر :
تاريخ الكنيسة الشرقية ١/١٦٨)

٢ - المرجع السابق . وراجع كذلك : معالم تاريخ العصور الوسطى ، محمد رفعت واحد
حسونة ص ١٠٥ ط ٢ ١٩٢٦ ، مصر

٣ - التنظيم الرهباني للكنيسة الطارونية ، الأب محفوظ ص ٣٤ . ويحيل ديورانت السى
القول بأن انطونيوس هذا لربط تأثر بالمبشرين الذين أرسلهم أشوكا الى الشرق وكذلك
بالجماعات اليونانية (السراييس والمنتسطين) أو الاسينيين اليهود (انظر : قصة
الحضارة ٤/١ : ١١٩)

خرب مهجور ، تغلف في جراً داخل الصحراء في رحلة ثلاثة أيام الى الشرق من نهر النيل ، حتى اكتشف بقعة منعزلة يتوفر فيها الظل والماء ، واستقر أخيراً فوق جبل قلزم الى الغرب من البحر الأحمر ، حيث لا يزال هناك دير قديم يحمل اسم القديس وذكراه ، ولحقه المسيحيون الى الصحراء (١) .

وقد تكاثر عدد الرهبان وازدادت معهم صوامعهم فوق (رسال ليبيا وعلى صخور طيبة وفي مدن وادي النيل والى الجنوب من الاسكندرية استوطن خمسة الاف من النساك جبل النظرون (Nitria) والصحراء المجاورة ولا يزال في مقدور الجائل أن يطالع خرائب خمسين ديراً أقامها تلاميذ أنطونيوس في تلك التربة الجرداء (٢) .

وقد أوجد هذا الراهب نوعين من النسك الرهباني هما : الحبسا والسياح (٣) .

وهكذا يتضح أن هذا السلك إتسم بالنسك الفردي الذي يعيش الراهب فيه عزلة لوحده منفرداً عن غيره .

وقد لاقى هذا النوع انتقادات من قبل سقية الرهبان الآخرين : وذلك لما ينطوى عليه من خلل واضطراب كبيرين (وعلى كثير من الأخطار كما في الروحانيات (الروحانيات) كذلك في الطائيات : إن حياة العزلة التامة ليست علمياً خلاصية إلا لبعض الأنفس المحظوظة الخارقة في التقوى (على حد تعبير الأب محفوظ) فالناسك في قلايته لم يكن له الفرصة ليمارس فضيلة الطاعة (كما يسمونها) أو أن يتم فرض المحبة نحو القريب . فضيلة جوهريّة انجيلية

... وهكذا كان هناك متوحدون (منفردون) يمارسون تقشفات جسدية في اغراق غريب فيتعرضون للمجيد الباطل إذ يعتبرون أنفسهم أكمل من السوى فبهذه الخطة انحرفت الرهبنة عن خط الكمال الذي رسمه لها الرهبان الاولون (٤) .

وهكذا أيضاً تكون الاعتراضات واردة داخل المجتمع الرهباني المسيحي نفسه أما الصورة التي ينقلها الرهبان عمن أنطونيوس فهي كثيرة جداً ، ويغلب عليها الطابع المغالي (٥) . إلا أن النتيجة التي يخرج منها المرء : (أن هؤلاء الذين

١ - "اضحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها" ، إدوارد جيبيون ، ت: لويس

اسكندر ٣١٩/٢ - ٣٢٠ دار الكتاب العربي للطباعة ١٩٦٩ مصر .

٢ - المرجع السابق وانظر كذلك : تاريخ أهل الذمة في العراق ، د. توفيق سلطان اليوزيكي ص ٢٧٣-٢٧٩ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣-١٩٨٣ ط١ العراق .

٣ - بستان الرهبان لعدد من آباء الكنيسة ص ٥

٤ - التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ص ٣٦ هـ - تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٢٧٣

تنسكوا على طريقة أنطونيوس ظلوا يغير قانون ثابت يجمعهم وانما جمعتهم شخصية معلمهم الذي أمرهم بالطاعة لرئيس الدير والخضوع له وفرض عليهم القيام بتوفير الطعام والكساء بايديهم ومنع السهرمان من الاشتراك في الحياة العامة والزواج^(١).

الرهبانية الجماعية :

العزلة التامة التي قررها أنطونيوس حرمت الكثيرين من نعم الله تعالى التي انعمها على البشر ، فأورشهم جفوة في القلوب وتحجرا في الطباع لبعدهم عن قرنائهم واخوانهم في الانسانية مما أدى بالبعض الى مج هذه الطريقة ولغظ هذا الاسلوب ان (أحسن الناسك أن كثيرين من المدعوين الى هذه الحياة ... لا يسمعون العيش في العزلة التامة ، وأنهم بحاجة الى اخوتهم ليتلقوا منهم العطف والمساعدة لحياتهم الروحية وان بالحياة الرهبانية تخطو خطوة كبيرة على يد ... باخوميوس . (٢)

لقد استطاع هذا الأخير وضع أول قانون رهباني ألزم أتباعه به وهدد أتباعه قائلا (لن أتسك بكم اذا لم تتقيدوا بجميع التعليمات التي اعطيتكم)^(٣).

ان هذا التهديد يوحي ببداية الطغيان الروحي والنفسي الذي مارسه آباء الرهبان الأوائل على أتباعهم ، وهذا ما أدى الى قبول أي قانون أو نظام يصدر عن باخوميوس وأنداده الآخرين . وقد أضاف باخوميوس الى نظامه مبدأ الحياة الجماعية والمساواة في السلوك بين الرهبان ، فمن المقررات التي أرساها : الطاعة له وللأب الأباتسي وأصبح الأباتي هو الرئيس بالمعنى القانوني للكلمة فسلطته هي الأقوى وما من أمر يتم في الدير بدون اذنه ومنذئذ فالراهب الباخومي لن يستطيع تنفيذ أمر على هواه ولا يمكنه أن يترك الدير دون أن يلتصق مسبقا بالإذن فيحصل عليه من قبل الرئيس وكل تلكه منه عن الإجتاعات العامة دون إذن الرئيس تعرض للشموم الشديد)^(٤).

١ - تاريخ اهل الذمة في العراق ص ٢٧٣-٢٧٩
٢ - كان فلاحا، سرح سنة ٣١٤ م من الجندية وكان ذووه وثييين يسكنون في ضواحي اسنيه الى الجنوب من طيبة ، واهتدى الى الديانة المسيحية وطلق العلم على يد فالمون بالقرب من خنيهوسكيون (قصر السيد اليوم) راجع : تاريخ الكنيسة الشرقية ص ١ : ١٧٠ وقصة الحضارة ٤/١ ١١٩

٣ - التنظيم الرهباني ص ٣٧

٤ - المرجع السابق .

ومن ذلك الحين تبدأ ولادة السلطة الجديدة التي ستظهر فيما بعد كقوة أكبر ولتينى على أساسها سلطة الكنيسة العليا التي مهدت لظهور الطيفان الكنسي بشتى أنواعه . والتي تمثلت بسلطة البابا في روما .

وفيما بعد، انضمت الى القانون الباخوي عدة ديارات انجذبت بفعل الحماس الذي أبداه الاتباع اضافة الى الاديرة التي انشأها النسا^(١)

وقد منح الرئيس العام للأديرة سلطة المراقبة على حفظ القوانين في الأديرة ، ومهام القبول النهائي في جمعية الرهبان وكذلك فرض العقوبات (٢) .

وقد كان لإنتشار الأديرة وكثرة عدد الرهبان في المدن والأقاليم المختلفة فرصة كبيرة لولادة المجامع الدينية ، فقد أمر باخوميوس جميع الرؤسا^(٢) وجميع (الآخوة من الرهبان) أن يجتمعوا مرتين في السنة وفي الثالث عشر من آب ، ليتحققوا من حفظ القوانين في الجمعية كلها (٣) .

وهكذا تمت في عهد باخوميوس ولادة السلطة الكهنوتية عن طريق تحكم رئيس الدير بالرهبان وتحكم المجامع بالتشريعات والقوانين .

- الجمع بين الطريقة الفردية والجماعية :

وقد تابع سيرة باخوميوس راهبان هما: يقول (BG-DULL) وابن أخيه شنودي (Schemoulis) ٣٨٨ م اللذان إتسمتا طريقتهما بالقسوة . إذ ابتدع شنودي هذا أمراً لم يكن على عهد سابقيه فقد فرض على جميع رهبانه منذ توليه السلطة في إدارة الجمعية عهداً بالطاعة خطياً . ومبدأ كهذا يعتبر من الأمور الخطيرة^(٤) إذ يترتب عليه مسائل تتعلق بقضية الولا^(٥) وهو ما سيشار اليه فيما بعد ان شاء الله .

كما جمع هذا الاخير بين العزلة والحياة الجماعية معتبرا الثانية مرحلة لتثقيف بعض النفوس المختارة (٥) .

١ - تاريخ الكنيسة الشرقية ١ :- ١٢٠

٢ - التنظيم الرهباني ص ٣٨

٣ - المرجع السابق ص ٤٠

٤ - المرجع السابق ص ٤١

٥ - المرجع السابق

(١) ومن مصر انتقلت الحياة الرهبانية وقوانينها الى كل من فلسطين وبلاد

الشام والعراق وآسيا الصغرى . (٢)

(وقد أدخل " هيلاريون الغزي الحياة الرهبانية في فلسطين في القرن الرابع وفي القرن الخامس اشتهر أوطيسس (٤٧٣) م كأب للرهبانية في الأرض المقدسة وفي الجبال المجاورة لانتاكية في سورية الغربية وفي برية كليسيس (طبيسة السورية) نشأت فرق عديدة من النساك . ولديهم قضي يوحنا الذهبي الفم والقديس هيرونيوس ردحا من الزمن .

١٤ في آسيا الصغرى والمناطق المجاورة (فقد انتشرت الحياة الرهبانية بواسطة اوسطاثيس مطران سبسطية في ارمينية نحو ٣٨٠ وبالاخص بواسطة تلميذه الشهير . . باسيليوس مطران قيصرية قبد وقية واليه يعود الفضل في سن قانوني الحياة الرهبانية : القانون الكبير ، والقانون الموجز ، (وقد) اصبحا عادا للقوانين التي وضعها المؤسسون الآخرون في الاجيال اللاحقة (٣) .

كما أدخل اثناسيوس فكرة الرهبنة ومطارسها في رومة حيث فتح تلاميذ انطونيوس مدرسة لهذه الفلسفة الجديدة حين رافقوا مطرانهم الى أعتاب الفاتيكان وأثار المظهر الهمجى الغريب لهؤلاء المصريين في أول الأمر فزع الناس واحتقارهم ولكنه دفعهم في النهاية الى استحسانه والتحسن لتقليده وحول أعضاء السناتو والسيدات الثريات بنوع خاص قصورهم وقلائيتهم الى بيوت دينية (٤)

وهكذا توسعت الأديرة وازدادت أعداد الرهبان ازدياداً مضطرباً في الشرق والغرب وتنوعت القوانين الرهبانية واختلقت من دير الى آخر حسب ما ذهب اليه كل نحلة أو فرقة من الفرق النصرانية . (٥)

وقبل التوسع في دراسة القوانين الديرية ، ينبغي التوقف قليلاً لملاحظة أسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد الرهبان .

١ - راجع : معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، د . محمود سعيد عمران

ص ١٦٠ ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٢ م .

٢ - انظر : تاريخ أهل الذمة في العراق ٢٧٣-٢٧٩

٣ - تاريخ الكنيسة الشرقية ١٧١/١

٤ - اضمحلال الإمبراطورية الرومانية ٣٢٠-٣٢١

٥ - مع الأخذ بعين الاعتبار أن " البروتستانت انتقدوا انظمة الأديرة لما كان يتخللها من فساد خلقي تفشى بين الرهبان نظراً لتحريم الزواج انظر : تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر ص ٣٦٨

ثانياً :

أسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد عدد الرهبان :

قد يتساءل المرء عن الأسباب التي تدفع آلافاً الى اعتناق مبدأ الرهبانية مع ما يرافق تلك الحياة من تقشف وعزلة وصعوبة في العيش ، ولا شك أن هناك دوافع كثيرة ساعدت بشكل أو بآخر على سرعة نمو هذا النمط من الحياة وأسهمت الى حشد بعيد في انتشار هذه الظاهرة التي بدأت فردية وأخذت تنمو حتى تعددت تطرق حياتها وتشعبت سبلها .

وقد توغل جيهون في دراسة هذه الظاهرة نظراً لمعرفته وخبرته بخفايا المجتمع المسيحي وخبايا الأوضاع الشاذة التي رافقت تطور المسيحية ونموها .

وقد حلل أسباب سرعة انتشار الرهبانية وذيوع امرها ، وقد جاء مطابقاً للمواقع مجيباً فيه على اسئلة تخفى على الكثير من العلماء فمن ذلك قوله :
(هؤلاء التعساء الذين اعتزلوا الحياة الاجتماعية كانوا مدفوعين الى حياة الرهبنة بدافع من العبقرية الخرافية ، وهي عبقرية مبهمة لا تخبرنا بها وكان عزمهم المشترك يستند الى المثل الذي ضربه ملايين من الجنسين ، من كل عمر ، ومن كل مرتبة ، وكان كل مهتد من الداخلين الى رحاب الدير ، مقتنعا بأنه عبر الطريق الشائك الوعر الى السعادة الأبدية غير أن فعل هذه الدوافع الدينية كان يحدده بصور مختلفة خلق الناس ووضعهم . فالعقل قد يقهر أثرها والعاطفة قد توقف ذلك الأثر . . .

غير ان هذه الدوافع الدينية كان لها الأثر في ضعف العقول من النساء والأطفال ، وكانت قوتها تزداد بفعل ندم على خطيئة خفية أو محنة طارئة ومن الجائز أنها كانت تستند بعض العيون من بعض الاعتبارات الدينية كاعتبارات الغرور او المصلحة ، وكان من الطبيعي أن يسود الاعتقاد بأن الرهبان الأتقياء المتواضعين الذين نيزوا العالم لكي يعطوا على خلاص أنفسهم هم أجدر الناس بأن يتولوا حكم المسيحيين حكماً روحياً)

هكذا أصبح للراهب مكانته في نفوس الأتباع الجدد الذين كانت تسيطر عليهم هيبة الكهنة بما تخفي وراءها من الفاز خفية لا تظهر للرعياع (ومن ثم فإن الرهبان ذوى الصيت الذائع الذين ارتبطت سمعتهم

بشهرة طائفتهم ونجاحها عطوا جاهدین طی مضاعفة اعداد اترابهم الاسرى فكانوا يدسون انفسهم وسط الاسر النبيلة الغنية ويستخدمون فنون الطلق والاغراء المنقطة لجذب اولئك المهتدين الذين يمكن أن يقدموا على مهنة الرهبنة من ثرائهم ويضفوا عليها من مكائدهم ، وكان الوالد الساخط يولول على فقدان ابن ربه كان ابنه الوحيد كما كانت العذراء الساذجة يضلها الغرور ويدفعها الى خرق قوانين الطبيعة وكذلك كانت السيدة الثرية تتطلع الى الكمال الوهي حين تنبذ ميراث الحياة العائلية) (١)

في هذا الجو الذي أشاعته الرهبانية في الأوساط المسيحية أمكن تعبئة النفوس وشحنها لتقبل هذه الحياة ما شجع الأباطرة والتمدينين والامراء والاغنياء و(جعلهم) يتبارون في بناء الاديرة وإيقاف الاوقاف عليها واغداق الهبات اليها . (٢)

وهذه الدوافع الدينية التي كسفت في نفوس اولئك الفارين من نط الحياة الاجتماعية الى حياة العزلة كانت هدفا لشباك الرهبان لاصطياد الطرائد البشرية وما أهون بيع الكلام مقابل شهرة واسعة وجاء عريض . كما ان استغلال تلك الدوافع الدينية والفطر السليمة تعتبر تجارة استحل الرهبان اقتناصها وتحويلها لمصلحتهم تحت ضغط الطفيلان النفسي الذي مارسوه تخويفا من إثم طاهر أو زلّة طارئة وما أبشع هذا الاستغلال المومى الى الانحراف عن الصراط السوى . وما تجدر الاشارة اليه أن هؤلاء المتاجرين بمواطن الناس لم يكونوا من الناحية الدينية والخلقية بأحسن من أي عاصمها كانت معصيته . فالأساليب الخادعة ، السببية على الدجل ، كانت السمة الظاهرة للاغلبية . (٣) هذا ولا بد من الاشارة الى بقية الاسباب التي لا يمكن تناسيها ما دام الحديث يتصل بالأسباب المومدية الى انتشار وذبوع الرهبانية ، فمن الاسباب التي ترد في هذا الشأن ما يعتبر أخطر وأعق ما مرفى السابق . ان

١ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٣٢٣/٢ - ٣٢٤

٢ - تاريخ اهل الذمة في العراق ص ٢٧٣-٢٧٦

٣ - والغريب ان القاضي عبد الجبار قد أورد صورا من الخدع والاحتيالات التي يتقنها الرهبان ، وقد اظهر بعض المكاشفات التي تدور بين هؤلاء ومن ذلك قوله (والفتنة من النصارى يقولون : هذه الآيات والمعجزات إنما هي من احتيالات الجاثقة والرهبان ومن يبغض العمل ويغرم الكد ، ويسمونهم بلغتهم السريانية (عازق معنات) معناه انه ترهب ولزم الدين ليأكل من غير ماله ويستريح من الكد والرهبان اذا ما تشاحنوا على ما يأخذون يقول أحدهم لصاحبه (النصارى يفضلونك علينا ويمعطونك أكثر مما يعطوننا ومالك من فضل علينا ، كلنا قد فر من العمل وإنما نحن نصلى للنصارى . . . ولهم من المكاشفات ما يطول شرحه . . . وربط جوارح الراهب الى الجاثيق بمثل هذا لينفق عنده ، فيقول له الجاثيق يا أخي ما ينبغي ان تعمل

(ان الأديرة كانت لطيفة بجمهور من الذهب* المغفورين الحقرا* ، الذين كانوا يربحون في أديرتهم أكثر بكثير مما ضحوا في دنياهم ، فالفلاحون والعبيد والصناع كانوا يهربون من الغاقة والازدرا* الى مهنة شريفة يخفف من محنها الظاهرة حكم العادة ، واستحسان الناس ، والتراخي الخفي في النظام ، كما أن رعايا روما الذين تعرضت ثرواتهم وأشخاصهم لخراج باهظ غير متكافئ* كانوا يهربون من ظلم الحكومة الامبراطورية اما الشبان الجبنا* فقد كانوا يفضلون كفارة حياة الرهينة على أخطار الحياة العسكرية ، وكذلك كان سكان الولايات من كل مرتبة ، هم الذين تلطعهم الذعر وعدوا إلى الفسار أمام المتبرهنين ، كان كل هؤلاء* يجدون في الأديرة ماوى وقدا* ، وهكذا غصت هذه الأماكن الدينية القدسة بفرق كاطنة من هؤلاء* الناس (١) .

وبعد قراءة ما بين الأسطر فلن يعجب أحد من إفتخار الرهبان^(٢) بذكر تاريخ الأديرة ونمو الرهبانية وانتشارها في أصقاع الإمبراطورية والتغنى بأصولها ورسوم جذورها في التاريخ .

ومعرفة هذه الأسباب الدافعة الى ازدياد اعداد الرهبان تتكشف الحقائق ، ويسدل الستار عن الفصول التي لعبتها الرهبانية ترويجا لبضاعتها .

وبعد ذلك لا بد من التعرض للقوانين الديرية وط تمخض عنها من فرائض وواجبات ، ألزمت الرهبانية أتباعها بالسير عليها .

معني هذا فأنا أعرق بالصنعة ، هبنا خدعنا غيرنا ، بعضنا يعرف بعضا والصنعة واحدة ، وأننا طازق معنا* منك ، فلا تنك .

وبعقب القاضي عبد الجبار على ذلك قائلا : ومثل هذا يرحمك الله تجد كثيرا من القسيسين والرهبان إذا رأوا راهبا أو جاثيقا أو قسا أو مطرانا قد أدعيت له المعجزات ونفق على النصارى يقول بعضهم لبعض : انظروا بأي شيء* نفق هذا على النصارى الجبال ونفذت حيلته فيهم واستوت (. انظر : تشيبت دلائل النبوة ، للقاضي عبد الجبار الهذاني . ت : عبد الكريم هشان ١ : ٢٠٧ - ٢٠٨ . دار العربية للطباعة والنشر بيروت .

- ١ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢ / ٣٢٥-٣٢٦
- ٢ - راجع ما كتب عن انتشار وتعدد الرهبانيات في كتاب : الرهبانية الباسيلية الشوبرية ١ / ٣٦-٣٧ د . أ . ح . حاج ١٩٧٤ الطبعة ٢ وط كتبه بطرس البستاني في دائرة معارفه ٨ / ٦٨٧ .

ثالثا :

امثلة لبعض القوانين الديرية وتطورها

بعد استعراض أهم الأسباب المؤدية الى اتساع رقعة الرهبانية تجد الإشارة الى ان القوانين الديرية ، اتخذت اشكالا مغايرة فسيط بينها تبعاً لتعدد الفرق والمذاهب في المسيحية .

وليس من السهل تعداد الأديرة والرهبانيات التي تأسست في الشرق والغرب ، ولكن تكفي الإشارة الى أنه ما إن يعدد رئيس دير الى تنظيم قوانينه حتى يخلفه تلاميذ ينشئ كل واحد منهم طريقة نسكية وقوانين توافق او تخالف رئيسه السابق ، وهكذا الى ان تجمع في العالم المسيحي ، أديرة وقوانين من الصعب حصرها في مؤلف واحد .

علما بان معظم تلك القوانين قد نسجت على منوال قانون انطونيوس ، وباخوميوس واسيلي الذين مر ذكرهم في المباحث السابقة .

وتعداد الأديرة والجمعيات الرهبانية ليس بالامر السهل كما مر ، فهو عمل يحتاج الى وقت وجهد كبيرين ، الا انه تكفي الإشارة الى أهم الرهبانيات التي تأسست ايمان العصور الوسطى والتي تحولت جهودها في العصر الحديث الى اعمال التبشير خاصة في العالم الاسلامي ، ودول العالم الثالث بشكل عام .
وأهم هذه الرهبانيات :

- رهبانية الاباء البندكتيون

- جماعة الفرنسيسكان

- جماعة الدومينكان

- جماعة اليسوعيين

- الجسـيـثـودـيـزم (النظاميون) . (١)

الا ان القوانين الديرية الخاصة بالرهبان فانها تختلف كما سبق القول بحسب اختلاف الفرق المسيحية وما يهم البحث هو ما يختص بالفرائض والواجبات المقررة على الرهبان . لذا سيقصر هنا على بعض النماذج من هذه القوانين لمعرفة تلك المقررات .

١ - يراجع : - ما نشره الدكتور عبد الجليل شلبي من حلقات في جريدة المسلمون العدد الثامن والتسعين والتاسع والتسعين تاريخ ١٩ / ربيع الآخرة ١٤٠٧ الموافق ٢٠ / ديسمبر ١٩٨٦ حول جماعات التبشير ضمن سلسلة التبشير والاسلام .

الرهبانيسة السريانية :

تأثرت هذه الرهبانية الى حد كبير بالتقشف الانطوني والنسك الباخوسي وكانت العزلة من أهم السلطات التي يلتزم بها الراهب ، اضافة الى وجود عدة التزامات يفرضها القانونونها :

- ١ - لا يقبل في الدير أي راهب دون أن يحمل كتاب مأذونيته من الرئيس
- ٢ - عدم السطاح بمفادرة الدير دون اذن الاسقف المكاني
- ٣ - يمر البتدي* باختبار يمتد الى سنة واحدة على الاقل . (١)

الرهبانيسة الباسيلية (٢)

- هذه الرهبانية تعتبر صدى للنسك الباخوسي ومن أهم مبادئها :
- ١) - رفض نظام العزلة واختيار النسك الجماعي
 - ٢ - استقلالية الأديار من بعضها بحيث يكون لكل دير الحق بصياغة قوانينه جمعياته .
 - ٣ - سلطة الرئيس في الدير مطلقة .
 - ٤ - مدة اختبار البتدي* تخضع لتجارب قاسية
 - ٥ - تقام حفلة للمتخرج علنا وذلك لحفظ العفة (البتولية) امام رؤساء الكنائس .
 - ٦ - على الراهب ان يرتبط بالتعهد بالقوانين (فاذا خالفه وهجر الرهبنة مرتدا الى العالم ارتكب في عرف الرهبانية جريمة تدعى - القدسيات (٣)

- ١ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة الطارونية ص ٤٥-٥٤
- ٢ - نسبة الى باسيليوس : الذي جاء قانونه الديري بعد باخوميوس . وقد انتشر في الشرق . وكان عقل باسيليوس قد تذوق علم أثينا وبلاغتها . وكان طموحه اكثر من ان يشبعه منصب رئيس اساقفه فانسحب الى تيطس حيث عاش في عزلة موحشة وفي فترة من الوقت رأى من المناسب ان يسن القوانين للمستعمرات الروحية التي نشرها بكثرة على طول شاطئ البحر الاسود (راجع اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٣٢١/٢ ، وكذلك قصة الحضارة ٢: ٢/١ ١٢٤-١٢٥)
- ٣ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة الطارونية ص ٥٧-٦١

الرهبانيسة المارونية (١)

تأثرت الرهبانية المارونية بقوانين عدة منها ، قانون انطونيوس وباسيليوس واغوستينوس ، وهذا الاخير كان ينسب اليه قانون تيناه في القرن الثالث عشر الرهبان الدومنيكان .

وقد شهد القانون الماروني تطورات عدة بعد التزامه بالصيغة البدائية التي كان معمولاً بها قديماً ، وقد حصلت هذه التطورات خلال العصور الوسطى - واهم الالتزامات التي كانت تفرض على المبتدئ* :
اولا : يمر المبتدئ* بمرحلة تجربة تتراوح بين ٣ سنوات الى ٣ أو ٤ اشهر حسب ارادة الرئيس الذي يستقبل النذور .

ثانيا : ضرورة المواظبة على الصلوات .

ثالثا : ضرورة لباس الاسكيم بعد التجربة

رابعا : ابراز النذور الثلاثة : العفة ، الفقر ، الطاعة .

خامسا : يضاف الى ذلك نذر ، الصوم ، وهو الانقطاع عن أكل اللحم وكان على الفتى المشرح أن يدخل الكنيسة ويجثو أمام رئيس الدير بحضور جميع الأخوة ويقول (انا الاخ فلان) (أو الاخت فلانة) انذر واحد الله الضابط الكل والطوباه العذراء* مريم والطواوى انطونيوس وجميع القديسين ولك يا ابا نا ان امكث كل (ايام) حياتي خاضعا للقانون الاول الذي اعطانا اياه الطواوى انطونيوس وايلاريون وأثبتته سيدنا البابا انشنيوس ، سأحيا خاضعا للطاعة دون تلك وفي العفة .

ويجيبه الرئيس (وأنا فلان اذا حفظت طاعة طية أعدك بالحياة

الابسديسة آمين (٢)

١ - نسبة الى كاهن ناسك اسمه مارون (٣٥٠-٤١٠) م عاش بجوار اقاميا أي قلعة الضيق اليوم في سوريا ، ويعود سبب تأليف هذه الطائفة الى الاختلاف في الرأي بين الخلقيد ونهين (نسبة الى مجمع خلقيدونيا) وشغور الكرسي الانطاكي على اشرار الفتح العربي فألف أتباع مارون أو بيت مارون عصبة واحدة وكانوا ينتخبون لهم بطريركا خاصا لهم يرجعون اليه في جميع شؤنهم ثابتين على تعاليم المجمع الخلقيدونيسي الذي يُعَلِّمُ أن فــــــي المسيح اقنوط واحد وطبيعتين كائنتين ، دحضا لمزاعم نسطور واطيخا الكافرين (على حد تعبير بطرس فهد) .

راجع في ذلك : الكنائس الشرقية عبر التاريخ ، الاباتي بطرس فهد ص ٦٢-٦٣

مطابع الكريم الحديثة جونية ١٩٧٢ م ، وراجع ايضا : مارمارون ، قديس والقورشية اسبيرو جبور ص ٥-٩ ، المنشورات الارثوذكسية ١٩٨٢ مكتبة السائح طرابلس ، لبنان

٢ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ص ٩٧ الى ١٠٤

ويتضح من هذه الفقرة الأخيرة مدى نفوذ الرئيس ومدى الصلاحيات التي تخوله منح الحياة الأبدية لمن حافظ على ما عاهد عليه .
وستتضح الصورة بشكل أوضح أثناء الحديث عن الطغيان الديني الذي طارسته الرهبانية ، انطلاقاً من مبدأ الوصاية على البشر .

أما العقوبات بالنسبة للرهبانية الطارونية فقد نصت على :

- أن من يهجر الحياة الرهبانية ويرجع إلى العالم يرتكب تدنيس القديسات وإذا اتخذ الراهب الجاحد امرأة فإنه يرتكب خطيئة الفسق (١) !

الرهبانية النسطورية :

تنسب هذه الرهبانية إلى نسطور (٢) وقانونها يشمل عدداً كبيراً من القيود التي تفرض على الرهبان ، وربط تكون مواد هذا القانون أوسع من غيره ، ومن شروطه :

- ١ - لا يقبل " راهباً " من كان عبداً ، إلا بإذن مولاه وإن كان حراً وله أباء فبموافقتهم .
- ٢ - ويقبل راهباً من قتل خطأ .
- ٣ - أن يستنذر الفقر والعفة والطاعة وكل ما يستعمله ما هو إلا من ممتلكات الدير ويتعهد بعدم امتلاك أي شيء . وعدم بيع إلا وانسي التي يستعيرها من العمر .
- ٤ - يتعهد بعدم الزواج وأكل اللحم .
- ٥ - أن يقطع علاقته بأهله ولا يرجع إليهم (ولا يحادثهم ولا يلبس ثيابهم على سبيل البركة ولا يتعاطى أشغالهم وعند قبوله في سلك الرهبنة لا يحق له أن يأخذ من بيت أبيه شيئاً سواه كان أبوه غنياً أم فقيراً ، حياً أم ميتاً ، فإن أعطاه أبوه شيئاً على سبيل البركة أو أخوته بعد موت أبيه سيئس به يكون ذلك في سبيل البر ، وإن مات هذا الراهب ولم يكن قد أخذ من أهله شيئاً وخلف قلاية

١ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة الطارونية ص ١٠٨-١٠٩

٢ - ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه وأضافت إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة قال إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة ، الوجود والعلم والحياة وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هويات الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملاكية ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ولكن كإشراق الشمس في كوة أو على بلور أو كظهور النقش في الخاتم) : الطل والنحل ، للشهرستاني ، على هامش الفصل ٣/٣٧

فليس لأقاربه فيها شيئا فكلما أنه لا يرثهم لا يرثونه ، لكن ماله لا خوته الروحانيين
وان إلتصق أبواه أو اخوته شيئا على سبيل البركة يدفع لهم . وان مات أبوه
الراهب وله أخت أو أخوات صار الميراث لهن (١)

فان قبل الرهبان بموجب الشروط السابقة كان عليهم الالتزام بما يلي :

أولا : على الرهبان أن يعيشوا عيشة طبيعية معتدلة دون افراط
في تهديم صحتهم كما فعل الرهبان الأوائل بتعذيب أجسامهم تخلصا
من العالم الفاني وتقويا من الله لأن الله لا يطلب إلا مبلغ الاستطاعة .

ثانيا : يقوم الرهبان ببعض الأعمال لخدمة الدين فبعضهم يقوم بالطبخ
والبعض الآخر يزرع المحاصيل والحبوب واصلاح الأرض . ويعاقب
المخالف . فمن يتخلف عن الحصاد مثلا تكون عقوبته التوبيخ . . .

ثالثا : يقسم اليوم الى ثلاثة أقسام ، القسم الأول للعمل ، والثاني
للقراءة والصلاة والثالث للنفاد والهدوء .

رابعا : ينام الرهبان في بيت واحد على الأرض وينام رئيس الدير
والعرض على الأسرة ويمنع الراهب من خلع ملابسه عند النوم . ولا
يحل وسطه ولا ينام اثنان على مندة واحدة
خامسا : يشترط على كل راهب أن يكون مرتباً في كل أموره ولا يبقى خارج
عمره أكثر من ثلاثة ايام ولا يشرب فيها الخمر . (٢)
الى غير ذلك من الفرائض الأخرى .

١ - : نصارى العراق في العصر العربي ، جاسم صكبان الربيعي .

١١٤-١١٥ ، كلية الاداب جامعة بغداد ، ١٩٧٤م

٢ - ربط أدرك الرهبان هنا مدى خطورة ما ذهب اليه الأوائل من تعذيب الجسم
فلما رأوا عقم هذا السلك أعرضوا عنه ، لانه يحل الانسان ما لا يطيق .

وعلى الرغم من ذلك فان التعمنت في الالتزام بالواجبات والفرائض
هادت لتؤكد تعمسف الرهبانية تجاه حياة الناس .

٣ - نصارى العراق في العصر العربي ص ١١٥-١١٧

اديرة النساء وقوانينها

لقد أحدث باخوميوس في المسيحية بدعة لم يسبق اليها ، وهي ادخال النساء الى الاديرة والالتزام بالترهب فقد شعر هذا الأخير بأن (قلب اخته مريم يحمل نحو حياة التقوى والفضيلة ، لذا ارسل بعضا من اخوانه يبنون لها بيتا في قرية تبينسي على مقربة من ديرها الأول وأقاموا فيه معبدا صغيرا وبعد قليل من الزمن أتت نساء كثيرات يضعن أنفسهن تحت ادارة وسلطة مريم ، وهكذا نشأت أديرة كثيرة للنساء ايضا) . (١)

ان هذا الاجراء لم يكن وليد البيئة التي نشأ فيها الحواريون أتباع المسيح عليه السلام بل هو كما لوحظ وليد الفراغ الذي أحدثه غياب همس طيبة السلام وتعاليمه الصحيحة .

وان استند الرهبان الى نصوص مزيفة تدعم آراءهم بضرورة ترهب الرجال فانهم لن يجدوا مطلقا نصا يؤيد دعواهم بالترام النساء في الاديرة واتخاذ طريق الراهبات .

واغلب الظن ان هذا الجدل قد استوحى باخوميوس من البوذية التي (٢)

أقرت قوانين للراهبات واتخذت لهن أديرة للعيش فيها .
ويعتبر جيروم من أقدم آباء الكنيسة في الدفاع عن عزوبة النساء وادخالهن مسلك الراهبات وتعتبر رسائله الى العذراوات من أشد الوصايا حطسا في هذا
الصدر (٣)

١ - ج : تاريخ الكنيسة الشرقية ١٧٠ / ١

٢ - انظر : ص (١٥٧) من هذا البحث

٣ - كتب جيروم الى احدى الفتيات يقول لها (انه لا يعارض في الزواج ولكن الذين يتجنبونه ينجون من سدوم ومن الأم الحمل وصراخ الأطفال ، ومتاعب البيوت ، وعذاب الغيرة ، وهو يعترف بأن طريق العفة شاق أيضا وأن ثمن البكورية هو اليقظة الدائمة . . . ان فكرة واحدة قد تكفي لضياح البكورية . . فليكن رفاقك هم صفر الوجوه الذين هزلت أجسامهم من الصوم . . . ليكن صومك حدثا يتكرر في كل يوم . . اغسل مبرك ورشي مغدك كل ليلة بالماء . . . ولتكن عزلة فرفتك هي حارسك طيس الدوام . . . ودعي الله عريسك هو الذي يلعب معك في داخلها . . . فاذا غلبك النوم وجاءك من خلف الجدار ، ود يدك من خلال الباب ، وصح بطنك ، فصحوت من النوم وقمت واقفة وناديت " إني أهيم بحبك " فتسمعينه يقول (إن أختي حبيبتي جنة مغلقة ، ومن ط غير مفتوحة ، وينبوع مختوم) ويقول جيروم إنه لما نشر

بعض القوانين المتعلقة بالراهبات :

وضعت قوانين عدة لاديرة الراهبات ، كما وضعت رئيسات لضبط النظام
بينهن وحددت الواجبات الصلوة بهن . . ويمكن اجمل هذه الواجبات بالآتي :

- ١ - على الراهبات ان يقصن شيئاً من شعورهن على هيئة صليب ،
وليسن الثياب السود ويعشن عيشة جماعية لا تفضيل فيها .
 - ٢ - لا تقتصر واجباتهن على الصلوات بل ترتيل الأناشيد في جنازة
الموتى يوم دفنهم وكذلك في الايام التالية ، بيد أنه لا يسمح لهن
بالذهاب الى المقبرة .
 - ٣ - يعهد اليهن واجب الشطاسة ليدهن طالبات العطاء والتثبيت
بالزيت بعد أن يكون الكاهن قد دهنهن في جبهتهن .
 - ٤ - يسمح لهن بترتيل المداريس (الكتب الدينية) والأناشيد الروحية
بينهن وليس في الكنيسة .
 - ٥ - يشترط في رئيسة الدير أن تكون متقدمة في السن ومشهود لهن
بحياتها العفيفة ، وكان يتم تعيينها عن طريق الانتخاب .
 - ٦ - يسمح للرئيسة بتوزيع القران على الراهبات والنساء والاولاد .
 - ٧ - على الراهبات أن يتجنبن كثرة الثثرة والمعادن الطويلة ، وحفظ
السنتهن من النجاسة . .
- هذا الى جانب قواعد أخرى وارشادات تتعلق بالطعام والسلبساس
الخاص بهن (١)

هذه الرسالة " حياها الناس بوابل من الحجارة ، ولعل بعض قرائها قد أحسوا
في هذه النصائح بلوعة سقيمة في رجل بيد وأنه لم يسلم بعد من حرارة الشهوات .
ولما ماتت بليسا (BLISA) الفتاة الزاهدة - الموجه اليها تلك
الرسالة - بعد بضعة أشهر من ذلك الوقت (٣٨٤ م) أخذ الكثيرون ينددون
بالزهد الصارم الذي طمسها إياه جيروم ، وأشار بعض الوثنيين بالقائه هو وجميع
رهبان روط في نهر " التيبير " لكن جيروم لم يندم على ما فعل ، ووجه
الى أمها الشكلى ، التي كاد الحزن أن يذهب بعقلها رسالة تعزية وتقريع)

قصة الحضارة ٤ / ١ : ١١٠-١١١

٢ - راجع هذه القوانين في : نصارى العراق في العهد العربي ص ١٢١

تطور القوانين الديرية في الغرب وأثرها

بقيت أنظمة الأديرة وقوانينها تتأرجح بين ط و جزر لا يستقر لها قرار ، فهي تزيد أحيانا وتنقص أخرى بحسب فتور الهممة ، أو قوتها ، حتى ظهر (بندكت * ٤٨٠-٥٤٣) (١) حيث تمكن من وضع نظام حذت حسنة وه أديرة أوروبا ونالت في أوساطها شهرة كبيرة .

ومن أهم مقرراته :

- ١ - أن من يدخل الدير يقسم ويتعهد أن يعيش فقيراً أعزب وأن يطيع رئيسه ط دام حيا .
- ٢ - وأن حياة الراهب صارت حياة كد وكدح متواصل في الكنيسة والدير والحقل لكل ساعة من ساعات اليوم عمل خاص فجعلت الأديرة تقوم بالزراعة ورفعت من شأنها وضا عفت في حاصلاتها فضلا عن أنها أرست معاهد للعلم .
- ٣ - ولما كانت الرهبنة تُفسر أحيانا بالعزلة قاوم (بندكت) هذه الفكرة اشد مقاومة فحتم على أتباعه أن يعيشوا ويناموا معا ويحلبوا معا ويقوموا بكل صغيرة وكبيرة - لا أفراداً - بل بهيئة مجتمع .
- ٤ - وكان كل دير يقوم بجميع شئون نفسه ولا يخضع لأسقف ط سوى البابا شخصيا .
- ٥ - وقد اغفل بندكت في قبول الرهبان كل الفروق الاجتماعية والطبعية والجنسية فظهرت المساواة لا خاء داخل الأديرة بين الروماني والشمير والمسيحي والحر . (٢)

١ - بدأ بندكت حياته راهباً متوحداً ومتقشفاً متبتلاً في أحد الكهوف بمنطقة تقع في وسط إيطاليا إسمها سوبياكا . . وأدرك ط كان يعانيه الرهبان المتوحدون (أي المنعزلون) من مصاعب نتيجة الحياة التي كانوا يحيونها . فقام بتأسيس دير الأول في مونت كاسينو حيث إلتف حوله عدد من الرهبان فوضع لهم قانونه المعروف باسمه حوالي سنة ٥٢٩) . عالم المعصور الوسطى ج . ج . كولستون ص ١٢١ - ١٢٢ . ت : د . جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ مصر الاسكندرية .

٢ - راجع في هذا العدد : معالم تاريخ المعصور الوسطى ص ١٠٦

وطى الرغم من الاحتياطات التي راعاها بندكت في قوانينه ومحاولة سد الشغرات التي وجدت في القوانين القديمة إلا أن ذلك لم يمنع مطلقاً من تدهور الحياة الرهبانية ، لقيامها أصلاً على مقاومة السنن الإلهية في الخلق . ، إذ أن الفساد ط لبث أن اعتري البندكتيين فازدادت الشرورة ، الموقوفه على الاديرة التابعة لهم وتدهورت اوضاع الرهبان^(١) ، مهاتت الحاجة ماسة للإصلاح فعقد " ديركلوني " سنة ٩١٠ م^(٢) إلى تفادى ذهاب هذه النحلة وشجع هذا الدير الحرب الغربية ضد المسلمين في اسبانيا كما شجع حركة الحج إلى الأراضي المقدسة .

وقد تخرج من هذا الدير الراهب (هلد برند) الذي تولى المنصب البابوي باسم غريغوري السابع (٥٩٠-٦٠٤) .^(٣)

١ - من صور الانحلال والتدهور التي تعرضت لها الاديرة البندكتية : ان اثنين من رهبان فارنا . . قتلوا مقدم الدير سنة ٩٣٦ م وفرضا سيطرتها على الدير حيث عاشا عيشة اقرب إلى الامراء ، فصار لكل منهما زوجته واولاده واتباعه الذين ينعمون بخيرات الدير وضياحه) . : اوربا العصور الوسطى ، د . سعيد عبد الفتاح طشور ٢٤٢/٢ مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٨٠

٢ - ظهرت جماعة ديركلوني في فرنسا في بداية القرن العاشر وكان اساس نظامها الاستقلال التام عن السلطات الدينية والدنيوية والاتصال المباشر بالبابوية . . (راجع : عالم العصور الوسطى ص ١٧٢-١٧٣)

٣ - كان هذا الرجل قد وضع الأساس المتين الذي بني عليه نفوذ بابوية روما في الأمور الدينية والعلمانية على السواء فكان يسمى إلى استقلال الكنيسة الغربية عن زميلتها الشرقية فسي بيزنطة في الناحية الدينية كما وضع اللينيات الاولى لاستقلال البابوية من الناحية السياسية ، وقد هيأت الظروف التي أحاطت بنهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط فرصة طيبة لتحقيق اهداف البابوية في الناحيتين الدينية والدنيوية . (

: مقدمة الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ، ل. م. هارتمان

ج . باراكلاف . ت : د . جوزيف نسيم يوسف ص ٤٧ دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م
وراجع في ذلك ايضاً : تاريخ الإصلاح ص ٨

ثم انتعشت الديرية في القرن الثالث عشر بظهور فرنسيس^(١) الذي أسس جماعة "الاخوان الفرنسيسكان" الذين شرعوا يجهون البلاد حفاة بملابس رثة، إلا أن هذه الجماعة فرط عقد ها لاعتزال مؤسسها ولجؤ أفرادها السي بحبوحة المعيش ووضعت نفسها تحت سلطات البابا^(٢).

كما عاصرت هذه الفرقة فرقة أخرى دعت باسم جماعة (الدومنيكان^(٣)) التي اعتمد عليها البابا في تنظيم محاكم التفتيش ولما أدرك البابا عظم الخدمات التي يؤديها هؤلاء الرهبان الشحاذون للكنيسة رفع شأنهم وأباح لهم تأدية الواجبات الدينية التي كانت قاصرة على القسس فنشأ العدا^(٤) بين الطائفتين - الرهبان، والقساوسة - وفاز الأولون ونالوا رضا^(٥) الخاصة والعامة^(٦).

وقد أقاض الدكتور الشيخ عبد الجليل شلبي في تفصيل أعمال وأهداف هذه الجماعات الرهبانية ومشاركتها في العديد من الأنشطة المعادية للإسلام^(٧).

١٠ - اسمه الأصلي "جان" وهو من بلدة أسيسي في إيطاليا وقد عاش عيشة الشحاذين (١٢٠٨) وقد تركزت جماعته في أكواخ صغيرة، وقد جاء فرنسيس في حلسة لويس التاسع على ديات من أجل السلام (كما يقال) ولما طرد من فلسطين وجد جماعته قد استقرت في دار فاخرة تتم عن المعيش المريح والرفاهية فطردهم.

: محاكم التفتيش، نشأتها ونشاطها د. اسحق عبيد ص ٣٠ ط ١٩٧٨

دار المعارف بمصر.

٢ - راجع معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٨

٣ - اتباع دومنيك الذي ولد في قشتاله بإسبانيا ودخل سلك الكهنوت وكان ضالعا في اللاهوت وفي علم الكلام. وشارك في المجمع اللاتيراني سنة ١٢١٥ وقد انصب اهتمام الدومنيكان على التبشير (: راجع : محاكم التفتيش ص ٣٠

وراجع كذلك : العيشة الهنية في الحياة النسكية لأفرايم الديراني ص ٣٩٢ ، الطبعة الأدبية بهروت ١٨٩٩ م .

٤ - : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٨-١٠٩

٥ - راجع : التبشير والإسلام، الحلقات ٩٠٨ ، من جريد المسلمين الأعداد ٩٧ و ٩٨ من ١٢-١٨ ربيع الآخر ١٤٠٧ هـ و ١٣-١٩-١٩٧٦

رابعاً :

أثر القوانين الديرية في الصور المغالية للرهبانية

إذا كانت الرهبنة الهندية وعلى وجه الخصوص الجينية منها تعتبر في نظر العلماء "مسألة لأقصى أنواع الرهبنة" ، فإن الرهبانية المسيحية تعتبر بحق وتحمل قمة هذه الأنواع ، ، وذلك لما رافق ورافق هذه الحياة من ضروب في تعذيب الجسم وقهر الروح ما يخرج عن الحد المألوف .
وان كانت الجينية قد خفت ضوؤها واضمحلت قواها لكثرة ما انزلت باتباعها من غش و ضنك ، فإن الرهبانية المسيحية تكاد تطلق نفس الصير ، ولا أدل على ذلك من تلك الصرخة التي اطلقتها مجلة الشرق المتخصصة بالحياة المسيحية ، التي وصفت حالة الرهبانية بعين دامعة وقلب منكسر حينما قالت . . . (اما اليوم وقد تغيرت الاحوال والا مزجة فاضطرت الرهبانية ان تراعي في الطالب مزاجه ومقدرته على العمل ، فلا تكلفه من الاشغال ، ولا تفرض عليه من العقوبات ، ما كانت تكلفه اياه وتفرضه عليه من قبل ، ورفضت عن كل هذه التسهيلات نرى الدعوات تقل عن الماضي . . . وربط كان حسب ذلك النقص فتورا في الدين نراه اليوم بعين دامعة لمنسل في قلوب الكثرين ويد من فيهم روحا عصرية فاسدة هي روح الكبرياء والانانية . . .) (١) -

تري ما الذي جعل الرهبان يتراجعون عن مقاصدهم ؟ وما الذي يدفعهم الى التخلي عن التزاماتهم وقوانينهم الديرية ؟
ان في عرض الصور المغالية للمناسك الرهبانية اجابة شافية على الاسئلة وما على أصحاب الرهبانية الا العدول عن ارائهم والتبصير هو أنفع لهم ولبرعتهم التي تتقاسم معهم الآثام المعريضة ، .
وسوف استعرض بعضا من صور الغلو الرهباني المتسم بالقسوة والشدة طم بان الوسط المسيحي ينظر الى هؤلاء المغالين بعين الرضا والقبول معتبرين أصحابها قدسين وشغفاء وخذ على ذلك امثلة :

اولا : مكاريوس الاسكندري :

"نشأت بين النساك الفرادى منافسة قوية في بطولة النسك يتحدث عنها " دوشين " (Abbé Dachesne) بقوله : ان مكاريوس الاسكندري لم يكن يسمع بعمل من أعطال الزهد إلا حاول أن يأتي بأعظم منه " فاذا امتنع

غيره من الرهبان عن أكل الطعام المطبوخ في الصوم الكبير امتنع هو عن أكله سبع سنين وإذا طألب بعضهم أنفسهم بالإمتناع عن النوم شوهده مكارهوس وهو يبذل جهده المستميت لكي يظل مستيقظا عشرين ليلة متتابعة وحدث مرة في صوم كبير أن ظل واقفا طوال هذا الصوم ليلا ونهارا لا يذوق الطعام إلا مرة واحدة في الأسبوع ولم يكن طعامه هذا أكثر من بعض أوراق الكرنب .

ولم ينقطع خلال هذه المدة عن ممارسة صناعته التي اختص بها وهي صناعة السلال وليت ستة اشهر ينام في مستنقع ويعرض جسده العريان للذباب السام (١) .

ثانيا : بيساريون ، سراييون ، ورفاقهم

ومن الرهبان من أوفوا على الغاية في اعطال العزلة ، من ذلك سراييون الذي كان يعيش في كهف في قاع هاوية لم يجروا على النزول اليها الا عدد قليل من الحجاج ، ولم يصل جيروم هولا الى صومعته هذه وجد فيها رجلا لا يكاد يزيد جسده على بضعة عظام وليس عليه إلا خرقة تستر حقوبة ، ويغطي الشعر وجهه وكثفيه ولا تكاد صومعته تتسع لفراشه المكون من لوح من الخشب وبعض أوراق الشجر (٢)

ومن النساك من كانوا لا يرقدون قط أثنا نومهم ومنهم من كان يداوم على ذلك أربعين عاما مثل بيساريون او خمسين عاما مثل باخوم . ومنهم من تخصصوا في الصمت وظلوا عدا كبيرا من السنين لا تنفج شفاههم عن كلمة واحدة - ومنهم من كانوا يحملون معهم اوزانا ثقالا أينما ذهبوا . ومنهم من كانوا يشدون أعضاءهم باطواق أو قيود أو سلاسل ومنهم من كانوا يفخرون بعدد السنين التي لم ينظروا فيها الى وجه امرأة . . . (٣)

ثالثا : سمعان العمسودي (٣٩٠-٤٥٩)

بنى سمعان لنفسه في عام (٤٢٢م) عمودا عند قلعة سمعان في شطلي سوريا وطاش فوقه ثم رأى أن هذا اعتدال في الحياة يجلله المار فاخذ يزيد من ارتفاع العمود التي يعيش فوقها حتى جعل سكنه الدائم فوق عمود يبلغ ارتفاعه ستين قدما ولم يكن محيطه في أعلاه يزيد على ثلاثة أقدام وكان حول قمته سور ينسج " القديس " من السقوط على الأرض حيث ينام ، وطاش سمعان على هذه

١ - قصة الحضارة ٤/١ : ١٢٠

٢ - المصدر السابق ٤/١ : ١٢١

٣ - المصدر السابق ٤/١ : ١٢٣

البقعة الصغيرة ثلاثين طام متوالية معرضا للمطر والشمس والبرد ، وكان اتباعه يصعدون اليه بالطعام وينقلون فضلاته على سلم يصل الى اعلى العمود ، وقد شد نفسه على هذا العمود بحبل حرز في جسده ، فتعفن حوله وتتن وكثرت فيه الديدان ، فكان يلتقط الدود الذي يتساقط من جروحه ويعيده اليه ويقول :

"كلي ما اعطاك الله " . وكان يلقي من منبره العالي مواظ على الجماهير التي تحضر لمشاهدته (١) .

رابعا : انطيوخوس وانطونيوس :

ليست سيرتهم اقل غرابة فان الأول بنى حائطا في وسط صخر والاخر انفرس على ذورة جبل عال وكان كل منهما يصرف نهاره مختصبا على قد فيه يتأمل وصيت شهواته ويكبد جسده عذاب الجوع والعطش .

وكان أكثر أولئك الناسك يدفعون الناس بمثل الوسيلة الآتية وهي : انهم يحيطون على اكتافهم خشبة ثقيلة فاذا أثقل الناس أجفانهم لشدة التعب وطول السهر تسقط الخشبة الى الارض فيهرب الناس من صوت وقعها (٢) .

ان هذه الصور المغالية لم تكن الا صدى لما كان الرهبان يتلقونه من رؤسائهم من قوانين واوامر ، تلك الاوامر التي يجب التقيد بها فلا يجوز مخالفتها ، فهي بمثابة الامر الالهي الذي لا يجوز عصيانه . وقد كانت الممارسات العنيفة بمثابة تدريبات للرهبان .

فمن صور هذه الاوامر ان واحدا من أولئك الرؤسا (امرأهبا جديدا ان يقفز في نار مضطرة فصدع الراهب الجديد بالامر ...) (٣)

كما ان هذا الرئيس قد أمر راهبا جديدا آخر أن يفرس عصارثيس في الارض ويسقيها حتى تخرج أزهارا فلبث الراهب عدة سنين يذهب الى نهري النيل على بعد ميلين يحمل منه الماء ليصبه على العصا ، ...) (٤)

ومن ذلك ما تراهي لجبرائيل الأهدني حيث رأى معلمه يونان وأمره ان ينشر صخرة كانت تعوقه عن توسيع كنيسة دير قزحيا (٥) .

- ١ - قصة الحضارة : ٤/١ : ١٢٣ وراجع كذلك في هذا الشأن : معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى ص ١٦٠ ، وراجع كذلك صرامة التقشف ضمن مقال عن " الحياة النسكية في لبنان خلال القرن السادس عشر للخوري بطرس غالب مجلة المشرق ٢٧/٢٦٠ وكذلك راجع : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢/٢٢٦-٢٢٧
- ٢ - الحياة النسكية ، مجلة المشرق ٢٧/٢٦٠
- ٣ - قصة الحضارة ٤/١ : ١٢٢ وضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢٢٧٢
- ٤ - قصة الحضارة ٤/١ : ١٢٢
- ٥ - المشرق ٢٧/٢٦٠

هذه الأوامر وإن كانت بمثابة تمرين للراهب إلا أنها كانت مصحوبة بالعقوبات إن لم يذعن الأمور بالأنصاع والطاعة لرئيس الدير .

إن (كانت أعمال الراهب ، وكلماته ، وحتى أفكاره تحددها قواعد صارمة أو يحدد لها رئيس متقلب المزاج ، وإذا ارتكب اتفه الذنوب عوقب بالتشهير المشين أو الحبس أو الصيام غير العادي أو الجلد القاسي أو العصيان أو التضجر ، أو المطالبة فأنها كانت تعتبر في حداد الخطايا الرهيبة السقوتة . . .

كانت مثلاً قاعدة كولميانوس السائدة في الغرب تقضي بتوقيع عقوبة مائة جلدة كعصا للذنوب التافهة . وقبل عصر شارلمان كان رؤساء الأديرة ، يقطعون أطراف الرهبان ويفقأون عيونهم وهي عقوبة أقل قسوة بكثير من السجون أو القبور المشيدة تحت سطح الأرض والتي ابتكرت بعد ذلك (١)

إن هذه العقوبات كانت بمثابة السيف السلطاني رقاب الرهبان . وهكذا بات من المؤكد أن الراهب يعيش بين فكي كفاشة ، واحدة دينية نتيجة التزمت والتعننت في النصوص الدينية التي صاغها بولس ورواد فكره المتطشرون والأخرى دينية ممثلة برئيس الدير أو من ينوب عنه .

سيفان سلطسان على رقبة هذا الباغسس الذي لا ذنب له إلا أنه وقع في أيدي زمرة الرهبان الذين وقعوا مثله من قبل في حمأة هذا السمير .
وإذاً ذلك فإن الآثار السيئة التي ترتبت على ظهور هذه الحالات فسي الحياة الرهبانية قد تفاقم أوارها وعادت بالويل والشبور على أصحابها .
وهذا ما سيكون الحديث عنه في الصفحات المقبلة .

خامساً :

الآثار السيئة المترتبة على الغلو في الرهبانية

ان التشدد والضييق والعنت المصاحب للحياة الرهبانية ارتدت
آثاره السيئة على حياة أولئك الرهبان التعساء ، وقد كان هذا الوضع كفيلاً
بانعكاس آثاره السدرة ايضاً على المجتمع المسيحي ككل .
فعلى صعيد الاديرة لم يكن الحرمان الجنسي والتعذيب الجسدي وكذلك
النفسي سوى عوامل سوء أدت الى انحراف خطير في سلوك الرهباني وهددت بأمراض
خطيرة كالجنون وغيره .

ولقد اعترف العلماء بهذا الافراط وذاك التفريط واثبتوا العجز عمن
تحقيق الحياة الرهبانية ، من ذلك ما قاله ديورانت وغيره :

(لم ترض الكنيسة عن هذا الافراط في التقشف ولعلها كانت تحس بشي
من الفخر الوحشي في هذا الاندلال النفسي وشي من الشراهة الروحية في هذا
الانكار الذاتي وشي من الشهوانية الخفية في هذا الفرار من النساء ومسكن
العالم كله وسجلات أولئك الزهاد حافلة بالروايات والاحلام الجنسية ، وصوامعهم
تتردد فيها أصداً أنينهم وهم يقاومون المغريسات الخيالية والأفكار الفراميسية
وكانوا يعتقدون أن الهواء الذي يحيط بهم غاص بالشياطين التي لا تنفك تباهجهم
ويبدون أن الرهبان قد وجدوا ان حياة الفضيلة في العزلة أشق منها لو أنهم عاشوا
بين جميع مغريات المدن .

وكثيراً ما كان الناسك تختل موازين عقله فيها هوذا روفنس يحد ثنا عن راهب
شاب دخلت عليه في صومعته امرأة جميلة فلم يستطع ان يقاوم سحر جمالها
ثم اختفت من فورها في الهواء كما ظن هو ، فما كان من الراهب الا ان خرج هائماً
على وجهه الى أقرب قرية له ، وقفز في فرن حطام طام ليطغى النار المستعرة
في جسده (!)

ومطهروى في هذا الصدد ايضاً : (ان فتاة استأذنت في الدخول الى
صومعة راهب مدعية ان الوحوش تطارد ها فرضي ان يؤمها وقتاً قصيراً ولكن حدث
في تلك الساعة ان ست جسده صاده فاشتعلت نار الشهوة فيه كأن سني التقشف
الطوال التي مرت به قد انقضت دون ان تحدث فيه أقل أثر .
وحاول الراهب ان يسبك بها ولكنها اختفت من ذراعيه وعن عنقه

ويقول الرواة ان جماعة من الشياطين اخذت تغني وتهلل طربا وتضحك من سقطته . ويقول روفينس ان الراهب لم يطق حياة الرهبنة بعد تلك الساعة ، فقد عجز كما عجز بفنوس في مسرحية تيمس لأناطول فرانس عن أن يبعد عنه روثيا الجمال التي ابصرها او تخيلها فغادر صومعته وانغمس في حياة المدينة وسار وراء هذ الروثيا حتى أوصلته آخر الأمرار الى الجحيم . (١)

وقد صور جييون تلك الآلام والأحاسيس المزعزعة التي كانت تنتاب الرهبان من آونة لاخرى ، : (حتى النوم وهو آخر ملاذ للبؤساء التعساء ، كان يقاس ويحسب في صرامة ، وكانت ساعات الفراغ التي يقضيها الراهب ترفيقي بطة دون مسلسل او متعة لهذا كان قبل انتهاء كل نهار يتهم الشمس مرارا وتكرارا بالتكوى الذي يثير اللل .

وفي هذه الحالة المتعبة المجهدة كانت الخرافة تطارد اولئك البؤساء المتعلقين بها وتعذبهم ، وراحة البال التي ذهبوا الى الدير ينشدونها كانت تزعجها فكرة التوبة المتأخرة ، والشكوك الدنسة ، والشبهوات الاثيمة ، ولأنهم كانوا يعتبرون كل دافع طبيعي خطيئة لا تغتفر فقد كانوا يرتعدون دوما على حافسة هاربة ملتصبة لا قرار لها ، وفي بعض الاحيان كان الجنون او الموت ينقذ هؤلاء الضحايا البائسين من كفاهم المولم ضد المرض واليأس .
(ولهذا) أقيم في القرن السادس مستشفى في أورشليم لعدد صغير من اولئك التائبين الزاهدين الذين فقدوا صوابهم . (٢)

هذه الامراض كانت تشغل الاطباء ، فها هو الطبيب العربي ابو الحسن المختار ابن الحسن بن عهدون ، المعروف بابن بطلان البغدادى ، النصراني المتوفى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢ م) استعرض الامراض التي تعترى الرهبان في الدير ، ومن بعد من المدينة ، وذلك في كتابه " كفاش الدير والرهبان " (٣)

١ - قصة الحضارة ٤ / ١ : ١٢٤

٢ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢٣٥ / ٢

٣ - مقدمة كوركيس عواد على كتاب الديارات لابي الحسن الشابشتي

ص ٤٦-٤٧ ، منشورات مكتبة المتنبي ، مطبعة المعارف ببغداد ١٣٨٦-١٩٦٦
وراجع كذلك : نوادر المخطوطات ، ت : عبد السلام هارون ، المجموعة الرابعة ص ٣٤٥-٣٤٦ ، ط ١ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة

سادسا :

النذور الثلاثة : مناقشتها ، ونقدها

نظرا لخطورة القوانين الديرية وما يترتب عليها من آثار سيئة

فقد رأيت من الضروري بيان خطر القوانين المتعلقة بالنذور الثلاثة المقررة على الرهبان ، وتكساد الجمعيات الرهبانية ، الشرقية ، منها والغربية ، تجمع على فرضية هذه النذور ، إلا ما شذ منها بعض الشيء . فهي بشكل عام القاسم المشترك . ولذلك فمن الضروري التوقف عندها لغير أهميتها لدى الرهبان ومن ثم مناقشتها ونقدها وتفنيد حججها .

وردت في نصوص القوانين الديرية نذور يلتزم الرهبان بها ، ومن غير الجائز مطلقا الخروج عليها وهذه النذور هي :

- نذر الفقر - نذر العفة - نذر طاعة رئيس الدير

اولا : نذر الفقر ، على الراهب الالتزام بنذر الفقر الموعود في الرفض الا ملاك الخارجية ، . . . او الممكن اكتسابها ، واذا كان النذر احتفاليا فيرفض حق الاختصاص نفسه حتى ان كل ما يقصده من افعال التملك يكون قانونيا غير جائز (١)

وطيه فان التملك ممنوع في عرف الرهبان وعلى الرغم من اعتراف الشرع بحرمات الرهبان من الطائفة والاستقلال إلا أنهم يتكلمون في تطبيقه بحجة أنه يقرب من الكمال فهم يقولون مثلا :

يفرض النذر تضحيات شاقة : لأنه يحرم الراهب هذه الطائفة ، وذلك الاستقلال اللذين يخلو بها الاستعمال الحر لارزاقه ، فيتدخل أحيانا بعض حرمانات تفرضها الحياة المشتركة . انه لشاق وذلك الالتجاء الى الرئيس كالم راهب في عوز الى ضرورات الحياة إن في ذلك اذن أعطال فضيلة يلزمنا النذر بها ، لا يجعلنا نحل الى الكمال فقط بل تقرنا منه (٢)

وقد التزمت جمعيات رهبانية كثيرة حالات الفقر حتى أطلق على أصحابها اسم الرهبان الشحاذون (٣) ، كالفرنسيكان والد ونيكان وراهبات الفقراء الصغار وغيرها من الجمعيات التي انتشرت في اوروبا خلال العصور الوسطى (٤) ، وقد بقي القليل منها في الوقت الحاضر .

١ - خلاصة التصوف المسيحي ١٤٢/١ ٢ - المصدر السابق .

٢ - راجع : تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة ، محمد كرد علي ص ٧٧/٧٨ مطبعة التقدم ، ص ٤ - العيشة الهنية ص ٥٩٥ ومعاليم تاريخ العصور الوسطى ١٠٨

وقد فلسف بعض الرهبان هذا النذر فلسفة فارغة تنم عن قلة ادب مع الله تبارك وتعالى ، مضاهاة لقول اليهود من قبل ومن ذلك قولهم : (الفقر : هو حركة تفكير داخلي وخارجي تتجدد يوم بعد يوم ، هو طفولة متزايدة نصير فيها متواضعين أكثر فأكثر وأطفالا أكثر فأكثر على مثال الرب نفسه على مثال الله فالله هو الفقير الأبدى (تعالى عا يقولون) إنه كل شيء ولكنه لا يريد أن يمتلك شيئا بل يبذل كل شيء حتى ابنه الوحيد أي نفسه) . (١)

وكما هو معلوم فقد رد الله تعالى مقالة اليهود الآثمة حيث قال تعالى : (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَا سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (٢)

ثانيا : نذر العفة

يقصد بالعفة هنا التبتل وذلك يكون بالامتناع عن النساء وعدم التزوج وهي في عرفهم " انتصار على شهوة الجسد وانعتاق عن مهام وهموم الحياة العائلية مستدلين بمقول بولس (ان غير المتزوج يهتم فيط للرب كيف يرضي الرب وأمسك المتزوج فيهتم فيط للعالم كيف يرضي إمرأته فهو منقسم) (٣) فعلى الراهب كي يحفظ طهارته مدى حياته أن يسهر ويصلي (اي) ان يبيت حواسه الخارجية وفضله ويكبح زيفان المخيلة والحس) (٤)

ويستشهد الرهبان أيضا على ذلك بسفر الروميا ومن قوله (ثم نظرت وإذا خروف واقف على جبل صهيون ومعه مئة وأربعة وأربعون الفا . . . هو لا هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم ابكار) (٥) .

ثالثا : الطاعة لرئيس الدير

لقد نصت القوانين والتوصيات على ان سكن " الراهب " هو الدير بار حيث يعيش تحت نير الطاعة مع اخوته ويعترف الرهبان بأن الطاعة هي الصلحة المشتركة ، يعلنها الرئيس ولكنها تتجاوز الرئيس والمروءوس معا فعند ما يطيع الراهبان يخد مون حياة الكنيسة وبنائها (٦) .

-
- ١ - الحياة الرهبانية ، رهبنة طرجا ورجيوس د ير الحرف ص ٩٠ ط ١٩٨٤
 - ٢ - ال عمران : ١٨١ ٣ - ١ كو ٧ : ٣٢-٣٣ ٤ - خلاصة التصوف المسيحي ١٤٢/١ ٥ - روميا ١٤ : ١-٥ وانظر الحياة الرهبانية ٩٢-٩٣
 - ٦ - راجع التنظيم الرهباني : ١٠ - والحياة الرهبانية ص ٩٥ وقد انتقد البروتستانت هذه النذور . راجع تاريخ الاصلاح ص ٢١٨-٢١٩

- مناقشة قوانين النذور الثلاثة والاطار الناجمة عن الالتزام بها :

سرفى الصفحات السالفة رأى الرهبان فى النذور الثلاثة ، والغرض من وجوبها على الطرزمين فى السلك .

ولرب قائل يورد الاعتراض التالى : ان النذر مشروع عند أهل الكتاب ولا يحق هنا التعرض لآحكامه عند هم لخروجه عن نطاق البحث . . . ؟؟
وطيه فان الاجابة تكمن فى معرفة مضمون المناقشة المطلوبة فى هذا الموضوع ، فلا أحد ينكر مدلول الاعتراض لحساسية هذا الجانب ولن نتطرق اليه لهذه الغاية .

الا انه من الحق دراسة الاثار المترتبة على هذه النذور والساوى* التى تعتبرها ، وفى بيان ذلك هبة لا على الابصار ، ولعدم الوقوع فى نفس الاخطار .
ولهذا فانه من الواجب بيان رأى الاسلام فى النذور اولاً ومن ثم التعرض للاخطار الناجمة عن التزام الرهبان بنذورهم .

فمن رحمة الله تبارك وتعالى على عباده انه لم يكلف نفساً الا وسعها وط شدد قوم على أنفسهم إلا شدد الله عليهم لخروجهم عن الوحي والانتقال من باب السعة الى باب الحرج والضيق .

وما لاشك فيه ان صور النذر عند أهل الكتاب لم تأخذ طابع العنف والقسوة ابتداءً ، كما صورته الرهبانية فيما بعد .

فقد أخبرنا القرآن الكريم عن نوع من نذور أهل الكتاب وذلك فى قوله تعالى (إِنَّ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . . .) (١).

كما جاء لفظ النذر فى قوله تعالى (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرًّا وَهَئِى إِلَيْكَ بِجُذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا فَكَلَسِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي هُنَا فَاِذَا تَرَيْتِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) (٢).

١ - ال عمران : ٣٥

٢ - مريم : ٢٤ - ٢٦

ففي قوله تعالى (فقلوبى إننى نذرت للرحمن صوما) أى صمتاً عن الكلام وقيل بمعنى الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت وأنما أمرت بالصمت صيانة لها من الكلام مع المتكلمين لها ولأن همس عليه السلام تكلم عنهما فاخبرها بانها نذرت الصمت بهذا الكلام ،، وقيل بالاشارة ، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت (١) .

وتعريف النذر في الاسلام هو : لغة : الوعد بخير أو شر .

وشرعاً : الوعد بخير خاصة ، وقال بعضهم هو التزام قرينة لم تتعين

وقال الراغب : النذر ان توجب على نفسك ما ليس بواجب ، لحسن وث (٢) أمر) .

وهو ينعقد بنذر الناذر اذا كان في طاعة الله (٣) . ولا يكون النذر الا في طاعة الله لما رواه البخارى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ) (٤) .

واذا كان النذر مشروطاً بشي ء فإنه يجب بحصول ذلك الشيء (٥) والا فإنه يحنث وعليه الكفارة وذلك في مسائل مختلفة مسبوطة في كتب الفقه باب الأيمان والنذور . وقد وردت عدة أحاديث تفيد النهي عن النذر ، فقد روى الامام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَنْذِرُوا فَإِنَّ النَّذَرَ لَا يَنْفَعُنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا وَأَنَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ) (٦) .

كما روى الامام البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النذر قال انه لا يرد شيئاً انما يستخرج به من البخل) (٧) .

ويفسر ابن الاثير النهي عن النذر بقوله (انما هو تأكيد لامره وتحذيره عن التهاون به بعد ايجابه ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل لكان دل ذلك ابطال حكمه واسقاط لزوم الوفاء به اذ كان النهي يصير معصية فلا يلزم الوفاء به .

وانما وجه الحديث انه قد اطعمهم ان ذلك امر لا يجر لهم في العاجل نفعا ولا يصرف عنهم ضرراً ، ولا يرد قضا ، فلا تنذروا على أنكم تدركون بالنذر شيئاً لم يقدره الله لكم ، أو يصرف به عنكم ما جرى به القضا طيكم فاذا فعلتم ذلك

-
- ١ - : التسهيل لعلوم التنزيل ٨/٣ ٢ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣/٦٨
 - ٣ - الافصاح ، لابن هبيرة ٢/٣٣٩ ٤ - صحيح البخارى ٧/٢٣٣
 - ٥ - الافصاح ٢/٣٣٩ ٦ - صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٩٨
 - ٧ - صحيح الامام البخارى ٧/٢١٣

فاخرجوا عنه بالوفاء ، فان الذي نذرتموه لازم لكم (١) .

وقد أيد الامام النووي ما ذهب اليه الطزري من احتلال ان يكون (سبب النهي عن النذر كون النساذر يصير ملزماً له فيأتي به تكلفاً بغير نشاط قال :
ويحتل أن يكون سبب كونه يأتي بالقرينة التي التزمها في نذره على صورة
المعاوضة للأمر الذي طلبه فينتقص أجره وشأن العبادة أن تكون متحصنة لله تعالى
قال القاضي عياض ويحتل أن النهي لكونه قد يظن بعض الجبهة أن النذر يسرد
القدر ويمنع حصول القدر فنهى عنه خوفاً من جاهل يعتقد ذلك وسياق الحديث
يويد هذا والله اعلم) .

وقد وردت أحاديث كثيرة تشير الى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن
الوفاء بالنذر والشاقة التي لا يحتطبها الانسان والتي ترهق كاهله فمن ذلك :
ما رواه الامام البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : **إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ تَعْدِيْبِ هَذَا نَفْسَهُ (لرجل) وَرَأَى يَحْشِي بَيْنَ ابْنَيْهِ**
وفي روايه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأى شيخاً يهادي بين
ابنيه فقال : **مَا بَالُ هَذَا ؟** قالوا : **نَذَرْنَا أَنْ يَحْشِي** ، قَالَ **إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْدِيْبِ هَذَا**
نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ وَأَمْرُهُ أَنْ يَرْكَبَ) . (٤)

وفي هذا الحديث إشارة الى عدم جواز نذر ما لا يحتل . ومن ذلك ايضاً
ما رواه الامام البخاري عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يطوف
بالكعبة يزمام أو غيره فنقطعه (٥) .

وفي رواية (أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ وهو يطوف بالكعبة
بانسان يقول انساناً بخزامة في أنفه فقطعها النبي صلى الله عليه وسلم بيده
ثم أمره أن يقول **يُؤَدُّهُ بِيَدِهِ**) . (٦)

كما تشير أحاديث أخر بالنهى عن الغلو في النذر ، وترك ما لا يطاق منها
فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : **بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا أَبُو إِسْرَافِيلَ نَذَرْنَا أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ

-
- ١ - : جامع الاصول في احاديث الرسول لابن الاثير الجزرى ت : عبد القادر
الاناووط ٥٣٩ / ١١ ط ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م ٢ - صحيح مسلم بشرح النووي
١١ / ٩٨-٩٩ ٣ - صحيح البخاري ٢٣٤ / ٧ ٤ - صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٢ / ١١
٥ - صحيح البخاري ٢٣٤ / ٧ ٦ - المرجع السابق .

وَلَا يَسْتَظِلُّ وَلَا يَتَكَلَّمُ وَصَوْمُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً فَلَيْتَكُمْ وَلَيْسْتَظِلُّ ،
وَلَيْقَعِدَ وَلَيْتَمَّ صَوْمُهُ . (١)

كما أوضحت أحاديث أخرى النهي عن نذر ما لا يملك العبد من ذلك ما
رواه الإمام مسلم من حديث عمران بن حصين قال . . . (. . .) لَا وَقَالَ لَنَذَرَ فِي مَعْصِيَةٍ
وَلَا فِيهَا لَا يملك العبد (٢) .

والخلاصة ان نذور الرهبانية هي بمثابة الزام وفرض على الرهبان لا يجوز
تركها عند هم ولا عند خروجها عن السلك الرهباني .
وقد لوحظ ما تنقسم به هذه النذور من مشقة وعنت ، وقد استعرضت نظرة

الاسلام الى النذور وان مفهومه عندنا يختلف عما هو عند المسيحيين ، ذلك لانه
لا يقدم خيرا بل يؤخذ من البخل او الشحيح والمسلم مأثور بالبذل والعطاء
والانفاق في وجوه الخير ، وقد نهى عن البخل والتقتير .

وطيهه فاني ساتعرض فيما بعد للاخطار الناجمة عن النذور الثلاثة
للمعبرة والمعظة ، وناقشتها ، وتفنيدها كلا على حدة .

١ - صحيح الإمام البخاري ٢٣٤ / ٧

٢ - صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ٩٩ - ١٠١

الاطار الناجمة عن الالتزام بالنذور الرهبانية :

غني عن القول ان امراضا اجتماعية وخلقية قد تمخضت عن التزام الرهبان بنذورهم وتقيدهم بالقوانين المفروضة عليهم .

وسأبدأ بتفنيد كل نذر على حدة :

اولا : نذر الفقر :

تكفل الله تعالى برزق الناس ، فقد رلهم أقواتهم وهياً لهم سبل معيشتهم فهو الخالق الرازق المعطي الطانع المعز النذل . وليس معنى ذلك أن يرتقي الانسان في احضان التواكل ويستسلم للذة بل هو مدعو الى الضرب في ضاكن الارض قال تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَاسْجُوا فِي مَخَابِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَالْيَّسَّ النَّشُورُ) (١) .

وذلك تحقيقاً لمعارة الارض وتحكيم شرع الله تعالى فيها ، الى جانب ذلك فهو مدعو لبراز ايمانه عند الشدائد والمحن بالصبر على سنة التمحيص والابتلاء . قال تعالى (أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنَّا وَهْمًا لَا يَفْتَنُونَ) (٢) .

هذا الابتلاء متعدد الأشكال فقد يكون بالفقر أو بالغنى أو بالمرض ، أو بفقد الأبناء والآباء (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (٣) . (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (٤) .

وسنة الابتلاء عامة لجميع الخلق فقد ابتلى الله بني اسرائيل تمحيصاً واختباراً قال تعالى (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (٥) .

كما ابتلى الله المسلمين في كثير من المواطن ، كفزوة احد ، وحنين وغيرها كثير .

واذاً ذلك فما على العبد اطم هذه المحن سوى الصبر والاحتساب ، فهبط السبيل لدرء أخطارها ، وتجاوز الابتلاء . ومن العبادى المعينة على ذلك الصبر والتواضع لله تعالى والاعتدال في أمور الحياة والترفع عن مباحجها ومغرياتها

١ - تبارك : ١٥ ٢ - المعنكوت : ٢-١ ٣ - البقرة : ١٥٥-١٥٦

٤ - محمد : ٣١ ٥ - الاعراف : ١٦٨

واتباع ما اباحه الله تعالى من النعم دون تقتير او اسراف .
(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما
أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) (١)

هذا التوسط المستنبط من الآية الكريمة هو وسيلة ناجعة لتحقيق الغرض المنشود ، اما اختراع حالة الفقر مع القدرة على تحاشيه وردءه والسطح باهدار كل ما يمت الى الحياة الكريمة بصلة ، وترك ما يقيم الانسان صلبه ، واتخاذ التسكع وسيلة للكسب ، فهو انكار لنعم الله تعالى على عباده ، كما انه مبعث للرهبان والسعة ، وهما من الأمور المحبطة للعقل .

فما الداعي الى انكار انعام الله وافضاله ؟ قاله تعالى (يَحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ النِّعَةِ عَلَىٰ عِبْدِهِ) (٢)

والاسلام يحض على هذا فقد روى ابو الا حوص عن ابيه قال (أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَيَّ ثَوْبِي دُونَ (بال) فَقَالَ لِي : أَلَيْكَ مَالٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : مِنْ أَيِّ الْمَالِ ؟ قُلْتُ : مِنْ كُلِّ الْمَالِ ، قَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ : مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ ، وَالغَنَمِ ، وَالسَّخِيلِ ، وَالرَّقِيقِ ، قَالَ : فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيَمْرَأْهُ نِعْمَةً اللَّهِ عَلَيْكَ وَإِكْرَامَهُ) (٣)

والزام الناس بما لا يطيقون يورث الكآبة والقنوط من رحمة الله تبارك وتعالى ولهذا جاءت الاستعاذة (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ) (٤)

فإذا قصدت الرهبانية من وراء هذا النذر التواضع لله والتذلل له ، فلا يكون عن طريق الاستجداء والاستعطاء والتسكع أمام الناس كما فعل رهبان الفرنسيسكان والدومنيكان وغيرهم ، فهي خصال تعط من كرامة الانسان التي منحها الله له (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (٥)

اما الطريق الأمثل فهو سبيل التوسط والاعتزان (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ مَنْعِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ لِمَا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) (٦)

١ - القصص : ٧٧

٢ - راجع ما فعله الرهبان في هذا الخصوص : " تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة ، محمد كرد علي ص ٧٧

٣ - أخرجه الترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده باسناد حسن ، راجع جامع الاصول ٦٥٨/١٠

٤ - أخرجه النسائي ، ورواه الاطام احد في السند ٤٧٣/٣ واسناده صحيح

انظر : جامع الاصول ٦٥٨/١٠ - ٥ - رواه ابو داود والنسائي باسناد حسن راجع جامع الاصول ٣٥٦/٤ - ٦ - الاسراء : ٧٠ - ٧ - الاسراء : ٣٩ - ٣٠

فإذا اخطت هذه الموازين وترك الانسان لهواه أمر التشريع كما فعلت
الرهبانية بنذر الفقر فإن الحياة تتخذ طابع السلبية وتتحدرنحو الهاوية .

ولعل بعض المنظمات الرهبانية أدركت تلك المذلة التي يرتكبها غلاة
الرهبان ، فسنت قوانين من عندها ففرضت على الرهبان القيام بالاعمال البدنية^(١)
تداركا لهذا الموقف المخزي .

ومهما حاولت الرهبانية لتفادي هذه المعضلة إلا ان المشكلة الاساسية
التي تواجهها تبقى دون حل وهي معضلة المتسكين في القلايا والمحابس الذين
يحبسون انفسهم في الكهوف والمغارات النائية في اطالي الجبال^(٢) . واغلب الظن
ان هذه البدع أخذت تقل تدريجيا في العصر الحديث لأنها تنافي الفطرة الانسانية
التي فطر الله الناس عليها .

ومن مراقبة حركة التاريخ وما نجم من بدعة نذر الفقر والحرمان يعلم ان
أنهين الرهبان وامراضهم وحالاتهم المزمنة ادت بشكل او بآخر الى ردة فعل
عكسية في المجتمع الكنسي .

فهذه اكبر سلطة رهبانية تعيش منذ تسلمها مقاليد السلطة وسط مجتمع
الكرادلة والاساقفة حياة مليئة بالترف والبذخ . وهال السيدة " دايانك مودادي سارا
واك " ما رآته من أبهة الكرسي البابوي وما يحيط به من مآزل يندى الجبين لها .
وهكذا يتناسى الرهبان ما عاهدوا عليه من نذر للفقر ضاربين قرارات
مجا معهم عرض الحائط وهذا الفشل نابع من العناد الذي ترتكبه الرهبانية
بغرض قوانين تعارض الفطرة البشرية وتقتل فيها روح الخير والسعادة .

١ - راجع : تاريخ الكنيسة الشرقية ١٨٤ / ١

٢ - راجع مجلة الشرق ٦٥٣ / ٢٧

٣ - هذه السيدة أسلمت وتسمت باسم " خير النساء " دى سارا واك وكتبت كتابها
بعنوان " من رومة الى مكة " وقد شرحت فيه رحلتها الطويلة قبل اسلامها ومقابلاتها
للبابا وانتقدت فيه الكنيسة واعمالها وما قالت في هذا الصدد (وعلى الرغم مما كنت
اشعر به في بد " زياراتي لرومية لم أملك نفسي من الدهشة لهذه المظاهر التي
لاحت لي كأنها تحيلية اشبهت بحياة السارح ، واعتراني ألم عيق في نفسي لشاهدة
العظمة المتجلية في مكة الغاتيكان من المظاهر المادية وأبهة القصور وثن الاشاث
زد على ذلك ما شاهدته من الزى المدني للكاردينالية ما أثار في كثير من الفتنور
الروحي ، ففكرت أننذ بالمسيح وحياته وتقشفه وصبره وقناعاته وكل ما كان يتحلى به من
شظف العيش . . . رأيت البابا الوريث الزمني يتقدم بموكبه الطكي محمولا على الظهور
جالسا على أريكة تحف بها المجوهرات من كل جنب فيغشى لمعانها الابصار . . .)

راجع ص ٤١ من الكتاب المذكور . ت : رافت شنبور ، طبعة اللوا طرابلس الشام ١٩٣٥
لبنان . وراجع في قضية الترف والبطر : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦٤٣ / ٦
د . جواد علي . وعن رذائل الكليروس راجع : تاريخ الاصلاح ص ٥٧٤

ثانيها : نـنـذـر التبتـل

مر الحد يث عن رفض الكنيسة السطاح للرهبان والقسس بالـزواج . وقد

بينت أحكام النكاح في الاسلام ومكانته . .

ولم يقتصر النقد السوجه الى هذا المبدأ على المسلمين ، فقد وجهت

انتقادات من قبل بعض المسيحيين ايضاً :

يقول صاحب (ربحانة النفوس) ان هذه العادة لا يوجد لها برهان في الكتاب المقدس ، وانما دخلت بالتدريج ، لما خامرهم من توهم افضلية البتولية وظنهم انها اذكى من الزواج ، ومدح من جاء على اثرهم لها مدحاً بالغاً النهاية في الاطراء فحسبوها من الواجبات الادبية المأمور بها ، ووضع نظام وقوانين لوجوبها في الجيل الثالث ، حتى قاومتها كنائس اخرى ، ورفضت بدعة البتولية وقوانينها ، لمغايرتها للطبيعة ، ومضادتها لنص الكتب الالهية واستقرائها اذيرة الراهبات بأنها في بعض الاماكن كانت بيوتاً للفواحش والفساد (١).

وفي كتاب البراهين الانجيلية ضد الباطيل البابوية (يقول :

(ان ذم الزهجة خطأ لانها على الافضل لان الرسول أخبر بان الزواج خير من التوقد بنار الشهوة وأن الأكثرين من رسل المسيح كانوا ذوي نساء ، تجول معهم ، ومن المعلوم أن الطبيعة البشرية تفصب الانسان على استيفاء حقها ومن العدل أن تستوفيه وليس بمحرم عليها استيفاءه حسب الشريعة . . ولا استطاعة لجميع البشر على حفظ البتولية .

ولذلك نرى كثيرين من الأساقفة والقسس والشمامسة لايل من البابات

المدمن المعصية قد تكرروا في هوة الزنا لعدم تحصنهم بالزواج الشرعي .

هذا وان ذات النذر بالاعتناع عن الزواج هو غير طدل ، لتضمنه سلب

حقوق الطبيعة وكونه يضع الانسان تحت خطر السقوط في الزنا ويفتح باباً واسعاً لدخول الشيطان .

وكان الراهب ينذر على نفسه مقاومة أمر الله وعدم وجود ألوف . . .

ربط كانت تتولد من ذريته فكانه قد قتلها . وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الانجيلية قط . فالطريقة الرهبانية هي اختراع شيطاني قبيح لم يكن له رسم في الكتب المقدسة ولا في اجيال الكنيسة الاولى ، وهو مضر على انفس الرهبان وعلى الشعب فمن يقاومه يقاوم الشيطان . وهو لا الرهبان لا نفع منهم للرحمة ، انما هم كالأمرأ الذين

يتخذون لانفسهم قصورا خارج العمران ، فيتعمون وحدهم في اديرتهم
ويسلبون اموال الشعب بالحيل والمخادعات وهم كسالى بطالون ، يعيشون من
اتعاب غيرهم ، خلافا لسلوك رسل المسيح . والمبشرين القدامى ، الذين لم نسر
واحد منهم انفرده عن العالم في مكان نزوته ، واحتال بان يعيش من اتعاب الشعب (١)

هذه شهادة مسيحية على ما يرتكبه الرهبان من اخطاء
نتيجة تسكهم بهذا الهدأ . (٢)

اضافة الى ذلك فان الفضائح التي تزكم الانوف والتي يرتكبها
الرهبان والراهبات اكثر من ان تحصى . والمؤرخون اعرف بهذه القضايا .

فعلى الرغم من شدة التعاليم الدينية والدعوة للمحافظة على تطبيقها
كل ذلك لم يمكن الرهبان من قهر الحاجة الجنسية لديهم ، بل عكست فعلها
لدى ولييك المتعبد بين المتبطين من ذكور واثبات .

(وان الاخبار التي استقيت من حياة الرهبان والمتعبدين تبين الحاجة
التناسلية وعطشها) فقد كانت تحركهم وتدفعهم اليها كما أصبح الامتاع الجنسي
على العموم مستحيلا عند رؤساء الكهنة ط خلا بعضهم ، وهو عدد ضئيل ، فلم
يثبت الطارئة والكهنة أمام قوة الضرورة الجنسية .

فقد روى (MEZERAY) في القرن الثامن للميلاد أن معظم
الطارئة والقساوسة في فرنسة الذين لم يتزوجوا ، كانوا يحصلون على نساء (خليات)
يشبهن الحظايا) ط جعل المصلحين في القرن السادس عشر بها جمون عزيمة
الكهنة بقوة) وقسوة ، فقرر مجمع (Mibam) بأن يكون للحظايا زى خاص
بهن وأن يضمن من ارتشاد الفنادق والمؤسسات العامة ، وخصص لهن بعض
الأحياء ليقيم فيها ،، ووضعت تلك المحال تحت رقابة الطارئة والسلطات المدنية .

ومن المعاول التي ساعدت الكهنة على ذلك نقصان عدد الرجال بسبب
سفرهم مع حملات الحروب الصليبية ، فزاد عدد النساء اللائي يقين بدون زوج
وحصل في (WILRHOLLER) في أواخر القرن الخامس عشر
عشر أن السكان رفضوا أن يسافروا او ينضموا الى تلك الحملات الصليبية لعدم

١ - معاصر التأويل للقاسي مجلد ٩ ج ٦ ص ٦٠ وراجع عن ذلك : تاريخ الاصلاح

٢ - راجع كذلك ط كتبه الدكتور الشعلان عن نقد بعض المسيحيين لهذا الهدأ
وذلك في كتابه : نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام ، ١ : ٣٨ وطبعها

اطمئنانهم على نساءهم خوفا من زيارات الكهنة لهن ، ولط فشا مرض الزهري في اوربا سنة ١٤٩٣ م بواسطة بحارة كولمبس أصاب هذا المرض الساري الفتاك اغلب الكهنة تقريبا (١).

وقد أفرد الأستاذ عبد الكريم التتير فصلا مطولا عن فحش البابوات وفسقهم وتعرض لحياة العديد من القسس .

ويمكن اعطاء بعض النماذج عن تلك الفضائح التي لطخت سمعة رجال الدين المسيحي عبر التاريخ ، طط بأن القصد من وراء هذا العرض ليس التشهير انط هو للتنبيه وأخذ العبرة لعل القاصمين على الرهبانية يفسحروا رأيهم واسلوبهم في الحياة والعودة الى ط امرالله تبارك وتعالى

اولا : حياة القديس داماسوس الاول (٣٦٦-٣٨٤)

لقد وجه " ارسنيوس وحزبه " اتهاما الى هذا القديس ووصفوه بأنه رجل زاني (٢).

ثانيا : القديس سكستوس الثالث (٤٣٢-٤٤٠)

اقبست دعوى ضده بتهمة افتضاض بكارة احدى العذارى ، وقد الف مجمع للحكم على " قداسته " (٣).

ثالثا : يوحنا الثامن (٨٧٢-٨٨٢)

هذا البابا لم يكن رجلا بل امرأة ، وای نوع من النساء ؟ من النساء الزانيات ، وكان الشعب مغشوشا " بقداسته " ولم يشك احد في انوثته الا معارفه الذين كانوا يمسون له او بالاحرى (لها شهواتها) وبينما كان هذا البابا ماشيا في احتفال في مقدمة الكردينالات والمطارنة محاطا بالزينة والانوار علامة على قسوة وجلال البابوية أتى (لقداسته) المخاض وذلك في أهم شارع من شوارع روما (٤).

١ - كتاب : " الزواج " عرضا كحالة ٤٠ / ١

٢ - راجع : " تاريخ الفحشاء " أو تاريخ الآداب العمومية ص ١٦٥-١٧٤ ط في ٢٠ ايلول ١٩١٢ لبنان ، وقد استند المؤلف في بحثه الى مصادر غربية كثيرة منها - محافل البابوات ، لبالي ، و- تاريخ البابوية ، لريدل ، وجرائم النصرانية لفوت وهوبكر - و الخوري والمرأة والاعتراف للاب شينكوى الى جانب العديد من المصادر الاخرى راجع ص ١٦٧ وط بعدها .

٣ - المصدر السابق ص ١٦٦-١٦٧ ٤ - المرجع السابق . وراجع كذلك : تاريخ الاصلاح ص ٧

اما تاريخ حياته فهو : ابنة أحد المرسلين الانكليز . . . كانت لها علاقة غير شرعية باحد رهبان (فولد) لذلك لبست ثيابا كالرجال وهربت مع عاشقها الى اثينا وهناك مات حبيبها بعد مدة قصيرة بعد وصولها .

بعد موت العاشق رجعت هذه الزانية الى روما وهناك بسبب معارفها المستازة صارت خوري فكردينال ثم ارتقت فصارت بابا وظلت الى أن هرفت أنوثتها وذلك لما ولدت طفلا امام الجمهور وهسي ماشية في مقدمة احد المحافل العظيمة وعند هذا الوقت حتى أيام لاون العاشر (١٥١٣-١٥٢٢) فسي القرن السادس عشر الى لدة نحو ستة أجيال ونصف كانوا يقيمون في روما احتفالات (و) التي لا يمكن وصفها هنا حيث تحدث عند انتخاب كل بابا وذلك للكشف طيه كي يتأكد ما اذا هو ذكر او انثى (١) .

رابعاً : اسكندر السادس (٢) (١٤٩٢-١٥٠٣)

ان قداسة هذا البابا كان من الادنيا ولم يكن له أقل سلطة على شهبواته وقد أقام حفلات الرقص والخلاعة والمجون في قصره وقد أثار بأعماله الشنيعة سخط الكثير من الناس فقد أقدم على ارتكاب جريمة الزنا بابنته لوكريسيا بوريجيا التي كانت في الوقت ذاته خليلته أختها ، وكانت شدة معارك خفية تضطرم في ذلك العريش بين عباده الجطل والهوى المحرم ، وكان جان سفورزا زوج لوكريسيا أشد الناس تأييداً لهذه التهم (٣) .

وينقل بوركارت لمحة من لمحات المجتمع الروماني الذي طاش فيه هذا البابا فيقول (وكان يسود ذلك المجتمع الروماني " الرفيع " يوشف نوع من الفساد الشامل ، وتغلب فيه حياة الفجور والمرح ، وط قولك بمجتمع يقدم فيه سيده وزعيمه الروحي . - البابا - أسوأ المثل الأخلاقية فيصطفى الخليلات جهارا . وينتزع الزوجات من أزواجهن ويقتني فيه شيوخ الدين من كرادلة وأساقفة الخليلات جهارا وتتنقل فيه الزوجات الشرعيات زوجات الأمراء والكبراء بين أعضان العشاق من مختلف الطبقات ويغمره ظمأ الشهتك والخلاعة ويغفل فسي حفلاته وفي مرجه ومجونه كل مظاهر الحشمة والحياء (٤) .

١ - تاريخ الفحشا ١٦٧-١٦٨

٢ - اسمه الحقيقي رودريجو بوريجيا ثم تحول الى اسكندر السادس ، راجع محاكم التفتيش د . اسحق هيد ص ٣٤ الطبعة ١ ١٩٧٩ دار المعارف بمصر .

٣ - انظري المآسي والصور الغوامض ، محمد عبد الله عنافاص ٢١ طبعة دار الكتب

المصرية ١٩٤٤ م وقارن مع : محاكم التفتيش ص ٣٤-٣٥

٤ - المآسي والصور الغوامض ص ١٧ ، نقلا عن مذكرات (بوركارت) ، وربما

كان الاسم الصحيح (بيركارد) راجع كذلك محاكم التفتيش ص ٣٥

خامسا : بيوس التاسع

يتحدث التنير في العشرينات عن هذا البابا فيقول : اذهب الان الى روميا وهناك الروم الكاثوليك يدلونك على البنتين الجميلتين اللتين ولدتا للبابا بيوس التاسع (١٨٤٦-١٨٧٨) من صاحبته وهناك يخبرونك عن اسطوخموس صاحبات اخر له - ثلاثة منهن راهبات - وهؤلاء كان يعاينهن منذ كان خوريسا وطرانا (١) .

ومن اضطلع على محاكمة السيولميوتاكيل وما ألفه من غرام البابا بيوس التاسع تحت عنوان " الباطحات الثلاث أو أسرار روم " بجزأيه يعرف تطام مدى صحة ما نقله التنير فسي كتابه .

تلك الفظائح لم تكن وحدها على هذا المستوى الذي وصلت اليه بل هناك مؤسسات دينية اخرى تطرق اليها هذا الفساد . ولرب قائل بان حياة الأبراطورية كانت تدعو الى مثل هذه الميائل وربما كانت الاديرة انظف اخلاقا واشد عفافا من الاباطرة .

الا ان الواقع يكذب هذه العقولة ، فقد ترجم محمد فريد وجدي ما نقلته دائرة معارف لاروس الفرنسية ^{عن} حالة الاديرة خلال القرون الوسطى ومن ذلك : (ما قاله (دويتز) بعد أن زار الاديرة في النمسا وفي الممالك الأخرى التابعة للطك فرديناند الاول سنة ١٥٦٣ قال : انه رأى طائفة وعشرين ديرا تحتوى على ٤٣٦ راهبا و ١٦٠ راهبة و ١٩٩ سرية و ١٥٥ امرأة متزوجة و ٤٤٣ طفلا .

وقد كتب هذا الكاتب حينه يقول (انه يخشى ان يتكلم على راهبات زمانه تفاديا من ان يظن انه تكلم باسهاب ومجون عن محلات الفسق والفساد والعهر لبنات الهوى بدل أن يتكلم عن حظائر الطهر التي تعيش فيها العذارى الواقفات أنفسهن لعبادة الله لأن الاديرة الدينية لم تكن اليوم هي تلك المعابد المخصصة لعبادة الله بل صارت بيوت فسق ومحلات اجتطاع اهل الدعارة من الشباب الذين لا هم لهم الا قضا شهواتهم البهيمية) (٢)

وليست هذه الامور من الشؤون المنعزلة ولا الخاصة بزمان دون زمان ففي الازمنة القديمة لام القديس نسيبريان (والقديس بازيل عذارى زمانهما الاتسي

١ - تاريخ الفحشاء ص ١٧٤

٢ - راجع : أسرار روم ، ورواية الباطحات الثلاث . ت : طانيوس عبده ، مطبعة الانصاف ، الناشر ، ابراهيم خليل ، بيروت .

٣ - دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، مادة رهب : ط ٣ وعن الفجور والدعارة في الاديرة راجع : تاريخ الاصلاح ص ٣٦٨

وقفن حياتهن لله على ما ظهر من عدم عفتهم ، ورأى " جان كريسوستوم " انه لا يكفى قتل الراهبة التي تخون عفتها ، بل رأى ان تقطع او تدفن حية مع شريكها في الاثم (١) هذه شهادة كافية للدلالة على فشل مدرسة الرهبان لنذر التبتل والعفة ، ومن الدلائل الأخرى على ذلك ما ذكره ابو الحسن الشاذلي في وصف الدير والرهبان من خلال كتابه " الديارات " وما كان يدور فيها من فسق ومجون ، وما قيل من اشعار الغزل في الرهبان والراهبات . (٢)

هذا ما كان يحصل في العصور القديمة والوسطى ، أما في العصر الحاضر فان هذه الفضائح تفاقمت وتعدت الى ما لا يمكن السكوت عنه .

فالأمراض الفتاكة أصبحت تهدد كيان المجتمع البشرى من جراء ما اكتشف من أمراض مهينة كالإيدز والهربيس وغيرها . فضلا عن الأمراض المعدية كالزهرى وغيرها مما بات يشكل خطراً على حياة الانسان ، وقد كشف الدكتور محمد علي البار حقائيق مذهلة عن انتشار الزنا في المجتمعات الغربية خاصة في مجتمعات الرهبان ورجال الكنيسة . . . (ففي تحقيقات بارعة نشرتها " الديلي ميل " عام ١٩٧٠ ذكرت أن الاحصائيات تدل على أن ما يقرب من ثلثين بالمشة من الرهبان والراهبات ورجال الكنيسة يمارسون الزنا . . . وان ما يقرب من أربعين بالمشة منهم يمارسون الشذوذ الجنسي ايضاً ، وانتشار الزنا في رجال الكنيسة ورهبانها وراهباتها قديم الا انه لم يكن بمثل هذا الشيوع .

ولا شك ان الكنيسة تتابع تطور المجتمع الغربي وقد أباحت كثير من الكنائس الغربية الزنا كما أن بعضها قد أباح اللواط . . . وفي بعض الكنائس في الولايات المتحدة يتم عقد قران الرجل على الرجل على يد القسيس .

وانا طمنا أن روتشيلو الكاردينال الفرنسي المشهور كان مصاباً بمرض الزهرى أشد الأمراض الجنسية خطورة فاننا لا نستغرب أن تنشر مجلة النيوزويك في عدد هذا الصادر في ١٩٧٤/٧/١ أن أحد كبار كرادلة فرنسا مات وهو في أحضان إحدى العاهرات في باريس ، وقد نشرت مذكرات إحدى العاهرات في فرنسا فجاء فيها أسماء ثلاثة بابوات وأحد عشر كرادلة (٣) .

وتبعاً لهذا التطور فقد انتشر مرض الإيدز بين الرهبان ، ففي رسالة نشرتها جريدة المسلمون تبين ان (ماريو رفشيو وهو راهب اصيب بمرض الإيدز وقد اعتزل حياة الدير لانه اصيب بهذا الداء أثناء وجوده هناك بين ستمين راهبا وقد اعترف ان دير " نيو انجلند " رغم وجود الصمت فيه الا انه لم يمنع قيام علاقة خاصة بين الرجال الستين (٤) .

١ - راجع : مادة رهب في دائرة معارف القرن العشرين ، ط ٣ - ١٩٧١ نقلاً عن دائرة معارف لاروس ٨٩٧/٣

٢ - راجع كتاب " الديارات " لابي الحسن الشاذلي ، ت : كوركيس عواد .

٣ - مجلة المجتمع عدد ٦٤٨ ٢ ربيع الاول ١٤٠٤ ص ٣٦ الكهيت

٤ - جريدة المسلمون العدد ١٠٥ السنة ٣ ، ٩ جلد في الاخرة ١٤٠٧ هـ

ثالثاً : طاعة رئيس الدير

هذا المبدأ يعتبر من أهم الشغرات المحدثّة في السلك الرهباني وهو بالتالي هدف لأقوى الطاعن الموجهة الى الكنيسة ورجالها .
فالطاعة الصحيحة الواجبة لولي الأمر بحسب قوله تعالى (. . . أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ . . .)^(١) تأخذ طاعماً حساساً لدقّة المسؤولية الطقاة على الولي ، ولا يمكن بحال من الاحوال ان يكون مفهوم هذه المسؤولية كما يراها الرهبان والقسس .

فالطاعة الحقّة تكون لمن عني بتطبيق شرع الله تبارك وتعالى في الأرض وانزال الناس عند حكمم الباري وقضائه ، والاطار العام الذي ينبغي ان يعمل على تنفيذه يتعلّق في اقامة الحدود ، والفصل في المنازعات ، والسهر على مصالح الناس ، وتسهيل أمور حياتهم الدينية والدنيوية والدعوة الى الله تبارك وتعالى قولاً وعلاً وجهاداً .

ونعني بالأمور الدينية : ارشاد الناس نحو تطبيق أوامر الله تبارك وتعالى التعبدية ، صلاة وزكاة وصيام وحجاً ، وحشهم وتذكيرهم بها والمحافظة عليها من غير أن يرتبط هذا العمل بأي شعار يوجب تقدّيس ولي الأمر أو رفع مرتبته ومنزله وايصالها الى مرتبة الوسطاء والقديسين كما تفعل الرهبانية برؤوساء الأديرة وكبار رجال الكهنوت .

فالسلام يوجب طاعة ولي الأمر فيما لا يتعارض مع طاعة الله تبارك وتعالى ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فان لم تكن هذه الطاعة وفق الضهج القويم فان النظام باسره يكون عرضة لخلل دائم يورث الفشل الذريع وينتهي الى الاضمحلال لانه يحلّ المجتمع عبثاً ثقيلاً ، وهذا السبب ناجم عن اتباع الناس لاوامر هؤلاء الرهبان وهم بشر معرضون دائماً للخطأ والزلل .

والانسان اذا امتطى حطاقة القيام بمصطبة التشريع فقد تعدى حدود بشريته طمعاً في نيل رتبة المشرع ، وهو يعلم ان الله تبارك وتعالى وحده هو الذي يشرع للناس ما يهيمهم من أمور دينهم ويفرض عليهم العبادات والطاعات التي يراها لهم .

ولا يمكن بحال من الاحوال قبول دعوى الرهبان بان ما يؤدونه من طاعة لروءسا الدير انما هو تطبيق لشرع الله ومنهاجه ، وان صاموا وان ضلوا . ذلك لان شرع الله تبارك وتعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما يطبقه الرهبان يخرج عن هذا النطاق ، اذ ان السحة البشرية المستدعة بادية على القوانين والانظمة الديرية ولا مجال لانكار أو اقبال أسسها واضعها ، وليس للرهبان نية اى مستند شرعي صحيح يثبت ان عيسى عليه السلام قد وضع هذه القوانين وتلك القواعد التي تتحكم بالحياة الديرية .

ومن راقب انا جيلهم يعلم انه عليه السلام لم ينمزل في مغارة عمن مجتمعه ولم يأو الى كهف في جبل أو أنه هذب جسده بحمل أو حديد أو أهرق نفسه بالاذلال بل نراه يخالط المجتمع ومعظم الرجال والنساء على السواء ويناقش المعاندين من اليهود وغيرهم .

من كل ذلك يتبين لنا أن الانحراف عن العبادى التي جاء بها عيسى عليه السلام انما جاءت نتيجة الايحاءات التي بثها بولس وتتبعها انطونيوس وباسيليوس ومن لف لفهم فهو لا هم الذين ابتدعوا تلك القوانين ثم توالى المتدعون عبر تاريخ الكنيسة ستوحين قواعد هم ممن سبقهم من الرهبنة اليهودية وبقية الاديان الوضعية الوثنية .

غير أن أهم ما انطوت عليه هذه الطاعة هو تطور وضعها وتساقم أمرها الى حد أن عادت هذه الشخصيات البشرية من دون الله . ، واقل درجات الشرك عندهم انهم اتخذوها واسطة تقربهم الى الله زلفى مضاهية للاديان الوثنية القديمة التي قدست فيسها رجال مارسوا سلطانا روحيا هائلا على الجماهير وحاطوا بهم هالة من الغموض والاسرار واصبحوا هم الوسطا بين الناس والبهتهم التي فكفوا عليها .

وقد كان هذا هو شأن المسيحية المحرفة التي نسجتها ادمغة المخيلة الاوروبية القديمة ، لانها دين وضعي وان تصح بالمسيح عيسى بن مريم وبالوحي الرباني وزعم انه من عند الله ومن ثم كانت له كهانه وكان له رجال دين وكان هو لا الكهان البابا - على راسهم وسطا بين الناس وبين الله (١) .

١ - بتصرف عن : مذاهب فكرية معاصرة الاستاذ محمد قطب ص ٢٧ دار

لقد لغت القرآن الكريم الإنتباه الى حقيقة هذا الانحراف العقدي
فقال تعالى : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ
ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١)
كما تعرض المفسرون لمعنى ومرمى هذه الآية بالشرح ، فأشاروا الى
فضائح اليهود والنصارى في قضية هذا الانحراف السفى الى اطاعة أحبارهم
ورهبانهم طاعة عمياء أحلوا لهم فيها الحرام وحرموا عليهم الحلال (٢) ، وعظمواهم
ورفعوهم الى مقام الألوهية والعبادة بالله .

وقد استشهد المفسرون بحديث عدى بن حاتم الطائي رضى الله عنه :
(قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال : يا
عدى اطرح عنك هذا الوثن ، وسمعتة يقرأ : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا
مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال : إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا
لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه (٣) .

١ - التوبة : ٣١

٢ - راجع في هذا الصدد كل من : تفسير ابن كثير ٣٤٨/٢ وكذلك : التسهيل
لعلوم التنزيل ١٣٥/٢ وفتح القدير للشوكاني ٣٥٢/٢
٣ - هذا الحديث رواه الترمذى وفيه (غطيف بن أعين) قال في تحفة الاحوذى :
غطيف بن أعين الشيباني الجزري ويقال بالضاد السعجة : ضعيف من السابعة كذا
في التقریب . وقال في تهذيب التهذيب في ترجمته : روى له الترمذى حديثاً واحداً
وقال ليس بمعروف في الحديث . راجع تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ٤٩٢/٨ ط
٢ ، ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٧

وقد ذهب بعض العلماء الى ان هذا الحديث يستقوى به رواه الطبرى
عن محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى قال حدثنا سفيان عن حبيب بن
ابى ثابت عن ابى البختري عن حذيفة انه سئل عن قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم
ارباباً من دون الله أكانوا يعبدونهم قال : لا كانوا اذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه
وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه (راجع : جامع البيان ٨١/١٠ وقال الاستاذ
الارناؤوط بعد ان ذكر صادر حديث عدى وما ذكره الترمذى من حال غطيف
بن أعين : لكن في الباب عن حذيفة موقوفاً أخرجه الطبرى رقم ٦٦٣٤ وما يقتوى به)
هاش جامع الاصول ١٦١/٢

وقد نقل الامام الرازي خلاصة الراء في هذه الآية خاصة في السألة الثانية ما اورد من مسائل فقال (الاكثرون من المفسرين قالوا : ليس المراد من الارباب انهم اعتقدوا فيهم انهم آلهة العالم ، بل المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم ، نقل أن عدي بن حاتم كان نصرانيا فانتفى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقرأ سورة براءة فوصل الى هذه الآية ، قال : فقلت : لسنا نعبدكم فقال : (أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ، فقلت بلى : قال : انهم ربط وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأحرار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى) (١) .

وقد فند الرازي رأي الخوارج في قولهم : انه تعالى لما كفرهم بسبب انهم اطاعوا الاحبار والرهبان فالفاسق يطيع الشيطان فوجب الحكم بكفره فاجاب بقوله (ان الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا انه لا يعظمه لكن يلعبه ويستخف به) او لك الاتباع كانوا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونهم فظهر الفرق . . . (٢) .

وقد اشار صاحب الظلال رحمه الله الى بعض الحقائق التي تتعلق بمضمون هذه الآية فمن ذلك ما قاله (ان العبادة هي الاتباع في الشرائع بنسب القرآن وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاليهود والنصارى لم يتخذوا الاحبار والرهبان اربابا بمعنى الاعتقاد بالوحييتهم او تقديم الشعائر التعبدية لسيهم . ومع هذا فقد حكم الله سبحانه عليهم بالشرك في هذه الآية وبالكفر في آية تاليسة في السياق بمجرد أنهم تلقوا منهم الشرائع فاطاعوها واتبعوها فهذا وحده دون الاعتقاد ، والشعائر يكفي لاعتبار من يفعله شركا بالله ، الشرك الذي يخرج من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين

- ان النسخ القرآني يجرى في الوصف بالشرك واتخاذ الأرباب من دون الله بين اليهود الذين قبلوا التشريع من أحرارهم واطاعوه واتبعوه وبين النصارى الذين قالوا بالوحيية المسيح اعتقادا وقد موا اليه الشعائر في العبادة ، فهذه كتلك سواء في اعتبار فاطمها شركا بالله .

ان الشرك بالله يتحقق بمجرد اعطاء حق التشريع لغير الله من عباده ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بالوحيية ولا تقديم الشعائر التعبدية له كما هو واضح من الفقرة السابقة (٣) .

-
- ١ - : التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦/٣٦-٣٧ ط ١ الطبعة البهية المصرية ١٣٥٧-١٩٣٨ ٢ - المرجع السابق ١٦/٣٧-٣٨
- ٣ - : في ظلال القرآن ، سيد قطب ٣/١٦٤٢ ، دار الشروق ط ١٠

وما أفساد به العلط* قديما وحديثا صحيح ولا شك فسي تفسيره ، لئلا
أشار اليه القرآن الكريم من دلالات واضحة . من أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم
أربابا من دون الله ..

والناظر في مصادر العقائد النصرانية يرى هذا الامر بوضوح فمن ذلك
ما قاله صاحب خلاصة التصوف المسيحي :

(ان القديسين الذين يحظون بالله في السما* يعتقدون بتقديسنا
ويساعدوننا على النجاح في الفضائل بشفاعتهم القوية وامثلتهم الشريفة التي تركوها
لنا : فعلمنا ان نحترمهم وبما انهم شفعا* اقويا* علينا ان نستغيث بهم
وبما انهم امثله لنا علينا ان نقتدى بهم ..
اذن نكرم في القديسين :

(ا) مقام من الثالوث الحية الذي تنازل وسكن فيهم وزين نفوسهم
بفضائل ومواهب وأثر في قواهم ليجعلنا نصد ر عن حرية اعمالنا استحقاقية ونحبه
النعمة علامة الثبات .

(ب) - ابنا* الاب بالتبني : أحبههم حبا عجيبا وأحاطهم بعنايته الابوية
فعرفوا أن يقابلوه على ذلك باقترابهم شيئا فشيئا من قداسه وكمالاته .
(ج) اخوة يسوع واعضاؤه ، بحب وثبات .

(د) معابد الروح القدس وعطاله الخضع المسلمون قيادهم الى الهاماته
بدل ان يتبعوا بعض ميول الطبيعة المنشودة (١) .

ويقول الاب اوليه (لذلك تستطيعون أن تعبدوا باحترام عتيق
حياة الله المنبثة في كل القديسين وتعظموا يسوع المسيح مقويهم جميعا ومكلمهم
بروحه الالهي ليكونوا جميعهم واحدا فيه . . .) (٢) .
ويقول ايضا (علينا ان نستدعيهم لننال شفاعتهم القوية وبسهولة اكثر
نحن بحاجة اليه من النعم لا شك أن وساطة يسوع وحدها ضرورية وكافية بذاتها
لكن بحصر المعنى ، بما ان القديسين هم اعضا* يسوع القائم من الموت يضمنون صلواتهم
الى صلواته اذن كل جسم المخلص السرى يصلي ويغتصب قلب الله اغتصابا عذبا (٣) .

وما يضاف الى قولهم (واذنا تناولنا الامر من ناحية اخرى فلد ينسنا

١ - خلاصة التصوف المسيحي ٦٥/١-٦٦

٢ - المرجع السابق ٦٦/١

٣ - المرجع السابق

ايضا عبادة خاصة للقديسين شفعاثنا ان نرى في اصطفاثنا اياهم
شفعا* دلالة على العناية الالهية فعلينا ان نستفيد منها (١)

من هذه النصوص وغيرها نعرف كيف حرفت الديانة الصحيحة ، وكيف
اصبحت ديانة وضعية .

فمن الواضح ان واضعي هذه المقولات قد جانبوا الصراط السدى
سار عليه عيسى عليه السلام وحواريوه الخلق .

وهم بذلك يرتكبون جريمة الشرك بالله تعالى وقد ارتضوا بسان يكونوا
وسطا* بين الخلق والخالق وان يعبدوا من دون الله تعالى عما يصفون .

كما ان ادعا*هم بانهم رجال دين اكبر دليل على زيف هذه الديانة
ذلك لان الدين المنزل من عند الله تبارك وتعالى لا يوجد فيه من يطلق عليهم
رجال دين (انما يوجد رجال صالحون من جهة وطما* وفقها* في الدين من جهة
اخرى وليس لهوا* على الناس سلطان الا سلطان المحبة والتقدير ومكان
القدوة الصالحة في النفوس) . (٢)

وهكذا فان الدين المنزل من عند الله يفترق في هذا الشأن عن الاديان
المنوعة على يد البشر في خصلتين اثنتين على اقل تقدير

(الاولى : ان يكون الذين يعلمون الدين للناس اقرب في سلوكهم الى حقيقة
هذا الدين ومقتضياته اى اكثر وعيا واكثر اخلاصا واقرب الى الله كما كان المهاجرون
والانصار بالنسبة للجيل الاول من المسلمين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .
والثانية : ان يكونوا متفهمين في أمر الدين لهجيوا الناس على اسفلتهم
التي تخطر لهم بشانه سواء في الجانب التعبدى المتصل بالعقيدة والشعائر
او الجانب المعلى المتصل بالشرعية . . .

وأمر طبيعي أن يكون لطل هو* الرجال موضع التقدير والاحترام من بقية
الناس ولكنهم بحكم طبيعة الدين المنزل من عند الله لا يكونون موضع التقدير .
اولا : لانهم يعلمون الدين الحق والدين الحق يجعل التقدير لله
وحد* وليس لاحد من البشر .

ثانيا : لانهم يعلمون الدين بجانبيه ، ما يتعلق منه بالعقيدة والشعائر
وما يتعلق بتنظيم أمور المحمية الدنيا بمقتضى الشرع الرباني فيخاطبون فسي

١ - خلاصة التصوف المسيحي ٦٧/٠

٢ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٦

الناس جانبهم الروحي وجانبهم العقلي والمعطي التطبيقي ، فيظل ارتباط الناس بهم ارتباطا واحدا لا سحر فيه ولا غموض ولا اسرار ، ومن ثم لا يصبحون في حسب الناس وسطا* بينهم وبين الله وانما وسطا* بينهم وبين المعرفة وفرق بين الوسايطتين كبير (١).

هذا هو مفهوم رجال الدين في الرهبانية والكنيسة المسيحية وذاك هو مفهوم العلماء والفقهاء في الاسلام ، والناظر في التاريخ الاسلامي المريق يجد اعلاما وعملقة عظاما من عظماء الاسلام في شتى المجالات ، كما يجد في التراث الاسلامي ما يبهر العقول لكثرة المؤلفات التي قام هؤلاء الافذاذ بتدوينها ونشرها في سبيل العلم والتعليم ، ولم يكن الفرض من ذلك دعوة الناس الى تقدسهم او انزالهم مرتبة الوسطا* بين الحق والخلق . انما كان الفرض ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى بنشر دينه واعزاز كلمته في ربوع الارض . ولو علم اولئك الرهبان ما لمنزلة العالم في الاسلام ديننا وديننا

لادركوا بحق انهم يعيشون في خيالات واوهام ، وان الحياة التي ينشدونها ما هي الا سراب ، وخداع ، واوهام لا اساس لها من الصحة ، بل هي حياة زائفة من صنع صناديد الكنيسة التي استطاعت اغراق الرهبانية في زحمة المتاهات ، واستغلالها ابشع استغلال في سبيل تحقيق اغراض بعض اصحاب النفوس المريضة ، الساعية الى الطفيان .

وسوف اتعرض للاثار السلبية المترتبة على هذا الاستغلال في الصفحات التالية . ان شاء الله . تعالى .

الفصل السابع :

الاثار السلبية المترتبة على استغلال الكنيسة للرهبانية

استطاعت الكنيسة بعد تكوينها وبت جذورها في العالم المسيحي استغلال الرهبان في تدعيم سلطتها ، وتقوية نفوذها ، ونشر دعوتها فوسى مختلف اصقاع العالم المسيحي . وقد ترتبت اثار سيئة على الاستغلال انعكست على المجتمع ككل ، ابرزها ، قيام السلطة البابوية بايحاء جرائم الطفيان عبر تاريخ الكنيسة الطويل والذي يبرز بشكل واضح ايام العصور الوسطى ، وللوصول الى هذه الحقائق ، كان لا بد من التعرف على النقاط التالية :

- نشأة فكرة الكنيسة وتطورها
- امداد الرهبانية للكنيسة بجيوش الرهبان لتدعيم السلطة .
- تطور مفهوم الاسقف
- طفيان السلطة البابوية ، المادى والمعنوى والاقتصادى والسياسى والدينى .

من خلال هذه النقاط المطروحة يمكن تقييم الاعمال التي قامت بها الرهبانية عبر التاريخ ، ودى الاثار التي احدثتها ، والنتائج التي آلت اليها ، وذلك للوصول الى اعطاء حكم الاسلام فيها .

أولا :

نشأة فكرة الكنيسة وتطورها

ما لا شك فيه ان فكرة الكنيسة بمفهومها الحالي لم تكن واردة مطلقا في اذهان الجيل الاول الذي تربى في احضان دعوة عيسى عليه السلام .

وتعجز نصوص الاناجيل عن تلبية رغبات المسيحيين بسند قوى ليؤيدوا به دعواهم من ان المسيح عليه السلام قد امر بانشاء كنيسة او دعا الى ذلك . حتى مفهوم الكيروس او طبقة رجال الدين المسيحي لم تكن واردة من قريب او بعيد ابان القرنين الاولين .

وقد وجد الباحثون غموضا يلف الاسباب الداعية الى نشوء الكنيسة ، الا ان التتبع التاريخي لها ، ادى بالبعض الى كشف بعض الجوانب المحيطة بهذا الموضوع ، فقد كان المسيحيون (يجتمعون في حجراتهم الخاصة أو في معابد صغيرة وقد نظموا أنفسهم على مثال المجامع اليهودية واطلقوا على كل جماعة منهم اسم (الكليريا EKKLESIA) وهو اللفظ اليوناني الذي كان يطلق على الجمعية الشعبية في حكومات البلديات ، وكانوا يرحبون بالعبيد كما كان يرحب بهم في عبادات ايزيس وشراس ، ولم تبذل اية جهود لتحريرهم ولكنهم كانوا يواسون بان يقال لهم انهم سيعيشون في ملكوت يكون الناس فيه جميعا احرارا) (١)

هذه الاجتماعات وتلك التجمعات ساعدت كثيرا على ايجاد نوع من الهيئات الدينية البدائية ، وقد تمكنت فيما بعد من دراسة نظم ومناهج غريبة عن كيانها الاساسي فاخذت منها ما تستطيع تطبيقه على شكلها التنظيمي ، وقد كان لتنظيمات " يهود المهجر " واليهود الوثنيين أثر كبير في هذه الهيئة المسيحية الجديدة بالبادي الاساسية لهذا التنظيم ومن ثم كان لا بد من احداث وظائف ورتب ادارية وكهنوتية لهذه التجمعات .

وقد فرضت الضرورات انواع الوظائف وسي الموظفين بأسما اخذت عن اللغة الشائعة مثل :

- بريسبيتروس : اي شيخ
- ايمكوبوس : اي مشرف
- دياكونوس : اي خادم

وقد تطورت معاني هذه الكلمات فيما بعد على التوالي الى :

- قس ، واسقف ، وشطاس .

وقد استطاع نصب الاسقف ان يحظى بتأييد القطاعات الاخرى مما اتاح له فرصة السيطرة على الوظائف الباقية . (١)

وفي تطورات لاحقة : صورت الجطاطات المسيحية هذه نفسها بعد تكوينها على ان كل واحدة منها تعتبر نوط من (التخييل لكنيسة السيد الكبرى ، راسها الشرعي الاسقف الذي يتخذ في ذلك قدوة من المسيح راس كنيسة الله (الكبرى) واخيرا قد اصبحت الاسقف على اثر نمو الطقوس الدينية رئيسا للعبادات الجماعية (٢)

كما اصبحت مفهوم الاسقف في عرفهم يعبر (مثل الله في الكنيسة ولا يصح لاحد أن يأتمر بأمر غيره فيها ومخالفة ذلك رجز من وحي الشيطان ، وكانت الفكرة الضمنية المتعارف عليها بطبيعة الحال : ان الاسقف لا يقوم بعمل الا بالاتفاق مع هيئة (البريسبيتروس) (و الدياكونوس) ولكن ايجيناس يقول : لتكن من ايمانكم معلقة بالاسقف حتى ينظر اليكم الله " ، ويقول : طيكم بتسبيح الله والاسقف .

... وقد صار المسيحيون في بداية القرن الثالث او حوالي ذلك يؤمنون طامسة بأن وحدة التنظيم يجب ان تكون موازية لوحدة الايمان وأن لا تقل اهمية عنها

ومنذ ذلك الحين بدأ العمل في تبرير الامر الواقع (٣)

وهو تسديم سلطة الاسقف وهو ما سيتعرض له البحث بعد الحديث عن : اسداد الكنيسة باعداد الرهبان وساعدة الرهبانية لها في بسط نفوذها .

١ - راجع : المسيحية ، جنبير ص ١٢٥ وراجع : تاريخ الاصلاح ص ٤

٢ - المسيحية : ١٢٧ ٣ - المرجع السابق

ثانيا : اعداد الكنيسة باعداد الرهبان

لم يكن بامكان اى تنظيم مسيحي الوقوف على قدميه دون الاعتداد على عنصر مؤهلة طميا ودينيا تمكنه من تحقيق أهدافه .

كما لم يكن يوسعها ايضا الاعتداد على الطبقات الدنيا من المجتمع ان ظل العلم محصورا وحكرا على الرهبان سواء في العصور الاولى للمسيحية او في العصور الوسطى (١) كما لم تكن الاديرة قادرة على ضبط عناصرها الكثيرة المختلفة داخل اطارها الرهباني لفشل الانظمة المبتدعة والمخالفة للسفطرة البشرية التي مر الحديث عن صورها في الفصول السالفة .

فكان لابد امام طبقات معينة من الرهبان الخروج عن نطاق اديرتهم لتأخذ دورها في المجتمع المسيحي الواسع ، والمفتوح في الوقت ذاته على كل غريب خاصة على العالم الخارجي فلم يعد امام هذه الفئات سوى التنازل (٢) تدريجيا عن قوانين نذورها الديرية .

وامام هذين العاملين كان من الطبيعي جدا ان نرى المؤسسات المسيحية تنهض على اكتاف خريجي الاديرة من الرهبان (٣) واصبح كل دير حصنا ضيقا ونقطة دفاع عن البابا فيم بعد ، وقد تفاقمت هذه الاعداد تفاقما كبيرا طميا بان تلك الاديرة اسهمت الى حد كبير في عملية التبشير المسيحي التي فرضت نفسها (عن طريق التسرب اليومي البطي* المترتب على الصلات بين المدينة والقرى وفي بعض الحالات الاخرى اتسم انتشارها باعمال مفاجئة مثل تبشير قرية باكملها او مجموعة قرى في يوم واحد وكانت في غالب الامر تسير على اسلوب الابدال اى تحول لصالحها من الاساطير والخرافات السائدة معتدة على عبادة القديسين لديها . تلك العبادة التي يسرت كثيرا من مهنتها التبشيرية : فتقيم تماثيل قدسيها محل الشخصيات الالهية الصغيرة التي اعتادها الفلاحون واحبوها حيا جلا لاعتقادهم بانها تؤدى لهم العديد من الخدمات اليومية التي يطلبونها منها وهكذا بدت القرى وكأنها اخذت باهداب المسيحية ، وتقدم العمل التبشيري فيها كثيرا في نهاية القرن الخامس (٥)

١ - راجع : عالم العصور الوسطى في النظم والحفارة ص ٩٩

٢ - المرجع السابق ١٧٩ - ١٨١

٣ - المرجع السابق

٤ - معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١١٠

٥ - المسيحية ، جنهير ، ص ١٧٩ وقارن مع : تاريخ الحضارات العام ٣٥/٣

على أن اعداد الرهبان قد مكن الكنيسة بالفعل من بناء مؤسساتها الدينية
والاجتماعية بصورة واسعة .

وهكذا صيغ مبدأ الكنيسة وفق مفاهيم الرهبان أنفسهم وضمن مخططهم
وكذلك عقدت المجامع ^(١) الكثيرة وفق آرائهم وتطلعاتهم . حيث أقروا
فيها ما رأوه مناسباً لمصالحهم ومكاسبهم وذلك وفقاً للعقائد التي أُلحيت عليهم
وهي في غالبيتها تعريباً للعقيدة الصحيحة .

وعلى هذا النحو بدأت تتشكل عبر الزمن طبقات من رجال الدين
أسست في تكريس نظام الكهروس . كطبقة معترف بها . كما كان من الضروري أن تكون
شرائعها العاطلة من الرهبان أنفسهم وبذلك أمكن للكنيسة تجديد ايجاد المناصب
التي مر ذكرها ومنها منصب الاسقف الذي تطور مفهومه تطوراً خطيراً ليصبح فسي

١ - ما كانت الرهبانية لتصل الى تقرير وتبرير عقائدها وما حوته منها الا عبر مجامع
عامة استندت اليها ودعت للاعتراف بشرعيتها . وما كانت هذه المجامع لتعقد لولا الفوضى
الدينية التي أصابت المجتمع المسيحي إبان العصور الاولى . على أن أوائل هذه المجامع
كان معنياً باقرار عقيدة التثليث وما تفرع عنها من آراء تأليفية . اضافة لما أقر من قوانين
وانظمة تتعلق بشؤون الكنيسة . الا ان أخطر مقرراتها تلك التي تعلقت بمقررات الحرمان
وصحكوك الغفران ومحاكمة كل العقائد التي تخالف مبدأ التثليث وتعريض أصحاب
العقائد الصحيحة للقتل والطرود من رحمة الكنيسة كما حدث لآريوس الذي نكسب
بعقيدة التوحيد .

كما أن أبرز مقررات هذه المجامع وأخطرها : ما تعلق منها بفرض شرعية
الانجيل الأربعة ورسائل أعمال الرسل ، لما حوته من عقائد توافق هوى الرهبان ونزعاتهم
الداعية الى الحلول والاتحاد .

وهكذا صبغت الانجيل بمصبغة القداسة وتم احراق ونهب الكثير
من الانجيل الاخرى التي تخالف العقائد الوثنية في الديانة النصرانية .

وقد كانت اعداد هذه الانجيل كثيرة الا ان المجامع المتتالية استطاعت
ان تحرم قراءة أو تداول اي واحد منها لا تقرأه الكنيسة .

وقد كان انجيل برنابا احد تلك الكتب التي حُرمت قراءتها
لما يتضمن من مخالفة عقائد التثليث والصلب وبنوة المسيح والوهيته .

وقد تعددت تلك المجامع . وقد سميت بالمجامع المسكونية وكان أبرزها :

في النهاية نواة لما سمي بالكروسي الباهوي أو خليفة عيسى - عليه السلام - ومثل
الله تعالى - يزعمهم - في الارض .
وهذا ما سيكون الحديث عنه في الصفحات التالية ان شاء الله تعالى .

- مجمع نيقية	م ٣٢٥	- مجمع ليون الاول	م ١٢٤٥
- مجمع القسطنطينية الاول	م ٣٨١	- مجمع ليون الثاني	م ١٢٧٤
- مجمع افسسوس	م ٤٣١	- مجمع فينسا	م ١٣١١
- مجمع خلقيدونيا	م ٤٥١	- مجمع كونستانس	م ١٤١٤-١٤١٨
- مجمع القسطنطينية الثاني	م ٥٥٣	- مجمع بازل (متم لسابقه	م ١٤٣١
- مجمع القسطنطينية الثالث	م ٦٨٠	- مجمع فرازا - فلورنسا	م ١٤٤٢-١٤٤٨
- مجمع نيقية الثاني	م ٧٨٧	- مجمع اللاتران الخامس	م ١٥١٢-١٥١٧
- مجمع القسطنطينية الرابع	م ٨٦٩	- مجمع ترنت	م ١٥٤٥-١٥٦٣
- مجمع اللاتران الاول	م ١١٢٣	- مجمع الفاتيكان	م ١٨٧٠
- مجمع اللاتران الثاني	م ١١٣٩		
- مجمع اللاتران الثالث	م ١١٧٩		
- مجمع اللاتران الرابع	م ١٢١٥		

هذه أهم المجامع التي عقدت حتى العصور الوسطى . وقد استغلت الرهبانية تلك
المجامع كسلاح في وجه خصومها الدينيين والسياسيين وجعلت منها ستارا لتبرير ارائها
المتعلقة بالعقيدة والشرعة والسلوك ومع تطور الفاهيم الكنسية استطاعت الرهبانية
استغلال المجمع لابرار قوتها ويطشها وطمعياها على العالم المسيحي . ولهذا فقد
قامت باصدار القرارات التي تدعم موقف البابا تجاه الامبراطورية وتأيد شروطه التوسعية
وطد نفوذه في المجالين الديني والزمني .

وهكذا جعلت الرهبانية من هذه المجمع أعلى سلطة تشريعية لاصدار احكام التحريم
والتحليل وفق اهوائها ونزقاتها . ناصبة نفسها كبديل عن تشريع الله تعالى وحكمه
وقد صدق الله تعالى حيث يقول (اتَّخَذُوا أَحِبَّاءَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) التوبة
: ٣١ . وأحيل القارى الى المصادر والمراجع التي تحدثت باسهاب عن المجمع نفسه
الذكر والملابس التي دارت حولها ومن ذلك : محاضرات في النصرانية ص ١٤٣ . وكذلك
المسيحية د . شلبي ص ١٩٤ وأوروبا العصور الوسطى د . عاشور ٢/ ٢٢٥ . وفلسفة
الفكر الديني ٢/ ٢٧٤ . والاسفار المقدسة د . وافي ص ١٣٢-١٣٣ ط ٨٤ وكذلك
" يا اهل الكتاب " د . روف شلبي ص ٢١٢ .

ثالثا : تطور مفهوم الاسقف :

بعد التوسع في انتشار الجمعيات المسيحية المختلفة وتركيز الكنيسة لجهودها (شاع الاعتقاد بان النظام الاسقفي الملكي انما انشأه الحواريون انفسهم وتقدمت كل كنيسة بقائمة للاساقفة ترجع بها الى الحوارى الذى انشأها او ان لم يتمكن لها الاعتماد على حوارى فالى تابع من اتباعه او مندوب كنيسة حواريه كان له الفضل الاول في تأسيسها .

واتخذ لسلطة الاسقف رمزا من ذلك الكرسي (الكاتيدرا) الذى زعموا انه قد جلس عليه سائر الخلفاء . فاذا قيل مثلا " كرسي بولس " فانما يعنى ذلك : " سلطة اسقف روما " . وطء هذه السلطة هي " سنن الحواريين " مثلها في ذلك مثل " شروط الايمان " . ولن يبحث الباحثون عن تبريرات انجيلية للنظام الاسقفي الملكي الا في عهد متأخر ، ولقد وجدوه في انجيل متى (١)

١ - : المسيحية ، جنيف ص ٩ ١٣٧-١٣٩ ، وط وجد في انجيل متى هو

الاصحاح ١٦ : ١٨-٢٠

وقد زعمت الكنيسة ان المسيح قال لبطرس كبير الحواريين : انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيسةي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولا في السموات ، (وانه قال) اني اهب سلطاني لكنيسةي . ورتبت الكنيسة على هذا الزعم ان المكان الذى مات فيه بطرس وهو روما لا بد ان يكون مقرا للنفوذ الديني الذى يبسط ذراعيه على الارض كلها مثلما في الكنيسة وان كل ما تقوله الكنيسة وعلى رأسها البابا واجب الطاعة لأنه من أمر الله .

اما القولة التي نسبوها الى المسيح وألجوها على هواهم فهي لا تعني ان (تكون هناك كنيسة بالمعنى الذى صار اليه الامر في الكنيسة الاوروبية ولا رجال دين لهم وجود متميز وسلطان على المؤمنين بذلك السدين ، انما هي على فرض صحتها لا تعني اكثر من قول الله عن المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولله العزة ورسوله وللمؤمنين) سورة الطفقون : ٨ فهي عزة يمنحها الله للمؤمنين بدينه . يعتزون بها في الارض على الكفار والمنافقين وليست سلطانا ذاتيا يمارسونه على المؤمنين ولكن هذا الفهم الخاطى " والتأويل المعوج سارت الامور في المسيحية المعرفة فصار لها كنيسة ورجال دين يرأسهم قداسة البابا ويرسمهم ذلك البابا اى يضعهم في مناصبهم وصار لهم على الناس ذلك السلطان المعروف في التاريخ الاوربي الذى لم يكن سلطانا عاديا وانما وصل الى حد الطغيان المتعدد الألوان)

: مذاهب فسيكية معاصرة ص ٢٧-٣٠ وقارن مع : العثمانية ، نشأتها وتطورها واثارها ، سفر عبد الرحمن الحوالي ص ٨٢-٨٤ دار مكة ط ١٤٢٠-١٩٨٢ م وراجع الانتقادات الواردة حول هذا الموضوع في : تاريخ الاصلاح ص ٥

ازاء هذا التطور في توسيع مفهوم ومهام الاسقف كان لابد من الوقوف عند نقطة هامة تظهر مدى خطورة الاقدام على مثل هذا الاجراء .

فمع هذه البداية التي كانت نواة لتشكيل الجهاز الخاص الذي قامت على اساسه سلطة البابا فيما بعد كان مؤشر هذا الانحراف قد بدأ يحيل شيئاً فشيئاً نحو اغراق الرهبانية في مهمة لا تتفق مع شعائر الزهد والتبتل والتقشف المرفوعة من قبل القائمين عليها .

فأما شهوة الرتب الكهنوتية والمناصب البراقة تمكنت طبقات معينة من الرهبان من استغلال الحاجة الى ملء المناصب ، ففتحت اعينها للجاء العريش وانها للصيغة الواسعة الممددة ، نتيجة للمهام الدينية والاجتماعية التي نهطت بها ، وقد دعي هؤلاء فيما بعد " برجال الدين العلمانيين " تهيئاً لهم عمن غيرهم وبمثل هؤلاء الاساقفة وقساوسة الكنائس الكبرى وقساوسة كنيسة الابريشيات (١) وينقل جيرون صوراً لاسلوب الذي كان يتم فيها تنصيب هؤلاء ومن ذلك قوله (كان الناسك ينتزع من صومعته على غير رغبة منه ويوضع على العرش الاسقفى وسط تهليل الناس وكانت اديرة مصر وبلاد الفال (فرنسا) والششرق مورداً ، منتظماً متصلاً يجيى منه القديسون والاساقفة وسرطان ما اكتشفت الاطماع ذلك الطريق السرى الذى يؤدى الى الحصول على الثروة والوصول الى المناصب ومن ثم فان الرهبان ذوى الصيت الذائع الذين ارتبطت سمعتهم بشهرة طائفتهم ونجاها علواً جاهدوا على مضاعفة عدد اترابهم الاسرى (٢) للفرص نفسه .

كانت هذه المناصب التي تدر مكاسب جمة من الصعب التنازل عنها كما لا يمكن تجاهلها من قبل الرهبان ، وكان لابد من التنازل عن شيء ما . وهكذا فتحت الدنيا امام هؤلاء الذين وجدوا في هذا الفتح الكبير حياة تنسي ألم الجوع المعوى والتحرق والكبت الجنسي على حد سواء . حياة تغني عن عيشة الفقر والابتذال والتسكع أطول له تحت رحمة رئيس الدير او من ينوب عنه .

لقد كان من الصعب التوفيق بين الحياة الاولى والحياة الجديدة التي ضمنت لهم الرفاهية والمتعة بما هج الحياة على أوسع نطاق ودون ضابط . وكان من الطبيعي ايضاً ان يستجيب هؤلاء لنداء الفرائر المكبوتة ، ف ضرب هؤلاء بالنذور الرهبانية الثلاثة عرض الحائط ونهلوا من معين الشهوات ما لذ لهم وطاب دون وازع من دين . وقد اتخذوا المظاهر الدينية البراقة ستاراً لاهوالهم .

١ - عالم المصنوع الوسطى ص ١٧٥

٢ - اضحلال الامبراطورية الرومانية ص ٢٢٤ / ٢

وقد أدت الأوضاع الجديدة الى سن تشريعات تتناسب والظروف الراهنة فكان لا بد من التنازل عن بعض الشروط التي يجب ان تتوفر في الاسقف .

ولا ول مرة اعتبرت شروط انتخاب الاسقف مرنة الى درجة كبيرة فقد (طلب الى المرشح لهذا المنصب ان يقدم دليلا على أخلاقه الطيبة وضمان ذلك أن يكون متزوجا أو أرملًا) - (١)

وهكذا تم بهدوء تجاوز المعضلة التي لا يمكن ان تمر لولا الضغوط الطمحة التي مورست على الاديرة من الداخل والناجمة عن الأوضاع الشاذة .

وبدأت سلسلة التنازلات تتوالى واحدة تلو الاخرى ان ط لبث (الصراع على المنصب يأخذ ابعادا خطيرة والسوانا من المعارك على الكراسي الدينية فهناك التنافس والتآمر للحصول عليها يزداد عن الحد فضلا عن بيع المناصب والرشا التي عرفت باسم السيونية) (٢)

وقد كانت السوءولية التي كلف بها الأسقف تتضمن :

(الادارة الدينية والاخلاقية اضافة الى سلطة التنظيم والعقاب ، وكان له ايضا ان يعزل كل مخطئ يقوم في رأيه بعمل غير لائق فلا يتقبله في طقوس القربان ، وينفيه نفيا خارج حدود الجماعة . . وكانت وظيفته تعتمد خاصة على اقامة الطقوس القدسية فهو يعمد ويصح بالربان وتلك هي الصلاحية التي جلبت له من بين كل صلاحياته أكبر قسط من التقدير والنفوذ وأن أهميته في هذه الناحية لسوف تزداد بعد ذلك بتأصيل المفهوم السحري لطقوس الاسرار الفعالة فسي شعائر العبادة ، فاذا اضمنا الى كل ذلك ط فرض على الاسقف من عمادة المرضي وحث الناس على الصبر وبعث الامل لديهم لادركنا دوره وجوانب سلطاته المختلفة)

١ - المسيحية جنوبيير ، ص ١٣٩ الا ان مبدأ زواج القسس وعدمه ظل بين طر وجزر مددا طويلة ، وقد عقدت لاجله المؤتمرات ، وكانت القرارات تدبر هذا الزواج لاحيا في التبتل هذه المرة ، بل خوفا من انتقال أملاك الكنيسة الكثيرة الى ورثة الرهبان (راجع في ذلك : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٣٤ - ١٣٤)

٢ - راجع ط قرره مجمع روما عقب تفشي هذه الجرائم وذلك في : اوربا العصور الوسطى د . سعيد عبد الفتاح عاشور ٧١٣/١ ط ١٨٧ - ١٩٨١ مكتبة الانجلو المصرية .

٣ - المسيحية ، جنوبيير ص ١٤٠ - ١٤٥

ولم يكن لهذه السلطات من حدود في الحقيقة سوى استغلال الأسقف لها مآرأثار بعض ألوان المقاومة لدى صفار الموظفين . . إلا أن الأسقف انتصر على هؤلاء فجردهم من الصلاحيات .

وبعد انتصاره النهائي انتظم موظفو الكنيسة الآخرون الذين لم يعرفوا بالاكليروس إلا في القرن الثالث ، لقد انتظموا إلى جانبه في (هيئة) أو فسي طائفة خاصة متميزة بين جمهور المؤمنين (المسيحيين) (١) .

وحتى هذا الوقت ورغم التوسع في التنظيمات المختلفة للكنيسة فقد ظل ولا وهما قائما للباطرة ، ويتضح ذلك من خلال ما وجسه ترتليان في عام ١٩٢ م إلى محكمة خيالية وهي معروفة باسم الدفاع أكد فيها للرومان أن المسيحيين (لا ينقطعون عن الدماء لجميع الباطرة وسلامة الأسرة الحاكمة ويطلبون إلى الله أن يهب البلاد جيوشا بأسلة ومجلس شيوخ ، وفي ، أميسن ، وأن يمن على العالم بالهدوء) (٢) .

وقد أفادت الكنيسة في عهد قسطنطين كثيرا سيما وأن هذا الأخير قد استغلها في تثبيت دعام امبراطوريته (بعد أن اقنع الباطرة بضرورة كسب أصوات الجماهير إما كان اللون الذي ترتديه وكان للمسيحية نصيب كبير بعد أن تنامت قوتها وأصبحت أعدادها صالحة للساومة) (٣) .

(٤)
وقد اقتنع قسطنطين أخيرا بأنه عاجز عن سحقها فآثر التحالف معها .
وقد تحدث المؤرخون عن الانتصار الذي أحرزته الكنيسة تجاه تدعيم سلطاتها ونمو قوتها إزاء الدولة الرومانية .
إلا أن هذا الانتصار لم يكن إلا نكبة في أعين العلما فقد هجر جنبيير عن هذا الواقع بقوله :

(والواقع أن المسيحيين كانوا قد دفعوا ثمن الانتصار دفعوه غالبا بحيث نستطيع القول في شيء كثير من الجزم بأن مؤمني عصر الحواريين لم يكونوا لينظروا إلى هذا الانتصار لو قد رلهم ذلك إلا على أنه نكبة كبرى) (٥)

١ - المسيحية بجنبيير ، ص ١٤٢

٢ - قصة الحفارة ٣/٣ : ٣٠٧ وقارن مع تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، هـ.أ .

فيشر ١١/١ ت : محمد مصطفى زبادة ، السيد الباز العربي دار مصر ١٩٦٦

٣ - المسيحية ، جنبيير ص ١٨٢

٤ - عالم العصور الوسطى ص ٤٤

٥ - المسيحية ، جنبيير ص ١٨٢ وذلك يعود لتسلط رعاة الكنيسة على أولئك المؤمنين على حد تعبير " ميرل " راجع : تاريخ الإصلاح ص ٤٥٧

والنظرة الاولى الى احوال المسيحية تكفي (لان تبين ان الانتصار على اعداء الدولة دفعها الى اتجاه جديد لم يكن من نصيب اتباع المسيح حقيقة . انما كان من نصيب حكامهم "أي الكنيسة" . وان تلك الامتيازات التي تمتع بها المؤمنون عامة في أعقاب الحل الوسط الذي اتخذته قسطنطين لم تأت بهم سوى نتيجة لاتفاق بين قوتين بل بين حكومتين تبحث كل منهما أولا وقبل كل شيء عن مصلحتها الخاصة (١) .

وقد اعتبر العلماء ان تحول قسطنطين الى المسيحية أتاح للمسيحية ان تصبح هي الامبراطورية الرومانية في قالب كنسي (٢) .

وهكذا هيى للاكليروس مناخ جديد لانشاء تنظيماته (خلال القرن الرابع . وكان لاقامة الاساقفة المركزيين والبطاركة أثر ملموس في تنسيق التدرج الوظيفي بالكنيسة التي اتجهت بذلك شيئا فشيئا نحو الملكية البابوية .

كما كان لعقد المجالس والمؤتمرات الكنسية المتعددة أثره في تدعيم وتوضيح مفهوم الكاثوليكية للباطن لدى هذا الكليروس وسمعه في نفس الوقت بتوحيده نظامه وتوسيع أبعاده عقائده اكثر فاكثرا وسارت تلك الهيئة المسيحية الكبرى بدفعه هائلة من النشاط فبدت وكأنها تجذب اليها لتستوعب كل ما احتفظ به العالم الوثني من جوهر حي . وحتى الطقوس والمراسم التي اتشح بها الكليروس وازدان ، نراها تتضخم وتزداد بريقا فهي قد تبنت كل زخارف العبادات القديمة (٣) .

ومن زاوية اخرى فان الكنيسة وهي (السلطة للشعب المسيحي كله بالنسبة الى الدولة كانت تعيل الى تشكيل تنظيماتها الادارية على غرار تنظيمات الدولة نفسها . والى اتخاذ الاطارات الرسمية حدودا لها . بل نلاحظ انها توشك ان تكون واحدا من الفرعين الاساسيين للادارة العامة مع حفظ جريانها وامتيازاتها المكتسبة التي تستطيع الدفاع عنها تقتضي الضرورة ذلك . وتنمو روح الحكم فيها كما تنمو الاجهزة الادارية تحت تأثير الطمع الذي لم يكن منه بد . في الوظائف من كل جنس . وكرد فعل (على) ما حققت من مكاسب في صفوف

١ - المسيحية ، جنيف ص ١٨٢

٢ - تاريخ اوربا العصور الوسطى فيشر ١٠٦/١

٣ - المسيحية ص ١٨٢ - ١٨٣

الاستقرائية .

وبذلك نزلت الى الانفصال يوما بعد يوم عن جمهور المؤمنين البسطاء
والى التدخل المتزايد في التمدبيرات السياسية الا انها باتخاذها هذه الوجهة
لم تفقد استقلالها فحسب بل تشربت شيئا فشيئا بمشاغل الحياة الدنيا حتى اهتمت
عليها في بعض الاحيان مفاهيم رسالتها واسباب وجودها (١) .

هكذا تكون الرهبانية قد تخلت عن مفاهيم العزلة ، ولولا الكبت
والحرمان وشدة التقشف لما حل بها من انفصام في شخصيتها الامر الذى حولها
من النقيض الى النقيض . وماتت الاغراض الدنيوية هي الهدف الذى يسعى
اليه الرهبان الجدد . ولا بأس ان تكون هناك شعائر وتراثل وطقوس كستار
وتغطية للاعمال التى تدار في الخفاء .

١ - السهبية ص ١٨٣

وتجدد الاشارة الى ان هذا التحول قد أسهم فسيما بعد في أقول نجم
البابوية راجع في هذا الصدر : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى
ل . م . هارتمان ص ٥٣ وكذلك تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر ص ٦

رابعاً : الطفيلان البابوي والكنسي

كانت هذه قد ماتت ضرورة لبروز السلطة البابوية وطفيلانها على المسرح المسيحي . وقد اعتبر العلماء ان (من اقوى اسباب هيمنة الكنيسة على هذا المجتمع يتمثل في العمل على ادخال العقائد المنادية بان الكنيسة هي الواسطة في غفران الذنوب . ودخول الجنة ، وقد كان الاهتمام بشؤون ما يسمى بالحياة الاخرى شغلهم الشاغل ، ومن شدة خوف الناس من عقاب الاخرة كانوا يعكفون في بيوتهم ويكرسون حياتهم للعبادة يعذبون انفسهم في هذه الحياة كيما يخف عقابهم في الاخرة ، ولما كان رضا الكنيسة ضروريا لغفران الذنوب وكان غضبها مة يؤدى الى غضب الله ودخول النار ، فقد أصبح للكنيسة سلطان قوى على الجميع .)^(١)

أما الأمر الآخر فهو : ما قامت به الكنيسة من عمل بهدف الاستقلال عن الحكم الامبراطوري الروماني .

فقد بقيت (الكنيسة تحت حكم الإمبراطورية الرومانية حين كانت قوية ، فلما ضعفت الحكومة المركزية ودخل البرابرة الأقاليم الرومانية أخذت الكنيسة تتخلص تدريجيا من تدخل الحكومة في شؤونها ورقابتها عليها . وجاهر أحد أساقفة رومة في القرن الخامس (بأن العالم تحكمه قوتان قوة الكنيسة وقوة الملك والأولى تفوق الثانية لان الكنيسة مسؤولة أمام الله عن أعمال الجميع حتى الطوك انفسهم)^(٢) .

وبما أن التنافس بين الامبراطورية والبابوية أصبح في مرحلة من المراحل شديداً فقد طلب الطابع الفكري للسيطر على رجال الكنيسة وبدأ واضحا تبني الكنيسة لفكرة الامبراطورية التي تهدف الى السيطرة على العالم ولو بالقوة اذا اقتضت الضرورة ذلك ، وهكذا احتفظ (المسيحيون) بالفكرة
الامبراطورية .^(٣)

١ - : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٢

٢ - المرجع السابق .

٣ - : عالم العصور الوسطى ص ٥٢

ويعتبر المؤرخون ان غارات البرابرة (كالكوط ، والجрман وغيرهما) ،
 على أرجاء الإمبراطورية الرومانية كانت من أهم العوامل المساعدة التي مكنت
 البابوية من النهوض واستلام زمام الأمر ، إذ لم يعمل البرابرة على السساس
 بأمن الكنيسة ورجالها^(١) ، بل نكلوا ففقط بالمؤسسات الرومانية وتوابعها . وكسان
 ذلك يمثل هونا كبيرا للكنيسة إذ عمل على ازالة السلطة الامبراطورية تدريجيا
 من طريقها .

وط بهم البحث ههنا : معرفة أهم الشخصيات البابوية التي عملت
 على توسيع نفوذ الكنيسة والتي أسهمت في تسيير الدفة ومن ثم التمسـر
 بايجاز لاهم الأحداث التي رافقت نمو هذه السلطة والاسباب التي أدت الى
 اضلالها والطفيان الذي طرسته على جميع جوانب الحياة المسيحية .

١ - يقول كولـتون عن ذلك (وحينما اكتسح البرابرة في أثناء غزواتهم
 الحكام والقضاة الرومان كانوا يستبقون عادة الأسقف في أسقفيته والقس في مذهبته)
 : عالم العصور الوسطى ص ٥٢ وهامش ص ١٠٣ منه
 ولا حظ : تاريخ العصور الوسطى ، فيشر ١/٥١

أهم الشخصيات البابوية وآثارها على الكنيسة :

أولا : البابا هلدبرند (١٠٧٣-١٠٨٥) م .

(١)

من أهم الشخصيات التي برزت على الساحة البابوية : البابا "هلدبرند"

(١٠٧٣-١٠٨٥) الذي أصبح اسمه فيما بعد غريغوري السابع ، ففي بدايته حياته (حين سكرتيرا للبابا (ليو التاسع) ومنذ ذلك الوقت صار صاحب النفوذ الأكبر في الأمور الدينية وبقي كذلك إلى أن مات سنة ١٠٨٥ ومعد هلدبرند السهل الأعلى للبابوية وكان ضئيل الجسم ذا عزيمة لا تغل ويقيم لا يتزعزع فسي ان الكنيسة صاحبة السيادة في العالم كله تستند نفوذها من الله مباشرة ، وتمتد هي ملوك الارض وامراءها بالنفوذ وكان يعتقد ان البابا له مركز فذ فسي العالم فهو الذي يولى الاساقفة ويخلصهم وله الحق في خلق الباطرة لانفسه سيدهم الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وقد بدأ تنفيذ خطته بان جعل انتخاب البابا بواسطة الكardinالات وهم الرؤساء الدينيون في رومة ، وبذلك تخلص من القوة الزمنية التي كانت تسيطر على انتخاب البابا واستحدث البابوات على اجراء اصلاح في الكنيسة واعلاء شأن البابوية وكلستها ، وكان مقتنعاً تاماً الاقتران يلزوم تفوق البابوية وتوليها رئاسة العالم المسيحي المتحد .

ولما وصل غريغوري السابع الى كرسي البابوية سنة ١٠٧٣ اعلن خطأ

النظرية القائلة بان الامبراطورية ظل الله في الارض وقال :

ان الامبراطورية لا يمكن ان تكون كذلك لانها تعتمد على القوة الفاشية واما الكنيسة فتعتمد على الفضيلة وهي بهذا معصومة من الخطأ . . . واستنتج ان رئيس الكنيسة يجب ان يسيطر على الناس جميعا .

ورأى غريغوري انه يجب ان تكون الكنيسة وحدة متجانسة تخضع لرئيس واحد هو البابا وعلى ذلك حتم على الاساقفة ان يقسموا يمسين الولاة لـه وحرهم استقلالهم المحلي وأعلن حق استئناف جميع القضايا المهمة اليه رأساً ثم أعلن أن كلمة البابا هي العليا في الكنيسة وأن ارادته فوق اكبر هيئة دينية وهي المجالس الطرية ، ثم ارسل نوابه الى كل المطالك ، يمثلونه امام الملوك والامراء وينفذون ارادته وكانوا له بمشايكة عيون وسفراء يخبرونه بما يجري من الشؤون المختلفة وأخذ يكتب للملوك يذكرهم بتبعية ارضهم للمرسول بطرس ويطلب اليهم ارسال الاعشار . (٢)

١ - راجع في ذلك : تاريخ الاصلاح ص ٨

٢ - راجع : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٢٢

وقارن مع : تاريخ اوربا العصور الوسطى ، فيشر ١٤٧/١

ثانيا : البابا اربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩)

جند هذا البابا جميع جهودة للسنييل من المسلمين وهو الذي افتتح عصر التوسع الصليبي ضد العالم الاسلامي في مؤتمر كليرمون الكنسي في أواخر نوفمبر من عام ١٠٩٥ م .

وكانت الخلافات على اشد ها بينه وبين ملوك الغرب فقد اوقع قرار الحرمان في المؤتمر المذكور ضد قسلييب الاول ملك فرنسا ، كما واصل سياسة سلفه جريجورى في الافتئات على سلطان الامراطور ولذلك لم تكن العلاقات طيبة بينه وبين خصمه الامراطور الالطاني هنرى الرابع ، وكانت بينهما جولات وصولات انتهت بانتصار اربان الذي اعد رقرار الحرمان الكنسي ضد هنرى .

ولعل هذا يفسر لنا سبب عدم اشتراك الامراطور الالطاني وملوك الغرب في الحلة الصليبية الاولى التي دعا اليها هذا البابا (١) .

ثالثا : البابا انوسنت (١١٩٨-١٢١٦)

تعلم هذا البابا في مراحله الاولى في جامعتي باريس وپولوني بايطاليا القانون وصار ضليعا فيه فصيخ ادعاه البابوية بصيغة قانونية .

وتتلخص خطة هذا البابا بط يلى :

- (١) ان يصيخ البابا السيد المطلق في ايطاليا وعلى ذلك منسج الامراطور من تثبيت نفوذ ه في تلك البلاد .
- (٢) ان يكون البابا الرقيب الاعلى على ملوك اوربا .
- (٣) ان يخلص بيت المقدس من ايدى المسلمين وان يخضع الكنائس الشرقية وخصوصا الكنيسة الشرقية البيزنطية كنيسة القسطنطينية لسلطة البابا وان يقضى على الطمحين في كل مكان (٢)

وقد استطاعت الكنيسة البابوية تنفيذ خطته ومن جاء بعد ه تنفيذها تحلى باستمرار الحروب الصليبية ضد المسلمين . الا ان الله تعالى رد كيدهم خائبين .

لقد جعل انوسنت من البابوية المركز الاكثر تمجيذا بالنسبة للمسيحيين

١ - راجع : الدولة والامراطورية في العصور الوسطى ص ٥٠ - ٥١

٢ - معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٤٣

على وجه الأرض (١) اذ اعتقد اعتقاداً حرفياً ان البابوية خليفة المسيح فـ في الأرض وان البابا ملك فـ في " امور الدين والدنيا " (٢).

(١) اما الابرشية المقدسة لروما فهي من وجهة نظره انها (تجلس في مكان متوسط بين الله والبشر هي أدنى من الله ولكنها اعلى من البشر) (٣).

ويكاد يتفق جميع المؤرخين ان البابوية بلغت اوج عظمتها في عهد انوسنت بعد ان اصبحت الامبراطورية تحت رحته ، وبعد ان دانت له كسافة دول الغرب بالولا . (٤)

ومن خلال رسائله عرفت قوة شخصيته ، فقد كتب هذا البابا رسالة جاء فيها (ان الله خلق الشمس والقمر ليتسنى للناس بالشمس ، وليخفف السقم من ظلام الليل وانه عز وجل خلق في الكنيسة العالمية سلطتين اولاهما سلطة البابوية لتشرف على رعاية ارواح اتباعها ، وثانيهما الطكية لتحكم فـ في الاجساد ، ولكن سلطان الاولى يفوق بكثير سلطان الثانية فكما يستند القمر ضوءه من الشمس كذلك تستند الطكية قوتها من البابوية ، ومن الذي يجروا على وضع الجسد فوق الروح؟ في تلك العصور التي عرفت في التاريخ باسم عصور الايمان والتي هيمنت فيها الكنيسة الكاثوليكية بيد من حديد على حائر الناس وعلى حياتهم الخاصة والعامة ، حتى ان كل من كان يخرج على تعاليمها وقيودها كان يعرض نفسه لاشد انواع العقاب ، ولم اكثر أسلحة الكنيسة التي كانت ترهب بها معارضيهما في ميدان العمل السياسي .

وقد سيطرت هذه الافكار فـ بعد على البابوية ، ففي القرن الرابع عشر قال البابا بونيفاس الثامن (١٢٩٤-١٣٠٣ م) بان الخضوع للبابا الروماني شرط ضروري لخلاص جميع البشر ، وقد ورد هذا الرأي في المنشور المقدس المعروف باسم (*Unan Sanctam*) (٥).

١ - راجع : الحطة الصليبية الرابعة د . اسيت غنيم ص ٤٧ ، دار المجمع العلمي

بجدة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٢ - تاريخ اوربا العصور الوسطى ، فيشر ، ٢٣٢:٠

٣ - الحطة الصليبية الرابعة ص ٤٨

٤ - الدولة والامبراطورية ص ٥٢

٥ - المرجع السابق ص ٦٠-٦١

هذه النماذج هي التي أسهمت في جعل القوانين الكنسية عقيدة متأصلة في أعماق الناس وأن هانهم . وقد تمخض عن هذه العقيدة نظريات عدة نادى بها أنصار البابا من أهمها :

(١) - نظرية الوحدة : تقوم على أن العالم المسيحي عبارة عن وحدة اجتماعية ودين واحد وعلى مذهب روما الكاثوليكي (٢) .

(٢) نظرية السيفين : وتنادى : بأن الله تعالى له ملك الدين والدنيا ويبدع سيفان سلوان احدهما يمثل سلطانه على الأرواح والآخر على الأبدان ويعنون بذلك سلطة البابا والسلطة الزمنية العلمانية الا أن سلطة الروح تفوق سلطة الجسد (٣) .

(٣) هبة قسطنطين : وتقوم على ان قسطنطين الكبير (٣٠٥-٣٣٧) لم شفى على يد البابا سلفستر الأول كافأه باصدار قانون يبيح للبابا ليس التاج واستعمال الصولجان كالأباطرة (٤) . وقد أثبت كولتون انها زورت سنة ٧٥٠ م (٤) .

(٤) نظرية هبة بين القصير : تنادى بأن : حين هذا قد وهب البابوية بالاضافة الى كيانها الروحي جميع ايطاليا ، وذلك اعترافا بفضلها عليه في تأسيس البيت الكارولنجي . (٥)

(٥) نظرية " مدينة الله " وصدرها كتاب أغوستين نفسه الذي ألفه عقب كارثة روما عام ٤١٠ على يد القوط وقد نادى (انه إذا جاز أن تتحطم مدينة الانسان السنية على القوة الطادية فإن مدينة الله لا تزال بخير وإذا كان يوسع البشر قتل الجسد فان الروح لا قدرة لهم على المساس بها) . (٦)

وكانت هذه النظرية من أكثر النظريات قبولا لدى الحزب البابوي .

وعلى هذا الأساس استمر تدفق البابوات خلال القرون الوسطى ، واستمر ارتفاع نفوذ البابوية وهبوطها تبعاً لقوة البابا أو ضعفه .

الا أن السمة الغالبة على تلك العصور هي هيمنة الكنيسة على مرافق الحياة لكن الأمر الذي أرق الكرسي البابوي هو الصراع المتفاقم بين البابا وسلطة

الاباطرة . ولهذا فإن الصدام بينهما لم يهدأ طويلاً حتى المؤرخ " هارولد لامب " السى إطلاق لفظ السنوات السوداء على تلك الفترة المضطربة لم تخللها من أحداث رهيبه اهتز لها كيان العالم الاوربي (٧) .

١ - راجع : الدولة والامبراطورية ص ٥٤-٥٩ ٢ - المرجع السابق ٣ - المرجع السابق
٤ - راجع : عالم العصور الوسطى ص ٢٤٨ ٥ - راجع : الدولة والامبراطورية ص ٥٤
٦ - المرجع السابق ص ٥٧-٥٨ وقد طق كولتون على هذا الكتاب بقوله (انه يعتبر كتاب شعونة قوامه الزيف والمهاترة حتى ان اقل القراء حساسية يمكنهم ان يلمسوا فيه احيانا حرية مطلقة في تفسير الكتاب المقدس) عالم العصور الوسطى ٢٦٨
٧ - الدولة والامبراطورية ص ٥٢-٥٣

ولم تأت شهادة " لا مب " من فراغ ، فقد سبقه العديد من
الاوربيين وطني رأسهم بطرس ديبوا الفرنسي (١٢٥٠-١٣٢١ م) صاحب الكلمة
المشهوره عند طوط التاريخ والتي قال فيها (ان البابوات كثيرا ما اشعلوا نيران
الحرب بدلا من ان يعطوا على اخلاصها . (١)

كما نادى مارسيليو أوف بادوا المعاصر لسابقه (بانه ليس للبسا
أي ضرورة في المسيحية) . (٢)

ومع ذلك (فقد انتصرت البابوية في صراعها العلماني ضد الايمراطورية
والقوى الزمنية الأخرى في الغرب ، ولكن هذا النصر الكبير كان يحمل في طياته
بذور الضعف والخذلان ذلك لان الكنيسة اللاتينية كان قد فشى فيها الفساد
كما خرجت البابوية عن رسالتها الروحية التي قامت من أجلها مارأثار الشكوك
في أذهان الناس حول الكنيسة وتعاليمها والبابوية وتصرفاتها .

وببدأ (هنا) نجم البابوية في الأفول ، وينفض الناس من حولها
ويتخلون عنها نتيجة انصرافها عن رسالتها الروحية وانشغالها في العمل على
بسط سيادتها الزمنية على حساب الحكام والملوك والباطرة الذين اذلتهم
باسلحتها بغير حساب . (٣)

وقد كانت مؤشرات هذا الأفول ظاهرة للعيان ، وذلك حينما لم يعقب
البابوات بأي قانون او سلطة تعد من نفوذهم ، فقد كانوا يشبهون سلاح الحرمان
بوجه أي معترض على ممارسات الكنيسة ورائها المخالفة لروح وتعاليم المسيح عليه
السلام .

وطاكثر الاسلحة التي حارب البابوات بها الناس ، ومن خلال
الجدول التاريخي لاسماء البابوات الذين تقلدوا كرسي بطرس في روما ونمونه
نعلم مدى معاناة الشعوب المسيحية الراحة تحت حكم القرارات الصادرة عنهم
فمنذ نشوء هذا المنصب عام ٣١٤-٣٣٥ في عهد سلفستر الاول ،
مارك وحتى ١٤٠٦-١٤١٥ م على عهد جريجوري الثاني عشر (٤) والعالم
المسيحي يعيش هذه البأساة المفجعة . فط يقارب الف عام من الزمن وهي ليست
بالامر الهين من عمر البشر ظلت هذه الشعوب تذوق مرارة قرارات الحرمان
البابوية .

١ - عالم العصور الوسطى ص ٢٧٥

٢ - الدولة والامراطورية ص ٦٢-٦٣

٣ - المرجع السابق ص ٥٣

٤ - راجع الجدول المدرج في كتاب : اوربا العصور الوسطى د . سعيد عاشور

١ : ٦٦٣-٦٦٤ وراجع كذلك : ميلاد العصور الوسطى . هـ . سانتال . ب . موس
ص ٤٢٣-٤٢٤ ت : عبد العزيز جاويد ود . سيد الباز العربي عالم الكتب ١٩٦٧ القاهرة

والغريب حقا ان تخضع هذه الشعوب تحت طغيان كهنوتي يمارس سادية
باساليب متسلسلة تنفيذا لما ربه واشباعا لنهمه .

الا ان الخطوة التي حدثت من هذا الجبروت والتي اعتبرت نقطة تحول
في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية تلك المبادرة التي أقدم عليها مجمع كونستانس
عام ١٤١٤ - ١٤١٨) الذي أكد تفوق سلطة المجالس العامة على البابوات ،
والذي أحال بصفة مؤقتة حكما مطلقا دام عدة قرون الى حكومة دستورية (١)

وقد انعقد هذا المجمع اثر اللفظ الذي حدث بين بابوات الغرب
حيث تقاسم العالم المسيحي آنذاك ثلاثة منهم .

وهؤلاء البابوات هم كليمنت السابع وهو فرنسي
والبابا اريسان السادس مؤيدا من انكلترا وبولندا وايطاليا
والبابا اسكندر الخامس ومن بعده البابا حنا الثالث والعشرين
(١٤١٠ - ١٤١٥ م) (٢)

وهكذا عاش الغرب مهازل الصراع على كرسي البابوية الأمر الذي دعا
الى وجود اصوات تنادى بضرورة اجتثاث هذا السرطان الخبيث من الجسم
المسيحي ولكن الوضع لم يكن بالأمر الهين وذلك للأسلحة التي استعملتها
البابوات في وجه العباد والتي اقضت مضاجع الناس قرونا متعددة .

وسوف نلاحظ الواناً من هذا الطغيان خلال الصفحات القادمة
ان شاء الله ، وذلك اثنا الحديث عن الطغيان الروحي ، والعقلي والفكري
والعلمي والسياسي والطلي .

١ - عالم العصور الوسطى ٢٨٠ ومحاكم التفتيش ص ٨٢

٢ - أوروبا العصور الوسطى ١ / ٥١٤ - ٥١٥

أ - الطفيلان الروحاني

ان الخداع الديني الذي مارسه رجال الدين المسيحي عبر تعاليمهم وأسرارهم التي لا تحصى ، كان لها أثر كبير في تغيير وجهة العقائد الدينية الأصلية ، اذ استطاع الرهبان صرف الناس عن التوجه الى الله تبارك وتعالى وحده مباشرة وحالوا دون رجوعهم الى المصادر الأصلية حتى لا يكشف زيفهم وخداعهم . وعوضا عن ذلك اوجدوا عقائد ومبادئ لا صلة للدين القويم بها واطلقوا شائعات بين الناس تفيد بوجود اسرار خفية لكل عقيدة وقد سميت هذه الاسرار باسم أسرار الكنيسة السبعة . وقد ابطل مارتن لوتر خمسة منها وابقى : المعمودية ، والعشاء الرباني . (١)

١-: راجع تاريخ الإصلاح ص ٢١٨ - ٢١٩
و تشكل هذه الأسرار الى جانب أسرار اللاهوت العقائد التالية :

أ - سر المعمودية : ويقصد به العطار أو التغطيس عند الولادة أو عند الدخول في المسيحية فهو عند هم يمنح النعمة التي تمحو الخطيئة الجديدة والخطايا الأخرى .

ب - سر الميرون : الميرون هو الزيت الذي يمسح به المعمدان الجديد (فيقوم المعمدان أي القسيس أو الشطاس أو غيره) باستدعاء البركة

الالهية - حسب زعمهم - مع العلم بان الميرون مقدس من قبل الأساقفة ومسلم للكهنة .

ج - سر التوبة : يقولون إن هذا السر هو الذي بواسطته ينال المؤمن من الله نفسه غفران خطايا الشخص التي يعترف بها أمام الكاهن بتوبة وندامة .

د - سر الشكر : وهم يزعمون : انه السر الذي يتناول به المؤمن جسد الرب المقدس ودمه الكريم منه تحت شكل الخبز والخمر .

هـ - سر الكهنوت : هو السر الذي ينال به المدعوون لاقتباله بواسطة وضع الأيدي وصلاة رئيس الكهنة سلطان تعليم كلام الله وتقديس المؤمنين بالاسرار المقدسة والخدم الكنسية وقيامتهم الى الخلاص حسب ما يزعمون .

و - سر الزواج : وهم يدعون انه السر الذي ينال به الزوجان المقترنان بالوعد الحر المتبادل بينهما النعمة الالهية التي تقوى علاقتها الطبيعية وترقيها محولة اياها الى علاقة ظاهرة الى اتحاد مماثل لاتحاد المسيح والكنيسة .

ز - سر المسحة : هو السر الذي يعطى بصلوات الكاهن ومسحة الزيت المقدس النعمة الالهية لشفاء الامراض والمعجز الجسد والنفوس ومغفرة الخطايا وتقوية النفوس في الايمان والرجاء (راجع في ذلك : العبادة المسيحية ص ١٠٢ / ٨٨)

هذه الاسرار شكلت بحجبتها ضغطاً معنوياً وروحياً على النفوس وارهقت

كاهل الناس بطغيان من الصعب التقلت من قبضته .

لقد جعل رجال الدين هذه الاسرار امورا مبهمة وطمغزة ليزداد اعجاب البسطاء بها ، واحاطوها بهالة من التقديس امعانا في التموه ، كما جعلوا من انفسهم وسطاء لما لحل اسرارها اوليتقرب الخلق بهم الى الخالق مقابل جعلهم لهم يختلف بحسب المتقدم .

واصبح من العسير جدا على الناس معرفة دينهم الا عن طريق الكهنة ، ورجال الاكليروس الذين تغنوا في احتكار العلم (١) ولم يقف الامر عند هذا الحد ان هو لا لم يتيحوا للناس الفرصة لتناجاة الله تبارك وتعالى دون واسطة والا اعتبرت صلواتهم وادعيتهم واعمالهم باطلة . وای معترض او مخالف لاراء عقائد الكنيسة اعتبر (هرطقيا) اى مبتدعا ومخالفا للكنيسة . وحينئذ يسلط على هؤلاء قرارات الحرمان والطرده من رحمة الكنيسة والكهنوت ومعاملي بالشدة .

وقرارات الحرمان هذه سيف مسلط على رقاب الناس ، وما ابتدعت الا منعا لاي اساس بمصالح الرهبان والكهنة ان وجد هؤلاء في هذه التجارة فرصة طيبة لاقتناص الشهرة والمناصب ، والفرق في لجج الشهوات التي لا تعد ولا تحصى ولقد وجد الاكليروس ضالته فانشأ في سبيل تحقيق هذه الاغراض اداة طيبة سميت فيما بعد باسم " محاكم التفتيش .

وقد قام على هذه الهيئة رهبان الدومنيكان والفرنسيسكان برأسهم مفتش عام يخضع عند تعيينه لموافقة البابا (٢)

فمن وصف بالهرطقة فانه يتعرض لفنون شتى في التعذيب الجسدي يصل الى ازهاق الروح اما شنقا واما حرقا ،

وقد ملأ المؤرخون صفحات كتبهم بالصور الواقعية للاحداث الدامية التي اقتعلتها محاكم التفتيش وما نجم عنها من جرائم تقشعر لسهولة الأبدان خاصة الجرائم التي ارتكبت بحق غير المسيحيين وعلى الأخص ما نزل بالمسلمين في اسبانيا من ويلات وكوارث أزهقت فيها أرواح لا تعد ولا تحصى . (٣)

١ - راجع : ما قاله كولستون في عالم العصور الوسطى ص ١٠١

٢ - محاكم التفتيش ص ١٠٥

٣ - راجع ما كتبه د . عبد الجليل شلبي في العدد ١١١ من جريدة السلون ٢١ رجب ١٤٠٧

١٤٠٧ هـ - ٢١ مارس ١٩٨٧ عن هذه الجرائم ضمن سلسلة التبشير والسلام .

كما ان صور العذاب هذه لم تقتصر على غير المسيحيين إذ حتمس المسيحيين انفسهم لا قوا من الطغيان الكنيسي لما لا يطاق ، كما لم يفلت ممن قبضة محاكم التفتيش الرهبان الذين ارادوا التحرر من الطغيان .

وقد صور . موس . حالة اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح الذين عارضوا اصحاب مذهب الطبيعتين فيقول :

(وطورد رهبان وحدة الطبيعة في سوريا وارمينية وارض الجزيرة وحرموا من الطعام وضربوا بالسياط واحرقوا احياء في الاسواق وقبض افرام اسقف انطاكية على يوحنا التلاسي وأمر باعدامه بالتعذيب البطش^(١) .)

وأخطر من ذلك بكثير تلك الصور المروعة التي تحدثت عن احراق جون

هيس .

فقد اتهم (جون هيس) بالهرطقة لانه ندد ببيع صكوك الغفران^(٢) ! للاثم

(لان فردوس النعيم) لا تورث بالسرشوة والربح الحرام ، وقال . . (ان دل هذا على شي * فانط يشير الى افلاس البابوية ماديا بعد ان اقلست معنويها وعند ما التقت الجموع حول هذا البشر الثالث عر اسك بقرار البابا هن الغفران واحرقه بالنار .)

وقد حكم على هيس بالاعدام بعد تطبيق تهمة ضده واحراجها تخاذ مواقف لما كان يريد ها ، وقد اقتيد الى بقعة عند اسوار المدينة وتم احراقه في ٦ يوليو ١٤١٥ م . (٣)

١ - ميلاد العصور الوسطى . ه . موس ص ١٩٩

٢ - في سنة ١٤١٢ وقع البابا يوحنا الثالث والعشرين في صدام مع لادزلاس ملك نابلي وقررت البابوية شن حرب " صليبية " ضد ملكة نابلس . ولكن البابوية كانت تحتاج الى مال وفير لتمويل هذه الحملة الصليبية ومن ثم فانها اقدمت على بدعة خطيرة في تاريخ الكنيسة الا وهي بيع (صكوك الغفران) لسح كل الخطايا والاثام بالمال واكتطت المهزلة البابوية بهذا القرار . . محاكم التفتيش ص ٨٢ وراجع نص صك الغفران في : محاضرات في النصرانية للشيخ ابي زهرة ص ٢٠٦

٣ - محاكم التفتيش ٨٣-٨٤ وراجع كذلك : معالم الحضارة في الاسلام . عبد الله ناصح طوان ص ٤٤٤ دار السلام ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ القاهرة .

ومثل هذا المصير لاقاه ايضا سافونا رولا سنة (١٤٩٨م) وهو الذي دعا الى ضرورة السلام الاجتماعي والمحبة واحترام حرية الفرد وفكره . كما انه يعتبر واحدا من أهم دعاة الاصلاح الديني الذين جاؤوا قبل مارتن لوتر . . .

وكان البابا اسكندر السادس يتحين الفرص للقضاء على سافونا وحزبه بسبب هجومهم على مفاسده التي فاحت رائجتها في كل جنات اوربا ، فسراح البابا يتهم سافونا وحزبه بالخيانة ضد الوطن وبالتطاول على الكنيسة الأم . ثم أرسل أوامره الى فلورنسا بان تمنع سافونا من الوعظ بسبب ارائه (المهرطقة) واعتل سافونا للامر . . . الا انه عقب سرحية مفتعله استطاع البابا الايقاع به عبر مكيدة محكمة خرج منها هذا الاخير (سافونا) خائبا و هجم نفر من حزب ارابياتا على الدير الذي كان يتوارى فيه سافونا وقبضوا عليه مع اثنين ممن اتباعه المخلصين . . . ثم هب الرعا يعقلون كل من تقع عليه ايديهم من حزب سافونا . . . وبعد ها تم اعدامه حرقا في ٢٣ مايو ١٤٩٨ م مع رفاقه (١) . هذه صورة من الاف صور التعذيب والاجرام التي ارتكبتها البابوية بحقوق اتباعها .

(٢)
ولمن اتعرض لط فعلته الكنيسة مع كالفن ومارتن لوتر وجون ويكسف فهذه قصص قلط يجهلها الناس وهي مشهورة جدا لتعلقها بالاضطهاد الديني . وهكذا نعلم لدى الطغيان الديني الذي وصل وفاق كل تصور . والحقيقة التي يجب ان نقال : ان التبلد الحسي لدى البابوات افقد هم القدرة على التمييز السليم بين الصحيح والسقيم فاعماهم الطمع وجللت الغشاوة اعينهم وسويدا قلوبهم واصبحوا كالمجرمين لا يعرفون ما يفعلون سوى اسياغ نهجهم الفاسد واشباع نهيمهم من كل محرم .

وقد لخص ويلز هذه الحقيقة بعد افلاس زعما الكنيسة قائلا (ولم تعد لهم بعد رغبة في رؤية ملكة الرب موطدة في قلوب الناس ، فقد نسوا ذلك الامر واصبحوا يرغبون في رؤية قوة الكنيسة التي هي قوتهم . متسلطة على شئون البشر وكانوا في سبيل توطيد تلك القوة على اتم استعداد للمساومة مع اى شي حتى البغض والخوف والشهوات . المستقرة في قلوب البشر ، ونظرا لان كثيرا منهم كانوا على الارجح يسرون الرهبة في سلامة بنسبنا مادتهم الضخم المحكم و سلطته المطلقة ، لم يسمحوا باية مناقشة فيه ، كانوا لا يحتلون اسئلة ولا يتسامحون

١ - محاكم التفتيش ص ٨٩-٩٢

٢ - اهيل القارى الى : تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر حول ما تعرض اليه مارتن لوتر من قرارات الحرمان واحراق كتبه : انظر ص ٤٠٢-٤٠٨ من المرجع المذكور .

في مخالفة لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم بل لأنهم كانوا غير واثقين منها . وكانوا يريدون ممن حولهم موافقتهم على رأيهم لأسباب تتصل بالسياسة وقد تجلى في الكنيسة عند ما وافى القرن الثالث عشر طيساورها ممن قلق قاتل حول الشكوك الشديدة التي تنخر بنا* دعياتها باكله وقد جعله اثرا بعد عين .

فلم تكن تستشعر اى اطمئنان نفسي ، وكانت تتصيد الهراطقة في كل مكان كما تبحث العجائز الخائفات فيما يقال - عن اللصوص تحت الاسرة وفي الدرابزين قبل الهجوع في فراشهن . (١)

هكذا حبر زعما* الكنيسة على الناس مجرد المناقشة فيما ابتدعوه من عقائد وما افتعلوه من اسرار ارادوا بها تغليف حقيقة عقائد هم الوثنية التي ورثوها عن اسلافهم الرومان واليونان من قبل ، وما اصرارهم على التمسك بها وعدم افشائها إلا لمن يريدون . الا دليل على استمرارهم لتجارة بيع التعاليم الدينية التي تفتن كهنه ازيس واوزوريس من قبل في اتقانها وتمثيل ادوارها . بل اين هم أولئك الذين يدعون أنهم اصحاب دين سواي من أولئك الذين لا دين لهم سوى عبادة الفراعنة والظواهر الطبيعية .

وها هي أوروبا العصور الوسطى وما بعد ها للأسف تراث جاهلية القرون الأولى وتأبى أن تطرحها حفاظا على مكتسباتها وكأن كهنه دلفي وأوسيس قد ظهرت من جديد بصورة الاكليروس المسيحي .

ب - الطغيان العقلي والفكري

لم تكف الكنيسة بفرض هيمنتها وطغيانها على الصفا^{*} الروحي بل اظقت جميع المنافذ اليومية الى اثارة الطريق امام السالكين . وعطلت كل فكر يس فكرها واسرارها من قريب او بعيد ما احدث هوة عميقة في الحركة الفكرية الانسانية .

فلقد (أصر رجال الاكليروس على هذه الاسرار وعلى الزعم بانها هي الحقيقة تضليلاً بوعي او ضلال منهم بغير وعي - فلم يكن امامهم الا ان يستخدما سلطانهم الطاغي لمنع المناقشة في هذه الامور لكي لا تنكشف عن وهم لا وجود له الا في اذهان واضعيه او لا وجود له حتى في اذهان واضعيه). (١)

كما لم تكف المسيحية بهذا فقد (وضعت نفسها في موضع الاله بل افترضت لنفسها على الناس ما لم يشأ الله سبحانه وتعالى ان يفترضه لنفسه على عباده رحمة بالناس . قاله وحده هو الذي يحق له ان يتعبد عباده بأمر ليس من الضروري ان يدركوا حكمتها ليعلم - سبحانه - من يطيعه بالغيب . ولكنه من رحمة - قد جعل ذلك في امور التعبد وليس في امور العقيدة التي جعلها الله سهلة وميسرة ومفتوحة بلا الغاز ولا غموض ليستوعبها كل (عقل) ويطمئن اليها كل قلب . اما الكنيسة فجعلت ذلك في أمور العقيدة وجعلت لنفسها حقوقاً اكثر مما افترض الله على العباد) . (٢)

ومن وجهة النظر الاسلامية فان الاسلام رفض المنحى الذي اتجه اليه رجال الكهنوت في منع وصول العلم والفكر الى الناس وشرح ما دى^{*} الدين بميسر وسهولة ، وقد اشار القرآن الكريم الى الموقف الذي يجب ان يقفه العلماء تجاه القضايا العقيدية . قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . (٣)

(فهذا النص القرآني نجد فيه إشارة الى المحكم والمتشابه وبجميع المفسرون والعلماء على أن أصول العقيدة وكذلك أحكام الشريعة هي من المحكم

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٣

٢ - المرجع السابق ص ٣٥

٣ - آل عمران : ٧

الذى لا يدخل التشابه فيه وأن الأمور المتشابهة التي تحددها
الآية والتي اختلف المفسرون في تحديدها والتي منها على سبيل المثال الصورة
المفصلة لأحوال الجنة وأحوال النار وصفة العرش وما إلى ذلك من الأمور ليست
من الأصول التي يكفر المخالفون في تأويلها .

ثم إن الراسخين في العلم وهم ليسوا فئة محددة كثرة رجال
الكهنوت لا يزعمون أن عندهم تأويلها ، ولا أن تأويلها سر خاص بهم يحتجونه
عن الناس ثم يلصقونهم بالإيمان به بلا دليل . بل تنص الآية على أن الله وحده
هو الذى يعلم تأويلها أي حقيقتها لأنه سبحانه هو العليم الخبير الذى يعلم
كل شيء على إطلاقه إنما الراسخون في العلم يعلمون فقط بأن الآيات كلها محكمة
ومتشابهة من عند الله ويعلمون أن علم هذه المتشابهات هو عند الله وحده (١) .

وبدل أن يخوض الناس في (مناهات عقلية ليس لهم فيها فائدة تطلب
أو منفعة تكتسب كالتى وضعتها الفلسفة المسيحية في علم اللاهوت والفلسفات
اليونانية النائية في بحر عقلي لا قرار له . نجد الإسلام يدعو العقل صراحة
إلى التفكير والتدبر في آيات الله التى بشها في الأرض والتي تنطق بوجود الحقيقة
الكبرى التى لا مراة فيها وذلك ليصل في أمر العقيدة إلى اليقين بل نعمى على
الذين يرفضون التفكير اتباعاً للهوى أو اتباعاً لط ورثوه من عقائد الآباء والأجداد ،
أو اغلاقاً للحس والبصيرة ، عن التأمل والتفكير . (٢) .

قال تعالى (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) (٣) .
وقال أيضاً (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا
عَلَيْهِ آبَاؤُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَفْعَلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (٤) .

وقد أثنى الله تعالى على أولى الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات
والأرض ليهديهم هذا التفكير إلى الإيمان بالله تعالى .
وقد عنى الإسلام بالتربية العقلية عبر تحديد النظر العقلي (صوناً
لطاقته من التبذير وراة الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشرى أن يحكم فيها .
وهو يعطي الإنسان نصيبه من هذه الغيبيات بالقدر الذى يلبي ميله للمجهول
ولكنه يكل أمر ذلك إلى الروح فهي القادرة على ذلك . المزودة بوسائل الوصول
إلى العقل فوسيلته إلى الله وإلى معرفة الحق هي (الروح) تدبر الظاهر للحس
والمدر ك بالعقل ومن ثم يحدد الإسلام مجاله بهذا النطاق ولا يتركه يفسر
في التيه الذى غرقت فيه الفلسفة من قبل واللاهوتيان ، فلم تصل إلى شيء حقيقي يستحق

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٤-٣٥ ٢ - المرجع السابق ص ٣٦-٣٧

٤ - البقرة : ١٧٠

٣ - الروم : ٢٩

ما بذل فيها من جهد ، ان لم تكن قد غشت مرآة الفكر البشرى وشتتت
ما ينعكس عليها من اضاء (١)

وقد بين الاسلام مجال التدريب العقلي ، واتخذ في ذلك الا مرسليتين

الاولى : وضع المنهج الصحيح للنظر ، وذلك عبر تفريغ
العقل من كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين . وانما قامت على مجسرد
التقليد او الظن فينمي على التقليد الذين يقولون :
(اِنَّا وَجَدْنَا اٰبَاءَنَا عَلَىٰ اُفٍّ وَاِنَّا عَلَىٰ اَثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ) (٢)

ثم بدأمر بالتثبت من كل امر قبل الاعتقاد (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
اِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ اُولٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ سَوًّا وَلَا) (٣)

الثانية : فهي تدبر نواحي الكون ، التي تطبع العقل
بطابع من الدقة والتنظيم .

فالنواحي الكونية تجري في دقة عجيبة ونظام لا يختل ، وفوق ما يوجبه
ذلك للقلب البشرى من تقوى الله الصانع المدبر والتوجه اليه في كل امر فانسه
يعود بالعقل على دقة النظر وانضباط الاحكام . (٤)
(خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ ، اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِّلْمُؤْمِنِيْنَ) (٥)

فالمسليتان السابقتان كفلتان بايصال العقل البشرى الى الحكمة
المرجوة من هذا الوجود ولذلك نجد الاسلام يوجه الطاقة العقلية اول (ما يوجهها
الى التأمل في حكمة الله وتدبيره وهو اقرب ما يكون الى ملكة الروح

فالتأمل المطلوب ليس مقصودا لذاته ، وليس مقصودا به أن يصبح فلسفة
يتعاطل فيها الفلاسفة ويغضون ويهممون ثم لا ينتهون الى شيء انما ظيته
اصلاح القلب البشرى واقسام الحياة في الارض على أسس من الحق والعدل
الازليين الكائنين في بنسبة الكون ونية الحياة . (٦)

ان هذه التوجيهات وتلك التنبيهات كقيلة باراحة الانسان
من متاعب تفكيره الذي يضجج بالهواجس وهي القمينة بانزال الطمأنية والسكنية على
قلبه لأنها تضعه في مكان أمين من تلاعب وساوس شياطين الانس والجن وحينما
يلتزم الانسان بأمر الله تعالى ويقف عند حدوده ويعرف كيف يتعامل مع مخلوقات
الله تبارك وتعالى وفق منهج القرآن الكريم في الهدى والرشاد تصبح حياته

- ١ - : منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب ١/٩١-٩٢
٢ - الزخرف : ٢٣ - الاسراء : ٣٦ - منهج التربية الاسلامية ٤
١ : ٩٣-٩٤ ٥ - العنكبوت : ٤٤ ٦ - منهج التربية الاسلامية ١ : ٩٤-٩٥

الارضية ملوها السعادة والحيور وهي مقدمة أساسية للحياة الاخرة ، حياة الجنة

ونعيمها التي أعدّها الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين :

(إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) (١)

وهكذا يرتبط الانسان في الأرض بعالم السوء فلا هو ينقطع

عنها ، ولا هو يتشتت في الغازها ، بل بكل أمر هذا التدبر الى روحه

التي تسبح خالقها فتعرف من الحقائق ما لا يمكن للعقل ان يدركه ، . كل

ذلك بلا واسطة ، بلا كهنوت ، بلا رهبان . بل يصل الى ذلك بالقرآن

وحده السوي الى تلك الحقائق التي تغيب عن كثير من الناس . والله

الهادي الى سواء الصراط .

ج - الطفيان العلمي

ما كتبه العلماء والمؤرخون عن الطفيان العلمي والفكرى لدى الكنيسة إبان عهود الباطوات المظلمة لم يكن من باب الافتراء أو التضليل والخداع ، بل ان القراءة التاريخية المتأنية للحركة العلمية إبان العصور الوسطى تنطق بحقيقة واقعية مفادها ان هذه الفترة تعتبر بحق عصوراً قاتمة السواد .

وقد اشار العلماء الى ان التحكم الذى انطوى عليه تفكير البابوية فى مجال الطفيان الروحي والديني قد استثمر للتحكم ايضاً فى مجال العقل البشرى والتفكير العلمى الغنى والتقنى . حيث وجهت الكنيسة جهودها لصبغ التعليم العام صبغة كهنوتية وابعاد اى علم لا يخدم مصلحة الكنيسة ومكاسبها .

يقول "موس" عن واقع التعليم آنذاك (ان الغرض الوحيد من التعليم ببلاد الغرب فى ذلك العصر هو اعداد الكهنسين للاضطلاع بواجباتهم . فكانت المعرفة اللازمة لفهم الصلوات اللاتينية وفى حالة التلاميذ الذين هم أكثر تقدماً دراسة المعلومات الضرورية للاحاطة بالأدب المسيحى الجدلى والتفسيرى وحساب عيد القيامة وسائر الأعياد ودراسة نظام الكنيسة القانونى والادارى) (٢) .

هذه المواد التى انصب الاهتمام الكهنسى عليها كانت الشغل الشاغل للتعليم العام فى المعاهد والمؤسسات والأديرة الأوروبية أما باقى المواد العلمية فقد أهملت إهمالاً كبيراً فضلاً عن سوء التربية التى تفشت بين رجال الدين . فلم تراعى الكنيسة جانب الرأفة ازاء الطلبة بل أظهرت القسوة فى تعليمها (ما جعل (الجرمان - الالمان) يظهرن نفوراً قوياً من التعليم ، حتى ان ثيودريك ملك القوط الشرقيين حرّم إرسال أبناء القوط الى المدارس محتجاً بأن الصغار الذين يشبون على الخوف من عصا المعلم لن تكون لديهم فى المستقبل الشجاعة الكافية لمواجهة السيوف والحراب) . (٣) .

وليت الأمر قد اقتصر على هذا الحد فبدل ان تعكف الاديرة والمعاهد الكنسية على دراسة العقائد المسيحية لتمحيصها وتبسيطها للناس واستخراج

١ - راجع فى هذه الصدد : مذاهب فكرية معاصرة ، للاستاذ محمد قطب ، ص ٤٧٥ والعلمانية ، لسفر بن عبد الرحمن الحوالى ص ١٤٥ وما بعدها

٢ - ميلاد العصور الوسطى ، هـ . سانت موس ص ٤٠٣

٣ - أوروبا العصور الوسطى ٢ : ٣٣١ راجع اعترافات جيوبيرت فى ٢ / ٣٣٩

الصحيح^(١) من السقيم والعمدة بها الى نقاوة التوحيد ، ان بالرهبان والقسس وبقية
الاكليروس يفسحون المجال (أمام الخرافات التي وجدت طريقها الى التعاليم الرسمية
للكنيسة الغربية والتي لقيت التأييد من غريجورى الكبير بما كان له من سلطان ونفوذ
قوى وعلى الرغم من ادراك اوغسطين لما تنطوى عليه عبادة المقدسات والاثار الدينية
من اخطار فانه اجازها في اشد صورها تطرفا حتى اذا انقطعت المواصلات واضطربت
ظروف العيش وغلب الارتباك على المعايير والثقافات انتعشت بواعث الاشاعات
وسرعة التصديق وقوى الاعتقاد في الأعاجيب والشياطين وفي قوة مفعول السحر
وادواته^(٢) .

الى جانب هذا أضحت اللغة نفسها وهي عامد كل عالم معاربة من قبل
البابوات فيها هو (البابا جريجورى ٥٦٠-٦٠٤) اشتهر بكراهيته للأسلوب
البلاغي الكلاسيكي وتفضيله اللاتينية الدارجة بالإضافة الى اعتقاده الراسخ في
عدم جدوى كافة الدراسات التي لا تساعد في فهم العقيدة المسيحية^(٣) .

واثر ذلك اختفى من الغرب تماثلا كل تمكن حقيق واجادة للسان
اليوناني^(٤) وقد تفاقم الوضع اكثر من ذلك الامر الذى دعا شارلمان الى الشكوى
من رجال الدين (فكتب الى رؤساء الاديرة يشكو من (جهلهم) وكثرة الاخطاء
المتواترة في المخطوطات الدينية بل في الانجيل نفسه وبأمرهم بالعناية بالمدارس
والتعليم لاصلاح هذه الاوضاع)^(٥) .

هذا الجهل قد تمكن من نفوس رجال الدين على الرغم من وجود عدد
من كبار رجال الكنيسة التي يفتخر بها المسيحيون كاوغسطين وقد أفضى عهدهم
الى تنامي العقائد الوثنية في الديانة وبلوغ الشعوذة شأوا كبيرا (ان لم توفق
المسيحية الى تغيير الوضع في هذه الناحية فان الدولة الرومانية قد اضفت
قدرا كبيرا من نظمها وطرائقها على الكنيسة المسيحية الطغرة وكذلك فعلت
الوثنية في القرون الوسطى حيث نفقت على العقول مراثيها وهي تلفظ آخر
أنفاسها)^(٦) .

١ - لاحظ ما ابدته " دايانك مودادى ساراواك في كتابها : من رومة الى مكة ص ٨٠ .

٢ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٥ و وكذلك : عالم العصور الوسطى ص ١٠٨ .

٣ - أوروبا العصور الوسطى ٣٣٢/٢ ٤ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٤ .

٥ - أوروبا العصور الوسطى ٣٣٢/٢ ٦ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٦ .

ويظهر الطفغيان العلمي جليا في عدم افساح المجال امام المدارس المستقلة لممارسة دورها التعليمي ، ان لم يسمح لاي فرد ان يفتح مدرسة داخل حدود الاسقفية أو يباشر تدريس الفنون الحرة دون تصريح من الموظف والا تعرض للمحاكمة . (١)

وعلى الرغم من ان الكنيسة ضغفت بثقلها من اجل طفغيانها العلمي والعقلي الا انها لم تستطع ايقاف المد الحضاري الذي بدأ فجره بالبزوغ عبر تلك المدارس والمعاهد التي (لم تكن للرقابة الكنسية سلطة عليها ما اتساح الفرصة لبروز جامعات اوربية في القرن الثاني عشر في ايطاليا وباريس وغيرهما والتي استطاعت بجهود ضخمة ان تصل الى شسبي* من التحرر والاستقلال عن السلطة البابوية ومع ذلك فقد ظلت الكنيسة متمسكة ببعض الشروط خاصة فيما يتعلق بالموافقة على قبول الطلبة حيث اشترطت ان يكون ذلك عن طريق الاسقف . وظل الوضع هكذا الى قيام ثورة الجامعات في اوربا التي اتفقت فيها بينها على ضرورة التحرر من كافة القيود حتى حققت استقلالها عن السلطات الكنسية والعلمانية جميعا) (٢)

ولقد احتضنت هذه الجامعات (العلوم والمعارف الواسعة التي أتت بها النهضة الاوربية في القرن الثاني عشر الذي جعل الجامعات مركزاً لثورة فكرية ضخمة ازدادت قوتها منذ القرن الثالث عشر) (٣)

وغير خاف : ان هذه النهضة العلمية لم تكن لترى النور لولا الاحتكاك الذي شهدته اوربا عبر التقائها بالحضارة الاسلامية التي كان لها الفضل الاكبر في اثراء عطية التعليم وازدكا* روح التحرر من اى سلطة ارضية غير شرعية ما اعطى العقل الاوربي فرصة عظيمة للانفتاح والوقوف في وجهه جيروت الاكليروس وطفغيانه .

و قد تنبهت الكنيسة الى هذا الامر الخطير ولهذا فقد عطلت كل ما في وسعها لابعاد هذا الاشعاع الفكري من الوصول الى الناس . لشعورها بالخطر الناجم عن هذه القفزة العلمية التي تهدد كيانهها ،

وقد كان لنظريات وقوانين العلماء المسلمين وكتبهم اثر كبير في دفع الحركة العلمية والفكرية الاوربية الى الامام ، ولهذا فقد شنت الكنيسة حملاتها المسعورة على كل ما يمت الى المسلمين من علوم بصفة وحاربت كتبهم

١ - راجع : اوربا العصور الوسطى ٢ / ٣٤٠

٢ - المصدر السابق ٢ / ٣٥١ وراجع كذلك تاريخ الحضارات العام ٣ / ٤٢٥

٣ - المصدر السابق ٢ / ٣٥٢

وطناً هــم (١)

والدارس لؤخائر الحضارة الاسلامية يعجب من ذلك التراث وتلك
الكنوز العلمية التي اخرجتها تلك الحضارة .
كما يستطيع ان يقف على تلك الجهود الضمنية التي قام بهــا
العلماء المسلمون في سبيل تحقيق ازدهار البشرية ورخائها (٢)

(٣) ومن أمثلة الطفيلان العلمي ما تعرض له " بيير أبيلار "
العلم الفرنسي الذي تجرأ وطالب بالتححرر من رتبة الكنيسة . فما كان من مجمع
سمنس عام ١١٤٠م الا ان اصدر حكمه على جسارة أبيلار الذي خارت عزائمه
فهجر العالم .

كما تعرض جيلبيردي لا بورييه للاكراه فاجبر على التراجع عن
ارائه امام مجمع رمنس عام ١١٤٨ امام الكنيسة . (٤)

ومن امثلة اضطهاد الكنيسة للعلماء ما تعرض له الطبيب
(بطرس البانو سنة ١٣١٦م على يد محاكم التفتيش الا ان الشية ادركته
قبل ان تمت يد المحاكم اليه تلقاء ما روج من مذهب الانتيبوس (اي البشر
الذين يقطنون في الجهة المقابلة للارض) وغيرها من مذاهب العلم . (٥)

١ - راجع في هذا الصدد : اوربا العصور الوسطى ٣٥٣/٢ وكذلك : تاريخ
الحضارات العام ٤٢٥/٣

٢ - والمراجع في هذا الشأن كثيرة أهمها : حضارة العرب لغوستاف لوبون
وروائع حضارتنا د . مصطفى السباعي . وأسس الحضارة الاسلامية . للشيخ عبد الرحمن
حينكة الميداني . ومعالم الحضارة في الاسلام واثرها في النهضة الأوروبية

عبد الله طوان . وشمس العرب تسطع على الغرب لزيفر يد هونكه . والاسلام
والحضارة العربية لمحمد كرد علي . وتراث الاسلام لشاغت وبوزورث . والحضارة الاسلامية
في القرن الرابع الهجري لادم ميتز . وحضارة الاسلام واثرها في الترقى العالمي
لجلال مظهر . وحضارة العرب في العصور الاسلامية الزاهرة . مصطفى الرافي . وغيرها

٣ - معالم الحضارة الاسلامية ص ٤٤ ٤ - تاريخ الحضارات العام ٣٢٦/٣

٥ - موقف الاسلام والكنيسة من العلم ص ١٢١

كذلك الامر بالنسبة لكوبرنيكوس وما قام به من جهود طمسية لم تكن لتوافق الكنيسة
كذلك الامر بالنسبة لجاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢) الذي قامت حطة ضده لانه اكتشف
بمنظاره ان هناك سيارات أخرى تزيد عن السبعة التي ذكرتها النصوص المقدسة
عندهم حيث جاء في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي الاصحاح الاول ١٩-٢٠ :

فاكتب ما رأيت وما هو كائن وما عتيد ان يكون بعد هذا سـ
السبعة الكواكب التي رأيت على يميني والسبع المناير الذهبية (١) .

هكذا كانت العقلية الكنسية تفرض طغيانها على العلم وتمنع
وصول المعارف الصحيحة الى العقل المستنيرة .

وبذلك سودت الكنيسة صحائف اعمالها بالجرائم المتنوعة
فكانت بحقق نكبة للبشرية .

اثر الصراع بين العقل والرهبانية

من خلال ما تقدم نجد نوعاً من الصراع العلني بين موقف
الرهبانية من العلم وموقف العلماء منها .

وإذا ما عدنا الى طبيعة هذا الصراع فسوف نجد ان الاولى تتمسك
بطغيانها لاثبات مدعياتها واراتها التحكيم في رقاب البشر واخضاعهم لتعاليم
الكنيسة مستندة الى النصوص الدينية والاسرار المقدسة المزعومة .

اما القوة العلمانية المدنية فقد ضجت من تقاسم هذا الطغيان واساليبه
التعسفية بحق العلم والعلماء .

لهذا فقد قامت من أجل إثبات وجودها وإزاحة هذا الوضع فهيات نفسها
لثورة عارمة للتعبير عن نفسها فضلاً عن أهمية دورها في المجتمع .
إلا أنها لم تستطع وزن الأمور بميزان الاعتدال وتحصيل مسائل العقيدة
تحقيقاً يعتد على النزاهة والحياد والبحث عن الدين الاصيل ، بل راحت في
حمأة الصراع مع القوى الكنسية ترفض أي نداء ديني ينير البصر ويوقظ البصيرة
وهكذا نجد كلا الطرفين يرتكب الاخطاء دون وعي للاخطار الناجمة
عن موقفه المتعنّت .

وبعد استعراض موقف الاسلام وسطحته ورحابة صدره تجاه العلم
والعلماء وحضه لهم كان لابد من الوقوف قليلاً امام منهج الخصم اللدود للكنيسة وما
قام به لدرء طغيانها والاسلحة التي شرعها في وجهها .
فمن المعروف عند العلماء ان أوروبا قد خضعت عبر تاريخها الوسيط
والحديث تحت سيطرة ما يسمى بسيادة النص والدين ويعنون به خضوعها لتعليم
الكنيسة. ثم انتقلت الى مرحلة سيادة العقل وهو عصر التنوير لتصل في النهاية
الى سيادة الحس .

اما مرحلة سيادة العقل :

فقد ظهرت نتيجة للخصومة التي تفجرت بين الدين والعقل في القرن
الثامن عشر الميلادي فقد اتجه اعداء الكنيسة للعمل نحو اخضاع الدين للعقل
وقد اطلق على هذا العصر عصر التنوير وكان من رواده * بلانش وفشته (١)

١ - فيشته ١٧٦٢ - ١٨١٤م) ابن فلاح من سكسونيا كان من رواد فلسفة
النقيض يمد ان درس اللغة وفقهاها والفلسفة ، له (المبادئ الاساسية لنظرية
المعرفة ١٧٩٧ وايضا (القانون الطبيعي) . موقف الاسلام من نظرية ماركس
للتفسير المادي للتاريخ ، احمد العوايشة ص ٦١ ط ١ ١٤٠٢ - ١٩٨٢ دار مكة

والضابط الفكري لهذا العصر تميز بالاتي :

اولا : نمو شعور العقل واحساسه بنفسه وقدرته على ان ياخذ مصير مستقبل الانسانية في يده ، بعد ان يزيل كل عبودية ورثها من قبل وهي عبودية الكنيسة وتعاليمها ، حتى لا تحجبه عن التخطيط الواضح لهذا المصير .

ثانيا : الشجاعة والجرأة التي لا تتأرجح في اخضاع كل حدث تاريخي لامتحان العقل وكذلك في تكوين الدولة والجماعة والاقتصاد والقانون والديـن والتربية ، تكوينا جديدا ، على الاسس السليمة الصفاة التي لكل واحد منها .

ثالثا : الايمان بتعاون جميع المصالح وبالاخوة الانسانية على اساس من هذه الثقافة وحدها ، المستمرة في التزايد والنمو .

ومعنى ذلك كله : وجوب سيادة العقل كمصدر للمعرفة على غيره . وغيره الذي ينازعه السيادة في ذلك الوقت هو (الدين) اى المسيحية الكاثوليكية ، اولا وقد تكون معها البروتستنتية كذهب عرف للاصلاح الديني هناك . فللعقل - في نظر اصحاب التنوير - الحق في الاشراف على كل اتجاهات الحياة وما فيها من سياسة وقانون ودين .

والانسانية هي هدف الحياة للجميع وليس الله او المجتمع الخاص او الدولة الخاصة . وكما يسمى هذا العصر بـ " عصر التنوير " يسمى ايضا بالعصر الانساني (وكذا يسمى بعصر الـ (*DEISM*) اى عصر الايمان الفلسفي بانه ليس له وحي وليس بخالق للعالم ان كل سميات هذه الاسماء تعتبر من خواصه . (١)

١ - بتصرف عن : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار السفري

د . محمد البهي ص ٣٢٢-٣٢٣ - الطبعة الخامسة ١٩٧٠ دار

الفكر بيروت . وللمزيد يراجع كذلك : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٢٠٠

سيادة الحس

انتهى عصر التنوير بانتهاء القرن الثامن عشر تقريبا وابتدأ عصر آخر من عصور الفكر الاوروبي بظهور فجر القرن التاسع عشر ، وموضوع الصراع العقلي عند الاوروبيين واحد لم يختلف عن ذي قبل هو : الدين ، والعقل والطبيعة .

ولكن تميز القرن التاسع عشر بفلسفة معينة ، لان اتجاه التفكير فيه مال الى سيادة (الطبيعة على الدين والعقل معا ، والى استقلال الواقع كمصدر للمعرفة اليقينية مقابل الدين والعقل .

وقد وضع للمذهب تسمية " المذهب الوضعي " وهذا المذهب في الوقت الذي انكر فيه على الكنيسة دينها ، وضع ديناً جديداً بدلاً عنه هو : دين الانسانية الكبرى ويقوم هذا الدين على عبادة وطقوس .

اما الاسس التي قام عليها هذا المذهب فهي :

اولا : تقدير الطبيعة وتقييمها وحدها كمصدر للمعرفة ، والطبيعة او الحقيقة او الواقع او الحس كلها تدل على معنى واحد في نظر الوضعيين وتقدر هذه الفلسفة الطبيعية لا كمصدر مستقل فحسب للمعرفة بل كمصدر فرعي للمعرفة اليقينية او المعرفة الحققة ومعنى تقديرها للطبيعة على هذا النحو : ان الطبيعة في نظرها هي التي تنقش الحقيقة في عقل الانسان وهي التي توحي بها وترسم معالمها الواضحة ، هي التي تُكَوِّن عقل الانسان .

ثانيا : الانسان لا يطلي عليه من خارج الطبيعة اى لا يطلي عليه ما وراءها كما لا يطلي عليه من ذاته الخاصة انما يأتي من وراء الطبيعة خداع للحقيقة وليس حقيقة . . . وكذا ما يتصوره العقل من نفسه وهم وتخيل وليس حقيقة ايضا . . .

ثالثا : ان عقل الانسان في منطق هذه الفلسفة اى ما فيه من معرفة ولید الطبيعة التي تتسل في الوراثة والبيئة والحياة الاقتصادية والاجتماعية . . . انه مخلوق ولكن خالقه الوجود الحسي . . انه يفكر ولكن عن تفاعل مع الوجود المحيط به . . انه مقيد مجبر وصانع القيد والجبر هو حياته المادية . . ليس هناك عقل سابق على الوجود المادي . (١)

١ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٣٢٢-٣٢٣ ، بتصرف

رابعاً : كما انه ليست هناك معرفة سابقة للانسان عن طريق الوحي
- فعقل الانسان ومعرفته يوجدان تبعاً للوجود الانساني الطارى وهما انطباع
لحياته الحسية الطادية التي يتنفسها .

خامساً : الطبيعة هي التي تنطق عن نفسها ، ويجب على الانسان
ان يعتمد منطقها اذا اراد ان يعيش فيها ، ومنطقها واحد لا منطق
(المولاهين) ولا منطق (العقلين) ولا منطق (أصحاب النظرية السيكلوجية)
في معرفة الانسان هو الذى يخط الطريق المستقيم في حياة الانسان . وهو
الذى يحدد أهدافه .

سادساً : وطريق الانسان في حياته الطبيعية يبدأ من الفرد وينتهي
بالجماعة . واذن : الفرد نفسه ليس غاية وحياته التي يعيشها ليست هدفاً
لسعيه انما غايته الاخيرة التي يجب ان يسعى اليها وذهب فيها كما يذهب
العابد الصوفي صاحب عقيدة (الاتحاد) فيط يولاهه ويعبد . هي الجماعة
وطالما كانت الجماعة هي غاية الفرد الاخيرة فهي معبوده وتذهب حريته فيها لتبقى
لها الحرية وتغنى حياته في سبيلها لتبقى لها الحياة الابدية الخالدة (١) .

هذا هو منطق الهاربين من طغيان الكنيسة وقد بيد واول وهلة
ان هو لا قد فازوا بطارادوا نتيجة لحقيقة استندوا اليها (الا ان نظرية
فاحصة الى هذا التخصيب في خطواته المتعشرة تكشف للباحث المتثبت
ان الهاربين من (الله) لكي يهربوا من قبضة الكنيسة - لم يصلوا الى اية
حقيقة مضبوطة يصح ان تكون هذا او حجة لمن يريد ان يقول (انه يلجأ
الى هذا هرباً من معميات ما وراء الطبيعة .

والا فإى شيء " مضبوط " وصلت اليه الفلسفة العقلية المثالية مثلاً :
ما هو هذا العقل الذى وكلت اليه أو المعرفة بعيداً عن الله وعن الطبيعة؟
ماذا نعرف عن ماهية العقل؟ او عن خصائصه؟ وماذا نعرف عن طريق عقله
وتأثيره وتأثيراته . أين يقع هذا العقل ؟ أين يوجد ؟ ما طبيعته ؟ ما قانونه ؟
كلها اسئلة لا جواب طيها حتى في القرن العشرين ؟

ثم هذه المقولات التي ابتدعها هذه الفلسفة وجعلتها حتمية ومنت
طيها قاضياها . . . ما هي ؟ ، ما هو مبدأ النقيض الذى قام عليه المذهب
والذى اعتمد عليه كارل ماركس فيما بعد ما هو؟ ما قيمته الواقعية ؟ انه ليس
سوى مقوله عقلية مجردة لا تتعامل مع الواقع في شيء (٢)

١ - الفكر الاسلامي الحديث وهلته بالاستعمار الغربي ص ٣٢٢-٣٢٣

و : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٣٢٠

٢ - راجع : خصائص التصور الاسلامي ، سيد قطب ص ٧٨ ، وراجع في مجال

هكذا عطت الكنيسة على ارباب الفكر البشرى وهكذا هرب هذا الفكر الى احضان الالحاد ، ولولا ذلك الموقف المجرم الذى وقفته البابوية من العلم والعلماء لم تطور هذا الوضع الى ميلاد الفكر الشيوعى في اوربا والذى استغله اليهود ابشع استغلال لهدم مقومات الاديان والابقاء على تراث " الشعب المختار " تنفيذاً للتوسع اليهودى ، وهو الموقف الذى ابقى شعلة الانفصام بين العلم والدين مشتعلة في ربوع اوربا وامريكا وتصديره الى بقية ارجاء العالم . وتظهر بوضوح جريمة الكنيسة فوق التنفير من الدين في فصلها بين نزعيتين فطريتين سويتين متكاملتين .

(اولا : نزعلة التعلم .

ثانيا : نزعلة العبادة

وقد انشأت الكنيسة بينهما حداوة لا وجود لها في اصل الفطرة وصدا لا ينبغي ان يوجد في النفس السوية . فتتمزق النفس الواحدة مرقسا وتشير في داخلها القلق والاضطراب . (١)

مع ان النظرة الاسلامية الى العلم تراعى هاتين الفطرتين وتغذي بهما على حب التعلم والالهام بكل ما ينفع الانسان في دنياه واخراه وفق ما قرره الاسلام من مبادئ وتشريع فانظر الى ما انزل الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (٢)

انها دعوة صريحة للقراءة والعلم وان الله سبحانه . علم الانسان ما خفى عليه وهي تنطق كذلك بان مرد العلم اليه وليس لاي مخلوق اخر .

ثم تأتي الايات القرانية لتوقظ الانسان وتدعوه للارتقاء الى العلم لتعلم درجاته عند الله (... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (٣) كما تطلب منه الرجوع الى البارى لمزيد ، طم (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي طِلْمًا) (٤) لان الله تعالى هو العالم ما كان وما سيكون ويعلم ما في السموات وما في الارض . ولا يخفى عليه شيء . ويبدء مفاتيح الامور فهو المنعم وهو الرازق واذا اعطى فلا حدود لمعطائه

الرد على الهدأ الشيوعى في كتاب : نقض اوهام المادية الجدلية . محمد سعيد رمضان البوطى ص ٥٧ وما بعدها وكذلك راجع : موقف الاسلام من نظرية ماركس

للتفسير المادى للتاريخ ص ١٤١

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٥٠

٢ - العلق : ١

٤ - طه : ١١٤

٣ - المجادلة : ١١

هذه الحقائق لا يعلمها الا العلماء الراسخون في العلم
الذين يقفون عند حد ود الله فلا يتعدونها لخشيتهم وخوفهم من ربهم ولأن علمهم
هو الذي قادهم الى هذه الحقيقة (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ غَفُورٌ) (١)

وهكذا يرفع الاسلام النفساوة عن أعين الناس ليروا الحقيقة التي طمسها
الكهان والرهبان ومزيل كل عقبة تقف في طريق العلم .

فإذا ما تغذت نزعة العلم فنزعة العبادة انطلقت النفس البشرية الى
الافق الارحب لتعبر عن كيانها ولتطارد ورها في محيطها الدنيوي حيث
الاتصال بالخلق وفق منهج الاسلام لعطارة الارض ونشر الحق والعدل .

وحيث الاتصال بالخالق عبر العبادة والتضرع والشكر له وفق ما
جاء به الاسلام من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف ، هذا الشكر الذي
لا يعرفه الا أولو الالباب (إِنِّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ) (٢)

بهذا المفهوم تقدم المسلمون خطوات كبيرة في مجال الحضارة
ولم يحل بين تقدمهم أي عائق حتى وصلوا الى القمة العاقبة ، فكانت حضارتهم
الزاهرة ارقى حضارة وصلت اليها البشرية عبر تاريخها الطويل .
في حين ان الحضارة الغربية لم تصل الى التقدم الذي نشده الا بعد
ان ازاحت من طريقها سلطة الكنيسة تلك السلطة التي فصلت بين نزعتين العلم
والعبادة ، كما انها لم تصل الا بعد ثورات عديدة سالت على اعقابها دماء
غزيرة ، فازهقت النفوس ، وحرقت المدن ، ونهبت البيوت ، وشردت الاسر
ورميت النساء ، وهدمت الاطفال ، وعم الخراب ربوع العالم المسيحي حتى
وصلت الثورة الى غايتها وعند ذلك ضربت الكنيسة ورجالها وازاحت عنها كوابيس
الدين الذي كتم انفساسها آمداً طويلاً .

فهل ترجع الى رشد ها وتبحث عن الدين الاصيل ؟

وهل ترعوى الرهبانية عن غيها فتقر بالحق وتزيل عنها ما طق بهما

من أدران ؟ وتتعرف على الدين القويم ، دين الله وصراطه

الستقيم (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (٣)

١- فما طر : ٢٨

٢- ال عمران : ١٩٠

٣- ال عمران : ١٩

هـ - الطفيلان السياسي

في الحديث عن النماذج البابوية تبين كيف استطاعت الكنيسة في عهد جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥) ان تخطو خطوات كبيرة نحو تدعيم سلطتي البابا الدينية والزمنية ، والتي افرزت فيما بعد تسلطا رهيبا وضغيانا خلال العصور الوسطى طمأنا المسيحيين على اختلاف نزعاتهم الدينية والمذهبية لم يسد ر بخلد هم في يوم من الايام ان يؤسسوا دولة او يستلموا زمام اى سلطة . بل لم يحلوا قط باى قوة عسكرية أو سياسية بل ظل شعارهم (اعطنا لقيصر لقيصر وما لله لله) .

كما ظل الولاة للباطرة الوثنيين قائما وكانت الصلوات والدعوات تقام لاجل هذا الغرض .

الا ان الاحداث العسكرية التي عصفت باوروبا خاصة ط نجم عن هجمات البرابرة من دمار وخراب واكتساح الاجزاء الغربية من هذه القارة اسهم الى حد كبير في ازالة جميع العوائق السياسية والعسكرية أمام الكيروس للتقدم نحو السلطة الزمنية .

وعلى الرغم من توفر تلك العناصر المشجعة لم تجرؤ الكنيسة بادئ الأمر على مثل هذه الخطوة لأنها كما سلف القول لم تضع ذلك في اعتبارها من قبل .

١ - لاحظ مثلا موقف البابوية البيزنطية الشرقية من الباطرة خاصة في عهد الامبراطور جيستينيان ان سياسة الدينية الخاصة باصراره على طرسسنة الاستعداد القيصرى البابوى قد اوجدت سابقة من السيادة الدينية العليا للباطرة البيزنطيين التاليمين (الذين تسكوا بها) وظلوا يطرسونها حتى نهاية الامراطورية البيزنطية وظل الامبراطور البيزنطي حتى النهاية راسا للكنيسة كما هو راس للدولة وذلك انقذ خلفاءه من التعرض لمواقف مطاعة لما حدث للباطرة في الغرب مثل هنرى الرابع وحادثه كانوسا وفردريك بربروسا ومقابلة البندقية) .

المصدر : امراطورية جيستينيان ، د . اسحق غنيم ص ٩٠ دار

المجمع العلمي بجدة ١٣٩٧ ، ١٩٧٧ م .

(لذلك نرى البابا ليو الثالث ٧٩٥-٨١٦ م يدعو شارلمان (٨٠٠-٨١٤ م) لاعادة تأسيس الامبراطورية الرومانية ويعطيه الولا * وكذلك الحال بالنسبة للبابا يوحنا الثاني عشر (٩٥٥-٩٦٤) م الذي عرض التاج على اوتسو الكبير (٩٦٢-٩٧٣) م والذي جدد الامبراطورية الرومانية المقدسة بعد ان كان خلفاء شارلمان يودون بها) (١) .

وكأن البابوية قد أحست بما للامبراطورية من مكاسب سياسية ومبالغ دينية لهذا أقدمت على نفض يديها والتتصل من الامبراطورية وذلك في عهد جريجورى السابع الذى ذكر الذى استطاع تغيير وجهة العالم الغربي عن صراعه مع الامبراطورية انما لبث ان نادى بان العالم بأسره دولة مسيحية واحدة يسيطر عليها بابا له العصمة وله القدرة لا يحدده قانون ولا يزعه وازع وهو الذى يخلع السيشين من الطوك ويثل عروشهم ويقطعهم من رحمة الكنيسة ويحل رحمتهم من طاعتهم ، واعتقادا منه بان الوقت حان لبناء قوة حربية تابعة للكنيسة الكاثوليكية نادى جريجورى بهذا هب التبطل بين رجال الدين تحت رقابة البابا وحده ، باعتباره خليفة المسيح في الارض واطن استعداد العمل في كل ما من شأنه أن يحقق استقلال الهيئة الكنسية ولو أدى ذلك إلى قصم العسرى العائلية بين المتزوجين من رجال الدين في ألمانيا . (٢)

ومن هنا دخل الصراع السياسي بين البابوية وبين الامبراطورية حول مسألة التعيينات .

ولقد (طانت المسيحية الغربية الأبرهن من هذا الكفاح الذى كانت له اسوأ العواقب بالنسبة للكنيسة والبابوية كما أدى في أواخر العصور الوسطى الى انحلال الكنيسة والخروج على سلطانها وتدهور البابوية والقضاء على سلطة البابوات .

وعلى اية حال ففي عام ١٠٧٥ سرعان ما قام النزاع بين جريجورى وهنرى حول مسألة التقليد العلماني . . . عند ما أصدر البابا مرسوما بعدم تدخل الامبراطور في تنصيب رجال الدين في مناصبهم الدينية واقطاعاتهم الدينية وكان من نتيجة ذلك ان قام اساقفة هنرى واتباعه الالمان بخلع جريجورى في مجمع ورمز عام ١٠٧٦ بايحاء من الامبراطور نفسه بينما رد البابا

١ - : الدولة والامبراطورية ص ٤٨-٤٩

٢ - : تاريخ اوربا العصور الوسطى ، فيشر ١٤٧/١

على ذلك يحرم هنرى ورجاله الذين اشتركوا في المجمع المذكور . وكان من أثر ذلك أن قامت الحرب بين الرجلين التي انتهت برضوخ هنرى لطالب البابا واذلاله في حادثة كانوسا (١).

وانتهى الامر بعقد اتفاقية ورمز سنة ١١٢٢ بين البابا كاليكستس الثاني ١١١٩-١١٢٤ التي تم بمقتضاها حل مشكلة التقليد العلماني الذي سبب المتاعب المباشرة بين المعاهلين .

ولكن هذا الحال لم يكن يعني بآى حال زوال الاسباب الرئيسية الجوهرية للنزاع بينهما . فقد كان كلاهما يتنازع السلطان الأعلى على العالم المسيحي ان سرعان ما بدأت المرحلة الثالثة من النزاع بين القوتين بتولي فرديريك الاول برباروسا عرش الامبراطورية في ١١٥٢ (٢).

وقد امتد حكم هذا الاخير حتى سنة ١١٩٠ وكان السبب هذه المرة هو التدخل الامبراطوري العلماني في حكم ايطاليا ، وكان من نتيجة ذلك ان توالى الحملات الامبراطورية على ايطاليا وقد انتهت بهزيمة فرديريك في الحملة الخامسة والاخيرة (١١٧٤-١١٧٦) امام حلف المدن اللجاردية المنحاز الى صف البابا للحصول على استقلالها .

وكما اذل جريجورى السابع الامبراطور هنرى الرابع في كانوسا من قبل كذلك اذل البابا اسكندر الثالث (١١٥٩-١١٨١) م الامبراطور فريدريك برباروسا وان لم يمعن في ذلك كما فعل سلفه (٣)

ولم تقف الامور عند هذا الحد من الصراع ان تطورت في عهد البابا انوسنت الثالث ١١٩٨-١٢١٦ الذي أخذ يمد أنفه في فرنسا ويتدخل في شؤونها الداخلية على عهد ملكها فيليب حتى اذا ما اراد هذا الاخير ان يقف موقفا حازما من البابوية ان بالبابا انوسنت يوقع قرار الحرمان على بلاده سنة ١٢٠٠ م وعندئذ تأرب الأسد واضطر الملك فيليب اوغسطس الى الانطوائى واصلاح أموره مع البابوية . (٤) .

١ - الدولة والامبراطورية ص ٥٠-٥١

٢ - المرجع السابق ص ٥١

٣ - المرجع السابق ص ٥١-٥٢ وكذلك معالم العصور الوسطى ص ١٣٩-١٤٠

٤ - أوروبا العصور الوسطى ١/٦-٥٠٧-٥٠٨

وكذلك فعل هذا البابا الشي* نفسه في انجلترا حيث اصدر قرار
الحرمان بحق الملك حنا ويلا د سنة (١٢٠٨-١٢٠٩) م (١)

والاخطر من ذلك موقف هذا البابا من الحملة الصليبية الرابعة
التي كانت متجهة الى الشرق الاسلامي ثم تحويلها الى القسطنطينية سنة ١٢٠٤ م (٢)
وهكذا نجد أن أخطر الاسلحة التي استعملها البابوات هو سلاح قرار
الحرمان الذي يعتبر من اولى اسباب الطغيان الكنسي .

واذا* ما قامت به الكنيسة من افعال في هذا المجال نجد انها ارتكبت
في حق دين الله جريمتين :

الاولى : انها عزفت عن تطبيق شريعة الله تبارك وتعالى (٣)
واقامت مكانه تشريع الباطرة الرومان فكانت وريثة ذلك التشريع الوثني .
الثانية : انها استخدمت سلطانها الذي حازت من اجل
الحصول عليه واراقت الدماء في اخضاع الناس جميعا طوكهم ورطاعهم ليهواها
هي وجبروتها فجعلت من رجالها اربابا من دون الله وعبدت الناس لهم
من دون الله (سبحانه) حتى حق عليهم قوله تعالى فيهم (اتخذوا اعبادهم
ورهبانهم اربابا من دون الله) (٤)

فمن ناحية الدين الفضل فقد شوهته بفصل العقيدة عن الشريعة
وتقديمه للناس عقيدة صرفة بلا تشريع أي سخا شوها لا يمثل دين الله
الحقيقي ثم ادعت للناس أن هذا هو الدين وزرعت في عقول الناس تصورا خاطئا
بان الدين علاقة خاصة بين العبد والرب محلها القلب ولا علاقة له بواقع الحياة
على الارض فسهلت على الشياطين فيما بعد اقتلاع اثاره . . . لانه لم يكن عميق
الجذور في واقع الحياة . (٥)

ولا شك ان شياطين الانس من اليهود عرفوا كيف توهكل الكتف فوجدوا
في سخافة البابوية خير مطية لتحقيق مخططوا له من مكائد . وقد استطاعت
تنفيذ مآربها عبر معارضة الكنيسة ، بل وايصال من تريد من رجال الكهنوت
الى سدة الكرسي البابوي لاصدار مآرب من قرارات وبراءات .

١ - اوروبا العصور الوسطى ٥٠٧/٢

٢ - المصدر السابق وانظر كذلك الحملة الصليبية الرابعة وسوء طية انحرافها ضد
القسطنطينية د . اسمت غنيم ص ٥٠ و ٧٢-٧٣ دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٨ هـ

٣ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٤

٤ - التوبة : ٣١ ٥ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٥٥

و - الطفيلان الطالبي والاقتصادى

عندما تم الحديث عن النذور الثلاثة التي التزمت الرهبانية بها ، توقف البحث عند نذر الفقر ، وتبين مدى التزام الرهبان بالتقشف ، وكيف اداروا الظاهر للدنيا ،

كما تقرر أن هذا الاجراء كان نظاما غير سوى لأنه يدعو الى السلبية في الحياة ويورث الاتكال فضلا عن التأخر الذي يضر حياة الإنسان نفسه والمجتمع ككل . كما أن الإعتقاد على الهبات والصدقات وما تجود به أيدي الناس من فضلات الاموال كقيل بفتح الأبواب أمام ضعاف النفوس والضائير لا تقتناص الفرص واستمرا هذه التجارة تحت ستار كثيف من الحجج الواهية .

وفي غياب العقيدة الصحيحة والغفلة عن مراقبة الله تبارك وتعالى تصبح الطريق سهلة لكل عابث .

كما مر الحديث كذلك عن رهبنة الادريان الوضعية وكيفية استغلال الكهنة لخاصيتهم لا مثمان هذه التجارة المعرمة . وتكوين ثروات ضخمة مما حدا باخناتون مصر الى استئصال شأفتهم . وكأن الزمان قد استدرك هيبته الأولى فتكررت المسألة مرة أخرى في العالم على يد الرهبانية التي نجحت في اعادات تمثيل دور الكهنة الفراغة تحت مظلة الجبروت والطفيلان الباهوى .

لقد درست تلك المناصب على الاكليروس اموالا طائلة وازدادت معها املاك الكنيسة قاذرا فاحشا الامر الذي انعكس سلبا على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية واورث القوم خصائص فادحة .

ان جانبها كبيرا من تلك الاموال كانت مخصصة للفقراء والساكنين الا أن النذر القليل فقط كان يصل الى هؤلاء المتعساة ويذهب الباقي الى جيوب القسوس والرهبان .

وقد كشف القرآن الكريم هذه الجرائم فمن ذلك قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) (١)

فبدل أن يخفف الرهبان من الآم الفقراء والبؤساء راحوا يمارسون أشنع أنواع الاستغلال الديني كما أنهم بدل أن يغيروا من أنظمة الامبراطورية

١ - التوبة : ٣٤

ولا حظ ما اوردته . جواد علي حول هذه الجريمة وذلك في كتابه :
الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦/٦٤٣ ، دار العلم للملايين
ط ٢ - ١٩٨٠ م

الموروثة ، علسوا على نقل هذه الانظمة برمتها اليهم خاصة فيما يتعلق بنظام الاقطاع . وقبلوا لانفسهم اختيار لقب لصوص الارض والمال .

وقد ضرب المورخون جطة من الامثلة على ارتكاب هذه الجرائم من قبل هذه الطغمة الباغية -

وقبل التعرض لأمثلة الطغمان المطلي والاقتصادى تجد ر الإشارة السى ان هذه الاتهامات لم تكن موجهة من أعداء الرهبان أنفسهم بل من سجلات تلك الأديرة الرسمية كالسد فائر الحسابية وتقارير الاساقفة الزائرين وتصرفات البندكتان او الاغوسطينيين او اعضاء مجامع الرهبان الذين يعيشون على الصدقة والاحسان^(١) .

يقول كولتون عن هذا الانحراف :

(ولقد دلت دفاتر الحسابات على ان ايرادات الاديرة الضخمة لم يكف بصرف عشرينها على الاغراض الخيرية ، وغالبا ما كان الرهبان يضمنون على الفقراء فلا يعطونهم المال الذى قرر الواهبون تخصيصه لهم ، والذى لم يكن ملكا للاديرة التي كانت مجرد حارسة عليه ...)^(٢) .

ويتحدث ديورانت عن دور الكنيسة الاقطاعية والاملاك الضخمة من قصور واديرة ورقيق والتي د رت عليها كهدايا وهبات وما الى ذلك حتى " اصبحت اكبر ملاك الاراضي وأكبر السادة الاقطاعيين في أوروبا . . . وكانت املاكها الزمنية أي المادية وحقوقها والتزاماتها الاقطاعية ما يجلب بالعاركل مسيحي مستمسك بدينه وسخرية تلوكها السنة الخارجيين على الدين وصدرا للجدل العنيف بين الابطاطرة والبابوات . وهكذا اصبحت الكنيسة جزءا لا يتجزأ من نظام الاقطاع^(٣) " .

ان هذه الثروات الضخمة لم تكن لتنمو على هذه الشاكلة لو لم تكن :-

(الادارة البابوية المتزامنة الاطراف بحاجة لميزانية ضخمة تسد مطالبها وتغني بمظاهرها وهنا استطاع البابا ان يحصل من الاملاك والاراضي البابوية على نفوس المعوائد والرسوم التي حصلت عليها البابوية من الاديرة والبلوك والامراء الذين ينشدون حمايتها في مختلف انحاء أوروبا كذلك اعتادت بعض البلاد الغربية

١ - عالم المعصور الوسطى ص ١٢٨-١٢٩

٢ - المرجع السابق ص ١٨٢

٣ - قصة الحضارة ١٤ : ٤٢٨-٤٢٩

ولا حفظ : تهافت العثمانية ، د . عطاء الدين خليل ، ص ٨٦ ، مؤسسة الرسالة

١٣٩٩ هـ - ١٩٦٩ م .

وحكامها ان يدفعوا ضريبة سنوية معينة للبابوية كما ادى ازدياد نشاط المحكمة البابوية الى اضافة مورد مهم نتيجة للرسوم القضائية التي تفرض على المتقاضين ثم جاءت الحروب الصليبية لتنهى* للبابوية موردا جديدا ضخما .

اذ أخذ البابوات في القرن الثالث عشر يفرضون ضريبة ايراد على رجال الكنائس لتمويل الحركة الصليبية (١)

فاننا اضفنا الى كل ذلك صكوك الغفران التي اكثر البابوية من بيعها لطالبي التوبة والمغفرة والرسوم التي كان يتقاضاها البابا عند تقليد رجال الدين مهام مناصبهم الجديدة اذ ركنا في النهاية ان البابوية لم تعد م وجسود مصاد ر عديدة أسدتها بطا احتاجت اليه من اموال تفي بظواهرها ومطالبها (٢)

ان هذه المخازى تدل دلالة واضحة على الحضارة التي قد شهدتها الرهبانية ، كما تدل على ما انتجته قرائح الرهبان من ظلم وطفغان ، في الوقت الذي كان الاسلام بسطاحته وعدله ينشر الا من والامان والنور في كل قطر حصل به أوكل مصراوغل فيه . وغد على ذلك مثالا بسيطا .

ففي الوقت الذي استطاع المسلمون فيه الوصول الى كبرى المدن في اسيا الصغرى على سليمان بن قتلش (٣) على تحرير كثير من عبيد الارض الذي يسن كانوا يفلحون ضياع كبار الملاك البيزنطيين وبذلك اكتسب ولا* تلك الفئة التي طالما قاست الكثير من الاستعباد والظلم ، ولعل هذه الحقائق كلها هي التي جعلت من الصعب على ال كومستين وعلى رجال الحملات الصليبية التي اخذت تفد من المغرب منذ اواخر القرن الحادى عشر استرداد اراضي الاناضول من الاتراك (٤)

١ - والجدير بالذكر ان هذه الحملات لم تقتصر فقط على اراضي الخلافة الاسلامية بل تعدت الى الاراضي المجاورة للبابوية . فقد جردت حملات كثيرة ضد المسيحيين ايضا .

٢ - اوربوا العصور الوسطى ١/٥٠٨

٣ - سليمان بن قتلش احد اقارب ملكشاه (١٠٧٢-١٠٩٢) الذي تمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة ارباع اسيا الصغرى تقريبا وقد اعتبر رجلا قويا لوقوفه ضد خطر الصليبيين الذي بات يهدد العالم الاسلامي (راجع : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية . د . فايد حماد محمد عاشور ص ٦٤ ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٤ - الحركة الصليبية ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ١/٩١ ط ٣ ١٩٧٨ م مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

الفصل الثامن :

موقف الكنيسة المعادية للإسلام وآثاره

منذ بزوغ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا ظل أهل الكتاب يتخذون موقفا معاديا للإسلام وأهله ، على الرغم من إسلام عدد من كبار زعمائهم ورجسالاتهم . كعبد الله بن سلام وصهيب الرومي والنجاشي وغيرهم ممن هداهم الله تبارك وتعالى للحق ، .

كذلك دخلت في دين الله تعالى شعوب كثيرة إبان الفتوح الإسلامية الكبرى كما عاشت شعوبهم في كنف الإسلام في أمن وسلام وقد حفظ المسلمون لأهل الذمة حقوقهم دون أن يحسوها بسوء (١)

إلا أن الحق الدفين لدى أعداء الحق جعلهم يفضون أعينهم عن رسالة الإسلام وهدية فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، وذلك كله عرضت عليهم عقيدة التوحيد الصافية . وزاد من تعنت هؤلاء سرعة انتشار الإسلام في بقاع الأرض السذية هدد طغيان الكنيسة ورهبانها خاصة حينما زلزل المسلمون أيوان كسرى وقوضوا عرش قيصر .

وقد نجم عن عداوة زعماء الكنيسة ورهبانها للإسلام عدة جرائم منها :

أولا : الحروب الصليبية :

ولأسباب آنفة الذكر فقد بقي النزاع بين الإسلام والمسيحية قرونًا متعددة نتيجة للحملات الصليبية إبان العصور الوسطى (٤٩٠ - ١٠٩٦ م) حيث دخل الصراع مرحلة خطيرة إذ أسفرت البابوية عن وجهها الكالح بالدعوة التي وجهتها الرهبانية عبر أكبر بوق لديها وهو " بطرس الناسك " الذي دعا جراس هذه الحروب استجابة لأوامر البابا إريان الثاني (٢) ، ما جعل طوك وأمراء أوروبا يطلقون هذه الدعوة لاجتياح العالم الإسلامي واحتلال بيت المقدس وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وسرطان استجابات الكنائس برهبانها ضاربة أجراسها لجمع الناس وتهيئتهم لغزو ديار الإسلام واستتصاليه من الأرض .

١ - راجع في ذلك : أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، د . عبد الكريم زيدان ، مكتبة القدس ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ ، ١٩٨٢ م .

٢ - الحركة الصليبية د . سعيد عبد الفتاح عاشور ١/ ١٢٦-١٢٧

وقد لبى مسيحيو الغرب الدعوة رغبة من قرارات الحرمان ورغبة فسي
صحكوك الغفران التي باتت الكنيسة تستعطيها وتصدرها كطارات توسيع
دائرة نزواتها التي لا تقف عند حد .

ويوصل الحملات الصليبية الى الديار الاسلامية قامت الصليبية بامسح
الجرائم الوحشية التي ارتكبت بحق الامنين المسلمين ، وقد شهد بيت المقدس
بالذات مذابح رهيبة ارتكبتها عباد الصليب (١) .

كما قامت بعض الفرق المسيحية في الشرق باعمال لا تقل خطورة عما
قام به اهل الغرب ، ان على هؤلاء على مساعدة طلائع الصليبيين منذ وصولهم
الى السواحل الاسلامية خاصة سواحل الشام واعدتهم بالعون والتأييد (٢) .

حتى بعد انتهاء الحروب الصليبية بقي الرهبان خاصة في بيت المقدس (٣)
وغرها يمارسون مهنة التجسس على المسلمين لحساب الصليبيين تحت ستار الدين
ولباس السبتل من الدومنيكان والفرنسيسكان ، مستغلين بذلك ساحة الاسلام
وطيبة قلوب المسلمين ورعايتهم لاهل الذمة وخاصة في عدم تعرضهم للرهبان
والقسس و ضفاف المسيحيين .

-
- ١ - راجع : مقدمة . د . حسن حبشي لكتاب اعطال الفرنجة وحجاج بيت المقدس
ص ٥ ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨ م . وانظر تلك المذابح الفظيعة التي
ارتكبتها الصليبيون في بيت المقدس بشهادة واحد من افراد الحملة الصليبية
وذلك في ص ١١٩-١٢٠ من نفس المصدر .
 - ٢ - راجع في ذلك : اضاوة توضيحية على تاريخ الطرونية . د . زكي النقاش ص ٣٧
- ٣٨ ، دار لبنان ، ١٩٧٠ .
 - ٣ - راجع في ذلك : وثائق دير صهيون بالقدس الشريف . د . احمد دراج ص
٣٢-٣٩ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨ .
وانظر كذلك : المطالسيك والفرنج لنفس المؤلف ، ص ١٢ و ٧٧
دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦١ .
 - ويعترف الاب امدى لوربول اليسوعي بجهود الرهبان الالمان الذين
اطلق عليهم اسم الفرسان الالمان في اسعاف الصليبيين اثناء حملتهم على بلاد
الشام وانهم بذلوا النفس والنفس لاجلهم ، راجع : مجلة المشرق ١/ ١٩٦٩-١٩٧٤

وبالرجوع الى أهم العوامل التي أسهمت في احيا* الحملات الصليبية نجد الآتي :

اولا : كانت البابوية في نزاعها مع السلطة الزمنية بحاجة الى مناح يتيح لها تثبيت دعائم نفوذها الجديد في اوربا ، وقد وجد البابا في تقسيم الاسلام وانتشاره بين الناس في الاندلس وآسيا الصغرى مبررا لابعاد خصومة السياسيين من ملوك وامراء اوربا عن ساحة النفوذ .

ثانيا : كانت الكنيسة بحاجة ماسة للاموال نتيجة الكساد الذي اصاب اوربا والناجم عن التأخر في شتى المجالات الامر الذي دعا الكنيسة الى جمعها بطرق شيطانية فاصدرت ما يسمى بصكوك الغفران لكل من يشارك في تمويل الحملات الصليبية كما فتحت مغفرتها لكل من شارك بنفسه في تلك الحروب .

ثالثا : حالة الفوضى التي عمت اوربا نتيجة التسلط والقهر ما شجع المغامرين والفارين من ربة الكنيسة للاشتراك في الحروب هربا من الحالة المزرية. اضاف الى ذلك حالة الفقر التي غلبت على اهل اوربا ما اسهم في اغراء* هو* لانهب بلاد المسلمين وخيراتهم . (١)

هذه هي اهم الجوانب التي تخص البحث وهناك عدة اسباب اخرى لا مجال لذكرها .

الا ان النتيجة التي يمكن الخروج منها : ان تلك الحروب هي من اولئك الذين لسن يرضوا عن الاسلام والمسلمين حتى يدخلوا في ملتهم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) (٢)

هكذا يريد الحاقدون ، ولله ما اراد ، ولقد فشلت الحملات الصليبية في تحقيق اغراضها وتحطمت راياتها على صخرة صمود المسلمين واستبسالهم في الدفاع عن عقيدتهم وديانهم .

وطى الرغم ما تكبدته الصليبية ورهبانها الا انها عاودت بالتآمر مع اليهودية لمحاربة الاسلام واهله ، فاستطاعت عبر الدس والخداع ازالة معالم

١ - راجع بتوسع : اوربا العصور الوسطى ٤ / ١ ٤٤١

٢ - البقرة : ١٢٠

الخلافة الاسلامية ، وتشتتت وحدة المسلمين وذلك في بداية القرن العشرين ، وقد تلقت البلاد الاسلامية طعنه نجلاء وخسارة فادحة بسقوط الخليفة العثماني المسلم واقتسام الدول الغربية اجزاء الدولة وثبيت دوائهم الاتحاد عبر نشر القوميات واثارة العرقيات والنعرات الاقليمية بين الشعوب الاسلامية الامر الذي ادى الى تفسخ وحدة المسلمين وابقائهم تحت السيطرة السياسية والاقتصادية للاستعمار الغربي .

ولم تهدأ ثورة الرهبانية على المسلمين في يوم من الايام فعلى الرغم من الهلالي والشرور التي لحقت بالمسلمين من جراء سقوط خلافتهم ، الا ان الرهبان اظهروا اسلحة متعددة لا تقل خطورة عن السلاح الحربي (١) ذلك هو سلاح التبشير .

وهذا ما سيكون الحديث عنه اشنا* استمرار الجريمة الثانية . من الجرائم التي يرتكبها الرهبان ضد الاسلام واهله .

١ - تجدر الاشارة الى ان الرهبان قد استعملوا السلاح في الحرب اللبنانية التي لا يزال اوارها مستعرا حتى هذا اليوم ، وقد اسسوا حركة اسمها الحركة الكسروانية سنة ١٩٧٥ مدعوة من رهبان جامعة الروح القدس الكسليك بمزمنة الاباتي شربل قسيس ثم الاباتي بولس نعمان . راجع في ذلك مجلة التضامن العدد الرابع ص ٢٢ تاريخ ١٩٨٣/٥/٧ م - لندن

ثانياً : التبشير

افاض العلماء والدعاة المسلمون في الحديث عن التبشير وادواته وآثاره السيئة ، كما كشفوا خطئه واهدافه من خلال مؤلفاتهم وبحاثهم المتعددة . وقد يكون اقحام الرهبانية في التبشير مدعاة لاعتراض البعض على اساس انه لا صلة للرهبانية بالتبشير والمبشرين .

ولا يعدم الجواب من عرف شخصية الواقفين خلف ستار هذه الاداة ، كما لا يخفى دور البابا وحكومة الفاتيكان في عطية تمويل المشاريع ، وكذا دور مجلس الكنائس العالمي في تدعيم الخطط الرامية الى تنصير المسلمين في اوطانهم وابعادهم عن دينهم الحنيف استطاعوا الى ذلك سبيلاً .
وقد يعجب المرء من رصد الميزانيات الضخمة من أجل تنفيذ هذه المشاريع ، الا ان العجب يزول حينما تتكشف له صلة الرهبانية المستترة بالسكنة والمحبة بالجمعيات التبشيرية المسيحية .

فمن خلال التعرف على هوية القائمين على هذه العطيات تستطيع ان تعرف انهم خريجون اديرة قد تنظفوا على أيدي كبار القسوس والرهبان . كما أن دعوتهم تنادي على الدوام الى الامتثال " بالحياة المسيحية الخالصة " وهي في اُسس معانيها لديهم تلخص بالالتزام التام بالحياة الرهبانية وقد مرت هذه النقطة اثناً الحديث عن مبدأ الاتحاد في المسيحية .^(١)

وصحيح ان المبشرين الجدد لا يدعون ابتداءً الى التسكك بالحياة الرهبانية ، الا انهم يمهّدون السبيل امام الناس لتقبل هذه الحياة فيبعد التدرج في استجلابهم تصبح الطريق معبدة الى بث سمومهم فسي طرائد هم .

الا ان هؤلاء المبشرين حينما علموا بفشل تجارتهم الخاسرة وقد اثبتت عبر التجارب^(٢) ضحالتها ، فقد عدوا الى تغيير الوسائل ، فباتت خططهم تقضي بتاهيل الاطباء والمعلمين واصحاب المهن الضرورية والقادرين على تنفيذ هذا الدور . لان شخصية الرهبان والقسوس لم تعد مقبولة لدى الناس .

١ - يرصد لدول الخليج وحدها سنوياً ١٣ مليون دولاراً أمريكياً وذلك لسبع منظمات تبشيرية ، : راجع : التبشير المسيحي في منطقة الخليج ص ٧
٢ - راجع ص ٣٦٠ - ٣٦١ من هذا البحث وخلاصة التصوف المسيحي ٧/١
٣ - راجع بعض هذه المحاولات واخفاؤها في كتاب : وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الاسلامي . د . حسان محمد حسان ص ٤٧ - ٤٨ ، دار الاصفهاني ،

كما ان بعض المشاريع الفاشلة التي مني بها المبشرون في بعض
الأقطار الاسلامية دعتهم الى تغيير الاهداف ايضا ، فبدل ان يكون التبشير
يستهدف ادخال المسلمين في النصرانية أصبح التبشير يسعى الى زعزعة
العقيدة الاسلامية على الأقل (١) وادخال أصحابها في التيه الفكرى .

والى ذلك يشير زعيم المبشرين المدعو " زويمر " الراهب حيث يقول :
(لقد قبضنا ايها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع
عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية وانكم اهددتم
نشأتها في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد ان يعرفها ...
واخرجتم المسلم من الاسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشئ
الاسلامي طبقا لما اراده له الاستعمار المسيحي : لا يهتم بالعظام ويحب
الراحة والكمال ولا يعرف همه في دنياه الا في الشهوات ... فاذا تعلم
فللشبهوات واذا جمع الطال فللشبهوات وان تبوأ اسمى المراكز ففي سبيل الشهوات
يجود بكل شيء) (٢)

في هذا النص يكشف زويمر عن صلة التبشير بالاستعمار وتوافق
الاهواء لاجتثاث العقيدة من صدور المسلمين .

كما يستدل من ذلك ايضا ان التبشير قد أصبح يمثل اداة في يـد
الاستعمار يدخل به البلاد الاسلامية بهدف السيطرة الاقتصادية والسياسية
والعسكرية ، طمأنا بان نظم الدول الاستعمارية الغربية هي التي عطلت من قبل
على تحطيم النفوذ الكنسي تخلصا من الطفيلان الباهوى ، وذلك وفقا لما تكشف
اثنا الحديث عن صراع الكنيسة مع العلم . ولكن الامر عندما يتعلق بالاسلام
واهله تصبح القضية محل بحث بل مجال تنفيذ لخطط جهنمية يقع المسلمون
عن علم او غير علم في براثنها .

وتدلنا اعداد المؤتمرات التبشيرية واهدافها المعلنة وغير المعلنة
على مدى اهتمام القائمين عليها لتنفيذ هذه الخطط . ويمكن تلخيص بعض
هذه المؤتمرات كالآتي :

- ١ - راجع هذه القضية في كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية
ص ٤٦ ، خالدى وفروخ .
- ٢ - : اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي د . علي محمد جريشة
ومحمد شريف الزبيد ص ٦٣ دار الاعتصام ١٩٧٨

(١) - مؤتمر القاهرة ، سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) المنعقد
في منزل زعيم الثورة العربية المسلم في باب اللوق تحت اسم
الحكومة وبصرها

(٢) - مؤتمر ادنبرج سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م في إنجلترا .

٣ - مؤتمر لكنسو سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م بالهند

٤ - مؤتمر القدس سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م)

٥ - مؤتمر القدس سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

٦ - مؤتمر القدس سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م (١)

٧ - مؤتمر كولورادو وسيرنغ المنعقد سنة ١٩٧٨ م (٢)

الى غير ذلك من المؤتمرات التي يتزعمها كبار القسس والرهبان .

وتجسد ر الاشارة هنا الى نقطة اخيرة تتعلق بموضوع الرهبان وهي
تلك النشاطات المشبوهة التي يمارسها هؤلاء في المحافل الطسونية وطها
بالا مكانات الطادية والبشرية وهو ما كشفه شاهين مكارهوس^(٣) . ضمن حديثه عن
دور الرهبان في تدعيم تلك المحافل .

١ - راجع : " اساليب الغزو الفكري " ص ٣٢

٢ - التبشير المسيحي ، أحمد فون دنفر ص ٧

٣ - راجع : تاريخ الطسونية العلية ص ٩٨-٩٩ شاهين مكارهوس دار مارون عبود

ط ١٩٨٤ م .

الباب الثاني

أثر الرهننة في البدء الخالية
والفرق المفاضية المنتسبة للاسلام

ثالثا :

أشهر الرهبانية في الفرق المغالية والبدع الضالة

كان للفتوح الاسلامي نتائج عظيمة ايمان . عصور الخلافة الاسلامية المختلفة ، وبرز هذه النتائج تمثل في دخول الناس في دين الله أفواجا . لقد كان لهذا الدين في قلوب أبنائه محبة عظيمة ، واخلاص دائم . وذلك لنقاؤه وتميزه عن بقية الملل والنحل بانه دين الفطرة ، دين الله القويم وصراطه المستقيم ، ولهذا فان اعداء الاسلام ادخلوا بعض عقائد هم المنحرفة تشبهها وتحريفها ، والله من ورائهم محيط .

وبالرجوع الى اصول الاسلام وفروعه يمكن وضع قاعدة اساسية لوزن اى فكر دخيل ، او عقيدة فاسدة مدسوسة عليه ، وذلك وفق ميزان لا يأتيسه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عرف اركان الاسلام ، وذلك فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان (١) .

كما بين عليه الصلاة والسلام اركان الايمان ، من ذلك ما جاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حديث جبريل عليه السلام (الإيمان : أَنْ تُوْثِقَ مِنَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) (٢) .

وطيه فان الاسلام ينفرد عن العقائد الشركية والبدعية بالتوحيد الخالص ، فأهل السنة والجماعة يوجبون لله تعالى الكمال في صفاته واسماؤه وافعاله بحسب ما ورد في القرآن الكريم من آيات ، والسنة الطاهرة من احاديث وذلك بعيدا عن التجسيم والتشبيه والتعطيل ايظانا بقوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (٣) .

١ - صحيح الامام البخاري ، كتاب الايمان ٨/١

٢ - رواه الامام مسلم ، انظر صحيح الامام مسلم بشرح النووي كتاب الايمان ١٥٢/١

٣ - المشورى : ١١

كما ان توحيد الالهية والربوبية وتوحيد الاسماء والصفات هي من لوازم هذا التنزيه . (١)

كما ان العلماء والفقهاء متفقون على ان اصول الدين الاسلامي النابعة من الكتاب والسنة هي المعتبرة عندهم لا غيرها ولا خلاف في شيء (منها) . (٢)

كما انهم متفقون على ان السبيل الى الله تعالى هو السبيل الوحيد لنيل الزهد المقرب الى الله تعالى دون غيره من البدع التي ادخلت عليه زورا .

ذلك هو السبيل الوسط الذي سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرته الذاتية والعطية وتبعه السلف الصالح باعتدال بغية تهذيب النفوس وتقويم الاعوجاج والارتقاء الى القيم السامية النابعة من روح الاسلام الصافية ، وهذا يتم (باخلاص النية لله تعالى في الظاهر والباطن والسر والعلن والارتفاع بها جميعا الى مستوى الاحسان الذي وصفه النبي صلى الله عليه وسلم : (هُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) (٣)

و عليه فان ما عرض من عقائد الاديان الوضعية وما تبين من انحرافات اهل الكتاب المعقدية والسلوكية سواء ما تعلق منها بالتجسيم او الحلول او الاتحاد او وحدة الوجود ، لا صلة للاسلام بها من قريب او بعيد وان كل ما يتعلق بها او يتفرع عنها لا وجود له ولا اصل في عقيدة التوحيد التي جاء بها الاسلام .

تلك هي القاعدة المطلوبة لتمييز الغث من الشين ، ووزن اي عقيدة بحسب ان يكون وفق هذا الميزان الدقيق .

ووفق هذا المفهوم ايضا فان الزهد الاسلامي النابع من الكتاب والسنة والذي ترعرع في مدرسة النبوة لا صلة له اطلاقا بغيره كما يجب التنبيه بان هذا الزهد قد استغل استغلالا كبيرا عقب انتشار المذاهب الاسلامي شرقا وغربا ، ودخل الناس في هذا الدين اتاح للاعداء فرصة الطلوع اليه ، فقد اختلقت شارب الداخلين كل بحسب اختلاف النوايا والغايات ، فمنهم من وجد في الاسلام ما يغنيه عن ضلالت وجور الاديان المحرفة ، ومنهم من وجد فيه خطرا على كيانه كالشعبوية والزنادقة ، وضحرفي اهل الكتاب ، وخاصة رجال الدين منهم الذين ارادوا النيل

١ - انظر : دعوة التوحيد ، د . محمد خليل هراس ص ١٤ ، مكتبة الصحابة طنطا

٢ - راجع : التبصير في الدين ، لابي الطغفرا الاسفراييني ص ١٨٢ - ١٨٣

ت : كمال يوسف الحوت ط ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م بيروت .

٣ - انظر نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها د . عرفان عبد الحميد فتاح ص ٥ ، ط ١٣٩٤ هـ

١٩٧٤ م المكتب الاسلامي ، بيروت .

وراجع حديث الاحسان في صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٧

من الاسلام ، وذلك كما فعل " يوحنا الدمشقي " (١) في العهد الاموي ، وكذلك
سوسن النصراني الذي اسلم ثم تنصر في العهد العباسي وهو أول من نطق
بالقدر (٢) .

كما سارت تيار آخر ادى الى وجود الزندقة ، ودعاة هذا التيار لا ينتمون
الى دين ساوى بل الى مذاهب وثنية عرفت بفارس والهند والجزيرة مثل المجوسية
والسننية والمشيبة والمانيوية والصابئة (٣) .

وقد استطاعت هذه الفرق ان تشق طريقها الى البيئة الاسلامية عبر
الدين تارة وتحريف النصوص ووضع الاحاديث تارة اخرى ترويعا لفلانيتها
وبدعها ، فاستغل الزهد الاسلامي الصافي لهذه الغاية فمزج بهذه التعاليم
الوافدة مما اتاح الفرصة لطم التصوف الفلسفي أن يأخذ مكانه في المجتمع
الاسلامي .

وقد كان للمعارف التي حطها أهل الكتاب عن عقائدهم وآرائهم
وممارساتهم المستقاة اساسا من مبادئ الرهبانية وفلسفاتها في الحلول
والاتحاد اثر في المنحى الصوفي الفلسفي وقد تمثل هذا بما وجد في كتابات
محيى الدين بن عربي والحلاج وابن الفارض والسيهروردي ومن سار في هذا
الاتجاه متبعين لما قرروه ، ممن دان بهذه العقائد الوافدة الأمر الذي عكس
اجواء المجتمع الاسلامي الصافية .

هذا الوضع استدعى بقاء طوائف الاسلام وجهابذته في حالة استنفار
طبي دائم نتيجة لهذه الاخطار المحدقة بالامة .

١ - راجع في ذلك : تاريخ الفرق الاسلامية ، طي مصطفى الغرابي ص ١٣٧ ط ٢
١٩٨٥ مكتبة الانجلو المصرية .

٢ - راجع : الحياة العلمية في الشام فسي القرنين الاول والثاني للهجرة
خليل داود الزرو - ص ١٢٤-١٢٧ دار الافاق الجديدة ط ١ بيروت ١٩٧١

٣ - المصدر السابق ص ١٣١

٤ - لاحظ : كتاب المجددون في الاسلام من القرن الاول الى الرابع عشر ، عبد
المتعال الصعدي ص ٢٥١ ، القاهرة مكتبة الاداب .

٥ - راجع : مصرع التصوف ، برهان الدين البقاعي ، ت : عبد الرحمن
الوكيل ، فصل عن التصوف الفلسفي وصلته بالنصرانية ص ٢٢٤ ،

كما يجب الاعتراف بان تلك المبادئ الخاصة بأسس العقيدة الرهبانية منها والسلوكية قد أثرت بشكل خاص في الفرق الباطنية التي وجدت في التشيع فرصة كبيرة وستارا لتحقيق اهدافها في زعزعة الكيان الاسلامي .

وقد ازداد انتشار الفرق الباطنية في عهد الدولة الفاطمية (٢) ازداد خطيرا ، فالى جانب ما تلقت من تعاليم منحرفة عن الاسلام فقد ارتبطت الباطنية بتيارات ذات اتجاهات سياسية واجتماعية واقتصادية خطيرة وعنيفة . (١) خطورتها فترجع : الى كونها تمثل انصرافا عن المجرى التقليدي للامور وظهورها في شكل انقلابات محورية وافتقارها الى ضوابط راسخة أو معايير يمكن التفاهم عليها .

اما عنفها فلأنها لا تستطيع ان تحقق اهدافها بالوسائل الشرعية المقررة ، ولهذا تلجأ الى البطش ان تكنت ، والاستتار المتأمر في دور التمهد والتقية الفادرة في ظل سلطان الخصوم (٣) .

كما لا بد من تسجيل حقيقة لا مراءى من الاعتراف بها وهي ان ضعف دولة الخلافة السنية إبان تلك العهود الدينية وسياسيا واجتماعيا كان كفيلا بالاسهام في عملية تفريخ هذه الطفيليات .

ولهذا فلا غسابة من وجود اثر الفلسفات اليهودية والسيحية الغنوصية وان يتلور هذا النهج في الفكر الصوفي الفلسفي الذي مثله أصحاب فكرة وحدة الوجود وهو ما يخالف لب العقيدة الاسلامية الصحيحة .

وطيه فان الحكم على هذه التيارات بالكفر والالحاد حكم في محله وانه يجب التيسر من هذه البدع والتحذير منها . وفضح نواياها السيئة للاسلام ، وقد استطاع بعض المستشرقين الغربيين توجيه الطعن للاسلام من خلال الاستشهاد باراء عقائد هذه الفرق الضالة .

كما تجدر الاشارة في هذا الصدد الى تلك الصفحات المشرقة التي سجلها طوائف اهل السنة والجماعة في فضح كل ما يستلحق القضية بطلان سواء على مستوى كشف الستار عن تلك الشخصيات التي وقفت خلف تلك العقائد او على مستوى الرد عليها ورصدها والتصدي لها بحزم ونشر ما كتبوه

١ - راجع تلك الفرق الضالة ومقالاتها في كتاب : فضائح الباطنية لابي حامد الغزالي

ت : د . عبد الرحمن بدوي مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت ، حولي .

٢ - راجع ما وجد من فرق في : مذاهب الاسلاميه د . عبد الرحمن بدوي

٩/٢ دار العلم للملايين بيروت ط ١ ١٩٧٣

٣ - المصدر السابق ص ٥/٢

قد أسهم كثيرا في إجلال حقيقة الاسلام الصافية وازالة الشبهات التي الصقت بهذا الدين زورا وهتانا (١).

ولا شك ان المستشرقين يعرفون تلك الحقائق ولا يمكن ان تغيب عن بالهم الا ان الحقد الدفين والتعصب الديني اليهودي والصلبي الاعسى قد افلح في الغاء عقولهم وشل نشاطهم وجعلهم ابواقا لدعاية فارغة في اسواق الضلال والاحاد.

(١) - من المؤلفات القديمة في التراث الاسلامي التي برع العلماء في رصد الاراء المخالفة لاسلام الحنيف - ؟

- (١) مقالات الاسلاميين ، لابي الحسن الاشعري ، ت ٤٢٩ - مطبوع
- (٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي (٥٤٤-٦٠٦) . مطبوع
- (٣) - الفرق بين الفرق ، لعبد القادر بن طاهر البغدادي ت ٤٢٩ ، مطبوع
- (٤) الفصل لابن حزم ، والطل والنحل للشهرستاني
- (٥) فضائح الباطنية لاطم الغزالي (ت : ٥٠٥) مطبوع
- (٦) كتاب في الرد على الاسطعملية ، لابي عبد الله بن رزام . راجع : الفهرست لابن النديم ص ٢٦٤ ط دار المعرفة .
- (٧) كتاب في الرد على الطحدين لسعد بن محمد بن ابي عثمان الفساني القيرواني النحوي (راجع : مقدمة فضائح الباطنية ص ، أ ، ب .
- (٨) كشف الاسرار وهتك الاستار لابي بكر الباقلاني ت ٤٠٣ هـ - ١٠١٢ ، راجع مقدمة فضائح الباطنية ص/ب .
- (٩) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع لابي الحسن الططبي ت : ٣٧٧ هـ طبع سنة ١٩٤٩ - راجع مقدمة فضائح الباطنية ص : ج
- (١٠) كشف الاسرار الباطنية لاسماعيل بن احمد البستي (مخطوط ، راجع مقدمة فضائح الباطنية ص : ب ، ج
- (١١) - كشف أسرار الباطنية واخبار القرامطة لمحمد بن مالم بن ابي الفضائل الحطاي السطاني طبع في مصر سنة ١٩٤٩ راجع : فضائح الباطنية
- (١٢) - منهاج المسمنة لابن تيمية ت ٧٢٨ مطبوع
- (١٣) - الاعلام بالتوبيخ لم ذم التاريخ : لشمس الدين السخاوي ت ٩٠٢ هـ مطبوع في مصر سنة ١٣٤٩ هـ
- (١٤) طبيب ابلوس لابن الجوزي مطبوع
- (١٥) اغاثة اللهفان لابن القيم مطبوع

هذا وان دراسة مجتمع الكوفة بشكل خاص في العصور الاولى

دراسة علمية منهجية كفيلا بازاحة الستار عن تلك الادوار التي لعبتها الطائفة والنحل المختلفة في عملية تشويه العقائد الاسلامية .

وبما جاز كبير فان مجتمع الكوفة التقى فيه فضلا عن مسيلمة الكذاب واصحابه (شذاذ الناس واشرارهم ، مع خيارهم ، واتى الصحابة كما اتى الناصري واليهودي ، واقبلت القبائل العربية كما اقبل السوالي وانتشرت الزندقة والسحر والسيرنجات وكان فيها العثمانية (اصحاب عشان رضي الله عنه) كما كان فيها حب علي وال البيت ، وانتشرت الحركات المتعارضة والمجامع المتنافرة ولما استفحل النزاع بين العلوية والعثمانية اطلت رؤوس المجامع السرية والمراكز المتغلغلة الخفية ومجانب هذا كله هناك النصارى ايضا ينسبون بتجسسهم الالهوية ، كان هؤلاء جميعا يرقبون بعيون بسيطة سهلة يتكئون بها ارض الاكاسرة والقيصرة ويقفون في انتظار الفرصة السانحة لتزيق الجماعة وتفريق الكلمة وكان النزاع بين الهاشميين والامويين فرصتهم السانحة (١) .

وقد استفحل اهل الكتاب حب ال البيت في اشاعة مذهب الفلوفسي الفرق المغالية حتى اذا لم تحقق هذا الامر سهل عليهم تحرير عقائدهم فنجسوا مثلا غلاة الرافضة بولاهون طيبا والائمة من بعده بل يؤمن بعضهم بحلول الاله ببعض قادتهم .

يقول الشهرستاني عن الغلاة (المغالية) هم الذين غلوا في حق الله حتى اخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم باحكام الالهية فربطوا شبهوا واحدا من الائمة بالاله وربطوا شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفي الفلو والتقصير وانفسا نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى ان اليهود شبهوا الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في اذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت باحكام الهية في بعض الائمة . (٢)

وقد احصى العلما^(٣) كثيرا من الفرق الباطنية المغالية التي تؤمن

١ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام . د . النشار ٢/٦٦

٢ - الطل والنحل للشهرستاني بها مش الفصل ١١٥/٢ ، طبعة صبيح ، القاهرة .

٣ - فبالاضافة الى كتب التراث الاسلامي القديمة هناك كتب حديثة منها :

التي تؤمن بالحلول وغيره .

١ - الاسلام بلا مذاهب ، د . مصطفى الشكعة ص ٣٠٦ دار النهضة العربية
بيروت ط ١

٢ - عقيدة الدرر ، محمد احمد الخطيب ، مكتبة الاقصى ، الاردن ط ١ .

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

٣ - الحركات الباطنية في الاسلام ، مصطفى غالب ص ٢٥٥-٢٨٧ ص ١٠٥

دار الكتاب العربي ، بيروت وصاحبه باطني

٤ - دور اليهود في الفرق الباطنية ، احمد محمد احمد مغربي ، رسالة

ماجستير ، جامعة ام القرى بمكة المكرمة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .

٥ - مذاهب الاسلاميين ، د . عبد الرحمن بدوي ، ج ٢ ، دار العلم

للملايين ، ط ١ ، ١٩٧٣م

ولا أدل على تسرب الأسس العقديّة للرهبنة إلى مبادئ التصوف الفلسفي من تلك
العبارات التي تنادي بفكرة الحلول . فمن ذلك ما ورد في شعر الحلاج : (١)

انا من أهوى ومن أهوى أنا
فإذا أبصرتني أبصرتني أنا
نحن روحان حللنا بدننا
وإذا أبصرتني أبصرتني أنا

وهذا ما تدعيه النصرانية تماماً وقد سرّبنا في الأبواب السالفة الكلام عن تلك
العقيدة ، ورأينا ردود العلماء المسلمين عليها .

كما تتجلى عقيدة وحدة الوجود في عبارات الجبلي حيث يقول : (٢)

فمهما ترى من معدن ونبات
ومهما ترى من أبحر وقفار
أنا المتجلي في حقيقته
وحيوانه مع إنسه وسجائيه
ومن شجر أو شاق طال أعلاه
إلى قوله :

ومهما ترى من عرشه ومحيطه
فاني ذاك الكل ، والكل شهدى
وإني رب للأنام وسيد
وكرسيه أو رفرف عز مجلاه
أنا المتجلي في حقيقته لا هو
جميع السورى اسم ، وذاتى سماء

وهذا أيضاً ما نادى به العقائد الهندية من قبل .

وقد قارن البيروني بين ما يقوله الهندوس من عقيدة الاتحاد وما يقربه به بعض
المتصوفة حيث يقول :

(وإلى طريق " باتنجل " ذهب الصوفية في الاشتغال بالحق فقالوا : ما دمت
تشير فلمست بموحد حتى يستولي الحق على اشارتك بافنائها عنك فلا يبقى مشير ولا إشارة ،
وهو في كلامهم ما يدل على القول بالاتحاد كجواب أحد هم عن الحق : وكيف لا أتحقق
من هو " أنا " بالانية و " لا أنا " بالآينية . إن عدت فالعودة فرقت وإن أهبطت فبالاهمال
خففت وبالاتحاد ألفت . وكقول أبي بكر الشبلي : اخلع الكل تصل إلينا بالكلية فتكون ولا تكون
اخبارك عنا وفعلك فعلنا) (٤)

- ١ - في التصوف الاسلامي وتاريخه - رينولد . ١٠ . نيكولسون ص ١٣٤ ، ت : ابو العلا عفيفي
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بحصر ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م
- ٢ - انظر ص ٣٥٥ من هذا البحث .
- ٣ - هذه هي الصوفية عند الرحمن الوكيل . ص ٤٤ - ٤٥ ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ١٣٩٩ هـ
- ٤ - تحقيق ما للهند ، ص ٦٦ .

وقد تعقب ابن الجوزي تلك الشطحات الواردة في أقوال وأفعال المنتسبين
والمغالين في التصوف فمن ذلك ما رواه عن ضمرة قال : سمعت رجلا يقول :
(قدم حماد بن أبي سليمان البصرة فجاء فرقد السنجي وطلبه ثوب صوف فقال لسه
حماد : ضع عنك نصرانيتك هذه . (١)

كما ذكر حديث بقية بن الوليد الذي يقول فيه : سمعت ابراهيم بن أد هــم
يقول : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سيمان (٢) .

وقد أورد الشعراني كثيرا من القصص والروايات الطيئة بتلك الشطحات من ذلك قوله
: وشهم : سيدى ابراهيم بن عصفير . . . وكان رضي الله عنه - كثير الشطح وكان أكثر نومه
في الكنيسة - ويقول : النصراني لا يسرقون النعال في الكنيسة بخلاف المسلمين ، وكان
رضي الله عنه يقول : أنا ما عندي من يصوم حقيقة الا من لا يأكل اللحم الضاني أيام الصوم
كالنصارى وما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضاني والدجاج أيام الصوم فصومهم عندي
باطل ، وكان رضي الله عنه - يقول لخادمه : أوصيك أن لا تفعل الخير في هذا الزمان
فيمقلب عليك بالشر وجرب أنت نفسك (٣) .

ويقول الشعراني عنه ايضا (وكان يفرش تحته في مخزنه التبن ليلا ونهارا وقبل
ذلك كان يفرش زبل الخيل . . .) (٤) .

وهل هذا التأثير الى الحد المخرج عن المسئلة ، من ذلك ما جاء في
الديوان المنسوب الى جلال الدين الرومي قوله :
نفسى أيها النور المشرق ، لا تن* عني لا تن* عني ، حبى أيها الشهيد
المثألق ، لا تن* عني لا تن* عني . انظر الى العظمة أحكمتها فوق رأسي ، هل انظر
الى زنار زرادشت حول خصرى أحمل الزنار وأحمل المغلاة ، لا هل أحمل النور ، فلا تن*
عني ، لا تن* عني . سلم أنا ولكنى نصراني ، وهرهني وزرادشتي ، توكلت عليك أيها
الحق الأطل ، فلا تن* عني لا تن* عني ، ليس لي سوى معبد واحد . سجدا أو كنيسة

١ - طبهس ايليس ص ١٩٥

٢ - المرجع السابق ص ١٥٢

٣ - الطبقات الكبرى السطة بلواقح الانوار في طبقات الاخيار لعبد الوهاب الشعراني
١٤٠ / ٢ ، مصطفى البابي الحلبي بصر . ط ١ ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

٤ - المرجع السابق

أوبيت اصنام (١).

ولم يقتصر هذا التأثير عند هذا الحد بل تعدى الى مظاهر اخرى . فكما نادت
الاديان الوضعية باسقاط التكاليف الشرعية عن طريق الاتصال بالله كما يزعمون فقد وجدت هذه
الافكار طريقها الى بعض المنتسبين الى الاسلام ففي نظر هؤلاء ان الشرع ليس له قيمة .
ذلك لان لسان حاله هو : (أنه ما دام من الممكن المتابعة عن طريقه تتصل بالله
مباشرة فلماذا نضيع الوقت بالظواهر والصور والتوسل بالطرق غير المباشرة ؟ ناهيك بأن
الشرع انما هو وسيلة للوصول الى الحق وما دام العارف قد بلغ الحق والحقيقة فلم يبق والحالة
هذه حاجة له بهذه المظاهر وكل توسل وتشبث يعتبر عبثا) (٢).

ويظهر اثر الرهينة جلياً في بعض المتصوفة الذين خرجوا عن سنة محمد صلى
الله عليه وسلم وذلك بمنزلة النكاح والاعراض عما أحله الله تعالى لبنى البشر .
فمن ذلك ما نقله ابن الجوزي عن أحد هم حيث قال : النكاح يوجب الميل الى
الدنيا ، فروينا عن أبي سليمان الداراني أنه قال : اذا طلب الرجل الحديث أو مسافر
في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا . (٣)

ومن ذلك أيضاً ما نقل عن حذيفة المرعشي الحنفي سنة ٢٠٧ هـ/أنه قال :

(كان ينبغي للرجل لو خير بين أن يضرب عنقه وبين أن يتزوج امرأة في الفتنة
لاختار ضرب العنق على تزوج امرأة في الفتنة) (٤).

وقد نقل السراج الطوسي قصة أبي أحمد القلانسي الذي تزوج امرأة بقيت عنده
ثلاثين سنة وهي بكر (٥).

وما نقل عن كشف المحجوب للسجوري (أن أول فتنة قدرت على آدم في الجنة
كان أصلها امرأة وأول فتنة ظهرت في الدنيا ، أي فتنة هابيل وقابيل ، كانت أيضاً بسبب
امرأة وحين أراد الله تبارك وتعالى أن يعذب اثنين من الملائكة جعل سبب ذلك امرأة
وهي جميعا الى يومنا هذا سبب جميع الفتن الدينية والدنيوية) (٦).

- ١ - في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٩٤
- ٢ - تاريخ التصوف في الاسلام . د . قاسم غني ، ت : صادق نشأت ، ص ٢٤٦ ، مكتبة
النهضة المصرية ط ١٩٧٠
- ٣ - طبين ابلين ص ٢٩٥
- ٤ - التصوف ، المنشأ والصادر : إحسان إلهي ظهير ص ٥٨ ، ادارة ترجمان السنة
لاهور باكستان ط ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- ٥ - اللع لابي نصر السراج الطوسي ص ٢٦٤ دار الكتب الحديثة بصر ومكتبة المثنى ببغداد
١٣٨٠ - ١٩٦٠ م
- ٦ - التصوف ، المنشأ والصادر ص ٥٩

وهذا الشعراني هدا من المجاذيب منهم : (سيدى عبد الرحمن المجذوب . . .
(يقول عنه) ط رأيت قط أحداً من أرباب الأحوال دخل مصر الا ونقص حاله الا الشيخ
عبد الرحمن المجذوب وكان مقطوع الذكر قطعه بنفسه أوائل جذبه وكان جالسا على الرمل
صيفا شتاء وإذا جاع أو عطش يقول اطعموه واسقوه وكان ثلاثة أشهر يتكلم وثلاثة أشهر يسكت
وكان يتكلم بالسراني (١) .

ولا شك أن هذا كله مخالف للشرع وقد مر الحديث عن موقف الاسلام من السنكاح
ومن المرأة وذلك في الابواب السالفة من هذا البحث . وظهر لنا أهمية ذلك ومدى عناية
الاسلام بالاسرة والمجتمع . ونهيه عن التبتل والخصاء (٢) .

كما يبرز تأثير الرهينة فيهم من خلال اتخاذ الخلوات وهي تشبه في ضيوتها
خلوات الرهبان في الكهوف والصوامع والاديرة . وأخطر ما ينجم عن تلك البدع تلك الخرافات
والدعوى الباطلة التي تنطلي على ضعاف العقول والنفوس .

فمن ذلك ط يقال (اذا صحت الخلوات أفلحت الرياضة واتت مسن الثمرات
فوق ط يتصوره العقل ، منها أن يكشف المرید عالم الغيب المحجب ، ويدرك أسرار
الحيوانات والحشرات ويعطى القدرة على فعل الكرامات واتيان الخوارق والتصرف في الكون
بالبهيمية . فيشي على الطاء ويغير في الهواء ويقتحم النيران ويفعل كل ط لا يقوى
عليه سائر البشر (٣) .

ومما يشبهه الى حد كبير ط يفعله الرهبان الجينيون من العرى ، ط ذكره
الشعراني من أن الشيخ ابراهيم العريان كان اذا دخل بلدا سلم على أهلها كبارا وصغارا
باسمائهم حتى كأنه تربي بينهم . وكان رضي الله عنه - يطلع على المنبر ويخطب عربا فيقول :
السلطان ود ما ط باب اللوق بين القصرين وجامع طيلون الحمد لله رب العالمين فيحصل
للناس بسط عظيم . . . (٤)

كما سار (طي البكرى (٢٠٧ هـ) طاريا في الاسواق يهذى في حديثه
ويخلط في كلامه ، فيؤول الناس هذه بأنه تأولا يلائم أحوالهم ويتفق مع أغراضهم واستغل
أخوه سداجة الناس فنعه من الخروج الى الشوارع والأسواق مكشوف الرأس والسواتين
كما كان يفعل في أغلب أحواله (٥) .

١ - الطبقات الكبرى ١٤١/٢

٢ - انظر ص ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢

٣ - التصوف في صرا بان العصر العثماني د . توفيق الطويل ص ٦٩ ، مطبعة الاعتدال
مكتبة الآداب بالجيزة .

٤ - الطبقات الكبرى ٢٤٢/٢

٥ - التصوف في صرا بان العصر العثماني ص ١٣٢

وما يشبهه الى حد بعيد قسوة الرهبان المسيحيين على أنفسهم و تلاميذهم
ط صرح به السيد محمد البكري (٩٩٤ هـ) (بأن من واجب العبد - أي المريد - أن
يذكر أنه بين يدي استاذ في كل نفس من أنفاسه . . .) (١)

بل أوجب الشيوخ على المريد (أن يستجيب لأوامرهم ولو قضت بعصيانته لله
وتعمده على قواعد دينه بافطار رمضان أو الاطعام في إقامة الصلاة) (٢) ومثل هذا يقال
فيما أباحه الشرع وحرمة الشيخ لأن الترقى لا يكون بالاستمتاع بالمباح من اللذات بل
بالزهد . .) (٢)

ومن شدتهم على أنفسهم ط جاء في قول الشعراني :
ان خودة (خودة) الشيخ على ابو خودة كانت من الحديد وكان زنتها قنطارا
ومثلها لم يزل حاطها ليلا ونهارا وكان شيخا أسمر قصيرا (٣) .

وقوله عن الشيخ (ابو الخير الكلباتي) . . . كان من الاولياء المعتقدين ولسه
المكاشفات العظيمة مع أهل مصر . . . وكانت الكلاب التي تسير معه من الجن . وكانوا
يقضون حوائج الناس ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب منهم اذا ذهب معه لقضاء حاجته
رطل لحم وكان أغلب أوقاته واضعا وجهه في حلق الغلاة في مiazza جامع الحاكم ويدخل
الجامع بالكلاب . . .) (٤)

وبعد . . فان هذه الامثلة وغيرها لا تدع مجالا للشك في أن أنطا من
الرهبنة قد سرى في الاوساط الاسلامية سوا من قصد أو غير قصد . ولا يمكن تعميم هذه
القاعدة على كل من انتسب الى التصوف لان الرهبنة لها قواعد و أنظمة وشروط ونذور ولا يمكن
توفر جميع الشروط على جميع المتصوفين بصورة عامة ، الا ان الحالات التي مر ذكرها قد
وجدت في اولئك الغلاة الذين رموا أنفسهم في احضان البدعة .

وقد فرق الاطام ابن تيمية بين المعتدلين منهم وبين المغالين فمن ذلك قوله (وقد
تنازع الناس في طريقهم : فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقساوا : انهم يتدعون

١ - التصوف في صرا بان العصر العثماني ص ١٣٥

٢ - المرجع السابق

٣ - الطبقات الكبرى ١٣٥/٢

٤ - المصدر السابق ١٤٣/٢

خارجون عن السنة ، وطائفة غلت فجعلت طريقهم أفضل الطرق .

والصواب : انهم يجتهدون في طاعة الله ، فمنهم الذي نسب والتقني ، وقد صارت الصوفية ثلاث طبقات ، صوفية الحقائق وصوفية الازاق وصوفية الرسوم . فاما صوفية الحقائق : فهم الذين وصفناهم . واما صوفية الازاق : فهم الذين وقفت عليهم الخوانق والوقوف ، فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق ، واما صوفية الرسوم فهم المقصودون المقتصرون على التشبه بهم في اللباس والآداب الوضعية فهم بمنزلة الذي يقتصر على (زى اهل العلم) (١) .

بهذا التوضيح يصنف الامام ابن تيمية الصوفية والمستصوفة وهو في جميع مؤلفاته لا يحيد عن هذا المنهج فتراه يشنع على المغالين المبتدعين ويعيب عليهم محاكاة تهم لاهل الكتاب وتشبههم بهم .

هذا . . . ومن انصافه لاهل الحق أنه فرق بين هؤلاء وبين الاولياء فمن ذلك قوله (وكرامات الاولياء حق باتفاق أئمة أهل الاسلام والسنة والجماعة وقد دل عليهم القرآن في غير موضع ، والا حاديث الصحيحة والاثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم وانما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم لكن كثيرا ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذابا أو طموسا عليه .

وأيضاً فإنها لا تدل على عصاة صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله بل قد تعدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بموافقتهم للشياطين ، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسلطان مطري فتطر ولأرض انتهت فتنتت . وأنه يقتل واحدا ثم يحيه وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة .

ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار في الهواء وشى على الماء ، لم تثبت له ولاية بل ولا اسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم (٢) .

١ - مختصر الفتاوى المصرية ، للامام ابن تيمية ، ص ٥٧١-٥٧٢ - مطبعة السنة

المصرية ط ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٦ م مصر .

٢ - المرجع السابق ص ٦٠٠

الباب التاسع :
/

موقف الاسلام من الرهننة

وحكمه طيهها

وفيه فصلان :

الفصل الاول : موقف الاسلام من رهننة
الاديان الوضعية

الفصل الثاني :: موقف الاسلام من الرهبانية
النصرانية

الفصل الاول : موقف الاسلام من رهينة الاديان الوضعيية

بعد استعراض أصل وأصول الرهينة الوضعية وما انطوت عليه من عقائد وما مرت به من مراحل ، وبعد الحديث عن رهبانية أهل الكتاب

لا بد من الوقوف قليلا لتطس حكم الاسلام على الرهبنة عند الايمان الوضعيـة
وذلك اتباطا للقاعدة .

فقط تقدم يتضح لنا أن الاسلام الحنيف دين الفطرة ، وهو الدين الذى جعله الله تعالى لجميع البشر ، لذا فان تعاليمه تسوا على غيرها ولا يمكن مقارنتها بأي قانون أو شريعة أخرى مهبط طت أهدافها وكبرت مراميها .

وحيث تدعو الرهينة الى تعاليمها ومبادئها تنسى أو تتناسى في زحمة نصوص كتبها أنها تفتقد العنصر الشرعي المستند الى الدين السطاوى الموحى به من عند الله تبارك وتعالى .

ولهذا فإننا نراها تتخطى في سائر التاريخ والعقد والسلوكي كلما ظهرت في الأفق سواد التغيير أو التجديد .

فالرهينة المصرية القديمة التي سرت بين بعض كهان المعابد لم تستطع الانتشار والتعدد واكتساب الاتباع وانتهت على ايدي كهنتها الذين تمردوا بوحل الرذيلة مما اضطر اخناتون آخر الأمر الى ارجائها على التلاشي والاضمحلال .

١٤ الرهينة الهندوسية فقد كاد اوارها ان ينطفئ * لولا الضياع الذي يعيشه شباب الغرب في هذا القرن والذي بات يعيش على الوهم والخيال نتيجة الطامة التي صبغت الحياة الغربية بصورة عامة . لذا فقد وجدت الرهينة الهندية طريقها الى هــوـلا * بعد فشلها في المحافظة على كيانها ووجودها في مهدا وبعد تحولها الى طريق الشعوزة والالعب السحرية التي تفتن عقول الفضوليين وضعاف النفوس .

وفي المقابل فاننا لا نجد في الاسلام الحنيف وتعاليمه تلك الهادي* الضالسة
والمعتقدات المنحرفة الداعية الى الشرك واتخاذ الالهة من دون الله كما هو الحال فسي
الرهينة الوضعية ، بل نجد في الامة الاسلامية حينما كانت منضوية تحت الخلافة الراشدة
خليفة ينقاد له الناس جميعا طاعة مائة يقيم فيهم شرع الله تعالى المنزل دون تقديم
او تأليه . وليس له عليهم سوى ما يطيعه أدب الطاعة لولي الامر ، وبالتالي فان هذه الطاعة
لم تتحول في يوم من الايام الى عبادة كما هو الحال في الرهينة حيث اتخذ الناس (أئمة
ورهبانهم أربابا من دون الله) بل ان الطاعة في الاسلام انما تكون فيما شرع الله تعالى
(واطيعوا الله واطيعوا رسوله وأولى الامر منكم .) (١)

كما أننا لن نجد في الاسلام ما يسد عوالي التقليد الاعى كالذى سارت عليه الرهينة
الوضعية . بشتى صورها ، فالقرآن الكريم ينهى على اولئك المقلدين لما يفضى اليه
اتباع للهوى :

قال تعالى (بل قالوا انا وجدنا اباؤنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) (١) .

كما شنع القرآن الكريم على الذين اتخذوا الاصنام والاوثان الهة من دون
الله . (ما تعبدون من دون الله الا اسما سيئتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من
سلطان ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس
لا يعلمون) (٢) .

(ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين
من نصير) (٣) .

كما ان العقيدة الاسلامية خالية من تلك الخرافات والاساطير التي تستند
اليها الرهينة الوضعية . فالاسلام يعتد على التوحيد الخالص دون الجنوح
الى الخيال والتطس العقائد البالية الموافقة لاهواء النفس ونزواتها :
قال تعالى (ان هي الا اسما سيئتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان
ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (٤) .

ويقول (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق
شيئا) (٥) .

فاتباع الظن في تقرير العقائد انما هو سفة يجب ان يتنزه البشر عنها .
كما ان الركون الى الاهواء كقيل بتضليل الناس والارتطاف في أحضان الشرك والالحاد .
ولا أدل على ذلك من تلك النتائج التي وصلت اليها الرهينة الهندوسية
بالذات حيث قادتها الاهواء الى الالحاد ونفي وجود الله تعالى ، وهذا ما صبرت
عنه كتب الانبياء التي صاغها الرهبان الهندوس .

١ - الزخرف : ٢٢

٢ - يوسف : ٤٠

٣ - الحج : ٧١

٤ - النجم : ٢٣

٥ - النجم : ٢٨

ومها قبل عن الاهداف التي سعت اليها الرهينة الوضعية فان الصورة تبقى ناقصة لعدم اعتماد القوم على وحي منزل من عند الله تبارك وتعالى . فالأخلاق الحميدة لا يمكن ان تنبع الا من وحي سطاوي يضمن لها الاستمرار والاستقرار في نفوس العباد ولهذا نرى الاسلام يسعى دائما الى التربية الخلقية ومعني هذا الجانب وهو فرسه في الفرد والمجتمع . يقول الهادي البشير : (انما بعثت لاتمم مكمــــــــــــــــارم

الاخلاق (١). وتقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها حينئذ سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم :- (كان خلقه القرآن) . والقرآن الكريم يحوى من التعاليم الخلقية ما يكفى لتربية البشرية جميعا على حسب الفضيلة وترك الرذيلة (ان الله يأمر بالعدل والا حسان وابتأ ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر

والبغني معظمكم لعلكم تذكرون (٢) والنماذج الفريدة التي اخرجها الاسلام
للعالم كقيلة باعطاء الصورة الصحيحة عن الاخلاق الاسلامية التي تصل في مضمونها
الى القمة السابقة .

كما ان اعتناء الاسلام على الصحة في النقل والضبط كقيل بايصال
 شرع الله تبارك وتعالى الى الخلق ، فالنصوص القرآنية محفوظة بحفظ الله تعالى
 ورعايته (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)^(٣) . قاله تكفل بهذا الحفظ وون الكتب
 السابقة ، كذلك السنة الطاهرة الشارحة والفسرة لكتاب الله الكريم والسنة لا حاكمه
 المسجلة حفظت عن طريق الثقات والعدول وهي مدونة في الكتب الستة المعتمدة
 من علماء الامة ومحدثيها . وقد انفرد الاسلام عن غيره بهذه الميزة الفريدة التي جعلت
 من نصوص الشريعة الفراء سليمة من غش الوضاعين وتطبيقات المتدينين ، وطم رجاء
 الحديث كقيل بفريدة السلام من السقيم وفق منهج علمي رصين قام به جهابذة الامة
 وطوائفها عبر تاريخها الطويل . ولن نجد في كتب الرهبان ومدوناتهم ومولفاتهم
 ما يرقى الى المقام الذي وصلت اليه كتب الشريعة الاسلامية .

على ان الاسلام في موقفه المعارض لأصل وأصول الرهبنة يشترى صورها
الا انه لم يتجه قط الى اسلوب العنف في محاربتها ، بل ان تعاليمه السمحة دعوت
الى معاملة الرهبان والمنقطعين الى العبادة في الكهوف والصحار والبيوع والكنائس
باللين والرفقة وهذا ما نجده جليا في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ووصايا الخلفاء

١ - رواه البخارى فى الادب المفرد .

٢ - النحل : ٩٠

٢ - الحجر ٤ : ٩

الراشدين من بعده ، ومن تبعهم باحسان . تلك الوصايا التي كانت اساسا يستند اليه الفقهاء المسلمون والعلما في مؤلفاتهم الفقهية واجتهاداتهم الاصلية ولهذا نجدهم يفردون الابواب تحت عنوان " معاملة الرهبان والمنقطعين للعبادة " . وامثلة التاريخ كثيرة وهي الدالة على تسامح الاسلام والمسلمين .

وتبقى اما لنا مسألة مهمة جدا يجب الوقوف عندها قليلا . وهي مسألة انتشار دعاة الرهبنة الوضعية في الغرب تلك المسألة التي لا يجب اغفالها بحال من الاحوال . فقد استطاعت الرهبنة الهندية بصورها المتعددة وعلى وجه الخصوص اتباع هاري كرشنا وبعض الفرق البوذية من التسلل الى اوساط الشباب الاوربي الضائع في لسجج الحياة المادية ذلك الشباب الذي أضل ببحث عن كل جديد حتى ولو كان عبادة البقر والحجر والشجر والبشر .

ومن هنا فان المسؤولية تقع على الدعاة المسلمين ، وهذا ما يدعوهم الى التشهير عن ساعد الجد والتحرك بسرعة لا يقاوم هذا الخطر الداهم .

واني اعتقد ان باستطاعة المسلمين المخلصين انقاذ هؤلاء التائهين بجهنم قليل بشرط ان تكون له صفة الاستمرارية والديمومة والطاعة . واما الدعاة مسلحين بالعلم والثقافة التي تؤهلهم من للوقوف في وجه التيارات الجارفة فان النصير

سيكون حليفهم - باذن الله تعالى - واما ما متسكين بحبله التين . فحجبة الخصم داحضة بالية لا تقف عند البرهان ويكفي للدلالة على ذلك : ان الدعة والكسل المصاحبين للرهبنة لا يزالان السمة الاساسية التي تصبغ تلك الحياة البائسة ، ولحسن تخرج عن تلك الحياة التي يعيشها الرهبان الهنود في ديارهم .

وما عند المسلمين من عقائد كفيل بانقاذ الضالعين والمضلعة في شباك دعاة الكفر والضلال والجمود .

والعمل الجاد الذي يمكن أن يكون له أثر في هذا الصدد هو السهر على نشر مبادئ الاسلام السمحة وتعاليمه البسيطة الخالية من البدع والخرافات الداعية الى عبادة الله تعالى وحده ونهذ الشرك والالحاد . والايمن بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وبالقرآن دستورنا وكتابنا . بهذا المفهوم البسيط يمكن للدعوة الاسلامية أن تأخذ مكانها اللائق في مقام الارض خاصة اذا أخذنا في الاعتبار أن الاسلام دين علي ، يحارب الغمور والكسل ويأمر بالقدر والحسنة .

كما يجب التنبيه هنا على ان الارتجالية في العمل الاسلامي هي من المعوقات التي لا تخدم المصلحة العليا بشيء* ، كما ان الفردية في العمل لا يمكن أن تكون لها نتائج طيبة ما لم تكن ضمن اطار العمل الجماعي ، وهو الكفيل بتضافر كل الجهود من أجل الدعوة .

وما يساعد في هذا الاطار: الاتجاه نحو الدراسة المنهجية والعيدانية ورصد التحركات المعادية للاسلام وذلك لايجاد المناخ الملائم والظروف الكفيلة بوضع الخطط المضادة لتلك التحركات .

ولا بد أولاً وآخراً من الاخلاص والصدق في العمل وان يكونا رائجين لأي مشروع في هذا المضمار .

كما لا يفوتني هنا التأكيد على ان الجامعات الاسلامية والمعاهد الشرعية والمؤسسات التعليمية في الدول الاسلامية معنية بايجاد التخصصات المطلوبة في هذا الشأن وتهيئة الدعاة واعدادهم وتسهيل امورهم وتذليل الصعاب امامهم لا اذ ما امرهم الله تعالى به نحو دينهم :

(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (.....) (١)

الفصل الثامن:

موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها

بعد استعراض الاسس المعقدية والسلوكية للرهبانية وما انطوت عليه من آراء ومقائد ، وما طرأ عليها من تطورات داخلية وخارجية وما رافقها من فتن ومحن .

كان من ضرورات هذا البحث ، بطل من صلب موضوعه التعرف على موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها من خلال نتائجها .

فالاسلام الحنيف دين الله تعالى القويم وحبله المتين ، نسخ بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم الشرائع السابقة وهيمن بالقرآن الكريم على الكتب السالفة ، ووجه البشرية الى صراط الله المستقيم ، صراط لا تبدل فيه ولا تغيير (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (١)

وقد قص القرآن الكريم اخبار الامم السالفة وما وقعت فيه من انحسار عقدي وسلوكي ، وحذرنا من اتباع سبلهم ، واطمانا البراهين الساطعة والادلة القاطعة على فساد هذه الطل وضلال تلك النحل .

ومن بين ذلك ما تحدث به القرآن الكريم عن الرهبانية التي اعتبرها حالة مبتدعة وطريقة مخترة . ان يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الحديد :

(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ، وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (٢)

اما معنى الرأفة : فهي اشد الرحمة ، ورأف به رأفة أي : اشفق عليه من مكروه يصيبه ، والرأفة من الله : دفع السوء (٣)

ومعنى الرحمة : يقال رحمه رحمة ومرحمة ورحط : اى رق له قلبه وعطف عليه ، فالرحمة هي الرأفة والتعطف ، ان الله تبارك وتعالى جعلهم : (متوادين - بعضهم مع بعض - كما وصف اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بذلك

١ - فعلت : ٤٢

٢ - الحديد : ٢٧

٣ - الصحاح للجوهري ١٣٦٢/٤ مادة رأف وانظر كذلك معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ، محمد اسماعيل ابراهيم ص ١٩٠ نفس المادة .

في قوله تعالى (..... رحماً بينهم) (١)

اما كلمة رهبانية : فهي الفعلة المنسوبة للرهبان وهو الخائف ، وقد
مر ذكرها اثناً الحديث عنها لغة واصطلاحاً . (٢)

(ابتدعوها) يقال : بدع الشيء اخترعه وأنشأه على غير مثال سابق
وبدع وابتدع اتي بالبدعة ، والبدعة : الحدث في الدين بعد الاكمال .
ومعنى ذلك اى : احدثوها من غير ان يشرعها الله . (٣)

(ابتغاه) يقال : ابتغى الشيء ابتغاه طلبه ، وهو اكثر ما يستعمل
في الطلب . (٤)

(رضوان) اى الرضا ورضيت الشيء وارتضيته فهو مرضى (٥)

(رهوها) من رعى : يقال رعى حرته اى حفظها حفظاً . (٦)

(فاسقون) من فسق ، يقال : فسق كل ذى قشر اى خرج عن قشره
ويقال : فسقت الرطبة عن قشرها اى خرجت من قشرتها واصل الفسق في اللغة
الخروج عن الشيء وفسق فلان يفسق : عصى وجاوز حدود الشرع فهو فاسق والفسق
والفسوق : العصيان (٧)

١ - الفتح : ٢٩ ، وانظر في معناها : معجم الالفاظ ص ١٩٧ والصحاح

١٩٢٩/٥ وتفسير الفخر الرازى ٢٩/٢٤٥

٢ - راجع ص (١ - ٢) من هذا البحث وانظر الكشف للزمخشري ٦٢/٤

٣ - انظر : معجم الالفاظ ص ٥٩ والصحاح ١١٨٣/١-١١٨٤ والتسهيل

لعلوم التنزيل لابن جزى ١٨٢/٤

٤ - : معجم الالفاظ ص ٧٢ والصحاح ٢٢٨٢/٦

٥ - الصحاح ٢٣٥٧/٦ ومعجم الالفاظ ٢٠٤

٦ - : معجم الالفاظ ص ٢٠٥

٧ - : معجم الالفاظ ٣٩٨

وقبل الحديث عن المعنى الاجمالي للآية ينبغي التوقف للاشارة
الى ان الآية الكريمة فيها سألان اعرابيتان :

الاولى في قوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها)

فقد ذهب جمهور المفسرين والعلماء الى ان كلمة (رهبانية) منصوبة
بفعل مضارع يفسره المذكور اى : ابتدعوا رهبانية ابتدعوها فهي من باب الاشتغال^(١)

اما المسألة الثانية فهي في قوله تعالى :

(ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) .

فقد ذهبوا ايضا الى ان الاستثناء هنا منقطع ، وطيه فان معنى الآية^(٢)

يكونون : ما فرضناها نحن عليهم راسا ، ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله
فذهبهم حينئذ بقوله (فما رعوها حق رعايتها) .^(٣)

وقد استدل بعض العلماء على ذلك بما ورد من قراءة عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه (ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها) .^(٤)

١ - راجع في هذا العدد : فتح القدير للشوكاني ١٢٨/٥ والجامع لاحكام
القرآن للقرطبي ٢٦٣/١٧ ، والتفسير القيم لابن القيم ص ٤٨٤ ، والكشاف
للزمخشري ٦٧/٤ ، والتفسير الكبير للرازي ٢٤٥/٢٩ ، وزاد السير في علم
التفسير لابن الجوزي ج ٢ م ١٢ ص ١٧٦

٢ - راجع في هذا العدد : تفسير ابي السموذ ٢٨٣/٥ والكشاف ٦٧/٤
ومعاصر التأويل للقاسمي ٥٦/١٦ مجلد ٩ والجامع لاحكام القرآن ٢٦٣/١٧
هذا وقد رد الامام ابن القيم ما يخالف هذا الاعراب وقال : فالصواب

انه منصوب على الاستثناء المنقطع اى : لم يفعلوها ولم يبتدعوها الا لطلب
رضوان الله (راجع التفسير القيم ٤٨٤-٤٨٥)

٣ - :

ارشاد العقل السليم لابي السموذ ٢٨٣/٥

٤ - : التسهيل لابن جزي ١٨٢/٤

هكذا وأما ما يتعلق بدلول الآية : ففي قوله تعالى
(فط رعوها حق رعايتها) فقد قيل ان المشار اليهم هم :

(اولا : الذين ابتدوا الرهبانية ، قاله الجمهور ، ثم في معنى الكلام
ثلاثة اقوال :

احدها : انهم طرعوها لتبديل دينهم وتغييرهم له قاله
عطية العوفي .

الثاني : لتقصيرهم فيما الزموا انفسهم .

الثالث : لكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : انهم الذين اتبعوا بدعي الرهبانية في رهبانيتهم ، ما
رعوها بسلوك طريق اولهم ، روى هذا المعنى سعيد بن
جبير عن ابن عباس . (١)

وهكذا يتجه معنى الآية الى اتهام النصارى بانهم ابتدوا
الرهبانية من عند انفسهم وانصبا لم تكتب عليهم أصلا ولم يأمرهم بها عيسى
عليه السلام بل هم اخترعوها تقربا الى الله ولم يراعوها وقد نسوا أن التقرب
اليه انما يكون بالمعابدات التي شرعها هو لا التي يقررها البشر .

ولا يمكن قبول دعوى ان الله تبارك وتعالى قد فرضها عليهم
بعد عيسى وذلك لعدم وجود الدليل وبالتالي : كيف يفرض عليهم أمراً دون وحي
وقد رفع عيسى من الأرض . ؟

اما الدعوة بانهم طرغوا بها لكونهم نذروا انفسهم لها ومن نذر قرينه
فعليه ان يتمها . فليس هذا على اطلاقه لان العبد يمكن ان ينذر قرينه يستحيل
عليه المحافظة عليها او الاستمرار فيها ، او الابتداء بها . فهذا لا يمكن قبوله
والرهبانية من هذا القبيل فيها نذور لا يمكن للانسان ان يحتلها لكونها مخالفة
للفطرة البشرية السليمة ومن الصعب الاستمرار فيها بل من المستحيل ، وقد
مر في ثنايا البحث التعرف على كيفية فشل الحياة الرهبانية وانعكاس آثارها

السيفة على المجتمع ككل ، والذي اسهم في بروز التناقضات في العالم المسيحي
وخروجه عن الصراط السوى .

كما تؤكد هذه الحقائق مرة أخرى أن أصل هذا البلاء هو الابتداع
في الدين وهذه الآفة الخطيرة هي التي جلبت على النصارى وعلى غيرهم الانحراف
العقدي وقد تعرض العلي^(١) المسلمون لبدعة الرهبانية وقد بسطوا الحديث
من البدعة الحقيقية ، والبدعة الاضافية^(٢) .

١ - البدعة الحقيقية :

هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا
استدلال معتبر عند اهل العلم ، لافي الجلة ولا في التفصيل ، ولذلك سميت
بدعة لانها شي* مخترع على غير مثال سابق وان كان المبتدع يأنى ان ينسب
اليه الخروج من الشرع ، انه هو مدع انه داخل بما استنبط تحت مقتضى الادلة
لكن تلك الدوى غير صحيحة لا في نفس الامر ولا بحسب الظاهر .

٢ - البدعة الاضافية :

هي التي لها شائبتان احدهما لها من الادلة متعلق فلا تكون من
تلك الجهة بدعة والاخرى ليس لها متعلق الا مثل ما للبدعة الحقيقية .
فلما كان العطل الذي له شائبتان لم يتخلص لا حد الطرفين وضعنا
له هذه التسمية وهي (البدعة الاضافية) .

كتاب : الاعتصام للامام الشاطبي ٢٨٦/١ - ٢٩٠

دار المعرفة ت: محمد رشيد رضا ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م بيروت

وقد تحدث الامام الشاطبي عن ابتداء الرهبانية وقارن ما فيها من بدع ، وما ذهب اليه العلماء من اقوال ، وقد أجرى قاعدتي البدعة الحقيقية والاضافية على الرهبانية وميز بينهما ، وقد اعتبر ما ابتدئته النصرانية بدعة حقيقية مشيرا الى ان ذلك هو قول اكثر العلماء . (١)

كما ذهب الشيخ علي محفوظ رحمه الله كذلك الى انها بدعة حقيقية . (٢)

وطيه فطامت الرهبانية من البدع الحقيقية فهي قرية مخترة على غير مثال سابق في شريعة عيسى عليه السلام ومن ثم فان الآية الكريمة تتهمهم بعدم أن ألزموا أنفسهم بأنهم لم يراعوها حق رعايتها (ولقد كان من المتوقع ألا يراعوها حق رعايتها أي لا يصبروا على تكاليفها فهي سباحة ضد التيار تيار الحياة . . . وجهد مجهد لا يصبر عليه كثيرون .

اما ان تنقلب وهي المنوطة بالتقوى والزهد والتعفف والارتفاع عن الشهوات الى مائة للقدارة الحسية والمعنوية يتعفف الرجل العادي والفتاة ، العادية (عنها) فهذا لا يمكن ان يتوقع على الاطلاق . فاذا كانوا لا يصبرون على تكاليفها فما الذي يجبرهم على الضي فيها وهي تطوع غير مفروض ؟

اما ان يستمروا فيها عنوانا ولافتة ومظهرا خادما ومباة للشهوة الجنسية بين الرجال والرجال والنساء والنساء بالاضافة الى ما يحدث من العلاقات السرية بين اديرة الرجال والنساء فهذا امر يشد الحس ويهيج

١ - راجع : الاعتصام ، ٢٩١/١

٢ - راجع الابداع في مضار الابداع ص ٥٥-٥٦ ط ٧ دار الاعتصام بصر .

- ولم يكن هذا الحكم قاصرا على علماء المسلمين فقط بل ان مؤلفات علماء المسيحية ايضا خاصة بعض المتأخرين منهم يصم الرهبانية بانها بدعة ، فمن ذلك ما قاله صاحب (ربحانة النفوس في الباب السابع عشر في الرهبنة : ان الرهبنة قد نشأت من التوهم بان الانفراد عن معاشر الناس واستعمال التقشفات والتأملات الدينية هي ذات شأن عظيم ولكن لا يوجد سند لهذا الوهم فسي الكتب المقدسة لان مثال المسيح ومثال رسله يضاف انه باستقامة فانهم لم يعتزلوا عن الاختلاط بالناس لكي يعيشوا بالانفراد بل كانوا دائما مختلطين بالعالم يعلمون وينصمون ، ونحن نقول بكل جرأة ، انه لا يوجد في جميع الكتاب المقدس مثال للرهبنة ولا يوجد امر من اوامره يلزم بها ، بل العكس فان روح الكتاب وفعواه يضاف كل دعوى مبنية على العيشة المنفردة المقرونة بالتقشفات

على التقزز والنفور... (١)

على انه من الملاحظ في الآية الكريمة وجود انصاف لفئة آمنت بالحق واتبعت قآتها الله اجرها . من ذلك قوله تعالى (فآتيناهم امنوا منهم اجرهم) يعنى الذين امنوا الايمان الخالص من شوائب الشرك والابتداع ومن الايمان بمحمد صلوات الله عليه المبشر عندهم . (٢)

ويتضح ايضا ان بعض هؤلاء لهم اجرهم جزاء ما التزموا به تجاه مولا هم الحق دون ان يغيروا في اصول الدين ، فلم يحدثوا فيه ما ليس منه حتى بعثه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يعرفوا به آمنوا واتبعوه ولهذا جاء القرآن الكريم بانصاف هؤلاء المؤمنين في آيات اخرى منها قوله تعالى :

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسَّيْسِينَ وَرَهَبَانِيًّا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَنشَأَهُمُ اللَّهُ بِطَوَائِفٍ مِّنَ الْجَنَّاتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) (٣)

= ولكن مع ان الكتاب المقدس لا يمدح العيشة الانفرادية ، فقد ظهر الميل الشديد اليها في الكنيسة في اواخر الجيل الثاني ووائل الجيل الثالث ، وايد بعض الباحثين المقاومين لها وقتئذ انها طاعة سرية للمسيحيين من الهنود الوثنيين فان لهم انواعا كثيرة من عبادات تأمر كسبها بالبتولية والامتناع عن اكل اللحم وامورا اخرى مقرونة بخرافات . ثم قال ، ومع ان الرهبة حصل عليها مقاومة من العقلاء ، امتدت وانتشرت في السكونة ويقول صاحب كتاب السبراهين الانجيلية ضد الاباطيل البابوية : وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الانجيلية قط فالطريقة الرهبانية هي اختراع شيطاني قبيح محاسن التأويل للقاسي مجلد ٩ جز ١٦ ص ٥٨-٥٩

- ١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٢
- ٢ - محاسن التأويل مجلد ٩ جز ١٦ ص ٥٨
- ٣ - الطائفة ٨٢-٨٦ ، وهذه الفئة التي آمنت كانت قليلة لهذا بين الحق السمة الغالبة على اتباع الرهبانية بقوله (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الايمان بما امروا به (فتح القدير ٥/ ١٢٨) . ولأنهم لم يحافظوا على نذرهم (الكشف ٤/ ٦٨) ذلك النذر الذي كتبوه على انفسهم ولم يستطيعوا الصبر عليه فارهبوا كاهل العباد وطيه فان ابتداعهم اورشليم اعظم وفتح طيهم بابا كبيرا للمعاصي والذنوب وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . . . وهكذا انتهت رهبانيتهم الى ان تصيح في الغالب طقوسا وشعائر خالية من الروح وان يتخذها الكثيرون مظهرا طريا من الحقيقة فلا يصبر على تكاليفها الا عدد قليل منهم) : الظلال ٦/ ٣٤٩٥ .

وقد أخرج الواحدى عن ابن الضمير قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضميرى وكتب معه كتابا الى النجاشي ، فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه فارسل الى الرهبان وانقَسَ وجمعهم ثم أمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم عليها السلام فآمنوا بالقرآن وقاضت أعضنهم من الدمع وهم الذين أنزل فيهم : (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَحَارَى) الى قوله (فاكثبنا مع الشاهدين) . (١)

هذا ويتعلق بالآية أحاديث وأشار توضح موقف السنة النبوية من الرهبانية وتوجه الامة نحو الطريق الاصل . فمن ذلك :

ما رواه الامام النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (كانت طوك بعد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة ، قيل لطوكهم : نجد شتاً أشد من شتم يشتننا هؤلاء . انهم يقرؤون (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهو هؤلاء الآيات مع ما يعيبونها به في أعطالنا في قراءتهم فادعهم فليقرؤوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمننا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل ، الا ما بدلوا منها ، فقالوا : ما تريدون منا الى ذلك ؟ دعونا . . .

فكانت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ، ثم اعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم . وقالت طائفة منهم : ابنوا لنا دورا في الغياضي ونحترق الابارا ونحترق البقول ، فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ، وليس احد من القبائل الا وله حميم فيهم .

قال : ففعلوا ذلك فانزل الله عز وجل : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ، والاخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ونسبح كما ساج فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تبارك وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) أى أجريين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم وقال : (يجعل لكم نورا تشون به) القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم (٢)

١ - انظر : اسباب نزول القرآن ، للواحدى . ت : سيد أحمد صقر ص ١٩٧ .

٢ - انظر سنن النسائي ٢٣١/٨ - ٢٣٣ كتاب اديان القضاة باب تاويل قوله عز وجل ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (وسند الحديث فيه عطلاء ابن السائب (وقد اختلط في آخر) عصره ولكن سفيان الثوري سمع منه قبل

وروى الامام الطبري قال : حدثني بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة فهاتان مسن الله والرهبانة ابتدئ بها القوم من أنفسهم ولم تكتب عليهم ولكن ابتغوا بذلك وارادوا رضوان الله فمارعوها حق رعايتها ذكر لنا أنهم رفضوا النساء واتخذوا الصوامع (١))

كما حفلت كتب السنة المطهرة بالنهي عن الترهيب وامرت بالبعث عن الرهبانية لانها لم تشرع لهذه الامة ولم تكن من تعاليم الاسلام فقد روى الامام احمد بسنده عن عروة رضي الله عنه قال : دَخَلْتُ امْرَأَةً عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ أَحْسَبُ اسْمَهَا خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ بَاذَةٌ الْبَيْهَةِ فَسَأَلْتُهَا مَا شَأْنُكَ فَقَالَتْ زَوْجِي يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ عَائِشَةَ ذَلِكَ لَهُ فَلَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ فَقَالَ : يَا عُثْمَانُ إِنَّ الرِّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ طِينًا أَفْطَا لَكَ فَيَسِّرْ أَسْوَأَ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي أَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ . (٢)

كما جاء في سنن الدارمي عن نفس القصة فَقَالَ يَا عُثْمَانُ إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ بِالرِّهْبَانِيَّةِ ، أَرَأَيْتَ عَنْ سُنَّتِي ؟ قَالَ : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : إِنْ مِنْ سُنَّتِي أَنْ أُصَلِّيَ وَأَنَامُ وَأُصُومُ وَأُطْعِمُ وَأُنْكَحُ وَأُطْلِقُ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي يَا عُثْمَانُ إِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (٣)

= الاختلاط كما تقدم في ترجمة عطاء . وهو متصل حيث قد سمع بعضهم من بعض فعلى هذا يكون اسناده حسنا (تفسير ابن عباس . د . عبد العزيز بسنن عبد الله الحميدى ٨٦٧/٢ بجامعة ام القرى الكتاب الثالث والخمسون .

وراجع كذلك جامع الاصول لابن الاثير ٣٧٧/٢-٣٧٨ وجمع الفوائد ١٧٧/٢ والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، مجلد ٨ جز ٢٧/٦٥ ط ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م ١ - جامع البيان للطبري ١٣٨/٢٧

٢ - سنن الامام احمد باب النكاح ٣٣٧/٦ ط : المكتب الاسلامي وقد تعقب الهيثمي اسانيد الامام احمد عن قصة عثمان بن مظعون فقال (واسانيد احمد رجالها ثقات الا ان طريق ابي اخشاكم اسندها احمد ووصلها البزار برجال ثقات) مجمع الزوائد ونبع الفوائد للحافظ ابي بكر الهيثمي بتحرير العراقي وابن حجر ٣٠١/٤ ط ٢ دار الكتاب العربي لبنان ١٤٠٢-١٩٨٢

٣ - سنن الدارمي لابي محمد عبد الله الدارمي ١٣٣/٢ دار احياة السنة النبوية .

كما جاء في غريب الحديث لابن قتيبة (قال ابو محمد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تهمل ولا سياحة في الاسلام) حدثني ابي حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابي اسحق عن سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن طاووس (١)

كما روى ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والاثار : حديث (لا رهبانية في الاسلام)^(٢) وقد تعقب العجلوني هذا الحديث فذكر ان ابن حجر قال فيه : لم اره بهذا اللفظ لكن في حديث سعد ابن ابي وقاص عند البيهقي (ان الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة)^(٣)

وهكذا نجد الاسلام مثلاً بالقرآن والسنة المطهرة ، ينهى عن أسس الرهبانية ، عقيدة وسلوكا ، وكل ما يمت اليها بصلة (لانها ضادة لدفع الحياة السوية التي خلقها الله لتعمل لا لتكبت وتحجز عن الحركة والنشاط ، فقد جعل الله الانسان خليفة في الارض وكلفه عمارتها : (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ، وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)^(٤) ومن اجل القيام بأمر الخلافة اي الهيمنة والاشراف والتمكن ومن اجل القيام بعماراة الارض ، اودع الله الفطرة مجموعة من الدوافع المحركة الى العمل والنشاط)^(٥)

فهذه الحوافز التي تعين الانسان على ضبط اموره لن تشكل اي خطر عليه ما دام ملتزماً بمنهج القرآن الكريم للسير في هذا الطريق وقد اتسحح للبشرية تطبيق هذا المنهج في التاريخ الاسلامي فوجد فيه افذاذ استطاعوا التخفيف

-
- ١ - : غريب الحديث لابن قتيبة عبد الله بن مسلم ١/٤٤٤-٤٤٧ ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ مطبعة المعاني بغداد د . عبد الله الجبوري ، وانظر كذلك الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢/١٢٢-١٢٣ ومعنى الزمام في الحديث الخيط الذي يشد في البرة او في الخشاش ثم يشد في طرفه المقود انظر الصحاح ٥/١٩٤٥ والخزام : حلقه من شعر تجعل في وتره انفه يشد فيها الزمام (الصحاح ٥/١٩١١
 - ٢ - النهاية في غريب الحديث والاثار ، مجد الدين ابي السعادات ، ابن الاثير ٢/٢٨٠-٢٨١ ، ت : محمود محمد الطناحي ، المكتبة الاسلامية ، رياض الشيخ

ط ١ ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ ،

- ٣ - كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس ، اسماعيل العجلوني ٢/٥١٠ احد القلاش ، مؤسسة الرسالة ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

٤ - هود : ٦١

٥ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٠

من متاع الارض الى اقصى حد دون ان يشغلهم الشعور بالحرقان عن الحركة والنشاط والعمل بايجابية كاملة .

اولئك هم الزهاد على بصيرة وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم امام الزاهدين وهو اكبر طاقة ايجابية حركية عرفت بها البشرية .

ولكن الرهبانية ليست كذلك انها اعتزال . . . انها ترك للحياة الواقعية بكل ما فيها ، وليان بالاديرة المنقطعة عن تيار الحياة ، ولقد تربع السراهب على تعود الحرمان حتى لا يعود يحس بلذع الحرمان نعم ولكنه في الوقت ذاته يفقد ايجابيته الفاعلة في واقع الارض ، ويتخلى عن دوره في عمارتها ، ويلغي طاقات كيانه فلا يتزوج ولا يعمر وجسه الارض بالنسل ولا ينتج الا مشاعر ذاتية في طي الكتمان (١) .

واذا كانت الرهبانية كذلك فالاجدر بالقائمين عليها التخلي عنها والبحث عن الحق ومراجعة حساباتهم بدقة وليعلموا ان الله قد نسخ شريعتهم بشريعة الاسلام الخالية من التحريف والتزوير والابتداع .

وطيئه فقد تم التعرف على الرهبانية ومشاكلها ، تلك التي يصعب ايجاد الحلول لها الا باتباع الحق والبحث عنه .

واذا كانت الرهبانية في نظرها لها افضل الاعمال ، وهي كما يدعون خشية الخلاص فان افضل الاعمال في نظر الاسلام هو الجهاد في سبيل الله وهو الحل الوحيد لمن اراد ان يعبد الله حق العبادة فاذا كانت الرهبانية كما يدعون بذل النفس لوجه الله فان هذه النفس بهذا المفهوم لا قيمة لها ما دامت معطلة عن الحركة ، تدور في فلك لا قرار له . فان الجهاد في سبيل الله كما يقرره الاسلام هو بذل النفس والطال قولاً وعملًا لا شعاراً ولا فتية ولهذا جاءت السنة النبوية المطهرة تحض على ذلك .

فقد اخرج الحاكم بسنده عن معاذ بن جبل قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ لِي : اِنْ شِئْتَ اُنْبِئْتُكَ بِرَأْسِ الْأُمْرِ وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ . قَالَ : قُلْتُ : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : أَمَّا رَأْسُ الْأُمْرِ فَالْإِسْلَامُ وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلَاةُ ، وَأَمَّا ذِرْوَةُ سِنَامِهِ فَالْجِهَادُ (٢) .

١ - بتصرف: مذاهب فكرية معاصرة ص ٦١ - ٦٢

٢ - هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد اقره الذهبي

انظر المستدرک : للحاكم ٢ / ٧٦

كما اخرج الاطام احد بسنده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال : ان رجلا جاء فقال : اوصني فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قبلك قال : أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وطيبك بالجهاد
فإنه رهبانية الاسلام وطيبك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السطوة وذكر
في الأرض (١) .

كما اخرج الحاكم بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عيينة من ما عذب فأعجب به
طيبه وحسنه فقال : لو اعتزلت الناس وأقمت في هذا الشعب ثم قال لا أفعل
حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته
في أهله ستين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله
من قاتل في سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة (٢)

وهكذا فان الاسلام قد حكم على الرهبانية حكماً مبرماً ، واعطى
البشرية علاجاً ناجعاً ، فيه الخلاص والنجاة من عذاب الله يوم القيامة .
فما على الذين حرقوا وبدلوا وغرروا سوى الرجوع الى الحق وعدم
التطاول في السفي ، فان الله تبارك وتعالى قد اعطاهم الفرصة للاياب
فارسل محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ومبشراً ونذيراً ، وما زالت الفرصة
اطمهم مفتوحة وما عليهم الا التخلي عما هم فيه . فمن طاب وتاب واصلح فان الله
يستوب عليه وهو التواب الرحيم وأما من اعرض عن الحق فان معيشته ضنكا ومحشر
يوم القيامة أعين . . . اذننا الله تعالى من سوء الخاتمة وثبتنا بالقول الثابت
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، واليهما الرشداً والاحسان في أمورنا حتى
نلقاه وهو راض عنا . اللهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
وصحبه اجمعين . ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

١ - : سند الاطام احد ٨٢/٣ وقد جمع الالباني طرق الحديث وتكلم
عن رجاله وقال : والحديث بمجموع الطريقين عندى حسن انظر الاحاديث الصحيحة
٨٧/٢ - ٨٩ ، المكتب الاسلامي ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

٢ - المستدرک للحاكم : ٦٨/٢ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه
الذهبي .

• الخاتمة •

وفيها أهم نتائج البحث

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد

فانه ليس من العسير بعد استقرا جوانب هذا الموضوع ان يعثر القارى على أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث .

فمن أهم تلك النتائج : ظهور وحدة التشابه العقدي والسلوكي بين أنظمة الرهبنة بشكل عام وقد جمعت هذه الظاهرة في طياتها قواسم مشتركة بين منتحليها . فعلى صعيد الاسس العقدية تظهر وحدة التشابه في قضايا : التثبيت والحلول والاتحاد خاصة عند المصريين القدماء ، والهندوس ، والبوذيين واليونان وقد استقرت اخيراً عند المسيحيين . وأن هذا الانتقال كان نتيجة الاحتكاك بين الامم السابقة على الاسلام وتأثر بعضها ببعض ، وأن الرهبنة كانت خير وسيلة لانتقال هذه العقائد بين الطل القديمة . كما ظهر انتقال الحلول والاتحاد ووحدة الوجود الى الفرق الغالية المنتمية الى الاسلام زورا . وان الاسلام رفضها شكلا وموضوعا .

اما في الجانب السلوكي فقد ظهر التشابه جليا في الطقوس والشعائر والتقاليد والانظمة الديرية ، وان وجد الاختلاف فهو في بعض الصور والاشكال ليس الا . اما المضمون فكان واحدا لدى الكل . وان القواسم المشتركة هذه اتخذت من الاسس العقدية وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها .

وان النذور الثلاثة : السمتة : بالفقر والتبتل وطاعة رئيس الديـر هي الرابط الذي يربط بين أنظمة الرهبنة لدى الاديان الوضعية واهل الكتاب .

اما النتائج الاخرى فتتلخص في الامور التالية :

أولا :

ان الممارسات التعبدية والشعائر النسكية التي مارستها البشرية بالوان مختلفة وما ترتب عليها من محافظة على الشكل والصورة ان هي الا دليل على حب التعبد لدى الخلق والناجم عن وجود أصل الفطرة السفسية الى الايمان بوجود الخالق جل وعز بغض النظر عن الاتجاه العقدي وما هيته . فالملاحظ ان الناس يحملون داءا الى التوجه نحو المعبود ، الا ان الانحراف الديني يعود الى اولئك الذين وضعوا للناس ما يصرفهم عن الله الخالق تبارك وتعالى ، واتخاذ أرباب من دون الله .

ثانيا : ان استغلال النزعة الفطرية لدى البشر من قبل فئة من الناس ادى الى بروز طبقات رجال الدين الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ، وان الممارسات التقشفية التي يقومون بها إنّ هي الا ستار لنيل السعة الحسنة الفضية الى تحصيل الطّرب الشخصية والامتيازات الخاصة . وان القوانين التي وضعوها للخلق تشريعا وضهاجا تعتبر تعد على أحكام الله تعالى الذي لسه الأمر والنهي وليس لأحد أن يحكم الناس بما لم ينزل الله تبارك وتعالى .

ثالثا : ان ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية كان ضرورة ملحة لرجاع الناس الى طريق الحق والعدل وللمنع التعدى على حرمة الله ، وارشادهم الى الخير والصالح .

رابعا : ان مقدّمات الطغيان في المجتمعات الدينية القديمة والحديثية وجدت بانماط متشابهة ، فكانت نتائجها لا تختلف عن بعضها ، فالترف ، والبسوخ والظلم ادى الى الحرب والخراب والدمار .

خامسا : ان الرهينة بشتى انواعها واشكالها ، نزعة مضادة للفطرة الانسانية السليمة وخروج على النوازع الكامنة في النفس البشرية . وان السلبية والكسل المصاحبين للنحن السلوكي ادى الى تأخر كبير في مضار التقدم العلمي والتقني الامر الذي افضى الى الصراع بين العلم والدين . كما ادى الى بروز الكبت الجنسي وما صاحبه ومن امراض خلقية واجتماعية ، افضت الى تدهور القيم والمثل العليا .

سادسا : ان الرهينة تتحمل قسما كبيرا من الاثم لكونها سببا مباشرا في بروز الفكر الالهادي قديما وحديثا . وان الالحاد يعتبر خطرا داهيا يهدد الكيان البشري لما يحمل بين طياته من بذور التحلل العقدي والديني .

سابعا : ان صراع رجال الدين من اجل المناصب وحب الجاه والسيطرة ادى الى نشوب الحروب بين شعوب العالم المسيحي الاوربي الذي طاني من الكيسوارت الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية .

ثامنا : ان الرهينة اليهودية تعتبر هترة وصل بين الاديان الموضعية وبين رهبانية النصارى ، وان الرهينة اليونانية كان لها اثر كبير في بروز الرهينة في المجتمع اليهودي القديم .

تاسعا : ان اغلب الاراء المعقدية في الرهبانية المسيحية مبنية على اساس من الفكر الفلسفي اليوناني الوثني وان العبادى السلوكية تعود قايبتها الى تأثير الرهينة الهندية .

عاشرا : ان الاسلام وقف من هذه النزعات موقف الرفض فلم يقرها بل حاربها حتى لا يترك مجالا للطغيان المتحكم في رقاب الناس الذي رأيناه اثنا عرض فصول هذا البحث ، وليوجه الناس الى العمل الايجابي البناء الذي ينفع الفرد والمجتمع بعيدا عن الاستغلال والانحراف مينا طريق العبادة الصحيحة التي تقرب العبد من ربه وتبني شخصيته القوية على اساس قويم لا زيف فيه ولا ضلال .

احد عشر : ان الجهاد هو السبيل الوحيد لابقاء جذوة الايمان مشتعلة في قلوب الناس ، فهو الرقة التي تتنفس منها الامة وتجدد به خلاياها ، والا فـان البدع والانحرافات ما تلبث ان تسرى في الجسم حتى تقضي عليه ، تطا كما حصل بالنسبة للنصرانية التي ابتدعت الرهبانية صداقا لقوله تعالى :
(... ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله — فط رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون) . صدق الله العظيم . فقد عطلت النصرانية جهاد الاعداء واتخذت الرهبانية عوضا عنه ، فكان الابتداء في الدين سببا في الانحراف والضلال .

هذه أبرز النتائج التي وصلت اليها من خلال هذه الدراسة ، راجيا العلي القدير ان ينفعنا بما علمنا ويزيدنا علما ، ويلهمنا السداد في القول والعمل ، ويهيئ لنا سبيل الرشاد ، انه ولي ذلك والقادر عليه .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه : عمر وفيق الداعوق

الفهرس

الصفحة

- المسورة

- ال عمران

- (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم (٥٩-٦١)
 ٣١٧
 (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا (١٨١)
 ٢٣٩-٢٣٢
 (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار (١٩٠)
 ٤٩٦

- النساء

- (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة (١)
 ٣٨٣-٣٨٢
 (... فانكحوا ط طاب لكم من النساء (٣-١)
 ٣٩٤
 (الرجال قوامون على النساء (٣٤)
 ٣٨٣
 (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه (٤٦)
 ٢٥٠
 (ان الله لا يغفر أن يشرك به (٤٨)
 ٣٥٣
 (... أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم (٥٩)
 ٤٥٠
 (... وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله (١٥٨-١٥٧)
 ٣٤٧-٣٢٢
 (يا أهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق (١٧١)
 ٣١٢
 (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم (١٧١)
 ٣٢٠

- المائدة :

- (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم (١٣-١٤)
 ٢٥٠
 (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم (١٧)
 ٣٢١
 (وائل عليهم نبأ ابني آدم بالحق (٢٧-٢٨)
 ٩
 (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا (٤٤)
 ٢٤٥
 (وقالت اليهود يد الله مغلولة ظلت أيديهم (٦٤)
 ٢٣٢
 (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم (٧٢)
 ٣١٢
 (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة (٧٣)
 ٣١٣
 (لتجدن أشد الناس هداوة للذين آمنوا اليهود (٨٢-٨٦)
 ٥٣٦
 (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم (٨٧-٨٨)
 ٣٧٤
 (... ان قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك (١١٠)
 ٣٢٠
 (وان قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني (١١٦-١١٧)
 ٣١٣

- الانعام :

- (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده (٣٢)
 ٣٧٤
 (واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم (١١٦)
 ١

الاعراف

الصفحة

- (قالوا يا موسى اجعل لنا الهة) ١٤٠-١٣٨ (٢٣١)
 (واتخذ قوم موسى من بعده من حلهم عجلا) ١٤٨ (٢٣٢)
 (وقطعناهم في الأرض أمسا) ١٦٨ (٤٤٣)
 (وان أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) ١٧٢ (٩)

- التوبة -

- (وقالت اليهود عزيز ابن الله) ٣٠ (٣٢١-٢٣٢)
 (. . . اتخذوا أحيارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) ٣١ (٤٥٢-٢٥٧)
 (يا ايها الذين آمنوا ان كثير من الأحيار والرهبان ليأكلون أموال
 الناس بالباطل) ٣٤ (١-٢٥٦)
 (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) ٤١ (٢٩٤)

- يونس -

- (وانذنا من الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعا أو قاشا) ١٢ (١٠)

- هود -

- (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) ٦١ (٥٣٩-٢٩٢)

- الرعد -

- (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) ٣٨ (٢٩٩)

- النحل -

- (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) ٧٢ (٢٩٣)

- الاسراء -

- (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) ٢٩ (٤٤٢)
 (ولا تقف ما ليس لك به علم) ٣٦ (٤٨٤)
 (وانذنا سكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) ٦٧ (١٠)
 (ولقد كرنا بني آدم وحطناهم في البر والبحر) ٧٠ (٤٤٢-٣٧٤)

مریم :

- (فناداها من تحتها الا تحزنني (٢٤-٢٦) ٤٣٧
 (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (٣٤-٣٧) ٣٢١
 (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه (٣٥) ٣١٦

طه :

- (وقل رب زدني طها (١١٤) ٤٩٥
 (ولقد عهدنا الى آدم من قبل (١١٥) ٣٥٣
 (فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزواجك (١١٧-١٢٢) ٣٨٢

الحج :

- (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات (١٤) ٤٨٥

النور :

- (وانكحوا الايام من منكم والصالحين من عبادكم (٣٢) ٣٩٤ - ٤٠٠
 القصص
 (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة (٧٧) ٤٤٢

المنكوت :

- (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (١-٢) ٤٠٦ - ٤٣٣
 (خلق الله السموات والأرض بالحق (٤٤) ٤٨٤
 (... لا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن (٤٦-٤٧) ٣١٣

البروم :

- (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا (٢١) ٣٩٣
 (بل اتبع الذين ظلموا أهواهم بغير علم (٢٩) ٤٨٣

فاطر :

- (انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من أمة الا خلا فيها نذير (٢٤)
 (انما يخشى الله من عباده العلماء (٢٨) ٤٩٦

الزمر :

- (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (٥٣) ٣٥٢

- ظفر :

١٦

(وقال رجل مؤمن من آل فرعون . . .) ٢٢-٢٣

- فصلت :

٥٣٠

(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . .) ٤٢

- الشورى :

٥١١

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ١١

- الزخرف :

٤٨٤

(انا وجدنا آباءنا على أمة . . .) ٢٣

- محمد :

٤٤١

(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين . .) ٣١

- الرحمن :

٩

(الرحمن علم القرآن خلق الانسان طمه البيان . .) ١-٤

- الحديد :

٥ ١٨-٤٠٩-٣٠٥-٢

(ورهبانية ابتدعوها . .) ٢٧

- المجادلة

٤٩٥

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات . .) ١١

- الحشر :

١

(لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله . . .) ١٣

٢٥٩

(لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة . . .) ١٤

(- الصف :

٣٢٠

(يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله . . .) ١٤

- تبارك :

٤٤١

(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا . . .) ١٥

الجـنـن :

(ومن بعض الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً) . . ٢٣ ٣٩٩

النبيأ :

(يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) . . . ٤٠ ٩

النـازعات :

(. . اذهب الى فرعون انه طغى) . . ١٦-٢٥ ١٥-١٤

العـلـسـق :

(- اقرأ باسم ربك الذي خلق) ١ ٤٩٥

- (. . وأما ذروة سنامه فالجهاد . . .)
 ٥٤٠
 (وطبك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام . . .)
 ٥٤١
 (يا رسول الله اني رجل يشق علي العزوبة . . .)
 ٤٠٣
 (. . يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي . . .)
 ٣٥٣
 (يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا . . .)
 ٣
 (يا معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج . .)
 ٣٩٣

"فهرس نصوص من العهد القديم"

- التكمين :

- ٢٧٥ (فخلق الله الانسان على صورته . . .) ٢٨-٢٧: ١
 ٢٣٢ (فاكملت السموات والارض وكل جند ها . . .) ٣-١: ٢
 ٣٧٥ (وقال الرب الاله ليس جيدا ان يكون آدم وحده . . .) ١٨: ٢
 ٢٣٣ (وسمعا صوت الرب الاله ماشيا . . .) ١٣-٨: ٣
 ٢٣٣ (وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا . . .) ٢٤-٢٢: ٣
 ٢٣٤ (وظهر الرب لابرام . . .) ٧: ١٢

- سفر الطوبى الثاني :

- ٢٦٣ (. . . واتي ملك آشور يقدم من بابل وكوث . . .) ٢٥-٢٤: ١٧

- فهرس نصوص العهد الجديد -

الصفحة	مــــــــــــــــســــــــــــــــس
٣٢٦	(.. لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس (١٧ : ٥)
٣١٦	(واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم (٤٥ : ٤٤ : ٥)
٣٢٧	(فأجاب وقال : لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة (١٥ : ٢٤)
٣٧١	(حينئذ قال يسوع لتلاميذه ان اراد احد ان ياتي ورائي (١٦ : ٢٤ - ٢٧)
٣٨٧	(..... لانه يوجد خصيان خصوا انفسهم (١٩ : ١٢)
٣٧١	(وكل من ترك بيوتا أو اخوة (١٩ : ٢٩)
٣٣٨-٣٥٥	(وفيما هم يأكلون اخذ يسوع الخبز (٢٦ : ٢٦ - ٢٨)
٣٢٢	(وقال لهم بيلاطس فلماذا افعل بيسوع (٢٧ : ٢٢ - ٢٥)
٣٠٨	(فاذهبوا وتلذذوا بجميع الامم (٢٨ : ١٩)

- مرقــــــــــــــــســــــــــــــــس :

٣١١	(فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون (١٢ : ٢٨)
٣١٢	(واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها احد (١٣ : ٣٢)

- لوقــــــــــــــــا :

٣٨٧	(وقال للجميع : من اراد احد ان ياتي ورائي (٩ : ٢٣)
٣٧١	(ومن لا يحمل صليبه (١٤ : ٢٧)
٣٧١	(ان كان احد ياتي الي (١٤ : ٢٦)

- يوحــــــــــــــــنا :

٣٠٨	(في البدء كان الكلمة (١ : ١)
٣٥٠	(هكذا احب الله العالم (٣ : ١٦)
٣٥٩	(انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء (٦ : ٥١)
٣٥٥	(انا والاب واحد (١٠ : ٣٠)
٣٥٥	(الذي رأيته فقد رأي الاب (١٤ : ٩)
٣١١	(وهذه الحياة الابدية ان يعرفوك (١٧ : ٣)

" نصوص من رسائل اعمال الرسل "

اعمال الرسل :

- ٣٦٠ (أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال . .) ٢٢: ٢
٣٢٩ (انا رجل يهودى ولدت في طرسوس . . .) ٣: ٢٢

- رومية -

- ٣٥٥ (ولهم الاباء ومنهم المسيح . . .) ٥: ٩
٣٢٥ (واط من جهة الامور التي كتبتم لي . . .) ٣٤-٨-١: ٧
٣٢٩ (فصرت لليهودى كيهودى لا ربح لليهود . .) ٢١-٢٠: ٩
٣٨٠ (لتصمت نساؤكم في الكنائس . . .) ٣٥-٣٤: ١٤

- كورنثوس^٢ -

- ٣٨١ (ولكنني اخاف انه كما خدعت الحية حواء . .) ٣: ١١

- فلاطية :

- ٣٣٨ (لان كلكم الذين عدتم في المسيح . . .) ٢٧: ٣

- افسس -

- ٣٥١ (كمنا احبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه . . .) ٢: ٥
٣٨١ (ايها النساء اخضعن لرجالكن . . .) ٢٥-٢٢: ٥

- كولوسي :

- ٣٥٥ (فانه فيه يحمل كل مل^١ اللاهوت جسديا . . .) ٩: ٢
٣٧١ (فان كنتم قد قمت مع المسيح . . .) ١: ٣

١ تيموثاوس

- ٣٨١ (ولكن لست آذن للمرأة ان تعلم وتتسلط . . .) ١٤-١٢: ٢
٣٥٥ (الله ظهر في الجسد . . .) ١٦: ٣

- تيطس :

- ٣٥٥ (منتظرين الربا^١ المبارك وظهور مجد الله . .) ١٣: ٢

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم -

- الابداع في ضار الابتداغ :
الشيخ :- طي محفوظ ، دارالاعتصام ط ٧ ، مصر
- الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة :
احمد بن ادريس الطالكي القرافي ، دارالكتب العلمية ، ط ١ - ١٤٠٦ هـ
١٩٨٦ م ، بيروت
- الاحاديث الصحيحة :
ناصر الدين الالباني ، المكتب الاسلامي - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام :
د . عبد الكريم زيدان ، مكتبة القدس مؤسسة الرسالة - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- احكام الزواج والطلاق في الاسلام :
د . بدران ابو العنين ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٦٤ - مصر .
- أديان العالم :
حييـب سعيد . دارالتليف والنشر للكنيسة الاسقفية ، القاهرة
- الاديان في القرآن :
د . محمود بن الشريف ، دار عسكاظ للطباعة والنشر ط ٣ ، ١٩٧٩ م
- أديان الهند الكبرى .
د . أحمد شلبي . ، مكتبة النهضة المصرية ط ٤ ، ١٩٧٦
- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم :
لاهي السعود محمد العطارى الحنفى ، مطبعة السعادة
عبد القادر عطا ، مكتبة الرياض الحديثة
- أساليب الغزو الفكسرى :
د . طي محمد جريشة ومحمد شريف الزبيق ، دارالاعتصام ١٩٧٨ م
- اسباب نزول القرآن :
ابو الحسن طي بن الواحدى . ت : سيد أحمد صقر ، دار القبلة للثقافة
الاسلامية ط ٢ ، ٤٠٤ - ١٩٨٤ السلكة العربية السعودية .
وكذلك طبعة : مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٧ - ١٩٦٨ مصر .
- أسرار روما :
ليوتا كسيل ت : طانيوس عده ، مطبعة الانصاف ، ابراهيم خليل ، بيروت

- اسطورة تجسد الاله
- عبد الصمد شرف الدين ، ط : جامعة الطوك عبد العزيز - جدة ١٣٩٨ هـ
- الاسفار المقدسة السابقة للاسلام .
- د . طي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٧١ م
- الاسفار المقدسة قبل الاسلام :
- د . صابر طعيمة ، عالم الكتب ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م بيروت .
- الاسلام :
- سعيد حوى ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ط ١ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م بيروت
- الاسلام بلا مذاهب .
- د . مصطفى الشكعة : دار النهضة العربية ط ١ ، بيروت
- الاسلام بين الاديان :
- د . محمد كمال جعفر ، مكتبة دارالعلوم ، مصر
- الاسلام والسيحية :
- ألفت عزيز الصمد . الاتحاد الاسلامي العالي للمنظمات الطلابية دار القرآن
- السكرم ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، بيروت
- اصول الدين
- لابي منصور عبد القاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م
- اضمحلال الامراطورية الرومانية وسقوطها . :
- ادوارد جيبون ت : ليهن اسكندر ، دار الكتاب العربي للطباعة ١٩٦٩ مصر
- اضاء توضيحية على تاريخ الطارونية :
- د . زكي النقاش ، دار لبنان ١٩٧٠
- اظهار الحق .
- الشيخ رحمة الله الهندي : ت : عمر الدسوقي ، دار احياء التراث
- الاسلامي - الدوحة قطر ١٩٨٣ م
- الاعتصام :
- للاطام الشاطبي ، دار المعرفة ت محمد رشيد رضا ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين :
- فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ، ت : طي سامي النشار ، دار الكتب
- العلمية ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- اعلاء السنن :
- فخر احمد العشاني ت : اشرف طي التهانوي ، ادارة القرآن والمعلوم الاسلامية
- كراتشي باكستان .

- الاعلام بط في دين النصارى من الفساد والاهام .
- للاعلام القرطبي ت : د . احمد حجازى السقا ، دار التراث العربي
١٩٨٠ ، مظر
- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ :
- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى : عني بنشره : القدسي
مطبعة الترقى ١٣٤٩ هـ .
- اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس
- د . حسن حبشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨
- اظافة اللهبان
- محمد بن ابي بكر ، ابن القيم الجوزية ، دار المعرفة ت : محمد حامد
الفاقي ، بيروت - لبنان .
- الاغريق تاريخهم وحضاراتهم
- سيد احمد طي الناصرى ، دار النهضة العربية
- افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم .
- د . محمد جمعة عبد الله ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- الافصاح عن معاني الصحاح :
- يحيى بن محمد بن هبيرة ، المؤسسة السعيدية بالرياض ١٩٨٠
- أقانيم النصارى :
- د . احمد حجازى السقا ، دار الانصار ، القاهرة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- الزام القرآن للملادين والطلين :
- د . سيد احمد رمضان السير ، دار الطباعة المحمدية بمصر ط ١ ، ١٣٩٩ هـ
١٩٧٩ م
- آلهة في الاسواق :
- د . رؤوف شلبي ، دار القلم ط ٢ ، الكويت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣
- امراطورية جستنيان :
- د . اسمت فني ، دار المجمع العلمي بجد ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م
- الانسان في ظل الاديان :
- د . عطارة نجيب مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م
- امثاع الاسماع :
- تقي الدين المقرئى ، ت : محمود محمد شاكر ، الشؤون الدينية بدولة
قطر ط ٢
- الانجيل : (العهد الجديد)
- جمعية الكتاب المقدس في الشرق الادنى بيروت ١٩٧٠

- انجيل برنابسا :
- ت : سيف الله احمد فاضل ، دار القلم ط ١ ١٣٩٢ هـ
- انجيل يوحنا
- ت : همس ساها ، مكتبة صادر بيروت ط ١٩٥٣
- الانجيل والمليب :
- عهد الاحد داود ، ط ١٩٥١ مصر
- انطاكية القديمة :
- جلانفيل داوني ت : ابراهيم نصحي ط ١٩٦٧ ، القاهرة
- الانسان بين الاديان
- د . محمد كمال جعفر ط ١ قطر .
- الانسان بين الطادية والاسلام :
- محمد قطب ، ط ٢ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- اوربا المصور الوسطى
- د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٨٠
- بحوث في الاسلام والاجتماع :
- د . علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ط ١ القاهرة
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد :
- ابو الوليد محمد بن رشد القرطبي الاندلسي ، دار الفكر مكتبة الخانجي
- عن النسخة السلوية
- بستان الرهبان :
- لابا* الكنيسة القبطية ، ط ٢ لجنة التحرير والنشر بمطراكية بني سوف البهنسا
- مصر .
- بلادنا فلسطين :
- مصطفى مراد الدباغ ، منشورات دار الطليعة بيروت ط ٢ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
- البناء في شرح الهداية ،
- بدر الدين محمود بن احمد المعيني ، تصحيح السلوى محمد عمر الشهير
- بناصر الاسلام الراقوري . اشرف طي تصحيحه الشيخ زهير كبسي ، ١٤٠٠ هـ
- ١٩٨٠ م .
- بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية .
- د . عبد الشكور محمد امان العروسي رسالة دكتوراه جامعة ام القرى مكة المكرمة
- ١٤٠٢ هـ

- البوذية :
- هنري ارقون ت : هنري زغيب المنشورات العربية ، الطبعة البولسية
جونية لبنان ١٩٧٥
- تاج العروس من جواهر القاموس :
- محمد مرتضي الزبيدي ، دار مكتبة الحياة بيروت ط ، ١٣٠٦ هـ
- تاج اللغة وصحاح العربية : - اسماعيل بن حماد الجوهري
- للجوهري ، ت : احمد عبد الغفور عطار ط ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- تاريخ الاديان وفلسفتها :
- طه الهاشي دار مكتبة الحياة بيروت ، ط ١٩٦٣
- تاريخ الاسلام في الهند
- عبد المنعم النمر ط ١ - ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م
- تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر
- ميرل د وينيا ، ت : ابراهيم الحوراني ، منشورات مكتبة الشعل بيروت
- اشراف رابطة الكنائس الانجيلية في الشرق الاوسط ط ٣ بيروت .
- تاريخ أهل الذمة في العراق .
- د . توفيق سلطان اليوزيكي ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣
- العراق .
- تاريخ اوربا العصور الوسطى
- هـ . أ . فيشر ، ت : محمد مصطفى زيادة - السيد الباز العربي ، دار مصر
- ١٩٦٦ .
- تاريخ البشرية :
- ارنولد توينبي ، ت : نقولا زيادة ، الطبعة الاهلية للنشر بيروت ١٩٨١
- تاريخ التراث العربي :
- فواد سيزكين ، ت : د . محمود حجازي ، دار ادارة الثقافة والنشر ، جامعة
- الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى
- ادوار بروي ، موريس كروزيه ، منشورات عبيدات بيروت - لبنان
- تاريخ الحضارات العام :
- اندره ايبار بجانبين اموايه ط ١ - ١٩٦٤
- تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة :
- محمد كرد طي ، مطبعة التقدم ، مصر .

- تاريخ العالم :
أ. هامرتن ، مكتبة النهضة المصرية ط ٢
- تاريخ الفحشاء : او تاريخ الاداب العمومية
عبد الكريم التنير ، ط ١٩١٢ لبنان .
- تاريخ الفرق الاسلامية :
علي مصطفى الفغرابي ، مكتبة الانجلو المصرية ط ٢ ١٩٨٥
- تاريخ فلسطين القديم
ظفر الاسلام خان ، دار النفاثس بيروت ط ٤ - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م
- تاريخ الفلسفة اليونانية
يوسف كرم ، دار القلم ، طبعة جديدة بيروت لبنان
- تاريخ الكنيسة الشرقية :
الاب البيرايونا ، الطبعة المصرية ، الموصل ، العراق .
- تاريخ الطسونية العظيمة :
شاهين مكارهوس . دار طارون عمود ط ٤ ١٩٨٤ م
- التبشير المسيحي في منطقة الخليج :
احمد فون دنفسر
- التبشير والاستعمار في البلاد العربية :
د. مصطفى خالدى ود . عمر فروخ ، المكتبة المصرية بيروت ، صيدا
ط ٤ - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
- التبصير في الدين :
لابي الطنفر الاسفراييني ت : كمال يوسف الحوت ط : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق
فخر الدين بن عثمان بن علي الزيلعي ط ١٣١٣ هـ بولاق .
- تثبيت دلائل النبوة :
القاضي عبد الجبار الهمداني ، ت : عبد الكريم زيدان ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت
- التعبير في المعجم الكبير :
لابي سعد عبد الكريم محمد السمعاني التحيي ، ت : خير ناجي سالم ، طبعة الارشاد ، بغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
- تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى
محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ط ٢ ١٣٨٧ - ١٩٦٧

- تحفة الارب في الرد على أهل الصليب ،
عبد الله الترجمان السيورقي ت : عروفيق الداهوق ، رسالة طجستير ، جامعة
ام القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ
- تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد :
ابراهيم محمد البيجورى ، دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣
- تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار :
محمد بن عبد الله الطواتي (ابن بطوطة) ت : احمد العوامى بك ، محمد
احمد جاد المولى بك ط بولاق ١٩٣٩ .
- تحقيق ط للهند من مقولة مستقبولة في العقل او مرذولة
لابي الريحان البيروني ، دائرة المعارف العشمانية بحيدرآباد الدكن الهند
١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م
- تراث الاسلام :
شاغت وبوزورث ، ت : حسين مؤنس ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
الكويت .
- التراث اليهودي الصهيوني :
صبرى جرجس عالم الكتب ط ١ القاهرة ، ١٩٧٠ م
- تربية الاولاد في الاسلام :
عبد الله ناصح طوان ، دار السلام للطباعة والنشر ٢٤٠١ - ١٩٨١ ط ١ بيروت
- التسهيل لعلوم التنزيل :
ابو القاسم محمد بن احمد بن جزى الكلبى الغرناطي :
ت : محمد عبد السنعم اليونسي وابراهيم عطوة ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة
حسان مصر
- التصوف ، طريقا ، وتجربة ، وذهبا
د . محمد كمال جعفر ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠
- تطور الفكر الديني في مصر القديمة :
جيمس هنرى برستيد ت : زكي موسى دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع مصر
١٩٦١
- التعريفات :
لابي الحسن طي بن محمد الجرجاني ، دار التونسية للنشر ١٩٧١ تونس
- التفرقة بين الاسلام والزندقة :
لابي حامد الفزالي ت : د . سليمان دنيا ط ١ ١٩٨١ - ١٩٦١ دار احياء
الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

- تفسير ابن عباس : ومروياته في التفسير من كتب السنة :
- د . عبد العزيز بن عبد الله الحمدي ، جامعة أم القرى ، الكتاب الثالث والخصون ، طبع بشركة المبيكان للطباعة والنشر ، الرياض .
- تفسير غريب الحديث ، مرتبا على الحروف
- لابن حجر العسقلاني ، ت : زكريا علي يوسف ، مطبعة الاطام - مصر
- تفسير القرآن العظيم
- لابن كثير ، المكتبة الشعبية
- التفسير القيم
- لابن القيم ، جمعة محمد اويس الندوي ت : محمد حامد الفقي ، لجنة التراث العربي ، بيروت .
- التفسير الكسبي :
فخر الدين الرازي ، المطبعة البهية المصرية ، ط ١ ١٢٥٧ - ١٩٣٨
وط ٢ : دار الكتب العلمية طهران
- تفسير المنار
- محمد رشيد رضا دار المعرفة ط ٢ بالافت
- تفسير الميسر
- لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار الكتب العلمية عن طبعة ادارة الطباعة المنيرية ١٣٦٨ هـ
- تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل :
- لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني . ت : طاد الدين احمد حيدر
- مؤسسة الكتب الثقافية ط ١ بيروت ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م
- التنظيم الرهباني في الكنيسة الطارونية
- الاب يوسف محفوظ ت : الاب يوحنا خليفة ، المركز الوطني للبحوث العلمية في باريس طبع في بيروت ١٩٧٠ م مطابع مؤسسة الارز .
- تهافت العلطانية .
- د . طاد الدين خليل . مؤسسة الرسالة . ١٣٩٩ هـ - ١٩٦٩ م
- التوراة بين الوثنية والتوحيد :
- سهيل دين ، دار النفاثس بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١
- التوراة السامرية
- ت : د . احمد حجازي السقا ، دار الانصار ط ١ ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ القاهرة

- جامع الاصول في احاديث الرسول :
- لابن الاثير الجزري . ت : عبد القادر الارناؤوط ، ط ١٣٩٢-١٩٧٢
- جامع البيان في تفسير القرآن :
- لابي جرير الطبري ، دار المعرفة بيروت ١٤٠٠-١٩٨٠
- الجانب الالهي في الفلسفة الاسلامية
- د . محمد المبهي ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧
- الجامع لاحكام القرآن :
- للام القرطبي ، محمد بن احمد القرطبي ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٣ هـ
- ١٩٥٧ ، وط ١٤٢٦ هـ - ١٩٥٧ م
- جسيم الفوائد ، الجامع لكتب السنة الطاهرة
- محمد بن سليمان الروداني المغربي ط ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣
- الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح :
- للام ابن تيمية . مطابع المجد التجارية
- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية :
- فايد حماد عاشور ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥
- الحافظ الخطيب البغدادي واثره في علوم الحديث :
- د . محمود الطحان ، دار القرآن الكريم ط ١ بيروت ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١
- حرب في الكنائس :
- د . أسد رستم ، ط ٢ بيروت ١٩٦٧
- الحركات الباطنية في الاسلام .
- مصطفى غالب ، دار الكتاب العربي بيروت
- الحركة الصليبية :
- د . سعيد عبد الفتاح عاشور مكتبة الانجلو المصرية ط ٣ القاهرة ١٩٧٨ م
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة :
- للحافظ جلال الدين السيوطي ، ت : محمد ابو الفضل ابراهيم دار احيا
- الكتب العربية هيس البابي الحلبي ط ١ ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧
- حضارات الهند :
- غوستاف لوبون ت ، عادل زعيتر دار احياء الكتاب العربي القاهرة ، هيس
- البابي الحلبي ط ١ ١٣٦٧ - ١٩٤٨

- حضارة العرب :
- غوستاف ليهون ، عادل زحيمتر القاهرة مطبعة عيسى الباهي الحلبي ، ١٩٦٩
- حكمة الاديان الحية :
- جوزيف كايبر ، دار مكتبة الحياة ت : حسين الكيلاني بيروت ١٩٦٤
- الحملة الصليبية الرابعة وسؤلية انحرافها ضد القسطنطينية :
- د . اسمت غنيم ، دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٨ هـ
- حياة بوذا :
- أ . فاردينان هارولد ت : فلييب عطا الله ، دار الروائع الجديدة ط
- ١٩٧٥
- الحياة الرهبانية
- رهبنة طارجا ورجيوس - دير الحرف - منشورات النور
- الحياة العلمية في الشام : في القرنين الاول والثاني للهجرة :
- خليل داود الزرو ، دار الافاق الجديدة ط ١ بيروت ١٩٧١
- حياة المسيح :
- عباس محمود العقاد : المجموعة الكاملة دار الكتاب اللبنانية بيروت ط ١
- ١٩٧٨
- خصائص التصور الاسلامي ومقوماته :
- سيد قطب ، دار الشروق ط ٧ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠
- خلاصة التصوف المسيحي :
- أدولف تانكر ، ت : يوسف فرج ، الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧
- الخلاصة الشبهية في اخص العقائد والتعاليم الارثوذكسية :
- افلاطون مطران موسكو ، ت : الخوري يوحنا حزيون ، مطبعة كرم بيروت
- ١٩٥٧
- دائرة المعارف ،
- بطرس البستاني دار المعرفة ، تهران ناصر خسرو ياسار مجيدى
- دائرة المعارف :
- فؤاد افرايم البستاني : الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٧٧
- دائرة معارف القرن العشرين :
- محمد فريد وجدى ط ٣ دار المعرفة بيروت - ١٩٧١
- دراسات فلسفية واخلاقية :
- د . محمد كمال جعفر مطبعة حسان ١٩٧٧

- دراسات في العصر الهلنستي
لطفی عبد الوهاب یحیی ، دار النهضة العربية ، بیروت
- دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية :
د . عرفان عبد الحمید ، مؤسسة الرسالة ط ١ ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة .
موريس بوكای ، دار المعارف بصر .
- دعوة التوحيد :
د . محمد خليل هراس ، مكتبة الصحابة - طنطا
- دعوة الحق بين المسيحية والاسلام .
منصور عبد العزيز ط ٢ ١٩٧٢
- الديارات :
لاهی الحسن الشاہوشتی . ت : کورکیس عواد ، منشورات مكتبة المثنی مطبعة
المعارف بغداد ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
- الديانات القديمة :
محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي .
- الديانات والعقائد :
احمد عبد الغفور عطار مكة المكرمة ١٤٠١ - ١٩٨١
- ديانة قدماء المصريين :
استيندروف : ت : سليم حسن ، طبعة المعارف بصر ط ١ ١٩٢٣
- الديسن :
محمد عبد الله دراز ، طبعة السعادة مصر ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
- ديوان امری القیس
محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف بصر ط ٣ القاهرة ١٩٦٩
- دور اليهود في الفرق الباطنية .
احمد محمد مغربي رسالة ماجستير جامعة ام القرى بمكة المكرمة ١٤٠١ - ١٩٨١
- الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى :
ل . م هارتمان ج باراكلاف ت : جوزيف نسيم يوسف دار المعارف بصر ١٩٧٠
- الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية
عبد الشکور محمد امان عبد الکريم ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى (جامعة
الملك عبد العزيز سابقا) ١٣٩٦ - ١٩٧٦

- رسائل احوال الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية :
- سعيد عقيل سراج ، رسالة طاجستر ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦-١٤٠٧
- رسالة اليونيسكو :
- د ٢٦١ سنة ١٩٨٣ القاهرة .
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة الشرفة .
- السيد محمد بن جعفر الكتاني ، مكتبة الكليات الازهرية القاهرة .
- الرهبانية الباسيلية الشهيرة :
- د . أ . حاج ط ١٩٧٤ لبنان .
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني
- لاي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ، دار الفكر بيروت
- ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨
- زاد السير في طم التفسير :
- عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ط ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧
- الزنا ومكافحته
- عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ بيروت
- الزواج :
- عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٤٠٤ - ١٩٨٤
- سلاسل المناظرات الاسلامية بين شيخ وقسيس :
- عبد الله العلي ، ط ١ ١٣٩٠ هـ
- سنن الداري
- لاي محمد عبد الله الداري ، دار احياء السنة النبوية .
- سوسيولوجية الحضارات القديمة :
- د . صلاح فوال ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٨٢
- سيرة المسيح وتعاليمه :
- دنيس كلارك ، دار ضهل الحياة بيروت ١٩٧٧
- شجرة الحضارة :
- الفالتون ، د . احمد فخري ، مكتبة الانجوال المصرية ١٩٦١
- شرح الكافية الشافية :
- محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ت : د . عبد المنعم هويدي ، دار الطامون
- للتراث .

- شرح كتاب الفقه الاكبر :
- الملاطي القاري ، دار الكتب العلمية ١٤٠٤ - ١٩٨٤ بيروت
- شري ايشويانيشا د
- ١ . س . بكطي فيدانتاسوامي برايوياض ، لوس انجلوس لندن بومبي ط ١٩٧٤
- راماناري ضاش برههشاري (رابع بونس) .
- الشخصية الاسرائيلية :
- د . حسن ظاظا ، دار القلم - دمشق ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥
- شرح المواقف في علم الكلام :
- للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ت : د . احمد المهدي مكتبة الازهر
- دار الحامي للطباعة
- صحيح الاطام البخاري :
- المكتب الاسلامي محمد اوزد مير - استانبول تركيا ١٩٧٩
- صحيح مسلم بشرح النووي :
- المطبعة المصرية ومكتبتها و ط : دار احياء التراث الاسلامي بيروت ط ٢ ١٩٧٢
- صفحات مضيئة من تراث الاسلام :
- انور الجندی دار الاختصاص ١٩٧٩
- طبقات الامم
- لاهي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي ، مطبعة السعادة بمصر
- طبعة في عهد امير حوتب الثالث .
- اليزابيث رايفشتال ت : ابراهيم رزق مكتبة لبنان بيروت ١٩٦٧
- طارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذی
- محمد بن عيسى ، مكتبة المعارف لبنان
- عالم العصور الوسطى
- ج . ج . كولستون ، ت : د . جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٣
- الاسكندرية . مصر
- العبادة المسيحية :
- الارشندريه الياس مؤسسة خليفة للطباعة لبنان ١٩٨١
- العرب والمسلمون في التاريخ :
- د . احمد سوسة ، العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ١٩٧٥
- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية
- محمد طاهر التتير ط ١٣٣٠ بيروت

- عقيدة الدرر
- محمد احمد الخطيب ، مكتبة الاقصى الاردن ط ١٤٠٠ - ١٩٨٠
- العقيدة والشريعة في الاسلام :
- جولد زيهير ط ٢ ت : محمد يوسف موسى وطى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق . دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة الشئى ببغداد .
- العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية :
- محمد يوسف النجرامى ، دار الفكر ببيروت ط ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م
- العثمانية نشأتها وتطورها
- سفر عبد الرحمن الحوالي دار مكة ط ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- طم الاجتماع الدينى :
- د . زبدان عبد الباقي مكتبة غريب القاهرة .
- عدة القارى شرح صحيح البخارى :
- بدر الدين العيني ، دار احياء التراث العربى ببيروت
- العودة للتجسد . :
- د . رؤوف عبيد ، دار الفكر العربى القاهرة .
- المعيشة السنية فى الحياة النسكية :
- لافرام الديرانى ، الطبعة الادبية ببيروت ١٨٩٩ م
- غريب الحديث :
- لابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ط ١٣٩٧ هـ طبعة العاني ببغداد ت :
- عبد الله الجبورى .
- الفائق فى غريب الحديث :
- محمود بن عمر الزمخشري . ت : طى محمد البيجاوى ، محمد ابو الفضل ابراهيم . ميسى البابى الحلبي - القاهرة
- فتح البارى ، بشرح صحيح البخارى :
- للحافظ ابن حجر العسقلاني . مصطفى البابى الحلبي ١٣٧٨ هـ
- فتح القدير :
- للاطام الشوكاني ، ط ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ مصر
- فتوح القدير على الهداية :
- كمال الدين احمد بن الهمام ، مصطفى البابى الحلبي ط ١ - ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠
- فجر الضمير :
- جيمس هنرى برستيد ت : سليم حسن دار مصر للطباعة

- الفصل في المل والاهواء والنحل :
- للإمام ابن حزم الظاهري ، مكتبة وطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة
- فوائح الباطنية :
- لأبي حامد الغزالي ت : د . عبد الرحمن بدوي مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت
- الفقه الاسلامي على المذاهب الاربعة :
- عبد الرحمن الجزيري ، دار الارشاد والتأليف . مصر
- الفقه الاسلامي وأدلة :
- د . وهبة الزحيلي ، دار الفكر بيروت ط ١ ١٤٠٤ - ١٩٨٤
- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي :
- د . محمد المهدي ، دار الفكر بيروت ط ٥ ١٩٧٠
- الفكر الفلسفي الهندي :
- سرفبالي راد اكرشنا ود . شارلز مور ت : ندرة اليازجي دار البقطة العربية
- فلسفات الهند :
- جان فيلموزات ت : علي مقلد : المنشورات العربية الطبعة الاولى ١٩٧٦
- الفلسفات الهندية :
- د . علي زيمور دار الاندلس ط ١ ١٩٨٠ بيروت
- فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية :
- لجس غريديس ، ج . قنواي ت : د . صبحي الصالح ، والاب فريد جبر
- دار العلم للملايين ط ٢ بيروت ١٩٧٩
- الفلسفة في الشرق :
- بول طسون اوريميسل ، ت : محمد يوسف موسى ، دار المعارف بمصر
- الفهرست
- محمد بن اسحق محمد بن التديم دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت
- في ظلال القرآن :
- سيد قطب دار الشروق ط ١٠ ١٤٠٢ - ١٩٨٢
- قاموس الكتاب المقدس :
- نخبة من اساتذة اللاهوت ط ٢ ١٩٧١
- قصة الاديان :
- رفقي زاهر ط ١ دار المطبوعات الدولية مصر ١٤٠٠ - ١٩٨٠

- قصة الحضارة :
- ول ديورانت ت : محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر جامعة الدول العربية ١٩٦٤ - وط : ٣ - ١٩٧١ وط ٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ت : زكي نجيب محمود سنة ١٩٥٧ .
- القاموس المحيط :
- للغبرور ابادي ، ط ١ المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠ هـ
- الكتب التاريخية في العهد القديم :
- د . مراد كامل ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨
- الكرمل :
- الاب البيرابونا : مطبعة الاديب البغدادية ١٩٧٨
- الكشف عن حقائق التنزيل وهيون الأقاويل في وجوه التأويل :
- ابو القاسم جار الله محمود الزمخشري : دار الفكر - بيروت
- كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس :
- اسماعيل المعجلوني ت : احمد القلاش مؤسس الرسالة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩
- الكنائس الشرقية عبر التاريخ :
- الاباتي بطرس فهد مطابع الكرم الحديثة - جونبة ١٩٧٢
- كنتم خيرامة اخرجت للناس :
- خير الله طلفاح دار الحرية للطباعة بغداد ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨٠
- كنز قمران : مدارج البحر الميت :
- البطران اثناسيوس يشوع صموئيل ، ت : القس الفونس شوريز - نشر تاوفيلوس جورج صليباً ١٩٨٥ لبنان
- لسان العرب :
- جمال الدين محمد بن منظور ، دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ
- المآسي والصور الغوامض :
- محمد عبد الله عنان ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٤
- مائدة أفلاطون :
- محمد لطفي جمعة ، مكتبة التأليف - شارع عبد العزيز - بصر
- مار مارون - قديس القورشية :
- البير جبور ، المنشورات الارثوذكسية مكتبة السائح طرابلس لبنان ١٩٨٥
- مبادئ الفلسفة :
- أ . س ، رابويرت ت : احمد امين ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٩ م

- الميسوط :
- لشمس الدين ، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ، ط ٢ دار المعرفة
المجددون في الاسلام من القرن الأول الى الرابع عشر :
- عبد المتعال الصعدي ، مكتبة الاداب ، القاهرة .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :
- أبو بكر البهيشي بتحرير الحافظ العراقي وابن حجر ط ٣ دار الكتاب العربي
١٤٠٢-١٩٨٢ بيروت .
- مجموعة الرسائل الكبرى :
- للإمام ابن تيمية ، مكتبة انس بن مالك ١٤٠٠ هـ مصر
- المجموع شرح مذهب الشيرازي :
- يحيى بن شرف النووي ت : محمد نجسيب الطيحي : زكريا علي يوسف
مطبعة الامام بمصر .
- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :
- ت : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي ، ط ١ - ١٣٩٨ هـ
مطابع العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .
- محاسن التأويل " تفسير القاسي "
- محمد جمال الدين القاسي ت : أحمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ط ٢
بيروت ١٣٩٨-١٩٧٨
- محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة :
- د . محمد جلال شرف مكتبة كريدية اخوان ، بيروت ١٩٨٠
- محاضرات في النصرانية :
- الشيخ محمد ابوزهرة ، دار الفكر العربي مصر ط ٥ ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- محاكم التفتيش ، نشأتها ، ونشاطها :
- د . اسحق عبيد ، دار المعارف مصر ١٩٧٨
- المحلي :
- للإمام ابن حزم ت : أحمد محمد شاكر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر
بيروت .
- محيط المحيط :
- بطرس البستاني مكتبة لبنان بيروت ١٩٧٧
- مختار الصحاح :
- لأبي بكر الرازي ، ط دار الفكر ١٣٩٨ هـ
- المختار في الرد على النصارى :
- عمرو بن بحر الجاحظ ، ت : محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الصحوة
القاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤

- مختصر تاريخ الدول :
- غريغوريوس الطلطي المعروف بابن العبري ، ط ٢
- مختصر تاريخ سوريا :
- المطران يوسف الدهس ، ط ٢ لبنان ١٩٨٤
- مختصر سنن أبي داود
- للحافظ المنذرى ت : محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية .
- مخطوطات البحر الميت :
- حسين عمر حمادة دار منارات للنشر عمان الاردن ١٩٨٢
- مخطوطات البحر الميت :
- محمود العايدى ، جمعية عمال المطابع التعاونية عمان ١٩٦٧ م
- مخطوطات البحر الميت والبحث في اصول النصرانية الاولى
- د . فاروق عمر عبد الله ، جامعة الطوك عبد العزيز جدة كلية الاداب
- والدراسات الانسانية محاضرة القيت في ربيع الاول سنة ١٤٠٦ هـ
- المخطوطات العربية لكتبة النصرانية :
- للاب لويس شيخو نشرته مجلة المشرق اللبنانية اعيد طباعتها في
- الثانية ١٩٨٠
- المدخل الى دراسة الأديان والمذاهب :
- العميد عبد الرزاق محمد اسود ، دار المسيرة ، الدار العربية للموسوعات
- بيروت ١٤٠١-١٩٨١
- مدخل في تاريخ الأديان :
- محسن العايد : دار الكتاب بسوسة ١٩٧٣
- مذاهب الاسلاميين :
- د . عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ط ١ بيروت ١٩٧٣
- مذاهب فكرية معاصرة :
- محمد قطب ، دار الشروق ط ١ ١٤٠٣ - ١٩٨٣
- المذاهب الكبرى في التاريخ :
- البان . ج . هـ جيري ت : ذوقان قرقوط دار القلم ط ٢ بيروت ١٩٧٩
- المرأة في الشعر الجاهلي
- د . احمد محمد الحوفي دار الفكر العربي ط ٢ مطبعة المدني
- مسألة النبوزين في الهند :
- عبد العزيز الشعالبي ، دار الغرب الاسلامي بيروت ١٤٠٤ - ١٩٨٤
- الستدرك على الصحيحين :
- للحاكم (محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم) ، دار المعرفة للطباعة والنشر
- مكتب المطبوعات الاسلامية - حلب .

- سند الامام أحمد بن حنبل :
- المكتب الاسلامي ، دار الفكر ط ، بيروت
- المسيح ابن مريم
- جاك جومير ، وسامي اليافي دار الكلمة بيروت ١٩٦٦
- المسيح في القرآن والتوراة والانجيل . :
- عبد الكريم الخطيب دار الكتب الحديثة مصر ط ١ ١٣٨٥ - ١٩٦٥
- المسيح في مفهوم معاصر :
- عصام الدين حفني ناصف . دار الطليعة ط ١ ١٩٧٩ م
- المسيحية :
- د . احمد شلبي مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط ٦ ، ١٩٧٨
- المسيحية نشأتها وتطورها :
- شارل جينبير ، المكتبة العصرية ت : د . عبد الحليم محمود ، صيدا لبنان
- مصرع التصوف :
- برهان الدين البقاعي ، ت : عبد الرحمن الوكيل ، ادارة الطباعة
- الشامية ١٣٦٨ هـ - دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
- مصر القديمة :
- سليم حسن ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٩
- مصر والعرب واسرائيل في الكتب المقدسة :
- د . محمد احمد محمد حسن ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠
- معالم أصول الدين :
- فخر الدين الرازي ت : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتاب العربي بيروت
- معالم تاريخ الانسانية :
- هـ . ج . ولز ، عبد العزيز توفيق جاويد ط ٣ لجنة التأليف والترجمة مصر ١٩٦٧
- معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى :
- د . محمود سعيد عمران دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٢ م
- معالم تاريخ العصور الوسطى :
- محمد رفعت ، وأحمد حصونة ط ٢ مصر ١٩٢٦
- معالم الحضارة في الاسلام :
- د . عبد الله طوان ، دار السلام القاهرة ط ٢ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤
- معجم الالفاظ والاعلام القرآنية :
- محمد اسمايل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة

- المعجم المفهرس "تجريد أسانيد الكتب المشهورة والاجزاء المنشورة" : لابن حجر ، ميكروفيلم بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى تحت رقم ٧٥٤ نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية .
- معجم المؤلفين :
- عمر رضا كحالة ، مكتبة المتنبي دار احياء التراث العربي ، بيروت
- الحفني :
- لابن قدام ، مكتبة الرياض الحديثة الرياض .
- مغني المحتاج :
- لابي زكريا يحيى بن شرف النووي ط ١٣٧٧ هـ
- المفردات في غريب القرآن :
- ابو القاسم الراغب الاصفهاني ، ت : احمد سيد كيلاني ، مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٨١-١٩٦١
- الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام :
- د . جواد طي دار العلم للملايين ط ٢ ١٩٨٠
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنه
- للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت : عبد الله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩
- مقالات الاسلاميين :
- لابي الحسن الاشعري ت : محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية ط ٢ القاهرة ١٣٨٩ - ١٩٦٩
- مقام الصليبان :
- احمد بن عبد الصمد الخوزجي . ت : عبد المجيد الشرفي ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ١٩٧٥
- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق
- د . احمد سوسة مركز الدراسات الفلسطينية جامعة بغداد ط ١٩٧٨
- المطاليك والفرنج :
- د . احمد دراج ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦١
- من افلاطون الى ابن سينا :
- د . جميل صليبا دار الاندلس ١٤٠١ ١٩٨١
- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ،
- عبد العزيز بن حمد بن ناصر ال معمر ، دار ثقيف للنشر والتاليف ، الطائف
- المملكة العربية السعودية ط ٢ ١٣٩٨-١٩٧٨

- من روضة الى مكنة :
- خير النساء دى ساراواك ت : رأفت شنبور : مطبعة اللوا طرابلس الشام ١٩٣٥ م لبنان .
- منظومة الامام الابوصيرى في الرد على النصارى واليهود :
- محمد بن سعيد بن حماد الابوصيرى : ت : أحمد حجازى السقا : مكتبة المدينة المنورة بصر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩
- منهج التربية الاسلامية
- محمد قطب ط ٢ دار الشروق بيروت
- منهج السنة في الزواج :
- د . محمد الاحمدى ابوالنور ط ١ دار النصر للطباعة ١٣٩٢-١٩٧٢ القاهرة
- موسمرتي : " كتاب الهندوس المقدس "
- ت : احسان حقى دار اليقظة العربية ط ١
- مهاتما غاندى
- رومن رولان ت : عرفاخورى مطبعة طيارة بيروت
- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل :
- لابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن مكتبة النجاح ، ليبيا
- الموسوعة الاثرية العالمية :
- لمجموعة من العلماء باشراف ليونارد كوتيريل ت : د . محمد عبد القادر محمد
- د . زكي اسكندر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧
- موسوعة التاريخ الاسلامي :
- د . عبد الله مبر الطرازى عالم المعرفة جدة ط ١ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣
- موسوعة تاريخ العالم :
- ولیم لانجر ، ت : د . مصطفى زيادة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٤
- الموسوعة الميسرة :
- محمد شفيق غريال ، دار نهضة لبنان
- الموسوعة الفلسطينية :
- العميد عبد الرزاق محمد الاسود ، دار العربية للموسوعات ١٩٧٨
- الموسوعة الفلسفية :
- م . روزنتال ، ي يودين ت : سمير كرم ، دار الطليعة بيروت ط ٢
- ١٩٨٠
- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية :
- د . عبد الوهاب محمد المسيرى ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية
- بالاهرام ١٩٧٤

- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية :
- د . عبد المنعم الحفني ط ١ دار السيرة ببيروت / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠
- موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير الطائى للتاريخ :
- احمد العوايشة ط ١ دار مكة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- موقف الاسلام والكنيسة من العلم :
- عبد الله المشوخي مكتبة النصار ، الاردن الزرقاء ط ١ ١٤٠٢
- موقف الدين من العلم :
- الشيخ محمد نمر الخطيب ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط ١
- ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- ميلاد العصور الوسطى
- هر. سانتال . ب . موس ، ت : عبد العزيز جاويد - سيد الباز العريني
- عالم الكتب القاهرة ١٩٦٧
- نسكيات :
- اسحق السرياني ت : الاب اسحق عطا الله منشورات النور ببيروت ١٩٨٣
- نشأة الدين :
- د . علي سامي النشار ، دار نشر الثقافة بالاسكندرية مطابع طه دين ط ١٣٦٨
- ١٩٤٩
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام :
- د . علي سامي النشار دار المعارف ط ٧ ١٩٧٧
- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها
- د . عرفان عبد الحميد فتاح المكتب الاسلامي ببيروت ١٣٩٤ - ١٩٧٤
- نصارى العراق في العصر العربي :
- جاسم صكيان الربيعي ، كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٧٤
- النصيحة الابطانية في فضيحة الطة النصرانية
- لنصر بيسن يحيى بن عيسى الخطيب المهتدى ت : محمود قدح
- رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠٧ - ١٩٨٧
- نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام :
- د . محمود عبد السميع الشعلان دار العلوم والنشر ١٤٠٣ - ١٩٨٣
- نظام الزواج في اليهودية والمسيحية :
- د . محمد شكرى سرور دار الفكر العربي ببيروت ١٩٧٩
- نفاق اليهود :
- مارتن لوثر : عجائب نهبض دار الفكر ط ١ ١٣٩٤

نقض اوهام المادية الجدلية :

د . محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر ط ٢ د شق ١٣٩٩ - ١٩٧٩

نوادير المخطوطات :

عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٧٣

١٩٥٤

النهاية في غريب الحديث والاثار -

مجد الدين ابي السعادات ابن الاثير ت : د محمود الطناحي المكتبة الاسلامية

ط ١ ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣

هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى

لابن قيم الجوزية ، مطابع المدينة - الرياض

هدية العارفين :

اسماعيل باشا البغدادي ، منشورات مكتبة الحثى بغداد ط . بالافست استانبول

استانبول ١٩٥١

الهند القديمة حضاراتها ودياناتها :

د . محمد اسماعيل الندوي ، دار الشعب مصر ١٩٧٠

وثائق دير صهيون بالقدس الشريف :

د . احمد دراج : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨

الوجود الالهسي

سانتيلانا . ت : عصام الدين محمد علي ، مؤسسة الخافقين د شق ط ١

١٩٨١ بيروت

وسائل ومقاومة الفوز للفكر للعالم الاسلامي .

د . حسان محمد حسان دار الاصفهاني جدة ١٤٠٥

وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه .

د . محمد الزحيلي ، دار القلم ط ١٣٩٧ - ١٩٧٧

يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء :

د . رؤوف شلبي ، دار الاعتصام ، القاهرة ط ٢ ١٤٠٠ - ١٩٨٠

اليهودية :

د . احمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٤

اليهود في تاريخ الحضارات الاولى :

د . غوستاف لوبون ت : عادل زعتر ، عيسى البابي الحلبي وشركاه

١٩٧٠

اليهود في مصر في عصر البطالة : د . مصطفى كمال عبد العليم مكتبة القاهرة

الحديثة ١٩٦٨ .

يوحنا المعمدان . د . احمد حجازي السقا دار التراث العربي مصر ١٩٧٨

ثبات الدوريات :

- جريدة الرياض عدد ٦٠٠٧ السنة ٢١ ١٤٠٥/٣/١١ - ٢/٢ ديسمبر ١٩٨٣ المطبعة العربية السعودية
- جريدة المسلمون العدد ٩٨-٩٩-١٩ ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ ٢٠ ديسمبر ١٩٨٦ المطبعة العربية السعودية
- مجلة الازهر عدد محرم ١٣٧٩ القاهرة
- مجلة التضامن : الشركة العربية البريطانية للنشر والتوزيع والاعلام المحدودة عدد ٤ تاريخ ٧/٥/١٩٨٣ لندن
- مجلة ثقافة الهند عدد ٣ سنة ١٩٥١ الهند
- مجلة الحوارات العدد ١٣٠٥ ١٩٨١ ٦ تشرين الثاني نوفمبر لندن .
- مجلة المجتمع عدد ٦٤٨ ربيع الاول ١٤٠٤ الكويت
- مجلة المسلمون العدد ٢٢ سنة ١٤٠٢ - المطبعة العربية السعودية
- مجلة المشرق : تصدر في لبنان ، مجموعة أعيد نشرها عام ١٩٨٠ في الطانية .
- مجلة البصائر عدد ٨٠٤ ٢٢ شعبان ١٤٠٤ المطبعة العربية السعودية

المراجع الأجنبية :

- EARLY INDIAN RELIGIONS . P. BANERJEE, NEW DELHI INDIA . 1975
- ENCYCLOPAEDIA BRITANICA . V:10. PRESS.1974
- ENCYCLOPAEDIA OF RELIGION AND ETHICS . EDIT BY JAMES HASTINS. NEW YORK . 1974
- MAN'S RELIGIONS . JOHAN . B . MOSS . MACMILLAN PUBLISHING CO. IMS. NEW YORK. 1980

"الفهرس"

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	
التمهيد : ويشمل	
أ - الرهينة : لغة واصطلاحا	١
وأهمية الجانب العقدي في التعرف	٥
الاصطلاح	
ب - عوامل الخوف والرغبة في الحياة البشرية	٧
- النظريات الباقية في نشأة الدين وأثره	٨
- النظريات الموطنة - النظريات التطورية	
- رأى الاسلام في نشأة الدين .	
الباب الاول : الرهينة المصرية القديمة	١١
الفصل الاول : العقائد وتطورها	
اولا : عبادة الظواهر الطبيعية	١٢
ثانيا : عبادة الحيوانات	١٣
ثالثا : تأليه البشر	١٤
رابعا : اليوم الاخير	١٦
خامسا : تناسخ الارواح .	١٧
الفصل الثاني : بوادر نشأة الكهان والرهبان	
اولا : بوادر النشأة	١٩
ثانيا : الصور الاولى للتمثل .	٢٠
ثالثا : بدايات الرهينة	٢٠
رابعا : المظاهر التعبدية	٢١
الفصل الثالث : الرهبان ، مبادئهم ، طوبىهم ،	
طبقاتهم	
اولا : سمات واصاف الرهبان	٢٣
ثانيا : المعارف والعلوم	٢٥
ثالثا : طبقات الكهنة ومهامهم	٢٦
رابعا : الامتيازات والمخصصات الكهنوتية	٢٩
النتائج : مقارنة بين الاهداف والنتائج الناجمة	
عن اعمال الرهبان	٣٠

٣٢	الباب الثاني : الرهبنة الهندوسية
٣٣	التصنيف : أ - سكان الهند الاصليون
٣٤	- معالم الديانة الهندية القديمة
٣٧	ب - الفزة الاريون ، آثارهم في الهند - المعبودات الارية .
٤١	الفصل الاول : العقائد الهندوسية المتصلة بالرهبنة ونقد هــا
٤١	اولا : تعدد الالهة - التثليث
٤٥	ثانيا : الكارما
٤٧	ثالثا : تناسخ الارواح
٥١	رابعا : الاتحاد ، أو الانطلاق
٥٤	خامسا : الحلول أو التجسد
٥٦	سادسا : وحدة الوجود
٦٠	الفصل الثاني : الفرق الدينية ، والحداد الهندوسية
٦٠	اولا : الفرق الدينية
٦٢	ثانيا : الكتب القدسة
٦٤	أ - الفيدا واقسامها
٦٩	ب - قوانين مانو
٧٠	الفصل الثالث : نظام الطبقات الهندوسي ونقده
٧٠	اولا : كيف نشأ نظام الطبقات
٧٣	ثانيا : تقسيم الطبقات
٧٧	ثالثا : الفوارق الطبقة
٨١	الفصل الرابع : نظام الرهبنة الهندوسي ، الجادى* والمراحل ، والصور
٨٣	اولا : الجادى* ، والصور
٨٨	ثانيا : المراحل الاربعة
٨٨	ثالثا : العبادات وصورها
٩٢	الفصل الخامس : النتائج التي آلت اليها الرهبنة الهندوسية

الباب الرابع : الرهبنة البوذية ١٢٦

التمهيد : أ - صائد الفكر البوذي ١٢٨

ب - حياة بوذا ١٣٠

ج - آراء حول شخصيته ١٣٤

الفصل الاول : العقائد البوذية ونقدها ١٣٧

اولا : انكار الالهية ١٣٧

ثانيا : الكارما ١٤٠

ثالثا : تناسخ الارواح ١٤١

رابعاً : النيرفانا ١٤٣

خامساً : مبدأ التغير الدائم ١٤٦

سادساً : اليوغا ١٤٩

الفصل الثاني : أثر التطور في الدين ونشأة الفرق ١٥٠

اولا : تطور الجانب المعنوي والفكري ١٥٢

ثانيا : ترتيب الكهنسوت ١٥٤

ثالثاً : دخول النساء في الرهبنة ١٥٧

رابعاً : المجامع البوذية ١٦٠

خامساً : الفرق البوذية ١٦٣

الفصل الثالث :

النتائج التي وصلت اليها الرهبنة البوذية
ونقدها . ١٦٨

الباب الخامس : الرهبنة اليونانية ١٧٤

التمهيد ١٧٥

الفصل الاول : الديانة والعقائد ١٧٧

اولا : الكهان ١٧٩

ثانيا : بدايات الزهد ١٨٠

ثالثا : بدايات الرهبنة ١٨١

الفصل الثاني : العبادات وصورها واثار الرهبنة
في مدارس الزهد والفلسفة . ١٨٢

اولا : الممارسات التعبدية ١٨٢

ثانيا : الطقوس والشعائر ١٨٣

ثالثا : اثر الرهبنة في المدارس الزهدية
والفلسفية ١٨٩

الفصل الثالث : اهم المدارس الزهدية ١٨٩

اولا : نخلة اورفيوس

ثانيا : نخلة فيثاغورس ١٩٤

ثالثا : نخلة ايزيس ، ومثرا ١٩٤

الفصل الرابع : اثر الرهبنة في الفلسفة اليونانية ١٩٥

٢٠٢	الباب السادس :	الرهبنة اليهودية
٢٠٣	التمهيد :	- بدايات الكشف
٢٠٦		أ - الخلاف حول تسمية اصحاب المخطوطات
٢٠٨		ب - الاماكن والاثار المكتشفة
٢٠٩		ج - المخطوطات المكتشفة والملاحظات حولها .
		محاولات للتعرف على تاريخ القيرانيين
٢١١		وهيتهم
	الفصل الاول :	الحالتان السياسية والدينية في عهدى اليونان والرومان
٢١٧		اولا : في عهد اليونان
٢٢١		ثانيا : في عهد الرومان
٢٣١	الفصل الثاني :	العقائد اليهودية ونقدها
٢٣١		اولا : موقف اليهود من الالهية
٢٣٨		ثانيا : موقفهم من الانبياء والرسل
٢٤٢		ثالثا : عقيدة اليوم الاخير
٢٤٤	الفصل الثالث :	اسفار اليهود المقدسة ونقدها
٢٤٥		اولا : نظرة عامة
٢٤٦		ثانيا : تقسيم التوراة
٢٤٨		ثالثا : اللغة وتاريخ التأليف والتدوين
٢٥٤	الفصل الرابع :	رجال الدين اليهود
٢٥٤		أ : الكهنة
٢٥٧		ب : الكتبة
٢٥٩	الفصل الخامس :	الفرق اليهودية
		أ - العدوقيون ب - الفريسيون ج - السامريون
		د - القنانيون هـ - الناظوريون
٢٦٨	الفصل السادس :	عقائد القيرانيين
٢٧٧	الفصل السابع :	العبادات
٢٧٨	الفصل الثامن :	الانظمة والعبادات والعبادى*
٢٨٨	الفصل التاسع :	نقد مبادئ* وانظمة الرهبنة اليهودية
		الترابط بين رهبنة القيرانيين ورهبنة
٣٠٢		المجاطات اليونانية القديمة

٣٠٤	الباب السابع : الرهبانية المسيحية
٣٠٥	التمهيد
٣٠٦	الفصل الاول : العقائد ونقدها
٣٠٦	اولا : أسس العقائد المسيحية
٣٠٩	ثانيا : مدلولات التثليث
٣١٥	ثالثا : ملايسات حول الابوة والبنوة في المسيحية
	الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في انحراف العقائد
٣١٩	النصرانية
٣٢٠	اولا : العوامل الداخلية
٣٣١	ثانيا : العوامل الخارجية
٣٤٦	ثالثا : الجهة المستفيدة من الانحراف
٣٤٧	الفصل الثالث : الاسس العقدية للرهبانية ونقدها
٣٤٧	اولا : الصلب ، والفداء
٣٥٥	ثانيا : الحبل
٣٦٢	ثالثا : الاتحاد
	الفصل الرابع : اثر الانحراف العقدي على نظرية
	الرهبانية الى : النفس البشرية ، والزواج
٣٧٠	والمرأة - ونقدها
٤٠٥	الفصل الخامس : أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية
	الفصل السادس : الانظمة والقوانين الديرية ، تطورها
٤١١	وآثارها ، ونقدها
٤١١	اولا : اوائل التنظيمات الديرية
٤١٦	ثانيا : اسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد اعداد الرهبان
٤١٩	ثالثا : امثلة لبعض القوانين الديرية وتطورها
٤٢٩	رابعا : اثر القوانين في الصور المغالية للرهبانية
٤٣٣	خامسا : الاثار السيئة المترتبة على الفلوسوفى الرهبانية
٤٣٥	سادسا : النذور الثلاثة : مناقشتها ، ونقدها

٤٥٧ الفصل السابع : أثر استغلال الكنيسة للرهبانية

٤٥٨ اولا : نشأة فكرة الكنيسة وتطورها

٤٦٠ ثانيا : اعداد الكنيسة باعداد الرهبان

٤٦٣ ثالثا : تطور مفهوم الاسقف

٤٦٩ رابعا : الطفيان البابوي والكنسي

٤٧١ واهم الشخصيات البابوية

٤٧٧ أ : الطفيان الروحي

٤٨٢ ب : الطفيان العقلي والفكري

٤٨٦ ج : الطفيان العلمي

٤٩١ - أثر الصراع بين العقل والرهبانية

٤٩٧ د : الطفيان السياسي

٥٠١ هـ : الطفيان المالي والاقتصادي

٥٠٤ الفصل الثامن : موقف الكنيسة المعادي للاسلام
وأشاره

٥٠٤ اولا : الحروب الصليبية

٥٠٨ ثانيا : التشهير

٥١١ الباب التاسع : أثر الرهبنة في البدع الفالسية
والفرق المغالية المنتسبة للاسلام

٥٢٤ الباب العاشر : موقف الاسلام من الرهبنة وحكمه

٥٢٥ الفصل الاول : موقف الاسلام من رهبنة الاديان الوضعية

٥٣٠ الفصل الثاني : موقف الاسلام من الرهبانية النصرانية
وحكمه عليها .

٥٤٢ الخاتمة : وفيها نتائج البحث .

- فهرس الايات القرآنية ٥٤٧
- فهرس الحديث الشريف ٥٥٣
- فهرس نصوص من العهد القديم ٥٥٥
- فهرس نصوص من العهد الجديد ٥٥٦
- فهرس نصوص من رسائل اعطال الرسل ٥٥٧
- فهرس تراجم الاعلام ٥٥٩
- فهرس المصادر والمراجع ٥٦٠
- المراجع الاجنبية والدوريات ٥١٣